الإمام المفكر الداعية المربي الأديب

تأليف

سيد عبد الماجد الغوري

تقديم

الدكتور يوسف القرضاوي

سماحة الشيخ أحمد كفتارو

الدكتور مصطفى الخن

الدكتور وهبة الزحيلي

الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

أبو الحسن الندوي

الإمام المفكر الداعية المربي الأديب

www.abulhasanalinadwi.org

صورة الغلاف تظهر فيها دار العلوم - ندوة العلماء

حيث قضى فيها العلامة الندوي حياته طالبا وأستاذا ورئيسا

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة

1426 هـ ـ 2005 م

وهي الأولى موسعة ومعدلة تعديلا جذريا وفيها زيادات هامة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع
و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : التراجم

العنوان : أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب

التأليف : سيد عبد الماجد الغوري

نوع الورق : شاموا

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : 960

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني سلوفان

الوزن : 1.5 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة علي جواد

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد

دار ابن كثير

دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 – جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

www.abulhasanalinadwi.org

أبو الحسن الندوي

الإمام المفكر الداعية المربي الأديب

تأليف

سيد عبد الماجد الغوري

قدم له

الدكتور يوسف القرضاوي

سماحة الشيخ أحمد كفتارو — الدكتور وهبة الزحيلي

الدكتور مصطفى الخن — الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الإهداء

إلى العرب كافَّةً ، الَّذين ظَلّوا أكبرَ مَوْضِعِ عناية العلاَّمة الندوي في خطاباته وكتاباته ، والذين صارحهم قائلاً :

« لو جُمِعَ لي العربُ في صعيدٍ واحدٍ ، واستطعتُ أن أُوجِّه إليهم خطاباً تسمعه آذانُهم ، وتَعِيْه قلوبُهم ، لقلتُ لهم :

أيها السادة !

إنَّ الإسلام الذي جاء به سيدُنا محمَّد العربي ﷺ هو مَنْبَعُ حياتكم ، ومِن أُفقه طلعَ صبحُكم الصادق ، وأنَّ النبيَّ ﷺ هو مصدرُ شرفكم ، وسببُ ذكركم ، وكلُّ خيرٍ جاءكم ـ بل وكلُّ خيرٍ جاء العالمَ ـ فإنَّما هو عن طريقه ، وعلى يديه ، أبى الله أن تتشرَّفُوا إلاَّ بانتسابكم إليه ، وتمسُّككم بأذياله ، والاضطلاع برسالته ، والاستماتة في سبيل دينه ، ولا رادَّ لقضاء الله ، ولا تبديلَ لكلمات الله .

إنَّ العالمَ العربيَّ بحرٌ بلا ماءٍ كبحرِ العروض ؛ حتى يَتَّخِذَ سيدَنا محمداً ﷺ إماماً وقائداً لحياتِه وجهادِه ، وينهضَ برسالة الإسلام كما نَهَضَ في العهد الأول ، ويخلِّصَ العالمَ المظلومَ من بَرائن مجانين أوربّة ، الذين يأبَوْن إلاَّ أن يقبروا المدنية ، ويقضوا على الإنسانيةِ القضاء الأخير بأنانيتهم واستكبارِهم ، وجهلِهم ، ويُوجِّه العالمَ من الانهيار ، إلى الازدهار ، ومن الخراب والدمار ، والفوضى والاضطراب إلى التقدّم والانتظام ، والأمن والسلام ، ومن الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان .

وإنَّه حقٌّ على العالم العربي سوفَ يُسألُ عنه عندَ ربِّه فلينظر بماذا يجيب ؟! » .

المؤلف

www.abulhasanalinadwi.org

هَذَا الرَّجُلُ

« . . . السيد أبو الحسن الندوي عرفتُه في شخصه وفي قلمه ، فعرفتُ فيه القلبَ المسلم والعقل المسلم ، وعرفتُ فيه الرجلَ الذي يعيش بالإسلام وللإسلام ، وعلى فقهٍ جيِّدٍ للإسلام ، هذه شهادةٌ لله أؤدِّيها »[1] .

الأديب الكبير ، والداعية الشهيد
الأستاذ سيِّد قطب

« . . . الأستاذ أبو الحسن الندوي . . هو عالمٌ مصلح وداعية مخلص ، دأبَ منذ أتاه الله العلمَ على الدعوة إلى الله بقلمه ولسانه وبرحلاته الدعوية إلى أقطار العروبة والإسلام ، وبجولاته الموفَّقة في ميادين الدعوة ، حتى إنَّه اليوم ليُعَدَّ مِن أبرز أعلام الإسلام والمصلحين ، وله كتبه ومؤلَّفاته التي تتميَّز بالدقة العلمية وبالغوص العميق في تفهُّم أسرار الشريعة والتحليل الدقيق لمشاكل العالم الإسلامي ، ووسائل معالجتها ، عدا ما يمتاز به من روحٍ مشرقةٍ وخُلُقٍ نبويٍّ كريمٍ ومعيشةٍ تذكِّرك بعلماء السلف الصالح في زهده وتقشُّفه ، وعبادته وكرامة نفسه »[2] .

الداعية الفقيه ، والصابر المجاهد
الشيخ الدكتور مصطفى السباعي

« . . . فقد شعرتُم بما يكنه لكم قلبي من حبٍّ خاصٍّ لا أعرفه في نفسي لغيركم من أهل الفكرة والدعوة مع حبِّي وتقديري لهم ، وإنِّي لأرجو الله أن يحشرني معكم ، في مستقرِّ رحمته ، هذا عدا ما أشعر به أو بالأصحِّ أجده بيننا من توافقٍ في الفكر ،

---

(١) في تقديمه لكتاب العلامة الندوي « قصص النبيين » .
(٢) في تقديمه لكتاب العلامة الندوي « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » (١/ ٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

وانسجام في الرأي في مختلف القضايا بل من تقاربٍ شديدٍ في أسلوب معالجة الأمور ، وإنه تشريفٌ عظيمٌ لي في اعتقادي إذا أشبهتُكم »[1] .

المفكِّر المربِّي ، والداعية الناقد البصير

الأستاذ محمَّد المبارك

« . . . ولقد كنتُ أذكُرُ اسمَ (لكهنؤ) مرَّةً أمام جماعةٍ من أهل فضلٍ ، فما عرفها منهم أحدٌ ، فقلتُ لهم : إنها مدينةُ أبي الحسن الندوي ، فعرفوها ، فكيف تريدون منِّي أن أعرِّف القرَّاءَ . . برجلٍ هو أشهر مِن بلده ، حتى إنَّها لتُعْرَف به قبل أن يعرف بها !! . . . »[2] .

« . . . الناسُ عندي أصناف ثلاثة ، منهم مَن أُحِبُّه وأَحترمه ، ومنهم مَن أحترمه لعِلمه وفضله ، ولكني قد لا أُحِبُّه لغلظتِه وثقل ظلِّه ، ومنهم من أُحِبُّه ولكنّي لا أحترمه ، فكان أبو الحسن مِن النفر القليل الذين أوليتُهم حُبِّي واحترامي . . . »[3] .

« . . . وإذا كان مَن بنى حصناً ، أو قاد جيشاً عُدَّ في العظماء ، فأبو الحسن بنى للإسلام من نفوس تلاميذه حصوناً أقوى وأمتن من حصون الحجر ، بنى أمَّةً صغيرةً من العلماء الصالحين والدعاة المخلصين . . . »[4] .

« . . . وكان المَثَلُ الأكمل لهذه الطريقة هو أبو الحسن ، أمسَكَ الخيرَين باليدين ، فما أضاع القديمَ ، ولا أهمل الانتفاعَ بالجديد ، وإذا كان أول ما يؤخذ على أكثر علماءنا ومشايخنا والدعاة إلى الله منَّا ؛ أنَّ جمهورهم لا يُحسِن لغةً أجنبيةً ، فأبو الحسن يُتقِن ثلاثَ لغات إتقاناً كاملاً ، الثلاث التي هي أكثر ألْسُن الأرض ناطقين بها : العربية ، والأردية ، والإنكليزية ، ويعرف فوقها الفارسيةَ ، وإذا كان الشاعر القديم صادقاً حين قال :

فكلُّ لسانٍ في الحقيقة إنسانٌ . . . . . .

---

(١) في رسالته الموجَّهة إلى العلامة الندوي ، « رسائل الأعلام إلى العلاَّمة أبي الحسن الندوي » ص (١٥٢) طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) في مقدمته لكتاب ، « في مسيرة الحياة » للعلاَّمة الندوي ، (١/ ١٢) .

(٣) في « ذكريات » (٨/ ١٢٥) .

(٤) في مقدمة الكتاب المذكور (١/ ١٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

فأبو الحسن ثلاثةٌ في واحدٍ ، لا أقول إنه كتثليث النصارى ، تعالى الله لا إله إلا هو الربُّ الواحد ، بل أقول : إنَّه جمع الفضل مثلَّثاً . . . »[1] .

أديب الفقهاء ، وفقيه الأدباء
والكاتب المُبدِع ، والمحدِّث المُمتِع
العلامة الشيخ علي الطنطاوي

« . . . الداعية الكبير الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي : علاَّمةُ الهند ، وربَّانيُّ الأمَّة ، وبقية السَّلف ، العالم العامل ، والحبر الكامل ، الزاهد المجاهد ، صاحب الكتب الفائقة ، والرسائل الرائقة ، والمحاضرات النافعة »[2] ، الذي لا يختلف فيه اثنان ، ولا ينتطح فيه عنزان ـ كما يقولون ـ اجتمع عليه السَّلفيون والمتصوّفون ، والمذهبيون واللامذهبيون ، كما اجتمعَ عليه المتثقِّفون بالثقافة الإسلامية التقليدية ، والمثقَّفون بالثقافات الحديثة ، وكان كلمةَ إجماعٍ عندهم ، أحبّه الجميعُ لاعتقادهم بصدقه وإخلاصه وتجرُّدِه لله ، وبُعْدِه عن الأغراض الشخصية ، والمصالح الذاتية ، والعصبية الجاهلية . . . »[3] .

فقيه الدعاة ، وداعية الفقهاء
العلامة الدكتور يوسف القرضاوي

« قد عمل الأستاذُ الندوي منذ سنواتٍ طويلةٍ على تناول كلِّ ما يتصل بقضايا الفكر الإسلامي ومعضلاته ، وكلِّ ما يتصل بالشبهات المثارة ، عارضاً ذلك باللغة العربية الفصحى ، متحدِّثاً بها من فوق منابر القاهرة ودمشق ومكة ولبنان وبغداد في خلال رحلات دعوته إلى الله ، وكتبه منثورة بين شباب العرب والمسلمين »[4] .

المفكِّر الكبير ، والكاتب الموسوعي النابه
الأستاذ أنور الجندي

---

(١) في مقدِّمة « ذكريات » (١/ ١٧) .
(٢) في كتاب « يوسف القرضاوي : فقيه الدعاة وداعية الفقهاء » تأليف الأستاذ عصام تليمة ، ص(٤٢) .
(٣) في كتاب « الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته » للدكتور القرضاوي ، ص(١٤٩) .
(٤) في « أعلام القرن الرابع عشر الهجري » ص(٤١٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

« . . . فقد تلقَّينا رسالتكم ، وأحطنا علماً بما أبديتموه ، ومع شكرنا لمشاعركم الطيبة ، ،تقديرنا لروحكم الإسلامية وغيرتكم الدينية ،، فإنَّنا نوَدُّ أن نؤكِّد لكم أننا لم نسمح ولا يمكن أبداً أن نسمح بما يتعارض مع ديننا الحنيف وتعاليمه القويمة ، سائلين المولى سبحانه أن يوفِّقنا جميعاً لما فيه خير هذا الدين وإعلاء شأنه ، وجمع كلمة المسلمين على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، والله يحفظكم . . . »[1] .

الملك العِصامي ، ورائد التضامن الإسلامي
فيصل بن عبد العزيز آل سعود

« . . . إنِّي أيها الصديق الكريم والخِلُّ الوفيُّ ! ما ذكرتُك في نفسي أو في ملإٍ من قومي إلا وذكرتُ علمَكَ الواسع ، وأدبَك الجَمَّ ، ولطف حديثك ، وإمتاع جليسك بفوائدك الغزيرة ونوادرك العذبة الشهية ، فنسأله سبحانه أن يحفظكم للعلم وأهله ، ويزيدكم من فضله ، ويديم عهد الاتصال ، ويجمعنا على أحسن حالٍ .

وقد يجمع الله الشَّتِيْتَين بعدما يظنَّان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا[2]

المفسِّر اللغويّ المؤرِّخ
العلاَّمة محمد بهجة البيطار

« أخلَصَ ـ أبو الحسن الندوي ـ وجهَه لله ، وسار في حياته سيرةَ المسلم المخلص لله تعالى ورسوله ، ﷺ فدعا إلى الإسلام بالقدوة الحسنة ، ودعا إلى الإسلام بكُتبه النقية ، ودعا إلى الإسلام بسياحته التي حاضَرَ فيها ووجَّه وأرشد ، فجزاءه الله خير ما يجزي عالماً عن دينه »[3] .

الإمام الأكبر ، وشيخ الأزهر الأسبق ،
ورائد المدرسة الصوفية الحديثة
الدكتور عبد الحليم محمود

---

(١) في رسالته الموجَّهة إلى العلامة الندوي ، انظرها في « رسائل الأعلام » إلى العلاَّمة الندوي ص(١٨٧ ـ ١٨٨) .
(٢) في رسالته الموجَّهة إلى العلاَّمة الندوي ، انظرها في « رسائل الأعلام . . . » ص(٧٧) .
(٣) في كلمته التي ألقاها بمناسبة المهرجان التعليمي لدار العلوم ـ ندوة العلماء ، عام ١٩٧٥م .

www.abulhasanalinadwi.org

« . . . تسلَّمتُ الآن بيد الشكر والابتهاج . . . تحفتَين غاليتين من آثاركم القيِّمة ، هما : (دور الحيث الشريف في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته) و(الأدب الإسلامي وفكرته ومنهاجه) ونعمتُ أيَّ نعمةٍ بقراءة الأثر الأول ، فلقد ذكرني بما قاله المحدِّثُ الجليل عبد الله بن عمر في شيخه الإمام التابعي النبيل شيخ المدينة يحيى بن سعيد الأنصاري :

« كان يحيى بن سعيد يحدِّثنا فيسحُّ علينا مثل اللؤلؤ »

فوالله لقد كان حديثُكم عليَّ هكذا ، فالحمد لله الذي آتاكم وأولاكم ، وأقامكم فينا وقوَّاكم ، وأرانا فيكم صفحات مشرقة من تاريخنا العلميّ المجيد ، وعلمائنا السالفين الأمجاد ، فكنتم ومازلتم بحمد الله النموذج الرفيع للتذكير بأولئك الأسلاف الذين آتاهم الله حبَّه في قلوبهم ، وحبَّ الناس لهم بما أحبُّوا الله ورسوله ﷺ »[1] .

المحدِّث الأصولي الفَقيه اللُّغَوِي النظَّار

الشيخ عبد الفتَّاح أبو غُدَّة

« . . . كان الشيخ أبو الحسن علي الحسني النَّدْوي عالماً جليلاً من علماء المسلمين ، وأديباً كبيراً من الأدباء الإسلاميين ، وكان من المصلحين الذين ركَّزوا جهودَهم على النهوض بالمسلمين في عصرنا الحاضر .

لكنَّ ميزته الكبرى : أنه كان حاملَ لواء الأخوة الإنسانية ، ورائدَ الأمن والسلام في جميع أنحاء العالم ، أراد إصلاحَ المجتمع الإنساني كلِّه ، وخاطب الشرقَ والغربَ في عقر داره بلغته ولسان قومه بحكمةٍ ومعرفة لأسقامه وآلامه . ففهمه قومُه ، وأحبُّوه لإخلاصه وعاطفته الصادقة ونفسه الزكية »[2] .

الكاتب المجيد ، والصحافي الإسلامي الكبير

الأستاذ محمَّد واضح رشيد الحسني الندوي

---

(١) في رسالته الموجَّهة إلى العلامة الندوي ، انظرها في « رسائل الأعلام . . . » ص(٨٩ ـ ٩٠) .

(٢) في تقديمه لكتاب « أبو الحسن علي الندوي الداعية الحكيم ، المربّي الجليل » ، للدكتور محمد اجتباء الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

« ليس مِن سعادة الهند أو « ندوة العلماء » فحسب أن يُوجَد فيها مثلُ هذا الرجلِ العظيم المخلص المؤمن ، بل إنَّ وجوده سعادةٌ لتاريخ العلم والثقافة والتعليم والتربية ، وصفحةٌ ناصعةٌ في سيرة العلماء والدعاة العِظام ، وإنَّ العالَم المعاصر لفي أمسِّ الحاجة إلى أمثاله حتى يتبيَّن هداه في مسيرة العلم والمدنية ، ويعين خطاه في زحمة الصراعات والاتجاهات التي تموج بها المجتمعات الإنسانية اليوم »[1] .

الكاتب الكبير ، والخطيب الأصيل

الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

« يحبُّ الناسُ رجلاً لبراعتِه في الخطابة ، أو مهارتِه في الكتابة ، أو فصاحتهِ في النطق ، وبلاغتِهِ في القول ، أو فضلِهِ في الجمال ، أو بروزِه في الكمال ، أو تواضعِهِ ولينهِ وطلاقةِ وجهه وسَعةِ خلقه وعذوبةِ منطقه ، أو سبقِه في النبوغ والعبقرية ، أو بلائه الحسن في مجالٍ من مجالات الخير الكثيرة ، أو صلاحِهِ واستقامتهِ وورعِه وتقواه ، أو زهدِه الكامل في الدنيا ، ورغبتِه الصادقة فيما ادَّخَرَ الله لعباده عنده . . .

فما بالُكَ برجلٍ وقد اجتمع جلُّ ذلك كلِّه فيه بحكمة الله القادر الوهَّاب ! »[2] .

الكاتب القدير ، والأديب البارع

الأستاذ نور عالم خليل الأميني

« كان الأستاذُ أبو الحسن علي الندوي يمتاز بشخصيَّةٍ جامعةٍ تتجلَّى فيه سماتٌ مختلفةٌ متنوِّعةٌ في وقتٍ واحدٍ ، بَلَغنا قولُ عالمٍ كبيرٍ : الشيخُ مناظر أحسن الكَيْلاني :

« إنَّ ما تُحقِّقه أكاديميةٌ في أوروبة يقومُ بتحقيقه شخصٌ واحدٌ عندنا في الشرق ـ أي ما يقومُ به مجمعٌ علميٌّ كبيرٌ من المجامع العلمية الكبيرة في أوروبة ـ يفوز بمثله من الأعمال الجبَّارة رجلٌ واحدٌ في الشرق » .

كان الأستاذُ أبو الحسن نموذجاً صادقاً لهذا المقال . فإنه كان فرداً واحداً ، ولكنَّه

---

(١) علماء ومفكِّرون عرفتُهم : للشيخ محمد المجذوب ، نقلاً عن صحيفة « الرائد » .

(٢) في مجلَّة « الصحوة الإسلامية » العدد الخاص بالعلاَّمة الندوي (٣٦) ، السنة (١٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

تمَّ على يديه من الأعمال الضخمة التي تُماثِل حصيلةَ معاهدَ كثيرة . . . »[1] .

الكاتبُ ، المفكِّر ، الداعية
الأستاذ وحيد الدين خَانْ

« وكان أشَدُّ ما يلفتني في سيرة أبي الحسن : أنَّه أشرَقَ في محيط العالم الإسلامي بَدْراً مكتملاً ، فعهدُنا بماجد الفكرةِ وعاشق البحثِ أن يتبع سنة التطوُّرِ فيبدو ناشئاً صغيراً ، ثم تمُرُّ به الأعوامُ حتى يكتمل نضوجُه كما يبدو البدرُ في أوَّلِ الشهر هلالاً ثم يسير نحوَ الكمالِ ، حتى يبزغ إشراقُه في الليلة الرابعة عشرة ، ولكنَّ أبا الحسن أصدَرَ كتابَه باللغة العربية (ماذا خسر العالم . . . ؟!) في مطلع حياته الفكرية ، فكان حدثاً هائلاً في دنيا الفكر ؛ لأنَّه رجَّ القرَّاءَ رجّاً ، فكأنَّه نفَخَ في الصُّوْر فأحيا نفوساً ، وأشعَلَ أرواحاً . . . »[2] .

الكاتب النَّابِه ، والناقد الكبير ، والمحرِّرُ الفَذُّ
الدكتور محمَّد رجب البَيُّومي

« . . . لقد أُوْتِي الفقيدُ ـ رحمه الله ، ورضي عنه ـ عِلماً بدقائق الإسلام ، وعُمْقاً في تحقيق القضايا ، وحُجَّةً نيِّرَةً فيما يدعو إليه . . . »[3] .

رائد النهضة الحديثية في البلاد الشامية
المحدِّث الفقيه ، والمحقِّق الضليع
الشيخ نور الدين عِتْر

---

(١) من المقال المنشور للأستاذ في مجلَّة « ثقافة الهند » في عددها الممتاز عن العلاَّمة الندوي ، المجلد (٥٢) العدد (٤) سنة (٢٠٠١م) .
(٢) في « النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين » : (٣/ ٢٠) .
(٣) في « يحدِّثونك عن أبي الحسن الندوي » إعداد الدكتور محسن العثماني الندوي ، ص(٣٦٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

« . . . وهو عالمٌ متمكِّنٌ ، واسعُ الأُفق ، دقيقُ التفكير ، وأديبٌ كبيرٌ أُوتي حَظّاً وفيراً من سحرِ البيان وحكمة الكلمة . . . »[1] .

الباحث ، المؤلّف ، الناقد

الأستاذ الدكتور فاروق حَمَادة

« . . . عندما أتحدَّث عن السيِّد أبي الحسن الندوي فإني أتحدَّث عن كاتبٍ إسلاميٍّ عظيمٍ من طبقة العلماء القلائل ، الذين جمعوا بين العرض الموضوعي العلمي الدقيق ، وبين المقارنة الواسعة والحلِّ المناسب ، وضمنِ أسلوبٍ أدبيٍّ رصينٍ ، جمع بين بلاغة الأوَّلين ، وسهولة المتأخِّرين . . . »[2] .

الكاتب ، الباحث

الأستاذ أحمد محمد الطَّحَّان

---

(١) في « مصادر السيرة النبوية وتقويمها » ص(١١٣) .

(٢) الأستاذ أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكِّراً : للأستاذ محمد نذر الحفيظ الندوي ، ص (١٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

تقـــريظ

بقلم العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي

الحمد لله ، والصَّلاة والسَّلام على إمام الدعاة ، والرحمةِ المهداة ، والنعمةِ المسداة ، سيِّدنا وحبيبنا وأُسوتنا ومعلِّمنا رسولِ الله ، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه .

وبعد : ففي سَنَةِ رحيلِ العلماءِ الأعلام ، وفي العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك ، وفي يوم الجمعة أفضلِ أيام الأسبوع ، وفي آخرِ يومٍ من السَّنة الميلادية التي يعتبرُها الكثيرون نهايةَ القرن العشرين ، وقبلَ صلاة الجمعة ، وقد توضَّأَ الشيخُ ، واستعدَّ للصلاة ، وشرعَ يقرأ سورة الكهف من كتاب الله تعالى ـ كما تعوَّد كلَّ جمعة ـ وافى الأجلُ المحتومُ العَلَمَ الفردَ ، والداعيةَ الربانيَّ ، والعلَّامةَ المتميِّزَ ، والعربيَّ الأرومة ، الحسنيَّ النسب ، الهنديَّ الجنسية ، العالَميَّ العطاء : شيخَ الأمة ولسانَها الناطق بالحقِّ ، الداعيَ إلى الخير : السيد أبا الحسن علي الحسني الندوي . وهو أشهر من أَنْ يعرَّف ، وأعظمُ مِنْ أن يؤدَّى حقُّه بكلمات .

لقد قدَّر الله ـ سبحانه وتعالى ـ على أمَّتِنا في هذا العام[1] : أن تودِّع عدداً من كبار العلماء وخيارِهم عِلماً وعَملاً ودعوةً إلى الله ، ابتداءً بعَّلامة الجزيرة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ومروراً بأديب الفقهاء وفقيه الأدباء الشيخ علي الطنطاوي ، ومن بعده الفقيه الكبير المجدِّد العلَّامة الشيخ مصطفى الزَّرقا ، وبعده المحدِّث الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، وخُتمَ هذا الموكبُ الحافلُ بهذا الإمام الجليل الشيخ أبي الحسن الندوي .

وقدَّر الله عليَّ أن أنعي إلى أمَّتنا الكبرى هؤلاء الأعلامَ بالحديث عن مناقبهم وآثارهم في حياة الأمة ، بالكتابة في الصُّحف ، أو بالكلام عنهم في برنامجي (الشريعة والحياة) في قناة (الجزيرة) الفضائية في قطر ، وبرنامجي الآخر (المنتدى) في قناة

---

(١) هو عام ١٤٢٠هـ ، وقد وافقه عام ١٩٩٩م في أكثر شهوره .

www.abulhasanalinadwi.org

(أبو ظبي) الفضائية ، وذلك وفاء ببعض حقِّهم علينا ، وكذلك حقُّ الأجيال الصاعدة أن تعرف قدرَ هؤلاء الأكابر ، وما أدَّوه لدينهم وأوطانهم ، طيلةَ حياةٍ عامرةٍ بالخير ، فيّاضةٍ بالبذل والعطاء .

فلا غَرْوَ أن أتحدَّثَ عن شيخنا الندوي ببعض ما يستحقه ، مقتبساً من بعض ما كتبتُه عنه في حياته ، رحمه الله وغفر له وتقبَّله في الصالحين !

وكيفَ لا أتحدَّثُ عن هذا الإمام الربَّانيّ ، الإسلاميّ ، القرآنيّ ، المحمَّديّ ، وهو أخي وشيخي وحبيبي ، رضي الله عنه وأرضاه .

شيخٌ ربَّانيٌّ :

أمَّا أنه (رَبَّانيٌّ) فلأنَّ السَّلفَ أجمعوا على أنَّ الربَّانيَّ هو الذي يعلم ويعمل ويعلِّم ، فمَن علم ولم يعمل بما علم فليس بربانيٍّ ، وعلمه حجةٌ عليه ، وهو من العلم الذي لا ينفع ، وهو مما استعاذ منه الرسول ﷺ : « اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لا ينفَعُ ، ومِنْ قلبٍ لا يَخْشَعُ . . . »[1] .

ومَن عَلِمَ وعمل ، ولكنّه لم يعلِّم غيرَه ، ولم يدعُ الآخرين ، فليس بربَّانيٍّ ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

ومَن عَلِمَ وعمل وعلَّم فذلك هو الربَّاني الذي يُدعى عظيماً في ملكوت السماء : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وكلمةُ (الربَّانيّة) هي الكلمة التي اختارها الشيخُ أبو الحسن ليعبِّرَ بها عن (التزكية) التي عُنيَ بها القرآنُ الكريم ، وجعلها شعبةً أساسيةً من مهمَّة الرسول ﷺ - وعن مقام الإحسان الذي بيَّنه الرسولُ الكريم بقوله : « أنْ تعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراه ، فإنْ لَمْ تكُنْ تراهُ ؛ فإنَّهُ يَرَاك »[2] ، وذلك في كتابه القيّم المعبِّر « ربَّانية لا رهبانية » يريدُ به

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ، برقم (٥٤٤٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من قلب لا يخشع ، برقم (٥٤٢٦) ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبيَّ ﷺ . . . ، برقم (٥٠) ، ومسلم=

www.abulhasanalinadwi.org

السلوكَ الخالِصَ لوجه الله ، السالِمَ من البدعِ ومن المبالغاتِ المذمومة في الاعتقاد أو السلوك .

إسلاميٌّ :

وأمَّا أنّه (إسلاميّ) فلأنّ الإسلامَ لُحْمَتُه وسَدَاه ، ومبتدؤه ومنتهاه ، وأدناه وأقصاه ، إليه يسعى ، وعليه يدور ، وله يعمل ، وبه يعتصم ، ومنه يستمدُّ ، وعنه يصدُرُ ، وفيه يحبُّ ويبغض ، ومِن أجله يكتبُ ويصنِّفُ ، ويدرِّس ويُحاضِر ، ويُسافِر ويُقيم ، ويصِلُ ويقطَعُ ، فهو شغلُه في نهاره ، وحلمُه في ليله ، وزادهُ في سفرِه ، وأنيسُه في إقامته ، فهو بالإسلام وللإسلام ، ومن الإسلام وإلى الإسلام .

إنَّ الذي يشغلُ عقلَه وقلبَه ووقتَه باستمرارٍ هو الإسلام : رسالته وحضارته ، وانبعاثه وصحوته ، وقضايا أمته ، وهجمة أعدائه ، وأعظم ما يهمُّه هو تقوية الجبهة الداخلية في مواجهة الغزوة الخارجية ، هو تربيةُ الفردِ . لأنَّ اللبنةَ الأساسية في بناء الجماعة ، هو تغيير ما بالنفس حتى يغيِّر الله ما بالأمة :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

قرآنيٌّ :

وأمَّا أنه (قرآنيّ) فلأنَّ القرآنَ هو مصدرُه الأول ، منه يستمدُّ ، وعليه يعتمدُ ، وبه يأنس ، وإليه يحتكم ، يتعبَّدُ بتلاوته ، ويتلذَّذُ بقراءته ، ويزداد إيماناً إذا تُلي عليه ، ويعيشُ في رحابه ، متجاوباً مع آياته ، متدبِّراً لمعانيه ، يستخرجُ منه اللآليءَ والجواهر ، يعرضها في محاضراته وكتبه ورسائله بعقلٍ متفكّرٍ ، وقلبٍ متأثّر . يشهد بذلك كله مَنْ استمعَ إليه محاضراً ، أو قرأَ كتبَه الكبيرة أو الصغيرة ، فهو رجلُ القرآنِ حقاً . ومَنْ كان القرآن إمامه فلن يضِلَّ أبداً .

محمَّديٌّ :

وأمَّا أنه (محمَّديّ) فلا أعني مجرَّدَ أنّه من نسلِ الرّسول ﷺ ومن السُّلالةِ الهاشميّة الحسنيّة ، فكم مِن حَسنِيِّين وحُسينيِّين تناقضُ أعمالهم أنسابهم « ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَم

= في كتاب الإيمان ، برقم (٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»، وإنّما أعني: أنّه رجلٌ جعل الرّسولَ الكريم ﷺ أسوتَه في هديه وسلوكه وحياته كلها ، واتخذَ سيرتَه نِبراساً له ، في تعبّدِه وزهده ، وإعراضه عن زخارف الحياة ، وزينة الدنيا ، فهو يعيشُ في الخَلَفِ عيشةَ السَّلَفِ ، لا يهتمُّ بما يهتمُّ به أمثالُنا من متاعٍ وتملُّكٍ ورياضٍ وزينةٍ ، تحسبه إذا رأيتَه سلمانَ الفارسيَّ أو أبا الدَّرداء .

وحديثُه عن الحبيب المصطفى ﷺ ليس محضَ حديثِ باحثٍ دارسٍ ، بل حديثَ محبٍّ عاشقٍ ، معجَبٍ بهذه الشخصية الضخمة الفريدة ، شخصية محمَّد بن عبد الله ﷺ ، وليس هذا في كتابه القيمِّ (السيرة النبوية) فقط ، بل في سائر كتاباته ومحاضراته وأحاديثه المعبِّرة عن هذا الإعجاب .

وهذا الحبُّ ، وهذا التأسّي نابعٌ من فهمهِ لهذه الحياة النبويّة الشامخة ، وهضمِه لهذه السيرة الجامعة ، وتذوُّقه لما فيها من معاني الكمالات التي فرَّقها الله تعالى في البشر وجمعها في مصطفاه محمَّد ﷺ .

عالَمِيٌّ :

وأمَّا أنّه (عالَميٌّ) فهذا ما يلمسُه كلُّ متتبِّعٍ لنشاط الشيخ العلامة ، فهو ـ وإنْ كان هنديَّ المولد والنشأة والدراسة ـ فهو عالَميُّ الوجهةِ والغايةِ ، عالميُّ النشاطِ والحركةِ . وهو ـ وإنْ اهتمَّ بالمسلمين في الهند ، وشاركَ في همومهم ، وتصدَّرَ الصفوفَ أحياناً في ذلك ، كما في قوانين الأحوال الشخصية ، التي أرادات الحكومةُ الهنديةُ يوماً أن تفرضَ على المسلمين فيه ما يَحْرِمُهم من خصوصيتهم ـ لا يقتصر همَّه ولا نشاطه على القارة الهندية ، بل يمتدّ إلى العالم كلِّه ، ولذا نجد شهرةَ الشيخ في العالم العربي لا تقلُّ عن شهرته في الهند .

ونجد الشيخَ عضواً في أكثر من مجلسٍ ، وأكثر من مؤسَّسةٍ ، مثل المجلس التأسيسيّ لرابطة العالم الإسلاميّ ، والمجلس العالميّ الأعلى للمساجد ، ومجلس المجمع الفقهيّ للرابطة ، والمجمع الملكيّ لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن ، والمجمع العلميّ بدمشق .

وهو الذي سعى لإنشاء مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية ، ليكون نقطَةَ انطلاقٍ للفكر الإسلامي في جامعة غربية عريقة ، وهو الذي يرأسُ مجلسَ أمنائه منذ أنشىء ، كما أسهَمَ في إنشاء (رابطة الأدب الإسلامي) لتكونَ منبراً عالمياً لأدباء الإسلام ،

www.abulhasanalinadwi.org

وهو رئيسُها منذ أُنشئت أيضاً . ومن قرأ عناوينَ محاضرات الشيخ ورسائله وأحاديثه ، وأينَ أُلقِيتْ ؟ وإلى مَنْ وجِّهتْ ؟ يعرف هذه العالميةَ بوضوحٍ ، فهناك أحاديث إلى العرب ، وأحاديث صريحة في أمريكة ، وأسبوعان في المغرب . . من نهر كابل إلى نهراليرموك[1] ، وهناك جملة « اسمعيَّات » وهي الرسائل التي وجَّهها إلى البلاد التي زارها ناصحاً لها ومشفقاً عليها : « اسمعي يا مصر » « اسمعي يا سورية » « اسمعي يا زهرة الصحراء » ـ يعني الكويت ـ ، « اسمعي يا إيران »[2] . . . إلخ .

الندوي . . أخي وشيخي وحبيبي :

وأمَّا أنّه (أخي) فقد رَبطتْ بيني وبينه أخوةُ الإسلام الذي يربط بين الأكبر والأصغر من أبنائه ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، و « المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ »[3] وأخوّة العلم ، والعلم رَحِمٌ بينَ أهلِه ، وأخوّة الدعوة والدعوة رابطة بين الدعاة ، وإنْ بعدت الدار ، وشطَّ المزارُ ، وأخوّة المحنة وأعني المحنةَ بهموم الأمة ، وترشيد الصحوة ، وتفرُّق العلماء ، وتوحُّد الأعداء ، وهجمة الخصوم ، وضعف المقاومة ، وفساد الحكام ، وغفلة الجمهور ، وترف الأغنياء ، وشغل الدعاة أتباعَهم بالفروع عن الأصول ، وبالجزئيّات عن الكليّات ، وبالشكل عن الجوهر ، وبأعمال الجوارح عن أعمال القلوب .

وأمَّا أنه (شيخي) فلأنّي تتلمذتُ على كتبه ، وانتفعتُ بها ، واقتبستُ منها ، ونقلتُ عنها في أكثر من كتابٍ لي ، وكلُّ كتاب فيها له طعمٌ خاصٌّ ، ومذاقٌ معيَّنٌ ، وفكرةٌ محوريةٌ يدور عليها ، ولا أجد داعيةً من الدعاة المعاصرين ، ولا مفكِّراً من مفكِّرينا المعتَبرين إلا استفاد من كتبِ الشيخ ، واقتبس منها : الشهيد سيد قطب ، والداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي ، والعالم الأديب الكبير الشيخ علي الطنطاوي . . . وغيرهم .

---

(١) وقد جمع المؤلِّفُ جمع هذه المحاضرات والأحاديث في كتاب صدر من دار ابن كثير بدمشق في ثلاث مجلَّدات ضخام بعنوان « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » .

(٢) وقد طُبعت هذه الرسائل بعناية المؤلِّف في سلسلة « تراث العلامة الندوي » في دار ابن كثير بدمشق .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ، برقم (٢٤٤٢) ، ومسلمٌ في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، برقم (٢٥٨٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

www.abulhasanalinadwi.org

بل إنَّني تتلمذتُ عليه مباشرةً باللُّقيا والسماع منذل لقيتُه في سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥١م في مصر ، وكلّما لقيتُه بعد ذلك ، فهو - رحمه الله - كان قدوةً في حركتِه ، وقدوةً في سكونه ، وقدوةً في كلامهِ ، وقدوةً في صمته .

أذكرُ : أنّه حينما زارانا منذ أكثر من ثلاثين عاماً في قطر ، وكان يشكو من قِلّةِ موارد دار العلوم بندوة العلماء ، اقترحَ عليه بعضُ الإخوة أن نزور بعضَ الشيوخ وكبار التُجّار ، نشرحُ لهم ظروفَ الدار ، ونطلبُ منهم بعضَ العون لها ، فقال :

« لا أستطيعُ أن أفعلَ ذلك ! وسألناه : لماذا ؟ قال : إنَّ هؤلاء القوم مرضى ، ومرضُهم حبُّ الدنيا ، ونحنُ أطبَّاؤهم ، فكيف يستطيعُ الطبيبُ أن يداوي مريضَه إذا مدَّ يدَه إليه يطلبَ عونه ؟ أي : يطلبُ منه شيئاً من الدنيا التي يداويه منها ؟! .

قلنا له : أنتَ لا تطلبُ لنفسك ، أنتَ تطلبُ للدار ومعلِّميها وتلاميذها حتى تستمرَ وتبقى .

قال : هؤلاء لا يفرِّقون بين ما تطلبه لنفسك وما تطلبه لغيرك ما دمتَ أنتَ الطالبَ ، وأنتَ الآخذَ !! .

وكنَّا في رمضان ، وقلنا له حينذاك : ابْقَ معنا إلى العشر الأواخر ، ونحن نقومُ عنك بمهمّة الطلب . فقال : إنَّ لي برنامجاً في العشر الأواخر لا أحبُّ أن أنقضه ، أو أتخلَّى عنه لأيِّ سببٍ ، إنّها فرصةٌ لأخلو بنفسي وربِّي .

وعرفنا أنَّ للرجل حالاً مع الله ، لا تشغله عنه الشواغل ، فتركناه لما أراد ، محاولين أن نقلِّده فلم نستطع ، وكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له .

لماذا أحببتُ الندوي ؟

أمَّا أنّه (حبيبي) فأشهدُ أنّي أحِبُّه، وأرجو أن يكون حبّاً لله تعالى، فقد أحببتُه لتجرُّده وإخلاصه وربّانيته ، وأحببتُه ليقينه وتوكُّله وقوّته ، وأحببتُه لتحرُّقه وتوقُّده وغَيرته ، وأحببتُه لاعتداله ووسطيته ، وأحببتُه لنقاءِ فكره من الخرافة ، وصفاءِ قلبه من الحسد ، وسلامة عقيدتِه من الشِّرْكيات ، وسلامةِ عبادته من المبتدَعات ، ونظافة لسانه من الطعن والتجريح ، بالتصريح أو التلويح ، أحببتُه لانشغاله بالقضايا الكبيرة عن المسائل الصغيرة . وبالحقائق عن الصُّور ، وبالمعنى عن المبنى ، وبالعُمق عن السطح .

أحببتُه لحُسْنِ خُلُقِه وسهولته ، أحببتُه لحيائه ، ورقة طبعه ودماثته . وإنّي لأتقرَّبُ

www.abulhasanalinadwi.org

إلى الله تعالى بحبِّه ، وأرجو أن أُحْشَرَ معه ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

وإنّي أتمثَّلُ هنا بقول الشاعرِ الصالحِ :

أُحِبُّ الصَّالِحِيْنَ ولَسْتُ منْهُمُ ... عسَانِي أنْ أنَالَ بِهِمْ شَفَاعَهْ
وَأكْرَهُ مَنْ بِضَاعَتُهُ المعَاصِي ... وإنْ كُنَّا سَوَاءً في البِضَاعَهْ !

ولستُ أنا وحدي الذي يحبُّ الشيخَ الجليل ، فأحسبُ أنَّ كلَّ مَنْ عرفه واقتربَ منه أحبَّه على قَدْرِ معرفته به ، وقُربه منه ، وكلّما ازدادَ منه قرباً ؛ ازدادَ له حبّاً .

ولا غَرْوَ أن يختلف الناسُ على أشخاص العلماء ، ولكنّهم يتفقون على أبي الحسن ، حتى الذين ليسوا مِنْ مشربه ، ولا على طريقته ، لا يملكون إلا أن يختاروه في مجامعهم ، لما خَصَّه الله به من مزايا قَلَّ أن توجدَ في غيره ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة : ١٠٥] .

لقد كان ـ رحمه الله ـ أحدَ أعلام الدعاة إلى الإسلام في عصرنا ، بلا ريبٍ ولا جدالٍ ، والحقُّ : أن الله قد آتاه من المواهب والقدرات ، ومنحه من المؤهِّلات والأدوات : ما يمكِّنه من احتلال هذه المكانة الرفيعة في عالم الدَّعوة والدُّعاة .

العقيدة السليمة :

فقد آتاه الله : العقيدةَ السليمة : عقيدة أهل السنَّة والجماعة سليمةً من الشَّركيات والقبوريات والأباطيل ، التي انتشرتْ في الهند ، وكان لها سوقٌ نافقةٌ ، وجماعاتٌ مروِّجةٌ تغدو بها وتروح ، تأثَّروا بالهندوس ومعتقداتهم وأباطيلهم ، كما هو الحال عند جماعة « البَرِيْلَوِيِّيْنَ »[1] الذين انتسبوا إلى التصوُّفِ إسماً ورسماً ، والتصوُّفُ الحقُّ براءٌ

---

(١) أرى من اللَّزام أن أقِف هنا وقفةً قصيرةً عند ذكر العلاَّمة القرضاوي جماعةَ «البريلويين»، وأوسِّع تعريفَه هنا ليكون القارىء العربي على اطلاع عليها . وما كنا نشعر بحاجةٍ إلى تعريف هذه الجماعة الضالَّة المُضِلَّة لإخواننا العرب ظنّاً أنَّها وليدة الجهل، وعدم العلم ، وكلَّما ينتشر العلمُ ويَقِلُّ الجهلُ، ويتوَرُ العالَمُ تخِفُّ حدَّتُها، وتطفؤ ثورتُها ، وتنكمش مساعيها ، وتطوي بساطها هي ومثيلاتُها في دنيا الإسلام كما هو المعهودُ ، ولكننا نرى اليوم أنَّ نشاطها يزيد ويتضخَّمُ ، وتتراكم جهودها مع التعاون بأخواتها في الخارج ـ ولقد عقدوا مؤتمراً كبيراً في بريطانية في آخر السبعينات ، اشترك فيه ممثِّلوا الخرافات والبدع من أكثر بلدان العالم ، والغريب كلّ الغرابة =

www.abulhasanalinadwi.org

منهم ، وقد حَفِلَتْ عقائدُهم بالخُرافات ، وعباداتهم بالمبتدعات ، وأفكارهم بالتُّرَّهات ، وأخلاقهم بالسلبيَّات .

ولكنَّ الشيخَ تربَّى على عقائد مدرسة « دِيُوْبَنْد »[1] التي قام عليها منذ نشأتها علماءُ ربَّانيون ، طاردوا الشركَ بالتوحيد ، والأباطيلَ بالحقائق ، والبدعَ بالسُّنَن ، والسلبيَّاتِ بالإيجابيَّات .

= أنهم لم يجدوا لإقامة هذا المؤتمر بلدةً مسلمةً ولا دولة إسلامية غير بريطانية ؟! وسبب ذلك سيتبيَّنُ للقارىء بالسطور الآتية ـ لنشر الأباطيل والأكاذيب ، وتشويه صورة الإسلام النقية الصافية بترويج القصص والأساطير ، والخرافات والتُّرَّهات من قدرة الأنبياء والأولياء ، واختيارات العارفين ، وإنزال النذور والقرابين منزلة الصلوات والزكاة وبديل الصوم والحجِّ بما يُضَلَّلُ به العامة .

البرِيْلَوِيّون ـ هم أتباع جماعة « البريلوية » التي ظهرت في ظلِّ الاستعمار البريطاني في الهند على رغبةٍ وسيادةٍ بل وخدمةٍ للمُستعمِر ، إنْ صحَّ التعبير ، وكان مؤسِّسها الشيخ أحمد رضا خان البريلوي (م١٣٤٠هـ) ، حامل لواء التكفير في شبه القارة الهندية ، والذي كفَّر علماءَ دار العلوم ـ ديوبند ـ وهم أصحابُ العقيدة السنية الصحيحة في التوحيد ، واتِّباع السنَّة ، والاجتناب عن البدع ـ وكفَّر كذلك شاعرَ الإسلام ، ونابغة الدهر الدكتور محمد إقبال ، وكفَّر أتباعُه بعدَه مؤسِّسَ « باكستان » محمد علي جناح وغيرهم في شبه القارة الهندية .

وأمَّا خارج القارة الهندية فكفَّر البَرِيْلَوِيُّ وأتباعُه ابتداء من الإمام الجليل الذي شهد بفضله ومكانته العالَمُ كله وهو شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ، وتلميذه النابغ العبقري الحافظ ابن قيِّم الجوزية ، ومجدِّد الدعوة الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي لمس العالَمُ المعاصرُ ـ وكما نُحسِن به الظَنَّ نحن وعلماء بلاد شبه القارة الهندية قاطبةً غير المتجمِّدين المشوَّشين منهم ـ : أنه إنما دعا الناسَ جميعاً إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنَّة رسوله ، ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة التي لم يكن عليها أحدٌ من سلف الأمة من سؤال غير الله ، أو الاستغاثة بغير الله ، أو العمل بغير ما عمل به القرون المشهود لها بالخير من سلف الأمة .

وكان مؤسِّس هذه الجماعةِ (أحمد رضا خان البريلوي) أشهرَ داعٍ إلى التمسُّك بالتقاليد البدعية والخرافة الوثنية في الهند حول الأعراس والضرائح والأعياد والمواسم ، وإثبات علم الغيب للنبيِّ ﷺ ، والتصرُّف العام للأولياء والمشايخ . وهو الذي أذاع لقب « الوهابي » في القارة الهندية ، وملأ قلوبَ أتباعِه كيداً ومؤامرةً ضدَّ أتباع الكتاب والسنَّة ، والدعاة إلى وحدانية الربِّ ، وعقيدة التوحيد الخالص في ألوهيته وربوبيته ، وتوحيد رسالة محمد ﷺ ، وحاملي سنَّة النبيِّ المختار عليه السلام ، وموجِّهي الأمة ومحرِّضيها إلى التمسُّك بهما بدلَ أقوالِ الرجال من المشايخ ، وأنَّهم البَرِيْلَوِيُّ كلَّ من يدعو إلى العمل وإلى الكتاب والسنة بالوهابية ورَمَاهم بالكلمات السيِّئة ، والشتائم الفاحشة .

(١) سيأتي الحديثُ عنها في الباب الأول ، الفصل الثاني ، انظر صفحة (١٠٩ ـ ١١٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ العقيدةَ السلفية عند الشيخ هي : توحيدٌ خالصٌ لله تعالى لا يشوبه شركٌ ، ويقينٌ عميقٌ بالآخرة لا يعتريه شكٌّ ، وإيمانُ جازمٌ بالنبوَّة لا يداخله تردُّدٌ ولا وهمٌ ؛ وثقةٌ مطلقةٌ بالقرآن الكريم والسنَّة النبويَّة المطهرَّة ، مصدرين للعقائد والشرائع والأخلاق والسلوك .

العقل والحكمة :

وآتاه اللهُ : العقلَ والحكمةَ : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] والحكمةُ أولى وسائلِ الداعية إلى الله تعالى ، كما قال ـ عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وهذا نجده عنده : يقول الكلمةَ الملائمةَ في موضعها الملائم ، وفي زمانها ، الملائم ويشتدُّ حيث تلزم الشدة ، حتى يكون كالسَّيل المتدفِّق ، ويلين حيث ينبغي اللين ، حتى يكون كالماء المُغْدِق ، وهذا ما عُرِف به منذ شبابه الباكر إلى اليوم .

الثقافة الواسعة :

وآتاه اللهُ الثقافةَ ؛ التي هي زادُ الداعية الضروري في إبلاغ رسالته ، وسلاحه الأساسي في مواجهة خصومه ، وقد تزوَّد الشيخ بأنواع الثقافة الستة التي ذكرتُها في كتابي : « ثقافة الداعية » وهي الثقافات : الدينية ، واللغوية ، والتاريخية ، والإنسانية ، والعلمية ، والواقعية .

بل إنَّ له قدماً راسخة ، وتبريزاً واضحاً في بعض هذه الثقافات ، مثل الثقافة التاريخية كما برَزَ ذلك في أول كتابٍ دخل به ميدانَ التصنيف ، وهو الكتاب الذي كان رسولُه الأول إلى العالم العربي ، قبل أن يزورَه ويتعرَّفَ عليه ، وهو كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » الذي نفع الله به الكثيرين من الكبار والصغار ، ولم يكد يوجد داعيةٌ ـ بعد صدوره ـ إلا واستفاد منه .

الملكة الأدبية :

وآتاهُ اللهُ البيانَ الناصع ، والأدبَ الرفيع ، كما يشهد بذلك كلُّ من قرأ كتبه ورسائله ، وكان له ذوقٌ وحِسٌّ أدبيٌّ ، فقد نشَأ ورَبا في حجر لغة العرب وأدبها منذ

www.abulhasanalinadwi.org

نعومه أظفاره ، وألهَمَ اللهُ شقيقَه الأكبر[1] أن يوجِّهه هذه الوجهة في وقتٍ لم يكن يُعْنَىٰ أحدٌ بهذا الأمر ، لحكمة يعلمها الله تعالى ، ليكون همزةَ وصلٍ بين القارَّة الهندية وأمة العرب ، ليُخاطبهم بلسانهم ، فيفصح كما يفصحون ، ويُبدع كما يبدعون ، بل قد يفوق بعضَ العرب الناشئين في قلب بلاد العرب .

القلبُ الحيُّ :

وآتاه اللهُ القلبَ الحيَّ ، والعاطفة الجيَّاشة بالحبِّ لله العظيم ، ولرسوله الكريم ، ولدينه القويم ، فهو يحمل بين جنبيه نبعاً لا يغيض ، وشعلةً لا تخبو ، وجمرة لا تتحوَّلُ إلى رمادٍ .

ولا بُدَّ للداعية إلى الله أن يحمل مثل هذا القلب الحيِّ ، ومثل هذه العاطفة الدافقة بالحبِّ والحنان والدفء والحرارة ، يفيض منها على من حوله ، فيحرِّكهم من سكون ، ويوقظهم من سبات ، ويحييهم من موات .

هذا القلبُ الحيُّ يعيش مع الله في حبٍّ وشوقٍ راجياً خائفاً ، راغباً راهباً ، يحذر الآخرة ، ويرجو رحمةَ ربِّه ، كما يعيش في هموم الأمة على اتساعها ، ويحيا في آلامها وآمالها ، لا يشغله همٌّ عن همٍّ ، ولا بلدٌ عن آخر ، ولا فئةٌ من المسلمين عن الفئات الأخرى .

خُلُق المسلم الملتزم :

وآتاهُ الله : الخُلُقَ الكريم والسلوك القويم ، وقد قال بعضُ السَّلف : التصوُّف هو الخُلُق ، فمن زاد عليك في الخلق ، فقد زاد عليك في التصوُّف ! وعلَّقَ على ذلك الإمامُ ابن قيِّم الجوزية في (مدارجه) فقال : بل الدين كلُّه هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق ، فقد زاد عليك في الدين .

ولا غروَ أن أثنى الله على رسوله بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ،

---

(١) هو الدكتور السيِّد عبد العلي الحسني ، اقرأ ما كتبنا عنه في الباب الثاني ، الفصل الأول ، ص(١٤٤) ، والباب السادس الفصل الأول ، ص(٨٧٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

وأن أعلنَ الرسولُ الكريم عن غاية رسالته ، فقال : « إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّم مكارِمَ الأخلاق »[1] .

ومَن عاشَرَ الشيخَ ـ رحمه الله ـ ولو قليلاً لمس فيه هذا الخُلُقَ الرضي ، ووجده مثالاً مجسَّداً لما يدعو إليه ، فسلوكه مرآة لدعوته ، وهو رجلٌ كان باطنه كظاهره ، وسريرته كعلانيته ، نحسبه كذلك ، والله حسيبه ، ولا نزكِّيه على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومن هذه الأخلاق النَّدْوِيَّة ؛ الرِّقَّة ، والسماحة ، والسخاء ، والشجاعة ، والرفق ، والحلم ، والصبر ، والاعتدال ، والتواضع ، والزهد ، والجِدُّ ، والصدق مع الله ومع الناس ، والإخلاص ، والبُعْد عن الغرور والعجب ، والأمل والثقة ، والتوكُّل واليقين ، والخشية والمراقبة ، وغيرها من الفضائل والأخلاق الربَّانية والإنسانية .

وهذا كان من بركات النشأة الصالحة في بيئة صالحة في أسرة هاشمية حسنية : ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ٣٤] .

فما أجدره بقول الشاعر :

مِن الرِّجال المصابيح الذين هُمُ ... كـأنَّهـم مِـن نجـوم حيَّـة صنعـوا
أخلاقهم نُورهم ، من أيِّ ناحيةٍ ... أقبلتَ تنظر في أخلاقهم سطعوا !

وبعد : أرجو أن أكون بهذه الكلمات المتواضعة قد أدَّيتُ بعضَ حقِّ شيخنا الجَليلِ عليَّ ، وأن يكون هذا مما يشفعُ لي عند الله يوم القيامة ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠][2] .

الفقير إلى عفو ربِّه
يُوسف القرضَاوِيّ

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن (١٠/ ١٩١) برقم (٢٠٥١) ، والقُضَاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٩٢) برقم (١١٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) هذه كلماتٌ ومقالاتٌ للعلامة القرضاوي ، قالها وكتبها ـ حفظه الله وأمتع به ـ في بعض المناسبات ، جاء فيها كلماتٌ وافيةٌ واعترافٌ بليغٌ بما كانت تتمتَّعُ به شخصيةُ العلاَّمة أبي الحسن الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ بقلم داعيةٍ كبيرٍ ، وعالمٍ بصيرٍ ، ومؤلِّفٍ بارعٍ عرفه العالمُ الإسلاميُّ في العصر الأخير ، لذا رأى المؤلِّف أن يجعل هذه الكلمات تقريظاً ؛ وهو جديرٌ بأن يستهلّ به هذا الكتابُ .

www.abulhasanalinadwi.org

تَقْـــدِيم (١)

لفضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخَن
رئيس قسم العقائد والأديان في كلية الشريعة بجامعة دمشق سابقاً

الحمد لله السميع العليم ، القائل في محكم كتابه الكريم ؛ شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم قائماً بالقِسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

والصَّلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على خير الأنبياء وسيد الأصفياء سيدنا محمد القائل : العلماء مصابيح الأرض ، وخلفاء الأنبياء ، وورثتي وورثة الأنبياء . اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحابته ومَن تبعهم بإحسان .

وبعد : فإنَّ هناك من العلماء مَن إذا نظرتَ إليه ملأ عينَكَ هيبةً ، وقلبَكَ أنساً ومحبَّةً ، وعقلَكَ معرفةً ويقيناً ، ونفسَكَ خشيةً وفضلاً وعلماً .

والسيِّد أبو الحسن الندوي واحدٌ من هؤلاء العلماء الأعلام . كان أولُ لقاءٍ لي به عندما كنتُ طالباً في الأزهر عام ١٩٥١م حينما زار القاهرةَ ، ولم يرد أن يخلي زيارتَه مصر من الدعوة إلى الله تعالى ، وتبصير طلَّاب العلم بما يجحب عليهم تجاهَ دينهم وأمَّتهم ، فطلب أن يجتمع بطلاب العلم الوافدين من البلاد الإسلامية ، فاجتمعوا فألقى فيهم محاضرةً قيمةً ، ملؤها الإخلاصُ وحسن التوجيه ، ولم أكن أنا قبل ذلك الوقت قد التقيتُ بالشيخ أبي الحسن ولكنَّ شهرته قد عمَّتْ العالمَ الإسلاميَّ ، ومؤلَّفاته قد تناولها بالقراءة الخاصُّ والعامُّ ، وانتشرتْ انتشارَ النور على سطح الأرض . وتلقاها أربابُ الفكر الإسلامي بشغفٍ ، وعكفوا على دراستها وتوضيح مضمونها .

لقد كانت تلك المحاضرةُ يتجلَّى فيها إخلاصُ العالم لدينه ، وحِرصه على بذل

---

(١) تفضَّل فضيلةُ الأستاذ بهذا التقديم للطبعة الأولى الصادرة في سلسلة « أعلام المسلمين » من دار ابن كثير بدمشق عام ١٤٢٠هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

ما أنعم اللهُ به عليه من علمٍ وقدرةٍ على التوجيه ، وجذب قلوب المستمعين إليه ، وتأثُّرهم بما قدَّم إليهم من فوائد ونصائح ، فلم تنقضِ المحاضرةُ إلا وقد عزم كلُّ واحدٍ من الحضور أن يكون داعيةً إلى الله سبحانه وتعالى على علمٍ وبصيرةٍ وإخلاصٍ .

كان هذا هو اللقاءُ الأول ، وأمَّا اللقاء الثاني فكان عندما دعته جامعةُ دمشق لإلقاء محاضرات فيها ، وكنتُ آنذاك مدرِّساً محاضراً في كلية الشريعة .

لقد ظنَّتْ جامعةُ دمشق أنَّ الشيخ أبا الحسن شأنُه شأنُ كثيرٍ ممَّن يدعى لإلقاء محاضرات فيها ، فيتجلى فيها عند ذلك ما يعرف عنها من تكريمٍ وإكرامٍ ، فتنزله في نُزُلٍ لائقٍ ، وتُغدِق عليه ما عرف عنها من ترحيبٍ وإكرامٍ .

ولكنَّ موقفاً غير متوقّعٍ قد حصل ـ ممَّا لم يكن له سابقةٌ فيما أعلم في حياة الجامعة السورية .

وذلك : أنَّ الشيخ أبا الحسن حفظه الله أبى[1] أن ينزل في نُزُلٍ مهما كانت مكانة هذا النزل ، بل اختار أن ينزل في غرفة متواضعة في بيت من بيوت الله تعالى الكائن في منطقة الحَلْبُوني ، وما ذاك إلا ليهيِّئَ نفسه للقيام بالمهمَّة التي هيَّأ نفسَه للقيام بها ، ألا وهي الدعوة إلى الله تعالى بالروح لا باللسان فحسب .

إنَّ الدعوةَ إلى الله تعالى تفتقر إلى إعدادٍ روحي ، وخلوةٍ مع الله تعالى ، حتى يكونَ الكلام منبعثاً من الروح والقلب ، ليحلَّ في الروح والقلب . وهذا ما حدث وشعر به كلُّ من استمع إلى محاضراته التي ألقاها .

وإنَّني أذكُرُ بهذه المناسبة موقفاً لشيخ من شيوخ دمشق ، كتب الله على يده نشرَ العلم في سورية وما حولنا من البلدان : الأردن ، ولبنان ، وتركيا ، وفلسطين ـ أعادها الله على المسلمين وهم في عزَّةٍ ، وقوَّة ، ووحدة ، واستقرار ـ وغير ذلك من البلدان.

هذا الشيخُ هو الشيخ علي الدَّقَر[2] تغمَّده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنَّته .

كان هذا الشيخُ الوقور يلقي درساً بعد صلاة الفجر في مسجدٍ غير متسع ، وكان

---

(١) ليعلم القارىءُ أنَّ هذه المقدِّمة كُتبت في حياة العلاَّمة الندوي .

(٢) هو الشيخ محمد علي بن عبد الغني الدَّقر ، عالمٌ مرشدٌ كبيرٌ ، مؤسِّسُ نهضةٍ علميةٍ في بلاد الشام ، لازم علاَّمةَ الشام الشيخ جمال الدين القاسمي والمحدِّثَ الشيخ بدر الدين الحسني ، ثم تفرَّغ للنفع والإفادة ، أخذ عنه الكثيرون من كبار علماء دمشق ، توفي (بدمشق) عام ١٣٦٢هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

المسجد يغصُّ بالحاضرين لاستماع درسه ، حتى إنَّ كثيراً من الناس كانوا يبسطون الحصرَ في الشارع ليستمعوا إلى مواعظه وإرشاداته .

وكنتُ ـ أنا صغير السِّن ـ آتي قبل الفجر من مكان بعيد لأستمع إلى هذا الدرس ، وكان كلامه يفعل في النفوس ـ كما يقولون ـ فعلَ السحر مع بساطة التعبير ، حتى إنَّ بعض الناس ممَّن لم يتَّسع لهم المسجدُ لامتلائه ولم يكن هناك مكانٌ يخوِّله أن يسمع من الشيخ ما يقول ، كان يكتفي بالنظر إلى الشيخ من بعيدٍ ، ودموعه تنهمر من عينيه رقَّةً وتأثُّراً . وكان كلامه يخرج إلى حيز التطبيق فورَ انتهائه من هذا الدرس ، وإنني مع كثرة من التقيت به لم أرَ هذا التأثير إلا في القليل النادر .

قال له واحدٌ من تلاميذه يوماً : إنَّنا نلقي على الناس دروساً متنوّعة ، ولا نرى في الناس هذا التأثيرَ الذي نلمسه في درسكَ ، ولا نرى إقبالاً من الناس مثلَ هذا الإقبال غير الطبيعي ، مع أننا نتحدَّث بالتفسير والحديث والفقه والوعظ وغير ذلك .

أجاب الشيخُ بقوله : يا بنيَّ ! لولا الحاجة لم أتكلَّم ، إنَّ هذا الدرس الذي تسمعه يا بنيَّ مدعومٌ بقراءة عشرة أجزاء من القرآن قبل الفجر بقصد أن ينفع الله المسلمين بما أتحدَّث به .

لهذا اختار الشيخُ أبو الحسن أن يقطن في المسجد ؛ لتتسنَّى له الفرصة فرصة الالتجاء إلى الله تعالى أن يفيد الناس من كلامه الذي يتكلَّم به .

ألقى الشيخُ أبو الحسن محاضراتِه القيمة ، ولم يكن هدفُه أن يملأ فراغاً ، بل كان يلتمس الأمورَ التي كان المستمعون وغيرهم بأمسِّ الحاجة إليها ، فكانت هذه المحاضراتُ كما تحوي العلمَ الجمَّ ، والفهمَ العميق لمقاصد الدين الإسلامي ، كانت تحوي التوجيهَ والإرشاد والنُّصح للأمة الإسلامية جمعاء ، فكان فيها الإنسان المعلِّم والمُخلِص الناصح الواعي .

في هذه المحاضراتِ لم يكن لسانُه هو الذي يتكلَّم فقط ، بل كانت روحه المشعة تسيطر على أرجاء قاعة المحاضرات في الجامعة السورية ، ولمكانة هذه المحاضرات العلمية والروحية سجِّلت ووُضِعت في كتابٍ ونُشِرت[1] لتكون مناراً يهتدى بها في العالم الإسلامي جميعه .

---

(١) أراد به فضيلةُ الأستاذ كتابَ العلَّامة الندوي المشهور في الآفاق « رجال الفكر والدَّعوة في الإسلام » والذي قد صدر في أربع مجلَّدات بعناية المؤلِّف في طبعةٍ أنيقةٍ من دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

في هذه الزيارة اقترح حفظه الله تعالى أن يأخذني مدرِّساً في جامعة الهند[1] ، وكلَّمَ في ذلك وزيرَ التربية آنذاك ، فما كان من الوزير إلا أن استجاب لذلك ، ودعاني إليه ليتبيَّن موافقتي على ذلك ، فلم يكن منِّي إلا تمامُ الموافقة ، ولكن أموراً أجهلها حالت بيني وبين القيام بهذه الخدمة الإسلامية المهمَّة ، والله يحكم لا معقِّبَ لحكمه ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكم كان بودِّي لو تمَّ هذا الأمرُ .

أنهى الشيخُ الكريم أبو الحسن محاضراتِه ، وأرادت الجامعةُ أن تكرم وفادتَه ، فتمنحه مكافأةً مادية تعويضاً عمَّا أنفقه من مالٍ ووقت وجهد كما هي العادةُ فيمن تستدعيه من المحاضرين ، ولكن مفاجأة أخرى قد حدثَتْ : إنَّ الشيخ أبى أن يأخذ شيئاً مما قدِّم له .

لقد أَوقَعَ موقفُه هذا الجامعةَ السورية في حيرةٍ ؛ إذ إنَّ هذا المبلغَ قد صرف من خزينة الدولة ولا يمكن إرجاعه إليها ، فما العمل ؟

اقترح بعضُ أصحاب الشأن أن يصرف هذا المال على المحتاجين من طلاب العلم والفقراء ، وبهذا حُلَّتِ المشكلةُ .

كان آخرُ لقاءٍ لي مع الشيخ أبي الحسن أطال الله عمره في بيت شيخي وأستاذي ومربِّيَّ فضيلة الشيخ محمد حسن حَبَنَّكَة المَيْدَانِي[2] تغمَّده الله برحمته ، فقد دعاه شيخُنا إلى بيته لتناول الغداء ، وليس المقصود تناول الغداء ؛ ولكن المقصود إيجاد فرصة للقاء مع الشيخ في مجلسٍ لم يحضره من إخوان الشيخ إلا عددٌ قليلٌ .

لا أستطيع أن أصِفَ تلك الجلسةَ الممتعة التي لن أنساها ما دمتُ حيّاً ، فقد كان فيها من الأنسِ والصفاء ما لا يستطيع اللسانُ أن يعبِّر عنه ؛ إذ إنَّ اللّغات مهما اتسعتْ فلن تستطيع وصفَ المعاني الروحية ، وتجعلها بحيث يتذوَّقها المستمعون مهما أُوتي المتكلِّمُ من بيانٍ .

---

(١) أي دار العلوم ـ ندوة العلماء .

(٢) هو العالم المجاهد ، الخطيب المربِّي : الشيخ حسن بن مَرْزُوق حَبَنَّكَة المعروف بالميداني ، من أعلام العلماء . تتلمذَ على كبار علماء عصره ، اشترك في الثورة السورية . انتُخِب عضواً لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة لدى تأسيسها ، توفِّي ـ رحمه الله ـ بدمشق عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) .

www.abulhasanalinadwi.org

وبعد . . فإنَّ أمامي كتاباً ألَّفه السيد عبد الماجد الغَوْرِي ، يذكر فيه المؤلِّفُ حياةَ الشيخ أبي الحسن منذ نشأته إلى الآن ، يذكر فيه نشاطَه الدعوي والفكري والعلمي والأدبي ، وزياراتِه للبلدان الإسلامية وغيرها بقصد الدعوة إلى الله ، ويذكر مكاتباتِه كبار علماء المسلمين ومفكِّريهم له ، وفيها إكبار لنشاطاته في سبيل الله ، وإشادة بعلمه وفضله في ميادين العلم والمعرفة[1] .

وفي رأيي : أنَّ هذا الكتاب دون ما يستحقه هذا الشيخ الفاضل السيد أبو الحسن من تقديرٍ وتعظيمٍ وإكبارٍ، بل إنَّني أرى: أن الشيخ أعظم من أن يستوعب حياتَه كتابٌ .

وخلاصةُ القول :

أنَّك إذا نظرتَ إلى أبي الحسن من زاوية العلماء ؛ رأيتَه في القمَّة من العِلم .

وإذا نظرتَ إليه من زاوية الدعوة إلى الله في هدوءٍ وتقبُّلٍ وجدتَه في القمَّة أيضاً .

وإذا نظرتَ إليه من زاوية الإخلاص ؛ وجدتَه كذلك .

وإذا نظرتَ إليه من زاوية الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة ؛ وجدته كذلك . وإذا وإذا وإذا . . . .

ويا ليت لنا في العالم الإسلامي كثيراً من أمثاله إذاً لانتشر الإسلامُ في بقاعِ الأرض ، كما انتشر الإسلامُ في بقاع الأرض في يسير من الزمن على عهد الصحابة رضوان الله عليهم .

وختاماً ليس لديَّ إلا أن أرفعَ يديَّ داعياً إله الكون أن يطِيلَ في عمره ويشدَّ مِن أزره حتى يتمَّ دعوته ، وينفع الناس به ، وأن يكثر من أمثاله ، كي يسود الإسلامُ العالم أجمع آمين .

مصطفى الخن

دمشق ٣/ ٨/ ١٤١٩هـ

٢٢/ ١١/ ١٩٩٨م

---

(١) لقد أضاف المؤلِّفُ إلى هذه الطبعة (أي الثالثة) إضافاتٍ هامَّةٍ ، وحَذَف منها الفصلَ الذي كان مشتملاً على رسائل الأعلام الموجَّهة إلى العلاَّمة الندوي ، ونشرها بعنايته في كتابٍ مستقلٍّ بعنوان « رسائل الأعلام إلى العلاَّمة أبي الحسن الندوي » من دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

تَقْـــدِيم(١)

للدكتور الشيخ أحمد كفتارو

المفتي العام للجمهورية العربية السورية ،
ورئيس مجلس الإفتاء الأعلى ، ومجمع أبي النور الإسلامي .

الحمد لله ربِّ العالمين الذي تفضَّلَ على عباده بالخير العميم ، وهداهم إلى الصراط المستقيم ، واختار لهم الأنبياءَ والمرسلين ، وختم الوحيَ بالإسلام الذي رضيه للناس أجمعين ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

والصَّلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين ، القائل : « تركتُكم على البيضاء ، ليلُها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ »(٢) الذي أدَّى الأمانةَ ، وبلَّغ الرسالةَ ، ونصح الأمةَ ، وبيَّن الشرعَ ، وجاهد في الله حقَّ جهاده ، وبعد :

جرت سنَّةُ الله تعالى في خلقه مذ عمرت بهم الأرضُ أن يشرع الشرائع ، ويبعث فيهم رُسُلاً من أنفسهم ، يبشِّرونهم بالفلاح في الدارين إنْ أطاعوا ، وينذرونهم بالخسران وسوء العاقبة إنْ خالفوا : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٥] .

وكما أنَّ من رحمة الله التي جرت بها سنَّته في الكائنات أن يأتي النورُ بعد الظلمة ، والمطر بعد الجفاف ، فإنَّ من حُسْنِ صنيعه أن يبعث إلى الأمة رسولها عند طغيان الجهالة ، وانتشار الغواية .

---

(١) تفضَّل سماحةُ الشيخ بهذا التقديم للطبعة الأولى .
(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين . . . ، برقم (٤٣) ، وأحمد في المسند (٤/ ١٢٦) ، برقم (١٧١٨٢) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

فكانت بعثةُ رسول الله ﷺ ، هادياً ومبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً ، اختاره الله سبحانه خاتم النبيين ، بعد أن بلغ الإنسانُ من نضوج الفكر حدّاً لائقاً ، واستعدت العقولُ لكامل الهداية ، فبعثه بالهدى ودينِ الحقِّ ؛ ليُظهره على الدين كلِّه ، وكفى بالله شهيداً .

ومِن رحمة الله التي وَسِعَتْ كلَّ شيء : أنه لم يترك الناس الذين جاؤوا بعد وفاة محمد ﷺ حيارى بلا هداة ولا مرشدين ، لم يتركهم يبتعدون عن دين الله دون أن يجدوا من يعيدهم إلى الصراط المستقيم ، بل أورث الله علماءَ الدين العاملين تركة نبيِّه عليه الصلاة والسلام ، قال رسول الله ﷺ : « أكرموا العلماءَ فإنهم ورثةُ الأنبياء »[1] .

لقد ورَّثَ رسولُ الله ﷺ علمَه الشريف ، وهديه القويم ، وسنَّتَه المعظمة ، وخلقه الكريم ، ومنهاجه السديد .

فكان مِن بعده العلماء الذين مشوا على هدي رسول الله ﷺ ، واتبعوا سنَّته ، وحملوا علمه ، وتخلَّقوا بأخلاقه ، ونهجوا منهاجه ، فاستحقوا أن يكونوا ورثة هذا النبي العظيم عليه الصلاة والسلام .

ومِن أولئك العلماء الورثة : الشيخ علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني المعروف بالنَّدْوِي ، الإمام المفكِّر ، والداعية المربِّي ، والكاتب الأديب ، الذي أبصر النورَ عام ١٩١٤م ، ونشأ نشأةً طيبةً بين أبٍ عالمٍ علاَّمة أديب ، استحقَّ بجدارة لقب « ابن خَلِّكان الهند » ، وأمٍّ فاضلةٍ نادرةٍ ، من المؤلَّفات المعدودات ، حَثَّتْ ولدَها على تعلُّمِ العلوم الشرعية ، واللغة العربية .

في طفولته كان فتىً حاذقاً ، يتكلَّمُ اللغةَ العربية بطلاقة وسهولة، نابغاً، له كفاءةٌ، وملكة أدبية ، وفي صباه عُني بالعلوم الشرعية ، واللغة العربية ، والعلوم الأخرى المختلفة .

وفي شبابه جعلت قدرتُه على التدريس شهرته تطير في الآفاق ، من خلال مقالاته الدعوية والفكرية والأدبية .

---

(١) حديثٌ موضوعٌ ؛ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (١٤٤٣) وعزاه للخطيب في تاريخه عن جابر رضي الله عنه ، وذكره الذهبي في الميزان (٣/ ٤٤٣) برقم (٣٥٣٥) في ترجمة الضَّحَّاك وقال : قال الدارقطني : كان يضع الحديثَ .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّه غَيورٌ على الإسلام ، عقيدته أنَّ النضال العلمي لإعلاء كلمة الله أفضل من الاكتفاء بالإكثار من نوافل الطاعات .

إنَّه الداعيةُ العالمي الحكيم المتمسِّك بأحكام القرآن والسنَّة ، البارع في كتابة المقالات في الأدب والفكر والدعوة والسيرة ، فأسلوبه يعجز عن مثله نوابغُ أدباء العجم وكبراؤهم ، وعلمُه جمٌّ ، وبحثُه دقيقٌ في ميادين الثقافة العربية والإسلامية .

أثرى المكتبةَ الإسلامية بكمٍّ كبيرٍ من المؤلَّفات القيّمة في كافة المجالات .

خدماته جليلةٌ ، ومآثره عظيمةٌ في مجال الدعوة والتبليغ والتعليم والتربية ، سواء داخل الهند أم في خارجها . . . كلُّ هذا جعل منه الشخصية الإسلامية العالمية المتميزة التي أثْرت الدعوة الإسلامية .

وهذا الكتابُ سيُعرِّف القرَّاءَ بهذه الشخصية الكريمة ، مِن خلال تصريحات الشيخ الجليل وكلماته وآرائه ومؤلَّفاته ، التي أرجو الله أن ينفع بها عباده .

ختاماً . . أرجو الله تعالى أن يوفِّق المسلمين للتمسُّكِ بالعلماء العاملين ، والأخذ عنهم والتعلم منهم . والحمد لله رب العالمين .

أحمد كفتارو

www.abulhasanalinadwi.org

تَقْـــدِيم (١)

لفضيلة الأستاذ محمد الرَّابع الحسني الندوي

مدير دار العلوم لندوة العلماء ، وأمين المجمع الإسلامي العلمي ، لكهنؤ (الهند) ،
ونائب رئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

أمَّا بعد : شخصيةُ الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي شخصيةٌ إسلاميةٌ جامعةٌ ، اجتمعتْ فيها خلالٌ متعدِّدةٌ قلَّما تجتمع في شخصيةٍ واحدةٍ ، فهو مدرِّسٌ أستاذٌ ، وعالمٌ محقِّقٌ ، وأديبٌ داعيةٌ ، وقائدٌ حكيمٌ .

ظهرت نباهتُه في التدريس أيام تدريسه في جامعة ندوة العلماء في الثلاثينات من هذا القرن .

وظهر علمُه وتحقيقه في مؤلَّفاته وكتبه العلمية .

وظهرت براعتُه الأدبية والدعوية في مؤلَّفاته ومحاضراته وخطاباته .

يَعرِف عديداً من اللغات السائدة ، ويُجيد الأرديةَ والعربية منها إجادةً بارعةً ، ويقدِرُ على الفهم والكلام في الإنجليزية وغيرها أيضاً .

صدرت له كتبٌ كثيرةٌ في موضوعات شتَّى ، منها ما هي علميةٌ أكاديميةٌ ، ومنها ما هي دعويةٌ وتربويةٌ ، ومنها ما هي تعليميةٌ دراسيةٌ .

وقد ساهَمَ مساهمةً عمليةً في الجهود الدعوية ، وذلك برحلاته للإصلاح والإرشاد ، ولقاءاتِه بحكَّام المسلمين وزعمائهم ، ونصحه لهم وتذكيرهم بالحقِّ

---

(١) تفضَّل الأستاذُ الكبير بهذه الكلمة للطبعة الثانية الصادرة في عام ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م) .

www.abulhasanalinadwi.org

والعدالة ، ولكن بحيطةٍ وحذرٍ من الانتفاع بهم ، ونيل صلةٍ ماديةٍ منهم ، مُحتسباً ، في أعماله للأجر في الآخرة ، ومن أسلوبه في الدعوة التلطُّف واللِّين متبعاً لقول الله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [سورة طه : ٤٤] ، ولكن بصرامةٍ وقوَّةٍ ، قد تصل إلى حدٍّ يخشى منه الخطر على نفسه .

ثم إنَّ عمله الدعَوِيَّ هذا يمتدُّ من الإرشاد الدِّيني إلى الإصلاح الاجتماعي وإلى الترشيد السياسي ، وهو يلجأ إلى ذلك لما يراه ويجلُّه في البلاد من انهيارٍ خُلُقيٍّ وسياسيٍّ ، ويرى : أنَّ الخطر من ذلك يصل إلى المسلمين أيضاً لأنهم جزءٌ من الشعب ، وهو يذكر لذلك مثلاً ضربه رسولُ الله ﷺ بسفينةٍ ذاتُ طابقين الأعلى والأسفل ، أراد أهلُ الطابق الأسفل خرقاً لأسفل السفينة لتناول الماء من الأسفل ، فإنْ لم يمنعهم ركَّابُ الطابق الأعلى ؛ غَرِقَ الجميعُ[1] .

كما أنَّ حقَّ الوطن يقتضي ذلك منه أيضاً ، فالشيخ يلتقي لهذا الغرض بالحكَّام الكفَّار ، ورؤساء الحكم العلمانيِّين كذلك . وينصحهم بحكمةٍ ومحبَّةٍ مع الزهد الكامل عما بأيديهم من جاهٍ ومالٍ وسلطانٍ ، فقد التقى لهذا الغرض بأكثر مَن وصل إلى رئاسة البلاد في الهند وفي غيرها كذلك ، ومنهجه هذا يزيد قوَّةً في تأثير نصحه وكلامه .

نجد أمثلة هذه السيرة في شخصيته الفذَّة منتشرةً في حياته ، ذكر هو نفسُه الأهمَّ من أحداثها في كتابه « في مسيرة الحياة » كما تظهر في كتبه ومؤلَّفاته الدعوية التي خاطب فيها المسلمين بدون تخصيص بعض دون بعض من أبناء بلاد المسلمين كلها ، وخاطب عامةَ أبناء وطنه عامتهم وزعمائهم على السواء ، وقد رزقه الله تعالى ملكةَ خطابةٍ رائعةٍ تتجلَّى في خطبه في الأردية والعربية على السواء .

وشخصيةُ الشيخ أبي الحسن الندوي ـ حفظه الله ـ[2] مع كلِّ هذه الجوانب النابعة من شخصيته ـ شخصيةٌ ربَّانيةٌ كذلك . يعتني بتربية نفسه الباطنية ، ويقوم بتربية من

---

(١) انظر الحديث بلفظه في « صحيح البخاري » كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟ برقم (٢٤٩٣) ، وفي « جامع الترمذي » في أبواب الفتن ، باب ما جاء في تغيير المنكر . . ، برقم (٢١٧٣) عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه .

(٢) كُتبت هذه المقدِّمةُ في حياة العلاَّمة الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ .

www.abulhasanalinadwi.org

يتتلمذ عليه ، بعد أن تتلمذ هو بدوره على كبار العلماء الربَّانيين في بلاده ، وحاز منهم ثقةً واستحساناً ، واستفاد منهم الاهتمامَ بالتقوى والزهد والعبادة .

هذه هي شخصيةُ الشيخ الندوي حفظه الله ، شخصيةٌ جديرةٌ بأن يتعلَّم منها الراغبون في بناء شخصيتهم على خصال الخير وفضائل الحياة ، والقيام بالكفاح لمصالح الدين والأمَّة ، وهي جديرةٌ أيضاً بأن يعرفها الناسُ ويتملَّؤا منها الخُلُق والدين والصلاح والعمل ، ويوجد جانبٌ كبيرٌ منها في كتابه في ترجمة حياته « في مسيرة الحياة » ، ولكنه تواضعاً منه لم يذكر فيه إلا ما توافَقَتْ معه نفسُه المتواضعة .

وقد قام عددٌ من عارفيه بهذا العمل عن طريق بحوثٍ جامعيةٍ وكُتبٍ أُفرِدتْ على سِيرته ، ومنها ما ألَّفه أحدُ تلاميذه الناشئين وهو العزيز عبد الماجد الغوري النَّدْوِي الطالب في جامعة دمشق ، فقد اقتبس جوانبَ مصوَّرة لشخصيته وأحداث حياته ، وما كتبه عنه محبُّوه وأصدقاؤه ، وذكر جهودَه في الدعوة الإسلامية ومنهجه فيها ، وموقفَه من القضايا الإسلامية والعربية المعاصرة ، وعنايته بالأدب الإسلامي ، وآراءه ونظراته وتأمُّلاته فيه ، وذكر جوانبَ عديدة من خصائصه وسيرته ومنجزاته مستفيداً من رسائله وكتبه ، والكتب التي أُلِّفت عليه ، ولقد أحسن التأليفَ والعرضَ، فجاء عملُه لائقاً بالتقديم، وقد قدَّم نخبةً من رسائله التي وجَّهها إليه أعلامُ المسلمين.

ومن كلِّ ذلك أصبح هذا الكتابُ ناجحاً ونافعاً، وتكوَّنَتْ منه مادةٌ من العلم كان أصحابُ الدعوة والعمل الاجتماعي والتربوي الإسلامي يريدون معرفتها والاستفادة منها ، فجزى الله الأخَ عبد الماجد خير الجزاء، وجعل عملَه هذا أساساً لتقدُّمه ونجاحه في بناء شخصيته أيضاً على خير الخصال. والله ولي التوفيق.

كتبه

محمد الرابع الحسني الندوي

١٨/ ١٠/ ١٤١٩هـ

٥/ ٢/ ١٩٩٩م

مدير دار العلوم ندوة العلماء (لكهنؤ)

www.abulhasanalinadwi.org

تَقْـدِيم (١)

لفضيلة الأستاذ الدكتور وهبة الزُّحَيلي

رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في كلية الشريعة بجامعة دمشق سابقاً

عرفتُ العلامةَ الكبير الشيخ أبا الحسن الندوي في شبابه وكهولته وشيخوخته ، وذلك إبّان حداثة سِنّي وكهولتي ، فأكبرتُ فيه هيبتَه ولغته وغيرته ولم تختلف نظرتي إليه في شبابه ، حيث قوّة البيان ، وسلامة اللغة ، ونَصَاعة الفكر ، عمّا آل إليه في شيخوخته من نضجٍ وفصاحةٍ ، وتخطيطٍ بارعٍ لحال العالَم الإسلامي ، وتأوهاته وآلامه على وضع المسلمين في العصر الحاضر .

وأسبابُ متانةِ علمه ، وقوّة فكره ، وسعةِ أُفقه الإسلامي : هو تكوينه العلميّ السديد في مجال التفسير ، والحديث ، والسيرة النبوية ، والتاريخ الإسلامي القديم والجديد ، والعربية والآداب ، والفكر الإسلامي . وأنضج كلّ هذه المعارف : أنّه في ندوة العلماء في لكهنو أستاذٌ قديرٌ ، وموجِّهٌ ناصحٌ أمينٌ .

وتراه نيِّرَ الفكر كفيلسوف الإسلام الدكتور محمد إقبال ، واسعَ الأفق كالعلاَّمة المودودي في القضايا العامة والأفكار السياسية .

وأمّا أسلوبه : فعربيٌّ نقيٌّ ، وجذّابٌ وجميلٌ ، ولغته سليمةٌ ، وأفكاره سديدةٌ ، حتى بوّأه ذلك ليكون عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضواً في مؤسسة آل البيت في الأردن ، وعضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الأردني ، وعضواً دائماً في المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة .

وتميَّزَ بغيرتِه الإسلامية ، وإخلاصه في الدعوة ، وصِدقه في العمل الإسلامي ،

---

(١) تفضَّل فضيلةُ الأستاذُ بهذا التقديم للطبعة الأولى .

www.abulhasanalinadwi.org

فهو داعيةٌ ناجح ، ومِن روَّاد الصحوة الإسلامية ، والدعوة الأصيلة إلى العقيدة والإيمان ، ومن أهل الاعتدال في الفكر الديني والسياسي ، ومن أمثلة وسطيته : إنصافُه العرب وحبُّه لهم ، وتقديره للدور الحيوي الحسَّاس الذي اختاره الله تعالى لهم في تبليغ الرسالة الإسلامية إلى العالم كله .

وإنَّه غنيُّ الثقافة ، صحيح العقيدة ، سليم الفكر ، معتدل الرأي ، منصف الحقائق . وِمن أشهر كُتبه : كتب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » الذي أصطحبُه أحياناً في أسفاري ورحلاتي .

شارك الداعيةُ الكبير الندوي في المؤتمرات الإسلامية ، والتقى كبارَ قادة الإسلام ومفكِّريه ، فكان على مستواهم مع أنهم أكبر سنّاً منه ، وهو جوَّالٌ رحالةٌ في البلاد الإسلامية : في شبه القارة الهندية والباكستان ، وبنغلاديش ، وسيلان (سري لانكا) ، وماليزيا . والبلاد العربية : مصر ، والشام ، ولبنان ، والأردن ، واليمن ، والحجاز ، وبغداد ، والكويت ، والخليج العربي ، والمغرب الأقصى ، وزار أمريكا ، وبريطانيا ، والبلاد الأوربية ، والأندلس ، والدول الإسلامية في غرب آسيا وشرقها ، وكان في جولاته كلها خَطِيباً مفوَّهاً ، ومحاضراً لامعاً ، وداعية ناجحاً ، ومن أشهر محاضراته : محاضراته في الأزهر وجامعة القاهرة ، ومركز الشبان المسلمين في مصر ، وفي كلية الشريعة بدمشق بعنوان : « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » ، وفي مساجدها ، وإذاعتها ، وحضر محاضرته كبارُ علماء دمشق ، وحاور الملوكَ والأمراء والرؤساء ، وطليعتهم الملك فيصل رحمه الله ، وكان حواره متميزاً يتسم بالغيرة الإسلامية والإخلاص .

وراسَلَ كبارَ القادة والعلماء ، وأرباب الفكر والأدباء في العالم العربي ، فكان متميِّزاً في أدبه ولغته ، وفكره النيّر ، وخلقه الرفيع ، ومؤلَّفاته الخصبة والممتعة تزيد عن مئة وثلاثين : في السيرة النبوية ، والتاريخ ، والفكر الإسلامي ، والنبوَّة ، وتحليل حياة الشخصيات والكتب ، والدعوة إلى الله تعالى ، والأدب ، والفكر .

أمَّا أصلُه فهو منسوبٌ إلى الأشراف ، وأما خُلُقه فهو رفيع ، وهو زاهدٌ زهداً متميزاً ، يعيش كعيشة الطلاب الفقراء ، مع عزَّة نفس ، وصلة وثيقة بالله تعالى ، لطيف المعشر ، معتدل النفس ، محبوب إلى النفوس .

www.abulhasanalinadwi.org

لذا أسألُ الله تعالى أن يُطِيلَ في عمره ، ويمدَّ في حياته ، ويزيدَ من بركاته وثماره ، وجعلني معه ومع أمثاله العلماء المُخلِصين في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدرٍ .

وهبة الزحيلي

www.abulhasanalinadwi.org

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمَّا بعد : فقد ظهرتِ الطبعةُ الأولى لهذا الكتاب في سنة ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) ، وتقبَّلها القرَّاءُ بقبولٍ حسنٍ ، واستقبلوها بحفاوةٍ بالغةٍ ، فلم تَمْضِ على صدورها سنةٌ إلا وصدرت له الطبعةُ الثانيةُ في عام ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م) ، وكان صدورُ الطبعتين في حياة العلاَّمة أبي الحسن الندوي ، فارتضى ـ رحمه الله تعالى ـ بما جاء فيهما دون مبالغةٍ وإطراءٍ .

وهذا من توفيق الله تعالى الذي مكَّنني الآن من إخراج هذه الطبعة الثالثة لهذا الكتاب ، فاستطعتُ خلال هذه الفترة المديدة إعادةَ النظر ، وإضافة بعض الزيادات المفيدة في هذه الطبعة ، وتقديمها للطبع والنشر في أوّل فرصة ، وإنْ كانت هذه الزياداتُ كثيرةَ العدد ، ولكنَّها كبيرة القيمة يُلاحِظها القارىءُ نفسُه .

وعلى أيِّ حالٍ فإنّي لا أدَّعي للكتابِ الكمالَ ، والاستيعاب التّامَّ ، وكلُّ ما حرصتُ عليه هو دراسةُ هذه الشخصية العظيمة الفذَّة من جميع نواحيها ، وإبرازها ، وأنْ لا أقول شيئاً إلا معتمداً على معرفتي بها عن كثبٍ أوّلاً ، وعلى رسائلها وكتبها ثانياً ، غيرَ مجازفٍ في القول ، ولستُ معتمداً على القياس والنزعة الفردية ، عسى أن يقدِّم هذا الكتابُ لقرَّاء العربية صورةً واضحةً لسيرة شخصية العلاَّمة السيّد أبي الحسن الندوي المباركة ، وأفكاره الإسلامية المنيرة ، وجهوده الدعوية العظيمة ، ومآثره الأدبية القيمة .

وأخيراً . . . لا يفوتني أن أشكُرَ شقيقي العزيز سيد أحمد زكريا الغَوْرِي النَّدْوِي على تَجَشُّمِه في توفير بعض المصادر والمراجع المهمَّة لِي ، والأستاذَ هارون الندوي (ناظر مكتبة شبلي النعماني العامرة في «ندوة العلماء») على سمَاحِهِ له

www.abulhasanalinadwi.org

بتصويرها ، لولا معروفهما هذا لما كنتُ أتمكَّن من إخراج هذه الطبعة وأنا على بُعْد الدار ، وحيلولة البحار ، وكذلك أرى لزاماً عليَّ أن أشكر أجزلَ الشكر لجميع هؤلاء العلماء الأعلام الذين تفضَّلوا بالتقديم إلى الكتاب ، فزانوه وزادوه قيمةً ، وكانت مِنَّةٌ عليَّ تستحقّ الشكر ، ولا يفوتني كذلك توجيه كلمة الشكر للناشر المخلص الأستاذ علي ديب مِستو المحترم على عنايته الخاصة بإخراج هذا الكتاب في هذه الحُلَّة الجميلة ، جزى الله جميعهم أحسن الجزاء .

وأسألُ الله العلي القدير أن يتقبَّلَ هذا العملَ ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ويزيد في نفعه ، إنَّه سميعٌ مجيب ، وهو على كلِّ شيء قدير .

كتبه

المعتزُّ بالله تعالى

عبد الماجد الغوري

دمشق : ٢٣ / رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ

١٧/ تشرين الثاني ٢٠٠٣م

www.abulhasanalinadwi.org

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّقْدِمَة

الحمد لله حمداً يُوافي نِعَمَه ، ويكافيء مزيدَه ، ويدفع نِقَمَه ، يا ربَّنا لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك ، أنْتَ كما أثنَيْتَ على نفسك .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واستَنَّ بسنَّته الغرَّاء إلى يوم الدين .

وبعد . . منذ نعومة أظفاري ، وتحديداً في بدايات السنة التاسعة من عمري حين كنتُ طالباً في أحد الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم في مدينتي (حَيْدَرْ آباد) ، كانَ يتهادى إلى مسمعي على الدوام اسمُ « علي مِيَاں » ، وكانت مجالسُ الأساتذة وأهل العلم والفضل ـ الّذين أكْرَمني الله بمجالستهم وملازمتهم آنذاك ـ قلَّما تخلو من هذا الاسم ، بل يندر أن يمرَّ يومٌ دون أن نسمع منهم أنَّ « علي مِيَاں » كتَبَ كذا ، وقال كذا ، وعالَجَ هذا الأمر ، ودافَعَ عن تلك القضية . . . ولطالما حدَّثونا عن مآثر وجهود ذلك الرجل الفذِّ في خدمة دين الله وإعلاء كلمته تعالى ، فتأثَّرْتُ بتلك الشخصية وأضحَتْ فيما بعد ـ مِن كثرة سماعي عن انجازاتها واجتهاداتها ـ نموذجاً وقدوةً مُثلى لي ولإخواني من طلبة العلم .

وصادف في الفترة نفسِها أنْ شرعتُ بقراءة بعض الكتب للعلاَّمة أبي الحسن علي الحسني الندوي باللغة الأردية ، فوجدتُ فيها منهلاً ثرّاً رَوَّى ظمأَ روحي وفكري إلى الحقيقة في مجالات الفكر ، والسِّيرة ، والتاريخ الإسلامي ، وفنون الدعوة إلى الله تعالى ، فتأثَّرْتُ بأسلوبه الفَريد السهل النقي ، وأعجبتُ أيُّما إعجابٍ بعُمْق فهمه ، وحُسن إدراكه ، وحكمته في معالجة القضايا الإسلامية المختلفة ، فأحببتُه حبّاً شديداً ، وصار هو والشيخ « علي مِيَاں » النموذجَ والقدوة الحسنة لي في كلِّ ما أصبوا إليه في هذه الحياة .

www.abulhasanalinadwi.org

لكنَّني مع مرور الأيام فُوجئتُ وذُهِلتُ عندما تبيَّن لي أنَّ هاتين الشخصيتين هما في الحقيقةِ شخصيةٌ واحدةٌ . وأنَّ الشيخ « علي ميان » هو اسمُ العلاَّمة أبي الحسن الندوي نفسه ولكنَّه اشتهَرَ به في الهند[1] .

ولا تسألْ عن مدى دهشتي واستغرابي آنذاك مِن هول المفاجأة ، فتاقتْ نفسي وتلهَّفَتْ لرؤية هذا المُرشِد المُجدِّد ، المُصلِح المربِّي ، والداعية المفكِّر ، وأضحتْ أغلى أمنِياتي أن أُجالِسه وأراه عن كثبٍ ، ومرَّتِ الأيامُ فسعدتُ لا بزيارته ورؤيته فحسب ، بل بالدراسة في مدرسة قريته وموطنه ومقرِّه (تَكِيَّهْ كَلاَن) ، ورأيتُ في هذا العَلَم الشامخ بالعيان ما كنتُ أتخيَّله عنه بالسماع ، وحُقَّ لي والله أن أنشد :

كانت محادثةُ الركبانِ تُخبِرنا عن جعفر بن فلاَّحٍ أطيبَ الخَبَر
حتى التقينا فلا واللهِ ما سَمِعَتْ أذني بأحسَنَ ممَّا قد رأى بَصَري

رأيتُ فيه عالماً عاملاً ، حِبْراً كاملاً ، مُصلِحاً ربَّانياً ، راعياً حكيماً ، زاهداً مجاهداً ، يتميَّزُ كلَّ التميُّز عمَّن رأيتُه مِن كبار العلماء والدعاة والمفكِّرين في الهند في جلالة القدر ، وسَرَاوة الحال ، ورجاحة العقل ، وسماحة الخُلُق ، مع الوقار الذي لا تغضُّ من جانبه الوداعة ، والورع الشديد في غير رثاءٍ وسُمعةٍ .

وأكْرَمَني الله خِلال أيام دراستي تلك بحضور مجالسه العامَّة والخاصَّة ، والاستفادة من صحبتِه ، وملازمته سنةً كاملةً ، حتى تشرَّفْتُ بخدمته ، وأفَاضَ عليَّ من عطفه ورعايته لي ما لا أُطِيقُ شكرَه ، ولم أزلْ على تلك الحالِ حتى التحقتُ بدار العلوم ـ ندوة العلماء الَّتي يترأَّسُ أمانتَها ، فزادتْ وتوطَّدَتْ أواصرُ الصحبة ، ولطالما ساءلتُه عن حياته ونشاطاته وعطاءاته في حِلِّه وتَرْحَاله ولطالما صبَرَ عليّ وأجابني عن أسْئلتي ، ووهَبَني من وقتِه وخبرتِه في كافة الميادين العلمية والدعوية والفكرية والأدبية .

ولذلك فمنذ سَنَتين ونيف ـ وبدافع من إعجابي الشديد ، وتأثُّري البالغ بشخصية العلامة الندوي ـ داعبَتْني فكرةُ تأليفِ كتابٍ عن سيرته باللغة الأردية ، فهَيْمَنَتْ تلك

---

(١) وأمَّا اسمُ « علي ميان » فكان أفرادُ أسرته يُنادونه به وهو صغيرٌ ، فاشتهر ـ رحمه الله تعالى ـ بهذا الإسم عند أساتذته الكرام ومشايخه الكبار حتى لا يكاد يعرف في بلاد شبه القارة الهندية إلا بهذا الاسم .

www.abulhasanalinadwi.org

الفكرةُ عليَّ ، وألَحَّتْ حتى بدأتُ فعلاً بتقصِّي نشاطات العلاَّمةِ وأحواله ، وجمعِ المعلومات والبيانات الكثيرة عن حياته ودعوته ومؤلَّفاته من مختلف الكتب والمجلاَّتِ والجرائد الصادرة باللغتين : الأردية والعربية ، وضمَمْتُها إلى خبرتي الواسعة حول حياته ونشاطاته الَّتي كانت ثمرةَ صحبتي له للأيام التي قضيتُها معه ، وحصلتُ عليها من لسانه مباشرةً من غير وسيطٍ أو مبلِّغٍ .

فبَعد طولِ عناءٍ واستقصاءٍ نلتُ ـ بفضل الله ـ مرادي وتَوَافَرتْ لديَّ مادةُ المؤَلَّف ، لكنَّني استنْكَفْتُ وتراجعتُ عن فكرتي مُستَصْغِراً شَأْنِي ، مرتاباً بقدرتي على الإحاطة من خلال هذا الكتاب بعظمة وسيرة العلاَّمة المجدِّد الَّذي ذاع صيتُه في الآفاق ، وملأ الدنيا ، وشغل الناس بجليل مآثره ، وعظيم جهوده الَّتي بَذَلَها في حياته المديدة العامرة الذاخرة بالفيض والعطاء في جميع المجالات الدعوية والفكرية والعلمية ، فلمَّا قدمتُ إلى دمشق الشام طلباً للعلم ، حَثَّني بعضُ أساتذتي وأصْدِقائي ـ جزاهم الله عنَّا أحسنَ الجزاء ـ وألحُّوا عليَّ لكتابة سيرة حياة العلاَّمة الندوي ، لاسيَّما أنَّ جوانب كثيرة منها قد خَفِيَتْ عن أكثر قرَّاء مؤلَّفاته ، ومتتبِّعي أخباره .

فشرَحَ اللهُ صدري أخيراً لتأليف هذا الكتاب ، فعكفتُ فترةً من الزمان على هذا الموضوع ، وعِشْتُ فيه ، أُطالِع رسائلَ وكُتب العلاَّمة الندوي ، فبدأتُ بالكتابة معتمِداً على الله عزَّ وجلَّ ، ثم ما رأيتُه واستفدتُ منه عن كثبٍ ، وعلى ما قرأتُ عنه في كتبٍ ، وقد حاولتُ جاهداً في هذا الكتاب المتوضع في عدد صفحاته ، العظيم القدر في موضوعه أن أُحِيط بالخطوط العامة لشخصية العلاّمة المجدِّد الفذَّة ، وأهمِّ نشاطاته التي يستحيل استيعابها جميعاً في حقل الدعوة إلى الله تعالى في مختلف فنونها وأساليبها ، ولذلك قسّمتُ الكتاب إلى سبعة فصول .

تحدَّثْتُ في الفصل الأول عن نسبه ، وموطنه ، وأسرته ، وميلاده ، ونشأته ، وطلبه للعلم ، ودراسته الجامعية ، وزيارته الأولى للدكتور محمد إقبال وشغفه وعنايته بشعره ، وزيارته للمراكز الدينية والاستفادة من تجاربها ، وصلته بحركة الدّعوة والتبليغ ونشاطه الدعويّ ، ورحلته مع الكتابة والتأليف .

وتحدَّثْتُ في الفصل الثاني عن أهمِّ رحلاته ، ومحاضراته ، وانطباعاته ، ومشاهداته .

وتحدَّثْتُ في الفصل الثالث عن لقاءاته مع الملوك ، والأمراء ، والرؤساء ، ومحاوراته معهم .

www.abulhasanalinadwi.org

وفي الفصل الرابع عن تقديرٍ وتكريمٍ له .

وعرضتُ في الفصل الخامس شذراتٍ ممّا قيل فيه ، وفي أسْلوبه ومؤلَّفاته .

وعرضتُ في الفصل السادس المراسلات بينه وبين كبار القادة والعلماء ورجال الفكر والأدب في العالم العربي .

وقدَّمت في الفصل السابع تعريفاً موجزاً عن أهم مؤلَّفاته ، وقائمةً بجميع كتبه . ثم أجملت ذلك في الخاتمة .

وأخيراً ، فهذا الكتابُ محاولةٌ مخلصةٌ متواضعةٌ لتسليط الضوء على حياة وعطاء داعيةٍ حكيمٍ ، ومفكِّرٍ عظيمٍ ، ومربٍّ جليلٍ ، وعالمٍ راسخٍ ، وأديبٍ كبيرٍ ، باع نفسه لله ، وأخلص وجهه له ؛ أسعَدُ بتقديمه اليومَ إلى الإخوة القرَّاء العرب ـ وأنا أعلمُ ما بنفسي نحوَ هذه الشخصية الفَذَّة لن يُنقَل إلى القرَّاء إلاَّ مبتوراً مُبْتَسِراً لا يمثِّل حقيقةَ مشاعري الصادقة ؛ إذْ هي أقوى وأشَدُّ مِن أن تظهر على حقيقتها من هذه المحاولةِ المتواضعة مهما بَلَغْتُ منها في تتبُّعِها الراصد ، ولكن . . . (إن لم يكن وابلٌ فطَلٌّ) ـ وأرجو أن أكونَ بهذا الكتاب قد أدَّيتُ بعضَ حقِّ شيخنا الجليل ، ومربِّينا العظيم ، وقدوتنا المثلى عليَّ وعلى زملائنا ، وأن يكون هذا ممَّا ينفع لي يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون ، إلاَّ من أتى الله بقلبٍ سليمٍ .

فإنْ أصبتُ الغايةَ فذلك فضلُ الله عليَّ وكرمه ، وإنْ أخطأتُ فبتقصيري ـ أستغفر الله ـ وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلتُ وإليه أنيبُ . والحمد لله ربِّ العالمين .

كتبه

المعتز بالله تعالى

عبد الماجد الغوري

دمشق في ١٣ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ

١/ ١٠/ ١٩٩٨م

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الأوّل

عَصْرُ
العَلَّامَة أبي الحَسَن النَّدْوِي

الفصل الأول : العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري .

الفصل الثاني : الهند وأحوالها المعاصرة .

www.abulhasanalinadwi.org

الفَصْل الأول

العالم الإسلامي

في القرن الرابع عشر الهجري

www.abulhasanalinadwi.org

أ ـ الحالة السّياسيّة

قبل أن أخُوض في الحديث عن حياة العلامة أبي الحسن النَّدْوِي في أبواب وفصول هذا الكتابِ الآتية ؛ مفكِّراً ، وداعية ، ومربِّياً ، وأديباً أرى لازماً أن أتحدّث عن العصر الّذي أَبصر فيه النورَ ، لقد كان ميلاده في ٦ محرم الحرام سنة ١٣٣٣هـ (الموافق سنة ١٩١٤م) ، وهذه الفترة من القرن الرابع عشر الهجري ، العشرين الميلادي حافلةٌ مليئةٌ بالأحداث العظام الخطيرة الفاصلة ، ومن أهمِّها وأعظمها أُفول نجم الدولة العثمانية وانهيارها ، وسُقوط الخلافة الإسلامية في ٣٠ مارس عام ١٩٢٤ م ، وتَغَلْغُل النفوذ الأجنبي الّذي بدأ يُحْكِمُ خناقه على العالم الإسلامي ، وسيطرته على بلاد الهند سيطرة محكمة ، ثُمَّ زَرْع إسرائيل شوكة في ظهر العالم الإسلامي واحتلالها قسماً كبيراً من فلسطين سنة ١٩٤٨م ، فأبدأ الحديثَ هنا عن إسقاط الخلافة العثمانية ، ثم عن الاحتلال الصهيوني لأجزاء من فلسطين ، وهما من أهمِّ أحداث عصر العَلاَّمة الندوي .

(١) إسقاطُ الخِلافة الإسلامية

فكان مِن أَخطر وأَكبر أحداث هذه الفترة إسقاط الدولة العثمانية ، وإلغاء الخلافة الإسلامية على يد الطاغية اليهودي الأصل كمال أتاتورك ، والتي كان المسلمون ينظرون إليها على أنها حامية الديار المقدَّسة، وحاملة عبء الخلافة الإسلامية ، ورمزاً للجبهة الإسلامية في نظر الغرب والقُوى المعادية للإسلام ، ومحافظة على كثير من المصالح الإسلامية نظرةَ تقدير واحترام ، ولم يكونوا يهتمُّون بما يجري فيها من وقائع وأحداث فحسب ، بل كانوا يتأثَّرون بها، ويتكيَّفون معها .

دور مسلمي الهند في إنقاذ الخلافة :

كان المسلمون الهنود يرزحون تحت الحكم الإنجليزي ، إلا أنهم كانوا ينظرون

www.abulhasanalinadwi.org

إلى الدولة العثمانية بأنها المسؤولة عن كل المسلمين في العالم وذلك لوجود الخليفة فيها .

ومن الرجال الهنود الذين لعبوا دوراً هاماً في محاولة ربط الهند بالدولة العثمانية المصلح الإسلامي الهندي مولانا أبو الكلام أزاد الذي زار العاصمةَ العثمانية استنبول ، ومكة المكرَّمة ، والمدينة المنوَّرة، والقاهرة، وغيرَها من العواصم العربية . وقد التقى في القاهرة برجال العلم والعلماء مثل السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا ، ودرس معهم كيفية دعم دولة الخلافة ، كما أنه جعل الصحف التي كان يرأسها منبراً حرّاً لإثارة مسلمي الهند كي يساعدوا دولة الخلافة في صراعها مع الدول الأوروبية الاستعمارية . فكتب في جريدة الهلال الصادرة بتاريخ ١٦/ ١١/ ١٩١٢م قائلاً : « إنَّ من واجبات كل مسلمٍ أينما كان أن يعمل على بقاء الإسلام ، فإنه من فرائضه الدينية أيضاً أن يحافظ على مكانة الخلافة العثمانية في قلبه ، وأن يعادي الدولة التي تعتدي عليها من أعداء الإسلام ، والدولة التي تميل إليها من أصدقاء الإسلام ؛ لأن صداقة المسلمين أو عداوتهم ينبغي ألا تكون لغرض شخصي بل للدين الحنيف فحسب »[1] .

كما دعا مولانا أبو الكلام مسلمي الهند إلى مشاركة الدولة العثمانية في الجهاد ضدَّ الأعداء ؛ لأن الإسلام حثَّ على الجهاد ، كما ذكر مولانا أبو الكلام أزاد في مجلته « الهلال » عن موقف مسلمي الهند في حالة وقوع حرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا قائلاً : « إنَّ من المصائب التي تواجه مسلمي الهند أن تقع الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية ، التي يعتبرها جميع مسلمي العالم صاحبة الخلافة الإسلامية التي يدينون لها بالولاء ، وإن الشرع يحتم على مسلمي الهند أن يكونوا مع دولة الخلافة » .

رأى السلطان عبد الحميد الثاني أن مسلمي الهند قوَّةٌ هائلةٌ يستطيع بواسطتهم ضرب الإنجليز وإحراج مركزهم في شبه القارة الهندية ، وكان واثقا من نفسه عندما قال : « إنَّ كل إنسان يدرك أن كلمة واحدة مني بصفتي خليفة للمسلمين تجعل حكم

---

(١) حركة الجامعة الإسلامية ، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٠٩م (رسالة الماجستير مقدَّمة لجامعة عين شمس عام ١٩٨٣م) للأستاذ أحمد فهد بركات الشوابكة ، صفحة (٢٨٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

الإنجليز في مهب العواصف » . وأضاف قائلاً : « لا بدَّ من يوم ينتقم فيه الهنود من الإنجليز فيحطمون القيود ، ولا بد أن تهزم ملايين الهنود شرذمة الإنجليز الذين نهبوا ثروات بلادهم واستغلوهم واستعبدوهم أبشع استعباد »[1] .

كان المسلمون الهنود ينظرون إلى السلطان عبد الحميد على أنه ممثِّلهم وحاكمهم كما هو ممثِّل العرب والمسلمين جميعاً . لذلك التفوا حول خلافته وأيدوه في كل مواقفه الحربية ضد الأعداء ، فمثلاً وقفوا مع السلطان عبد الحميد الثاني في حربه ضدَّ اليونان عام ١٨٩٧م ، حيث شكل المسلمون الهنود لجاناً لجمع التبرعات وإرسال المساعدات المادية والطِّبية ، فبعث ممثِّلون عن الجمعية الإسلامية في حيدر أباد (الدكن) مقالاً إلى جريدة « المؤيد » المصرية يقولون : « إننا مسلمون وجلالة السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين الأعظم ، فنحن إذاً من رعيته ، لذلك نرى من الواجب علينا أن نلبِّي دعوته ونؤدِّي مثل العثمانيين المعونة العسكرية التي فرضها جلالة السلطان ليقوِّي بها جيشَه الحامي لعرش الخلافة المقدَّسة » .

استغلَّ السلطان عبد الحميد وجودَ بعض المسلمين الهنود المنفيين في استنبول ، فشجَّعهم على دعم الحركة الإسلامية والمناداة بوحدة المسلمين تحت ظلِّ الجامعة الإسلامية .

وقد أصدر الأستاذ علي خان الذي كان في استنبول آنذاك صحيفة (Big Islam) « الإسلام العظيم » لتكون وسيلةً اتصال بين مسلمي الدولة العثمانية ومسلمي الهند ، وقد ذكرت الصحيفةُ : أن الهنود لا يعترفون بحاكم سِوى خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد ، مما أَحرج موقفَ الإنجليز في الهند .

وقدَّم المسلمون الهنود ـ شأنهم في كل محنة تمر بها الدولةُ العثمانية ـ بعثةً طِبِّيةً هنديةً وصلت استنبول بسبب محنة الحروب البلقانية عام ١٩١١م، مع الدولة العثمانية وكانت البعثة الطبية برئاسة الدكتور الأنصاري . وعندما عاد الأنصاري إلى الهند أعلن أنَّ أهمَّ نتائج بعثته كانت في تجديد الرابطة الإسلامية بين الأمة العثمانية والأمة الهندية المسلمة[2] .

---

(١) حركة الجامعة الإسلامية : ص(٢٨٧) .

(٢) المرجع السابق : ص (٢٩١) .

www.abulhasanalinadwi.org

واستمرَّت هذه الصحيفةُ والصحف الإسلامية الأخرى تدعم الدولةَ العثمانية في جميع مواقفها في مواجهة الدول الاستعمارية .

وفي عام ١٩٠٦م، شكَّل المسلمون الهنـــود « حزب جميع مسلمي الهند »[١] (All India Muslim League) ، وقد طالب هذا الحزب بحقوق المسلمين في جميع أنحاء شبه القارة الهندية ، وقامت العصبة بدعم المسلمين في كافة أنحاء العالم الإسلامي والوقوف إلى جانب دولة الخلافة ، ولكن الإنجليز كانوا دوماً يتصدون لكلِّ من يدعم السلطان عبد الحميد ويقومون بالحطِّ من شأن دولة الخلافة ، وتشويه صورتها في أعين المسلمين أينما كانوا حتى يبعدوهم عن الالتفاف حولها ، ولكن النفوس كانت تزداد ارتباطاً بدولة الخلافة كلما أمعن المُستعمِرُ في تحقير دولة الخلافة وتعميد إذلالها[٢] .

فهكذا كان المسلمون الهنود يزدادون تعلُّقاً بالخلافة، وحباً للدولة العثمانية بسبب وجود الاستعمار الإنجليزي في الهند ، ولكن الإنجليز استطاعوا عن طريق الغزو الثقافي ضرب دولة الخلافة ضربةً مميتةً ، كما استطاعوا تفريق المسلمين عن طريق تشجيع القوميات المختلفة في كل البلاد الإسلامية حتى تجعل من النزعة القومية بديلاً عن الوحدة الإسلامية ؛ لأن وحدة المسلمين في العالم تحت راية الخليفة خطر على وجود الإنجليز في الهند كما هو خطر عليهم في كل مكان من العالم الإسلامي ، ويقول السلطان عبد الحميد في مذكِّراته : « إنَّ الدولة الكبرى التي تحكم شعوباً مسلمة عديدة في آسيا مثل الإنجليز وروسيا ترتعد من سلاح الخلافة الذي أحمله ، ولهذا السبب استطاعوا الاتفاق على إنهاء الدولة العثمانية »[٣] .

وعندما نشبت الحربُ العالمية الأولى بين دُول الحلفاء (بريطانيا، وفرنسا ، وروسيا) من جهة ، وبين دول المحور (الدولة العثمانية، وألمانيا، وحليفاتها) من جهة ثانية كانت الهند تحت السيطرة البريطانية بينما كانت فلسطين جزءاً من الدولة العثمانية . وقد حاولت بريطانيا أن تجنِّد الهنود تحت الراية البريطانية . ويقول الدكتور

---

(١) وثائق فلسطينية في دور الأرشيف البريطانية : وثيقة رقم (٢٩) ، ص (١٠٧) .
(٢) دولة الخلافة : للأستاذ عبد الرشيد سالم ، ص (٩٤) .
(٣) الأسرار الخفية وراء الخلافة العثمانية : للأستاذ مصطفى حلمي ، ص (٥٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

إحسان حقّي في هذا الموضوع : « كان من السهل على بريطانيا أن تسوق الهند لقتال المسلمين ، ولكن ليس من السهل عليها أن تسوق المسلمين لقتال المسلمين ، لذلك قامت بدعاية كاذبة وذلك لإقناع المسلمين بأن دولة الخلافة في خطر وأن بريطانيا وحلفاءها يريدون إنقاذها من الدولة الألمانية التي تريد الاعتداء عليها »[1] .

وهكذا انطلت هذه الخدعةُ الإنجليزية على الهنود ، فتطوّع كثيرٌ منهم ، ودخلوا في صفٍّ واحدٍ مع الإنجليز لضرب الألمان ولإنقاذ الخلافة ، ويُضيف الدكتور إحسان حقي قائلاً : « وقد رأيتُ أنا شخصياً أناساً عقلاء متعلمين قالوا لي : أنهم تطوّعوا في الجيش الإنجليزي لنصرة دولة الخلافة »[2] .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى كانت المفاوضات السِّرِّية بين الحلفاء مستمرةً لتقسيم ممتلكات دولة الخلافة بعد انتصارهم عليها وعلى ألمانيا ، كما قام الإنجليز باستمالة الشريف حسين(شريف مكة المكرمة) بعد مراسلات جرت بينه وبين مكماهون (Macmahon) المعتمد البريطاني في القاهرة ، وعُرِفت تلك المراسلات بمراسلات (حسين ـ مكماهون)[3] . وتعهد الإنجليز للشريف حسين بتعيينه ملكاً على الوطن العربي مِن حَلَب شمالاً حتى عَدَن جنوباً ، ومن الخليج العربي شرقاً حتى البحر الأبيض المتوسط غرباً ، كما تعهد الإنجليز بالاعتراف به خليفة للمسلمين إذا قام بثورة على الدولة العثمانية ، فقام الشريف حسين بثورته على الأتراك عام ١٩١٦م.

ونجح الإنجليزُ في الحرب العالمية الأولى ولكنهم لم يعيِّنوا الشريف حسين ملكاً على البلاد العربية بل خدعوه ؛ لأنهم كانوا قد قسَّموا أملاك الدولة العثمانية في الوطن العربي بينهم في اتفاقيةٍ سِرِّيةٍ عُرفت باتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م ، حيث حصلت بريطانيا بموجبها على العراق والأردن ، وحصلت فرنسا على سوريا ولبنان وقرروا أن تكون فلسطين دولية ، وأن يتم تعيين الشريف حسين ملكاً على الحجاز فقط .

وفى هذه الأثناء انتهت الحربُ العالمية الأولى ، وانتصر الإنجليز والحلفاء ، وتحطمت دولة الخلافة ـ وبدأ الاستعمارُ في تفتيت أراضي الدولة العثمانية ، وأصبح

---

(١) تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية : للدكتور إحسان حقي ، ص (٣٢٦)

(٢) المرجع السابق : ص (٣٢٦) .

(٣) يقظة العرب : لجورج أنطونيوس ، نقلاً عن « المسلمون الهنود وقضية فلسطين » ص(٧٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

مركز الخلافة حرجاً لأنه بذلك سيخضع للمستعمرين الذين سيتحكمون بهذا المنصب الديني . وقد انفطرت قلوبُ المسلمين ، وتقطرتْ دماً على هزيمة دولة الخلافة ، وإحراج مركز الخليفة .

يقول العلاَّمة أبو الحسن الندوي عن نكبة المسلمين ودولة الخلافة في الحرب العالمية الأولى التي انتهت عام ١٩١٨م :

« كان العالمُ الإسلامي كلُّه قَلِقاً بعد الحرب العالمية الأولى ، ولكنَّ أثرَ هذه النكبة كان أعمق وأقوى على مسلمي الهند من سائر المسلمين في أنحاء العالم ، فتظاهروا باضطرابهم القلبي والفكري ، وفي نفس هذا الوقت قامت « حركة الخلافة في الهند » عام ١٩١٩م ، التي تُعَدُّ كبرى الحركات الدينية والسياسية في هذا القرن ، وهزت الهند كلها بقيادة العلماء المسلمين وقادتهم ، كان في مقدمتهم وعلى رأسهم : الشيخ عبد الباري الفِرَنْجِي مَحَلِّي ، وشيخ الهند مولانا محمود حسن الدِّيُوبَنْدِي ، ومولانا أبو الكلام آزاد ، والزعيم مولانا محمد علي جوهر ، وأخوه مولانا شوكت علي ، ومولانا ظفر علي خان وغيرهم من العلماء والقادة الذين يندر نظيرُهم في العالم الإسلامي كلِّه في قوة الشخصية والغيرة الإسلامية والحماس الخطابي ، وبهذه المناسبة سالت قلوبُ المسلمين دماً ، وتفجر شعورهم كالبركان ، إن هذه الحركة العملاقة أنشأت في الهند كلِّها ـ في المسلمين وغيرهم ـ وعياً سياسياً ، وكراهية شديدة للسلطة الغربية ، والحضارة الغربية ، حتى إن الزعيم غَانْدِي أيَّد هذه الحركةَ تأييداً كلياً وقام مع زعمائها بجولات واسعة على مستوى عموم الهند »[1] .

وتُعَدُّ حركة الخلافة في الهند دلالةً على أن الخلافة لم تضعف ، ولم تمت رغم هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العظمى ، وأن المسلمين في العالم وخاصة الهند يؤيدون الخلافة ، لذا تأسَّست في الهند حركة إسلامية هي جمعية الخلافة، غايتها إحياء مركز الخلافة ، والحفاظ على منصب الخليفة ؛ لأنه هو الجامع لشمل المسلمين ؛ ولأن دولة الخلافة تقاتل دفاعاً عن الإسلام ومن أجل إعلاء كلمة الدين .

وأخذ قادةٌ مسلمون على عاتقهم الدفاع عن دولة الإسلام والمسلمين ـ دولة الخلافة ـ والدفاع عن الأماكن المقدَّسة في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وبيت

---

(١) محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة : (٢/ ٣٧٤) طبع دار ابن كثير ، دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

المقدس ، ومن أشهر هؤلاء الهنود : مولانا محمد علي ، وأخوه شوكت علي ، اللَّذان كانا من أهمّ العاملين على تأسيس جمعية الخلافة ، وكانا يقصدان عدا عن إحياء الخلافة طرد الإنجليز من الهند ، ثم الاستقلال ضمن إطار إسلامي ؛ لأن الهنادكة كانوا بالتعاون مع الإنجليز يحبطون كلَّ عمل وطني إسلامي[1] .

وقد برز من الشُّعراء الهنود في الدفاع عن الخليفة وعن الخلافة الشاعر الإسلامي الهندي المشهور : الدكتور محمد إقبال ، الذي كان شِعْرُه يفيض شعرَه حماساً وحيوية ، وهو باعث قوي للإيمان والإباء بين الشباب المسلم والطبقة المثقَّفة[2] .

بعد أن انهزمتْ تركيا في الحرب العالمية الأولى ؛ قام اليُونانيون بمساعدة الإنجليز لهم باحتلال مناطق تركية على الساحل التركي ، وسيطروا على مُدن هامة منها مدينة إزمير التركية[3] ، عندئذ تحركت المشاعر التركية لمحاولة الدفاع عن الأراضي التركية ، فظهر ضابطٌ تركيٌّ هو مصطفى كمال أتاتورك وتحدَّى الجيشَ اليوناني وسار بفرقة تركية ، وطرد الجيش اليوناني من إزمير عام ١٩٢١م، فلمع اسمه وذاع صِيته ، وازدادت شهرته في تركيا وفي العالم الإسلامي قاطبة . وفرح المسلمون في العالم نتيجة النصر العسكري الذي أحرزه أتاتورك على الجيش اليوناني ، وظنَّ المسلمون: أن أتاتورك سيُعيد مجدَ المسلمين ومركز الخلافة من جديد ، وأنه سينقذهم من أعدائهم الغزاة الإنجليز والفرنسيين والطليان والروس وغيرهم من أمم الغرب الطامعة التي ذاق منها العالم الإسلامي ويلات الاستعمار[4] . وكانت الانتصارات التي حقَّقها أتاتورك على اليونانيين قد أثلجت صدور المسلمين الهنود ، ورفعت اسم الأتراك عالياً بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى .

وقال أميرُ الشعراء أحمد شوقي مادحاً أتاتورك نتيجة انتصاراته :

الله أكبر كم في الفتح من عجبٍ يا خالدَ الترك جدِّد خالدَ العرب

---

(١) تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية : ص (٣٣٠) .

(٢) باكستان في ماضيها وحاضرها : للدكتور عبد الحميد البطريق ، ص (٣٨) .

(٣) تقع اليوم على بحر إيجه ، تعرَّضت في تاريخها لنكبات الزَّلزال ، ولتخريب الفتن الطائفية والحريق عام ١٨٢١ و١٩٢٢م .

(٤) الأسرار الخفية وراء الخلافة العثمانية : ص(١٥٣) في الهامش .

www.abulhasanalinadwi.org

فهكذا لَمَعَ اسم أتاتورك في العالم الإسلامي دون عِلم الشعوب الإسلامية : أن الإنجليز كانوا وراء تلك الشهرة . يقول شيخ الإسلام العلاَّمة مصطفى صَبْري ـ هو آخر من عمل في هذا المنصب (منصب شيخ الإسلام) ، في عهد الدولة العثمانية ـ : « نشطت الدعايات في رسم صورة أسطورية لمصطفى كمال أتاتورك ، ولا بأس من إلباسه ثوب البطل الإسلامي المنقذ للأمة ، وساعدت ظروف العالم الإسلامي السياسية على قبول هذه الصورة الوردية والفرح بها لظهور منقذ يعبر بالمسلمين إلى النصر الجديد بعد الذِّلة والانكسار أمام قُوى الغرب العسكرية »[1] . وتعجَّبَ شيخ الإسلام فعلاً من غفلة الشعوب الإسلامية وعدم عِلمها بما يجري وراء الكواليس ، وكان تعَجُّبُه ؛ لأنَّ المسلمين « هلَّلوا لأتاتورك لانتصاره الظاهري على إنجلترا وإخراج الجيش اليوناني من إزمير » وأضاف شيخ الإسلام قائلاً : « يقتضي الواجب ذرف الدموع ساخنة على ما ينتظر المسلمين من مآس »[2] ، أي إلغاء الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك .

أخذ أتاتورك يزاحم الخليفة في الحكم ، لذا قرَّر أتاتورك فصل الدين عن السياسة ، وأن تكون وظيفة الخليفة متعلقةً بالشؤون الدينية فقط ، وأن يكون أتاتورك الحاكم الفعلي لتركيا ، وشعر المسلمون في تركيا وخارجها ما يقصده أتاتورك من تقلُّص سلطة الخليفة .

فأعلنَ أتاتورك فصل الدين عن السياسة وإلغاء الخلافة في ٣/٣/١٩٢٤م ، وأرسل أمراً إلى حاكم استنبول يقضي بأن يُغادِر الخليفة عبد المجيد تركيا قبل الفجر ، ورحل الخليفة رغم أنفه باتجاه سويسرا ، وفرض القوانين والعادات الغربية على شعبه المسلم بالقوَّة ، وأرغم الشباب الأتراك على لبس القبعة تقليداً للأجانب ، كما ألغى الكتابة بالحروف العربية ، واستعاض عنها بالكتابة بالحروف اللاتينية[3] ، وذلك كي يبعد الأتراك عن قراءة القرآن الكريم .

---

(١) الأسرار الخفية وراء الخلافة العثمانية : ص (١١٦) .
(٢) المرجع السابق : ص (٣٢) .
(٣) المرجع السابق : ص(٢٤٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

وعندما ألغى أتاتورك الخلافة ذمَّه الشعراء وبكوا على الخلافة فقال أمير الشعراء أحمد شوقي يبكي الخلافةَ[1] :

ضَجَّتْ عليك مآذنٌ ومنابرٌ ... وبَكَتْ عليك ممالكٌ ونواح
الهندُ والِهَةٌ ومِصرُ حزينةٌ ... تبكي عليك بمدمع سَحَّاح
والشَّام تسألُ والعِراق وفَارِسٌ ... أمْحَا من الأرض الخلافةَ ماح ؟

وصف العلاَّمةُ أبو الحسن الندوي حالة المسلمين الهنود عند سماعهم نبأ إلغاء الخلافة قائلاً :

« عندما أعلن أتاتورك في ٣ مارس عام ١٩٢٤م نهاية الخلافة ؛ مادت بالمسلمين الأرض ، وأظلمت عليهم الدنيا ، وفي هذه المناسبة بالذات يقول الشاعر محمد إقبال ما معناه : « لقد شقَّ التركي الجاهل رداءَ الخلافة ، ما أشد المسلم سذاجةً وعدوه دهاءً »[2] .

فقد أصبح العالمُ الإسلامي للمرة الأولى . . منذ وفاة الرسول ﷺ بلا خلافةٍ[3] ، وتفكَّك المسلمون ، وأصبحوا بلا راعٍ .

أثر إلغاء الخلافة على العالم الإسلامي :

كان وقعُ إسقاط الخلافة الإسلامية على مسلمي العالم كلِّه ، والمسلمين في الهند شديداً ، لقد كانت عواطفُ مسلمي الهند مع حركة الخلافة وشغفهم بقضيتها تتوقَّد ، وشيجتهم الإسلامية لها ، وغيرتهم الدينية عليها حتٌّ وصوابٌ ، فقد كانت الخلافة منصباً دينياً محترماً ، والحفاظ عليها فريضةٌ من فرائض الدين ، ولم يكن المسلمون في القرون الأولى ليتصوَّروا : أن المسلمين يعيشون فترة ولو قليلة من الحياة بدون أن يكون عليهم « خليفة المسلمين » ، وأخيراً . . . قُضي على ذلك المنصب الجليل الذي

---

(١) الأسرار الخفية وراء الخلافة العثمانية : ص(١٦٥) .
(٢) انظر محاضرة العلامة الندوي بعنوان « القرن الخامس عشر الهجري الجديد في ضوء التاريخ والواقع » في كتاب « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » الجزء الثاني ، صفحة (٣٧٥) .
(٣) الأسرار الخفية وراء الخلافة العثمانية ، صفحة (١٥٩) ، نقلاً عن « المسلمون الهنود وقضية فلسطين » باختصار وتصرّف .

www.abulhasanalinadwi.org

لم يزل قائماً من بعد وفاة الرسول ﷺ في شكل من الأشكال ، وكان ذلك في ٣٠ مارس عام ١٩٢٤م (الموافق ١٣٤١هـ) ولو سُئل : أيُّ يوم أنحس وأشأم للعالم الإسلامي في تاريخ القرون الأخيرة الطويل ، فلا يسع أيَّ مؤرِّخٍ بصيرٍ واقعيٍّ إلا أن يقول : إنه اليوم الذي أفل فيه نجم الخلافة العثمانية ، وقد قال العلامة الشَّبْلِي النُّعْمَانِي[1] في قصيدته المعروفة التي عَنْوَنَها بـ « كارثة البلقان » يقول :

« إنَّ زوال الدولة العثمانية في الواقع زوال ملك المسلمين وملَّتهم ، فيا أيها الأحبة ؛ إلى متى التفكير في البيت والأهل والبنين » .

كان يرى العلامة الندوي سقوط الخلافة الإسلامية أكبر الأحداث التي عاصرها ، فهو يقول في ذلك : « أعتقد : أنه كان نقطةَ تحوُّلٍ في تاريخ الإسلام والمسلمين ، وتحوُّلاً لعجلة الحياة ؛ إذ كان له الأثر العميق في خضوع العالم لحضارة الغرب .

ومهما تكن عوامل هذا التحول فمن جرَّائه تمَّ « إسلاس قيادة المسلم للغرب ، حيث لا يزال العالم الإسلامي يقاسي تبعته ، ثم كانت الأحداث القاسية التي واجهتها الأمة الإسلامية نتيجة لهذا الحدث المؤلم ، فالحركة الكمالية والثورة . . إنما تستمدَّان جذورهما من الأرضية التي خلفها المستعمر ، فاعتبرها امتداداً لهذه المؤامرة »[2] .

(٢) الاحتلال الصهيوني لفلسطين

وبعد إسقاط الخلافة الإسلامية كان من أخطر الأحداث التي واجهتها الأمَّةُ الإسلامية والعربية الاحتلالَ الصهيوني لفلسطين ، حيث أُعلِن وعد بلفور سنة ١٩١٧م ، وبعد الحرب العالمية الثانية قامت إسرائيل في ظهر العالم الإسلامي عام ١٩٤٨م .

يقول الكاتب الإسلامي الكبير الأُستاذ أنور الجندي تعليقاً على هذه الكارثة : « ولا شكَّ كانت الأزمة الإسرائيلية من أخطر العوامل التي واجهت العالمَ الإسلامي والأمة العربية على مختلف المستويات الثقافية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وكان لها أثرٌ و دويٌّ أيقظ النفسَ العربية الغافلة وحرَّكها في مواجهة خطرٍ

---

(١) انظر ترجمته في الباب السادس ، الفصل . . . ص (٨٧٢) .

(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : للعلامة الندوي ، (٤/ ١٤) ، طبع دار ابن كثير ، دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

طامع لما يمكن أن يتمدد ، ويتسع نطاقه ، فيقضي على العروبة والإسلام جميعاً ، ويفرض في الأرض العربية والعالم الإسلامي قوةً أشدُّ خطراً من الاستعمار الغربي نفسه »[1] .

احتقرت بريطانيا شعوبَ دُول العالم الثالث ، واعتبرتهم متخلفين عن ركب الحضارة ، فاستعمرت بلادهم ، وامتصَّت خيراتهم دون الاكتراث بهذه الشعوب ؛ لعدم وجود رادعٍ يردع هذه الدولة الإستعمارية عن تصرفاتها .

فعندما سيطرت بريطانيا على بلاد الهند قرَّرت تأمين الطريق البحرية الموصِلة لشبه القارة الهندية ، فاحتلت في أوقات مختلفة البلادَ الواقعة على هذا الطريق ، فوقعت مصر ، والعراق ، وفلسطين ، والسودان ، وعَدَنْ ، وإمارات الخليج العربي ، وإيران تحت السيطرة البريطانية سنوات طويلة ، وهكذا سيطرت بجبروتها على أرض شاسعة ، وثبتت أقدامها في هذه المناطق ، كما أنها اهتمَّت بالطريق البرية الموصلة للهند والتي تبدأ من فلسطين مُروراً بالأردن ثم العراق فالخليج العربي ، وتربَّعت بريطانيا على إدارة واستعمار هذه المناطق ، وامتصت خيرات البلاد دون أن يحاسبها أحدٌ .

ولكن في فلسطين اتَّبعت بريطانيا أسلوباً أقسى ممَّا اتبعته في غيرها من المستعمرات الأخرى ، حيث زرعت شعباً غريباً في فلسطين وذلك لحماية قناة السويس ؛ لأن بريطانيا تعلم عِلم اليقين : أن اليهود آلة مُطيعة للإنجليز ، يستطيعون حماية القناة للاستعمار الإنجليزي ، بينما المسلمون لا يقبلون أن يكونوا آلة يتحكم فيها الاستعمار . وهكذا زرعت بريطانيا إسفيناً في قلب العالم العربي والإسلامي بخلق كيان صهيوني في فلسطين ، وما زال الجرح يدمي من هذا الإسفين ولا يعلم أحداً إلا الله سبحانه وتعالى إلى متى هذا النزيف ، ومتى يتم تحرير فلسطين ؟ .

ولكن حمداً لله إنَّ الله وهب لفلسطين زمن الانتداب البريطاني زعيماً فلسطينياً استطاع أن يهزَّ كيان الإستعمار البريطاني وهو الحاجُّ أمين الحسيني (مفتي القدس) ـ الذي كان على الدوام يدقُّ أجراس الخطر لزعماء العالم الإسلامي شارحاً لهم الخطر المحدِق بالمسجد الأقصى المبارك وبفلسطين . كما استطاع توجيه أنظار شعوب العالم

---

(١) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي : ص (٣١) .

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامي نحو المسجد الأقصى المبارك قبلة المسلمين الأولى ، فأعطى صورة صادقة للمسلمين في العالم عن الأخطار التي تتهدَّد الأقصى ، وحذر أنه إذا لم تتوجه القلوب للدفاع عنه ؛ فسوف يفقده المسلمون كما فقدوا الأندلس ، وإذا فقده المسلمون فإن مكة والمدينة المنورة ستكونان في خطر .

موقف مسلمي الهند ضدَّ الاحتلال الصهيوني :

وهَبَ الله سبحانه وتعالى للمسلمين الهنود زعماء استجابوا لنداء أخيهم مفتي القدس ، مثلُ نابغة الدهر ، شاعر الإسلام : الدكتور محمد إقبال ، ومولانا شوكت علي ، وأخيه محمد علي ، وأمير حيدر أباد نظام عثمان علي خان وغيرهم كثيرون ، فقدَّموا الدعم المادي والمعنوي للحفاظ على فلسطين عربية إسلامية ، كما هددوا الإنجليز بالعصيان المدني وعدم دفع الضرائب إذا لم تتحقق المطالب الفلسطينية ، وهذه أعمال تؤثِّر كثيراً على الحكم الإنجليزي في الهند ، ومن المعروف أن المطالب الفلسطينية كانت : وقف الهجرة اليهودية لفلسطين ، وعدم بيع الأراضي ، وإعطاء الاستقلال التام لفلسطين[1] .

استعمَلَ المسلمون الهنود نفوذَهم السياسي والاقتصادي للدفاع عن القضية الفلسطينية في مجلس العموم ومجلس اللوردات في بريطانيا ، وأصبح الموقف الإنجليزي (المؤيِّد للصهيونية) حَرِجاً في شبه القارة الهندية ، خاصة أثناء الأزمات التي كانت تمرُّ بها فلسطين زمن الانتداب البريطاني و واعترف الإنجليز في الهند : أن موقفهم صعب للغاية بسبب التأييد المطلق من المسلمين في الهند لإخوانهم المسلمين في فلسطين ، وحاولوا قطعَ الصلة بين البلدين ، ولكن دُون جدوى[2] .

فإنَّ من المناسب أن نُشير هنا إلى أن هذا الموقف كان موقف المسلمين في شبه القارة الهندية قبل تقسيمها إلى دولتين عام ١٩٤٧م وبعده . ويمكن للباحثين العودة إلى المؤتمرات التي عقدها مسلمو الهند ـ وهم ما يزالون يرزحون تحت الاحتلال البريطاني ـ والقرارات والإجراءات التي اتخذوها ، والمطالب التي تقدّمت بها وفودُهم للحاكم العام البريطاني في الهند بشأن القضية الفلسطينية، وعرب فلسطين ، وأشير هُنا فقط إلى

---

(١) المسلمون الهنود وقضية فلسطين : للدكتور تيسير الجبارة ، ص (١٠) .
(٢) المرجع السابق : ص (١٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

(مؤتمر فلسطين العام لبلاد الهند) الذي افتتح بعد صلاة الجمعة في ١٢ شعبان ١٣٦٦هـ / ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٣٦م (وكانت جمعية العلماء بدلهي ـ العاصمة ـ تستعد لهذا المؤتمر ، وتندب الناس إليه من نحو شهرين[١] ، وذلك صدى وتجاوباً مع الإضراب الذي بدأته فلسطين في نيسان ـ إبريل من هذا العام . وقد لبّاه مئتان وخمسون مندوباً من زعماء وعلماء وأعيان من جميع أنحاء الهند ومختلف أقطارها) وقد اكتظّت ساحة المؤتمر بعد ظهر الجمعة المذكورة بنحو عشرين ألفاً . ورأس المؤتمر الذي توالت جلساته ثلاثة أيام العلامة الجليل السيد سليمان الندوي[٢] . الذي ألقى فيه خطبةً مطوّلة قيّمة[٣] .

وقد اتّخذ المؤتمرُ جملةً من القرارات ، وأوجب على (مسلمي الهند أن يتخذوا ضدَّ بريطانيا وسائل فعّالة بعد أن علموا : أن الوسائل والاحتجاجات الشفهية والكتابية لا تفيد شيئاً) وقد عُدِّد من هذه الوسائل ما يلي :

١ ـ « يجب على كلِّ مسلم ألاَّ يشترك مع السلطة البريطانية في أيِّ عملٍ حربي ، أو يقدِّم لها أيَّ إعانة كانت .

٢ ـ يمتنع كلُّ مسلم عن الاشتراك في حفلة تتويج الملك (البريطاني) .

٣ ـ يتحتَّم على المسلمين مقاطعة المصنوعات البريطانية تماماً » .

وقد تمَّ تعيينُ لجنة تنفيذية من أكثر من أربعين شخصية بارزة « لتنفيذ هذه المقررات ، وتحضير البرامج اللازمة »[٤] .

واعترف الإنجليزُ أن الضغط الهندي عليهم في شبه القارة الهندية كان ناجحاً

---

(١) انظر مجلة (الفتح) التي كان يصدرها في القاهرة الأستاذ المجاهد السيد محب الدين الخطيب ، العدد (٥٢٦) في ١٩ رمضان ١٣٥٥هـ ، العام الحادي عشر ، ص ٦١٢ ـ ٦١٥ .

(٢) انظر ترجمته في الباب السادس ، الفصل . . . ص (٨٧٧) .

(٣) انظر نص هذا الخطاب الجامع في العدد المذكور وفي العددين التاليين : الصفحات ٦٤٦ ـ ٦٤٨ و ٦٧٠ ـ ٦٧٢ من العام المشار إليه ؛ وانظر في أعداد هذا العام أيضاً ـ على سبيل المثال ـ مذكرة مسلمي الهند إلى الحكومة البريطانية ، ص ٦٢٩ ـ ٦٢٢ ؛ ومقالة الأستاذ محمد علي الطاهر بعنوان : « من مسلمي فلسطين إلى مسلمي الهند » ، ص ٦٦٦ ، ٦٦٨ .

(٤) انظر مقدمة الدكتور عدنان زرزور « لرجال الفكر والدعوة في الإسلام » للعلامة الندوي ، الجزء الأول ، صفحة (٧ ـ ٨) طبعة دار القلم بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

ومؤثراً ، وبحث مجلس العموم البريطاني ، وكذلك مجلس اللوردات في كيفية التصدي للمسلمين الهنود الذين يدعمون فلسطين . ولكن وزارة المستعمرات اضطرَّت في نهاية الأمر للخضوع إلى طلبات المسلمين الهنود ، فأصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الذي ينصُّ على إعطاء الاستقلال التام لفلسطين عام ١٩٣٩م وذلك بعد فترة انتقالية لمدة عشر سنوات تصبح بعدها فلسطين دولةً مستقلةً ذات سيادة . ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية وغدر الإنجليز وقفا حائلاً دون تنفيذ بنود الكتاب الأبيض فلم تحصل فلسطين على الاستقلال حتى الآن .

واعتبر المسلمون الهنود : أنَّ أيَّ اعتداء على أيِّ قطرٍ إسلاميٍّ هو عدوانٌ على جميع الشعوب الإسلامية ، لذا يجب التصدّي للعدوان وحماية القطر المغلوب على أمره ، ولن يتم ذلك إلا بالوحدة الإسلامية .

وصف العلامةُ أبو الحسن الندوي[1] شعبَ فلسطين بعد النكبة قائلاً : « رأيتُ المسلمين ـ أهل فلسطين ـ كغرباء وأيتام لا يشعرون بكرامة ، ولا يثقون بمستقبل ، قلوبهم منكسرة ، ورؤوسهم منكَّسة . . ولم أجلس إلى أحد إلا وجدته منكسر الخاطر جريح النفس يحكي حكايات تدمع العين ، وتحزن القلب ، وينتقد ملوك العرب وقادة البلاد » وكأن فلسطين الإسلامية كهلا تنشد بلسان الحال :

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني ... بها كبداً ليست بذاتِ قروح ؟
أَبَاها عليّ الناسُ لا يشترونها ... ومن يشتري ذا عِلَّةٍ بصحيح ؟

وهذا وَصْفٌ حيٌّ صحيحٌ وصفه العلامة الندوي حالة إخواننا المسلمين في الهند عند سماعهم نبأ هزيمة العرب عام ١٩٦٧م في حربهم مع اليهود قائلاً : « لقد لبست الهندُ الإسلامية ـ ككلِّ بلدٍ يسكنه المسلمون في عدد كبير ثوبَ الحداد ، وغرقت في بحر الأسى والحزن والخجل ، ولا يزال حديث فلسطين وحديث المسجد الأقصى وحديث كارثة العالم العربي بصفة عامة يشغل أكبر جزء من الصحف والمجلات الإسلامية ، ويبحث الكتاب الكبار عن أسباب هذه النكبة في عمق ودقَّة »[2] .

---

(١) في كتابه « مذكرات سائح في الشرق العربي » ص (٢٥٤ و٢٥٥) ، طبع دار ابن كثير ، دمشق .
(٢) مذكِّرات سائح في الشرق العربي : ص (٢٥٤ ـ ٢٥٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

وذكر في كتابه « الملوك وقضية فلسطين »[1] روايةً رَوَاها له رجلٌ فلسطينيٌ مشهورٌ عن كيفية ضياع فلسطين ، واستنتج العلاَّمة الندوي من حديثه قائلاً :

« إنَّ قضية فلسطين كانت مسرحية قد أخرجها الإنجليز ، وأصدقاؤهم من قبل ، ولم يكن فيها جِدٌّ ولا حرب ، إنما كانت خطة مدبرة وأمراً مبيتاً ، وكان الممثلون فيها ملوك العرب وقادتهم . . وعرفت : أن كلوب (J. B. Globb) الإنجليزي لم يكن وكيل مصلحة الإنجليز فحسب بل كان وكيل اليهود أيضاً ، وكان في بعض الأحيان يؤخِّر الجيوش العربية ، أو يقف دونها حتى يأتي اليهود ، ويأخذوا المكانَ » .

واحتراماً لما قدَّمه المسلمون الهنود لفلسطين ، واعترافاً بالجميل فقد طلب مفتي القدس من مولانا شوكت علي ـ رئيس جمعية الخلافة ـ دفنَ أخيه مولانا محمد علي ـ الذي توفِّي بلندن ـ في القدس في ساحة المسجد الأقصى المبارك . واستجاب مولانا شوكت علي لطلب المفتي ، ودفن المرحوم في القدس ، وهكذا أصبح ضريحُ الزعيم الهندي المسلم أمانة في أعناق ملايين المسلمين في فلسطين ، ويكفي فخراً لهذا المرحوم الهندي : أنه في كل أسبوع يدخل المسجد الأقصى المبارك الآلاف من المصلِّين فيمرُّون قرب الضريح ويقرؤون الفاتحة على روحه الطاهرة .

تحدَّث العلامةُ الندوي عن بعض الفتن التي انفجرتْ فيما بعد ، كـ : « احتلال إسرائيل لفلسطين » تلك كارثة إسقاط الخلافة الإسلامية ، فيقول : « إن الحروب التي تلت هذه المأساة الإنسانية غزو الفكر الغربي للأمة الإسلامية ، وجرأة الحاقدين عليها ، إنما حصلت بسبب من رجحان كفة ميزان القوة ، وانسحاب المسلمين من معترك الحياة ، وقد امتدت هذه المؤامرة التي اقتلعت جذورَ الوحدة المتأصلة في قلب العالم الإسلامي ، إلى العهود الأخيرة وكان يوم احتلال اليهود القدس ، وزحف القوّات الصهيونية إلى الضفة الشرقية للقناة ، أحلك يوم في حياتي ، لقد تحققت المهزلة ، وبلغت المؤامرة ذروتها ، وقد بحثتُ ذلك في مؤلفاتي[2] ، وأوضحتُ الأسبابَ التي تمخضت عنها المأساة الإسلامية الكبرى بعد سقوط الخلافة ، بإبعاد

---

(١) المسلمون وقضية فِلسطين : طبع دار عرفات ، الهند .

(٢) مثل « المسلون وقضية فلسطين » و« الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية » .

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام ورابطته عن الحياة ، والاستخفاف بقيمه ومظاهره ، وقمع العاملين في سبيله ، وإني أَعُدُّ هذه الفترة من أحرج الفترات التي عشتُها ، وقد دعمت هذه الأحداث إيماني بأن الإسلام لا بدّ أن يتولّى الزمام لإنقاذ العرب والعالم ، لأن الحلَّ الوحيد لمأساة الإنسان يكمن في تحوُّل قيادة العالم إلى أَيْدٍ مؤمنة بقيم الإنسانية ، أمة وسطاً لتكون شاهدة على الناس ، كما يصفها كتاب الله » .

يرى العلامةُ أن تحرير فلسطين لن يتمَّ إلا بالوحدة الإسلامية ، يقول عن هذا الموضوع تحت شعار نداء العرب :

« قُوموا لتَحمِلوا الدعوة الإسلامية إلى الآفاق . . العالم يتطلَّع إليكم أيها العرب ! ليس من المعقول أن يحترمكم إنسان في الهند وفي باكستان وفي تركيا وفي أندونيسيا بمجرد القومية العربية ، ولكن من المعقول جداً أن يحترمكم لإسلامكم ، ولإيمانكم ، ولحرصكم على الهداية ، ولأخذكم بيد الضعيف ، وتمسُّككم بالدعوة الإسلامية .

إنَّ العالم الإسلامي قد فتح ذراعيه ليعانقكم، ويضمكم إلى صدره كما ضمَّكم إلى صدره قبل قرون . إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خرجتم تحملون مشعل الدعوة الإسلامية، وفتحت لكم الهند صدرَها ، وفُتِحت لكم أفغانستان وإيران وسمرقند وبخارى . . إنما خضعوا لمعجزة الإسلام . . خضعوا لفضل المساواة التي كُنتم تُعاملون بها الأمم والأفراد »[1] .

. . .

والآن . . . من حقِّ القارىء أن يتساءل « كيف عدَّ العلامة الندوي سقوطَ الخلافة الإسلامية، وبعده زرع إسرائيل شوكةً في ظهر العالم الإسلامي ، فنتج عن ذلك احتلالها لفلسطين من أكبر الحوادث في حياته ، وهو لم يتجاوز بعد العاشرة من عمره عندما وقعت هذه الحوادث المشؤومة متعاقبةً .

والجوابُ على ذلك بالنسبة إلى العلامة الندوي ـ كما يقول فقيدُ الأدب الإسلامي ، الشاعر المفكِّر الأستاذ محمد المجذوب ـ : أنه يقيس الحوادثَ على مجريات الأحداث التاريخية ، التي شهدتها الحقبة الممتدة حتى أيامنا هذه ، فلا يرى أكبر منها في سائر الوقائع العالمية .

---

(١) المسلمون الهنود وقضية فلسطين : ص (١٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

ثم إنَّ لتقويم العلاَّمة هذا الحدث ـ حدث سقوط الخلافة ـ على هذا الوجه علاقةً هامة بموقف مسلمي الهند أثناء ذلك من موضوع الخلافة ، فالمعروف : أن هؤلاء كانوا أشدَّ مسلمي العالم حرصاً على بقائها ، ودفاعاً عنها ، وألماً عليها ، وقد وَصَلَ بهم ذلك الحرص إلى حدٍّ أن الإنجليز وهم المسيطرون على أرجاء الهند ، قد عجزوا أنَّ يجدوا في مسلميها من يقبل التطوع في صفوفهم لقِتال الدولة العثمانية أثناء الحرب الكونية الأولى ، لأنها في يقينهم تمثل الخلافة التي لا يجوز لمسلم الخروج عليها ، حتى اضطرَّ الإنجليز لتوسيط زعماء العرب ـ الّذين استباحوا التحالف معهم ضدَّ الخلافة ـ لإقناعهم بما يُريدون ، فلم يجدوا منهم إلاّ الصدَّ والنقد وتوجيه أخطر الاتهام ، فعادوا من وساطتهم تلك مخفقين بخفي حنين .

فمِن الطبيعي إذاً . . . أن ينشأ كلُّ مسلمٍ هنديٍّ عَاصَرَ تلك المأساة على هذا النحو من الشعور بهَولها ، وفداحة خطبها ، ونتائج واقعها البعيدة ، فكيف إذا كان مثل هذا الفتى الناشىء في أشد بيئات المسلمين الهنود إحساساً بتلك الفاجعة ! . .

وجاءت الأحداثُ تترى في أعقاب هذه المحنة ، فإذا هي أرزاء متلاحقة تدمِّر كل رابطة بين المسلمين ، حتى لتحيل الأسرة الواحدة أحزاباً وشيعاً ، كلُّ حزب بما لديهم فرِحون[1] ! .

* * *

(١) علماء ومفكِّرون عرفتُهم : (١/ ١٣٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

ب ـ الحالة العلمية

التعليم :

أدرك الاحتلالُ الغربي بمكرِه ودهائه : أنَّ أسلوب الحملات العسكرية والاستيلاء على الشُّعوب بقوة السلاح أسلوبٌ لا يصل إلى النتيجة المطلوبة ، وهي خضوع البلاد المستعمرة خضوعاً تاماً ، فحمل معه هذه المرَّة أسلوباً منظَّماً وشاملاً لصبغ هذه البلاد صبغة غربية في كل شيء . وكان التعليم هو المنطلق الأول والأساسي للغزو الثقافي وتغريب المجتمعات ، وبالرغم من أن الخطة موزعة الأطراف على مختلف ميادين الثقافة والفكر والأدب والصحافة ، إلا أنها تحظى بتركيز شديد على « التعليم » : ذلك أن التعليم كان هو المنطلق الحقيقي لخطة الغزو الثقافي ، وما زال وسيظلُّ إلى وقت طويل ، ما لم يتدارك المسؤولون المسلمون هذا الخطر ، ويعملوا على إيقاف السيطرة الأجنبية الواضحة الأثر على التعليم في مختلف مجالاته ومختلف بيئاته)[1] .

هذا وقد سلَكَ الاحتلالُ الغربي الثقافي طُرقاً شتىَ في تطويق وتطويع التعليم لسياساته ، وليتم له ما يريد : من تحطيم عقيدة الأمة ، وقيمها ، وإذابة شخصية المتعلم ، وتكوينها من جديد .

نجملها فيما يلي[2] :

١ ـ البعثات إلى الغرب .

٢ ـ تأسيس المدارس التبشيرية الأجنبية .

٣ ـ إحداث الثنوية في التعليم ، بجعل التعليم قسمين : التعليم الديني ، والتعليم العلماني الحديث . وكانت نتيجة هذه المحاولات التي أنفق عليها الغرب جهوداً

---

(١) أهداف التغريب في العالم الإسلامي : للأستاذ أنور الجندي ، ص (٩٥ ـ ٩٦) .

(٢) انظر للتفصيل كتاب : « الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا » للدكتور يوسف القرضاوي ، ص (٢٢ ـ ٢٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

وإمكانات ضخمة ما يصوِّره العلاَّمة الندوي قائلاً : « لقد جرف تيَّار نظام التعليم الغربي الشبابَ الإسلامي في البلاد العربية والعجمية الذين كانوا زبدة أمَّتهم وزهرة بلادهم ، وغيَّر عقليتهم إلى حد أن عقولهم أصبحت لا تستطيع أن تسيغ الإسلام الصحيح ، وأصبحوا لا يندمجون في المجتمع الإسلامي أيضاً ، ويصبحون جزءاً منه ويشير إلى ذلك محمَّد إقبال بقوله : « إنَّ سحر الإفرنج أو فنَّه أَذَابَ الصخورَ ، وأسالها ماءً »[1] .

الثقافة :

وعلى الجانب الآخر كان غَزْوُ الثقافة الإسلامية هدفاً من أهداف التغريب إلى جانب المجال التعليمي .

وفي هذا المجال العريض انطلق أئمَّةُ الكفر يغزون المسلمين غزواً مركَّزاً يستهدف هدفاً محدداً مرسوماً هو : ردة المسلمين عن دينهم إن لم يكن « بالتنصير » المباشر فبالتغريب الكامل الذي يعني فناءً مطلقاً في حضارة أوروبا خيرِها وشرِّها ، حلوِّها ومرِّها ، ما يحب منها ، وما يكره ، وما يحمد منها ، وما يُعاب »[2] .

وكان هدفُ هذه الحملة المسعورة تبديل المفاهيم الإسلامية الصحيحة ، وتكوين صورة مشوَّهة للإسلام تجعل أصحابها ترى الإسلام غير صالح لقيادة الحياة المعاصرة ، وحلِّ مشكلاتها ، وقد استخدمت في ذلك مختلف الأساليب والوسائل المؤثرة من الصحافة ، ووسائل الإعلام ، والقصص ، والروايات المُثيرة للشَّهوات ، والشُّبهات .

وكان للمؤسَّسات الإسلامية دورٌ كبيرٌ وفضلٌ عظيمٌ لا يُنكَر أثرها في الدفاع والإصلاح ، نذكر هنا من تلك المؤسسات ما هو الجدير بالذكر منها ، وهي :

١ ـ جامعة الأزهر في مصر .

٢ ـ جامعة الزيتونية في تونس .

٣ ـ جامعة القرويين ، في فاس بالمغرب .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية : ص (١٧٧) .

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام : للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ، ص (٨٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

٤ ـ دار العلوم دِيُوْبَنْد الإسلامية في الهند .

٥ ـ دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، لكهنؤ في الهند .

كان لهذه المراكز أكبرُ الأثر في تصحيح المسار ، ودفع الشبهات التي تحاك للإسلام ولغته وحضارته . ولكن الواضح : أن هذه الجهود كانت أضعف من قوة تيَّار الغرب المسيطر على زمام الأمن ، والذي عمل جاهداً على إضعاف التعليم الديني ، وعزل خِرِّيجيه عن التأثير في المجتمع أو تقلد المناصب وفي المقابل شجع التعليم المدني ، وأعلى من شأنه[1] .

الظروف الثقافية في الهند :

تركت الظروفُ التي مرَّت على العالم الإسلامي أثرَها العميق على مسلمي الهند ، فقد ألغت تركيا الخلافةَ ، وأحلت القانون الوضعي محل الشريعة الإسلامية ، ممَّا أصاب مسلمي الهند بصدمة فكرية شديدة واكبها قيام الثورة الشيوعية في روسيا ، وفصلها الدين عن المجتمع وبدأت الأفكار الشيوعية تجد لها قنوات تمضي فيها داخل عقول الشباب ، مما دفع علماء المسلمين لليقظة والنهوض والعمل من أجل حماية عقول الشباب ، فكتبوا المؤلَّفات ، ونشروا الكتبَ والأبحاث ، وحاولوا نشرَ تعاليم القرآن بين الناس ، ومن بين هؤلاء العلماء برز العلاَّمةُ سيد سليمان الندوي ، والشيخ أشرف علي التَّهَانَوِي ، وأبو الكلام آزاد ، والأستاذ عبد الماجد الدَّرْيابادِي ، والأستاذ عبد الباري الندوي ، والشيخ مناظر أحسن كِيلاني ، والشيخ عبد الحق الحقَّاني ، والشيخ شَبِّير أحمد العثماني ، وقاضي محمد سليمان وغيرهم .

فكتب العلاَّمةُ سليمان الندوي عن سيرة النبي ، وعن الشريعة الإسلامية ، والتاريخ الإسلامي ، ونَشرت مجلةُ « معارف » ـ التي أشرف عليها العلامة سليمان ـ مقالاتٍ قيمةٍ تناولت قضايا علمية على مستوى رفيع ، ونُشرتْ للعلاَّمة السيد سليمان كتبٌ قيمةٌ ، منها « خطبات مدراس »[2] و« أرض القرآن » ، و« سيرة عائشة » .

---

(١) العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي : للأستاذ أنور الجندي ، نقلاً عن « جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في مجال الدعوة الإسلامية » للأستاذ رياض عاشور ، ص(١١ ـ ١٢) .

(٢) والتي صدرت بالعربية بعنوان « الرسالة المحمدية » من دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

كما نشر الشيخ أشرف على التهانوي ـ بالإضافة إلى ترجمة معاني القرآن ـ دراسات أخرى تناولت أمور العقيدة ، وكتب مولانا أبو الكلام آزاد تفسيره للقرآن .

وكما كتب الشيخ عبد الماجد الدَّرْيابادي تفسيراً للقرآن ، و« جغرافية أرض القرآن » ، و« التمدن الإسلامي » و« مقالات ماجد » .

وكتب الشيخُ مناظر أحسن كيلاني « سوانح أبي ذر الغفاري » ، و« الحياة السياسية » للإمام أبي حنيفة ، و« تدوين الحديث » ونظام التعليم والتربية .

وفسَّرَ الشيخُ عبد الحق الحقَّاني والشيخ شبِّير أحمد العثماني القرآنَ الكريم .

وهكذا أضاف هؤلاء العلماء وغيرُهم إلى الأدب الإسلامي بمعناه الواسع ذخيرة نادرة ، وقد اتسمتْ كتاباتُهم بأسلوبها الذي يخاطب عقولَ الشباب ، ويواجه في نفس الوقت متطلبات الحياة الجديدة في ظلِّ التمسك بأصول الدين[1] .

---

(١) الأدب الأردني الإسلامي : ص(٤٨٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

ج ـ الحالة الاجتماعية

وإلى جانبِ المجال التعليمي والثقافي ، فقد كان أخطر المجالات وأسهلها : الغزوُ الاجتماعي المنظَّم الذي يستهدف إفساد الأخلاق ، وتبديل العادات والتقاليد الإسلامية بالعادات والتقاليد الغربية ، وتمزيق العلاقات الأُسرية والاجتماعية الإسلامية تحت شِعار التمدُّن والرقي . وإفساد المرأة بدعوى تحريرها ، وإشاعة الاختلاط وتيسير أسباب الجريمة .

وهذا النوعُ من الغزو (الاجتماعي) قويُّ الأثر ، سريع النتائج ، محبب إلى النفوس ، لاصق بالقلوب ؛ لاستخدامه للأدوات الحديثة ، وجلبه أسباب الرفاهية والرخاء ، واستعماله أدوات الفتنة والإغراء (من تلفاز وإذاعة وجريدة متحررة وقصص وروايات مثيرة) .

واستعملَ الغربُ في سبيل ذلك دُعَاةً وكُتَّاباً يتحمسون لفكرته ، ويدافعون عنها ، ولا يفتؤون يدعون إليها بشتى الوسائل ومختلف الصُّور .

يصفُ الدكتورُ عبد الوهاب عزَّام افتتان الناس بالحضارة الغربية وأثرها على حياتهم ، فيقول : « اجتمعت هذه الفتن كلها على الشرق ، فزلزلت إيمانه ، وحيَّرت وِجدانه ، وأزاغت بصره ، وغزت عقله وقلبه بما أخذ عليه المسالك ، فأضلَّ الشرقيون أنفسهم ، فإذا هُم أجساد تنبض بقلوب الغرب ، وتفكر بعقوله ، وإذا هم مستسلمون لكل ما تطلع به أوروبا ، منقادون لكل ما تأمرهم به ، متهافتون على كل ما اتَّصل بها ، ثم إذا هم أولاء مقلدون ، يحقرون أنفسهم وآباءهم وميراث حضارتهم ، وتاريخهم ، إلا أن تعظم أباً من آبائهم ، أو تعجب بمأثرة من مآثرهم فيعتدوا بها »[1] .

وأصبح الجَوُّ مهيَّئاً لأن تنطلق أصوات تنادي بالحرية وتحرير المرأة ومساواتها

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، للدكتور محمد حسين ، (٢/ ١٩١) .

www.abulhasanalinadwi.org

بالرجل في كل شيء ، ولم تكن المرأة يومها قضية خاصة بها ، إنما كان القصد ـ وهذا ما ظهر واضحاً ـ تحرير المرأة من الإسلام ، واستعمالها أداة للفتنة والإفساد ، وهذا مخطّط صهيوني صليبي[1] .

(١) واقعنا المعاصر : للأستاذ محمد قطب ، ص (٢٥٠ ـ ٢٩٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

د ـ الحالة الدّينية

لقد أكمَلَ الله الدينَ ، وأتمَّ النعمة ، ورضي الإسلام ديناً لأمة محمد ﷺ ، ولكن الأمة لم تحافظ على هذه النعمة ، ولم ترعها حقَّ رعايتها ، فبعد أن تحقق المجتمع المسلم الصالح ، وأثبت كفاءته في الإمامة والقيادة زمناً طويلاً ؛ إذا بالأمة تضعف صلتها بالإسلام تدريجياً ، وتنحّي الشريعة عن الحكم والتشريع في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي .

والواقعُ يشهد بأنه حدث انحدار عن المستوى السابق إلى هوةَ عميقة ، وأصبحت الفجوة واسعة ، ليس الأمر مجرد نزول عن المستوى الأعلى ، ولكنه نزول عن الحدِّ الأدنى ، حيث فسدت المفاهيم الإسلامية ، وانحرفت في حسِّ الأجيال المتأخِّرة ، بدءاً بمفهوم (لا إله إلا الله) ، التي أصبحت مجرد كلمة تقال باللسان ، والقلب عنها غافل ، والسلوك عنها بعيد ، إلى مفهوم العبادة الذي انحسر في الشعائر التعبدية تؤدَّى أو لا تؤدى ، إلى مفهوم القضاء والقدر ، الذي تحوّل إلى قوة مثبطة مخذلة إلى مفهوم الدنيا والآخرة اللتين انفصلتا وتحولتا إلى معسكرين متقابلين متعاديين ، العمل في أحدهما يؤدِّي إلى إهمال الآخر ، إلى مفهوم عمارة الأرض الذي تحول من عمارة الأرض بمقتضى منهج الله ، إلى توقف العمارة ، إلى عودة العمارة بغير منهج الله ، وأصبح الدين في النهاية صورة باهتة خاوية من الروح ، لا تستطيع أن تصمد للهجوم الوحشي الذي تدافع من كلِّ صوب للقضاء على الإسلام .

وليس معنى ذلك أن كلَّ النفوس قد تخرَّبتْ ، ولا أن التذكير لم يعد له أثرٌ على الإطلاق ، ولكننا نقصد بذلك الصورة الغالبة[1] .

وشيءٌ طبيعيٌّ أن يكون تأثير المجالات السابقة على دين الأمة وقِيمها وأخلاقها محققاً ، فتلك هي الغاية التي يعمل لها أعداء الإسلام بالليل والنهار ، فهم إن لم

---

(١) واقعنا المعاصر : للأستاذ محمد قطب ، ص (١٦٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

يستطيعوا إخراجهم من الإسلام أوهنوا صلتهم به ، وأضعفوا حميتهم له ، وشغلوهم عنه بالشهوات ، والتهافت على الدنيا تهافت الفراش على الضياء .

لكنَّنا مع ذلك لا نيأس ولا ننسى : أنَّ الله تعالى متكفِّلٌ بحفظ دينه ، وأن أعداء الله مهما فعلوا فلن يستطيعوا أن يغيِّروا قدر الله في شيء .

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [النور : ٥٧] وأن الأمة الإسلامية لم تفقد صِلتها بالإسلام تماماً ، بل لا تزال في الأمة الإسلامية مبادىء خلقية وخصائص اجتماعية ، لا يوجد لها مثيلٌ عند الأمم الكافرة . بل إن الصحوة الإسلامية آخذة في الازدهار والتقدُّم حتى يتحقق وعد الله بالتمكين والنصر[1] .

• • •

وبعد . . . . فإنَّ هذه نظراتٌ سريعةٌ وإشارات خفيفة مجملة عن وضع العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) الذي أبصر فيه العلامةُ الندوي النورَ ، ونشأ فيه كفتى ناهضٍ يرى المسلمين بين معجب بالحضارة الغربية الوافدة داعياً لأخذها بكل ما فيها ، وبين خائف منها ، منكمش عنها ، أصبح فيما بعد من كبار نقاد الحضارة الغربية وعلماء العالم الإسلامي ودعاته .

أتحدَّث في الفصل القادم عن الهند ، (وهي تلك البلد الذي وُلِد فيه العلاَّمةُ الندوي ، وعاصر أحداثها التي غيَّرت مجرى تاريخها) ، مع تسليط بعض الأضواء على أحوالها الدينية ، والعلمية ، والسياسية ، والاجتماعية .

* * *

---

(١) جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في الدعوة الإسلامية : ص (١٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

-

الفَصْلُ الثّاني

المسلمون في الهند

ماضيهم وحاضرهم

المبحث الأول : صلة الهند بالإسلام

المبحث الثاني : الهند وأحوالها المعاصرة

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

صلة الهند بالإسلام

إذا تحدَّثنا هنا عن الهند ؛ فيكون الحديثُ عن تلك الهند التي كانت تُعرف قبل انقسامها (كدولتين : الهند وباكستان) ؛ لأن الهند يُراد بها عُموماً تلك البلاد الشاسعة التي تشمل اليوم هاتين الدولتين ، والتي يحدها من الشمال سلسلة جبال الهملايا ، ومن الغرب جبال هِنْدُوكَشْ وسليمان ، (حيث تقع اليوم أفغانستان وإيران) ، ثم تمتد الهند إلى الجنوب في شبه جزيرة يقع البحر في غربها ، وخليج البنغال في شرقها ، وسَيلان في طرفها الجنوبي ، ويتجه الإقليم الشمالي منها إلى الشرق حتى جبال آسام .

الهند قبل دخول الإسلام :

تعيش في الهند أجناسٌ متعدِّدة من البشر ، وفيها مختلف ما عرفه الإنسان من فنون وآداب ، وما اعتنقه من مختلف العقائد منذ أن انحرف عن التوحيد حتى هَداه الله إليه ، وأقدم مَن سكن الهند قومٌ سودٌ لهم سمات الأجناس الحامية ، قطنوا الغابات ، ثم غزاها الدرَّاوِديون والثمول من الطورانيين أو من العراق ، وهم أقدم مَن سكن الهند في التاريخ ، ومنهم أغلب سكَّان شبه القارة الهندية اليوم ، ثم توالت موجات الآريين البيض ، فأخضعوا الدراوديين والثمول في الألف الثانية قبل الميلاد[1] .

وقد خشي البراهمةُ من الآريِّين اختلاطَ قومهم بعناصر الهند الأخرى ، فوضعوا نظاماً طبقياً صارماً ، وتطورت فكرة الهندوكية مع الوقت لتصبح فكرة فلسفية ، من أهمِّ مظاهرها وجود روح عالمية واحدة تشمل الكون والمخلوقات ، والاعتقاد في تناسخ الأرواح ونظام الطبقات ، وطبقاً للفكرة الهندوكية ، فإن المجتمع الهِنْدوسي ينقسم إلى الطبقات التالية :

١ ـ طبقة رجال الدين : البراهمة ـ أو البرهمن أو الكهان ، وهم أعلى الناس درجة .

---

(١) البلدان الإسلامية : للدكتور أحمد محمود الساداتي ، ص(٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

٢ ـ طبقة الحكَّام والمحاربين : الكشتريين ـ الذين يُشرفون على الأمور الإدارية والعسكرية من النبلاء ، وعليهم أن يتعلَّموا ويقدِّموا القرابين ويحملوا السلاح .

٣ ـ طبقة : الوَيْش ـ تشمل التجار ، وعليهم أن يتَّجروا ، ويجمعوا المال ، وينفقوا منه .

٤ ـ طبقة الشُّوْدَرْ ـ تشمل الزرَّاع والصنَّاع والعمَّال : الشودر ـ وعليهم خدمة الطوائف السابقة .

وأخيراً فهناك طبقة الباريا وهم المنبوذونَ ، وقوامهم بعض القبائل الوطنية وأسرى الحرب ، أو أصحاب المِهن الحقيرة ، فتضمُّ الكنَّاسين ، والجزَّارين ، والجلَّادين ، والحدَّادين ، ومن إليهم .

وقد أبعدوا البوذيون البراهمة ، فعمل البراهمة على تقويض صرح البوذية وأفلحوا في دحرها فاستقلت البوذيةُ إلى « بورما » و « الصين » و « التِّبَّت » و « اليابان » . كما ظهرت الديانة الجينية كثورة على النظام الطبقي داعية إلى قهر النفس ، فالحياة لعنة على زعمهم ، وعلى المرء أن يتخلص منها بنعمة الانتحار البطيء جوعاً ، وأخيراً جاء الإسلام ، لينقذ ملايين الهنود من الظلمات إلى النور ، ويخفِّف من غلواء الهندوكية .

دخول الإسلام في الهند :

إنَّ الهند من بلاد الله السعيدة ؛ التي هَبَّت عليها نفحةٌ من نفحات الإسلام في فجر تاريخه ، وأدركتها العنايةُ الإلهية في القرن الأول ، فلم تزل محطَّ رحال المسلمين من الغزاة والفاتحين ، والعلماء والصالحين ، وأُريق في ربوعها الدماء الذكية التي لم تكن لتذهب هدراً كدمِ دُرَّة البيت النبوي عبد الله بن محمد العلوي (م ١٥١ هـ) ، والمُغيْرَة بن أبي العاصي الثقفي ، وعبيد الله بن نبهان ، وأودع الإسلام ثراها ودائع لا تضيع من عظام المسلمين الكبار ، كعبد الرحمن ابن العباس الهاشمي ، وحكم بن عوانة الكلبي ، وأبي بكر ، ربيع بن صبيح السعدي (م ١٦٠ هـ) أول المؤلِّفين في الإسلام على قول بعض المؤرِّخين[1] .

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : للعلامة عبد الحي الحسني ، (١/ ٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

دخل الإسلامُ شبه القارة الهندية عن طُرق ثلاث :

أولًا : من الناحية الجغرافية ومن أهمِّها شواطىء الهند الغربية الجنوبية الواقعة على بحر العرب ، التي كانت مركز ارتياد التجار والرحال العرب منذ أقدم العصور في البلاد الهندية ، وفي طريقهم إلى جزيرة سَرَنْدِيْب (سَيْلان) وإلى الصين / وجاوا/ والملايو ، وغيرها من بلدان الشرق الأقصى ، فبدأ من هذا الطريق ظهور الإسلام في الهند عقب انبثاق فجره في جزيرة العرب ، وبدأ هذا الظهور في سواحل مَلِيْبَار في جنوبي غربي الهند بجهود فردية سلمية هادئة من التجار العرب الذين كانوا يرتادون تلك السواحل بقبس من نور الإسلام وأضاؤوا به أرجاءه ، ومن الهنود المسلمين الذين استضاؤوا بذلك النور وانشرحت صدورهم بهذه الدعوة الإلهية ، ثم أخذت تنتشر في أرجاء جنوبي شبه القارة الهندية ، واتسع نطاقها ولا تزال بلاد « مليبار » قلعة حصينة للدعوة الإسلامية ، ومركزاً هاماً للثقافة الإسلامية .

الطريق الثاني : هو مناطق السِّند الواقعة على شواطىء الهند الغربية الشمالية في بحر العرب ، حيث دخل محمد بن قاسم الثَّقفي في نحو عام ٩٢ هـ فاتحاً ، وذلك في عهد حكم الحجَّاج بن يوسف الثقفي ، هذا الطريق كان مدخل الفاتحين العرب إلى الهند ، وأن جيشاً عربياً نظامياً دخل شبه القارة الهندية فاتحاً من ناحية السند ، وقامت في شمالي شبه القارة الهندية دولة عربية إسلامية تابعة للدولة الأُموية ، ولما انتقل الحكم إلى الدولة العباسية انتقل حكم السند أيضاً إليها ، وسمَّى العرب عاصمة إقليم السند « المنصورة » فاستمرت هذه المدينة مركزاً هاماً للقيادة السياسية والعسكرية لحكم العرب في السند من سنة ٩٢هـ حتى ٣١٦هـ ، وكان من الطبيعي أن تصبح السند تحت حكم العرب مركز الإشعاع للثقافة العربية والإسلامية في شبه القارة الهندية وللعلوم والفُنون العربية العديدة التي ازدهرت في عهد الأمويين والعباسيين ، ولكن الفتوحات العربية لم تتوغَّل في داخل الأراضي الهندية ، لم تتَّعد حدود الدولة العربية أرض السند ، ومُلْتان ، وكشمير في أقصى شمال القارة الهندية .

الطريق الثالث : وأمَّا هذا الطريق فهو مناطق الحدود الشمالية الغربية المتاخمة لأفغانستان وإيران ، وأول من دخل الهند من هذا الطريق البري الجبلي الوعر ، هو السلطان المشهور محمود الغَزْنَوِي في نحو سنة ٣٩٢هـ (الموافق ١٠٠١م) ، ونذر نفسَه للجهاد في سبيل الله والقضاء على الشرك وتحطيم الأصنام ، وإليه يعود الفضل

www.abulhasanalinadwi.org

الكبير في نشر الإسلام في تلك الأصقاع ، وقد فتح « قِنُّوج »[1] و « غُجْرَات »[2] وهدم معبدَ « سُوْمَنات »[3] بعد فَتْحها ، وبعد وفاته خلفه ابنه سعود الغزنوي ، وفي أيامه فُتحت « بَنَارَسْ » ، ولكن الاختلاف ساد البلاد رغم بقاء السلاطين الغزنويين في الحكم حتى عام ٥٥٥هـ (١١٦٢م) ، حيث خلفهم الغَوْرِيُّوْنَ ـ الذين وصلوا البَنْغَال ـ وحكم منهم محمد الغوري فقط ، ولم يترك وريثاً ، فخلفه مملوكه قطب الدين أَيْبَكْ ، الذي بني في عهده المساجد ، ورفع شأنَ الإسلام .

واستقلَّ الخَلْجِيُّون في البنغال ، وأراد أحدُ حكَّامهم وهو علاء الدين الخلجي أن ينظِّم ديناً جديداً يُساعده في قواده ، وبذلك يستمرُّ حكمه ، فوقف في وجهه (آل تغلق) الذين حكموا البلاد ، وأحيوا تعاليم الإسلام ، وكان من أفضل حكّامهم غياث الدين بَلْبَنْ الذي انتشرت في أيامه تعاليم الإسلام ، وفي عهده وصل إلى هذه البلاد الرحالة ابنُ بطوطة .

ثم حكم بعد (أَيْبَكْ) صهرُه ومملوكه (أَلْتَمَشْ) الذي كان من آثاره « منارة قطب » في دهلي ، وخلفته ابنته (رَضِية) وابنه (بَهْرَام شَاه) وفي هذه الأيام بدأ المُغُوْل يُغيرون على الهند .

وصل المغولُ إلى الهند بقيادة بَابَرْ تيمور عام ٨٠١هـ (١٣٩٨م) فانتشرت الفوضى وساد الاضطراب ، ثم قام اللُّودِهِيُّوْنَ بحكم البلاد ، وكان منهم نظام خان إسكندر شاه اللُّودهي الذي نشر الإسلام في البلاد ، ثم عاد المغول من جديد ، وقتلوا آخر مُلوك اللودهيين في ٩٣٢هـ (١٥٢٦م) ، واستقرَّ لهم الأمر .

وكان المغولُ حديثي عهد بالإسلام فكان منهم الملوك الصالحون ، ومنهم المفسدون ، وأراد بعض ملوكهم وهو (أكبر) أن يضع ديناً جديداً مشتقاً من وثنية الهندوسية ومن مبادىء الإسلام ، تقرُّباً من الهندوس ، فتزوَّج بناتَ أحد أمراء البراهميين ، وأحَلّ الخمر والقمار ، ومنع ذبح البقرة وأمر بالسجود للملك ، وقام في

---

(١) قِنُّوج : مدينة تقع اليوم على نهر الغانج بين مدينتي : « آغْرا » و« بَنَارَسْ » .
(٢) غُجْرات : ولاية تقع اليوم في شمالي غربي الهند قرب البحر العربي .
(٣) أُعِيد الآن بناء هذا الصنم من جديد بعد تسعة قرون من هدمه ، وذلك بعد استقلال الهند من الاستعمار البريطاني .

www.abulhasanalinadwi.org

وجهه المصلحُ العظيم المجدِّد الكبير الشيخ أحمد بن عبد الله السَّرْهِندي[1] . وخلفه ابنه (جَهَانكِيْر) في سنة ١٠١٤هـ ، فسجن الشيخ السرهندي الذي دعا السجناء إلى الإسلام فأثَّر فيهم ، فانقلب هؤلاء السجناء من جناةٍ إلى تقاةٍ ، فتأثر به الإمبراطور (جَهَانْكِيْر) لما بلغه هذا الخبر ، فاستدعاه إلى البلاط فرحَّب به ، ونصحه ، فقبل منه ، فألغى جميعَ ما كان أَصْدَر أبوه (أكبر) ، من الأوامر التي تخالف الإسلامَ ، ولا توافقه .

ثم خَلفَه أَوْرَنْغَ زَيْب (ابن جهانكير) في عام ١٠٦٨ وقد ألغى أيضاً جميع المنكرات التي أتى بها جدُّه (أكبر) ، فمنع المقامرة ، والخمر ، والبغايا ، وأبطل عملَ المنجمين ، ولكن خلفه خلفٌ أضاعوا الصَّلاة واتبعوا الشهوات ، وقام بعض المصلحين مثل الشيخ شاه ولي الله الدهلوي[2] الذي كان له ولأبناءه وأحفاده وتلاميذه أثرٌ كبيرٌ في نشر الإسلام وإحياء السنة وعلوم القرآن في عهد هؤلاء الحكام المغول الذين خُلفوا بعد أورنغ زيب .

بقيت دولة المسلمين في شبه القارة الهندية زهاء ثمانية قرون ونصف القرن دون انقطاع ، منذ أن فتحها المسلمون على يد السلطان محمود الغزنوي إلى انتهاء حكم المغول فيها بأيدي الإنجليز ، ونُفي آخر ملك مغولي ، (بَهَادُرْ شاه ظفر) في سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) إلى خارج البلاد وبذلك دخلت شبه القارة الهندية رسمياً ضمن مستعمرات الحكومة البريطانية ، وظلَّت كذلك حتى نالت استقلالها من الحكم البريطاني في أغسطس عام ١٩٤٧م ، حيث قامت في شبه القارة الهندية دولتان مستقلَّتان ، الهند ، وباكستان .

وهكذا نجد أنَّ حظَّ الإسلام في الهند كان ضعيفاً ، وذلك يعود لبعض الأسباب ، نسرد هنا الرئيسيَّ منها :

١ ـ قلَّةُ استقرار العرب في هذه البلاد أيام محمد بن قاسم الثَّقَفي ، وكذلك الذين

---

(١) اقرأ للاطلاع على دوره الإصلاحي وجهوده الدعوية الجزءَ الثالث من سلسلة العلامة أبي الحسن الندوي لـ« رجال الفكر والدعوة في الإسلام » .

(٢) اقرأ للاطلاع على جهوده الإصلاحية والدعوية الجزءَ الرابعَ من « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » للعلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

كانوا فهموا الإسلام جيِّداً ، وكان في استطاعتهم أن يُحسنوا الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة .

٢ ـ كَوْنُ المسلمين الذين استقروا في الهند واستوطنوها كانوا من حديثي العهد بالإسلام .

٣ ـ عدمُ تربية هؤلاء الهنود الذين دخلوا في الإسلام تربيةً صحيحةً من قبل أشخاص يعرفون الإسلام جيداً ، مما أدّى ذلك إلى بقاءهم على كثير من عاداتهم وتقاليدهم الوثنية .

٤ ـ عدمُ اهتمام الحكَّام المسلمين ـ الذين حكموا الهند ثمانية قرون ونصف القرن ـ بنشر الدعوة الإسلامية ، وتشجيع على من يقوم بها من الدُّعاة في عهودهم ، كان همُّهم طيلة تلك القرون الحكمَ والسيطرة ، وتشييد الأبنية الفخمة والقصور العظيمة ، وتزيين البلاد بالحدائق والبساتين وتوسيع السلطة إلى أقصى حدود البلاد .

٥ ـ الوُلوعُ الكثير والشغف الزائد بهؤلاء العلماء والمشايخ الذين هاجروا إلى هذه البلاد من بلاد ما وراء النهر بالفلسفة والمنطق أكثر من اهتمامهم بدراسة القرآن والسنة.

٦ ـ جهلُ أكثر الناس اللغة العربية ، وكانت الفارسية هي اللغة الرسمية في البلاد طيلة فترات حكم المسلمين فيها ، فكانت ألفاظ القرآن تُترجم ، والترجمة لا تُعطي في كثير من الأحيان بل معظم الأحيان الغاية المرجوة ، ولا تُؤدّي الهدف المقصود .

٧ ـ اشتغالُ الحكام بالحروب المنبثقة هنا وهناك في البلاد ، والتي لم تدعهم في الغالب أن يحفلوا بالأعراض الدينية ، وكان تفكير كثير من الحكام في فرض الضرائب أكثر من تفكيرهم في نشر الدعوة وإعلاء كلمة الله ، ورفع شأن الإسلام .

٨ ـ تركُ الحكَّام المسلمين الشعبَ حرّاً في معتقده دون تبيان الحقيقة ، لذا بقي عدد المسلمين قليلاً ، ولم يعمل المسؤولون على نشر الإسلام .

فكانت هذه الأسباب المهمة التي جَعَلت المسلمين حكَّاماً وشعوباً متقاعِسِين عن القيام بنشر الدعوة الإسلامية ، والإسلامَ منكمشاً دون التوسُّع والازدهار في هذه البلاد .

www.abulhasanalinadwi.org

نظرةٌ عابرةٌ على الدَّعوة الإسلامية في الهند :

إنَّ تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية حافلٌ بالجهود المتواصلة التي بذلها الدعاةُ في مختلف بقاع الأرض لنشر دين الله الحنيف بين الناس بتصحيح عقائدهم ، وإصلاح أمورهم ، وتثقيف نفوسهم من الخرافات، والبدع، والأهواء .

وإذا نظرنا إلى تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية نرى : أن العلماء المسلمين ، والمشايخ الصُّوفيين كانوا أعلام الهُدى ومنار الطريق طوال هذا التاريخ فيها ، فكانوا هم طليعة الدعاة الذين أضاؤوا الطريقَ لنشر الدعوة الإسلامية في ربع شبه القارة الهندية ، فبقيت هذه الدعوة تنتشر وتتطور في أرجائها بجهود فردية سلمية من هؤلاء الدعاة المسلمين ، فمنهم من وَصَلُوا إلى هذه البلاد حاملين لواء هذه الدعوة ، ثم اتَّخذوها مستقراً لهم ، ومنهم الهنود الذين تشبَّعوا بروح الدعوة الإسلامية ، وتفانوا في سبيل نشر دين الله وإعلاء كلمته .

ونذكر هنا أسماء لَبعض هؤلاء الأعلام الّذين كانوا يقومون بنشر الدعوة الإسلامية في الأراضي الهندية بعيدين عن المآرب السياسية والفتوحات العسكرية ، منهم : الشيخ معين الدين جِشْتِي الأَجْمِيْرِي (٥٣٧هـ ـ ٦٣٣هـ) والشيخ قطب الدين بَخْتِيَار الكَعْكِي (٥٨٣هـ ـ ٦٣٣هـ) والشيخ نظام الدين الدِّهلوي (٦٣٦هـ ـ ٧٢٥هـ) والشيخ نصير الدين الدهلوي (م ٧٥٧هـ) والشيخ زين الدين بن علي المَعِبْرِي المَلِيْبَارِي (٨٧٣هـ ـ ٩٢٨هـ) والشيخ أحمد السَّرْهِندي (٩٧٧هـ ـ ١٠٣٤هـ) والشيخ المحدِّث عبد الحق الدهلوي (٩٥٨هـ ـ ١٠٥٣هـ) والشيخ الإمام شاه ولي الله الدهلوي (١١١٤هـ ـ ١١٧٦هـ) صاحب كتاب « حجة الله البالغة » المعروف في الآفاق ، وحامل لواء الإصلاح في القرن الثاني عشر الهجري ، ونبغ من أبناءه وأحفاده كوكبةٌ من العلماء المجاهدين بالسيف والقلم على رأسهم وفي مقدمتهم : ابنه الشيخُ عبد العزيز الدهلوي الذي تابع عملَ أبيه في نصرة الحق وبيانه ، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد قائد حركة مقاومة الإنجليز ، ومؤسِّس أول حكومة دينية على منهاج الكتاب والسنَّة[1] ، ورفيقه الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي .

---

(١) سنتحدث عنه في هذا الفصل انظر صفحات (١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

ولم تزل ولا تزال خليةُ الإسلام في الهند تعسل ، والشجرة التي غرستها اليدُ الكريمة المخلصة ، وسقاها الصالحون من عباد الله بدموعهم ، والمجاهدون في سبيل الله بدمائهم في كل عصر تثمر وتؤتي أكلها كلَّ حين بإذن ربِّها ، وكان في الشعب الهندي المسلم في كل جيلٍ ، وفي كل عَصْر رجال أثبتوا نبوغهم ، ورجاحة عقولهم ، وذكاءهم النادر ، ومواهبهم الفريدة ، وتفوُّقهم الذهني على الشعوب الأخرى[1] .

نعم ! لا تزال الهند تنجب للعالم الإسلامي كلَّه دعاةً مخلصين وعلماء راسخين يتجمّل التاريخ الإسلامي وتاريخ الدعوة الإسلامية بجهادهم ودعوتهم ، ومصلحين ومجدِّدين يحفظ التاريخ ذكرهم وفضلهم ، ولا تزال خلية الإسلام فيها تعسل ولا يخرج منها إلا كلُّ طيب ، من أمثال العلامة المحدِّث الإمام عبد الحي اللَّكْهنَوِي ، والأمير السيد صديق حسن خان القِنُّوْجي ، والشيخ محمد قاسم النَّانُوْتَوِي (مؤسِّس « دار العلوم ديوبند الإسلامية » الشهيرة) ، والشيخ محمد علي المُوْنكِيْرِي (مؤسِّس « دار العلوم ـ ندوة العلماء ») والعلامة شبلي النعماني ، والعلامة السيد سليمان الندوي ، والعلامة السيد عبد الحي الحسني (والد العلامة الندوي) ، وشاعر الإسلام محمد إقبال ، والداعية إلى الله الكبير الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوِي ، وابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ، والمفكِّر الإسلامي الكبير الأستاذ أبو الأعلى المودودي ، والمحدِّث الفقيه المحقِّق الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، والعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي ، والأستاذ مسعود عالم الندوي ، والكاتب المفكِّر الأستاذ وحيد الدين خان ، وغيرهم كثيرٌ ممَّن يذخر بهم ويفخر تاريخ الإسلام في الهند ذاكراً مآثرهم القيِّمة وأعمالهم العظيمة برطب اللسان في حقل الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي ، وفي مجال التصنيف والتأليف .

* * *

---

(١) الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية : للدكتور محيي الدين الألوائي ، ص(٢٠٧) ، و« المسلمون في الهند » : للعلامة الندوي ، ص(١٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

أحوال الهند المعاصرة

سأتحدث في هذا القسم عن أحوال الهند المعاصرة الدينية والسياسية ، والعلمية والاجتماعية ، ولهذا الحديث صلةٌ قويَّةٌ بهذا الباب ، وهو مخصَّصٌ بعصر العلاَّمة الندوي ، والذي شاهد أحداثاً جساماً وقعت على الأمة الإسلامية ، وغيَّرت مجرى التاريخ ، وقد تحدَّثنا عن بعض تلك الأحداث في الفصل الأول ، ونتحدَّث هنا عن الأحداث التي وقعت في الهند ، وكانت لبعضها وقعٌ عظيمٌ على المسلمين ، لذا أعتذر من القارىء إذا أسهبتُ في الحديث عن بعض الأحداث ، وأطلتُ الوقوف على بعض النقاط ، ولكن الاطلاع على أحوال هذه البلاد ، وأوضاع المسلمين فيها ، والعثور على نشاطاتهم الدينية وأعمالهم العلمية بإنشاء الجامعات والمجامع مفيدٌ جداً للباحثين والدارسين المعنيِّين بشؤون وقضايا المسلمين في أنحاء العالم . وأبدأ الحديث أولاً عن الحالة الدينية في هذه البلاد .

أ ـ الحالة الدِّينية

إنَّ الهند أمَّةٌ كبيرة ، وملَّة عظيمة ، وآراءهم مختلفة ، فمنهم البراهمة ، وهُم المُنكِرون للنُّبُوَّات أصلاً ، ومنهم من يَميلُ إلى الدهر ، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية ، ويقول بملة إبراهيم عليه السلام ، وأكثرهم على مذهب الصابئة[1] ومناهجها ، فمن قائل بالرُّوحانيات ، ومن قائل بالهياكل ، ومن قائل بالأصنام ، إلاَّ أنهم مختلفون في شكل الهياكل التي ابتدعوها ، وكيفية أشكال التي وضعوها[2] . تموج الهندُ اليومَ بمختلف المِلل ، والنحل ، والمذاهب ، والحركات المتعارضة ، والأديان القديمة التي كانت موجودة قبل ميلاد المسيح وظهور الإسلام بمئات السِّنين .

---

(١) يقول الإمام الشهرستاني في كتابه الشهير « الملل والنحل » في « الصابئة » : « إنَّ الصبوة في مقابلة الحنيفية ، وفي اللغة : صبأ الرجل : إذا مَالَ وزاغَ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيفهم عن نهج الأنبياء قيل لهم : « الصابئة » .

(٢) الملل والنحل : للإمام الشهرستاني (٤/ ١٢٨٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

وأرى جديراً بأن أتحدَّث هنا بشيء من الاختصار عن أهمِّ أديان الهند القديمة والمعاصرة من الهندوسية ، والبوذية ، والجينية ، والسيخية ، واليهودية ، والمسيحية ، والقاديانية ، وفي الختام أتحدَّث عن المسلمين في الهند .

أولاً : الهندوسية :

الهندوسيةُ هي في الحقيقة مجموعة من الأفكار والآراء التي وضعها الحكماءُ الهنود القدماء ، وكذلك مجموعة من المعتقدات والعادات والتقاليد التي تولَّدت في الهند من الأوضاع والأخلاق السائدة بين سكَّانها الأصليين قبل وصول الآريين إليها ، أو ما طرأ عليها من عقائد وعادات جديدة بسبب اتصالهم بالآريين وغيرهم من الذين زحفوا إلى الهند ، في مراحل تاريخها القديم ، ودوَّنت تلك الأفكار والآراء وهذه المعتقدات والتقاليد في كتب « وِيداء » الأربعة ، فلا يَمُتُّ شيء منها إلى نبيٍّ مرسل ، ولا إلى كتاب سماويٍّ ، حتى أصبح من المستساغ أن يُطلق عليها أنها (أي : الهندوسية) دينٌ وضعيٌّ متطوِّرٌ .

أهمُّ كتبهم المقدَّسة :

١ ـ وِيدا : وهو يتألف من أربعة كتب تجمل وتجمع مبادىء الهندوسية ، فهي : « رِيجَوِيدا » (Rig veda) و « ياجورويدا » (Yajur veda) و « ساماويدا » (Sama veda) و « أَترفيدا » (Athar veda) ، وكل من هذه الفيدات الأربعة يشتمل على أربعة أجزاء هي : « سمهيتا » (Samhita) و « برهمان » (Brahman) و « أرانياك » (Aranyaka) و « أوبانيشاد » (Upanishad) وقد كتبت هذه الوِيدات الأربعة في لغة سنسكرية بالأناشيد والأغاني .

عقائدهم : عقائد الهندوسية تتمثل في تناسخ الأرواح وانتقالها ، والكارما (الجزاء) العاجل والآجل ، ووحدة الوجود ، والمنافسة الدينية ، وتعدُّد الآلهة ، والاحتفالات المقدسة ، وتنفيذ مبادىء الدين ، ويرى الكُتَّاب الهندوس : أن الثلاثة الأخيرة تمثِّل أساس الهندوسية[1] .

---

(١) يرجع للتوسُّع إلى « الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة » للدكتور رؤوف شلبي ، و « تاريخ الأديان » للدكتور محمد الزحيلي ، و « الدعوة الإسلامية وتطورها في =

www.abulhasanalinadwi.org

وهم طبقات أربع : البراهمة ، الكاشْتَر ، والوِيش ، والشُّودَر ـ وهم المنبوذون ـ وقد مرَّ تعريف هذه الطبقات في مستهلِّ الفصل الثاني من هذا الباب .

ثانياً : البُوذِيَّة :

البوذيةُ كانت إحدى الديانات ، وبعبارة أدقّ ، إحدى الاتجاهات الفكرية من الديانة الهندوسية القديمة ، ونشأت البوذية في الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، وهي منسوبة إلى المفكر الهندي « جوتام بوذا » (Gautama Buddha) ، ويرجع تاريخ ولادته حسب حساب أهل جزيرة « سيلان » إلى ٦٤٤ قبل الميلاد ، فكانت وفاته عام ٥٤٤ قبل الميلاد .

كانت البوذيةُ ردة فعل لمعارضة الهندوسية وعقائدها ، وإن كانت قد تأثرت بها ، ووجدت الدعوة البوذية منذ بدايتها أرضاً خصبةً في أرض الهند ، وتوطدت أركانها ، وترعرعت أغصانها ، وأثمرت ثمارها في عهد الإمبراطور العظيم « أشوكا » (Ashoka) .

ومِن المعلوم : أنَّ « بوذا » لم يضع كتاباً خاصاً ، أو دستوراً جامعاً واضح المعالم يحتوي على تعاليم دعوته ، ومبادىء فلسفته ، ولكنه بثَّ فلسفته بطريق الخطب التي ألقاها حيناً فآخر بين أتباعه وتلامذته ، فقام عددٌ منهم بتأليف كُتب تضمُّ القواعد والمبادىء الدينية التي بشَّر بها « بُوذا » في مواعظه ، والحكم والكلمات السديدة التي لقَّنها في مختلف المناسبات .

عقائدهم : يقول العلاَّمة أبو زهرة في كتابه « مقارنات الأديان والديانات القديمة » : « يعتقدون : أنَّ الإله حلَّ في « بوذا » ، وأنه ابن الله ، وأن ولادته أحيطت بالمعجزات ، وأنه المنقذ المعزى ، الّذي قدم نفسه فداء للخليقة من الخطايا ، وهذه المعتقدات شاعت أكثر بين أهل الشمال ، ولعلَّك تلاحظ من أول وهلة ، التوافق الكبير بين ما يعتقدونه ، وما ينحله النصارى شخصية المسيح بعد تغير النصرانية »[1] .

= الهند » للدكتور الألوائي .

(١) مقارنات الأديان والديانات القديمة : ص(٢٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

ثالثاً : الجِيْنِيَّة :

الجينيةُ هي إحدى الديانات الهندية التي قامت على الزهد والتقشف والتشدد في العيش ، والبُعد عن ملذَّات الدنيا ، عمادها الرياضات المتعبة ، والمراقبة الذهنية الشاقة، أسَّس بنيانها في القرن التاسع قبل الميلاد الحكيمُ الهندي الشهير « بارشونات » المولود في مدينة « بنارس » بالهند ، الذي قسم النظام الجيني إلى قسمين : نظام الخاصة ، ونظام العامة . ويُراد بالأوَّل : الرهبنة التامة ، والتبتُّل الكلي ، والانغماسُ في الرياضة الشاقة ، والمراقبة النفسية ، وهو النظام المختص بالرهبان والكهنة ، ويُراد بالثاني : مساعدة الرهبان في جهودهم بالأموال وغيرها ، واتباع أوامرهم والإيمان بدعوتهم ، والتمسُّك بمبدأ عدم العنف ، وساعد هذا التقسيمُ على انتشار الجينية في العامة والخاصة بطريقة ملحوظة ، ودامت هذه الفلسفةُ على هذه الحال بدون توسُّعٍ في بيانها وشرحٍ في تفاصيلها إلى زمن ظهور المبشِّر الجيني المشهور « مهاويرا » (Mahaveera) في القرن السادس قبل الميلاد ، فرفع شأنها ، ووسَّع نطاقها ، ولخَّص أصول ومبادىء هذه الفلسفة وأهدافها في الوصايا والخطب والرسائل التي وجَّهها في مختلف المناسبات أمام أتباعه .

رابعاً : السِّيْخِيَّة :

في القرن الخامس عشر للميلاد قامت في الهند طائفةٌ من المصلحين الهندوس ، وكان غرضهم إصلاح بعض العقائد والتقاليد الهندوسية القديمة مثل عبادة الأوثان ونظام الطبقات ، وتقديم القرابين للآلهة ، ومنهم « غُورونَانَك » (Guru Nanak) و « بابا كبيرداس » (Baba kabeer Dass) ومهاتما « جايتنيا » (Chitinya) وأمثالهم من الذين تأثروا بمبادىء الدعوة الإسلامية القائمة على التوحيد، والمساواة، والمحبة، والتسامح ، وكان « غورونانك » أكثرهم تأثراً بالدعوة الإسلامية ، والتفَّ حوله أتباع كثيرون حتى نشأ مذهب مستقلٌ جديد حسب مبادىء دعوته وهو المذهب السيخي ، أو الديانة السيخية (Sikhism) التي ظهرت منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي كإحدى الديانات الهندية ذات أثرٍ كبيرٍ .

وُلِد نانك سنة ١٤٦٩م ، ونشأ في المناخ الإسلامي والهندوسي ، ويُدعى «غُورو» أي : المعلِّم ، درس علوم الدين ، وتنقَّل في البلاد ، كما قام بزيارة مكة المكرمة ،

www.abulhasanalinadwi.org

والمدينة المنورة ، وادَّعى : أنه رأى الربَّ حيث أمره بدعوة البشر ، ثم اختفى أثناء استحمامه في أحد الجداول ، وغاب لمدة ثلاثة أيام ظهر بعدها معلناً بأنه : (لا هندوسَ ولا مسلمون) ، كان يدَّعي حبَّ الإسلام من ناحية ، مشدوداً إلى تربيته وجذوره الهندوسية من ناحية أخرى ، ممَّا دفعه لأن يعمل على التقريب بين الديانتين . وقد اختلفت آراء الهنود حول حقيقة مذهبه ، فمنهم من يقول : إنه كان مسلماً صوفياً يدعو إلى المحبة والتسامح بين أصحاب الأديان المختلفة ، ومنهم من يرى : أنه كان مصلحاً هندوكياً حقيقة ، لكنه مال بنزعته التنسكية الهندوكية إلى صوفية المسلمين ، فبقيت حقيقة دينه مجهولة ، وصار مذهبه مستقلاً ، عرف باسم « السيخية » .

عقائدهم : يعتقد السِّيخ بوجود إلهٍ واحدٍ ، بتحريم عبادة الأصنام ، ويؤكِّدون على وحدانية الخالق الحيِّ الذي لا يموت ، ينكرون المعجزات ، والقصص ، والخرافات ذات الأساطير ، وللمعلِّم ـ أي : غورو ـ مكانة ودرجة دينية تأتي عندهم بعد مرحلة الرَّب ، أعيادهم هي نفس أعياد هندوس الشمال بالإضافة إلى عيد مولد أول (غورو) ، وعيد ذكرى استشهاد الغورو الخامس والتاسع .

كتابهم المقدَّس : الكتاب المقدس الرئيسي عندهم « جَرَانَتْ صاحِب » (Granth Sahib) الذي يشتمل على أقوال مؤسِّس « السيخية » غورو نانك ، والذي ألَّفه « غورو أرجون ديف » المعلِّم الخامس في سلسلة معلِّمي الطائفة .

خامساً : اليهودية :

كان الهنودُ الحِمْيريُّون يتاجرون مع موانىء سواحل الهند الغربية منذ زمن قديم ، وقد هاجر عددٌ منهم إليها ، واستوطنوا في بعض مُدنها الساحلية ، واليهودية هي أول الأديان السماوية التي وصلت إلى أرض الهند واستقرت فيها ، فأول بقعة وصل إليها اليهود في الهند هي منطقة « مَلِيْبَار » التي تقع في ولاية « كِيْرالا » في جنوب الهند ، ولا تزال توجد في بعض مُدنها جاليات يهودية لها نفوذ في المجال الاقتصادي والتجاري ، وتعتبر مدينة « كُوشين » (Cochin) الواقعة في سواحل جنوبي مليبار المركز الرئيسي للجاليات اليهودية اليوم ، حيث يوجد فيها أكبر المعابد اليهودية ، وأكثر محلاتهم التجارية في بلاد الهند ، وكانت لليهود جالياتٌ قويةٌ في جنوب الهند ، و « بومباي » في غربها ، وراجهستان في شماليها ، وبعد سنة ١٩٤٨م هاجر عدد كبير منهم إلى « فلسطين المحتلَّة » تلبيةً لدعوة حكومتها ، ثم حاولوا العودة إلى الهند بعد

www.abulhasanalinadwi.org

أن لاقوا في مهجرهم معاملة التفرقة والاضطهاد من جانب يهود الغرب الذين يسيطرون على زمام الأمور فيها على أساس اللون والجنس ، ولكن لم يستطيعوا أن يعودوا مرةً أخرى إلى أرض الهند التي لازموها مئات السنين ، وعاشوا فيها في حرية وأمان ، ثم تركوها هرباً وراء سراب الإغراءات الصهيونية التي يحسبها الظمآن ماءً ، وأما الّذين لم يهاجروا إلى فلسطين المحتلّة وبقوا في الهند فلا يزالون يُمارسون حياتهم العادية في المناطق المذكورة .

سادساً : المَسِيْحيَّةِ :

وأمَّا المسيحيةُ فدخلت الهند على إثر ظهورها؛ إذ وَصَلَ تلميذ السيِّد المسيح عليه السلام « القديس توماس » إلى الهند في سنة ٥٢ للميلاد كانت منطقة « مليبار » هي أول بقعة بدأ فيها التبشير المسيحي في شبه القارة الهندية ، ويقول المؤرخون الهنود: أنَّ توماس نزل إلى البر أولاً في « مَالاَنْكَارا » بالقرب من « كَدَنْغُلُور » وقام بالتبشير في أنحاء « كِيْرَالاَ » ثم توجَّه إلى « مَدْرَاس » ، وقد أجمعت آراء هؤلاء المؤرخين ، وكذلك الروايات الشعبية على أن القديس توماس اغتيل في بلاد « مدراس » ودُفن فيها ، ولكن اختلفت حوله تفاصيل واقعة مقتله ، وتحديد مكان قبره .

وقيل : إنَّ ملك جزيرة «ولياراباتم» الهندية زار السيدَ المسيح عليه السلام في حياته، وهكذا وجدت الدعوة المسيحية انتشاراً ملحوظاً في تلك الجزيرة بسرعة فائقة .

يبلغ اليوم عددُ المسيحيين في الهند حوالي (٢٠) مليون نسمة ، فمنهم من ينحدر من أصلٍ عربيٍّ ، ومن أصل هندي ، وتوجد في الهند الآن ، وخاصة في ولاية « كِيْرالا » أتباع جميع الكنائس المسيحية من الكاثوليك، والبروتستانت، والسريان، والأرثوذكس، وغيرها ، ونجد جاليات مسيحية في مختلف أنحاء البلاد ، ولها نشاط ملحوظ في الميادين التعليمية والتجارية وكذلك السياسية ، ولكن جنوب الهند خاصة ولاية « كيرالا » تُعتبر اليوم المركز الرئيسي للجاليات المسيحية في شبه القارة الهندية، ولها دور لا ينكر في إنشاء المدارس العصرية ، ونشر العلوم العصرية ، وتطويرها في هذه المنطقة[1] .

---

(١) يرجع للتوسُّع في الموضوع إلى « لمحات من تاريخ العالم » لجواهر لال نهرو ، و « الدعوة الإسلامية وتطورها في الهند » للدكتور الألوائي .

www.abulhasanalinadwi.org

سابعاً : حركة القاديانية :

في مطلع القرن العشرين ادَّعى في الهند المرزا غُلام أحمد القادياني : أنه المسيح الموعود ، ثم ادَّعى : أنه نبيٌّ ، فاحتضنه الاستعمار البريطاني وساعده في نشر ادعائه ، وقصد بذلك إضعاف المسلمين وتمزيق جماعتهم خوفاً من الإسلام وأهله .

والقاديانية في الحقيقة ثورة شنيعة على النبوة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ وعلى الإسلام ، ومؤامرة دينية وسياسية ، ما وجد لها نظيرٌ في الخطر والضرر على الإسلام ، احتضنتها الحكومة الانجليزية وساعدتها العوامل الاجتماعية والسياسية والفكرية الكثيرة التي توفرت في عصر ظهورها فانتشرت على بعد من الإسلام وأصبحت « قادِيَان » مركز دعوة ودعاية وسياسة خطيرة ، يدين لها ويؤمّ شطرها بعض كبار المثقفين ـ الثقافة العصرية ـ ورجال الدولة ، ولا يرى لها نشاط إلا في المناظرات ، وإثارة الشكوك والشبهات في المسلمين ، وتأييد السياسة الإنجليزية ، ونشر الدعاية لعقيدتها الخاصة في الهند ، وباكستان ، وخارجها[1] .

ويُوجَد لها في أرجاء الهند المختلفة أتباع ودُعاة يقومومون بنشاطاتهم الدعوية بين الفقراء المسلمين والهندوس إغراءً لهم بالمساعدات المالية ، ولدار العلوم ديوبند الإسلامية ، ولدار العلوم ـ ندوة العلماء دورٌ كبيرٌ في إدحاض دعاوى هؤلاء الكاذبين خطابةً ، وكِتابةً .

ثامناً : المسلمون في الهند :

كانت شبه القارة أولى دُول العالم في عدد المسلمين ، حيث كانت تضمُّ أكثر من ١٢٠ مليون مسلم ، ثم جرى تقسيم شبه القارة إلى دولتين ـ الهند وباكستان ـ وصارت الهند دولة مستقلة ذات أغلبية هندوسية ، وأقلية مسلمة ، وصارت الباكستان دولة مستقلة ذات أغلبية مسلمة ، وأقلية هندوسية .

يشكِّل المسلمون في الهند اليوم حالياً أكبر أقلية بعد الأكثرية الهندوسية الوثنية

---

(١) اقرأ للاستزادة من الاطلاع على هذه الحركة : « القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض علمي » ، بقلم الأستاذ أبي الأعلى المودودي والعلامة أبي الحسن الندوي والأستاذ إحسان إلهي ظهير ، إعداد المؤلف ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

بنسبة ٢٥٪ ـ على إحصاء صحيح ـ من تعداد السكان الكبير الهائل الذي يَصِلُ حالياً إلى ما يقرب من ٢٢٥ مليون نسمة ، ومن ثمَّ لا تزال الهند جزءاً حياً هاماً من جسم العالم الإسلامي الكبير الواسع الذي يربط بين أجزائه رباط وثيق من الرابطة الروحية والأخوة الإسلامية ، والمسلمون في الهند برغم مخالطتهم للأكثرية غير المسلمة إلا أنهم « شعب ممتاز » في أخلاقه وطبيعته واتجاهاته ، ومنهج حياته وعاداته التي أصبحت طابعاً يتميز به المسلم في كل ناحية من نواحي الهند ، وهي الرابطة التي تربط المسلم في الشرق بأخيه المسلم في الغرب ، والمسلم في الجنوب بأخيه المسلم في الشمال حتى يكون أشبه به من مواطنه الهندوسي الذي يعيش بجواره ، ويتكلم بلغته .

وقد عُرف الشعب المسلم الهندي في تاريخه الطويل ـ ولا أزكِّي على الله أحداً ، إنما هو تحديث بالنعمة ، وتقرير الواقع التاريخي ـ بقوة عاطفته الدينية ، وحبِّه العميق ، المتغلغل في الأحشاء لرسول الله ﷺ ، وارتباطه بمهد الإسلام ومركزه ، وذلك الذي حماه من أن يذوب ويفقد شخصيته ، كما عرُف باهتمامه الشديد بقضايا الإسلام والمسلمين مثل الخلافة الإسلامية ، وقضية فلسطين (التي تحدَّثنا عنها في الفصل الأول من هذا الباب) ، وكان مرهفَ الحس ، رقيق الشعور ، شديد الانفعالية في كل ما يقلق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

وأصبح الشعبُ المسلم الهندي اليوم مكتفياً بالإسلام ، يستمدُّ قوته وصموده من منابع الإسلام الأصلية ، كالكتاب ، والسُّنة ، وسلوك الرعيل الأول من المسلمين ، وجهاده ووفائه وبطولاته ، وقد ربط عقيدته ومصيره وسلوكه بالإسلام ، وهو يدعو الله أن يبقى متمسكاً بالجامعة الإسلامية ، معتزاً بحضارة الإسلام وفلسفته ، متمسكاً بالدين الإسلامي كدين كامل يقود الحياة كلها ، والأزمنة ، والمجتمعات كلها[1] .

وبعد استقلال الهند ، امتازَ العلماء المسلمون ـ المدرِّسون والمؤلِّفون والدعاة والخطباءَ بتبنى القضايا الإسلامية وحمل لواء الدفاع عنها ، كمقاومة محاولة العنصر الهندوسي ـ المالك للنفوذ السياسي ، وإدارة دفة الحكومة ـ إبادة الشعب الإسلامي

---

(١) « المسلمون في الهند » للعلامة الندوي، ص(٢٣٥ ـ ٢٣٦) ، ويرجع للتوسُّع في الموضوع إلى « تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند » للأستاذ مسعود عالم الندوي ، و « الدعوة الإسلامية وتطورها في الهند » للدكتور الألوائي .

www.abulhasanalinadwi.org

الهندي ، إبادةً معنويةً ، وثقافيةً ، وحضاريةً ، وعاطفيةً ، عن طريق نظام التربية والتعليم الرسمي ، والمناهج الدراسية الطائفية الهندوسية ، وتحويل الهند التي حكمها المسلمون نحو ثمانية قرون ، إلى الأندلس (أو إسبانية) الثانية وذلك عن طريق إثارة العلماء وقادة المسلمين الشعور الديني والغيرة الإسلامية ، وإلغاء الكتاتيب والمدارس ، والجولات الدعوية ، والنشرات الإسلامية .

يضافُ إلى ذلك الدفاع عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي ، ومعارضة دعوة توحيد قانون الأحوال الشخصية لجميع العناصر ، والديانات والجنسيات القاطنة في الهند ، وذلك عن طريق إصدار المحكمة العليا النهائية ، الحكم في ذلك ، وقد نجح علماء الهند ، والغيارى على الإسلام في محاولة إلغاء هذا الحكم عن طريق البرلمان الهندي ، نجاحاً قلَّما يوجد له نظيرٌ في البلاد المستعمَرة ، فإنَّ الأكثرية الساحقة غير المسلمة حينما شنَّت الصحافة الهندوسية الإنجليزية والهندية غارة شعواء ، ومناوأة عمياء ، كأنَّ البلاد في خطرٍ من الزحف الأجنبي ، أو من زلزال عنيف .

هذا إلى حركات ودعوات ومحاولات أخرى للاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ومعنوياتها في بلاد اعتبرها كثير من المؤرخين ، والمتتبِّعين لتاريخ القارة الهندية (أكَّالة الأُمم) ولا يزال هذا دأبهم[1] .

يقع أحياناً على مسلمي الهند ـ خاصةً في المناطق التي هم أكثر أقلية فيها من الهندوس ـ من اضطهاد وكَيْدٍ من المواطنين الهندوس المتعصبين ، ومن غارات وحشية على بيوت المسلمين ومساجدهم ، وادعاء الهندوس المتشددين بأن المسلمين دخلاء على الهند ، وأن حكَّامهم ومُلوكهم عاملوهم بالبطش، الغلظه ، وهدموا معابدهم ، وبنوا على أنقاضها المساجد ـ كما يدَّعون اليوم بأن « المسجد البابري » الشهير بُنِيَ على أنقاض معبدهم الوثني ـ وأكرهوا كثيراً من الهندوس على الدخول في الإسلام .

لا شكَّ فيه: أنَّ هذه كلها ما هي إلا مغالطات وشائعات ينكرها التاريخ أشدَّ الإنكار ، بل يُنكرها المؤرخون والكتَّاب والزعماء الهندوس أنفسهم ـ مثل رئيس الوزراء الهندي الأول « جواهر لال نهرو » ، وقائد تحرير الهند الكبير « غاندي » في

---

(١) من تقديم العلامة الندوي لكتاب « الشيخ حسن حبنكة الميداني » تأليف الدكتور عبد الرحمٰن حبنكة الميداني ، ص (٧ ـ ٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

كُتبهما ـ والتاريخ أكبر شاهدٍ بأنَّ المسلمين أهدوا للهند أعلى وأغلى ما عندهم من إخلاص وتضحية ، وقاموا بتضحيات كبيرة في سبيل تحريرها بكلِّ نفس ونفيس ، ويشهد بذلك كلُّ شبر ، وبقعة في هذه الأرض .

تأثير المسلمين في حضارة الهند :

دخل المسلمون في الهند وهي تعتزُّ بحضارة أصيلة عريقة في القدم ، وفلسفة عميقة ، وعلوم رياضية دقيقة ، وخيرات عظيمة من حُبوب ، وثمار ، وفواكه ، وموادٍّ خام ، ولكنها كانت ـ على كل ذلك ـ تعيش منذ قرون في عزلة عن العالم ، قد فصلتها عن بقية الإنسانية الجبال من جانب ، والبحار من جانب آخر ، وكان آخر من دخلها من ـ بعد المسلمين ـ من العالم المتمدن هو الإسكندر الكبير .

دخل المسلمون الهند وهم أرقى أمَّةٍ في الشرق، بل في العالم المتمدن المعمور في ذلك العهد ، يحملون ديناً جديداً ، سائغاً معقولاً ، سهلاً سمحاً ، وعلوماً اختمرت وتوسعت ، وحضارة تهذبت ، ورقَّت حواشيها ، يحملون معهم محصول عقول كبيرة كثيرة، ونتاج حضارات متنوعة متعددة، يجمعون بين سلامة ذوق العرب، ولطافة حسِّ الفرس، وفروسية الترك، وكان أغرب ما كانوا يحملون في الدِّين توحيد الإسلام النقي.

يقول الباحثُ الهندي المعروف ك . م . بائيكار (K. M. Paikkar) وهو يتحدَّث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية في عقلية الشعب الهندي ، وديانته : يقول :

« من الواضح المقرر أنَّ تأثير الإسلام في الديانة الهندوكية كان عميقاً في هذا العهد (الإسلامي) ، إن فكرة عبادة الله في الهنادك ، مدينة للإسلام ، إن قادة الفكر والدين في هذا العصر وإن سمَّوا آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله ، وصرحوا بأن الإله واحد ، وهو يستحق العبادة ، ومنه تطلب النجاة والسعادة ، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في الهند في العهد الإسلامي كديانة « بَهكْتِي (Bhagti) » ودعوة « كبيردَاسْ »[1][2] .

---

(١) شاعر متصوف ينتقد المجتمع الهندي ويدعو إلى الإصلاح ، اختلف الناس في ديانته .
A Survey of Indian History .p. 132.

(٢) المسلمون في الهند : للعلامة الندوي ، ص(٢٩ ـ ٣٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

أمَّا في الاجتماع فكان أعجب ما حمله المسلمون معهم هي المساواة الإنسانية التي لم يكن للهند عهدٌ بها ، فلا نظام طبقات ، ولا منبوذ ، ولا نجس بالولادة ، ولا جاهل يحرم عليه التعليم ، ولا تقسيم أيدٍ للحرف والصناعات ، يعيشون معاً ، ويأكلون جميعاً ، ويتعلمون سواءً ، ويختارون ما يشاؤون من الحرف والصناعات ، وقد كانت صدمة عنيفة للذهن الهندي ، والمجتمع الهندي ، ولكن لا شكَّ أنها أفادت كثيراً ، ولطفت من شدة النظام الطبقي السائد ، وكان باعثاً قوياً على ردِّ الفعل ضدَّ النظام الطبقي ، وحافزاً للدعاة إلى الإصلاح الاجتماعي ، ولنسخ اللمس المنبوذ ، وقام الملوك ، ورجال الحكم المسلمون بدورهم في إصلاح الطقوس والعادات المتبعة في الهند ، وخاصة إصلاح تقليد ما يُسمَّى « سِتِّي » و هو إحراق الأرملة نفسها أثناء عملية إحراق جثمان زوجها الميِّت ، وذلك بدون أن يلحقوا بالمعتقدات الدينية والطقوس الهندية أيَّ إساءة ، أو انتهاك حرمة .

نقل المسلمون إلى الهند علوماً جديدةً كذلك ، من أجَلِّها وأنفعها ـ إذا تركنا العلوم الإسلامية التي لا تتوقع في الهند ـ علم التاريخ ، فقد كانت البلاد فقيرة في التاريخ ، ليس في مكتبتها كتاب تاريخ بالمعنى الصحيح ، إنما هنالك صُحف دينية أو ملاحم مقصورة على حرب ، أو عهد ، مثل « مَهَابَهارَتْ » أو « رَامَائِن » أما المسلمون فقد كوَّنوا في التاريخ مكتبةً هائلةً من أوسع المكتبات التاريخية في العالم ، وبنظرة في كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » للعلامة السيد عبد الحي الحسني[1] تخبر بما كان بهم من نشاط غريب ، وإنتاج ضخم في تاريخ الهند ، وفي تاريخ الأمم .

وقد اكتسبت الهند من المسلمين توسعاً في الخيال ، وجدَّةً في التفكير ، ومعاني جديدةً في الأدب والشعر ، لم تكن تخطر على بال ، لولا عملية التوليد العقلي ، والتلقيح الفكري والأدبي ، وكان مما منح المسلمون الهند هذه اللغة الجميلة الواسعة التي أصبحت لغة التفاهم ، ولغة العلم في الهند ، التي عُرفت بكثرة اللغات واللهجات ، أعني لغة « أردو » التي تُعدُّ اليوم من أكبر لغات العالم نطقاً وكتابةً .

وكان تأثيرُ المسلمين في المدنية والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه في نواح

---

(١) نشره مجمع اللغة العربية بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

أخرى ، فقد أدخلوا في هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة في هذا القطر ، كما تختلف الحياة اليوم في أوروبا عن الحياة في القرون الوسطى .

وإذا أردنا أن نعرف ما أضافه المسلمون إلى ثروة هذه البلاد ومدنيَّتها ، وحاصلاتها ، ومرافقها ، ومستوى المعيشة فيها قبل أن يتمكَّنوا من بناء مدنية جديدة ، وإقامة حضارة هندية إسلامية ، وإتحاف هذه البلاد بما عرفوه وألفوه من مرافق الحياة ورقائق المدنية ، يجب علينا أن نستعرض تلك الهند التي كانت قبل دخول المسلمين فيها ، وقد ترك لنا الملكُ ظهير الدين محمد بَابَرْ (٨٨٨هـ ـ ٩٣٩هـ ، مؤسِّس الدولة المغولية العظمى في الهند) صورةً واضحةً عن مدنية الهند وثروتها الطبيعية والصناعة ، والمستوى الذي كانت عليه هذه البلاد عند غزوه لها .

يقول الملك بابر في مذكِّراته « توزك بابري[1] » (مذكِّرات بابر) :

« لا وجودَ للخيل العتاق ، ولا يوجد من الفواكه ، العنب والبطيخ ، والأثمار الطيبة ، الثلج مفقود ، والماء البارد قليل نادر ، والحمام لا يوجد ، والمدارس لا يعرفها أهل الهند ، والمِشكاوات والشُّموع لا وجودَ لها ، وكذلك الفوانيس ، ويستعملون مكانها خشبة ذات ثلاثة أرجلٍ تحمل إحدى أرجلها حديدة مركبة بها ، وفي الرجل الثانية فتيلة ضعيفة ، وفي يدها اليمنى قرع (دباء) له ثقب صغير ينزل منه الزيت على الفتيلة ، وبهذه المشكاة الوسخة يستعين الملوك والأمراء عند الحاجة في الليل . أمَّا الحدائق والأبنية فلا توجد فيها عيون متدفقة ومياه جارية ، ولا تتمتع هذه الأبنية بالنظافة والهواء والتناسب ، وأكثر أفراد الشعب يمشون حفاةً ويكتسون بخرقة ، والنساء يتزرن بالإزار يلقين طرفاً منه على الرأس »[2] .

فمِن المختصر : أن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلاً من نور قد انجلت به الظلمات التي كانت تغشى الحياة الإنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط

---

(١) كتبها بابر في اللغة التركية في أسلوب أدبي رفيع ، ونقلها إلى الفارسية الأديبُ التركي ، والشاعر الكبير قائد قواد الدولة المغولية : الأمير عبد الرحيم بيرم خان .

(٢) توزي بابري ، (الترجمة الفارسية) طبع بمبي (الهند) ، و« المسلمون في الهند » للعلاَّمة الندوي ، ص(٣٥ ـ ٣٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

والتدني ، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقداتٍ فكرية ، لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة ، شأنه في الأقطار الأخرى ، لقد كان من سوء الحظِّ : أن ظِلَّ تاريخ الإسلام في هذا القطر مرتبطاً بالحكومة ، فبقيت حقيقة الإسلام في حجابٍ ، وبقيت هباته وأياديه الجميلة مختفيةً عن الأنظار .

www.abulhasanalinadwi.org

ب ـ الحالة السياسية

وكان الأوروبِّيون يسمعون بازدهار الهند في الصناعة والأموال ورُقيِّها في القرن الحادي عشر الهجري، فتاقت نفوسُهم، وتحلَّبت أفواههم لنيل ثروتها التي أنعم الله بها على هذه البلاد ، ولكن لم يكن لهم من السهل أن يدخلوا حاكمين منتصرين مثل هذه البلاد الكبيرة الواسعة تحكمها يومئذ أكبرُ وأقوى حكومةٍ عرفها التاريخُ بـ « المَغُوْل » فدخل الإنكليزُ الهندَ تجَّاراً ، وبدؤوا التقرُّب إلى حكام الهند المسلمين ، وقدَّموا إليهم الهدايا المختلفة لهم .

وكان هؤلاء الحكام يعطفون عليهم ويمنحونهم بعضَ التسهيلات كرفع الضرائب عنهم ، والسماح لهم بإنشاء متاجر لهم على سواحل الهند ، وكان يقوم بحراسة هذه السواحِل حرَّاس وطنيون في أول الأمر ، ثم تدَّرجوا في تعيين الحرَّاس من الإنجليز ، وأخذوا يسلِّحونهم بحاجات الحراسة ، ومن هنا بدأ يتكوّن الجيش الإنجليزي في الهند ، وكان يخفون دائماً أهدافهم الحقيقية وراء مظاهر مختلفة ، وكان يخفون إرادتهم للاستيلاء على الهند ، واستعمارها ، فاستطاعوا أن ينشئوا مراكز التجارة لشركتهم التي سمُّوها بـ « شركة الهند الشرقية » (East India Company) التي كان في الحقيقة جيشاً غازياً مسلَّحاً ، مهمَّته النهب والسلب وقطع الطريق ، وتخويف الضعفاء الذين لا يملكون عن أنفسهم دفعاً .

وقد بدأت الشركةُ عملها التجاري في أرض الهند إبَّانَ قوة حكم المسلمين فيها وازدهاره ، وكان الحكَّام المسلمون لا ينظرون إلى التجار الإنجليز إلا نظرتهم إلى تاجر يُريد أن يكسب مالاً من تجارته ، لا أن يكسب أرضاً ويستعمر شعباً ، ولذلك تمتَّعوا بجميع التسهيلات التجارية .

ولكنْ هذه الشركة كانت تعمل من ورائها حكومةُ بريطانيا ، للحصول على الأرض والاستيلاء عليها ، وواتتها الفرصة من خلال التفتت والضعف اللَّذَيْن تسرَّبا إلى كيان حكم المسلمين ، وانشغال حكام البلاد بحرب بعضهم بعضاً ، فاستطاعت شركة الهند أن تضرب هؤلاء الحكام المحليين بعضهم ببعض حتى وضعت يدها على معظم ولايات

www.abulhasanalinadwi.org

الهند ، وكان الوطنيون الغَيورون من المسلمين والهندوس يحاولون إيقاف هذا السرطان الّذي بدأ يسري في جسم شبه القارة الهندية ، وقامت ثورة جامحة ضدَّ الإنجليز وخيانتهم ومراوغتهم لاستعمار الهند وذلك في عام ١٣٧٤هـ ـ ١٨٥٧م ، لكن فشلت الثورة ، وقبض الإنجليزُ على آخر ملك مسلم في الهند ، « بهادُرْ شاه ظفر » وحكموا عليه بالإعدام ، وهكذا انتهى حكم المسلمين في الهند بعد أن استمر ثمانية قرون ونصف ، وتمَّ انتقال الحكم إلى بريطانيا .

سياسة الإنجليز تِجاه المسلمين :

اشتدَّ الإنجليزُ في هجمتهم على المسلمين بعد إنهاء الثورة ، واستولوا على أراضيهم ، وسُدَّت في وجوههم أبوابُ الرزق في الدواوين ، وصُودرت أملاكهم، فقُتِل آلاف من المسلمين ، وتفشت الطائفية ، وكثرت المصارعات الطائفية ، والهدف إفناء المسلمين بالمذابح ، وضَيَّق الإنجليزُ الخناق على العلماء وحملة الدين ، وأكثروا من الحملات التبشيرية لمحاربة الإسلام ، وشجَّعوا الحركات المناهضة للإسلام وخاصة الحركة « القاديانية »[1] ، ودَعموا الجماعاتِ المخالِفة لعقائد الإسلام الصحيحة خاصَّةً الجماعة « البَرِيْلَوِيَّة »[2] وعمدوا إلى إثارة العداوة بين المسلمين والهندوس ، وأوغلوا في سياسة احتضان الهندوس دون المسلمين ، وعملوا إلى إقرار قوانين التفرقة بينهم تحت ستار من حرية الاعتقادات الدينية .

وقد قاطع المسلمون الإنجليزَ في كل شيء، ولم يقبلوا على المدارس التي أنشؤوها بينما أقبل عليها الهندوسُ ، وبذلك رجحت كفة الهندوس على كفة المسلمين في العلم، وأصبحت وظائف الحكومة وقفاً على الهندوس ، غير أن المسلمين لم يلبثوا أن تنبَّهوا إلى الخطر الذي يهددهم من سياسة التجميد ، حيث قام المسلمون بإنشاء مدارس خاصة على نفقة المسلمين[3] ، حرصاً على مجاوزة خطر مدارس الإرساليات الأجنبية التي ترفض الإسلام واللغة العربية ، وتفرض مناهج معارضة للقِيم الإسلامية أساساً ، فعمل المسلمون على الاحتفاظ بهم بطريق فتح المدارس الدينية والعصرية

---

(١) قد سبق الحديث عنها في صفحة (٩٣) .
(٢) وقد تحدَّثنا عنها في حاشية تقريظ الشيخ القرضاوي ، صفحة (٢١ ـ ٢٢) .
(٣) سيأتي الحديث عنها في صفحة (١٠٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

المستقلة في كل شيء عن الحكومة البريطانية ، وبتربية الشباب تربية بعيدة عن التيار الاستعماري حيث تغرس فيهم روح الدين ، والوطنية الصادقة .

دورُ المسلمين في تحرير الهند من الاستعمار البريطاني :

كان مركزُ المسلمين القائد في حركة تحرير الهند، وإجلاء الإنجليز ـ وقد كان ذلك طبيعياً ـ؛ لأنهم هم وُلاة البلاد وسادتها حين احتل الإنجليزُ هذه البلاد ، وبدأ الأخطبوط الإنجليزي ينفث سمومَه ، ويبتلع هذه البلاد قطعة قطعة ، وإمارةً إمارة ، وأول من انتبه لهذا الخطر الملك الهمام الشهم الغيور « فتح علي خان » المشهور بالسلطان تيبو ، الذي حارب الإنجليز حرباً عنيفةً لا هوادة فيها ، حتى استُشهد في المعركة في مايو سنة ١٧٩٩م ، الذي رأى مكائد الإنجليز في الهند ، وشعر بأنهم سيبتلعون هذه البلاد كلها كلقمة سائغة، فعزم على طردهم من الهند، فحاربهم وهزمهم شرَّ هزيمة ثلاث مرَّات ، ثم علم الإنجليزُ أن أهمّ أعمالهم في الهند آنذاك القضاء على هذا السلطان الذي كان أقوى الملوك في ذلك الوقت ، فعمدوا إلى الحيل والدَّس ، واستمالوا بدهائهم إليهم كثيراً من أمراء السلطان ، ولكنه لم يعبأ بهذا الاتحاد الغادر ، فاجتهد في الدفاع البلاد ، وحاربهم بكل شجاعة ، فخدعه رئيس الوزراء في حرب السلطان الأخيرة مع الإنجليز بفتح أبواب القلعة لهم ، ولكن السلطان الشجاع كان غيوراً على الدِّين والوطن فأعلن : « إنَّ يوماً واحداً كحياة الأسد ، خيرٌ من مئة سنة كحياة ابن آوى » .

فأبلى هذا السلطانُ بلاءً حسناً في هذه المعركة حتى خرَّ مجاهداً شهيداً ، فانتقلت ولايتُه « مَيْسُور » باستشهاده إلى حكم الإنجليز ، وبقي هذا السلطان كمَثَلٍ حيٍّ للجهاد والبسالة في سبيل الدفاع عن الحرية والكرامة في تاريخ استقلال الهند ، يقول الزعيم الهندي الكبير « غاندي » : « لا نعرف أعظم منه في شهداء الوطن والأمة » .

وأرى جديراً بأن أشير هنا إلى صفحة مشرقة من تاريخ الهند عن الجهاد الإسلامي الذي بدأه أحد أسلاف العلامة أبي الحسن الندوي في القرن الثالث عشر الهجري في شبه القارة الهندية الشمالية، ألا هو البطل العظيم المجاهد الكبير الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد ، وقد تجدَّدت ذكرياتُ القرون الأولى يوم قام الإمامُ بدعوة التوحيد ، والتجديد ، والجهاد ، ودعا إلى الدين الخالص ، وأشعل في القلوب شعلةَ الإيمان ، والحماسة الإسلامية ، والجهاد في سبيل الله .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد نشأت في الهند إثر سقوط الإمبراطورية المغولية دُوَيلات صغيرة تحكم نفسهابنفسها ، ومنها إمارة السِّيخ (Sikhs) في بَنْجاب ، وقد ملأ جنودها الولاية فساداً ودماراً ، يهدمون دور المسلمين ، وينهبون أموالهم ، ويهتكون أعراضهم بوحشية تقشعرُّ منها الجلود ، يُساعدهم في ذلك الإنجليز الذين لم يستتب لهم الحكم على الهند كلُّها ، فكانوا يُريدون القضاءَ على البقية الباقية من قوَّة المسلمين ووجودهم .

فقام الإمامُ أحمد بن عرفان لإنقاذ إخوانه المسلمين من وحشية الحكومة السِّيخية العسكرية ، وخطر الإبادة الذي كان يتعرض له المسلمون في ولاية بنجاب ـ التي كانت يوماً من الأيام مدخل الفاتحين المسلمين إلى الهند ، وكانت لها الأهمية الاستراتيجية والإقليمية الكبيرة ـ فدعا الإمامُ المسلمين إلى الجهاد في سبيل الله ، ونظَّم بهم جماعةً كبيرةً ، وأحسن تربيتها الدينية والحربية ، وهاجر معها إلى حدود الهند الشمالية ، واتخذها مركزاً لدعوته ، ليتقدَّم منها إلى الهند لإجلاء الإنجليز ، وتأسيس دولة إسلامية على منهاج الكتاب والسنَّة ، وقد هزم هؤلاء المجاهدون السِّيْخَ في معارك كثيرة ؛ الذين كانوا يُذيقونَ المسلمين سُوءَ العذاب .

وأسَّس الإمامُ في الحدود الهندية الشمالية الغربية[1] دولةً شرعية ، ونفَّذ الحدودَ الشرعية ، وطبَّق النظام الإسلامي المالي والإداري تطبيقاً دقيقاً ، ولكن ثارت على المجاهدين القبائل التي تقطن الحدودَ لمصارعة هذا النظام ، ثم اصطدم المجاهدون بجيش السِّيخ في وادي « بَالاَكُوْت »[2] فاستُشهد الإمام وأصحابه في ٢٤ من ذي القعدة عام ١٢٤٦هـ (الموافق ٦ من مايو عام ١٨٣١م) ، ولجأ الفلُّ إلى الجبال ، ولم يزل هؤلاء وأصحابهم في الهند قائمين على الحقِّ ، باذلين في ذلك النفسَ والنَّفيسَ ، والإنجليزُ يُطاردونهم ، ويُطارِدون أملاكهم وأموالهم ، ويُحاكمونهم محاكمات طويلة عريضة[3] ، وهم صابرون محتسبون ، لا يضطربون ، ولا يتزعزعون ، ولا يلينون ولا يستكينون ، حتى كانت ثورة ١٨٥٧م ، التي تزعَّمها المسلمون[4] وكان لهم السَّهم

---

(١) كانت تشتمل على « بَشَاوَرْ » وما جاورها من البلدان والقرى .

(٢) تقع « بالاكوت » اليوم في باكستان ، وهي في وادي « كَاغَانْ » بين جبلَين شامخَين ، وكانت هذه المنطقةُ كلُّها تسمَّى « ياغِسْتان » قديماً .

(٣) اقرأ كتاب : « The Great Wahabi Case » و« Indian Musalmans » لوليم هنتر

(٤) انظر : « إذا هبت ريح الإيمان » للعلامة الندوي ، طبع دار ابن كثير بدمشق ، والذي تحدَّث فيه=

www.abulhasanalinadwi.org

الأكبر في القيادة والتوجيه في هذه الثورة الشعبية التي حدثت لتحرير الهند من الاحتلال البريطاني عام ١٨٥٧م ، وقد كان من أكبر العلماء والمشايخ الذين قادوا هذه الثورة وأشهرهم « مولانا أحمد الله » و « مولانا لياقت علي » وهما اللذان تزعَّما الحركة ، وساهم فيها الشيخ الحاج إمداد الله التَّهانَوِي ، والشيخ محمد قاسم النَّانُوْتَوِي ، والشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوْهِي[1] .

وهكذا دفع المسلمون أبهظ ثمن وأغلاه لهذا الجهاد ، وظل قادة الفكر والسياسة وأقطاب الحكومة من الإنجليز يعتقدون : أن المسلمين هم المسؤولون عن هذه الثورة ، وقد قال هنري هملتن تاس (Henry Hamilton Thomas) في كتابه « ثورة الهند الماضية وسياستنا المستقبلية » يقول :

« لقد قدمتُ : أن الهنادك (الهندوس) لم يكونوا أصحاب الفكرة في ثورة ١٨٥٧م ولم يكونوا مصدرها ، وسأثبتُ في هذه المناسبة : أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة المسلمين ، إن الهنادك إذا تركت لهم الحرية وكانوا محدودين في وسائلهم ؛ لم يكونوا ليساهموا في مثل هذه الثورة وما كانوا يودُّونها ، إن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعيةً وفيةً لحكومة تدين بغير دين الإسلام ؛ لأن ذلك مستحيل في ظلِّ أحكام القرآن »[2] .

وقد كان غضبُ الإنجليز شديداً في قضايا المسلمين كلِّها ، فكانوا يأخذون بأقل تهمة ، وأبعد وشاية ، وكانوا يأخذون بالظنة ، ويعاقبون أشدَّ العقاب ، وحاكموا في الهند كلَّ من ظنُّوا به أقل اتصال بحركة تحرير الهند ـ هي حركة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ـ ، حاكموا جماعة من العلماء الأجلاَّء ، والمثقفين ، والوجهاء ، والتجَّار محاكمةً ظهر فيها حقد الإنجليز وتوترهم من المسلمين بصفة خاصة ، ونفوا إلى « أنْدُمان » جماعة من كبار العلماء الأجلاء[3] .

ثم بدأت فكرةُ تحرير الهند واستقلالها من جديد ، فألَّفت الجمعيةُ الإسلامية

= العلاَّمة عن حياة الإمام ، وعن جهاده في أسلوب أدبي رفيع كما هو العهد به .

(١) المسلمون في الهند : للعلامة الندوي ، ص (١٧٩ ـ ١٨٠) .

(٢) Late revoluion in India, Our future polity ، والذي ألَّفه في سنة ١٨٥٨م بعد الثورة بسنة .

(٣) المسلمون في الهند : ص (١٨٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

لعموم الهند عام ١٩٠٦م ، واستمرت تعمل سِرّاً بزعامة كبار القادة والمفكرين . كمولانا أبي الكلام آزاد ، ومولانا حسرت مُوْهَانِي ، وظفر الله خان ، ومحمد علي ، وشوكت علي ، ولم يكتف المسلمون بالمشاركة الفعلية وحدها في تحرير الهند بل كان منهم قادة ومنظِّرون لهذه الحركة من علماء « دار العلوم دِيُوْبَنْدَ الإسلامية » ومدرسة « فِرَنْجِي محل » و « جمعية العلماء » و « مجلس الأحرار » حتى تمَّ للهند الاستقلال من الاستعمار البريطاني عام ١٩٤٧م بعد جهود هؤلاء العلماء الحثيثة ، ونضالهم الشديد مع الإنجليز .

مسألة تقسيم الهند وقيام باكستان :

كانت مسألةُ الوحدة بين الهندوس والمسلمين قد أصبحت مستحيلة، وقد بدأ شاعرُ الإسلام الدكتور محمد إقبال نضالَه من أجل التقريب بين الطائفتين، إلاّ أنه استحال الجمع بينهما ، وأصبحت الاضطرابات الطائفية التي تمثَّلت في القتال الدموي بين الطائفتين ظاهرة يومية في حياة شبه القارة الهندية ، فبدأت فكرة دولةٍ إسلاميةٍ في شبه القارة الهندية تُراوده ، فدعا إليها وإن لم ير بعدُ تحقيقها ، وألقى محمد إقبال كلمة بوصفه رئيساً لمؤتمر حزب الرابطة الإسلامية ينادي فيها بهذه الفكرة سنة ١٩٣٠م ، قال فيها :

« ليست الوحدات في المجتمع الهندي وحدات إقليمية كما هو الحال في الدولة الأوروبية ، في الهند قارة تقطنها مجموعات بشرية أجناسها مختلفة وتصرّفات كل هؤلاء الناس لا يتحكم فيها وعي بجنس مشترك ، وليس في الاستطاعة تطبيق مبدأ الديمقراطية الأوربية في الوقت الّذي يعترف فيه بوجود جماعات طائفية ، وعلى هذا فإنَّ هذا طلب المسلمين بتأسيس هند مسلمة داخل الهند مطلب له ما يبرِّره تماماً ، وأنا شخصياً أحبُّ أن أرى « البَنْجاب » وإقليم الحدود الشمالية الغربية و « السِّند » و « بَلُوجِسْتَان » ، وقد اندمجت فيما بينها ، وكونت دولة واحدة ، وسواء كانت هذه الدولة بحكومتها الخاصة داخل نطاق الإمبراطورية أو خارجها ، فإنَّ تكوين دولة إسلامية قوية في شمال غرب الهند يبدو لي أنه المصير الأخير للمسلمين ، والواجب على الهندوس ألا يساورهم الخوف من خلق دولة إسلامية تتمتع باستقلالٍ ذاتيٍّ يعني ممارسة نوع من الحكم الديني في مثل هذه الدولة »[1] .

---

(١) محمد إقبال الشاعر المفكِّر الفيلسوف : للمؤلِّف ، ص (٤٥ ـ ٤٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

وتحدَّث محمدُ إقبال ذات مرَّة للعلامة أبي الحسن الندوي خلال زيارته الأخيرة له في سنة ١٩٣٧م ، فقال :

« إنَّ أمَّة لا تملك أرضاً تستند إليها لا دين لها ولا حضارة ، فإنما الدين والحضارة بالحكومة ، والقوة ، وإن « باكستان » هي الحلُّ الوحيد للمشاكل التي يواجهها المسلمون في هذه القارة الهندية ، وهي الحلُّ الوحيد للمشكلة الاقتصادية ، وأشار إلى نظام الزكاة ، وبيت المال في الإسلام » .

ولم تمر على نبات فكرة محمد إقبال هذه في إنشاء دولة إسلامية حتى تمَّت صياغة « لاهور » بإنشاء الدولة الإسلامية ـ باكستان ـ في الهند ، ثم جعل هذا القرار مبدأ وعقيدة للرابطة الإسلامية (Muslim League) ، وتتابعت الأحداث ، حتى تمَّ التقسيم عام ١٩٤٧م بموجب قرار استقلال الهند ، الّذي نصَّ على أن الدولة التي تضمّ الأراضي الإسلامية ستُعرف باسم (باكستان) ، والهندوسية باسم (الهند)[١] .

فهكذا قامت دولة باكستان في ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧م ، وظهرت على خريطة العالم الإسلامي كدولة إسلامية مستقلة بقيادة الرجل العصامي ، والسياسي المحنك ، والقانوني البارع : محمد علي جناح ، الّذي جاهد من أجلها دون أن يستوطىء راحة ، ويضيع فرصة فيها ، لتجمع شتات المسلمين الموزَّعين في الولايات الهندية خوفاً من تسلّط الهندوس عليهم وإذلال المستعمرين لهم ، ومع أنها ـ بالأسف الشديد ـ لم تطبِّق الشريعة الإسلامية إلى يومنا هذا ، والتي يدين بها السُّكان ؛ إذ أنَّ معظمهم من أتباعها ، وأكثرهم من الراغبين في تنفيذ حكم الله ، وقد قامت هي على هذا الأساس .

موقف العلامة أبي الحسن الندوي من التقسيم :

وبعد هذا أريد أن أتحدَّث هنا عن موقف العلاَّمة أبي الحسن الندوي من هذا التقسيم (تقسيم الهند كدولتين : الهند وباكستان) الّذي تحدَّث عنه نفسُه في مناسبات

---

(١) محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف للمؤلف ، صفحة (٤٥ ـ ٤٦) ، طبع دار ابن كثير بدمشق ، و « إقباليات كاتنقيدي جائزة » (بالأردية) للأستاذ إقبال أختر ، و « مضامين إقبال » (بالأردية) و Struggle for independenced in nemoriam. p. 15 16 .

www.abulhasanalinadwi.org

مختلفة في محاضراته ومقالاته ، أنقل هنا ما عبَّر عنه في كتابه (في مسيرة الحياة) ، حيث قال :

« كنتُ من المعارضين لنظرية قيام باكستان ، أو نظرية التقسيم ، وكنتُ أُومن بحاجة بقاء المسلمين في الهند ، وبذل كل الجهود والطاقات في التأثير على ا لأكثرية ، وتشريفها بالدين الإسلامي بتبليغ الدين إليها ، وتوجيه الدعوة ، وإقامة نماذج إسلامية خلقية وروحية إنسانية عالية ، وأرى : أنَّ هذا العمل أجدى وأنفع ، وكنتُ أرى : أنَّ هناك إمكانات واسعة واضحة لهذا العمل ، ولكن بعد قيام باكستان لم يكن لنا بدٌّ من تمنِّي الخير لها ، والدعاء لازدهارها وتقدّمها ، بدلاً من مخالفتها »[1] .

إنّ هذا الموقفَ ـ العملي ـ الأخير من باكستان بعد قيامها ؛ لا يعني : أنّ المناخ السائد في شبه القارة ، والذي سبق التقسيم في شهر آب ـ أغسطس عام ١٩٤٧م بنحو ربع قرن أو ثلاثة عقود كان من المُمكن أن يصيخَ السمع أو يقبل بنحو هذا الذي قاله العلامة الندوي في رفضه للتقسيم ، أو عدم مناصرته له على أقلّ تقدير . بل لعلّ هذا التعليل هو الذي كان يقف وراء السياسة التي رسمتها بريطانيا في تقسيم شبه القارة ! وربّما لم نُبعِد إذا قلنا : إنّ هذه السياسة كانت تمثّل للإنجليز هاجساً حضارياً وثقافياً حقيقياً يتّصل بمستقبل الهند بعد خروجهم منها ! .

لقد كان الإنجليزُ حريصين أشدَّ الحرص على وقف انتشار الإسلام في شبه القارة بعد هذا الخروج ؛ بوصف الإسلام هو المرشّح لهذا الانتشار ؛ إذا ما قيس بالنصرانية وبالهندوكية (وسائر الديانات الهندية الوثنية) بعد أن غبر الهنود هذه المدة الطويلة في ظلِّ الاحتلال البريطاني ، وبعد صلتهم بالحضارة الغربية ، واطّلاعهم على ثقافتها .

وكان سبيلُ الإنكليز إلى ذلك تأصيل العداء بين المسلمين والهنادك في شبه القارة ، وذلك عبر التخطيط لتسليمها للهندوس ـ بوصفهم أغلبية ـ وتركهم ، وبخاصة في الأقاليم التي كانوا يقودونها أو يتحكّمون فيها ـ مثل كشمير ـ يقومون بأبشع أنواع القتل والعدوان على الحرمات . . فضلاً عن إهانة المعتقدات الدينية للمسلمين[2] . . حتى تأكَّد للمسلمين : أنهم إن قبلوا بحلٍّ للمشكلة الهندية تكون نتيجته حكم الأكثرية

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : (١/ ٢٥١) ، طبع دار القلم بدمشق .

(٢) أخبار هذه الممارسات الرهيبة تكاد لا تخلو منها صحيفة يومية أو أسبوعية ! .

www.abulhasanalinadwi.org

الهندوكية : أنّ جميع بلاد الهند ستكون كشمير ! وأنَّ أمرَ المسلمين مع تسلُّط هذه الأكثرية سيؤول إلى ما آلَ إليه أمرُ مسلمي إسبانيا أيام فرديناند ، وإيزبيلا ، ومحاكم التفتيش ! .

وقد كنَّا لخّصنا هذا الموقفَ في أكثر من مناسبة سابقة بالقول : إنَّ التقسيم رَسَمه الإنكليزُ ، ولكنّ المسلمين هم الذين سَعَوا إليه ! علماً بأنّ المسلمين طالبوا أولاً بنظام اللاَّمركزية ، التي يكون فيها للمقاطعات الأمر والنهي ، أو حق اتخاذ القرارات دون الرجوع إلى مجلس الهند العام في دهلي .

وكانت هذه الدعوةُ أو المطالبة هي السَّبب في انفصالهم عن حزب المؤتمر (المؤتمر الوطني) عام ١٩٢٨م ، قبل أن يتحوّلوا أمام الممارسات الهندوسية ، ورفض النظام المذكور من قبل المؤتمر ، إلى المطالبة بالانفصال[١] .

ولا نريد أن نسترسِلَ في هذه القضية أكثر من هذا ، ولكننا نكتفي لتأكيد ما أشار إليه العلامة الندوي ، من أنَّ الإسلام هو المرشَّح لسعة الانتشار في الهند في المستقبل . . بالقول : إنَّ التحوُّل إلى الإسلام بدأ يتّسعُ نطاقُه من الآن ، أو في هذا الفترة الدقيقة ، والقَلِقة ذاتها ـ على الرغم من هذا الذي أشرنَا إليه ـ من قِبَلِ مجموعات كبيرة من طبقة المنبوذين في المقام الأوَّل ، ومن طبقة البراهمة ، وسائر الطبقات بعد ذلك .

---

(١) رجال الفكر والدَّعوة في الإسلام : للعلامة الندوي ، مقدّمة الدكتور عدنان زرزور ، (١/ ١٠ ـ ١١) .

www.abulhasanalinadwi.org

ج ـ الحالة العلمية

لقد أشرنا فيما سبقَ إلى أنَّ المسلمين واجهوا الاحتلال البريطاني بإرادةٍ صلبةٍ ، ورفضوا العلمَ في مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية ، واهتمُّوا بإنشاء المدارس ، والجامعات ، والمجامع العلمية للبحوث بنقودهم القليلة ، ثم برزَتْ هذه المدارسُ ، والجامعات ، والمجامع مِن تحت حراب الاحتلال ، والتي كان لها الأثرُ البالغ النفع في هذا الجوِّ الحَرِج المشحون بالمشاكل والعقبات ، والدورُ الهامُّ في إنعاش المسلمين الدينيِّ ، والتربويِّ ، ويَجدُر بنا أن نتحدَّث هنا عن تلك الجامعات والمدارس بشيءٍ من الاختصار :

الجامعات الدينية

١ ـ دار العلوم دِيُوْبَنْد الإسلامية :

هذه أكبرُ جامعةٍ دينيَّةٍ في الهند تستحقُّ أن تُسمَّى أزهر الهند ، بدأت هذه الجامعةُ كمدرسة صغيرة لا تسترعي الاهتمام ، ولم تزل تتوسع وتتضخم بفضل جهود ، أساتذتها والقائمين عليها وإخلاصهم وزهدهم في حطام الدنيا ؛ حتى أصبحت جامعةً دينيةً كبيرة بل كبرى المدارس الدينية في قارة آسيا .

وكان افتتاحها في قرية دِيُوْبَنْد من القرى التابعة لمدينة سهارنبور في مسجد صغير سنة ثلاث وثمانين ومئتين وألف هجرية ١٢٨٣هـ ، أسَّسها العالمُ الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النَّانُوْتَوي (ت١٢٩٨هـ) وكان الاعتمادُ فيها على الله ، ثم على تبرعات عامة المسلمين ، ورُزِقت من أول يومها رجالاً عاملين مُخلصين ، وأساتذة خاشعين متقين ، فسرت فيها روح التقوى ، والاحتساب ، والتواضع ، والخدمة ، ولم يزل نطاقُ المدرسة يتسع ، وصيتها يذيع ، وشهرة أساتذتها في الصلاح ، والتقوى ، والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم ، حتى أمَّها الطلبةُ من أنحاء الهند ، ومن الأقطار الإسلامية الأخرى ، حتى بلغ عددُهم اليوم حوالي ألفين .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان للمتخرِّجين في دار العلوم تأثيرٌ كبيرٌ في حياة المسلمين الدينية في الهند ، وفضلٌ كبيرٌ في محو البِدَع وإزالة المحدثات ، وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين ، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم ، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن ، وكلمة حق عند سلطان جائر .

وشعارُ دار العلوم ديوبند التمسك بالدين ، والتصلُّب في المذهب الحنفي ، والمحافظة على القديم ، والدفاع عن السُّنة[1] .

٢ ـ مدرسة مَظاهِر العلوم :

وتلي دار العلومَ ديوبند في كثرة الطلبة ، والاعتناء بالعلوم الدينية ، مدرسةُ « مَظاهِر العلوم » في مدينة « سَهَارَنْفُور » التي تأسَّستْ في سنة ١٢٨٣هـ .

وقد خرَّجَتْ هذه المدرسةُ عدداً كبيراً من العلماء الصَّالحين ، والرجال العامِلين في ميادين العلم والدين ، ولعلمائها ومتخرِّجيها آثار جليلةٌ في شرح كُتب الحديث ، وخدمة هذا الفنِّ الشريف[2] .

ومِن علماء هذه المدرسة المتخرِّجين : العلاَّمة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي[3] صاحبُ « أوجز المسالك شرح موطأ الإمام مالك لله » (في ثمانية عشر مجلَّداً) .

عُرِفَ علماء هذه المدرسة بالعكوف على العلم ، والاهتمام بإصلاح الباطن ، وتهذيب النفس ، وإصلاح الفرد مُتأسِّين بأسوة ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣ ـ ٦٤] .

---

(١) المسلمون في الهند : ص(١٢٩ ـ ١٣٠) .

(٢) المسلمون في الهند : ص(١٣١) .

(٣) هو العلاَّمة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي ، كان من كبار العلماء والمحدِّثين في الهند ، انتقل في آخر عمره إلى السعودية وأقام بالمدينة المنوَّرة حتى وافاه الأجلُ المحتوم عام ١٤٠٢هـ ، ومِن أشهر مؤلفاته : « أوجز المسالك شرح الموطأ للإمام مالك » و« لامع الدُّرَاري على جامع البخاري » و« الأبواب والتراجم » و« حِجَّة الوداع وعمرات النبي ﷺ » .

www.abulhasanalinadwi.org

٣ ـ دار العلوم التابعة لندوة العلماء :

وتتوسَّطُ بين المدارس القديمة التي تتمسَّكُ بالقديم وترى العدول عنه ضرباً من التحريف ، ونوعاً من البدع ، وبين الجامعات المدنية التي تقدِّس الجديدَ ، وتستهين بكل قديم ، تتوسَّطُ بين تلك وهذه دار العلوم التابعة لندوة العلماء التي تأسست في لكهنؤ سنة ١٣١٢هـ بيد العالم الربَّاني الشيخ محمد علي المُوْنْكِيْري[١] وزملائه المُخلِصين ، الذين خافوا على المسلمين من المَحَافظين ومن المتطرِّفين ، ومن اعتزال العلماء عن الحياة ، وتخلفهم عن ركب الثقافة والعلم ، ومن العصبيات المذهبية ، والمشاجرات الفقهية ؛ التي قويتْ ، ونشطتْ في العهد الأخير .

عُنِيت دار العلومُ بصفة خاصة بالقرآن الكريم ـ الرسالة الخالدة ـ وتدريسه ككتاب كلِّ عصر وجيل ، وعُنيتْ باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمينة خزائنه ، واجتهدتْ أن تخرِّج رجالاً مبشِّرين بالدين الإسلامي الخالد لأهل العصر الجديد شارحين للشريعة الإسلامية بلغةٍ يفهمها أهلُ العصر ، وبأسلوب يستهوي القلوب ، أمة وسطاً بين طرفي الجمود والجحود ، وقد نجحتْ في مهمتها نجاحاً لا يستهان بقيمته ، فأنجبتْ رجالاً هم خيرُ مثل للعالم المسلم العصري ، لهم آثارٌ جميلةٌ خالدة في الأدب الإسلامي ، وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد، والسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ـ والتاريخ[٢] .

ولنا في الحديث عن « ندوة العلماء » عودٌ في الباب السادس المخصَّص بها ، فاقرأه لزاماً ؛ لتستوعب فكرتها .

لفتةٌ مهمَّةٌ :

تُشارِك « مدرسةُ مظاهر العلوم » و « ندوةُ العلماء » دارَ العلوم ديوبند في العقيدة والمبدأ والشعار ، مع اختلافٍ يسيرٍ في المنهجِ والاختيارِ والترجيح ، ولكن مع الاتفاق على المبادىء والانتماء إلى مدرسة الإمام ولي الله الدهلوي الفكرية والعلمية والدعوية ، فإنَّ هذه المدارس الثلاثة كلَّها دوحاتٌ وأغصان من شجرة واحدة ، وإنما تتميز فيما بينها بخصائصها وترجيحاتها ومجالات عملها .

---

(١) انظر ترجمته في الباب السادس ، الفصل . . ص(٨٧١) .
(٢) المسلمون في الهند : ص(١٣٨ ـ ١٣٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

بينما استطاع علماء دار العلوم ديوبند الجمعَ بين الدين والعلم والسياسة جمعاً موفقاً ، فمارسوا السياسة العملية ، مع الاشتغال بالعلم والتأليف ، والدعوة والتبليغ ، مع الانشغال بعبادة الله وحده ، ومراقبته في السر والعلن ، وتزكية النفس وإصلاح المجتمع ـ من غير أن يطغى أحد الجوانب على أخراها ـ امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج : ٤١] .

عُرف علماءُ « مدرسة مظاهر العلوم » ـ كما ذكرنا ذلك آنفاً ـ بالعكوف على العلم ، والاهتمام بإصلاح الباطن وتهذيب النفس ، وإصلاح الفرد ، متأسين بأسوة ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣ ـ ٦٤] .

وامتازت ندوةُ العلماء من هاتين الجامعتين بالجمع الموفق بين القديم الصالح والجديد النافع ، ورفع النزاع ـ بوجه خاص ـ من بين المسلمين ، وتسديد الفجوة القائمة بين العلماء والمثقفين بالثقافة العصرية ، والتقريب بين فئات متباعدة من الأمة ، وتخريج أجيال من العلماء المتضلعين بالكتاب والسنة وعلومهما ، المطلعين على أحوال العالم ، وما يجري فيه ، قادرين على الدفاع عن الإسلام والمسلمين في مجالات هاجمها الغزو الثقافي باسم التاريخ والفنِّ والأدب ، ودحض أباطيلهم ، وكشف النقاب عن حقيقتهم ، وعرض الإسلام عرضاً منقّحاً ، سليماً من شوائب الشرك والبدع ، مؤسَّساً على الكتاب والسنة ، ومطابقاً للغة العصر وأسلوبه ، وإعادة ثقة الشباب المسلم في دينه القويم ، وماضيه المجيد ، ومستقبله الزاهر ، واثقين فيما يعتقدون به ويدعون إليه ، عملاً بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] . وقول الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] [النحل : ١٢٥] .

٤ ـ الجامعة السَّلفية :

أسَّست جمعيةُ أهل الحديث في الهند مدرسة باسم « الجامعة السلفية » في عام

---

(١) دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية وتوجيهية . . . : للأستاذ محمد عبيد الله الأسعدي ، ص(٢١٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

١٣٨٣هـ في بَنَارَسْ ، وهي مدينة الهند القديمة التي تعتبر مركزاً كبيراً للمعابد الوثنية وهي عند الهندوس أقدس مكان يتبرَّكون به ، فكانت الحاجةُ ماسةً إلى تأسيس مركزٍ دينيٍّ وعلميٍّ كبيرٍ في مثل هذه المدينة ، وقد تحقَّقت هذه الحاجة يوم افتتحت الجامعة السلفية ، وبدأت نشاطَاتها ، ودخلتْ في مرحلة العمل والتطبيق ، وذلك في شهر ذي القعدة عام ١٣٨٥هـ .

وقد نالت الجامعةُ السلفية ترحيباً من جميع الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها ، وقد ركَّزت عنايَتها بصفة خاصة على الأهداف التالية :

١ ـ تدريسُ القرآن الكريم والسنة النبوية كمصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية .

٢ ـ دراسةُ اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية والاجتماعية القديمة منها والحديثة .

٣ ـ نشرُ العلوم الإسلامية والأدبية ، والاحتفاظ بالتراث الإسلامي ، والاهتمام بتعميم اللغة العربية في الهند .

٤ ـ إعدادُ الدُّعاة الصالحين .

٥ ـ الاعتناءُ بناحية التأليف والطبع في مختلف اللغات العالمية المهمة ، وإعداد الكتاب الإسلاميين الجامعين بين الاعتزاز بالتراث الإسلامي والرد على أعداء الإسلام والدفاع عن الدين .

٦ ـ محاربةُ البدع والخرافات والعادات الجاهلية الفاشية في المجتمعات الإسلامية .

وقد نجحت هذه الجامعةُ السلفية ـ رغم قصر عمرها ـ في أهدافها التي تبنتها إلى حدٍّ كبيرٍ[1] .

الجامعات المدنية العصرية

وتقابل مدرسةَ ديوبند وشقيقاتها وماكان على شاكلتها من المدارس الدينية القديمة ، الجامعاتُ المدنية العصرية التي أسَّسها المسلمون في مُدُنِ عَلِيْكَرَهْ ودِهْلِي

---

(١) المسلمون في الهند : ص(١٣٣ ـ ١٣٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

وحَيْدَرْ آباد ، لتعليم أبناء المسلمين وشبابهم العلومُ العصرية واللغات الأجنبية ، وإعدادهم للوظائف الرسمية والمراكز الحكومية وللمساهمة في حياة البلاد وخيراتها وإدارتها ، ومن تلك الجامعات الجديرةُ بالذكر هنا .

١ ـ جامعة عليكره :

أشهرُ هذه الجامعات وأقدمها وأعظمها تأثيراً في عقلية المسلمين وسياستهم « جامعة عَلِيْكَرَهْ الإسلامية » التَّي تُعَدُّ من أرقى الجامعات في الهند وأوسعها ، أسَّسها الزعيمُ المسلم الشهير السَرْ سيِّد أحمد خان[1] باسم « مدرسة العلوم » .

وقد أُصِيبَ المسلمون في إثر إخفاق الثورة العظيمة التي قاموا بها سنة ١٨٥٧م بجمود تعليميٍّ واجتماعيٍّ ، وتسرَّب اليأسُ إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم ، ومستقبلهم ، وأصابتهم دهشةُ الفتح ، وأساءت الحكومة الإنكليزية الظن بهم ، واستغنت عنهم في وظائفها وإدارتها ، فأصبح المسلمون ـ الذين كانوا يملكون زمام البلاد في العهد الماضي القريب ـ لا نصيب لهم في سياسة البلاد وإدارتها ولا نشاط لهم ، ورأى السيدُ أحمد خان ـ وكان رجلاً شديدَ التأثُّر مرهف الحسِّ ـ : أنَّ علاج ذلك هو تعلُّم الإنكليزية وآدابها وعلومها التي قاطعها المسلمون ، والظهور في مظهر سيد البلاد في الزي واللباس والحضارة والاجتماع ، حتى يزول « مركب النقص » وتولي الوظائف الحكومية .

وقد نجحت جامعة عليكره في رسالتها نجاحاً كبيراً ، وأقبل عليها أبناء الأُسر الشريفة «الأرستقراطية» في عدد كبير، وتخرَّجَ فيها رجالٌ كثيرون شغلوا وظائف كبيرة

---

(١) هو سيد أحمد بن المتقي بن الهادي الحسيني الدهلوي ، وُلِد سنة ١٢٣٢هـ (١٨١٧م) ، وقرأ المتوسِّطات في العلوم العربية ، وعُني بالهيئة والهندسة والأقليدس عناية خاصة ، وتولَّى الوظائفَ والقضاءَ في الحكومة الإنكليزية ، وألَّفَ كتباً ذات قيمةٍ علميةٍ في التاريخ ، وكان من أنصار الحكومة الإنكليزية وممَّن سعى في إخماد ثورة ١٨٥٧م ، وتوطيد الحكم الإنكليزي وإزالة سوء التفاهم والوحشة بين الشعب والحكومة . أصدَرَ مجلَّةً باسم « تهذيب الأخلاق » وسافر إلى أوربا سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٩م) وألَّف هناك كتابه المشهور « الخطبات الأحمدية في العرب والسيرة المحمدية » في الردِّ على السر وليم ميور ، والدفاع عن صاحب الرسالة ﷺ ، وأنشأ في سنة ١٨٧٥م كلية إسلامية إنكليزية ، وهي التي تسمَّى اليوم جامعة عليكره الإسلامية ، وتوفِّي سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٨م) . (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية : للعلامة الندوي ، انظر حاشية صفحة : ٧٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

في الحكومة وتمتعوا بثقتها ، وقد لعبت الجامعةُ وأبناؤها دوراً مؤثِّراً في حياة المسلمين وسياسة البلاد ، ومنها نبعت حركة القوميَّة الإسلامية تقابل حركة القومية الهندية والوطنية ، يتزعمها رجال من الطبقة الارستقراطية في المسلمين .

٢ ـ الجامعة المِلِّية الإسلامية :

وقد انفصل عن جامعة عليكره بعضُ أبنائها وخيرة متخرِّجيها أيام حركة الخلافة والوطنية ، وأسَّسوا جامعةً شعبيةً مستقلةً في السياسة وتعليمها سنة ١٩٢٠م ، يتزعمها الزعيمُ الإسلامي الكبير مولانا محمد علي ، وقد انتقلت من عليكره إلى دهلي واشتهرت باسم « الجامعة المِلِّية الإسلامية » يمتاز أساتذتها وإدارتها ـ وكان على رأسها الرجل التعليمي العالمي الدكتورذاكر حسين رئيس الجمهورية الهندية سابقاً (ت١٩٦٩م) ـ بنزعتهم الوطنية وروح التضحية والإيثار ، ظلوا مدةً طويلةً يكافحون التيار ، ويعيشون في شظفٍ وعسرٍ ، وكان لهم نشاطٌ ظاهرٌ في ميدان الثقافة والتعليم ، ومحصول ذو قيمة في الأدب والعلوم ، وهي الآن من الجامعات التي تنفق عليها حكومةُ الهند .

٣ ـ الجامعة العثمانية :

وتمتازُ « الجامعة العثمانية » في حيدر آباد بأنها جامعة درَّسَتْ العلومَ العصرية في « أردو » لغة الهند العلمية ، وعُنيت بنقل العلوم الحديثة وترجمة الكتب المهمَّة في الفلسفة وعلوم الطبيعة والطب والسياسة والاقتصاد والتاريخ إلى هذه اللغة ، ووضع المصطلحات العلمية فيها ، وبذلك أدَّتْ خدمةً عظيمةً للمسلمين ، وثقافة الهند .

المجامع العلمية

دورُ المجامع العلمية في تزويد المسلمين بالثقافة الإسلامية في الهند بعد الاستقلال :

أعَلَنتِ الهندُ بعد الاستقلال : أنَّها دولةٌ علمانيةٌ لا دينيةٌ ، لم تعد تتحمَّل مسؤولية التعليم الديني للمسلمين ، والدين كما نعرف هو أساسُ المجتمع المسلم ، ولهذا كان على المسلمين ـ برغم قلَّة حِيلتهم ـ مسؤولية الاضطلاع بالتعليم الديني ، ومِن هنا

www.abulhasanalinadwi.org

كانت الحاجةُ إلى الأدب الذي يتناول الفكرَ الإسلامي عامةً وموضوعات الدين بصفة خاصة أمراً طبيعيّاً، واقتضى الأمرُ كتابةَ ، ونشرَ العديد من المقالات والأبحاث والكتب التي تغطّي موضوعات الدين ، وهكذا استمرَّ بعضُ المجامع العلمية في مهمتها .

فأصدرت هذه المجامع بعضَ الكتب الدينية الخالصة في علم الفقه والفتاوى وفي تزكية النفس وإصلاحها ، كما طبعت بعض الكتب للرد على الباطل وتنقية الإسلام من البدع .

وتُرِجمتْ بعضُ دراسات علوم القرآن الحديث من العربية إلى الأردية ، وكتب علماء الهند ، وباكستان مباحث جديدة ، وفي السيرة النبوية أعيد طبعُ بعضِ الكتب ، ونُشر الجزء السادس من السيرة للعلامة شبلي النعماني ، وصدرت أبحاث عدة تناولت الخلفاءَ الراشدين ، ومآثرهم الخالدة .

وفي مجال التاريخ الإسلامي أُعيد نشر بعض الكتب بالإضافة إلى الكتب الجديدة التي صدرت ، فقد نشرت ندوة المصنِّفين في دهلي موسوعةَ تاريخ الأمة ، والتي تقع في أحد عشر مجلَّداً منذ عهد الرسالة حتى عهد سلاطين الهند ـ كما تُرجمت الرحلات العربية ، وأمَّات كتب التاريخ كتاريخ الطبري وغيره إلى الأردية[1] .

ولا شكَّ: أنَّ المسؤولية تزايدتْ على الإدارات والمؤسَّسات الإسلامية في الهند ، وذلك من أجل وضعِ خطة تربوية وتعليمية للمسلمين ، ومن أجل وضع مناهج الدراسة الخاصة بالمسلمين ، ورغم أنَّ بعض الإدارات حصرت نفسَها، وتقوقعَت داخل قاعات البحث فقط ، إلا أن بعض الإدارات خرجتْ عن ذلك ، واجتهدَتْ في سبيل الدعوة الإسلامية والاهتمام بالمسلمين ، فهناك إدارةُ البحث العلمي الإسلامي التابع لجامعة عليكره . وتتولَّى القيامَ بإجراء أبحاث على مستوى عالٍ إلا أنها مؤسَّسة قائمة على العمل العلمي الخالص والبحث ، ولم تضع ضِمن أهدافها نشر الإسلام من قريبٍ ، أو بعيدٍ .

وخدمةُ الدين والدعوة تتولاَّها مؤسَّساتٌ غير حكومية مثل دار العلوم ديوبند ، وهذه المؤسَّسة تقوم بنشر الإسلام، وتبليغ الدين بطريقة مباشرة ، وعن طريق التأليف ، والبحث ، والنشر .

---

(١) تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند : (١٠/٧٣٨ ـ ٧٤٥) ، و « الأدب الأردئي الإسلامي » ص(٦٤٤ ـ ٦٤٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

وهناك مؤسَّساتٌ إسلامية أخرى مشابهة تقوم بنفس المهمة ، كدائرة المعارف ، وندوة المصنِّفين ، والمجمع العلمي الإسلامي ، وقد استمرت في عملها ونشرت أبحاثاً تخدم الفكر الإسلامي الحديث مثل النظام الاقتصادي الإسلامي ، ونظام الحكومة الإسلامية العلم والعلماء ، نظام التعليم والتربية عند المسلمين ، والخلفية التاريخية للفقه الإسلامي ، وغيرها[1] .

نذكر هنا بعضاً من تلك المجامع التي سبق ذكرها آنفاً ، والتي لها دورٌ كبيراً وفضلٌ عظيمٌ في تزويد المسلمين بالثقافة الإسلامية بعد استقلال الهند ، فمنها :

١ ـ دار المصنِّفين (بأعظم كَرَهْ) :

وقد أسَّسَ المتخرِّجون في ندوة العلماء « دار المصنِّفين » في أعظم كَرَهْ عام ١٩١٤م ، وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند ، وكان العلامة السيد سليمان الندوي رئيسها[2] .

وللمجمع صلاتٌ مع علماء العالم الإسلامي والعربي ، وغيرها . له صلات مع علماء باكستان ، وأفغانستان ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، ومصر ، وإنكلترا ، وألمانية ، وأمريكة[3] .

وكان لدار المصنِّفين فضلٌ كبيرٌ فيما نشر من كتبٍ في السيرة النبوية ، وسِيَر رجال من التاريخ الإسلامي وبخاصة عن عهد الرسالة والخلافة الرشيدة ، وقد قام علماء دار العلوم ـ ندوة العلماء بخدمة دار المصنِّفين .

وأخرجت دارُ المصنِّفين مؤلَّفاتٍ قيّمة عن موضوعات الفقه والقضاء والتفسير وغيرها ، كما تمَّت ترجمةُ أهمِّ مؤلَّفات المفكِّرين الغربيين وذلك لإيقاظ أفكار العلماء من كتَّاب الأردية وتعريفهم بالفكر الغربي ، حتى يكونوا على دراية بما يدورُ في الجانب الآخر من العالم[4] .

---

(١) تاريخ أدبيات مسلمانانِ باك وهند : (١٠/ ٧٣٩ ـ ٧٤٨) .
(٢) المسلمون في الهند : ص(١٤٠) .
(٣) مراكز المسلمين التعليمية : ص(١١٧ ـ ١٢٥) باختصارٍ وتصرُّفٍ .
(٤) المرجع السابق : ص(١١٧ ـ ١٢٥) باختصار .

www.abulhasanalinadwi.org

يُصدِر المجمعُ مجلَّةً شهريةً بالأردية بعنوان « معارف » ، ولا تزال هذه المجلَّة تصدُرُ حافلةً بمقالات دينية وأبحاث علمية وأحاديث غزيرة لكبار رجالات العلوم والآداب بالهند مما جعلها في مصاف المجلات الراقية .

٢ ـ ندوة المصنِّفين (بدِهْلِي) :

تُعَدُّ أكبرُ مؤسسةٍ علميةٍ تصدر كتباً في الثقافة والتاريخ ، نشأت عام ١٩٣٨م في عاصمة الهند « دِهْلي » ، وتُصِدر مجلةً علميةً شهريةً وهي مجلة « برهان » كان يحرِّرها الأستاذُ سعيد أحمد الأكبر آبادي (ت ١٩٨٥) ، ولها مطبوعات قيمة حازت القبولَ والتقديرَ في الأوساط الإسلامية العلمية .

٣ ـ دائرة المعارف (بحيدر آباد) :

وهي من المؤسَّسات العلمية الكبيرة التي كان لها فضلٌ كبيرٌ في إحياء الكتب الدينية والعلمية ، وبعثها من مدافنها في المكتبات العتيقة ، ونشرها في العالم الإسلامي .

تأسَّست دائرة المعارف عام ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٨م بتوجية العلاَّمة السيد حسين البَلْكَرَامي ، ومولانا عبد القيُّوم ، ومولانا أنوار الله خان ـ أستاذ سُمُوِّ « النظام » ـ وقد نشرَتْ أكثرَ من مئة وخمسين كتاباً قيماً من كتب الحديث ، وأسماء الرجال ، والتاريخ ، والعلوم الرياضية ، والحكمة ، حرمها العالمُ الإسلامي ، والأوساط العلمية من عهد بعيد ، وتسامع بها العلماء ، والمدرِّسون ، فكانت خدمة جليلة للعلم والدين ، وبرهانا على ما كان ـ ولا يزال ـ للمسلمين من اتصالٍ روحيٍّ ، وفكريٍّ بالثقافة الإسلامية ، وحبٍّ عميقٍ لها ، وقد اعترف بجهود هذه المؤسسة العظيمة ، وجلالة عملها ، وقيمة ما تنشره من التراث العلمي كبارُ العلماء ، ورجال الثقافة في الشـرق ، وأوربا .

٤ ـ المجمع الإسلامي العلمي (بلكهنؤ) :

أُنشِىء هذا المجمعُ في عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٩م) استجابةً لحاجة الأمة الإسلامية الشديدة إلى الدعوة الإسلامية الحكيمة والبعث الإسلامي الجديد ، ولصدِّ تيار الردَّة الفكرية في الطبقات المثقفة برئاسة العلاَّمة أبي الحسن الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

أهداف المجمع :

● إنتاجُ الأدب الإسلامي القويِّ الجميل ، وتأليفُ كتبٍ إسلاميةٍ ذات القيمة العلمية الكبيرة في الأسلوب العصري الجذاب في اللغات العربية ، والانكليزية ، والأردية ، وغيرها ، وترجمتها من لغة إلى لغة وطبعها في مظهرٍ جميلٍ جديدٍ .

● إيصالُ هذه الكتب والنشرات إلى الطبقة المثقَّفة والأوساط العلمية في المسلمين ، وغير المسلمين .

● الاتصالُ بهذه الطبقة ، ورجالها ، وتفقد انطباعها ، وتعهده ، ونماؤه عن طريق المقابلات والمراسلات والنوادي والحفلات .

فألف هذا المجمعُ برئاسة العلاَّمة الندوي في عام ١٩٥٩م باسم المجمع الإسلامي العلمي ، وقد صدق جميع التطلَّعات التي كانت تعلق به ، فنال إعجاباً ، وقبولاً عاماً في مدة مصيرة ، ولا يزال في ازدياد ، ونالت مطبوعاته إعجاب القارئين ، وتقديرهم ، واتسع نطاقُ انتشارها في مختلف أرجاء العالم .

بدأ المجمعُ بنشر المؤلَّفات الإسلامية التي تزوِّد القراءُ بالفكرة الإسلامية الصافية في أربع لغات بوجه عام ، وهي : الأردية ، والعربية ، والإنكليزية ، والهندية ، وقد وفِّق المجمع حتى الآن لتقديم (٣٠٠) مؤلفاً .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر نشاطَ « ندوة العلماء » ، ونشاط مدرستها في نشر الإسلام ، وتعليم أبنائه ، والتقريب بين وجهات المسلمين في الهند ، وسوف نتحدَّث في الباب الرابع عن كتابات بعض المفكِّرين الندويين في الهند ممَّن خدموا الأدبَ الإسلاميَّ ، والفكرَ الإسلاميَّ من خلال كتابتهم ، وأبحاثهم[1] .

---

(١) وقد تحدَّثنا عن خدمات العلماء النَّدْوِيِّين في مجال الفكر والدَّعوة ، وفي فنون العلم والأدب واللغة في كتابنا « ندوة العلماء : في سِيَر أعلامها وتراجم علمائها » .

www.abulhasanalinadwi.org

د ـ الحالة الاجتماعية

يتميَّز المسلمون في الهند بخاصة بالمحافظة على الآداب ، والقِيَم الإسلامية التي تظهر في معاملاتهم ، وأخلاقهم ، والتي سجَّلها كبار علماء العرب خلال زيارتهم لها في كُتبهم[1] ، والتي تتجلَّىٰ لزائري الهند في أخلاق مسلميها ، ومعاملاتهم ، وطيب معشرهم ، وخِفة ذوقهم ، وبشاشتهم ، وهم لا ينفكون عن طبيعة المحافظة هذه في هذا المجتمع الهندوسي الوثني .

يقول العلاَّمةُ أبو الحسن الندوي مؤكِّداً أصالة خلق المسلم الهندي وأدلَّتها : « إنَّ المسلمين مع امتزاجهم بالشعب الهندي وتأثُّرهم الواسع العميق بطبيعة البلاد وشعوبها وثقافتها الذي نوَّه به جوستاف لوبون في كتابه « حضارة الهند » لا يزالون شعباً ممتازاً في أخلاقه ، وطبيعته ، واتجاهاته ، ومنهج حياته ، وعاداته ؛ التي أصبحت طابعاً يتميَّز به المسلمُ في كل ناحيةٍ من نواحي الهند[2] » .

رغم انحطاط عظيم أُصيب به هذا الشعب تبعاً للأوضاع السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، ورغم تطوُّر عظيم حدث في الحضارة ، والقيم الخلقية ، فلا يزال ممتازاً ـ في أكثر الأحوال ـ في الكفاية الإدارية ، وسرعة القضاء ، وقوة التنفيذ ، ولا يزال كثير من أفراده يشغلون مناصب خطيرة ، ومراكز ذات قيمة وأهمية ، ويمتازون بالأمانة ، ومجانبة الرذائل الخلقية ، لذلك يتمتعون بثقة الحكومات ، وتوسد إليهم أمور ذات بال ، وقضايا ، ومراكز تقتضي الأمانة الفائقة ، والاستقامة الظاهرة ، والذكاء النادر .

ويضرب العلامةُ الندوي أمثلة على ذلك : الكرم في الضيافة ، يقول :

« إذا كنتَ ضيفاً عند صديق لك مسلم ـ وليس من اللازم أن يسبق بينكما معرفة أو

---

(١) مثل أديب العربية الكبير العلامة الشيخ علي الطنطاوي في كتابه « ذكريات » ، والكاتب الإسلامي الكبير الشيخ محمد المجذوب في كتابه « مشاهداتي في الهند » .

(٢) المسلون في الهند : ص (١٦٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

تقوم بينكما صداقة ، فالمسلم أخو المسلم ، والمسلم الغريب ضيف أخيه المسلم المُقيم ، قدمت إليك مائدة واسعة بخلاف الطريقة الهندية القديمة ، وأرغفة كبيرة ، وكميَّة من الطعام كبيرة تفضل عن الضيوف . . وإذا أراد واحدٌ من المسلمين أن يأكل في القطار ، أو في غرفة الانتظار لا بدَّ أن يدعوك إلى الطعام ، ويُلح عليك ، حتى إن هذه الأخلاق الكريمة استرعت نظر كثير من غير المسلمين الغرباء عن الهند فدخلوا في الإسلام ؛ لشدة ما رأوه من فارق بين مجتمعين متلاصقين ، وبين سلوك وأخلاق كل منهما ، خلق وسلوك ممتاز ، وآخر منحط سافل وكل من زار الهند من المسلمين العرب يشهد بهذا الكرم الهندي ، في الاحتفاء بالضَّيف ، وإنزاله منزلاً حسناً »[1] .

ولكن للأمانة أسجِّل انطباعَ أحد علماء العرب الأجلاء الذي زارَ الهند ، ورأىٰ فيها كثيراً من المزايا الحسنة من أخلاق المسلمين الاجتماعية ، كما رأى فيها ما لا يليق ، وما ينافي أخلاق الإسلام السمحة ؛ ذلك هو الكاتب الإسلامي الكبير ، الشيخ محمد المجذوب ـ رحمه الله ـ :

« فمثلاً : حين يتقدَّم الخاطبُ المثقَّف إلى فتاة يخطبها وتكون الموافقة ، لا بدَّ أن يقدِّم أهل الزوجة ـ لا أهل الزوج على خلاف المعهود ـ هديةً ثمينةً قد لا يحتملها وضعهم المادي ، والخاطب هو الذي يحدد نوع الهدية بنفسه ، وذلك تقليد يجافي روح الإسلام السمحة الذي لا يكلف نفساً إلا وسعها وأغلب المسلمين لا يتبعون هذا التقليد ، وينفرون منه » .

وكان ممَّا لاحظه أيضاً في أن الخاطب لا يرى مخطوبته أبداً ، فإنَّ المرأة المسلمة هناك لا يراها أحدٌ حتى إذا قصد خطبتها .

يقول الشيخ محمد المجذوب : « ولقد أثرتُ موضوع الرؤية مع بعض إخواني من شيوخ الندوة (أي دار العلوم ـ ندوة العلماء) وذكَّرتُهم بتطبيقات الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بالتوجيه النبوي : « انظرْ إليها »[2] . وما في إغفاله من عواقب ربما لا تكون

---

(١) المسلمون في الهند : بتصرُّف يسير ، ص (١٦٩) .

(٢) والحديث بكامله : « عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً أراد أن يتزَوَّجَ امرأةً من الأنصار فقال له النبيُّ ﷺ : « انظُرْ إليها ، فإنَّ في أعيُنِ الأنصار شيئاً ـ يعني صغيراً ـ (أخرجه ابن حبان في الصحيح (٩/ ٣٤٩) ، برقم (٤٠٤١) ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٨٦) ، برقم (٧٨٢٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

في مصلحة الزوجين ؛ الذين لم يعرف أحدهما صاحبه إلاَّ ليلة الزفاف ! . . فلم أجِد منهم أيَّ تجاوبٍ في هذا الموضوع ، بل أحسستُ : أنهم مصرّون على الوضع المألوف دون أيِّ تعديلٍ » .

ثم يلتمس الشيخ التفسيرَ ، والعُذر لهذا النظام ، فيقول :

« والشيء الذي تقرَّر في ذهني تفسيراً لتشدد إخواننا مسلمي الهند في هذا الجانب ، هو أنه جزء لا يتجزَّأ من روح المحافظة التي يمتازون بها في شأن المرأة على معظم الشعوب الإسلامية ، فالحجاب هناك هو الأساس في نظامهم الاجتماعي ، والسفور هو الشذوذ المرفوض الذي لا يقدم عليه إلا المفارق لجماعة المسلمين ، وما أذكر أني شاهدتُ قطُّ في كل المُدُن التي زرتُها من الهند مسلمةً واحدةً دون نقابٍ ، أو في ثوبٍ مصنوعٍ على الطريقة الأجنبية » .

وهم بذلك متشبّثون بالتميز في هذا المجتمع الوثني المليء بمظاهر الفحش ، واتباع الشهوات ، وهم بذلك يطبقون قول الله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

فَذْلكة[1] هذا الباب

هكذا عاش العلامةُ أبو الحسن الندوي أحداثَ القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الخامس عشر ـ القرن العشرين الميلادي ، وتأثّر ـ ولا شكَّ ـ بما جرى حوله من أحداث كبرى ، في الهند ، وفي العالم الإسلامي ، وفي العالم كله شرقيّه وغربيّه .

ومثله لا تمرُّ الأحداثُ الكبيرةُ عليه ؛ وهو في غيبة أو غفلة منها ، بل هو يحسُّ بها ، ويتفاعل معها بعقله وقلبه ، ربّما كانت يدُه قصيرةً ، ولكنَّ عينَه بصيرةٌ ، ترى وترقب ، وتنقل ذلك إلى العقل ، فيفكّر ويتأمّل ، وإلى القلب فيشعر ويتألّم ، وربّما أنشد مع الشاعر :

قَلْبي يُحسُّ ، وهذِهِ عَيْني تَرى ما حِيْلَتي فِيْما أُحِسُّ وَما أرى ؟!

كان العلامة الندوي في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره ؛ إذ أُسقطت الخلافة العثمانية ووقع العالم الإسلامي عموماً والعالم العربي خصوصاً أسيراً مكبّلاً في أيدي الاستعمار الغربي البغيض ؛ الذي جعل منهما بقرةً حلوباً ، وناقة رطوباً ، يحلب ضرعها ، ويُسيء علفها .

وشاهدَ العلامةُ ـ ولا شكّ ـ منذ صباه كيف زُرِعَ هذا الجسمُ الغريب في جسد الأمة العربية والإسلامية ، وهو (الوجود اليهودي الصهيوني) في أرض فلسطين ، بوعد من بريطانية ، وتعهّد ورعاية من جانبها ، حتى كان الكيان الصهيوني قد ترعرع ، ونما ، وشبَّ عن الطوق ، وأمسى قادراً على أن يعلنَ قيام دولته الجديدة ، متحدياً عشرات الملايين ، ومئات الملايين من العرب والمسلمين .

وشاهدَ تحكُّمَ الإنكليز في بلاده (الهند الكبرى) بعد أن كان المسلمون هم حكّامُها لعِدَّة قرون ، وبعد أن تزكوا فيها آثاراً رائعة تنطِقُ بعلوِّ كعبهم في الحضارة ،

---

(١) الفَذْلَكَةُ : مُجمَل ما فُصِّل وخُلاصته .

www.abulhasanalinadwi.org

وبما كان لهم من سبق في مضمار التقدم ، والإبداع الماديّ بجوارِ ما كان لهم من فضلٍ في الجانب الروحيّ ، والأخلاقيّ .

وشاهد مقاومةَ بلاده للاحتلال البريطاني ، ودورَ المسلمين التاريخي في هذه المقاومة ، ودورَ علماء المسلمين الكبار في قيادتها ، والتحريض عليها ، مثل مولانا محمد علي جوهر ، مولانا أبي الكلام آزاد ، والشيخ محمود حسن المعروف بـ« شيخ الهند » ، والشيخ أحمد المدني المعروف بـ شيخ الحديث » ، وكبار مشايخ دار العلوم ديوبند .

وشاهَدَ تحزُّرَ الهند من الاستعمار البريطاني ، ثم انقسامَ الهند إلى دولتين : واحدةٍ للمسلمين ، وهي باكستان (الشرقية والغربية) ، والأخرى للهندوس ، وهي هندستان (أي : الهند) ، واختيارَ عشرات الملايين من المسلمين أن يبقوا في الهند مع تراثهم وتاريخهم ، وجوامعهم (جامعاتهم) وحضارتهم ، وآثار أسلافهم ، وإنْ أصابهم ما أصابهم من المِحن والآلام بعد ذلك .

وشاهدَ كيف أنشبَ الاستعمارُ الغربي أظافره في ربوع العالم العربي تحت مخطَّط مدروس ، يمتصُّ خيراته ، ويخرِّب أقطاره ، ويحرِّش بين أبنائه ، ويغزو حضارته وثقافته ، ويعمل على توهين عُرَا التضامن ، والاتحاد ، والوئام ، والتآلف ، ويسعى لإصابة لغته العربية بلوثات الرطانة والعجمة ، وإضعاف ثقة أبنائها بها وبمستقبلها ، متَّهماً إيَّاها بالضعف عن استيعاب معطيات التقدُّم ، ومسايرة ركب الرقي والحضارة الفتية الحديثة .

وفي جانب آخر ، عَاشَ أواخرَ عهد الاستعمار الإنكليزي بوطنه الهند ، ورأى الظلمَ الذي كان يصبّه أنواعاً وأشكالاً على أبنائها ، ولا سيَّما المسلمين الذين منهم نزعَ الحكمَ والسلطةَ ، فحاول الاستعمار ـ جهده أن يجعلهم أذلَّةً بعدما كانوا أعزّة ، وأن يطمسَ من أرض الهند التي حكموها ألفَ سنةٍ جميعَ معالم الإسلام . وعايشَ النضالَ النبيلَ الطويلَ الذي خاضه العلماء الغيارى ، والقادة المخلصون من أجل تحرير البلاد من نير الاستعمار ، ثم عايش استقلالَ البلاد ، وتقسيم الهند بين دولتين : الهند وباكستان ؛ ورأى أن جهود العلماء والقادة تتبعثر ، وأنَّ الاستقلال لم يَجْنِ منه المسلمون إلا الحصاد المرّ ، وأنَّ حرمات المسلمين ، وأعراضهم ، وأرواحهم ، وممتلكاتهم معرضةٌ في الهند المستقلة للخطر ، كما أنّ دينهم، وعقيدتهم، وهويَّتهم

www.abulhasanalinadwi.org

مهدَّدة بالعلمانية المغلوبة بقوَّة الوثنية المتطرفة ، والعصبية الهندوسية العدوانية ، التي قرَّرت منذ عهدها الأول بتباشير الاستقلال أنها لن ترعى في مؤمنٍ إلاً ولا ذمةً ، ومهما أثبتَ المسلمون مواطنتهم الصادقة ، ووفاءهم ، وولاءهم للوطن ، وقدموا تضحيات مالية ، وروحية من أجل أبناء الوطن .

انطبع ذلك كلُّه في مخيلته ، وتفاعل مع الموقف الحزين المؤلم الذي شاهد العالمَ الإسلاميَّ ، والعالمَ العربيَّ يعيشُه ، ويقتاتُ منه ، وهو إلى جانب تشرّبه للعلم ، وحبِّه العجيب للاطلاع والدراسة ـ مرهفُ الحسِّ ، رقيقُ الشعور ، مؤمنُ القلب ، صافي النفس ، تربَّى في بيئة لحمتُها وسداها الدينُ والجهادُ ، والعزيمةُ والدعوة ، ووُلد في حجر أسرة تنحدر من السُّلالة النبوية ، وتتمسّك بالموروثات العقائدية والأخلاقية ، وخصائص البيت الحسنيّ الشريف ، وتعتزّ بها ، وتعدها أغلى نعمة بعدَ نعمة الإيمان .

فعاهدَ اللهَ ألا يألو جهداً لأجل العمل على تغيير الحال ، والعودة بالأمة إلى ما فيه عِزّها وعلوّها وفَخارها ، ودعوتها المتصلة إلى الأخذ بالأسباب التي تمنحها المنعة ، والتمكين في الأرض ، وتغير انحطاطها بالرقي ، وتخلفها بالتقدم .

فالعملُ على استعادة المجد الإسلامي المفقود بالنسبة إلى العالم العربي ، والعالم الإسلامي ، والعمل على الحفاظ على الدين والعقيدة أولاً ، وأرواح المسلمين ، وممتلكاتهم ثانياً بالنسبة إلى شبه القارة الهندية جعلهما العلاَّمة الندوي ، ومعه زميلُه الوفي ، وصديقه الصفي ، الداعية الكبير العلاّمة الشيخ محمد منظور النُّعماني[1] ـ رحمه الله ـ أكبرَ هدفٍ وأعظمَ مهمّة ، ركّز عليها جهوده ، وجهاده ، ووقف عليها معظم كتاباته ، وخطاباته[2] .

---

(١) هو العالمُ الجليل ، الداعية الكبير الشيخ محمد منظور النُّعماني ، له فضلٌ كبيرٌ وجهدٌ حثيثٌ في نشر الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين في الهند من خلال جولاته الدعوية في القُرى والمُدن ، وكُتبه ورسائله المترجمة بلغات الهند المحلِّية ، أصدر أوَّلَ مجلَّةٍ إسلاميةٍ دعويةٍ في الهند باللغة الأردية باسم « الفرقان » والَّتي لا تزال تصدر ، انتُخِبَ عضواً لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرَّمة لدى تأسيسها ، توفِّي ـ رحمه الله ـ لكهنؤ عام ١٩٩٦م ، وكان من أعزِّ أصدقاء العلامة الندوي .

(٢) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : للشيخ يوسف القرضاوي ، ص (١١٠ ـ ١١٢) ، ومقالة الشيخ نور عالم خليل الأميني المنشورة في مجلة « الصحوة الإسلامية » العدد (٣٦) =

www.abulhasanalinadwi.org

اجتاز العلاَّمة مراحلَ عصيبة ، ومُني بعقبات ، وتجرَّع المرارَ ، وعاش منذ طفولته حتى دخول معترك الحياة وعمله مدرّساً وداعياً قلّةَ الوسائل المادية ، إلى جانب كونِه نحيلَ الجسم ، معروق اللحم ، منحرفَ الصحّة في معظم أدوار حياته ، ولكنّه لم يحِد عن الجادة ، ولم يقبل المساومة على الهدف الذي حدَّده ، والغايةَ التي وضعها نُصبَ عينيه ، ولم يتردد ، ولم يشك في صحة الجهة ، واستقامة الطريق ، ولم تَقْدِر الظروفُ أن تجعلَه يسقط في وسط الطريق ، مثل كثير من الكتَّاب ، والدعاة ، والمفكِّرين ؛ الذين قد أسكرتهم المغرياتُ في نهاية المشوار ، إن لم يأخذوا بها في بدايته .

* * *

= الخاص بالعلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الثاني

حياة
العلامة أبي الحسن الندوي

الفصل الأول : سيرته الذاتية .

الفصل الثاني : سيرته العلمية .

الفصل الثالث : نُبوغه في الكتابة والتأليف .

الفصل الرابع : في حقل الدعوة والإصلاح .

الفصل الخامس : شخصيته العالمية .

الفصل السادس : وفاته ـ أهمُّ ملامح شخصيته .

الفصل السابع : الشخصيات والكتب التي أسهمت في بناء شخصيته .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الأول

في
سِيرتُه الذَّاتِيّة

المبحث الأول : أسرته .

المبحث الثاني : مولده ـ نشأتُه ـ زواجه .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abuhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

أسرة العلاَّمة الندوية
خصائصها وأعلامها

لا أرى حاجةً إلى إسهاب الحديث هنا في تعريف هذه الأسرة الحسنيّة القطبيَّة الكريمة (التي أبصر فيها العلامةُ أبو الحسن الندوي النورَ) الذي يُحيط بتاريخها وشرفها وأعلامها ، ويُبرز مآثر النابغين والنابهين فيها ، فقد كفى مؤونة ذلك توفُّر المادة التاريخية فيما يتصل بهذه الأسرة في كتب الأنساب والتاريخ ، يكفي لنا جولة أو نظرة للاطلاع على هذه الأسرة الكريمة في الكتب الموسَّعة الَّتي أُلِّفت قديماً وحديثاً ، والتي تتحدَّث عن هذه الأسرة وعن أعيانها من العلماء المُصلحين الكبار ، والمؤرِّخين المؤلفين العظام مع ذكر مآثرهم الخالدة في ميادين الإصلاح والدعوة والتربية وفي مجال التصنيف والتأليف[1] .

لذا أكتفي هنا بذكر نسب العلامة الندوي وأسرته وموطنها ، وبنبذة بتعريف أعيانها وعظمائها ، بدءاً بذكر خصائص الأسر العربية في الهند ، فخصائص أسرة العلامة الندوي من بينها .

خصائص الأُسَر العربية في الهند :

أمَّا خصائصُ الأسرُ العربية التي استوطنت الهند ، فقد وقف عليها العلاَّمة الندوي من خلال تراجم أجداد الإمام شَاهْ ولي الله الدهلوي وسلفه وقد لخَّصها بما يلي :

١ ـ « صلةٌ عامةٌ بالعلم والدين والتقوى والورع والقضاء والإفتاء » ، الذي

---

(١) يُرجع في ذلك إلى هذه الكتب : « إذا هبَّت ريح الإيمان » و« سيرة السيد أحمد عرفان بن الشهيد » للعلامة الندوي ، و« العلامة السيد عبد الحي الحسني مؤرِّخ الهند الأكبر ، عصره ـ حياته ـ ومؤلَّفاته » للدكتور السيد قدرة الله الحسيني (طبع دار الشروق ، جدّة) و « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » للعلامة عبد الحي الحسني ، (طبع دار ابن حزم ، ببيروت) .

www.abulhasanalinadwi.org

لا يستبعد تسلسله واستمراره على أساس هذه المناسبة ، والانسجام السُّلالي الموروث بالعلم والدين والعزيمة وعلوّ الهمّة .

٢ ـ حفظُ الأنساب ، وتعهُّد سلسلة النسب للأسرة وترتيبها والحفاظ عليها . وربما كان للتأثُّر بالنظام الطبقي في الهند نصيبٌ « فقد عُرف بالتفاخر بالنسب ، والاعتزاز به من قديم الزمان » كما يقول العلاَّمة الندوي .

٣ ـ أمَّا الخصيصةُ أو الصفة الثالثة في الشجاعة والجلادة والفتوَّة والفروسية ، « التي هي كذلك من الخصائص السُّلالية الوراثية للنسل العربي ، ولا سيما قبيلة قريش » .

ولا ريبَ في أنّ هذه الصفات والخصائص أنتجت في هؤلاء (الغرباء) غيرةً دينيةً وسلاليةً « وقوة مقاومة خارقة ضدَّ كلِّ التأثيرات الخارجية ، استطاعت أن تبقي على شخصيتهم المتميّزة إلى حدٍّ كبير ، وأن تنقل خصائصها عبر القرون إلى الأجيال بعد الأجيال » .

يقول الإمامُ الدهلوي :

« . . إنَّ عربيةَ نسبِنا ولغتنا مفخرتان لنا عظيمتان ، فهما تقربانا من سيّد الأولين والآخرين وأفضل الأنبياء والمرسلين ، مفخرة الكون والخلق أجمعين محمد عليه الصلاة والتسليم ، وإنّ من واجب الشكر على هذه النعمة الجليلة أن لا تنقطع صلتنا ـ كلياً ـ بعادات أولئك العرب الأولين وتقاليدهم ، الذين نشأ فيها رسول الله ﷺ ، ولا ندع تقاليد العجم وعادات أهل الهند والوثنيين وطقوسهم تنتشر وتشيع فينا » ثم يقول : « إنَّ السعيد منّا من له مشاركةٌ في اللغة العربية ، وإلمامٌ بالصرف والنحو الأدب ، واطّلاعٌ على القرآن والحديث . . » .

أمَّا الإمام أحمد السرهندي فكان « يعتزّ بهذه النسبة ، ويرى هذه الحمية الدينية نتيجةً طبيعيةً لها وإحدى مقتضياتها » كما يقول العلامة الندوي[1] .

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : (تقديم الدكتور عدنان زرزور) ، (١/ ١٨ ـ ١٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

اسمُه ونسبُه

اسمه :

هو الإمامُ ، المفكِّر ، الداعيةُ ، المربِّي ، الأديب (أبو الحسن علي الحسني النَّدْوي) .

لقد عُرِف بهذا الاسم منذ علا نجمُه وبرزت شخصيتهُ ، سواء كان في الهند أو خارجها في أرجاء العالم ، فمن هنا يمكن لي التعريفُ به اسماً وكنيةً ، ونسبةً باختصارٍ فيما يلي :

أمَّا (عليّ) فهو اسمُه ، سمَّاه به والدُه الجليل ، وكان يُناديه به كبارُ أفراد أسرته . وأساتذته وشيوخه .

وأمَّا (أبو الحسن) فهو كنيتُه ، ولم أَدْرِ أنَّه كَنَّى بها نفسه ، أو كَنَّاه بها والدُه ، ولكنَّه عُرِف بهذه الكنية منذ حداثة سِنِّه .

وأمَّا (الحَسَنِي) فهو نِسبتُه إلى السيِّد الحَسَن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، سيأتي الحديثُ عن هذا النسب في الصفحة القادمة .

وأمَّا (النَّدْوِيُّ) فهو نسبتُه إلى « دار العلوم التابعة لـ « ندوة العلماء » (الهند) ، ويحسبُ كثيرٌ من الناس ـ والعرب خاصَّةً ـ أنَّ « النَّدْوِيّ » لقبُ أسرةٍ يجمع بين أفرادها النسبُ ، ويسألون ما قرابة العلاَّمة السيد سليمان الندوي (أحد كبار المؤلِّفين في السيرة على الإطلاق) ، والأستاذ مسعود الندوي (الأديب العربي الكبير ، ورائد الصحافة العربية الإسلامية في شبه القارة الهندية) ، والعلاَّمة أبي الحسن الندوي ؟ .

ففي الحقيقة لا يجمع بينهم النسبُ ، وإنَّما يجمع بينهم العِلم والأدب ، والمعهد (أي دار العلوم التابعة لندوة العلماء) الذي ينتسبون إليه ، كانتساب المتخرّج في الأزهر بـ « الأزهري » ، يقول أديب العربية الكبير الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله تعالى ـ :

« . . . وأنا لا أعرف أهل معهدٍ أو مدرسةٍ لهم تعلُّقٌ بمعهدهم أو مدرستهم كَتعلُّق النَّدْوِيِّينَ بنَدْوَتهم ، ينتسبون إذا انتسبوا إليها لا إلى آبائهم ، ويجتمعون عليها أكثر ممَّا

www.abulhasanalinadwi.org

يجتمع أفرادُ الأسرة على أنسابهم ، فكلٌّ من دخلها حَمَل لقبَ « النَّدْوِي » فعُرِف به ، لا بلقب أهله . . . »[1] .

نسبه :

أمَّا نسبُ أسرة العلاَّمة الندوي فهو من سِلسلةٍ ذهبيةٍ يصل إلى السِّبْط الأكبر حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وهو حَسَنيٌّ من جانب والده ، وحُسَيني من جهة أمِّه ، فهو نجيب الطرفين في النسب .

انحدَرَ العلامة أبو الحسن علي بن عبد الحي بن السيد فخر الدين الحسني من سلسلة النسب الكريم الذي ينتهي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهَه ، وسياق نسبه كما يلي :

السيد علي أبو الحسن بن عبد الحي بن السيد فخر الدين الرَّائي البَرِيْلَوِيُّ[2] بن عبد العلي بن علي محمد بن أكبر شاه بن محمد شاه بن محمد تقي بن عبد الرحيم بن هداية الله بن محمد إسحاق بن محمد معظم بن القاضي أحمد بن القاضي محمود بن القاضي علاء الدين بن قطب الدين محمد الثاني بن صدر الدين بن زين الدين بن أحمد بن علي بن قيام الدين بن صدر الدين بن القاضي ركن الدين بن الأمير نظام الدين بن شيخ الإسلام الأمير قطب الدين محمد المدني ، بن رشيد الدين أحمد بن يوسف بن عيسى بن السيد أبي الحسن علي ، بن أبي جعفر محمد بن قاسم ، بن أبي محمد عبد الله بن أبي محمد عبد الله بن سيد حسن الأعور الجواد (نقيب الكوفة) ، ابن السيد محمد الثاني بن أبي محمد عبد الله الأَشْتَر بن السيد محمد صاحب النفس الزكيَّة ، بن عبد الله المحض ، بن الحسن المُثَنَّى بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، رضي الله عنهم[3] .

سمات أسرته وأجداده :

مِن سِمات هذه الأُسرة البارزة ، والخصائص التي حافظت عليها وتوارثتها :

---

(١) ذكريات : (٨/ ١١١) .

(٢) نسبةً إلى مديرية « رَائي بَرِيْلِي » .

(٣) سيرة سيد أحمد شهيد : للعلامة الندوي (بالأردية) منقولاً من كُتب الأنساب ، والوثائق التاريخية المحفوظة في مكتبات الأسرة الحسنية .

www.abulhasanalinadwi.org

١ ـ الاحتفاظُ بالنسب ، الذي كان لا يخلو من غُلُوٍّ ومبالغة ، ولكنه ساعد على انتقال خصائص الأسرة في الأجيال والأحفاد مدة قرون متطاولة ، والعرق دساسٌ كما يقال ، و « الناس معادنٌ كمعادن الذهب والفضَّة إذا فقهوا في الدين »[١] .

٢ ـ والعقيدةُ الصحيحة من التوحيد الخالص ، ونبذ عقائد شركية وشعائر جاهلية ، تسرَّبت إلى البيوتات ، والأُسر العريقة في النسب والدين والعلم ، بتأثير المحيط الموبوء والمجتمع الهندي الممعن في الجهالة والخرافة ومحاربة كل ما يمتُّ إلى ذلك بنسب قريب أو بعيد ، في أزمان مختلفة ، فقد نهض في هذه الأسرة دعاةٌ إلى الدين الخالص ، والشريعة الغرّاء والسنة النبوية البيضاء ، لا يبالون في ذلك بخلاف مخالفٍ ، أو لومة لائم .

٣ ـ والعنايةُ الزائدة بالعلوم الدينية ، دراسةً وتعليماً ونشراً فلم ينقطع عنها علماء أجلّاء ، ومعلِّمون ومؤلِّفون ، تخرَّجَ عليهم عددٌ كبيرٌ من طلبة العلم ورُوَّاد الحقِّ .

٤ ـ والغيرةُ على الدين ، والحماس في الدفاع عنه ، والقيام بتحركات عسكرية وحركات جهادية إذا اقتضى الأمرُ ذلك ، فقاد كثيرٌ من أعلام هذه الأسرة حركة الجهاد والقتال في سبيل الله ، والدعوة إليه ، ونرى في كُتُب أنساب هذه الأسرة رجالاً استُشهِدوا في سبيل الله يكثر عددُهم .

٥ ـ والربانيةُ الصافية المشرقة التابعة لكتاب الله وسنة رسوله ، وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة ، فلم تخل فترةٌ من فترات تاريخ هذه الأسرة ، من وجود علماء ربَّانيين ، وشيوخ مربِّين ، قاموا بالدعاء إلى الله ، وإصلاح العقائد ، وتزكية النفوس ، نفع الله بهم خلقاً كثيراً .

٦ ـ والابتعادُ عن مناصب الحكومة والوظائف الرسمية ما أمكن ، والقناعة بالميسور ، والاعتماد على الجهد والاجتهاد ، والطُّرُق المشروعة للرزق الكريم .

٧ ـ والبُعْدُ عن « الشطارة » وحِدَّة الذكاء التي تستخدم في تحقيق المارب الدنيوية ، ونيل الجاه والمنصب ، فيغلب على أفراد هذه الأسرة ـ في غالب

---

(١) كما جاء في الحديث ، أخرجه القُضَاعيُّ في مسند الشهاب ، (١/ ١٤٥) برقم (١٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

الأحوال ـ الوداعة ، وهم يصلحون ليكونوا مظلومين ، أكثر مما يصلحون ليكونوا ظالمين[1] .

هذا ما لُوحِظ من استقراء الأحوال والاطلاع على كتب التاريخ ، ولا نزكّي على الله أحداً .

---

(١) العلامة السيد عبد الحي الحسني مؤرِّخ الهند الأكبر : للدكتور قدرة الله الحسيني ، ص(٧٥ ـ ٧٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

أعلام هذه الأسرة في الهند

نزحت أسرةُ العلامة الندوي في القرن السابع الهجري من المدينة المنوّرة إلى الهند ، وكان كبيرُ الأسرة الأمير قطب الدين محمد المدني (ت ٦٧٧هـ) ابن أخت الشيخ عبد القادر الجيلاني والذي أقام مدةً في (دهلي) ثم خرجَ داعياً ومجاهداً مع أصحابه إلى ولاية (أترابراديش) شماليّ الهند ، واستقرّ مع أفراد أسرته في قصبة الولاية حينذاك (كَرَهْ مَانَكْ بُوْر)[1] ، واستوطن بعضُهم في قرية « نصير آباد »[2] .

وكان سببُ هجرته إلى الهند أنه رأى في منامه رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة يأمره بالتوجه إلى الهند للجهاد ، ويبشّره بالفتح المبين ، فقدم الهند مع جماعة كبيرة من أصحابه عن طريق بغداد وغَزْنَة في أوائل القرن السابع الهجري إثر فتنة المغول ، وتولّى مشيخةَ الإسلام في دهلي مدة من الزمان ، ثم خَرَجَ مجاهداً في سبيل الله (ولم تكن الهند قد خضعت للدولة الإسلامية كلياً) ، فكان مع أولي الهمة والرغبة في الجهاد يفتح البقيةَ الباقية من البلاد ، أو ما خَرَجَ من الحكم الإسلامي وثار عليه ، ويضمُّه إلى المملكة الإسلامية ، وأبلى فيه بلاءً حسناً ، وفتح القِلاع ، ونشر الإسلام ، وربَّى جماعةً كبيرةً من أهل الصلاح ، والعقيدة السليمة ، والدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيل الله ، وانتقل إلى رحمة الله في عام ٦٨٨هـ في (كَرَهْ مانك بور) .

وقد بارك الله في ذرية الأمير السيد قطب الدين ، وتقبَّلها بقبول حسن ، ونفع بها المسلمين ؛ إذ كَثُر فيها العلماء والمربّون والمجاهدون في سبيل الله والدعاة إليه ، الّذين تبنَّوا الدعوة الإسلامية، وقادوا الحركات الدينية في مختلف الأزمان والأمصار .

فأتحدَّثُ هنا عن رجالات هذه الأسرة الكريمة في العصر الأخير الذين لهم دورٌ كبيرٌ في إصلاح النفوس ، وتربية الأجيال ، ونشر علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية .

---

(١) الواقعةُ على قُربٍ من مدينة « إله آباد » في ولاية « أترابرديش » .

(٢) تقع على قرابةٍ من مدينة « إله آباد »، في الولاية الشمالية الهندية المعروفة بـ : « أترابرديش » .

www.abulhasanalinadwi.org

١ ـ الإمام المربِّي السيِّد عَلَمُ الله بن فُضيل الحسني النقشبندي :

وُلِدَ عام ١٠٣٣هـ ببلدة « نصير آباد » توفِّي والده قبل ولادته بالمدينة المنورة ، تربَّى في مهد خاله ، وقرأ على ابن عمِّه ، رحل إلى الحرمين الشريفين للحج والزيارة ، ولما عاد إلى « رَائي بَرِيْلِي »[1] بنى المسجد بذلك المقام سنة ١٠٨٠هـ ، وأنشأ فيها المركز الديني التربوي الكبير ، ولا تزال هذه المدينة « رائي بريلي » موطنَ هذه الأسرة الحسنية الرئيسي الكبير في شبه القارة الهندية .

وكان الشيخُ علم الله عالماً ربَّانياً ، عارفاً بالعلوم الشرعية والمعارف الإلهية ، زاهداً قنوعاً عفيفاً ، وقد عرض عليه الإمبراطورُ المغولي السلطان أَوْرَنْغَ زَيْب عَالَمْكِير إقطاعاً من الأرض فلم يقبل ، واستأثر الفقر والفاقة ، كان في دينه جيد التفقه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحتسب على كل من رأى عليه أثراً خلافاً للشرع سواء كان ملكاً قاهراً أو عالماً كبيراً أو شيخاً جليلاً ، وكان يُكثر الردَّ على المبتدعين ، ويظهر فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين في عصره ، وله كشوفٌ وكراماتٌ ووقائعٌ غريبةٌ ، توفي سنة ١٠٩٦هـ ، ودُفِنَ بزاويته في تكية كلان في « رائي بريلي » ، وله مصنَّفات ، منها : « العطيات » و « عناية الهادي »[2] .

٢ ـ الإمام الشهيد السيِّد أحمد بن عرفان :

كَثَّرَ اللهُ في ذرية الشيخ عَلَم الله العلماء والمربِّين الذين دعوا إلى العقيدة الصحيحة ، والتمسُّك بالسنة الربانية الصافية ، وإعلاء كلمة الله ، وإدالة الدين والمسلمين من القوات المحاربة للإسلام والشريعة المطهّرة ، كان من أجلّهم وأشهرهم : الإمام الشهيد السيد أحمد بن عرفان ، قائد حركة الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله في تاريخ الهند الإسلامي المجيد ، وأوَّل من أقام دولةً إسلاميةً على منهج الخلافة الراشدة في الحدود الشمالية الغربية للهند في العصر الحديث لمواجهة الاستعمار البريطاني ومقاومته في ثورة عارمة ، بسبب اختلاف وتناحر حكَّام المسلمين في الأقاليم الهندية ، وسيطرة الأنانيَّات والمصالح الفردية .

---

(١) مديرية تقع في ولاية « أترابرديش » وهي تبعد عن عاصمتها « لكهنؤ » حوالي ثمانين كيلو متراً .
(٢) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : (٣/ ٥٨٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

ولو تَعَارَف المسلمونَ في بقاع الأرض بسِيَر رِجالهم في الوطن الإسلامي الكبير ، وطن الإسلام ؛ ولكان اسمه (الإمام الشهيد) يتردَّد في آفاق آسيا وأفريقية كما يتردَّد أسماءُ شهداء الإسلام من لَدُنِ العصر الأول إلى الآن ؛ لقد تطلَّع الإمام المغوار إلى ما حوله ، فأزعجه أن يرى ويسمع عن فظائع طائفة « السِّيخ » في البنجاب ؛ إذا أقدموا على قتل الأبرياء من المسلمين وهدم المنازل ، وهتْك الأعراض ، فغضب الإمامُ لدين الله ، ولإخوته في الإسلام ، ورفع رايةَ الجهاد ، واستنصر الأبطال من كلِّ صوبٍ ، فهرعوا إليه ملبِّين ، وبُويع بالإمارة في جمادى الآخرة ١٢٤٢هـ ، ثم قاد الجيوش من نصر إلى نصر حتى إذا أعيتْ أعداءه الحيلةُ لجؤوا إلى الدسِّ حين هَالَهم أن يُنشىء الإمام دولةً إسلاميةً ، أثبتَتْ قوَّة الإسلام وحميته ، وبقيت أربع سنين ترفع راية الإسلام ، حتى ارتاعت « بريطانيا » وأمدَّت السيخَ بالسلاح الأوربي الحديث ، ثم استعانت أيضاً برجال السوء ممن جهلوا خُبث المحتلّ ، وأغراهم المنصب والجاه ، فجعلوا يُثيرون الفتنة ، ولجأ الإمام إلى « كشمير » مجاهداً ، ولكن اجتماع الإنكليز والسيخ والطابور الخامس من المنافقين ، قد كان أكبر من أن تصمد أمامه القلّة المؤمنة ، ولكنها آثرت الاستبسالَ على الفرار ، واستُشهد الإمام في معركة « بالاكوت »[1] في ٢٤ من ذي القعدة عام ١٢٤٦هـ (الموافق ٦ من مايو عام ١٨٣٠م) استشهادَ الحسين في كربلاء مع عدد كبير من المجاهدين ، الذين كانت قلوبهم تتدفق بمحبة الله ، وتتوقد فيها جذوة الإيمان ، والشوق إلى الشهادة ، التي جعلت لهم أنفسهم وأموالهم هباءً منثوراً ، ورؤوسهم وجلودهم عبئاً عليهم[2] .

٣ ـ الشيخ فخر الدين بن عبد العلي الحسني :

ترك الإمامُ الشهيد وراءه صيتاً عالياً وأثراً طيِّباً وذكراً حسناً في نفوس الأجيال المتعاقبة بعده ، كما نبغ بعده في هذه الأسرة كبارُ العلماء والمؤرِّخين والأدباء

---

(١) قريةٌ تقع في مديرية « هَزَارَا » في غربي باكستان ، وكانت طريقاً إلى « كشمير » .

(٢) استفاد المؤلِّف في ذلك من هذه الكُتب : « النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرون » للدكتور رجب البيومي ، الجزء الثالث ، و « أحمد بن عرفان الشهيد » للشيخ علي الطنطاوي (طبع دار الفكر دمشق) ، ومن أراد الاستزادة من الاطلاع على حياة الإمام الشهيد وحركته فليرجع إلى : « إذا هبت ريح الإيمان » و : « المسلمون في الهند » : و« سيرة السيِّد أحمد الشهيد » للعلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

والمؤلّفين الّذين عرفهم العالم الإسلامي من خلال جهودهم المخلصة في مجال الإصلاح والدعوة ، وآثارهم القيمة في مجال التصنيف والتأليف ، كلُّ واحدٍ كان منهم مكتبةً كاملةً ، وجامعةً متنقلةً ، والجمع بين الدين والدنيا وكثرة المؤلّفات ، ووفرة الإنتاج العلمي ، وكان أكبرهم : الشيخ فخر الدين بن عبد العلي الحسني ، وُلِدَ في زاوية الشيخ علم الله الحسني في « رائي بريلي » في سنة ١٢٥٦هـ ، نشأ بها ، وقرأ القرآن ، وتعلّم الفارسية ، درس العلوم الشرعية على والده ، فأخذ الطريقة عن الشيخ السيد إسحاق بن أحمد بن محمود النصير آبادي ، توفي سنة ١٣٢٦هـ ، ودُفِن في زاوية الشيخ علم الله الحسني في مدينة رائي بريلي .

كان محمودَ السيرة والسريرة ، متعفِّفاً قانعاً باليسير ، طارحاً للتكلف ، متجمِّعاً عن الناس ، مشتغلاً بخاصة نفسه ، محافظاً على أمور دينية ، متواضعاً على الطاعة .

وأمَّا مصنفاته فهي كثيرة ممتعة ، من أهمِّها : « مهرجهانتاب » بالفارسية ، وهو كموسوعة علمية ودائرة معارف في العلوم والفنون والتراجم والسِّير ، يُعدُّ هذا الكتاب أوَّل موسوعة بالفارسية ، ومن مؤلفاته الأخرى « سيرة السادات » ، و « السيرة العلمية » ، و « سبيل النجاة » في الأدعية والأذكار كلها بالفارسية ، وله ديوان شعر كبير بالفارسية والأردية يحتوي على آلاف من الأبيات[1] .

٤ ـ العلاَّمة الشريف الشيخ عبد الحي الحسني (والد العلاَّمة الندوي) :

وأمَّا ابنه الّذي ذاع صيتُه في الآفاق ؛ هو مؤرِّخ الهند الكبير العلامة عبد الحي الحسني (والد العلامة أبي الحسن الندوي) ، الذي استحقَّ بجدارة لقب « ابن خلِّكان الهند » لمؤلَّفه القيم « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنَّواظر »[2] عن أعلام المسلمين في الهند وعمالقتهم ، والّذي أضحى بمجلَّداته الثمانية منهلاً ثرّاً لكل باحثٍ ومحقِّقٍ .

كان العلامة الحسني واحداً من عمالقة الهند وأعلامها ، كان مولعاً بالعلم والمعرفة ، والبحث والاستقصاء ، ومُغرَماً بالتاريخ ، وهاوياً للتصنيف والتأليف فيه ،

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام .

(٢) والذي أصدرته دائرة المعارف بحيدر أباد (دَكَنْ) في الهند ، في ثمانية مجلدات ، ثم نشرته أخيراً دار ابن حزم ببيروت في ثلاثة مجلدات ضخمة باسم « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

www.abulhasanalinadwi.org

قدَّرت الهند فيما بعد علمَه وجهده ، وآثاره العلمية العظيمة ، التي قدمها عنها (عن الهند) إلى العرب بلسانهم المبين .

وُلِدَ العلامة الحسني سنة ١٢٨٦هـ في زاوية الشيخ علم الله الحسني ، ونشأ منذ نعومة أظفاره في طاعة الله ، وفطم نفسَه منذ حداثتها على تقواه ، تلقى دراسته الابتدائية ومبادىء اللغة الفارسية والعربية والإنجليزية على علماء وشيوخ بلده ، ثم قرأ الفقه والأصول والتفسير على كبار علماء مدينة لكنو ، واستفاد في الحديث وعلومه من محدِّث الهند الكبير العلامة الإمام عبد الحي اللَّكهنوي ، ثم سَافَر إلى بُوْفَالْ (وهي إذ ذاك محطُّ رجال العلماء والطلَّاب) وقرأ الحديث على العلامة المحدِّث الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني ، وقرأ الطبَّ على أحد الأطباء الحذَّاق . وزار في الهند المراكز العلمية والدينية ، واجتمع بكبار العلماء والشيوخ واستفاد منهم .

كان حريصاً على إصلاح المسلمين ونفعهم وإنهاضهم ، وكان يتألَّم كثيراً مما يرى من اضطراب حبل المسلمين وتفرُّق كلمتهم ، وتشتُّت جماعتهم وانحطاطهم ، وقد نهضت يومئذ جماعةٌ بجهود الشيخ محمد علي المُونكِيري فوُفِّقت لتأسيس جمعية لتحقيق هذه الأغراض ، اشتهرت في العالم الإسلامي بـ « ندوة العلماء »[1] وذلك سنة ١٣١١هـ ، فتفرَّغ العلامة الحسني لخدمة « ندوة العلماء » وخدمة الإسلام والمسلمين بواسطتها ، ولم يزل يخدم « ندوة العلماء » تطوُّعاً واحتساباً حتى جُعل لها أميناً عاماً في سنة ١٣٣٣هـ ، واستمر على ذلك إلى أن انتقل إلى جوار ربه سنة ١٣٤١هـ ، حيث دُفِن في مقبرة « زاوية شاه علم الله » في رائي بريلي ، وكان عمر العلاَّمة أبي الحسن الندوي آنذاك يتراوح بين الثامنة والتاسعة .

كان ـ رحمه الله ـ متضلِّعاً من جميع العلوم الدينية والدنيوية ، وبارعاً في آداب اللغة العربية والفارسية ، وكان شاعراً مجيداً إلا أنه لم يُكثر فيه ، ومتبحِّراً في التفسير والحديث والفقه والسِّير والتاريخ ، كان منقطعَ النظير بأحوال الهند ورجالها وحضارتها ، كان شديد الحرص على اتِّباع السنة ، والتعظيم للحديث النبوي .

وكان علمُ الحديث هو العلم المفضَّل عنده ، وقد حصلت له مناسبةٌ تامةٌ ، وملكةٌ

---

(١) سوف نتحدَّث عنها وعن مؤسِّسها في الباب السادس .

www.abulhasanalinadwi.org

راسخةٌ فيه، يتبيَّن ذلك من كتابه: «منتهى الأفكار في شرح تلخيص الأخبار»[1].

وكانت أمنِيَتُه الأخيرة أن يتفرغ عن كلِّ ما هو فيه من أعمال ومسؤوليات، وينصرف إلى تدريس الحديث الشريف في مسقط رأسه . . . ويصرف البقية الباقية من حياته في الاشتغال بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أحبه من شبابه، وامتزج حبُّه بلحمه ودمه، ولم تتحقَّق هذه الأمنية، فقد اخترمته المنية قبل ذلك.

وله مؤلَّفاتٌ ضخمةٌ دسمةٌ في تراجم أعلام الهند وعمالقتهم ووفياتهم، وفي تاريخ مساهمتهم في مجال العلوم والفنون، وفي تاريخ الهند في العهد الإسلامي خططاً وآثاراً وما إليها، وقد توارث هذا الذوق من والده الشيخ فخر الدين الحسني، كان له في هذا الموضوع هوى من الصِّبا، فأفرغ مواهبه كلها في المكتبة التاريخية العظيمة التي أَنتجها وخلفها للأجيال القادمة، ومن مؤلفاته العظيمة الخالدة.

● **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**: في ثماني مجلَّدات، يستهل الكتاب بذكرة الصحابة والتابعين والغزاة والمجاهدين الّذين أسعدوا الهند بقدومهم الميمون في القرن الإسلامي الأول، ويختتمه بتراجم أعيان نصف القرن الرابع عشر الهجري في الهند، قال فيه أديبُ العربية الكبير الشيخ علي الطنطاوي: «إنَّ العلاّمة السيد عبد الحيّ جمع في كتابه (نزهة الخواطر . .) من سِيَر أعلام الهند ومن نشأ فيها، ما لم يجمعه كتاب غيره، فهو يُغني في هذا الباب عن كل كتاب، ولا يغني عنه كتاب»[2]. وذكر أنه استفاد منه فوائدَ كثيرة في تراجم عظماء الهند التي أودعها كتابه (رجال من التاريخ) وفي رسالته عن السيد أحمد بن عرفان العالم المجاهد المصلح الشهيد رحمه الله.

● **الثقافة الإسلامية في الهند**: والذي طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٥٧م، والذي قال فيه الشيخ علي الطنطاوي: «إنَّ المؤلِّف أودعه ما لا يستطيع مثلي أن يجده في خزانةٍ كاملة، يكبُّ عليها، يُطالع ما فيها»[3].

---

(١) وهو شرحٌ لكتابه «تلخيص الأخبار» والمطبوع بعنوان «تهذيب الأخلاق»، سيصدر بعناية أستاذنا الشيخ بلال الحسني الندوي، من الهند.

(٢) في تقديمه لـ«مسيرة الحياة» (١/ ٩).

(٣) في تقديمه لـ«مسيرة الحياة»، (١/ ٩).

www.abulhasanalinadwi.org

● **الهند في العهد الإسلامي**[1] : وهو في خِطط الهند وآثارها ، وتاريخ الحكومات الإسلامية ونظمها ، والأمور الخيرية والمؤسَّسات التي أنشأها المسلمون في شبه القارة الهندية .

وبهذه الكُتب الثلاثة القيمة في تاريخ الهند عُرِفَ ، واشتهر العلامةُ عبد الحي في العالم الإسلامي بـ « مؤرخ الهند الكبير » .

● **تاريخ غُجرات** : (يادِأيام) بالأردية .

● **الوردة الرشيقة** : (كُلِ رعنا) بالأردية .

● **تهذيب الأخلاق**[2] (هو مجموعة مفيدة للأحاديث الصحيحة مثل « رياض الصالحين ») .

● **منتهى الأفكار في شرح تلخيص الأخبار** : (وهو شرح « تلخيص الأخبار » له ، والذي طُبع باسم « تهذيب الأخلاق ») كشف فيه النقابَ عن وجوه الاختلاف ، فأجاد فيها أراد .

● **الغِناء في الإسلام**[3] .

● **القانون في انتفاع المرتهن بالمرهون** .

وقد أعقب العلامة الحسني ولدَين وابنتين .

ومنهم أكبر سنّاً : العالم الجليل الدكتور السيد عبد العلي الحسني (سنتحدَّث عنه في الصفحات القادمة) .

وثانيهم : هي السيدة الفاضلة الصالحة المصلحة المربِّية الكريمة أمة العزيز[4] (١٣٢٤ ـ ١٤١٦هـ) .

---

(١) نشرته حديثاً دار عرفات في الهند في طبعة منقحة وأنيقة .

(٢) صدرت له عدة طبعات في الهند وخارجها ، طبع أخيراً بتحقيق وتعليق المؤلف في دار الفارابي بدمشق .

(٣) وقد صدر بتحقيق وتعليق فضيلة أستاذنا الشيخ بلال عبد الحي الحسني الندوي من « دار عرفات » الهند ، و « دار الفارابي » بدمشق .

(٤) وهذه السيدة رحمها الله هي والدة أربعة ، هم أولادها : الشيخ السيِّد محمود حسن رحمه الله ، =

www.abulhasanalinadwi.org

وثالثهم : السيدة الكاتبة القديرة والشاعرة المجيدة ، أمَة الله عائشة ، صاحبة مؤلفات عديدة بالأردية (المتوفية سنة ١٣٩٦هـ) ،

وأما رابعهم فهو أصغرهم سناً وأكبرهم علماً وفضلاً ، المعروف في الخافقين أكثر ما يعرَّف ، الإمام الداعية المفكر المربِّي الأديب العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، والذي نتحدَّث عنه في هذا الكتاب المتواضع إن شاء الله .

٥ ـ الدكتور عبد العلي الحسني :

هو الدكتور السيد عبد العلي الحسني ، كان عالماً تقياً ، طبيباً حاذقاً ، علماً من أعلام الأمة الإسلامية ، ونادرةً من نوادر الأيام في الجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، ومحاسن القديم والجديد ، نشأ في حضانة المؤلِّف العظيم ، جدِّه الشيخ فخر الدين ، ووالده الكبير السيد عبد الحي الحسني ، تعلّم الفارسية حتى أتقنها ، وكان لا يزال يتكلم بها بطلاقة وسهولة ، وقرأ الحديث والفقه وأصولهما ، وأدب اللغة العربية والمنطق والفلسفة في جدٍّ واجتهادٍ ، وفهمٍ وإتقانٍ على أساتذة دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ البارعين .

ثم التحق بدار العلوم ديوبند الإسلامية ، ونال الإجازة منها في الحديث ، ثم رَجَعَ إلى لكهنؤ ، وعكف على دراسة الطبّ العربي القديم ، وقرأ على والده الّذي كان من كبار الأطباء يومئذ ، وأتمَّ دراسته على يده ، ثم سافر إلى دهلي ولازم الحكيم أجمل خان (أشهر أطباء الهند ومن كبار زعماء حركة التحرير ، وأول عضو في مجمع اللغة

= والشيخ محمد الثاني ـ رحمه الله ـ (الذي كان كاتباً وشاعراً ، ومن مؤلفاته « سيرة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي » رئيس جماعة الدَّعوة والتبليغ ، و « سيرة العلامة خليل أحمد السهارنفوري » صاحب كتاب « بذل المجهود في شرح أبي داود ») ، وهي كذلك والدة فضيلة الشيخ السيِّد محمد الرابع الحسني الندوي ـ مَدَّ الله في عمره ـ عالم باحث محقِّق ، وكاتب أديب ، وهو الآن بعد خاله ـ العلاَّمة أبي الحسن الندوي ـ رئيس ندوة العلماء ، وأمين المجمع الإسلامي العلمي ، ونائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وقد عرضت عليه رئاستها ، فاعتذر حفظه الله . وهي أيضاً والدة الصحافي الإسلامي الكبير ، والكاتب العربي القدير ، الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي رئيس تحرير جريدة « الرائد » بالعربية ، وكلّهم علماء وأدباء ، وأصحاب مؤلفات إسلامية ، بارك الله في حياتهم لخير الإسلام والمسلمين .

www.abulhasanalinadwi.org

العربية بدمشق من الهند[1]) ، وبعدما تخرّج في العلوم الدينية ، وأتمّ دراسة الطبّ ، بدأ يدرسُ اللغة الإنجليزية ، والعلوم العصرية وهو شاب ، حتى نال شهادة عالية في الطبّ الإنكليزي ، وقد توفي والده أثناء دراسته ، وبذلك فقدت الأسرة كافلها والحامل لأعبائها ، ثم بدأ حياته المستقلة طبيباً ليكفل أسرته .

وكان مترفّعاً عن الوظائف الحكومية ، قانعاً وراضياً ، مائلاً إلى الزهد في حياته الخاصّة ، وواسع الذراع ورحيب الصدر لإخوته الصغار ، وقد نسوا ألم اليُتْم ، وفَقْدَ الوالد في بِره ورِقته وعاطفته ، وإليه يرجع الفضل في توجيه وتربية العلامة الندوي بعد وفاة أبيه ، حيث كان عمره آنذاك في الثامنة أو التاسعة ، فتولى تربيته ، وكان له مثال الأب الصالح ، والأستاذ الفاضل .

انتخب أميناً عاماً لدار العلوم ـ ندوة العلماء ـ في عام ١٩٣١م بعد رحيل أبيه ، وكان عضواً في لجنة دار العلوم ديوبند الإسلامية أيضاً ، وكان شديد العناية بنشر وتعليم اللغة العربية وآدابها في الهند ، وكان له جهدٌ مكثَّفٌ ، وسعيٌ مشكورٌ في تغيير منهاج دراستها في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ .

أفضى إلى ربّه في سنة ١٣٨٠هـ مخلّفاً وراءه ولده الوحيد الأستاذ محمد الحسني الندوي[2] منشىء مجلة (البعث الإسلاميّ) وخمس بنات[3] .

* * *

---

(١) انظر ترجمته في حاشية صفحة (١٥٨ ـ ٢٥٨) .

(٢) وقد استأثرت به رحمة الله في ١٧ رجب ١٣٩٩ هـ وهو في الرابعة والأربعين من عمره ، وقد نَبَغَ واشتهر بعدما غدا كاتباً إسلامياً مرموقاً بالعربية ، وأصدر مجلة « البعث الإسلامي » ورأسها حتى وافاه أجله المحتوم . انظر ترجمته في الباب السادس في الفصل الخاص بتلاميذ العلامة الندوي ، صفحة (٩٠١) .

(٣) اقرأ ترجمته الكاملة في « شخصيات وكتب » للعلامة الندوي ، ص(٦٣) طبع دار القلم ، دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

الولادة ومرحلة النشأة

مولده :

أبصَرَ العلامةُ أبو الحسن الندوي النورَ في ٦/ محرم ١٣٣٣هـ (الموافق ٢٣/ تشرين الثاني عام ١٩١٤م) في قرية « تكية كَلاَن » التابعة لمديرية « رائي بريلي »[١] .

نشأته :

نشأ العلاَّمة الندوي في هذه الأُسرة العربية الكريمة ، التي ترجع بأصولها العريقة إلى الحسن بن علي عليه السلام ، أصولها التي ظلَّت تتناسل في أكرم بقعة في الأرض ، من مكة التي شرَّفها الله بالبيت العتيق ، وبكونها مشرق الإسلام ذي الهداية الإنسانية التي أخرجت العالمَ من دياجير ظلمات الضلالة إلى نور الهداية .

ونشأَ في بيتٍ عريق في العلم والدين ، امتاز رجاله وأسلافه بعلوّ الهمَّة ، والتمسُّكِ بالدين والصلابة فيه ، والجمع بين الرسوخ في العلم ، والصلابة في العقيدة ، والاشتغال بالدعوة إلى الله والدين الحنيف ، والغيرة عليه ، والدفاع عنه ، والجهاد في سبيله ، وبالاحتفاظ بشخصيته الإسلامية الدينية ، والغيرة الإسلامية ، ومميزاته السُّلالية الموروثة ، على مدى التاريخ .

ونشأَ في بيتٍ كان موضوعه الحبيب ـ بل هوايته ـ التأليف في سِيَر الرجال وطبقاتهم ، وتراجم العلماء وأهل الفضل ، وخاصة الذين أنجبتهم أرض الهند ، ونبغوا في شبه القارة الهندية منذ دخول الإسلام في هذه البلاد إلى هذا القرن ، ونشأ في بيئة كان الحديث الدائر المتكرر في أوساطها ومجالسها ، وتكأة المتحدثين فيها الإشادة بالمُثُل والقيم الإنسانية والعلمية، والتنويه بسمات العلماء الكبار ومجالات اختصاصهم وتبريزهم ، والشعائر الغالية عليهم ، والتغني بنبوغ أصحاب النبوغ ، وعبقرية أصحاب العبقريات في مختلف العصور والأمصار في إكبار وإعظام بل في شيء من الهيام ،

---

(١) التي تبعد عن عاصمة ولاية أترابرديش « لكهنؤ » حوالي ثمانين كيلومتراً .

www.abulhasanalinadwi.org

فثارت في نفسه ملكة الإعجاب بمواضع العظمة والنبالة ومكارم الأخلاق وعلوّ الهمة وسموّ النفس من بين أفراد البشر في سن مبكرة ، لا تنبعث فيها هذه الملكة في غالب الأحيان ، والملكات البشرية المودَعة في طبائع الأطفال قد يثيرها باعث خاص من بيئة وتربية وحوادث مخصوصة ، فتنقدح وتتفتق قبل أداتها الطبعي المعتاد .

ونشأ بصفةٍ خاصةٍ على حبِّ التفنُّن في الفضائل والجمع بين الأشتات وبين الأضداد من الفضائل الإنسانية وأنواعِ العلوم والمعارف والآداب والثقافات وعلو الهمة ، والقدرة الفائقة على التنسيق بينها ، وتسخيرها للوصول إلى غاية مُثلى وخدمة العلم والدين ، حتى لو أدّى ذلك إلى المشاركة في علومٍ وآداب يتحاشى عنها كثير من علماء الدين ، ويعدُّونها من ضآلة العلوم وبراية الآداب .

ونشأ كذلك على حبٍّ من يوفِّقه الله ويقوِّيه على الجمع بين الرياستين : العلمية والعملية ، والحُسْنَيَين : الدنيا والآخرة ، والنقيضَين : (في عُرْف الناس) من إمارة أو وزارة في جانب ، والاشتغال بالتأليف والتدريس ، أو التربية والإرشاد ، والإصلاح وإزالة الفساد في جانب آخر[1] .

أثرُ تربية وتوجيه الشخصيتين في حياته :

إنَّ عبقرية العلامة الندوي وهو بتعبير أفضل أبو الحسنات ، تنبع من هذه النشأة الجامعة والتوفيق الإلهي الذي لا يوفق له كل من يحمل هذه الكفاءات ، والدموع الحارة والدعوات القلبية الصادرة من قلب الأمِّ الحنون ، التي قامت بتربيته ورعاية شقيقه الأكبر (الدكتور عبد العلي الحسني)[2] الذي كان جامعاً بين العلوم العصرية والدينية ، والصلاح والورع ، والحمية الدينية ، والذهن الدعوي .

وأمَّا والدتُهْ فهي السيِّدةُ خَيْرُ النِّساء بنت السيد ضياء النبيِّ الحسني والتي كانت من السيِّدات الفاضلات ، المربِّيات النادرات ، والمؤلِّفات المعدودات ، والشاعرات المجيدات ، والحافظات لكتاب الله ، جمعت فيها هذه المزايا في عصرٍ كان أكثر المسلمات شرقاً وغرباً لا يلتفتن إلى تعليمٍ ، ومن كانت تتعلَّم منهنَّ تقف عند حدٍّ

---

(١) الأميرين صديق حسن خان حياته ـ وآثاره : للدكتور محمد اجتباء الندوي ، انظر مقدمة العلاَّمة الندوي ، ص(٥ ـ ٦) طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

(٢) قد سبقت ترجمته في صفحة (١٤٤ ـ ١٤٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

محدودٍ لا يتجاوز معرفةَ القراءة والكتابة ، إلاَّ مَن نشأ في أسرة الفضل والفضيلة ، مثل والدة العلاَّمة الندوي ، والتي قامت بتربيته فأحسنَتها ، وكانت تتميَّزُ من بين سيِّدات أسرتها بقيام الليل ، وكثرة الدعاء ، ومناجاة الله ، ويشتمل بعضُ أدعيتها على توجيهاتٍ رشيدةٍ ، وابتهالاتٍ وأدعيةٍ كريمةٍ لابنها الحبيب (العلاَّمة الندوي) ، تقول في إحدى أدعيتها متضرِّعةً إلى الله :

« إلهي ! يعيش ابني عليٌّ في الدنيا في حفظك وأمانتك ورعايتك ، ويستنير به سراجُ العالم ومصباح الكون ، ويخصب ويخضر به بستان العالم .

ربَّاه ! استجِبْ دعوتي فأنتَ المجيب ، اجعَلْ (عليّاً)[1] فرحاً فخوراً ذا حظوةٍ ونصيبٍ »[2] .

وكان لهذه الأدعية تأثيرٌ كبيرٌ في حياة العلاَّمة الندوي ـ كما كان يذكر لنا أحياناً ـ ونورٌ وربَّانيَّةٌ في سيرته الشريفة كما كنَّا نلاحظُ ونشاهدُ .

توفِّيت والدتُه الجليلةُ في ٧/ جمادى الآخرة عام ١٣٨٨هـ ، ـ رحمها الله تعالى ـ . ولها بالأردية ديوانُ مجموعةٍ من الأبيات في مدح رسولِ الله ﷺ باسم « مفتاح باب الرحمة » ، ورسائلُ في تعليم النساء والأولاد في الأمور الاجتماعية باسم « حُسن المعاشرة » ، وكتابٌ لتعليم الشؤون العائلية والمطبخ باسم « الذائقة » .

فكانت لهاتين الشخصيتين (الوالدة ، والأخ الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني) أثرٌ كبيرٌ في نشأته الصالحة ، وفضلٌ عظيمٌ في تربيته وتوجيهه إثر وفاة والده الجليل العلاَّمة عبد الحي الحسني ، رحمهم الله جميعاً !

* * *

---

(١) كان كبارُ أفراد أسرة العلاَّمة الندوي يسمُّونه في الصِّغر بـ « علي » .

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم : للدكتور محمد اجتباء الندوي ، ص (٩٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثاني

في

سِيرته العلمية

المبحث الأول : النشأة العلمية المبكِّرة .

المبحث الثاني : أساتذته .

المبحث الثالث : في مجال التدريس والإبداع فيه .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abubasanalinadw.org

المبحث الأوّل :

النشأة العِلْمِيّة المبكّرة

بدأ العلامةُ أبو الحسن الندوي دراسته الابتدائية في البيت ـ شأنَ أبناء البيوتات الشريفة آنذاك في الهند ـ بقراءة حروف الهجاء ، ثم الكتب الصغيرة في اللغة الأردية ، ثمّ أُدخل الكتّاب في مسجد الحيِّ ، وبعد أن درس مبادىء اللغة الأردية بدأ دراسة اللغة الفارسية بالكتب الابتدائية ، وقد أُختِير له أستاذٌ بارعٌ ذو تجربةٍ أصيلةٍ لتدريس الفارسية ، وخلال هذه الفترة طالع مؤلفات والده التي أُلّفت للصغار ، منها كتاب « تعليم الإسلام » و « نور الإيمان » ، وأتقن الخطَّ على اللوحة على يد أحد شيوخه الذي كان خطاطاً ماهراً ، وكان الخط جزءاً مهماً لا بدَّ منه للطالب في جميع المدارس الهندية في ذلك العصر ، وبينما كانت هذه الدراسة تستمر استأثرت بوالده رحمةُ الله وهو في التاسعة من عمره ، وهكذا لم يتمتع العلامة برعاية والده العلمية غير أمدٍ قصيرٍ ، لكنه ترك له آثاراً قيمة في شكل الكتب ، ومن أهمِّها « نزهة الخواطر » ، فوجد العلامة في هذه الموسوعة الضخمة الثمينة خيرَ زاد لروحه ، لقد قرأ أفذاذَ المصلحين قراءة جعلته يتهيأ لدور كبير يضيف به ترجمةً حافلةً إلى هذه التراجم !.

ولم تكن « نزهة الخواطر » : هي سلواه المختار وحدها ، في عهد اليفاعة ، بل دفعته ـ فيما بعد ـ إلى مثيلاتها في التراث الإسلامي ، وفي كتب التراجم والطبقات ، وهذا البحر الزاخر من المعارف التاريخية يُحيي النفوسَ المتعطشة ويدفعها إلى الاحتذاء الحسن ، لا سيَّما إذا كان القارىء مثله ـ أي مثل العلاَّمة ـ ذا النفس المتوثبة الطامحة للعلاء ، ونحن نرى أمثلة شتى في كتب العلامة قطفها من حدائق هذه الكتب ، وكم قرأها أناس من قبله ومن بعده ، ولكنهم لم يُحسنوا استغلالها على النحو الذي أهتدى إليه الشاب الصغير[1] .

---

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين : للدكتور محمد رجب البيومي ، (٣/ ٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ رحمة الله تسع كلَّ شيء ، فحين حُرم العلامة من رعاية والده ، لم يُحرم من رعاية اثنين عزيزين أثيرين ، هما والدته وأخوه ، بعد ذلك أصبحت والدته الجليلة هي المسؤولة الأولى عن مراقبته وتقدُّمه في الدراسة وتربيته الدينية ، وقد حفَّظته شيئاً من القرآن الكريم في تلك الفترة ، إنها كانت ذاتَ صرامةٍ وشدةٍ في أمرين :

الأمر الأول : كانت لا تتحمل أبداً الكسل والتساهل في الصلاة ، فإذا غفل عن الصلاة نسياً ، ونام فلا بدَّ أن تذكره وتوقظه وتأمره بالصلاة ولو كان مشغولاً في اللعب أو غارقاً في النوم العميق ، كذلك كانت توقظه عند الفجر ، وترسله إلى المسجد ، لا تبالي حرَّ الصيف وبرد الشتاء ، ثم تأمره بتلاوة القرآن .

الأمر الثاني : والأمر الثاني الذي لم تكن تتساهل فيه أبداً هو : أنها كانت لا تقبل منه أيَّ سلوك عدواني يظلم أحداً من أترابه ، ولو كان خادماً ، أو فقيراً ، أو يتيماً بل كانت تحضه على معاملته بالحُبِّ والأُخُوَّة ، وكانت تزرع في نفسه هذه القِيَمَ المستقاة من أخلاق الإسلام الفاضلة .

وقد انتفع العلامة بذلك كثيراً في الصِّغر ، واستولى عليه الخوفُ من العُجْب والكِبَر والظلم والعدوان ، وبدأ يشعر بأنَّ إيذاء شخص وكسر قلبه واحتقاره واستصغاره كبيرة من الكبائر ، ولذلك سهل عليه الاعتراف دائماً بالخطأ ، والإقرار بالغلط .

وبعد إقامته بلكهنؤ في صدد الدراسة ، كان أخوه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني رحمه الله يلتزم بأمرين اثنين التزاماً شديداً ، ويلاحظهما عليه :

الأول : هل يصلِّي الصلوات مع الجماعة أم لا ؟ إذا شكَّ حيناً في جوابه أمره بأن يصلِّي أمامه .

والأمر الثاني : أن لا يجالس المستخدمين وحاشية السراي ، ولا يخالطهم ، وأن لا يتناول كتابَ روايةٍ أو مسرحية من أحد أو يقرأه ، بل كان هو يختار له الجيِّدَ النافع من الكتب من مكتبته الشخصية ويأمره بمطالعتها .

www.abulhasanalinadwi.org

ذِكرياتُ طُفولته

كتب العلامةُ الندوي عن بعض ذكريات طفولته في سيرته الذاتية « في مسيرة الحياة » ، أنقُلُ هنا منها البعضَ ، يقول :

« . . . ومِن ذكريات تلك الفترة من الزمن التي أذكُرُها جيداً أن الناس بما يعرفون أن والدي عالمٌ كبيرٌ وطبيبٌ نطاسيٌّ يطلب بعضهم مني الوعظ ويسأل أحدهم أن أجس نبضه ، ويطلب آخَرُ أن أكتب له الوصفة ، كل ذلك في حب ومداعبة ، ولم يكن عمري يتجاوز ٦ أو ٧ سنوات ، فكنتُ إذا طُلِبَ مني الوعظ أتلو قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦] .

ثم أُترجِمه إلى اللغة الأردية ، ثم يسأل آخر أن أجس نبضَه وأصف له دواء ، فأحاكي والدي في إملاء الوصفة ، وأُسمِّي الأدوية والعقاقير ، وأصف لهم الحمية ، وأحدِّد له الغذاء المناسب ، ولا أذكر مَن الذي لَقَّنَني هذا الدرسَ ، هل أخذتُهُ من سماعي للوالد وهو في عيادته ، أو حفَّظني أحدُهم للنكتة ، والآن عندما أقرأ هذه الآية الكريمة في ندوات هيئة التعليم الديني التي أرأسها واحتفالاتها حولَ ضرورة التعليم الديني وأهميته التأكيد عليه ، تعودُ إليَّ تلك الذكرياتُ الحلوة ، ويمتلىء القلب حَمْداً وشكراً لله العلي القدير . . . »[1] .

مكتبة أبي الحسن علي :

« . . . لقد كانت بيئةُ الوالد بيئة علمية تأليفية محضة ، فكان يشتري كثيراً من الكتب ، وكان المؤلفون والكُتَّاب يبعثون بمؤلفاتهم إليه أيضاً ، فكان ينظر في كثير من هذه الكتب والرسائل والمجلات نظرةً ، ثم يضعها في جانب ويستغني عن بعضها ، فكنتُ أفتِّش في هذه الكومة ـ التي كان يستغني عنها الوالد ـ عن الرسائل والمجلات

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ٦٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

وفهارس الكتب للمكتبات التجارية ، وأختار منها ، وكان هناك دولابٌ مفتوحٌ في صحن البيت ، فأضع هذه الكتب فيه وأصففها ، وقد هيأت لافتة لهذا الدولاب كتبت عليها « مكتبة أبي الحسن علي » . . . »[1] .

وجدتُ الكتاب ورجعت بالنقود :

« . . . أذكُرُ في هذا الصدد قصةً لي طريفة : كانت قد اجتمعتْ عندي طائفة من النقود لا تجاوز قِرشين ، وكنت في الخامسة أو السادسة من عمري ، لا أعرف أن الكتاب لا يباع إلا في المكتبات ، وأن لكل شيء دُكَّاناً خاصاً ، فغدوت إلى سوق « أمين آباد »[2] ، ودخلتُ صيدلية من الصيدليات ، ودفعتُ النقود لصاحب الدكان وطلبت الكتاب ، وتفطَّن صاحب الدكان إلى أن هذا طفل ساذج بريء من أسرة كريمة ، وكان عنده فهرس الأدوية بالأردية ، فقدّمه إليّ ، وردّ معه النقود أيضاً ، فلا تسأل عن سُروري وبهجتي ، فقد وجدتُ الكتاب ورجعتُ بالنقود أيضاً ! ، ووصلتُ إلى البيت وأنا رافلٌ في الفرح والسرور ، وزيّنتُ بهذا الكتاب مكتبتي الصغيرة التي تكوّنت من تلك الكتب والرسائل التي كان والدي يستغني عنها ويتركها في مكان أو يضعها في سلة المهملات ، وهكذا كان حال أختيَّ في حُبِّهما للكتاب والشوق الزائد إليه . . . »[3] .

عادة حسنة :

« . . . وكان مِن أَعراف الأسرة وتقاليدها الطيبة أنه إذا أُصيب أهل البيت بحادث حُزنٍ أو أسى ، وفجعت القلوب وضاقت النفوس أو أَلَمَّتْ بنا مُلمَّةٌ ؛ اجتمع أفراد الأسرة في بيت من بيوتها وتشاغلوا ساعةً أو ساعتين بإنشاد منظومة الجهاد وغزوات الصحابة التي جاءت في « فتوح الشام » للوَاقِدي ، وقد ترجمه في الشعر أحدُ مشايخ أُسرتنا زوج عمَّة الوالد السيد عبد الرزاق كَلاَمِيّ ، واشتملت هذه المنظومة أو الملحمة الإسلامية على خمسة وعشرين ألف (٢٥٠٠٠) بيتٍ يمتلىء

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ٦٢) .
(٢) إحدى الأسواق المشهورة في مدينة لكهنؤ .
(٣) في مسيرة الحياة : (١/ ٥٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

قوَّة ودفقاً وحماساً ، ويصوِّر المعاركَ الحربية كأنها قائمة على قدم وساق ، وتغلي الدماء غيرة وحمية ويذكر الشهادة بصورة تضطرب بها القلوب وتتمنى الموت في سبيل الله ، وينسى الإنسان في خضم آلام الصحابة والمجاهدين وجراحاتهم همومَه وأحزانَه . . . »[1] .

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ٧٢ ـ ٧٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

دراسته المتوسّطة

كان أخوه الأكبر رحمه الله ـ كما ذكرنا آنفاً ـ جامعاً بين الثقافتين الدينية والعصرية ، وذا اطلاع واسع ، وخبرة عميقة بمقتضيات العصر ، وكان يعلم بأن اللغة الفارسية يطوى بساطها من الهند ، وأن اللغة العربية ستنتشر في العالم ، لذلك أوقف دراسة العلاَّمة بالفارسية عند المرحلة المتوسطة ، وقد حصل له إلى ذاك الحين من المعرفة بالفارسية وأدبها ما مكَّنه من مطالعة كتب الطبقات والرجال ، والحقائق والمعارف ويفهم دواوينها الشعرية الضخمة .

وقد أمره أخوه بتعلُّم اللغة الإنكليزية في تلك الفترة وأشرف عليه ، كما كان العلاَّمة كثير التطلع والاشتياق لتعلم الإنكليزية وآدابها في ذاك الزمن ، وبذل من أجل ذلك أقصى جهوده ، ولكنَّ أمّه ـ رحمها الله ـ مَنَعَتْه من متابعة تعلمها والعكوف عليها ، حتى لا ينصرف عن العلوم الشرعية واللغة العربية ، ولكنه استطاع بتعلُّم هذه اللغة من أن يتعرف على التراث الإنكليزي وآدابه وتاريخه ، ويطالع أمَّهات كتبه بسهولة ويحادث فيها بطلاقة .

وعهد به أخوه به إلى أحد أصدقائه لتدريسه اللغة العربية ، وهو أستاذ اللغة العربية المنقطع النظير الشيخ خليل بن محمد اليماني[1] الذي بدأ العلامة على يديه دراسة اللغة العربية في أواخر عام ١٩٢٤م ، فكَتَبَ له الشيخ الدروس الأولية من الصرف على الدفتر وحفظها ، ثم بدأ بعد أيام بكتابه المختار في المقرَّر الدراسي عنده « المطالعة العربية » فاستقامت له دراسة اللغة العربية على قدم وساق ، وقد كان للشيخ اليماني مقرَّرٌ دراسيٌّ خاصٌّ اختاره باجتهاده ، وكان مشتملاً على بعض الكتب المصرية المقرَّرة في مدارسها ، كـ « الطريقة المبتكرة » و « مدارج القراءة » وكتاب « كليلة ودمنة » و « مجموعة من النظم والنثر » للحفظ والتسميع ، وبعد أيام ألزمه الشيخ اليماني

---

(١) انظر ترجمته في صفحة (١٦٤ ـ ١٦٥) في الحديث عن أساتذة العلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

الكلام بالعربية ، وأوجب عليه الغرامة إذا تكلم بالأردية ، فتلقَّى العلامة الدروس الابتدائية في النحو على الشيخ اليماني من كتاب « الضريري » للمؤلف أبي الحسن علي الضرير ، ولما انتهى من هذه الكتب الابتدائية قرأ عليه الكتب القديمة المهمة من أمَّات الكتب العربية لا سيَّما « نهج البلاغة » للشريف الرضي و « دلائل الإعجاز » للجرجاني و « الحماسة » لأبي تمام و « مقامات الحريري » و « القصائد العشر » .

لقد شاهد العلامة خلال دراسته على الشيخ اليماني مَلَكَةً عجيبةً في التذوق الصحيح للعربية وآدابها ولغتها ، ونقل هذا الذوق إلى الطلاب ، هذه الملكة التي قد يندر نظيرها في الأوساط العلمية العربية في البلاد العربية فضلاً عن الهند التي كانت محرومة منذ قرون من التذوق الصحيح للعربية والطُّرق الناجحة لتدريسها .

وخلال فترة الدراسة عند الشيخ اليماني قرأ العلامة كتباً تعتبر قمةً في اللغة الأردية وآدابها ، وتأثر بها في الكتابة بالأردية أولاً بأسلوب والده ـ رحمه الله ـ التاريخي الأدبي ، الذي هو نموذج جميل وفريد لكتابة متينة رصينة ، يحمل مع جدِّية البحث ورِقَّته رونق اللغة وصفاءها ، وقد تجلى أثر تقليد هذا الأسلوب في مقاله الأول بالأردية ، الذي نُشر بعنوان « الأندلس » .

ويجدر بي أن أذكر هنا من حوادث تلك الفترة : أنه كان كثيرَ النظر في فهارس الكتب ، فمرَّة وقع نظره على اسم كتاب « رحمة للعالمين » في قائمة إحدى مكتبات مدينة لكهنؤ ، ووجد في نفسه فور قراءة اسمه انجذاباً وشوقاً إليه ، فطلب الكتاب بالبريد ، وجاءه الكتاب ولم يكن لدى والدته آنذاك ثمنُ هذا الكتاب ، فاعتذرتْ عن تلقي الكتاب ، فلجأ إلى البكاء ، فتطوع أحد أقاربه فدفع ثمنه وسلَّمه الكتاب ، وقرأه في شوق وشغف ، وانقطع إليه واستغرق فيه ، وعلا كعب هذا الكتاب عنده وأثَّر في قلبه وعقله ، إنه منَ الكتب التي لها منَّة جسيمة عليه[1] .

لفته لأنظار المشاركين في حفل « ندوة العلماء » التاريخي رغم حداثة سنّه :

انعقد في عام ١٩٢٦م احتفال تاريخي كبير لـ« ندوة العلماء » بمدينة كَانْفُوْر[2] ، وحضره كبار العلماء وقادة الفكر ورجال الدعوة في الهند وخارجها ، وقد أخذ العلامة

---

(١) حكى العلاَّمة الندوي هذه القصَّةَ في مقدمة كتاب « الطريق إلى المدينة » .

(٢) كانفور : من أكبر مدن الهند وأشهرها في الصناعة ، تقع في شمال الهند .

www.abulhasanalinadwi.org

إلى كانفور أخوه الأكبر (الذي كان مساعد الأمين العام لندوة العلماء) وَوَجَدَ العلامة هناك فرصة للقاء بعض كبار أعيان الهند ووجهائها لأول مرة ، فقد كان من المشاركين : حاذق طبيب الملك حكيم أجمل خان[1] ومولانا محمد علي جوهر[2] ومولانا ظفر علي خان[3] وزار من العلماء والمؤلفين الشيخ سليمان الفَلْوَارِي ، والقاضي سليمان المنصور فوري (مؤلف كتاب « رحمة للعالمين ») والشيخ عبد الله السُّوْرَتي ، والدكتور ذاكر حسين (رئيس جمهورية الهند الأسبق) وكثيراً من العلماء والأدباء والشعراء ، فتحاور العلاَّمةُ مع بعضهم أيضاً .

وقد شَدّ انتباه المشاركين في الاحتفال حديثه باللغة العربية بطلاقة ؛ لأنه كان بدأ يتكلم بالعربية بفضل تعليم أستاذه الشيخ خليل اليماني ، فكان كلامه بالعربية عن حاجة أو لغير حاجة ، وكان بين الحضور الضيوف من العرب الشيخ سعد الدين بَرّاده[4] من أدباء المدينة المنوّرة وشعرائها ، وكانوا يستعينون به في تنقلاتهم خارج مقر الحفل ، فشاع بين الضيوف أن هناك ولداً في الثانية عشرة من عمره يتكلم العربية بطلاقة وسهولة ، فأحبَّ بعض من هؤلاء الضيوف لقاءه ومشاهدتَه ، ودعوه عندهم ، ووجّهوا إليه بعض الأسئلة اختباراً ، وقد أجاب عليها حسب فهمه وشعوره .

شغفه في الصِّبا :

قد شُغِفَ العلاَّمةُ في تلك الأيام بلعب « الهوكي » (Hokey) ، وكان يشارك في مبارياته ومسابقاته مع ابن عمِّه[5] ، الذي كان من اللاعبين المتفوِّقين في هذا اللعب ،

---

(١) هو من قادة حركة التحرير في الهند كان مشاركاً للزعيم غاندي ، ومن مؤسسي الجامعة الملّية الإسلامية والكلية الطبيّة في دهلي ، وأولُ عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق من الهند ، انظر ترجمته في حاشية صفحة (٢٥٨) .

(٢) زعيم المسلمين الأكبر وقائد حركة الخلافة ، والصحافي والخطيب البارع بالإنجليزية ، دُفِن بالقدس (للدكتور محمد رجب البَيُّومي مقالٌ ضافٍ عنه وعن جهاده ، في : « النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين » (٥/ ٢٩٤ ـ ٣٠٧) طبع دار القلم ـ دمشق) .

(٣) الشاعر القدير المُفْلِق والزعيم الإسلامي ، منشىء صحيفة « زميندار » الأردية الصادرة من لاهور ، وكان لها دويٌّ في الأوساط العلمية والأدبية في شبه القارة الهندية .

(٤) هو ابن السيد عبد الجليل براده ، أحد أدباء المدينة المنورة وشعرائها المعروفين ، كان تلميذاً نجيباً لإمام الأدب في عصره الشيخ محمود التركزي الشنقيطي .

(٥) هو الأستاذ السيد أبو بكر الحسني ، من أقرب أقرباء العلاَّمة الندوي . وكان زميله في مراحل=

www.abulhasanalinadwi.org

لم يتجاوز العلامة في هذا الميدان الحدَّ المتوسط ، وقد كان من أسباب ذلك عقليته وفلسفته المبكرة التي تنافي روحَ الألعاب ، وتحول دون الرقي فيها ، وهي أنه لا أهميّة لإصابة الهدف ، فلا داعيَ إلى حماس زائد وجهد كبير ، فذلك الذي مَنَعَهُ عن التفوّق في هذا المضمار .

بصمات شيخين في حياته :

درس العلامة الندوي في تلك الفترة تفسيرَ عدَّة سُورٍ من القرآن الكريم على يد الأستاذ خواجه عبد الحي الفاروقي[1] ، الذي كان يؤمئذ أستاذاً للتفسير بالجامعة الملّية الإسلامية بدلهي ، وكانت هذه أول تجربة له في دراسة تفسير القرآن الكريم ؛ ولأجل ذلك لم يشعر بأية صعوبة في دروس المفسِّر المشهور فضيلة الشيخ أحمد علي اللاَّهوري[2] الذي تَشَرَّفَ بالتَّلمذة عليه بعد أربع سنوات ، وقرأ أيضاً تلك الأيام النحو والصرف على عمّه الشيخ السيّد محمد طلحة الحسني ، الّذي كان إماماً فيهما ، وكانت له اليدُ الطُولى في التمرين عليهما بصفة خاصة .

وقد استفاد العلاَّمةُ منه كثيراً في فهم القواعد النحوية والصرفية الضرورية ، بحيث أصبحت جزءاً من عقله فيما بعد ، وكان الشيخ لا يسمح أبداً بالخطأ النحوي أو الصرفي أو الغلط في العبارة ، وكان يؤنب الطالب إذا وقع منه ذلك ، وينهال عليه بالكلام اللاذع ، وكان طالبه لأجل ذلك ملتزماً جانب الحذر والحيطة ، واستفاد منه فوائدَ أخرى كثيرة غير اللغة العربية وقواعدها ، كما استفاد منه في إنضاج تفكيره وتربيته العقلية مِن ذوقه التاريخيّ ، والثقافة المتنوعة التي كان يمتاز بها الشيخ بين أقرانه .

= المدرسة وصديق في الأسرة ، درس العلوم الإسلامية ، واللغة العربية وأتقن اللغة الإنكليزية في عهد الاستعمار الإنكليزي في الهند وأحرز مكانةً عاليةً في اللغتين كلتيهما ، ودرَّس في جامعة جواهر لال نهرو في دلهي مدَّةً طويلةً ، توفي عام ١٤٢٣هـ . وكان رحمه الله يعطف عليَّ كثيراً أيام دراستي بـ« مدرسة ضياء العلوم » الواقعة في مسقط رأس العلاَّمة الندوي (تكية كلان) .

(١) ستتحدَّث عنه في صفحة (١٨٠) .

(٢) سيأتي ذكره في صفحة (١٨٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

دراسته الجامعيّة

التحقَ العلامة الندوي في أوائل أغسطس ١٩٢٧م بجامعة لكهنؤ في فرع الأدب العربي ، ولم يتجاوز عمره آنذاك الأربعة عشر عاماً ، وكان أصغر طلبة جامعة لكهنؤ سناً ، والّذين كان أغلبهم من خِرّيجي المدارس العربية ، وعلى الرغم من التحاقه بالجامعة واصلَ العلاَّمةُ دراسته على يد الشيخ اليماني ، وتقدَّم لامتحان السنة الأولى في الجامعة ، وأبلى بلاءً حسناً لا سيَّما في مادَّتَي الإنشاء والتحرير ، ولكنه لما ظهرت النتائج فُوجىء ودهش برسوبه في « الحماسة » ، فلعل الله قد أراد له أن يجرب الرسوب والإخفاق ويتحمله ويصبر عليه ، ويضاعف الجهد والجدّ ، وفي اختبار العام التالي استعاد من الرسوب كل حقوقه ، ونجح بتقدير ممتاز في صفّه ، واستحق المنحة والميدالية الذهبية ، وكانت المنحة يشترط لها الالتحاق بأحد الفروع في هذا القسم ، فرغب بالتخصص في الحديث ، ودرس سنة كاملة ، وتسلم المنحة ، ثم تقدَّم للامتحان السنويّ ونجحَ فيه ، أما الميدالية الذهبية فقد مُنِحَت له بعد سنة عام ١٩٢٩م من حاكم الولاية الإنكليزي في حفلة تخريج الطلاّب وتوزيع الشهادات .

سفره الأول إلى حاضرة الهند (لاهور) وزيارته الأولى للدكتور محمَّد إقبال :

سافر العلامة أثناء دراسته الجامعية إلى (لاهور) عام ١٩٢٩م ، وكانت حينئذ أكبرَ مركزٍ ثقافيٍّ في شبه القارة الهندية ، فقد كانت تصدر فيه العشراتُ من الصحف والمجلاّت الأردية ، التي كان لبعضها كلمةٌ نافذةٌ وصوتٌ مسموع ، وأهمّ من ذلك كله أنها كانت بلد الشاعر الإسلامي العظيم الدكتور محمد إقبال الذي سنحت للعلامة فرصةٌ لِلُقاء به ، ولقاء الشخصيات العلمية المرموقة في ذلك البلد ، وكان قد سبقه كتابُ والده « كَل رعنا » وتناقله أدباء لاهور وشعراؤها ، وكان العلامةُ في أكثر الأحيان ، يُعرَّفُ إلى الشخصيات التي يزورها بأنه ابن مؤلّف هذا الكتاب ، وأحياناً كان يعرَّف به بأنه فتى حاذق يتكلَّم اللغة العربية بطلاقة وسهولة ، وعلى هذا الوصف قُدّم إلى الدكتور محمد إقبال ، فحضر بعض مجالسه ، ونقل بعضَ قصائده الأردية إلى النثر

www.abulhasanalinadwi.org

العربي ، أَنِسَ به الشاعر العظيم كثيراً رغم حداثة عمره وعدم شهرته ، وقد التقى العلاَّمةُ خلال تلك الأيام بالشيخ الجليل أحمد علي اللاهوري الذي تتلمذ عليه بعد .

طلبه لعلِم الحديث النبوي الشريف في « ندوة العلماء » :

ركَّز العلاَّمة بعد عودته من لاهور عنايتَه على طلب الحديث الشريف وعلومه ، وانخرط في سلك الطلاب الندويين في دروس الحديث الشريف التي كان يلقيها الشيخ حيدر حسن خان الطُّونَكي[1] في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ يومئذ ، وابتدأ ذلك عام ١٩٢٩م ، وقرأ عليه صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي حرفاً حرفاً ، وقرأ عليه شيئاً من تفسير البيضاوي ، وتلقَّى منه عدة دروس في المنطق ، ولم يزل العلامةُ مقيماً عنده مستفيداً منه في علمه الغزير ، خاصّة في الحديث وعلومه ، وحصل منه على الإجازة فيه بعد سنتين كاملتين .

تبحُّره في العربية وبداياته مع تحرير المجلاّت :

كانت دراسة العلاَّمة للأدب العربي غير وافية ، فأتمّها على يد أستاذٍ ، يكفي لإبراز مكانته في علوم اللغة العربية وآدابها أنه كان الحكم الفصل بين العلامة رشيد رضا المصري صاحب مجلة « المنار » الغراء ، وأمير البيان الأمير شكيب أرسلان إذا حدث خلافٌ بينهمـا في قضية من قضايا اللغة العربية وتعبيراتها ؛ إنه العلاّمة المحقق الدكتور تقي الدين الهلالي المرَّاكشي[2] ، والواقع أن العمل الذي بدأ به الشيخُ خليل اليماني من نشر الطريق الصحيحة لتعليم اللغة العربية وتنمية ملكتها ورعاية تذوّقها والتفنن فيها ؛ تمَّ وبلَغَ كماله على يد الأستاذ الهلالي المراكشي ، وقد استفاد العلامة منه كثيراً من غير انتظام بالدراسة ، قرأ عليه « ديوان النابغة » ، وكان الأستاذ الهلالي يعطف عليه بصفة خاصة لمكانة أخيه الأكبر ، ويعطيه أكبرَ الفرص للاستفادة منه ، ولم يزل العلامة محطَّ عنايته خلال التدريس طوال فترة إقامته بالهند .

وخلال تلك الأيام تَمَّ الاتفاقُ على إصدار مجلة « الضياء » فعُيِّنَ المُشرف عليها

---

(١) ستأتي ترجمته في صفحة (١٧٠ ـ ١٧١) .
(٢) انظر ترجمته في صفحة (١٦٨ ـ ١٦٩) في الحديث عن أساتذة العلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة السيد سليمان الندوي[1] والأستاذ الهلالي ، وعُيّن الأستاذ مسعود عالم الندوي[2] رئيساً لتحريرها ، بدأ صدور هذه المجلّة في محرم عام ١٣٥١هـ (مايو عام ١٩٣٢م) وكانت مجلّة عربية أدبية وفكرية صادرة في الهند ، وكانت لسان حال ندوة العلماء ، والوسيلة الفعّالة للتعريف بها وانتشار صيتها أيضاً ، وكانت فاتحةَ عهد جديد للصحافة العربية في الهند ، على الرغم من أنها لم تستمر في الصدور أكثر من ثلاث سنوات ، ولكنها كانت البذرة التي أنبتت فيما بعد مجلّةَ « البعث الإسلامي » الشهرية وجريدة « الرائد » الأسبوعية ، وكانت ترد إلى المجلّة الصحف والجرائد والمجلّات القيمة من مصر والشام والعراق ولبنان ، على سبيل التبادل الصحافي كـ « الفتح » و « الهلال » و « المجمع » و « المقتطف » وكان الأستاذ مسعود عالم النـدوي والأستاذ ناظم الندوي[3] والعلامة الندوي يطالعون هذه الصحف والمجلّات[4] قبل الجميع .

وقد صارت لهم خبرةٌ واسعةٌ بما تفيض به أقلام الأدباء والكتاب في مصر والشام والعراق كما خبروا أصحاب الأقلام خبرتهم بأدباء الهند وكتابها وشعرائها ، فكانوا يتحدثون عنهم في مجالسهم ، ويبدون الآراء فيهم ، ويحكمون عليهم ، لقد أفادتهم مطالعة تلك الصحف والجرائد فائدة جليلة ، لا سيّما مجلة « الفتح » التي كانت تصدر في القاهرة ، وكانت تجمع بين الفكر الإسلامي الصحيح والأدب الرصين ، وكان يكتب فيها حينئذ عدد من أمراء البيان وكبار المفكرين الإسلاميين ، وقد أتيح للعلامة الندوي والأستاذ مسعود عالم الندوي أن يكتبا في هذه المجلة بعد .

---

(١) انظر ترجمته في صفحة (٨٧٧) .

(٢) انظر ترجمته في الباب السادس ، في الحديث عن « أعلام ندوة العلماء » في صفحة (٨٨٤) .

(٣) انظر ترجمته في الباب السادس في الحديث عن « أعلام ندوة العلماء » ، ص(٨٨٤) .

(٤) ولا شكَّ في أنَّ قراءة مقالات هؤلاء الكتّاب المصريّين والشّاميّين قد ساهمَتْ في معرفة العلاّمة الندوي باللغة العربية والأدب وتطوُّرِها إلا أنَّها لم تؤثّر على تفكيره كثيراً .
فقد انتقد العلاّمة مراراً وتكراراً الأفكارَ العربية الوطنية والانهزامية من الغرب وحضارتها ، وسطحية آرائهم ، إلا أنَّه يرى أنَّ هناك بعض العُمْق في كتابات ومقالات الأمير شكيب أرسلان ، وأنَّ فيها طابعاً من الإسلامية ولكن الشخص الذي يرى في كتاباته رأياً سديداً ودِقَّة نظر قد تداوي أمراض الأمة الإسلامية وتأتي لها بشفاء .

www.abulhasanalinadwi.org

سفره إلى دِيُوْبَنْد[1] ولَاهُوْر[2] للازدياد من الطلب في التفسير والحديث وعلومهما :

لما تبيّن للعلاَّمة بأن دراسة الحديث والأدب وحدهما لا تكفي ، شدَّ الرحالَ إلى لاهور ليستفيد في علم التفسير من الشيخ الجليل أحمد علي اللاهوري ، فقرأ التفسير على يده ، وحضر جلسات تدريسه الكتاب لمشهور (حجة الله البالغة) وشارك في امتحانه ، وكان من أنبغ تلاميذ الشيخ .

وفي عام ١٩٣٢م إلى دِيُوْبَنْدَ حرصاً على التعمّق في دراسة الحديث الشريف ، وحضر دروس الشيخ حسين أحد المدني[3] التي كانت في أوج كمالها في ذلك الوقت ، وقرأ على الشيخ « صحيح البخاري » و« سنن الترمذي » ، وعلاوة على دروس الحديث التي كان يظهر فيها : بجلاء تمكن الشيخ في الحديث وقدرته الفائقة على العطاء والتدريس ، ويخيِّم فيها جو الهدوء والسكينة والوقار ، واستفاد منه أيضاً في علوم القرآن .

هنا تنتهي مرحلة الدراسة في حياة العلامة الندوي وتبدأ مرحلة أخرى فيما بعد . . . ألا وهي مرحلةُ التدريس ، والاشتغال بالتصنيف والتأليف ، والإسهام في الأعمال الأدبية ، والعمل في حقل الدعوة الإسلامية ، والتي سنتحدَّث عنها في أقسام هذا الفصل القادمة .

* * *

---

(١) قريةٌ من محافظة (سَهَارَنْفُوْر) الواقعة في ولاية (أُتَرَابَرْدِيْش) ، واشتهرت قرية (دِيُوْبَنْد) هذه لوجود أكبر مركزٍ تعليميٍّ إسلاميٍّ على أرضها ، وهو مدرسة (ديوبند) التي اشتهرتْ بـ(أزهر الهند) ، وقد سبق ذكرُه في الباب الأول ، صفحة (١٠٩) .

(٢) عاصمة ولاية (بَنْجابْ) اليوم في باكستان ، كانت ـ قبل انفصال باكستان عن الهند ـ إحدى كبرى مُدُن الهند في العلم والثقافة والأدب .

(٣) انظر ترجمته في صفحة (١٧١) في الحديث عن أساتذة وشيوخ العلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

أساتذة وشيوخ العلامة الندوي

قد قيَّض الله تبارك وتعالى للعلامة أبي الحسن الندوي أساتذةً وشيوخاً كلُّ واحد منهم كان في فنِّه وعلمه ابنَ بجدته وأبا عذرته ، فاستطاع العلاَّمةُ أن يشرب جميع العلوم الشرعية والتقليدية من رأس الينبوع ، أذكر هنا من هؤلاء الأساتذة الكِرام والشيوخ الأجلاَّء الذين كان لهم في دراستِه وثقافته أثرٌ كبيرٌ وفضلٌ عظيمٌ .

أساتذته في اللغة العربية وآدابها

١ ـ الشيخ خليل بن محمَّد اليماني :

أحدُ أبرز أساتذة العلامة الندوي تركوا في حياته أثراً طيباً ، كان يدين به طيلةَ حياته ، كان من نوادر المعلِّمين الذين يطبعون تلاميذهم النجباء بطابعهم ، وينقلون إليهم التذوُّقَ بالنثر البليغ والشعر الرقيق واستطعامهما والتلذُّذ بهما ، له قدمٌ راسخةٌ في آداب اللغة العربية وعلوم البلاغة ، وملكةٌ قويةٌ في تعليم اللغة العربية وتسهيلها وتحبيبها إلى النفوس .

دَرَّس الشيخُ اليماني في جامعة لكهنؤ (الهند) فترةً طويلةً ، وقد استفاد منه العلاَّمةُ الندوي أثناء إقامته فيها ، فكان بيتُ الشيخُ مدرسةً غير نظامية ، يؤمُّها الطلاَّبُ من الأطراف ، تخرَّج منها علماء خدموا اللغةَ العربية والعلوم الدينية في شبه القارة الهندية ، ومنهم العلاَّمةُ الندوي الذي اختصَّه الشيخُ بعطفه وعنايته ، توفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في كراتشي عام ١٣٨٦هـ[1] .

لقد حكى العلاَّمةُ قصَّةَ دراسة اللغة العربية والاستفادة من المنهج الدراسي الذي اختاره الشيخُ ، وتجدُرُ هذه القصَّةُ بالنقل هنا عسى أن تكون هي نافعةً لمدرِّسي

---

(١) يرجع لترجمته إلى كتاب « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » للعلاَّمة الندوي ، ص(٢٨١) .

www.abulhasanalinadwi.org

اللغة العربية في اتخاذ المنهاج والأساليب لتعليم اللغة ونقل الذوق السليم إلى طلابهم . يقول ـ رحمه الله تعالىٰ ـ :

« فقد كان للشيخ خليل منهجٌ دراسيٌّ خاصٌّ بتعليم الأدب العربي ، وكان جديداً بالنسبة للهند وبل بديعاً ، وكان له اليدُ الطولى في نقل ذوقه إلى تلامذته . إنَّه عَلَّمنا بكل عنايةٍ مبادىءَ وقواعد اللغة العربية وذلك بسلسلة « المطالعة العربية » التي صدرت في مصر ، و « الطريقة المبكرة » المشتملة على (٥) أجزاء و « مدارج القراءة » ، جزء واحد و « كليلة ودِمْنَة » لابن المُقَفَّع ، و « مجموعة من النظم والنثر » ، و « نهج البلاغة » ، و « ديوان الحماسة » ، و « سِقْطُ الزَّنْد » لأبي العلاء المَعَرِّي ، و « دلائل الإعجاز » للجُرْجَاني ، و « مختصر تاريخ آداب اللغة العربية » و « رسالة الضَّرِيري » لأبي الحسن على الضَّرير ، وفي هذا الصَّدد اعتنى كثيراً بالتمرينات والممارسات خاصةً والتي لا تزال تنفعني من ناحية أخرى »[1] .

وأمَّا خصائصُ درسِه فهي كما يقول العلاَّمةُ :

« ومن خصائص درسه أنَّه لم يكن تعليماً لمختلف العلوم والمعارف واللغات في آنٍ واحدٍ ، بل كان التركيزُ على تعليم اللغة العربية وآدابها فحسب ، وكانت واسطةً وحيدةً للتحدث والكتابة وأصبحت هدفَ وغاية حياتنا ومماتنا » .

وكان من خصائص الشيخ أنَّه كان يُشير علينا ممَّن يُحِبُّه من الكتَّاب البارزين وكُتبهم القيِّمة بحيث أنها نموذجٌ وحيدٌ للأسلوب وطُرُق الأداء وأساليبهم الأدب والذَّوق ، فقد كانت ترتسم على أذهان الطلاَّب وتسيطر على عقولهم وكان الطلاب يقلِّدونها ، ويحذون حذوَها فإبن المُقَفَّع والجاحظ في النثر ، والجُرْجَاني في الذوق الأدبي والنقد وفهم الكلام ، والمتنبِّي والبحتري في الشعر .

فالطلاب كانوا يعتبرون سعادةً لهم أن يحذوا حذوَه في الكتابة ، وكاتبُ هذه السطور قد حاول أن يكتب على طراز ابن المقفَّع وصاحب « نهج البلاغة » والجرجاني فأفادني هؤلاء كثيراً »[2][3] .

---

(١) مشاهير أهلِ علم كي مُحسِن كتابين : للشيخ محمد عمران الندوي ، ص(١٦٢) .
(٢) المرجع السابق : ص(١٦٢) .
(٣) أنقُلُ هنا إتماماً للفائدة نصيحةً قيِّمةً لأديب العربية والإسلام ، وعبقري البيان : الشيخ مصطفى=

www.abulhasanalinadwi.org

وهناك نكتةٌ تعليمية للشيخ خليل يذكرها العلاَّمةُ :

« وكان مِن خصائص دروس الشيخ خليل أنه يلقِّن الطلابَ أنَّ ميراث الأدب والذوق تراثٌ للطلاب الذين لهم ذوقٌ خاصٌّ ، فلا يخافون في الاستفادة منه والاستخدام له ، وبفضل هذا التشجيع استخدمنا الجُمَلَ والتعابير المختارة من أولئك الرجال في كتاباتنا وحصلنا على جوائز »[1] .

ويقول :

لدى البُدْءِ بهذا المنهج الدراسي أعطانا أستاذي الشفيق الشيخ خليل « النظرات »

= صادق الرافعي ، وجَّهها إلى صديقه الأستاذ محمود أبي ريه تلبيةً على رغبةٍ منه ، يقول فيها ـ رحمه الله تعالى ـ :
« فإذا أوصَيتُك فإني أُوصِيك أن تُكثِر من قراءة القرآن ومراجعة « الكشَّاف » (تفسير الزمخشري) . ثم إدمانُ النظر في كتابٍ من كتب الحديث كالبخاري أو غيره . ثم قطعِ النفس في قراءة آثار ابن المُقَفَّع (« كليلة ودمنة » و « اليتيمة » و « الأدب الصغير ») ، ثم رسائل الجاحظ ، وكتابِ « البخلاء » ، ثم « نهج البلاغة » . ثم إطالةِ النظر في كتاب « الصناعتين » للعسكري ، و « المَثَلُ السائر » لابن الأثير ، ثم الإكثارِ من مراجعة « أساس البلاغة » للزمخشري . فإنْ نالت يدك مع ذلك كتاب « الأغاني » أو أجزاء منه و « العقد الفريد » ، و « تاريخ الطبري » فقد تمت لك كتب الأسلوب البليغ .
اقرأ القطعةَ من الكلام مراراً كثيرة ثم تدبَّرْها وقلِّب تراكيبها ثم احذف منها عبارةً أو كلمةً وضَعْ من عندك ما يسُدُّ سدَّها ولا يقصِّر عنها واجتهد في ذلك ، فإن استقام لك الأمرُ فترَقَّ إلى درجة أخرى . وهي أن تُعارضِ القطعةَ نفسها بقطعةٍ تكتبها في معناها وبمثل أسلوبها فإن جاءت قِطْعتُك ضعيفةً فخُذْ في غيرها ثم غيرها حتى تأتي قريباً من الأصل أو مثله .
اجعَلْ لك كلَّ يوم درساً أو درسَين على هذا النحو فتقرأ أولاً في كتاب بليغ نحو نصف ساعة ، ثم تختار قطعةً منه فتقرؤها حتى تقتلها قراءة ، ثم تأخذ في معارضتها على الوجه الذي تقدم (تغيير العبارة أولاً ثم معارضة القطعة كلها ثانياً) واقطَعْ سائر اليوم في القراءة والمراجعة .
ومتى شعرتَ بتعبٍ فدع القراءَةَ أو العمل حتى تستجم ثم ارجع إلى عملك ، ولا تهمل جانب الفكر والتصوُّرِ وحُسْن التخيل .
هذه الطريقةُ ولا أرى لك خيراً منها وإذا رُزِقتَ التوفيق فربما بلغتَ مبلغاً في سنةٍ واحدةٍ :

وأولُ رأيــك أن تستفيــد وآخــر رأيــك أن تجتهــد »

الرافعي

(١) مشاهير أهل علم كي مُحسِن كتابين : ص(١٦٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

للسيد مصطفى لطفي المنفلوطي ، وسيطر هذا الأديبُ الفَنَّانُ على عقولنا فكتبنا المقالات على مواضيعه واتَّبعنا أثرَه لمدَّةٍ طويلةٍ »[1] .

لقد كان الشيخ فريداً لا يوجد له مثيلٌ في تطعيمه للطلاب بذوقه ورأيه ، فكان يملك صلاحيةً غريبةً مدهشةً في صيغ الطلاب بأفكاره وآرائه ، بحيث تتغلغل في أحشائهم ، وتمتزج بلحومهم ودمائهم ، ونفخ الروح في الكتاب الذي يدرِّسه ، وإنشاءه الذوق الصحيح والملكة الصالحة في الفنِّ الذي يتناوله ، وتقريب الطلاب إلى مؤلف الكتاب ذوقاً ومسلكاً ومشرباً ، لقد كان نادرة في هذا الأمر ، لا يوجد مثله في الآلاف إلا الواحد بعد الواحد من الأساتذة البارعين وأصحاب النبوغ الماهرين ، وهي ملكةٌ موهوبةٌ وليست بمكتسبة ، لقد شاهدتُ في الشيخ ملكةً عجيبةً في التذوُّق الصحيح للعربية وآدابها ولغتها »[2] .

٢ ـ الأستاذ عزيز الرحمٰن :

يقول عنه العلامة الندوي :

« . . . قرأتُ بعض كُتب النحو والصرف المقرَّرة في المدارس الهنديّة على العَمّ السيد عزيز الرحمن الذي كان يدرِّس هذا الكتاب بجِدٍّ واهتمام بالغ ، ولا تساهل عنه في ذلك ولا مسامحة ، وكنتُ إذا جئت إلى « رائي بريلي » أدرس عليه الكتب العربية التي كنتُ أقرأها على الشيخ خليل وكان من الواجب علينا مجموعة من النظم والنثر ، أن نحفظ النثر أيضاً ، ونسمعه . . . »[3] .

وواضح مما سبق أن إقامة العلامة الندوي في هذه المرحلة مع أخيه « بلكهنؤ » غالباً فإذا رجع مع والدته برائي بريلي (موطنه ومقره) وجد من يدرس له من الأعمام والأقارب .

٣ ـ الشيخ سيِّد محمد طلحة الحسني :

كان من كبار الأساتذة في اللغة العربية ـ خاصةً في قواعدها ـ في الهند ، يقول عنه العلامةُ .

---

(١) في مسيرة الحياة : ص(١٦٢) .
(٢) المرجع السابق : (١/ ٧٩) .
(٣) المرجع السابق : (١/ ٧٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

« ولم يكن هو أستاذاً في النحو والصرف فحسب بل كان إماماً ، وكان له اليدُ الطولى في التمرين فيهما بصفة خاصة ، وقد استفدت منه كثيراً في فهم القواعد النحوية والصرفية الضرورية بحيث أصبحتْ جزءاً من عقلي ، وكان الشيخ لا يسمح أبداً بالخطأ النحوي أو الصرفي أو الغلط في العبارة[1] » .

٤ ـ العلامة الدكتور تقي الدين الهلالي المُرَّاكشي :

هو العلاّمة ، البحّاثة ، الدكتور تقي الدين الهلالي ، كان من كبار علماء اللغة العربية في هذا العصر ، وأصحاب التحقيق والإتقان في صحة الكلمات العربية وأصالتها وقواعد اللغة ، من صرفٍ ونحوٍ ، واشتقاقٍ وبلاغةٍ ، ومِن أقوى النَّاس إنكاراً على التعبيرات المستحدثة المنقولة من اللغات الأجنبية .

وُلِدَ بِسِجِلْمَاسَة[2] في المغرب ، ونشأ نشأةً صوفية ، ثم تركها واتخذ السلفية معتقداً ، سافر إلى الهند وقرأ الحديث على كبار محدِّثيها أمثال : المحدِّث الكبير الشيخ عبد الرحمن المُبارَكْفُوْري ، صاحب « تحفة الأحوذي » ، وعيِّن رئيساً لأساتذة الأدب العربي في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، ثم قام بالتدريس ، في عدة جامعات كبيرة في البلاد العربية . توفي ـ رحمه الله ـ بالدار البيضاء (في المغرب) عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) .

وللشيخ الهلالي فضلٌ كبيرٌ في تعليم العلاَّمة الندوي اللغة العربية وآدابها حيث أنه استفاد منه كثيراً ، ويقول عنه :

« وفي ١٩٣٠م حضر « ندوةَ العلماء » أديبٌ بارعٌ ذو أسلوبٍ متميِّزٍ باقتراح الشيخ خليل وبدعوة أخي الكبير وهو العلامةُ تقي الدين الهلالي ، والذي لو لم أرِه لاحتجَبَ عنِّي عديدٌ من حقائق اللغة العربية وقواعدها وأصولها ، ولم أخلص من عجَمِيَّة الهنود ولاعتبرت اللغة العربية لغة القرن الثاني والثالث الميتة والمكتوبة على صفحات التاريخ ، فإنَّه كان يجمع بين أسلوب السَّلف وتورُّعِهم العلميِّ حيث يقول صاحب العلم عند عدم معرفة « لا » « لا أدري » عندما لم يَقُمْ بالتحقيق العلمي ، وحفظ أهل

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ٧٨) .
(٢) مدينة جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان .

www.abulhasanalinadwi.org

الشُّنْقِيْط ، واتقان أهل اللغة ، وكمال النحويّين وحلاوة أصحاب اللغة في الكلام ، فإنّي لم أسمع غيرَه يتكلّم بلغة صاحبي « الأغاني » و« البيان والتبيين » . فإنّه كان يتكلّم بما كان يكتب ولم يكن يتحدّث اللغة العربية اليومية »[1] .

ومِن حُسْن حَظّه أنّه قرأ الكُتبَ الأدبية عليه ولكن مصاحبة الشيخ الهلالي في الأسفار والزيارات قد نفعه أكثرَ وكشفت عليه القناع عن حقيقتين ، يذكرهما العلاّمة الندوي :

« إحداهما : أنّ هناك فرقاً بين اللغة والأدب فاللغة لبنةٌ للأدب والأدب قصرُ اللغة ، والأدبُ وسيلةٌ فنيةٌ متقدّمةٌ للتعبير عن المشاعر والأفكار الّتي تتولّد حيث تتطوّرُ الثقافةُ والحضارة ، فتعليمُ اللغة يأتي أولاً قبل تعليم الأدب ، فمَن لا يعلم اللغة لا يستطيع أن يعرف الأدبَ وتعليمها قبل الأوان تضييعٌ للوقت ، وتتمُّ دراسة الأدب العالمي في الهند باسم اللغة التي لا تؤتي ثمارها المرجوّة ولا تنفع بشيء في معظم الأحيان . كان يقول العلامة الهلالي : إنّ كُتب الحريريّ والمتنبّي و « الحماسة » كتبٌ أدبيةٌ غاليةٌ تتمُّ دراستها بعد تعليم ومزاولة اللغة العربية لمدّةٍ طويلةٍ ، والتي يدرسها الطَلَبَةُ في الصفوف المنتهية ، ولكنّها كل بضاعة الأدب في الهند ، فنحتاج إلى أن نتعلّمها كلغةٍ حيةٍ قبل ذلك ، وكان يرى أنه يجب أن نتعلّم اللغةَ ككائنٍ حيٍّ بدون أية مساعدةٍ من الترجمة والشروح ، وكان يصر على رأيه هذا ويُبرهِن عليه في محاضراتٍ متواصلةٍ بالأدلّة والبراهين الدامغة » .

والحقيقة الأخرى : أنّ قواعد اللغة العربية ، تأتي بعد تعليم اللغة العربية ، فذخيرة اللغة ضروريةٌ لهذا ، والمفردات آجُرٌّ للمبنى ، وتعلُّم النحو والصرف أُسَسُ الدراسة ، فإنْ فقدت الآجرَّ لن يبني أيّ مبنى وأية هندسة قد لا تغني عن شيء »[2] .

وكذلك تعلّم العلاّمة الندوي على يديه الحقيقة :

« إنّ النموذج الحسن الرائع الحيّ هو كُتب التاريخ الموثوق بها ، ومنها تأليفاتُ العصر العباسي الأصلية ، ولذلك فإنّه أوصى بقراءة كُتب « الإمامة والسياسة » لابن قتيبة ، و « كليلة ودمنة » لابن المُقَفَّع ، و « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني ، و « رسائل الجاحظ »[3] .

---

(١) مشاهير أهل علم كي مُحسِن كتابين : ص(١٦٨ ـ ١٦٩) .
(٢) المرجع السابق : ص(١٧٠) .
(٣) المرجع السابق : ص٨٤ (١٧١) .

www.abulhasanalinadwi.org

شيوخه في الحديث الشريف

٥ ـ المحدِّث الشيخ حيدر حسن خان الطُّوْنكي :

كان من العلماء الربانيِّين ، والمعلِّمين المُربِّين ، وكان له مشاركةٌ جيدةٌ في الفقه والأصول ، والكلام والحديث ، وكان منهجه في تدريس الحديث منهجاً علمياً ، هو أشبه بمنهج المحدِّثين منه بمنهج الفقهاء ، يذكر المذاهب ، ويذكر أدلَّتها وما يَحْتَجُّ به أصحابها من الحديث ولا يقصِّر في ذلك ، ثم يُحاكِم فيها محاكمة مبنية على علم الأصول والرجال أكثر من الدلائل المنطقية والتعليلات العقلية ، وكان طريقه في ذلك طريق العلامة محمد بن علي الشَّوكاني في « نيل الأوطار » وكان من أشياخ أشياخه أيضاً[1] .

درس العلامةُ الندوي على هذا الشيخ الجليل كُتب الحديث الأربعة (غير « سنن النَّسائي » و« ابن ماجه ») ، يقول العلامة عنه وعن دراسته عليه :

« انخرطتُ في سِلك الطلاب الندويين لدروس الحديث الشريف التي كان يلقيها شيخ الحديث العلامة الشيخ حيدر حسن خان الطونكي بدار العلوم ـ ندوة العلماء ، وابتدأ ذلك من يوليو سنة ١٩٢٩م ، وقرأتُ على الشيخ الصحيحين : (البخاري ومسلم) و« سنن أبي داود » ، و« جامع الترمذي » ، حرفاً حرفاً ، وقرأت عليه شيئاً من « تفسير البيضاوي » أيضاً[2] ، وألقى علينا الشيخُ برغبته عدةَ دروس في المنطق ، وأقمتُ عند الشيخ عامَين كاملين في غُرفته التي كانت دار الحديث أيضاً ، وقد كان منهج تحديثه على طريقة المحدِّثين المحقِّقين ، يحمل خصائص محدِّثي اليمن ، وكان يستخدم الطلاب في دروسه في المراجعة والتحقيق والفحص والتفتيش ، لم يكن يدعهم يسمعون ، وانتهى ، بل كان يُشركهم معه في الإحالة إلى المصادر والمراجع

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : للعلامة عبد الحي الحسني ، (٣/ ١٢١٨ ـ ١٢١٩).
(٢) في مسيرة الحياة : (١/ ٩٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

والاقتباس منها ، والبحث عن المواد العلمية المطلوبة في كُتب الرجال ، وكتب الجرح والتعديل ، وتحرير المسائل ، الأمر الذي يوسِّع آفاق الطلاب ويكسبهم تجارب علمية في البحث والنظر والتحقيق . . . إن دراستي للحديث الشريف مدينة كلياً لحُبِّه وشفقته وبراعته في الفن ، وقد كان من عادة الشيخ عند إجازه الطلاب المتخرجين أن يُعطيهم إجازةً مكتوبةً بقلم شخص جيِّد الخط ، ثم يوقِّع عليها ، وقد كتبتُ بخطي أيضاً في بعض الأحيان ، ولكنَّه لما أراد أن يُجيزني ، فرغم عدم تعوُّده للكتابة والنقل وعُسْر الكتابة عليه كَتب لي الإجازةَ بخطِّه وأعطاني ، وكان ذلك دليلاً على عنايته الخاصَّة بي ، وعطفه الأبويّ ، فالحمد لله على ذلك ! »[1] .

توفِّي ـ رحمه الله ـ عام ١٣٦١هـ بمدينة لكهنؤ .

المحدِّث الشيخ حُسين أحمد المدني :

هو العالمُ العَلَم المجاهد ، الشيخ حُسين أحمد الفيض آبادي ، المشهور بالمدني ، كان من كبار العلماء في الهند ، والمتمكِّنين في الحديث الشريف ، قام بتدريس الحديث في دار العلوم ديوبند الإسلامية مدةً طويلةً ، كان رئيساً لجمعية العلماء في الهند ، ومن كبار قادة حركة التحرير وإجلاء الإنجليز من البلاد .

قرأ عليه العلامةُ الندوي الحديثَ في دار العلوم ديوبند الإسلامية، عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م).

يقول عنه :

« . . . وكان الشيخُ يدرِّس البخاري ، وسنن الترمذي ، فبدأتُ أحضر هذه الدروسَ بصورة منتظمة ، وعلاوة على دروس الحديث التي كان يظهر فيها بجلاء تمكُّن الشيخ من الحديث ، وقدرته الفائقة على العطاء والتدريس ، كانت تغشانا غاشية من الدين ، وسحابة من الروحانية ، ولا يزال يرنُّ في أذنيّ صوتُ الشيخ العذب الرنَّان ، ولحنه العربي الجميل »[2] .

توفي ـ رحمه الله ـ عام١٣٧٧هـ .

---

(١) مسيرة الحياة : (١/ ٩٤ ـ ٩٥) .
(٢) شخصيات وكتب : للعلامة الندوي ، ص (٢٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

إسناد العلامة الندوي في رواية الحديث الشريف

كان العلامة الندوي ـ رحمه الله ـ عالماً مُلِمّاً بالحديث ، ـ وإنْ لم يُساهم فيه كثيراً تأليفاً وتدريساً ـ ، وكان يحرص على الفوز بإجازته في الحديث كبارُ المشايخ في العالم ، عرباً وعجماً ، ونظراً لمكانته العلمية الرفيعة ، وشهرته الواسعة في الأقطار الإسلامية ، فقد حَرَصَ هؤلاء على الاتّصال بأسانيده ، والرواية عن طريقهِ لِمَا أكرمه الله تعالى من تحقُّق بهدي السنّة النبوية والعلم بها والدعوة إليها ، ولمَا حباه الله سبحانه من علوٍّ في الإسناد والرواية عن كبار أهل الحديث .

وقد تلقَّى العلاَّمةُ الندوي الحديثَ عن شيوخ كثيرين من كبار علماء العصر ، ولم يلتفت إلى كثرة الإجازات لانشغاله بأمور أكثر أهمية وأجدىٰ نفعاً من التأليف والدعوة والرحلات العلمية الكثيرة ، فاكتفىٰ بالإجازة من شيخَيه المسندَيْن الكبيرَيْن : العلامة الشيخ حَيْدر حسن خان الطُّونَكي ، والعلامة الشيخ عبد الرحمٰن المُبَارَكْفُوْرِي صاحب « تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي » رحمهما الله تعالى .

وعلوُّ الإسناد ومكانة الشيوخ الذين يروي عنهم خيرٌ ممَّا درج عليه بعضُ الناس من الاستكثار من الرواية عمَّن هبَّ ودَرَج من الشيوخ دون تحقُّقٍ بالعلم وتوثّقٍ من الرواية .

وطالب العلم يفتخر ويعتزّ أن يتّصل سندُه إلى رسول الله ﷺ عن أمثال العلامة الندوي .

انقُلُ هنا تلك الإجازة التي كان يمنحها العلاَّمة عن طريقة وبسنده من يقرأ عليه الحديث . وفيما يلي نصُّ إجازته :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تواتر علينا فضله وإحسانه ، الموصول إلينا بره وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته وصفاته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي صح سند

www.abulhasanalinadwi.org

كمالاته ، وتسلسل لمرفوع ما وصل من هباته ، وعلى آله وأصحابه ، وناصريه وأحزابه .

أمَّا بعد : لقد التقى بنا الشابُ الصالح . . . . . وقرأ علينا أوائل صحيح الإمام البخاري ، وصحيح الإمام مسلم ، وسنن الترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن ابن ماجه ، وسنن النَّسائي ، وموطأ الإمام مالك ، ومسند الإمام أحمد ، وذلك في . . . سنة . . . وطلب من الفقير الإجازة بوصل سنده بسند أهل الجد والاتباع فأجزتُه بما طلب ، وأجبته لما له رغب ، وإن لم أكن أهلاً لذلك ، ولا ممن يخوض تلك المسالك ، ولكن تشبهاً بالأئمة الأعلام السابقين الكرام .

وإذا أجزت مع القصور فإنني أرجو التشبُّهَ بالذين أجازوا
السابقين إلى الحقيقة منهجاً سبقوا إلى غرف الجنان ففازوا

فأقولُ قد أجزتُ الأخَ المذكور بما ذكر وبجميع مروياتي ومسموعاتي من كل ما تيسَّر لي روايته ، وتصح عني درايته ، كما أخذتُ قراءة ، وسماعة ، وإجازة ـ ولله الحمد ـ عن شيخنا العلامة حيدر حسن بن المرحوم أحمد حسن الطُّونكي ، عن شيخه العلامة رأس المحدِّثين ، وعمدة المحدِّثين ، وخاتم المحدِّثين : شيخ الإسلام حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي ـ نسبه إلى سعد بن عبادة رئيس الخزرج صاحب رسول الله ﷺ ـ عن مشايخ أجلاء أعلام ، وسادة كرام ، من أجلِّهم : شيخنا الشريف الإمام ، والمحقِّق المدقِّق الهمام ، محمد بن ناصر الحسيني الحازمي ، والقاضي العلامة أحمد بن القاضي الحافظ الرباني محمد بن علي الشوكاني الصنعاني ، كلاهما عن والد الثاني ـ أعني القاضي محمد بن علي الشوكاني ـ عن شيخه السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني ، عن شيخه السيد العلامة سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل رحمهم الله تعالى .

www.abulhasanalinadwi.org

(ح) وبرواية الشريف محمد بن ناصر ، والقاضي أحمد بن محمد بن علي الشوكاني ـ عالياً بدرجة ـ وشيخنا السيد العلامة ذي المنهج الأعدل ، السيد حسن بن عبد الباري الأهدل أيضاً ، ثلاثتهم عن السيد العلامة وجيه الدين ، وعمدة المحدِّثين ، شيخ الإسلام ومفتي الأنام ، عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل رحمهم الله ، عن شيخه ووالده السيد العلامة نفيس الدين ، وخاتمة المحدِّثين ، سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل ، عن شيخيه العلَّامتَين عبد الله بن سالم البصري المكِّي ، وأحمد بن محمد بن نحل المكِّي ، كلاهما عن المحقِّق الرباني الشيخ إبراهيم بن الحسن الكردي الكوراني المدني ، عن شيخه العلامة أحمد بن محمد القشاشي المدني ، عن شيخه العلامة شمس الدين أحمد الرَّملي المصري الشافعي ، عن شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري رحمهم الله تعالى .

(ح) وبرواية البصري والنخلي أيضاً عن الشمس محمد بن علاء الدين البَابِلي (بكسر الباء الثانية) عن سالم بن محمد السَّنهوري ، عن النجمي محمد بن أحمد النِّيطي ، عن القاضي زكريا بن محمد الأنصاري البصري ، عن شيخ الإسلام ، وخاتم المحدِّثين الأعلام ، أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني رحمهم الله تعالى .

[سنده لـ « صحيح البخاري »] .

فأروي صحيحَ الإمام الحافظ أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (رحمه الله) بالأسانيد المذكورة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن شيخه زين الحفاظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، عن شيخه الإمام الحجة المعجز ، أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجَّار ، عن شيخه الإمام أبي

www.abulhasanalinadwi.org

عبد الله الحسين بن المبارك الزُّبيدي ، عن الحافظ أبي الوقت عبد الأول السجزي ، عن الإمام أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودي ، عن شيخه الحافظ أبي محمد عبد الله بن حَمُوْيَهْ السَّرخسي ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفِرَبْرِي ، عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة بن الأحنف الملقَّب ببردزبه الجعفي مولاهم البخاري رحمهم الله تعالى .

[سنده لـ « صحيح مسلم »] .

أمَّا صحيح الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القُشَيري فأرويه بالأسانيد السالفة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن الصلاح بن عمر المَقْدِسي ، عن أبي الحسن علي بن أحمد المعروف بابن البخاري ، عن المؤيد محمد الطوسي ، عن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفرادي ، عن أبي الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي ، عن أبي أحمد محمد بن عيسى الجلودي ـ نسبة لسكة الجلود قرية نيسابور ، وقيل بفتحها نسبة لجلود قرية ، كذا في ثبت الأمير محمد بن أحمد بن عبد القادر المصري ـ عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان ، عن مؤلفه الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى ، إلا ثلاثة فوائت في ثلاثة مواضع لم يسمعها إبراهيم بن محمد بن سفيان عن شيخه الإمام مسلم ، فروايتي لها عن مسلم بالإجازة أو بالوجادة ، قد غفل أكثر الرواة عن تبيين تلك الحقيقة في إجازاتهم وفهارسهم ، بل يقولون في جميع الكتاب : أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ، قال : أخبرنا مسلم بن الحجَّاج ، وهو خطأٌ ، نبَّه على ذلك ابن الصلاح ، كما حكاه النووي في مقدمة شرحه لصحيح الإمام مسلم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين .

www.abulhasanalinadwi.org

[سنده لـ « سُنَن أبي داود »] .

وأمَّا سُنن الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني رحمه الله تعالى ، فبالأسانيد السابقة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن أبي على المطرزي ، عن يوسف بن علي الحنفي ، عن الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري ، عن أبي حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد البغدادي ، عن إبراهيم بن محمد بن منصور الكَرُّوخي ، عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ، عن أبي علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ، عن مؤلفه الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجستاني رحمهم الله تعالى .

[سنده لـ « جامع الترمذي »] .

وأمَّا جامع الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن سَوْرَة الترمذي رحمه الله ، فبالأسانيد السابقة إلى شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري ، عن العز عبد الرحيم بن محمد المعروف بابن الفُرَات ، عن الشيخ أبي حفص عمر بن الحسن المراغي ، عن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن البخاري عن عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد البغدادي ، عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي سهل الكَرُّوخي (بفتح الكاف وضم الراء) عن القاضي أبي عامر محمود بن القاسم الأزدي عن أبي محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله الجراح المَرْوَزِي ، عن الشيخ الثقة الأمين ، محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي ، عن مؤلفه الحافظ أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي رحمهم الله تعالى .

[سنده لـ « سُنَن النسائي »] .

وأمَّا سُنن الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النَّسائي رحمه الله تعالى ، فبالأسانيد

www.abulhasanalinadwi.org

السابقة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن إبراهيم بن أحمد التَنُّوخي ، عن الإمام أحمد بن أبي طالب الحجاز ، عن أبي عبد اللطيف بن محمد بن علي القبطي ، عن أبي زُرْعة طاهر بن محمد المَقْدِسي ، عن أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد الدُّوني ـ بضم الدال وسكون الواو وكسر النون بعده ياء ، نسبة إلى « دون » قرية من قرى دينور ـ عن القاضي أبي نصر أحمد بن الحسين الكبار ، عن أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدَّينوري المعروف بابن السني ، عن مؤلفه الحافظ الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي رحمهم الله تعالى .

[سنده لـ « سُنَن ابن ماجه »] .

وأمَّا سُنن الحافظ الإمام محمد بن يزيد بن ماجه (بسكون الهاء) القزويني ، فبالأسانيد السابقة إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن أبي الحسن علي بن أبي المجد الدمشقي ، عن أبي العباس بن أبي طالب الحجَّار ، عن أبيّ بن أبي السعادات الحماني ، عن أبي زُرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، عن الفقيه أبي المنصور محمد بن الحسين بن أحمد المقدامي القزويني ، عن أبي طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب ، عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان عن مؤلّفه الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني رحمهم الله تعالى .

وقد قرأتُ أوائل الصحاح على المحدِّث الجليل العلامة عبد الرحمن المُبَارَكْفُوري صاحب « تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي » ، وأجازني في الحديث فأُضيف إجازته إلى الإجازة الأولى ، عن شيخنا العلامة حيدر حسن خان بن المرحوم أحمد حسن الطُّونكي ـ شيخ الحديث بدار العلوم ندوة العلماء ـ رحمة الله عليهم أجمعين .

www.abulhasanalinadwi.org

وأُوصيه وإيَّاي بتقوى الله في السِّرِّ والعَلَن ، وتركِ الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والمراقبة لله ، واتباع السُّنن ، والحياء من الله ، وحُسن الظن في الله ، وأن لا يغفل عن ذكر الله المطلق ، وتلاوة كتابه وتدبُّر معانيه بحسب الطاقة ، فيما يقربه إلى الله عزَّ وجلَّ ، وأن لا ينساني وشيوخي من صالح دعواته في خلواته وجلواته ، في حياتي ومماتي ، وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه ، وسلك بنا وبه طريق النجاة ، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وأنا الفقير إلى رحمة الله الغني

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ ـ الهند

www.abulhasanalinadwi.org

أساتذته وشيوخه
في التفسير وغيره في علوم أخرى

٧ ـ العلامة السيد سُليمان الندوي :

كان من العلماء المبرِّزين في الفنون الأدبية ، ونوابغ الفضلاء والمؤلِّفين في شبه القارة الهندية ، ومن المُكثِرين من الكتابة والتأليف مع سعةِ علمٍ ، ودقة بحثٍ ، وتنوُّع مقاصد .

درس عليه العلامةُ الندوي شيئاً من التفسير ، والفلسفة القديمة ، كان يتذكر قصّةً من أيام طلبه ويقول :

« تفضَّل السيد الندوي (العلامة السيد سليمان) مرةً إلى حفلة النادي العربي للطلاب ، فلمَّا جاءت نوبتي قمتُ بإلقاء خُطبتي مباشرةً بدون حمدٍ وصلاةٍ ، فذكَّرنا السيِّد الندوي بالحديث الشريف » الذي جاء فيه : « كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ بالحَمد ، أَقْطَعُ[1] » .

وقدَّم العلامة سليمان الندوي لكتاب العلامةَ الندوي « سيرة السيِّد أحمد الشهيد » باللغة الأردية ، وصَحِبه في بعضٍ من أسفاره ، فاستفاد منه استفادة كثيرة[2] .

توفي ـ رحمه الله ـ بمدينة كراتشي عام ١٣٧٣هـ .

---

(١) حديثٌ ضعيفٌ ، أخرجه ابن ماجه في أبواب النكاح ، باب خطبة النكاح ، برقم (١٨٩٤) ، وفيه قُرَّة بن عبد الرحمن بن حَيْويل ، وهو ضعيفٌ .

(٢) « السيد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره ، وشيخ الندويِّين » : للدكتور محمد أكرم الندوي ، ص : (٢٥٨ ـ ٢٥٩) ، انظر ترجمته في الباب السادس ، الفصل الأول ، صفحة (٨٧٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

٨ ـ المفسِّر الشيخ أحمد علي اللاَّهُوري :

كان من كبار المفسِّرين آنذاك في شبه القارة الهندية ، يُقيم في « لاهور » (الواقعة اليومَ في باكستان) ، سافر إليه العلامةُ الندوي وقرأ عليه التفسير ودورساً من كتاب « حجة الله البالغة » للإمام شاه ولي الله الدهلوي .

٩ ـ الشيخ خَواجَهْ عبد الحيِّ الفارُوقي :

كان أستاذاً لمادة التفسير في الجامعة المِلِّية الإسلامية في دلهي ، وقد قرأ عليه العلامةُ بعض سُوَرٍ من القرآن على منهج الشيخ عُبيد الله السِّندي[1] ، كان يستنبط منه دقائق السياسة العصرية ، والمذاهب الاقتصادية ، ويتوسع في الاعتبار والتأويل .

* * *

(١) كان من العلماء المشهورين ، ومن نوادر الرجال في قوة الإرادة وشهامة النفس ، واقتحام المخاطر ، وكان جيد النظر في طبقات العلماء ، وتاريخ العلوم وتدوين الحديث ، وكان له مذهب في تفسير القرآن ، تخرَّج عليه في هذا الأسلوب من التفسير بعضُ كبار العلماء ، أشهرهم الشيخُ أحمد علي اللاهوري ، توفي عام ١٣٦٣هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثالث :

في مجال التدريس والإبداع فيه

أتمَّ العلاَّمةُ الندوي عشرين سنة من عمره عام ١٩٣٤م ، وانقضت فترة التعلّم والدراسة المنتظمة ، فانخرط في سلك التدريس ، وعُيِّنَ مدرِّساً في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ لمادَّتَي التفسير والأدب براتبٍ رمزيٍّ ، فبرزت كفاءته وملكته الأدبية ، وتفنَّن في طرق التدريس فأنطقت الألسنة بالثناء عليه ، وجعلت شهرته تطير في الآفاق من خلال بعض مقالاته الدعوية والفكرية والأدبية التي قد نُشِرَت في أمَّات الجرائد والمجلات العربية ، وتلقى عدةَ طلبات ودعوات من مختلف الجامعات الكبرى من أنحاء الهند للتدريس فيها برواتب سخية ، ولكنه آثر البقاءَ في مدينة « لكهنؤ » والتدريس في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ (حيث تخرّج فيها) قانِعاً براتبها الزهيد . فأقام في إحدى غُرف البناء الرئيسية لدار العلوم ، التي كان يقيم فيها الأستاذ مسعود عالم الندوي ، وقد كانت بينهما ألفة قديمة وموَدَّة راسخة ، حتى كأنهما أخوان شقيقان ، أو صديقان حميمان ونديمان قديمان .

بدأ العلامة يلقي دروسَ التفسير والأدب في دار العلوم مستفيداً من أهمِّ كتب التفسير في القديم والحديث ، لا سيّما « معالم التنزيل » للبغوي ، و « المدارك للنَّسفي » ، و « المنار » للسيد رشيد رضا ، و « روح المعاني » للعلامة الآلوسي ، و « ترجمان القرآن » لمولانا أبي الكلام آزاد[1] . وكان أغلب الطلاب الذين يدرِّسهم في السنة الثالثة وهم من الأذكياء الموهوبين أكبر منه سناً ، وما أن أشرف العام الدراسي على النهاية حتى بهر طلابه بقدرته على التدريس وجدارته به ، وتمكن حبُّه من قلوبهم .

---

(١) قصَّة دراستي القرآنية : للعلاَّمة الندوي ، ص(١٨ ـ ٢١) بتصرُّفٍ واختصارٍ ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

مناقشة حول اختيار أكبر رجلٍ في العالم الإسلامي :

ومِن حوادث تلك الأيام أن مناقشةً أدبيةً وَقَعَتْ في « جمعية الإصلاح » في دار العلوم ـ برئاسة العلامة الندوي ، شارك فيها الكبار والصغار من دار العلوم ، وكان موضوعها « من هو أكبر رجل في العالم العربي ؟ » ، وقد كان الخطباء من الشباب يشاركون في هذا النقاش الحامي بحماس وإصرار ، وكان معهم آنذاك في هذا النقاش أحدُ الصحافيين السُّوريين وهو الأستاذ محمود خير الدين الدمشقي ، فرجّح مُدير جلسة هذا النقاش كفَّةَ الأمير شكيب أرسلان ، واتفق أكثر الحضور على ذلك ، وصوّتوا له ، وقد سُمِعَ صدى هذه الندوة في مصر والشام ؛ إذ نشر الأستاذ محمد طاهر محضر الجلسة في صحيفته « الشورى » المصرية بإشارة من العلامة السيّد رشيد رضا ، واطلع عليه الأميرُ شكيب أرسلان ، فكتب رسالةً شخصيةً إلى الأستاذ مسعود عالم الندوي يشكر فيها محبِّيه ـ الّذين لم يروه ـ على حُسن ظنِّهم وثنائهم ، ولكنّه صَرَّح أنَّ هذا الثوب لا يجدر له في الواقع إلا المجاهد الكبير المعروف الغازي عبد الكريم الرِّيفي ، الَّذي أنزل ضربات قاصمة لإسبانيا وفرنسا بصلاحيته ، وعبقريته الحربية الموهوبة ، واستعداده المنقطع النظير[1] .

شغفه بشعر محمد إقبال :

لم يكن العلامة الندوي كبيرَ شغفٍ وعنايةٍ بشعر شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال إلى عام ١٩٣٥م ، وما كان يعرف من دواوينه الشعرية إلا ديوان « بَانْكِ دارا » (صلصلة الجرس) الَّذي كان باكورة دواوينه الشعرية ، ولم يكن فيه ذلك السُّمو الفكري والتحليق المعنوي الَّذي اتسمت به مجاميعُ شعره المتأخرة ، وكما أسلفنا : أنه كان ترجَم بعض أبياته ، وأن الدكتور نظر فيها عند سفره الأول إلى لاهور عام ١٩٢٩م .

ولكن لمَّا وقع بصر العلامة على شعره الأخير في « ضرب كليم » تفتَّحت عيناه ، وسَحَرَهُ شعرُه ، وسُمُوُّ فكره ، ثم لما قرأ « بال جبريل » (جناح جبريل) زاد إعجابه وتأثره فقد وجد فيه مع سموّ الأفكار جمالَ النغمة ، وحلاوة الجرس ، وقرأ دواوينه

---

(١) في مسير الحياة : (١/ ١١٧ ـ ١١٨) بتصرف .

www.abulhasanalinadwi.org

الشعرية الأخرى في الفارسية ، وتأثَّرت به عقليته وتفكيره وقلبه ما تأثرت بمثله ـ في حدود الأدب والشعر والفكر الإسلامي القوي ـ بأيَّة شخصية معاصرة .

لقد كان من أسباب إعجاب العلامة وتأثره بشخصية الدكتور محمد إقبال : أنّه كان مطَّلعاً على مصادر بحوث العلماء ، وما تدبّجه أقلامُ الكتاب والأدباء ، ويعرف من أين يستمدّون موادهم ومعلوماتهم ، وكان في قليل وكثير ، على خبرة بها وبصيرة ، وكانت له مشاركة ما مع التفاوت في العمر والعلم والمطالعة .

وكان يرى أنه يقدر بالجهد والدراسة ، وإتقان أسلوب الأداء ، وطول المران ، على الوصول إلى هذا المطلوب أو يقارب حدودَه ، ولكن تراءى له أن مصادر آراء الدكتور محمد إقبال وأفكاره وخواطره ، ومنبع نغماته وأناشيده فوق قدرته ووراء إدراكه ، وكان يشعر بسماعها أو قراءتها كأنها خواطرُ عالمٍ آخر وأفكاره ، وأن علاقتها ليست بالعلم والذكاء وسعَة المطالعة وكثرة المعلومات ، إنما هو فيضٌ ربَّانيٌّ ونفحة من النفحات العلوية ، إنها عبقريةٌ لا تدين للذكاء وسعة العلم وقوّة التعبير ، إنما هي هبةٌ من هبات الله التي لا نهاية لها .

وصادفت تلك الفترةَ (أي عام ١٩٣٧م) رحلةٌ للعلامة إلى لاهور من الشغف بشعر محمد إقبال والهيام به ، فقام بزيارته في منزله ، أتاح له الشاعرُ العظيم وقتاً طويلاً بصورة غير عادية ، فقد كان معتكفاً في بيته بمرض طال به وأضناه ، ونَصَحَه الأطباء بالهدوء التام والاستجمام الكامل ، وكان خادمه يقاطعه حيناً بعد حين إشفاقاً على صحته ، لينفضَّ المجلس ويأخذ محمد إقبال راحته ، وقد أراد الخادم ذلك عدة مرات ، ولكنَّه اعتذر .

واسترسَلَ محمد إقبال في الكلام مع العلامة وأفاض وتحدَّث عن كل موضوع ؛ تحدَّث عن الشعر العربي القديم ، وتحدَّث عن إعجابه بصدقه ، وواقعيته ، وما يشتمل عليه من معاني البطولة والفروسية ، وتمثَّل ببعض أبيات « الحماسة » ؛ وذكر أن الإسلام أثار في أتباعه روحَ الكفاح وحبَّ الواقع ، وأن العلوم الطبيعية تلتقي مع الإسلام على الجد والعمل والبعد عن البحوث الفلسفية التي لا جدوى فيها ، وقد ظلَّت هذه الروح متغلغلة في المجتمع الإسلامي قرنين ، فقد بقي متمسِّكاً بالعقيدة والعمل والسيرة والخلق ، حتى طغت عليه الفلسفة الإغريقية ، وتحدَّث عن الفلسفة الإلٰهية ، وكيف شغلت الشرق ، واستهلكت قُوَاه .

www.abulhasanalinadwi.org

وذكر أن أوربة إنما نهضت ، وملكت العالمَ لمَّا ثارت على هذه الفلسفة ما بعد الطبيعة ، وبدأت تشتغل بعلوم الطبيعة المجدية المنتجة ؛ ولكن قد حدث وثار من المسائل في هذا العصر ما يخاف معه أن ترجع أوربة القهقرى ، وذكر أن العقل العربي كان أقوى على إساغة الإسلام إساغة صحيحة وأجدر بحمل أمانته ، وقد أصيب الإسلام في إيران بما أُصيبت به المسيحية في أوربّة ، فقد أثّرت العقلية الآرية في كلتا الدِّيانتين .

وتحدَّث عن التصوّف ، وانتقد إغراق بعض رجاله في التخيّل ، والتطرّف ، وتطرَّق الحديث إلى تواجد بعض المتصوِّفين ، وطربهم للسماع ، فقال إن الصحابة كان يتملَّكهم الطرب والاهتزاز والأريحية على صهوات الجياد في ساحة الجهاد » .

وتحدَّث عن التجديد الإسلامي في الهند ، فأثنى على الشيخ أحمد السَّرهندي ، والشيخ ولي الله الدِّهلوي ، والسلطان محي الدين أَوْرَنْغَ زَيْب ، وقال : « إنني أقولُ دائماً لولا وجودهم وجهادهم لابتلعت الهندُ وحضارتُها وفلسفتُها الإسلامَ » .

وتحدَّث عن باكستان[1] وقال : « إنَّ أمة لا تملك أرضاً تستند إليها لا دين لها ولا حضارة ، فإنما الدين والحضارة بالحكومة والقوّة ، وإن باكستان هي الحل الوحيد للمشاكل التي يُواجهها المسلمون في هذه القارة الهندية ، وهي الحلُّ الوحيد للمشكلة الاقتصادية » ، وأشار إلى نظام الزكاة وبيت المال في الإسلام » .

فحين تطرَّق حديثهما إلى مستقبل المسلمين في الهند ، قال : « أشرتُ على بعض أُمراء المسلمين أصحاب الولايات بالعناية بنشر الإسلام في غير المسلمين ، ونشر الثقافة والآداب الإسلامية في المسلمين ، وإحياء اللغة العربية وأدبها في هذه البلاد ، والانتفاع بثروتهم بتأسيس بنكٍ عالميٍّ ، وإنشاء صحيفة إنجليزية عالمية تُدافع عن قضايا المسلمين ، حتى يُحسب لهم حساب ، ويُرهب جانبهم ، وتكون لهم مكانة عالمية تُخشىٰ وتُرجَىٰ ؛ وإن في ذلك صيانة لدولتهم وضماناً لكيانتهم ، ولكن الأمراء

---

(١) لا يغربنَّ عن البال أن باكستان إنما كانت فكرة وحلماً يومئذ ، وإنما قامت سنة ١٩٤٧م بعد وفاة صاحب فكرتها بنحو عشر سنين كما سبق الحديث عنه في الباب الأول ، الفصل الأول ، ص: (١٠٥ ـ ١٠٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين لم يعرفوا أهمية المسألة ، ودقة موقفهم ، والأخطار التي تحدق بهم ، وكان يشكو قِصَر نظرهم ، وضعف تفكيرهم ، واشتغالهم بنفسهم »[1] .

وقد كان محمد إقبال راغباً في الحديث مع العلامة ، واستأذن العلامةُ في هذه الجلسة في ترجمة شعره إلى العربية . . فتكرَّم بذلك ، وبعد ستة أشهر من زيارة العلامة هذه توفي الشاعر العظيم عام ١٩٣٨م ، فعزَمَ العلامة على ترجمة حياته وترجمة شعره ، ولكن عزمه لترجمة شعر محمد إقبال فَتَرَ حين عثر على أن الدكتور عبد الوهاب عزَّام عاكفاً على ترجمة شعره بالشعر .

اقتراح الشيخ علي الطنطاوي للعلَّامة الندوي في ترجمة شعر محمد إقبال :

فلما ظهر بعضُ ما تُرْجم من دواوين[2] محمد إقبال ذكر للعلامة بعضُ أصدقائه من كبار الأدباء العرب أنها لا تؤثِّر في نفس القارىء ، ولا تُثيرها إثارة الشعر الرقيق ، ولا تعطي صورة كاملة واضحة لفكرة محمد إقبال ورسالته ، ولا تُبَرِّز شهرته وما قيل عنه ، فحيث قرأ العلامةُ تلك الأيام مقالةً في مجلة « المسلمون » (التي كانت تصدر يومئذ من دمشق) لأديب العربية الكبير الشيخ علي الطنطاوي يحثُّه فيها على ترجمة بعض قصائد محمد إقبال ، ليُعرف بها مكانة الرجل ، وقوّة شاعريته ، وسموّ رسالته ، ويقول في هذه المقالة ككِتاب مفتوحٍ وجَّهه إلى العلامة .

« . . . هل لكَ أن تختار من شعر إقبال ما يجعلنا نتذوق طعم أدبه ونلمُّ بطريقته ، ونتجلَّى أسباب عظمته ، فإنَّ كل ما قرأنا من كلامه مترجماً إلى العربية لم يعرفنا به ، ولم يدلَّنا عليه . .

فهل تضيف يا أخي ! يا أبا الحسن ! إلى مآثرك هذه المأثرة ، فتفتح للعرب كوَّةً على هذه الروضة المحجبة ، أو

---

(١) « روائع إقبال » للعلامة الندوي ص (١٦ ـ ١٨) ، و « محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف » ص(٤٦) للمؤلف .

(٢) ومنها « رسالة الشرق » و « ضرب كليم » و « أسرار خودي » و « رموز خودي » وشيئاً من « جاويد نامه » وقد تُرجمت جميع هذه الدواوين بالعربية ، وطُبعتْ بعناية المؤلِّف في مجلَّدين في دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

تحمل إليهم زهرات منها فتُحسن بذلك إلى العرب وباكستان
وإلى الأدب والإسلام »[1] .

وقد صادف هذا اقتراحه من العلامة الندوي هوىً ونشاطاً ، وأثار القريحة التي خمدت وفترت ، وكان من حُسن المصادفة أن صديقه الأستاذ مسعود عالم الندوي كان معجَباً أشدَ الإعجاب بشعر محمد إقبال وآرائه ، وأفكاره وخواطره مثل العلامة ، فكانا يتناشدان شعره، ويتمتعان به، ويتذوقانه ، وكلَّما رأيا تلك الأيام تنويهاً بشعر طاغور[2] وإطراءً له في مجلَّة عربية أو ترجمة لبعض شعره فيها امتعضا لذلك، وقد كان الإعجاب بشعر طاغور عامّاً في الأوساط الأدبية في الشرق العربي ، حتى إن أدباء مصر الناهضين الناقدين أمثال الدكتور أحمد أمين ، والأستاذ أحمد حسن الزيات ، والأستاذ سيد قطب أيضاً كانوا معجبين به ومعترفين بفضله ، وكانوا يرون أن شعر طاغور يمثِّل روحانية الشرق في الشعر والتعبير عن المعاني والحقائق غير المادية والحسية ـ أروع تمثيل وأجمله ـ وهذا غاظ العلامة الندوي ، والأستاذ مسعود عالم الندوي ، وأثار فيهما سخطاً وامتعاضاً ، وتَحَمَّسا لتعريف شعر الدكتور محمد إقبال في العالم العربي[3] .

وقد اعتذر الأستاذُ مسعود عالم الندوي عن نقل شعر الدكتور محمد إقبال إلى العربية ؛ لأن قريحته لا تطاوعه في ترجمة الشعر ، فوكَّل هذه المهمة إلى العلامة ، ووعد بأنه يتولَّى التعريف بفكر وترجمة حياته ، والتعليق على شعره وآرائه ، فصحَّ عزمهما ، وشرعا في العمل ، ونشرت مقالات الأستاذ مسعود عالم الندوي في مجلَّة « الفتح » الغراء للأستاذ مجيب الدين الخطيب ، وجاءت حصيلة جهود العلامة بعد سنين في صورة كتاب « روائع إقبال » .

فقد قدَّم العلامةُ لقرَّاء العربية خير تقديم حين أصدر هذا الكتاب اللطيف عن شاعر الإسلام محمد إقبال ، فتحدَّث فيه حديثاً رائعاً عن حياته وعن العوامل التي كوَّنت شخصيته وآراءه في التعليم والعلوم والجيل الجديد ، وحين تحدّث العلامة عن

---

(١) « المسلمون » العدد الثالث ، المجلد السادس .

(٢) هو الشاعر الهندي المعروف « رابِنْدَرْنات طاغور » (١٨٦١ ـ ١٩٤١م) ، كان من أعلام الأدب العالمي ، امتاز شعره بروح الوطنية ، نال جائزة نوبل عام ١٩١٣م ، من آثاره الشعرية : « ذكريات » و « قربان الأغاني » و« رسوم وأناشيد » من الدواوين الشعرية .

(٣) من « روائع إقبال » للعلامة الندوي بتصرُّف يسير ، ص (٢٠ ـ ٢١) .

www.abulhasanalinadwi.org

الإيمان ، بيَّن هذه العوامل ، هذا الإيمان الذي رفع الشاعر عن الاحتفال بمغريات المادة وعن تيَّار الحضارة الغربية الجارف ، ودفعه إلى مقومات الحياة لدى الأمة الإسلامية ، كما تغنَّى بها محمد إقبال مبيناً جناية المدنية الحديثة على الإنسانية ، ثم حديثه عن القرآن الكريم وأثره الضخم في تحديد رسالة الشاعر الكبير ، وعن خبرته بالنفس الإنسانية شرقاً وغرباً ؛ حين تحدَّث العلامة عن ذلك : كلِّه يخال القارىء أنه يتحدَّث عن نفسه لا عن محمد إقبال ، وليس معنى ذلك أنه أضاف إلى شاعر الإسلام ما لم يقله ، فقد استشهد بنماذج من شعره ليس مكانها في هذه السيرة الذاتية ، ولكن معناه : أن المُصلِحَينِ العظيمَينِ التقيا على هدف واحد ، وأن محمد إقبال قد صدق التعبيرَ عن نفس كل مؤمن صادق الإيمان ، بعيد النظرة ، واسع الأمل في عون الله ، وكان تجاوب العلامة معه ، تجاوبَ حمامتين أليفتين تصدحان بالغناء في دوحة واحدة ، إذا حنَّت الأولى رنَّ صداها في نفس الثانية ، فهتفت بالشّجو المديد .

أمَّا مآخذ محمد إقبال على التعليم المعاصر ، وأما آراءه في العلوم والآداب ، وأما تصويره للشباب المسلم ؛ فيستطيع باحث فاضل أن يشرح كل ذلك بما سجَّله العلامةُ من آراء تتقارب ، إن لم تكن تتماثل مع هذه الآراء ، ويكفي إقبالاً أن يسجّل أن المسلم هو الإنسان الوحيد الذي يُعدُّ خطراً على الباطل في كل زمان ومكان ، وأن المسلم قد بنى العالمَ المستنير في الزمن البعيد وهو مهيّأ اليوم لإعادة البناء في العالم الحديث ، وهي عناصر موجزة نجد تحليلها الشافي المبسوط في مؤلفات العلامة نحو مبهجٍ أنيقٍ[1] .

فكرٌ خصبٌ وزخمٌ في الثقافة :

شعر العلامةُ أثناء مهِمَّته في التدريس في دار العلوم بأن دراسته ومطالعته قاصرةٌ فقط على الأدب والعلوم الشرعية ، فاتجه إلى مطالعة كتب التاريخ والفكر التي دَفَعَتْه لاختراق حدود الهند إلى العالم الإسلامي ، والاهتمام بقضاياه وحركاته ، وكان على رأس الكتب الَّتي قرأها في تلك الأيام ، والتي كان لها أكبرُ الأثر في توسيع آفاق فكره وثقافته هي :

« فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » و « ظهر الإسلام » و « زعماء الإصلاح »

---

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين : للدكتور البيومي ، ص (٢٨ ـ ٢٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

للدكتور أحمد أمين[1] ، و « حاضر العالم الإسلامي » للكاتب الأمريكي ستودارد ، والّذي يشتمل على تعليقات الأمير شكيب أرسلان القيِّمة المليئة بالمعلومات المفيدة العامرة بالروح الإسلامية . والكتاب المثير « أم القرى » للسيد عبد الرحمن الكواكبي ، والذي ترك أثراً كبيراً عليه . ومقالات مجلّة « الفتح » الدافقة بالحيويَّة والحماس .

وقد طالع في نفس الوقت عدداً كبيراً من الكتب في المواضيع السياسية ، والكتب المفيدة المثيرة المزوَّدة بالمعلومات الغزيرة التي قدّمت له مواداً علمية قيمة وأُسُساً محكمة لكتاباته وتصنيفاته ومقالاته فيما بعد ، وساعدته على فهم الخلفيات والعناصر التكوينية للحضارة الغربية ، ونظرتها للحياة والإنسان ، منها على سبيل المثال : "History of European Maruls" لمؤلفه ليكي (Lecky) . وكتاب "The Decline and Fall of Roman Empire" لجيبون (Gibbon) . وكتاب "Conflict Between Religion and Science" لدريبر ، (وقد ساعده هذان الكتابان كثيراً في فهم تاريخَ الغرب ومراحلها مِن اللادينية والمادِّية التي توصَّلَ إليه الغرب ، وحصَلَ عنهما على موادٍ كثيرةٍ استخدمها في مقالاته ورسائله وكُتبه القيمة) . وقرأ « تاريخ الفلسفة الجديدة » لهوفدنك .

وقد قرأ في تلك الفترة أيضاً كتاب رائع "Islam at the Crossroads" للمهتدي الفاضل محمد أسد حرفاً حرفاً ، وتأثر عقلاً وفكراً بأسلوبه الواثق القوي الهجومي ، وتشريحه للحضارة الغربية ، وبيانه للتعارض بينها وبين الحضارة الإسلامية ، ودفاعه القوي عن السُّنة المشرفة .

وطالع في ذلك الحين أيضاً : « البحث عن الحقيقة » لغاندي . وكتاب « قصَّتي » لجواهر لال نهرو . وكتاب « مستقبل المسلمين الزاهر » للأستاذ طفيل أحمد .

---

(١) أهَمُّ شيءٍ استفاده العلاَّمةُ الندوي مِن كُتب الدكتور أحمد أمين هي نُعُتُهُ الحلوة والسلسة ، الأمر الذي يمتاز به عن معاصريه من الكتَّاب والصحفيين .
وكان يرى العلاَّمة أنَّ دراسة « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » للدكتور أحمد أمين تُزَلْزِل إلى حدٍّ ما عقيدةَ المؤمن في الحديث الشريف ، ولا تقوم تلك العَظَمَةُ والاعتقاد بشخصياته المبدئية التي يطلبها الإنسانُ منه ، وقد رأيناه أكثرَ مِن مرَّةٍ يُنبِّه الطَّلَبَةَ إلى هذا النقص في فصول « فجر الإسلام وضحاه » ليكونوا على حَذَرٍ منه أثناء قراءتهم له .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد زادت هذه الكتب ثقافته بصورة جزئية ، وأثرت في معلوماته .

وقرأ كبرى تلك المجلاَّت التي كان يُصدرها كبارُ علماء ومفكِّري الهند يومئذ ، مثل « ترجمان القرآن » للشيخ أبي الأعلى المودودي ، و « الهلال » لمولانا أبي الكلام آزاد ، وكانا يكتبان حينئذ المقالات الدافقة بالحماس . وقرأ كذلك في تلك الفترة شِعْرَ الدكتور محمد إقبال الذي ينفخ الروح ويبعث الحياة ، وقرأ شعر الشاعر الناقد للحضارة الغربية وفِكرها الإباحي الشاعر الكبير أكبر الإله آبادي (وكان رجلاً مثقَّفاً بالثقافة الإنكليزية ، وشاعراً بارعاً في التعبير والتأثير) ، وخُطَبَ القائد العظيم مولانا محمد علي جوهر المدوِّية المُجلجلة .

وكان مُعْجَباً بشخصية الشيخ أبي الأعلى المودودي ، وقرأ بعض مقالاته باللغة الأردية ، التي كان يكتبها في مجلة « ترجمان القرآن » ، والتي كانت تجمع بين التعبير عن أفكار الطبقة المثقفة الواعية ، وتلبية حاجات العصر وضروراته ، ممَّا شدَّ تلك الطبقة لذلك الأسلوب والمنهج الذي عبَّر بقوَّة عن أفكارهم ، وترجمَ مشاعرهم وأحاسيسهم ، ثم عكف على قراءة بعض كُتبه ورسائله كـ : « الحجاب » و « الرِّبا » و « المسلمون والصراع السياسي الراهن » و « كيف تقوم الحكومة الإسلامية » .

وغير ذلك ، قرأ عِدَّةَ كُتب في التاريخ والفكر لكبار المؤلِّفين والكُتَّاب بالعربية والأردية والإنجليزية كوَّنتْ فكره ، وساعدته فيما بعد على الكتابة والتأليف في الموضوعات الفكرية والعلمية والتاريخية ، وساهَمَتْ في تكوين شخصيته . وسنتحدَّث عن بعض أهمِّ تلك الكُتب التي عاش فيها ، وتأثر بها وكان يدين لها بالفضل دوماً[1] .

زواجه :

تمَّ زواجُ العلاَّمة الندوي في شهر نوفمبر عام ١٩٣٤م ببنت خاله الشيخ أحمد سعيد الحسني ، وهي حفيدة الشيخ الصالح العالم الرباني السيِّد ضياء النبي الحسني ، وبنت بنت السيد عبد الرزاق الكَلاَمي ، صاحب « صمصام الإسلام » (ترجمة « فتوح

---

(١) اقرأ الفصل السابع من هذا الباب .

www.abulhasanalinadwi.org

الشام » للواقدي) شعراً ، وخطب خطبةَ الزواج أستاذه في الحديث الشيخ حيدر حسن خان الطُونكي ، وأقامَ أخوه الأكبر الشيخ عبد العلي الحسني وليمةً كبيرةً ومأدبةً سخيةً على مستوى عالٍ برحابة صدره وسُروره ، وشفقته وعَطْفه ، عوضه فيها عن فُقدان والده العظيم في تلك الساعة الطيبة .

وشاركت زوجُه الصالحة حياةَ العلاَّمة في السَّرَّاء والضَّرَّاء ، وخدمته بكل إخلاص ومحبة ما دامت كانت على قيد الحياة ، جزاها الله خير الجزاء ، وتغمَّدها برحمته الوسيعة .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثالث

نبوغه في الكتابة والتأليف

« . . . ولمَّا بدأتُ أشدُو وأكتبُ ، نصحتني والدتي وأكَّدتِ الأمرَ بأنَّ أبدأ كلَّ ما أكتبُ بـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللَّهمَّ آتِني بفضلِكَ أَفْضَلَ ما تُؤْتِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحين .

وقد بقي ذلك عادتي ، ودَيْدَني مدَّةً من الزمان ، ولا أزالُ أذكرُ في مناسباتٍ كثيرةٍ هذه الكلماتِ الصالحاتِ . . . » .

العلامة أبو الحسن الندوي

في مسيرة الحياة : (١/ ٧٥)

www.abulhasanalinadwi.org

www.abuhasanalinadwi.org

رحلته مع الكتابة والتأليف

تعلَّق العلامة الندوي بالقلم منذ حداثة عمره ، تأصَّل فيه حبُّ الكتابة ، وتاقت نفسه إليها بعد أن قرأ مقالات وأساليب كبار أدباء العرب والعجم وأصحاب الأقلام فيها ، وقد أَعجبه أسلوبُ العلامة عبد الحي الحسني (والده) في الأردية ، وأسلوب مصطفى لُطفي المنفلوطي في العربية ، وكتب مقالات في العربية والأردية بأسلوبٍ يشابه أسلوبهما في النقاء ، والبيان ، وحسن التعبير .

وقد كتب أول مقالٍ بالعربية حول جدِّه العظيم المجاهد الإمام الشهيد السيد أحمد بن عرفان وهو في سنِّ السادسة عشرة ، وقد كتبه باقتراح من أخيه الأكبر ، فصادف إعجابه ، وبعث به إلى مجلة « المنار » المصرية التي يقوم بإصدارها العلاَّمة السيد محمد رشيد رضا ، وهي ذات صدىً مسموعٍ في ربوع الإسلام ، فوجد العلامة رشيد في المقال ما يرشحه للنشر عن إعجاب ، فكانت هذه أول محاولة كتابية لهنديٍّ أعجمي ناشىء بلسان عربيٍّ مبين في إحدى مجلاته الكُبرى يومئذٍ ، ولا شك أنَّ نشر المقال في هذه المجلة قد بعث في نفس العلامة ثقةً تمدُّه بالعزم الطامح ، والجدّ المثابر ؛ إذ وجد « المنار » تضعه في صفوف كُتَّابها ، وكُتَّابها وما أدراك ما الكتَّاب يومئذ ، فقد نشر العلامة رشيد فيما بعد هذه المقالة في صورة كُتيِّبٍ مستقلٍّ بعنوان « ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد » وقد ظهر في سنة ١٣٥٠هـ ، فأحدث صدىً قوياً بين العلماء والباحثين ، وكانت بمثابة فجرٍ صادق يبشِّر ضوءُه المشعّ بقدوم صبح مبين !

أقدِّم هنا نميذجات من هذه المقالة التي كتبها هذا الأديب الناشىء ، لما كانت لديه ذخيرةُ الألفاظ قليلةً ، وقوة البيان محدودةً ، وأداء التعبير صعباً ، وهو لا يتجاوز من العمر الستة عشر ، فيستطيع القارىء أن يلاحظ منها نموذج الوصف في كتابته هذه ، يكتب :

www.abulhasanalinadwi.org

« . . . انتهت الحربُ السياسية التي دارت بين المسلمين واليسوعيين في القرن الثامن ، وذهبت على أثرها السياسة الإسلامية ؛ إذ ذهبت الحمية الإسلاميَّة ، وسكرة العزَّة المدنيَّة ، وفقد العالمُ الإسلامي نشاطَه وروحه ، ولم يبق يومئذٍ من الإسلام إلا اسمه ، ومن الدين إلا رسمه .

طرأت على الهند حوادثُ سياسيةٌ ، فكثر المفسدون ، وأخذوا يعيثون فيها فساداً ، ويغرسون بذور الفتنة استئثاراً بالإمارة ، فلم يكن فيها من يكبح جماحهم ، ويقطع دابرهم ، فحدثت ثورةٌ بعد ثورةٍ ، وبغوا ، وطغوا ، وأكثروا فيه الفساد ، وانقطعت وسائل الرَّاحة ، والطمأنينة حتى إذا احتلَّ الهندَ الإنكليزُ لعبت يدهم بسياسته ، وساروا على قاعدة « فرِّق تَسُدْ » وأوقدوا نار العداوة بين أمراء الهند وملوكها ، حتى صار بأسُهم بينهم شديداً ، وصار يقتل بعضهم بعضاً ، وكانوا مع الحروب الدَّاخلية يحاربون عدوّاً آخر وهو الفرنساويون ، فانكسروا ، وانكسر الفرنساويون ، وآل الأمر إلى الإنكليز .

أمَّا ملوك دهلي ، فبقوا كأعجاز نخلٍ خاويةٍ ، أو خُشبٍ مسندةٍ ، حتى إذا استُشهد المغفور له السلطان تِيبو الذي حارب الإنكليز ، ودفع عن المسلمين سنة ١٧٩٩م ؛ ضاقت على المسلمين أرض الهند ، وكادت تلفظهم .

إنَّ ممَّا امتاز به العرب عن غيرهم : أنَّهم إذا دخلوا قريةً غيَّروا دينها ، ومدنيتها ، واجتماعها ، ومعاشرتها ، وآدابها ، ولسانها من غير جبرٍ ، ولا استكراه ، وانقاد أهلها رضاً وطاعةً لهم ، وحبّاً وكرامةً لطاهر عواطفهم الملِّيَّة ، ولكرمهم ، وتقواهم ، وحُسن معاملتهم لهم .

وأمَّا ملوك الهند وفاتِحوها ؛ فقد خلوا من تلك العواطف الملية الطاهرة ، وإنما ألجأتهم إليها مطامعهم ، فزحفوا ، وفتحوا عليها وحكموا ما شاء الله أن يحكموا ، فداس أكثرُهم

www.abulhasanalinadwi.org

أحكام الإسلام ، وشرائع الدِّين ، كما يظهر من أعمالهم المنكرة التي يأباها كلُّ ذي ضميرٍ حيٍّ فضلاً عن المتديِّنين .

فالتَّيموريُّون لما استقرَّت بهم الحكومة أراد بعضهم أن يستتب أمره ، فلم يجد بُدّاً من معاضدة الوثنيين له ، فألاَن جانبه لهم ، حتى ازورَّ جانبه من المسلمين ، ومال إليهم ميلاً شغله عن الدين ، بالرغم من المتدينين ، فتزوج فيهم ، وخرَّ لأوثانهم ، وصار كأنَّه واحد منهم ، لا يخيَّل لأحدٍ أنه مسلم[1] ، ثم أمرهم بعبادة شخصه ، فخرُّوا له سجداً ، وكفَّروا له[2] .

فهذا كان شأن الحكومة الإسلامية في الهند في ربيع حياتها ، أو ريعان شبابها ، فما ظنُّك بها في وهنها وهرمها ؟! .

اتخذوا القرآنَ هزؤاً ، بل كان تلقينه والاستمساك به ذنباً لا يُغفر ، فلم يكن يوجد للقرآن ترجمةً في أي لسان إلا الترجمة الفارسية المنسوبة إلى الشيخ سعدي رحمه الله[3] ، حتى إنَّ الشيخ العلامة ولي الله بن عبد الرحيم الدِّهلوي حين ترجمه خشي على نفسه ، واضطُرَّ أن يهاجر من الهند .

وأمَّا الحديثُ فلم يبق إلا رواياتٌ وأساطير كأساطير ألف ليلة وليلة ، كانوا يسجدون بين يدي القبور سجودهم بين يدي الله ، فكان القبر قِبلتهم التي يتوجَّهون إليها ، وملجأهم الذي يلجؤون في شدائدهم وحاجاتهم إليه ، فكانوا يزيِّنونه ، ويزخرفونه ، ويطوفون به ، ويعكفون عليه ، وكانت تعقد عليه

---

(١) أراد به العلاَّمة الإمبراطورَ المغولي الثالث « أكبر » .

(٢) يقال : كفَّر الرَّجل للملك مثلاً : إذا خضع له ، فوضع يده على صدره وطأطأ رأسه وانحنى تعظيماً له .

(٣) هو شرف الدين اسماً ، ومصلح الدين لقباً ، والسعديُّ تخلُّصاً ، كان فقيهاً ، ومتصوِّفاً ، وخطيباً ، وقد بلغت شهرةُ كتابيه « كلستان وبوستان » أقصى درجات الشهرة والذيوع في الأدب الفارسي ، توفي عام ٦٩١هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

الأسواق ، وتجتمع عنده المواكب ، وكلُّ امرىء رضي بشيخه رائداً ، وإلى النجاة قائداً ، حتى إذا توفي أحدهم دُفنت معه صحيفة عليها اسم شيخه ، ونسبه ؛ ظناً أنَّها تقيه سوءَ العذاب .

ثم المتصوِّفون ـ تصوُّفاً مبتدعاً ـ أحلُّوا ماحرَّم الله ، وجعلوا المنكر معروفاً ، والباطل حقاً ، واعتدوا وأسرفوا ، واتبعوا أهواءهم ، فضلُّوا وأضلُّوا ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واتَّخذوا دينهم لهواً ولعباً ، ولذةً وطرباً ، وزيَّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ، وكان الإسلام يومئذٍ كالمسيحية ما هي إلا أوهامٌ ، ومعتقداتٌ ، وأسماء سمَّوها استغناءً بها عن الأعمال .

فَسدت أخلاقُهم فساداً ما وراءه غايةٌ ، كانت أنديتهم أندية الرِّجس ، زِيْنتها الموسمات ، حتى إنَّ كبار الأشراف كانوا يرسلون صغارهم يتعلَّمون منهنَّ الآداب ، وكانوا يشتغلون بالقمار ، والمسكرات ، والملاعب السَّافلة ، ولم يكن لهم شغلٌ عنها .

وأمَّا الأمراء فقد جرى بينهم من الأمور السَّافلة الدنيئة ما لا طاقة لذي شرفٍ ولا أدبٍ على سمعه .

بلغت النساءُ تحت رجلٍ واحدٍ عدد المئات ، ولا خلاق لهنَّ ، وكان نكاح الأيامى عاراً وعيباً وفضيحةً ، حتى كانوا يقتلون من ينكحها ، ولا نصيب للبنات .

لم يأت على المسلمين حينٌ من الدَّهر مثل هذا الحين ، فقد ابتلوا بلاءً عظيماً ، ذهبت ريحُهم ، وخابوا ، وخسروا لمَّا فقدوا الدِّين والسياسة ، فكانت الأمَّة كمريضٍ نهكته الأمراض ، وبلغت منه مبلغها ، وجرت مجرى الرُّوح والدَّم ، وثقلت عليه وطأة الدَّاء ، وذهب رئيس أعضائه ، وحارت فيه الأطباء ، وبلغ اليأس منتهاه .

فما ظنُّك برجلٍ قام لمعالجته ؟!

www.abulhasanalinadwi.org

ما ظنُّك برجلٍ قام في مثل هذا الوقت لرأبِ الثَّاي[1] ، ورتقِ الفتق ؟

ما ظنُّك برجلٍ قام للمدافعة عن المسلمين لمَّا ضاقت عليهم الأرض ، وكادت تميد بهم ؟

ما ظنُّك برجلٍ جاهد في سبيل الله حقَّ جهاده ، وأبلى بلاءً حسناً ، وسقى الشجرَ الإسلاميَّ في الهند بدمه بعدما عراه الذُّبول ؟ . . . » .

ثم كتب العلاَّمة الندوي ترجمة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وذكر فيها مقاومته الباسلة مع الإنكليز والسِّيخ في سبيل إنشاء دولة إسلامية على نهج الخلافة الراشدة ، فختم مقاله بذكر جهوده الإصلاحية الجبَّارة في الهند ، وقد نقل المؤلِّفُ هذا المقال بكامله في كتاب « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم »[2] .

اهتدى العلامة الندوي بعد نشر مقاله بـ« المنار » إلى صميم رسالته التي يجب أن يحملها إلى العالم جميعه لا إلى العالم الإسلامي وحده، هذه الرسالة هي : الدعوة إلى الله كاتباً ومتحدثاً، أمَّا كاتباً فقد ظهرت بشائر توفيقه فيما كتب بـ « المنار » ، وفيما نشر ـ فيما بعد ـ بصحف الندوة في حداثة سنِّه ؛ وأمَّا متحدِّثاً فقد أَلِفَ أن يصعد إلى المنبر خطيباً ؛ وأن يُحادث المستمعين في الندوة محاضراً، فيحظى بالقبول إن لم يكن يحظى بأكثر من القبول . وذلك وحده زاد يُعين المُدلجين على السّرى في ظلمات الطريق .

إنَّ نَشْر هذا المقال في « المنار » في سِنِّ مبكِّرٍ تنبَّأ له بنبوغ مأمول ومستقبل زاهر ، وأتى في مجال الأدب العربي والإسلامي بَعْدُ بالعجائب والغرائب من أفكاره وتجاربه ، وكتب بأسلوب قد يعجز عن مثله معاصروه العلماءُ من الكتَّاب والأدباء ، ولعل أروع وأفضل ما كتبه العلامة الندوي في الفكر والدعوة والأدب آنذاك هو في مجلة « الفتح » التي كان يُصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب في القاهرة ، وفي مجلة « الرسالة » للأستاذ حسن الزَّيات ؛ وكانتا من كبرى المجلات الأدبية والفكرية وأقواها يومئذ بدون مجاملة ، إذ كان يكتب فيها عدد كبير من أمراء البيان ، وفطاحل المفكِّرين الإسلاميين

---

(١) الثَّأي : الضعف ، ويقالُ : رأَبَ الثأيَ ورتَقَهُ : أصلح الفاسدَ .

(٢) انظر في صفحة (٩٨) ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

مرة ان الا كليز والسيخ كانو
تله فجمعوا الحاب و
للكين فيها وقا
وابل
ازله
سمنز ولا
(عثمان..)
بد اسم

هول الفشاه الاسلامية فى الهند

﴿ ترجمة السيد الامام احمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر ﴾

رسالة للاستاذ السيد ابي الحسن علي الحسني بن العلامة السيد عبد الحي ناظم ندوة العلماء (سابقاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحابته الطاهرين الطيبين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

أما بعد : فلم تزل سنة الله في عباده ولا تزال — ولن تجد لسنة الله تبديلا — أن يبعث فيهم — وقد أخذ الشيطان قيادهم ، وذهب بهم النسيان مذهبا حتى (نسوا الله فأنساهم انفسهم) — مذكراً مبشراً منذراً

(١) هذا الماثل وذلك المتصف فلما يوجد منا ما في الشهور الاخيرة الا نزر.

أول مقال للعلامة الندوي نشره الإمام رشيد رضا في مجلّته « المَنَار » (المجلَّد ٣١ عدد ذي الحجة سنة ١٣٤٩هـ) وقد نيف صاحب المقال على السادسة عشرة من عمره

www.abulhasanalinadwi.org

أمثال العلامة رشيد رضا ، والأمير شكيب أرسلان ، ومصطفى صادق الرافعي ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والشهيد سيد قطب وغيرهم .

وأوّل مقالٍ كتبه في « الفتح » حول الشاعر الإسلامي الفكاهي المعروف أكبر إله آبادي في عدة حلقات ، وقد تحدَّث فيه عن نقده للغرب والتعليم الغربي وترجمة أبياته في هذا المعنى ، وعرض وتحليل خلفياتها وأسبابها[1] ، وصدرت له بعد ذلك مقالات أخرى في مناسبات مختلفة لا تُعدّ ولا تُحصى ، وظهر اسمه مرَّات مع اسم صديقه الأستاذ مسعود عالم الندوي إلى جانب مقالات وأسماء هؤلاء الفحول والأعلام في تلك المجلَّات ، وكذلك كتب كثيراً في مجلة « المسلمون » التي كان يصدرها الدكتور سعيد رمضان في جنيف ، وفي مجلّة حضارة الإسلام » الّتي كان يصدرها الدكتور مصطفى السباعي في دمشق ، ثم كتب في مجلة « الضياء » بالعربية الّتي كانت تصدر بإشراف ورئاسة الأستاذ مسعود عالم الندوي من دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ الهند ، وكانت أول مجلة عربية أدبية وفكرية تصدر في الهند .

وقد ترأَّس العلاَّمةُ الندوي تحرير مجلَّة « الندوة » والّتي كانت أمّ المجلاّت الأردية العلميّة يومئذ ، ثمّ أصدر مجلة باسم « تعمير حيات » عام ١٩٤٨م ، والتي نالت إعجاباً كثيراً وقبولاً بالغاً في الأوساط الدينية والعلمية في الهند وباكستان ، وفي جميع البلاد الناطقة بالأردية ، كتب فيها العلامة مقالات قويةً مُثيرة ، تنفخ روحَ الإيمان ، وتستثير الفكر والوجدان ، وقد نشر فيها مقالةً بعنوان : « العالم في حاجة إلينا » ، وصدر من قلمه في تلك الأيام مقالٌ شديد الانتقاد لوضع المسلمين بعنوان « مواضع ضعف في سيرتنا وشخصيتنا القومية » انتقد فيه مواضع الضعف العامة التي أصبحت جزءاً في طبيعة المسلمين القومية ، وعنصراً فعَّالاً في كيانهم ، انتقاداً صريحاً شديداً ، ونَبَّههم إلى نتائجها الخطيرة . قُوبل هذا المقال في الأوساط الإسلامية التي تحب الواقعية باستحسان وإعجاب ، وفي الأوساط التي لا ترتضي أي انتقاد للمسلمين باستنكار[2] .

---

(١) انظر هذا المقال في « مقالات حول الحضارة الإسلامية والغربية » طُبع في سلسلة « تراث العلامة الندوي » في دار ابن كثير بدمشق .

(٢) وقد دبَّجت يراعة العلاَّمة الندوي بعدُ مئات المقالات بالعربية والأردية في موضوعات مختلفة ، نشرتها كبرى المجلات الإسلامية كـ « المسلمون » و« حضارة الإسلام » و« البعث الإسلامي » و« الرائد » بين الحين والحين كما ذكرنا ، وقد جمع المؤلِّف جميع مقالاته بالعربية ، ونشرها=

www.abulhasanalinadwi.org

مؤلفاته الباكورة بالأردية والعربية

أوَّلُ تأليفٍ له بالأردية :

بدأ العلامة الندوي بعد نَشْر مقاله في مجلَّة « المنار » عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بمطالعةِ كل ما كُتِبَ وأُلِّف حول الإمام الشهيد ؛ لأنه كان يشعر بضرورة القيام بعملٍ عمليّ حول سيرة الإمام الشهيد وجهاده وإصلاحه بأسلوبٍ عصريٍّ جديدٍ ، وكان العلاَّمة أجدر الناس وأحراهم برفع القلم في هذا الموضوع ، فبدأ تأليفه في سيرة الإمام عام ١٩٣٦م ، وظَهَرَ الكتاب أخيراً يحمل اسمه « سيرة السيد أحمد الشهيد » بالأردية عام ١٩٣٩م ، وقد حلَّت جيدَه مقدمةٌ فاضلةٌ مثيرة بقلم العلامة السيد سليمان الندوي ، وقد أفاض فيه العلامة سليمان وأرسل النفسَ على سجيتها في التعريف بمأثرة الإمام الشهيد التجديدية والإصلاحية العظيمة ، وشجع المؤلِّفَ الناهضَ الّذي كان هذا الكتاب باكورة مؤلفاته .

فقد كان هذا أول كتاب أُلِّف حسب متطلبات العصر وطبيعته ، وكانت فيه أول محاولة لعرض أهداف دعوة الإمام الشهيد وحركته البعيدة الأثر وغاياتها ومراميها العالية ، وقد جاء فيه عرض جامع لما امتازت به جماعته من نفحات إيمانية وخصائص خلقية ، وتنظيمات مدهشة وجهود جليلة ، وتضحيات جسيمة ، وقد ذكر فيه لأول مرة أنَّ جهاده الذي قام به ـ أقصد الإمام الشهيد ـ لم يكن حماية المسلمين في ولاية بَنْجاب ، وردَّ الظلم والعدوان عنهم فحسب ، بل إنما كان غرضه الأكبر إحياء الخلافة الإسلامية وإقامة الحكومة الإسلامية على منهاج الخلافة الراشدة ، ولم تكن تنحصر جهوده وجهاده لحكومة السِّيخ في بنجاب ، بل كانت غايته بلاد الهند كلّها ، التي كانت أذرع الأخطبوط الإنجليزي قد بدأت تبسط نفوذها عليها وعَلى شبه القارة ، وينشب أظفاره فيها .

وقد ضمّ الكتاب قصّةً مفصّلةً عن الجهود الضخمة الكبيرة التي قامت بها جماعة الإمام الشهيد ضد الإنجليز ، ووقائع الصبر والجلادة والاستقامة والاستماتة التي قَدَّم

= بعنوان « مقالات إسلامية في الفكر والدعوة » ، من دار ابن كثير بدمشق في سلسلة « تراث العلامة الندوي » .

www.abulhasanalinadwi.org

أمثلتها الرائعة المجاهدون المضطهدون الّذين زُجَّ بهم في سجون الهند ومنفى « أَنْدُوْمَان »[1] ، بسبب التعسّف على الإيمان واليقين ، ويقدّم دروساً وعِبَراً حية ، لا يملك أقسى قلب وأبرده إذا مَرَّ بها وقرأها إلاَّ وتشتعل فيه الحرارة الإيمانية ويلتهب غيرة وحمية وأنفة ، فكان الإقبال على هذا الكتاب إقبالاً عظيماً ، حتى صدرت له عشراتُ طبعات من الهند ومثلها في باكستان في مدة قصيرة .

أوَّلُ تأليفٍ له بالعربية في التاريخ وفي الفكر الإسلامي :

لعلَّ كثيراً من القراء لا يعلمون أنَّ الكتاب المشهور في الآفاق : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » كان باكورة مؤلفات العلامة الندوي ، وقد ألّفه وهو قد جاوز الثلاثين من عمره تقريباً، أي : عام ١٩٤٤م ، وكان أضخم من أن يتناول هذا الموضوع مثله في مثل هذه السِنُّ المُبكِّرة ، وفي بلدٍ بعيدٍ عن مركز اللغة العربية وآدابها وثقافتها .

وكان الموضوع يحتاج إلى مطالعة واسعة عميقة ، وإلى دراسة واعية جامعة ، وهي تحتاج إلى مصادر عربية وأجنبية كثيرة وافرة ، وهي قليلة في هذه البلاد النائية عن مركز العروبة والعربية ، والنازحة عن الكشوف والبحوث الغربية الحديثة ، وكانت الأيام ، أيام حرب عالمية ، وكانت الروابط والأواصر والمواصلات متقطّعة .

ولكن مؤلِّف الكتاب النابغة العبقري كان قد درس المؤلفات القديمة والحديثة وتاريخ العالم وتاريخ أخلاق أوربة ، وكان وثيقَ الصِّلة ببعض المكتبات الغنيَّة الزاخرة التي لا تألو جهداً في تقديم كل كتاب يحتاج إليه القارىء المرتاد إلى نقل هذه المكتبات ، فعقد العزم وشمَّر عن ساق الجدِّ لإعداد هذا الكتاب القيِّم المثير ، وأجهد نفسه ، وواصل الليلَ بالنهار ، وبدأ يجمع المعلومات ويلتقط ، ويرتاد المكتبات ويراجع المصادر ، ويقابل الشخصيات ورجال العلم والفكر ، ويستأذنهم في ارتياد مكتباتهم الشخصية . يقول تلميذه فضيلة الأستاذ الدكتور محمد اجتباء الندوي :

« لقد حكى لي وهو في بيت فضيلة الشيخ (عبد الوهاب الصلاحي) رحمه الله في دمشق ، يملي عليَّ مقالته عن (ثلاثة أيام في لبنان) فقال : « سألت فضيلة الشيخ عبد الماجد الدَّرْيابادي[2] عن بعض المراجع الإنكليزية والأوربية التي تتعلق

---

(١) أَنْدُوْمَان : أرخبيل هندي في خليج البنغال، يفصله عن ماليزيا بحر أندمان وتتبعه جُزر نيكوبار .

(٢) انظر ترجمته في الباب السادس ، الفصل ، . . ص(٨٩١) .

www.abulhasanalinadwi.org

بموضوعي ، فقال : توجد كلُّها في مكتبتي ويمكنك أن تستفيد منها ، فكتبتُ إليه عن موعد وصولي إلى قريته (دَرْيَابَادْ) وكانت تبعد عن مدينة لكهنؤ خمسين كيلو متراً ، وكان القطار ينطلق من لكهنؤ في الصباح الباكر ويعود في المساء ، فكانت لي فرصةُ نهار كامل .

وصلتُ إلى منزل فضيلة الشيخ حسب الموعد فرحَّب بي ، وسألني عن برنامجي ، فقلت له سأبقى طول النهار أنتفع من المكتبة أخرج منها للصلوات فحسب ، ولا أتغدى ، وأعود قبل العشاء بإذن الله فقال : مرحباً . ونادى الخادم فقادني إلى المكتبة حول طاولة كانت جميع الكتب التي ذكرتها مرصَّعة ومنسَّقة عليها ، وعندها قلم وأوراق للكتابة ، وتركني فيها ورَاح ، وجلست أقرأ المصادر وأكتب ما أريد ، ولا أشعر إلا بالخادم يحمل إليَّ بين الفينة والفينة كأساً من شراب الليمون أو شراب الرمان أوالتفاح أو ما يشبه ذلك من المشروبات الباردة المثلجة ، وكانت الدنيا صيفاً ، وكان الحرُّ شديداً ، وعكفتُ على عمل ، لا التفتُ يميناً ولا شمالاً ، حتى أكملت بُغيتي ، وإذا بالشيخ الفاضل العطوف الوقور على باب المكتبة ، فعرفتُ أن موعد القطار العائد إلى مدينتي قد حانَ ، فقمتُ ، وشكرتُ فضيلة الشيخ رحمه الله وودَّعتُه ، وعُدت فرحاً مستبشراً بعملي هذا النهار المفيد المثمر »[1] .

وأمَّا قصَّة تأليف هذا الكتاب فحكاها المؤلِّف نفسه بإفاضةٍ ، يحسن بنا أن نسجِّلها هنا ، لنعرف منها مجرى تفكير العلامة الندوي ومنطلقه ووجهته ، والعوامل العقلية والنفسية والدينية المؤثرة في توجيهه ، قال :

« وكان من الجسارة أن أتناول هذا الموضوع الذي كان جديراً بقلم أكبر من قلمي ، وبعقل أوسع من عقلي ، وبتجربة أطول وأوسع من تجربتي كمؤلِّفٍ ، ولكن الله يفعل ما يشاء .

لقد كنتُ أشعر برغبة غامضةٍ ملحَّةٍ لم أستطع أن أُغالبها ، كأنَّ سائقاً يسوقني إلى الكتابة في هذا الموضوع ، ولو استشرتُ العقل ، واعتمدتُ على تجارب المؤلفين ، وعلى مقاديرهم ومكانتهم العلمية ؛ لأحجمتُ ، ولعدلتُ عن هذه الفكرة ، ولو ذكرتُ ذلك لأحد من العُقلاء العلماء ، والكُتَّاب الفُضلاء ؛ لأشاروا عليَّ بالعدول عن خوض هذه المعركة العلمية العقلية ، ولكنه كان من الخير أنني لم أستشر أحداً ، كما يقول

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم : ص (٨٣ ـ ٨٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتور محمد إقبال : « ليس من الخير أن تستشير عقلك دائماً ، فنحِّ عقلك جانباً في بعض الأُمور ، فإنَّ العقل يُصوِّر لك الخوف في معارك خطيرة ، ويُشير عليك الابتعاد عن مثل هذه التجارب المريرة » .

كان الناسُ قد اعتادوا في ذلك العصر وقبل العصر الذي أُلِّف فيه هذا الكتاب أن ينظروا إلى المسلمين من خلال التاريخ العالمي ، أو ينظروا إلى المسلمين كشعبٍ عاديٍّ وكأمةٍ من أمم كثيرة ، ولكن تشجّع مؤلفُ هذا الكتاب وتخطَّى هذه الحدود المرسومة ، وخرج من الإطار التقليدي الذي فرض على المؤلفين والكتَّاب العرب والعجم ، فأراد أن ينظر إلى العالم من خلال المسلمين ، وشتّان بين النظرتين ؛ نظرة ينظر بها إلى المسلمين من خلال العالم ومن خلال الحوادث التي جرت في العالم ، ومن خلال التطورات التي حدثت في التاريخ ، المسلمون شعب من الشعوب ، يخضعون لما يجري في العالم في إطار علم واسع ، فكان المنهج الفكري العام وأسلوب البحث الدائم :

ماذا خسر المسلمون بسبب الحادث الفُلاني ؟ وبسبب انقراض الحكومة الفلانية ؟

ماذا خسر المسلمون بسبب نهضة العرب الحديثة ؟

ماذا خسر المسلمون بسبب الثورة الصناعية الكبرى التي حدثتْ في الغرب ؟

ماذا خسر المسلمون بانقراض الخلافة العثمانية ؟

وماذا خسر المسلمون بفتح الغرب لكثيرٍ من قِلاع الإسلام والمسلمين ؟

ماذا خسر المسلمون بفقرهم في الاقتصاد ، وفي السياسة ، وفي القوَّة الحربية ؟ .

كان ذلك الطريقُ المرسوم التقليدي الذي اعتاده الناس ، ولكن الله سبحانه وتعالى ألهمني، وشرح صدري لأن أكتب في موضوع : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » .

كأنَّ المسلمين هم العامل العالمي المؤثر في مجاري الأمور في العالم كله ، ليس في بقعة جغرافية محدودة ، أو منطقة سياسية خاصة .

هل المسلمون حقّاً في وضعٍ يمكن أن يقال : إن العالم يخسر شيئاً بانحطاطهم ؟

هل المسلمون على مستوى يجوز أن يقال : إن العالم قد خسر شيئاً بتقهقرهم ، وبتخلفهم عن مجال القيادة العالمية ؟

إنني أخاف وأخشى أن كثيراً من الكتَّاب الإسلاميين الذين كانت لهم مواقف جليلة

www.abulhasanalinadwi.org

وكانت لهم سوابق عديدة ، لم يفكِّروا هذا التفكير ، إنَّ تشويه التاريخ الإسلامي والنظر إليه من زاوية ضيقة ، ومركب النقص الذي أصيب به الجيل الجديد المثقف ، كان يعوق كثيراً من الباحثين عن أن يربطوا قضية المسلمين بقضية العالم وبقضية الإنسانية .

أين المسلمون من القيادة العالمية ؟

المسلمون فقراء ، المسلمون ضعفاء ، المسلمون محكومون من الغرب المسلمون خاضعون للثورات الحديثة ، فهل يصح أن يربطَ مصير العالم أو مصير الإنسانية بمصير المسلمين وواقعهم ؟

لا ، إنَّ كثيراً من الناس لم يكونوا يصدِّقون في ذلك الحين أنَّ المسلمين لهم من الأهمية والخطر والتأثير ومن المكانة ما يؤَهّلهم لهذا البحث ، ويسوغ لمؤلف أن يؤلِّف كتاباً ، فيبحث عن مدى خسارة العالم الإنساني والعالم المعاصر بانحطاط المسلمين ، إن الموضوع كان خطيراً ، وكان البحث فيه شبه مجازفة ومغامرة علمية ، ولكن الله سبحانه وتعالى أعان على ذلك »[1] .

لقد طُبع هذا الكتاب أوّلاً من لجنة التأليف والترجمة والنشر التي كان يرأسها الدكتور أحمد أمين ، فكان صدور هذا الكتاب حدثاً هائلاً في دنيا الفكر ؛ لأنه رجَّ القراء رجّاً ، وكأنه نفخ في الصُّور فأحيا نفوساً ، وأشعل أرواحاً ، وأخذ الناسُ يقرؤون مبهورين ، يخافون أن تنفد صفحات الكتاب ، فلا يستشعرون هذه اللذَّة الروحية بعد انقضاء الصفحات ، وفيهم من كان يقرأ الصفحةَ والصفحتين ثم يطوي الكتاب دقائق معدودة ، ليُصَعِّد زفرةً مكتومةً ، أو يُعلن آهةً موجعة .

وقد أصبح هذا الكتابُ اليومَ من أشهر مؤلَّفات العلاَّمة الندوي ، وأوسعها انتشاراً في العالم الإسلامي ، وأكثرها نقلاً إلى اللغات الشرقية والغربية ، وأكثرها صدوراً من مكتبات العالم العربي والإسلامي ، حتى قيل فيه في وصفه بأنه من خيرة الكتب التي صدرت في هذا القرن[2] ، لقد صدر له حتى الآن أكثر من ستين طبعة رسمية .

فكان هذان الكتابان من باكورة مؤلَّفات العلامة الندوي ، وأمَّا مؤلَّفاته الأخرى غيرها ، فنتحدَّث عن أهمِّها في الباب المخصَّص بها في هذا الكتاب .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص(٢٤ ـ ٢٥) ، طبع دار ابن كثير ، دمشق .
(٢) قاله المفكر المربّي ، الداعية الناقد البصير : الأستاذ محمد المبارك ، رحمه الله .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الرّابع

في حقل الدَّعوة والإصلاح

المبحث الأول : في سلك الدَّعوة إلى الله .

المبحث الثاني : اتصالُه بكبرىٰ الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي .

المبحث الثالث : رحلاته الدعوية والعلمية في الخافِقَين .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

في سلك الدّعوة إلى الله

دعوته للزعيم الهندي الكبير إلى الإسلام :

بعد مضي عامٍ على بدء عمله في التّدريس ـ وكان عمره آنذاك لا يتجاوز الحادية والعشرين ـ أمره أستاذه الشيخُ خليل بن محمد اليماني ، وأخوه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني أن يسافر إلى مدينة « بومباي » ويدعو الدكتور أَمْبَيْدَكَرْ[1] إلى الإسلام ، الّذي كانت تتناقل الصحف بحثه عن الدين الصَّحيح لشعبه المتخلِّف المنبوذ ، وأنه سيقدم على اختيار دين من الأديان في وقت قريب لنفسه ولطبقته الّتي يتزعمها ويمثّلها ، والّتي يَرْبُو عدد أعضائها على الملايين .

فسافر العلامةُ الندوي إلى مدينة بومباي ، والتقى بالدكتور أمبيدكر وحاوره وكان ممَّا قال :

« أيها الدكتور ! لعلَّ الكثير من أهل الديانات زاروك وقابلوك وكلَّموك كلاماً على مستوى عالٍ ، أما أنا فإنني لا أتجاوز القول بأنك إذا كنت تريد لنفسك ولشعبك النجاة ، وتبحث ـ بإخلاص ونية صالحة ـ عن الدين الصحيح فأنا أدعوك بدعاية الإسلام ، ولا أقدِّم لهذه الدعوة أيَّ إغراءٍ ماديٍّ أو رشوة اجتماعية وسياسية ، ولا أطمعك في شيء من الدنيا » .

ولم يُذْكَر هنا كلُّ الحديث الّذي تحدث به معه العلاّمةُ إلا أن جوهر الكلام وروحه كان يدور حول هذا ، وقد استمع الدكتور إلى كلامه في جدٍّ وإصغاء ، وأجاب بأن الأمر جدّ الجدّ ، يتطلَّب التأمل والتفكير ، ولا أزال في دور المطالعة والتأمل ثم أقضي وأبرم شيئاً ما .

---

(١) كان من كبار الحقوقيين في الهند ، اختير وزيراً للقانون في أول حكومة مستقلَّة ، وهو الّذي وضع الدستورَ الهندي ، وكان ينتمي ـ ولادةً وتناسلاً ـ إلى إحدى الطبقات المنبوذة .

www.abulhasanalinadwi.org

فلما رأى العلامةُ أنه قد بلَّغ الدعوة ، ولا مجال للحديث بعد ذلك ، قدَّم إليه بعضَ الكتب الإسلامية بالإنجليزية ، وحَثَّه على مطالعتها ، ووَدَّعَه الدكتور باحترام وإكرام ، ثمَّ رجع ، ثم كان من قدر الله الذي لا رادَّ له ويفسر قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] أنه أعلن فيما بعد اختياره للديانة البُوذية لنفسه ولشعبه ، ولعلّه قد شعر بخطئه في هذا الاختيار في حياته ، وأنه ما عمل بذلك شيئاً ، وأن النتيجة صفر ، ولئن لم يشعر هو بذلك فإن شعبه ، ولا سيما المثقفين منهم بدؤوا يشعرون بشدة أن هذا التغيير للديانة لم يقدِّم شيئاً ولم يؤخِّر في مصائر أمرهم ، يتضح ذلك جلياً من كتاب « الدكتور أمبيدكر واعتناقه البوذية » (Ambedkar And His Conversion) لأحد الكتَّاب الَّذين هم من جماعة هذا الدكتور[1] .

زيارته للمراكز الدينية والاستفادة من تجاربها :

هيمنتْ على فؤاد العلامة الندوي حميَّةٌ وغيرةٌ على الإسلام ورسخ في نفسه ، بل وأصبح جزءاً من عقله ووجدانه : أن التكبير المدوّي في الآفاق ، والنضال العلمي لإعلاء كلمة الله أفضل من الاكتفاء بالإكثار من نوافل الطاعات والتسابيح والابتهالات الشخصية في عزلة عن واقع الأمة ، وحمله هذا القلقُ كما حَمَل الشيخَ منظور النعماني[2] والأستاذ عبد الواحد اللاَّهوري[3] على البحث عن عمل إسلاميٍّ وقيادة دينية واعية ، يستطيعون من خلالها أن يتعاونوا لإيقاظ الروح الدينية في المسلمين ، ومواجهة الأخطار المحدقة بالكيان الإسلامي .

فقرَّروا بدايةً زيارة المراكز الدينية ، وسافروا إلى (سَهَارَنْفُوْر) ، ثم توجَّهوا منها إلى (رَأي فُوْر) ، وزاروا الشيخَ عبد القادر الرأي فُوري[4] فرحَّب بهم الشيخ ترحيباً

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ١٢٠ ـ ١٢٣) .

(٢) انظر ترجمته في الباب الأول ، حاشية صفحة (١٢٥) .

(٣) هو الأستاذ عبد الواحد اللاَّهوري ، كان من أصدقاء العلاَّمة الندوي المقرّبين ، وكان من المبرزين في الأدب الإنجليزي ومديراً بمدرسة إنجليزية كبيرة في باكستان ، قضى وقتاً طويلاً مع العلامة الندوي في نشر وتبليغ الدعوة الإسلامية ، اصطفاه الله لجواره عام ١٩٨٦ م بمدينة لاهور .

(٤) انظر ترجمته في صفحة (٣٧٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

حاراً ، واحتفى بهم حفاوة بالغة وأكرمهم وأبدى لهم ودَّه وبِشْرَه ، فلما ذكروا له عزيمتهم ، وأنَّهم يبحثون عن قيادة دينية رَحَّبَ الشيخ بفكرتهم ، وشجَّعهم عليها ، وأبدى أسفه وعذره لعدم قدرته على المساهمة الفعَّالة معهم بسبب كبر سِنِّه وضعفه ، وأشار عليهم أن يسافروا إلى (دهلي) ويزوروا الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي[1] ، ورجعوا قاصدين إلى دهلي ثم إلى منطقة (مَيْوَات) ، والتقوا بالشيخ الكاندهلوي ، وأَعجب ، وأَغرب ما رأوا في هذه الرحلة ، وكان سبب سرور بالغ وغبطة عظيمة لهم هو عمل الشيخ محمّد إلياس الكانْدَهْلَوِي في مجال الدعوة والإرشاد ، ونظامه التبليغيّ في منطقة « ميوات » التي كانت غارقة في ظلام دامس ، ولم يصل إليها نور الدّعوة منذ عهود بعيدة ، مما أدّى إلى اختلاط عدد كبير من سكّانها المسلمين بالهندوس في عقائدهم ورسومهم وطقوسهم ، واعتنقوها .

في هذا الوضع الحرج بدأ فيها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي عملَ الدعوة والإرشاد ، وبذل في هذا الصدد أقصى جهده حتى وفقه الله عزَّ وجلَّ ، وقبل جهوده ومساعيه .

خطابٌ دعويٌّ وفكريٌّ أمام مندوبي البلاد العربية والإسلامية في المؤتمر الآسيوي المنعقد في « دلهي » .

لقد عُقِد في أبريل عام ١٩٤٧ المؤتمرُ الآسيوي على دعوة من جواهر لال نَهْرُو (رئيس وزراء الهند الأسبق) . كان مؤتمراً عالمياً فريداً من نوعه ، عُقِدَ قبل استقلال الهند ، وقد وجِّهت الدعوة لحضور هذا المؤتمر إلى عدد من البلدان العربية والإسلامية أن تبعث بوفُودها إليه .

وقد حضر من البلدان العربية : الدكتور عبد الوهاب عزام ـ مترجم شعر الدكتور محمد إقبال ـ والأستاذ مصطفى مؤمن مندوباً للإخوان المسلمين من مصر ، والأستاذ تقي الدين الصلح من لبنان رئيس وزراء لبنان الأسبق ، وعدد من الممثّلين من أفغانستان ومن بعض البلاد الإسلامية .

وكان العلاَّمة الندوي إذ ذاك مرتبطاً بحركة الدعوة والتبليغ التي مركزها في حيِّ

---

(١) انظر ترجمته في صفحة (٣٧٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

(نظام الدين) في دلهي وعاملاً فيها ، فدعاه أمير جماعة التبليغ حينئذ الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ـ ابن مؤسِّس الجماعة النجيب الفريد وخليفته الفاضل ـ إلى دهلي ، وأن يستعدّ لخطاب هؤلاء المندوبين المشاركين في المؤتمر ، وقد أعدّ العلاَّمة مقالاً بهذا الغرض بعنوان « إلى ممثّلي البلاد الإسلامية » .

بدأ المؤتمر برئاسة السيدة سَرُوْجَنِي نَائِيْدُو[1] ، لكنَّه لم يتهيَّأ له المجال لإلقاء هذه المحاضرة في هذا المؤتمر لضِيق الوقت ، وعدم تهيؤ الجوّ ، فألقاها بعد ذلك في إحدى المناسبات أمام هؤلاء المندوبين ، والّتي نشرت فيما بعد في مطبعة صحيفة (دانْ) كرسالةٍ مستقلةٍ ، وأخَذَها العلاّمة الندوي في رحلته الأولى إلى الحجاز عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧) وقد ساعدته كثيراً ، وكانت له خير وسيط ، وقد كان خلاصة هذه المحاضرة وجوهرها ما يلي :

« إنَّ الإسلام قد ظَهَرَ حين كانت الأرض مليئة بالشعوب والبلاد . والدول والحكومات ، والمدنيات والحضارات ، والبارعين في كل فنٍّ وعلم ، ولم يكن هناك مجال لظهور شعب أو جماعة تتكفَّل بهذه الحاجات نفسها الَّتي تتكفل بها آلاف من الشعوب والبلاد ، والواقع أن هذه الأمة ظهرت في ذلك الحين بدعوة جديدة ، وعقيدة جديدة ، وأغراض ومقاصد جديدة ، وأن المعركة الفاصلة التي وقعت بعد البعثة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلَّم في مكة المكرمة ، ثم في المدينة المنورة ، بين الكفر والإسلام وبين مشركي قريش ومسلميها ، كانت مؤسَّسةً على عقيدةٍ ودعوة خاصة ، وسيرة وأخلاق معيَّنة ، ومسلك خاصٍّ للحياة وأهدافٍ خاصّةٍ محدودةٍ لها ، وقد كان هذان الفريقان المتصارعان يمثّلان عقيدَتين متعارضتَين ، وسيرتين متعارضتين ، ومنهجَين متعارضين ، لقد كان القرشيون يحاربون أنصارَ المدينة ومهاجريها لكونهم حَمَلة عقيدة خاصة ، ودعوة خاصّة ، ومتصفين بخلق وسيرة خاصة ، ودعاة إلى منهج

---

(١) كانت أديبة وشاعرة ، بالإنجليزية وخطيبة بارعة ، اختيرت والية للولاية الشمالية في الهند .

www.abulhasanalinadwi.org

للحياة خاصّة ، وأنهم لما عرضوا على داعية هذا الدين الأول محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إغراءات المال والمادة، والسيادة والقيادة ، والحكومة والسلطة، ردّها في إباء وعظمة ، ثمّ كانت حروب بدر ، وأُحُد ، ومعارك حنين ، وأَوطاس ، وأدركت الجاهلية وأهلها أن المسلمين ليسوا طامعين في مال ولا مادة ، ولا سلطة ولا سيادة ، ولا لذَّة وترف ، إنما هم أصحاب عقيدة ورسالة ، وأن القضية قضية إيمان وأخلاق .

ولكنَّ وضع البلاد الإسلامية والشعوب المسلمة الآن يختلف اختلافاً كلياً ، فإنهم قد آثروا هذه الأهداف الدنية التافهة للحياة ، واختاروا تلك السيرة ، وذلك المنهج الّذي كان قد رَفَضَه رسولُ الله ﷺ في ثقة ، وبامتهان وازدراء ، ولا رفع إليها الصحابة الكرام رضي الله عنهم أبصارهم ، فلو اجتمع اليوم ممثّلو البلاد والشعوب الإسلامية في مؤتمر عالميّ لما رأينا فيهم سمات تميزهم ، وملامح تبرز قسمات وجوههم ، وتفرُّدهم عن غيرهم ، كانوا يعرفون بها ، فلو عاد قتلى بدر وأحد من مشركي قريش وغيرها وسألوا المسلمين ، لقد كانت الحروب بيننا وبينكم على عقيدة وسيرة ونظام ، ولكن كثيراً منكم قد اختار نفس الطريق الذي كنا نساومكم عليه بعروض سخية كبيرة ، ولكنكم كنتم رفضتموها في شمم وإباء ، فكيف بكم اليوم تلهثون في الجري خلفها ، وتتهافتون عليها تهافت الفراش على النور ، فلا أنتم اليوم حملة تلك الدعوة التي جاء بها نبيُّكم ، ولا تمثّلون تلك السير وذلك المنهج الذي قدم نماذجه شهداءُ بدر ، وحنين من سلفكم ، فقولوا لنا : بالله ماذا سيكون جوابكم ، وكيف يقنعهم أكبر ممثّليكم ، وأبرع محاميكم ؟ »[1] .

---

(١) انظر هذه المقال بكامله في « خطابات صريحة إلى الأمراء والرُّؤساء » للعلاَّمة الندوي ، جمع وإعداد المؤلِّف ، ص (١٢١) بعنوان « إلى مندوبي البلاد العربية والإسلامية » ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

تأسيسه لمركز التعليمات الإسلامية :

أَسّس العلامةُ الندوي مركزاً للتعليمات الإسلامية في مدينة (لكهنؤ) عام ١٩٤٣م ، ونظَّم فيه حلقةَ درسٍ في القرآن الكريم كل يوم جمعة ، ودرساً للحديث الشريف كل سبت ، وسار فيها على منهج شيخه ومربِّيه الشيخ أحمد علي اللاَّهوري الدعويِّ والإسلامي الذي كان يؤثره هو للطبقة المثقفة العصرية ، فتهافت الناس على هذه الدروس من الطبقة المثقفة والموظفين الكبار ، وأصحاب الذوق الديني حتى ضاقت قاعةُ المركز على سعتها ، وقد كان من قبول الدروس وتهافت المثقفين عليها أنه إذا بحث وسئل عن شخص أثناء فترة الدرس من أصحاب الذوق الديني أو من كبار الموظفين والمسؤولين والمثقفين المسلِمين في مدينة « لكهنؤ » ؛ كان الجواب هو في حلقة القرآن الكريم للعلاَّمة (أو في حلقة الحديث الشريف) في المركز .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

صلَتُه بكبرى الجماعات والحركات الإسلامية في العالم الإسلامي

كان للعلاَّمة أبي الحسن الندوي صلةٌ قويةٌ بثلاث كبرى الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي ، فكانت هذه الصلةُ بتلك الجماعات والحركات (خاصةً بجماعة الدَّعوة والتبليغ في الهند ، وحركة الإخوان المسلمين في مصر) نقطةَ تحوُّلٍ في حياته ، والتي تأثَّرَ بها تأثُّراً شديداً ـ إلى جانب تأثُّرِه بتلك البيئة الصالحة التي أبصرَت فيها عينُه النور ، ونشأ فيها ، وبملازمة ومجالسة هؤلاء العلماء الربَّانيِّين والشيوخ المُصلحِين الذين درس عليهم وأخذ عنهم ـ يُلاحِظه ذلك القارىءُ المتتبِّعُ في معظم كُتبه ومؤلَّفاته .

لذا أرى من اللزام أن أتحدَّثَ هنا عن صلته بتلك الجماعات ، وعن أسباب إعجابه بها ، وعن مدى تأثيرها فيه أو تأثُّرِه بها ، وكذلك عن المميِّزات والخصائص التي امتازت بها (تلك الجماعاتُ) عن باقي الجماعات والحركات ، مستفيداً في كلِّ ذلك ممَّا كتب عنها العلاَّمة الندوي في سيرته الذاتية أوَّلاً ، ثم من مقالاته ومحاضراته ثانياً ، والتي دبَّجتها يراعتُه وارتجلتها لسانه بالمناسبات ، فأبدأ الحديثَ عن الجماعة الإسلامية لمؤسِّسها الشيخ أبي الأعلى المودودي ـ رحمه الله تعالى ـ والتي كان له أولُ اتصالٍ بها من بين تلك الجماعات التي ستتحدَّث عنها .

www.abulhasanalinadwi.org

عضويته لـ« الجماعة الإسلامية » وانفصاله عنها

قد بدأت علاقاتُ العلامة الندوي مع الشيخ أبي الأعلى المودودي منذ أن قرأ مقالاتِه وكُتبه الفكرية والدعوية ، فقيَّض الله له اللِّقاء به عدة مرات في المجالس العلمية والدينية ، وتوطَّدت العلاقة بينهما حتى اختاره الشيخُ المودوديّ عضواً للجماعة الإسلامية ، ثم مسؤولاً عنها في مدينة لكهنؤ سنة ١٩٤٢م ، ثم انفصل عنها العلاَّمةُ بسبب خلاف في بعض الآراء والأفكار مع الشيخ المودودي ؛ لأن العلاَّمة الندوي لم يكن يركِّزُ على التغيير السياسي ، وإنما يراه أثراً للتغيير الإيماني والخُلُقي ، لذا كان يُنكر على الشيخ المودودي ، وعلى الشهيد الأستاذ سيد قطب تركيزهما على هذا الجانب في فكرهما[1] ، وسَمَّى ذلك ـ في كتاب يتضمَّنُ نقدَ هذا الاتجاه بحرارة ـ « التفسير السياسي للإسلام » ، وخصوصاً ما كتبه الشيخُ المودودي في كتابه « المصطلحات الأربعة في القرآن » ـ ويعني بها مصطلحات : الربّ ، والإله ، والدين ، والعبادة ـ ، وقد تأثَّر الشهيد سيد قطب بكتابات المودودي في هذا المجال .

---

(١) فكلُّ ما يُقالُ هنا : إنَّ للعلاَّمة الندوي تحفُّظاً على عرض بعض المفاهيم ، أو بعض الوسائل والمناهج التي يتَّخذها بعضُ العاملين للإسلام في الوصول إلى الحكم الإسلامي ، أو السعي إلى إقامة الدولة الإسلامية ، التي تمكِّن لدين الله في الأرض كما رأينا في كتابه (التفسير السياسي للإسلام) .
ومن ذلك : التركيزُ على الحكم أو الدولة وكأنَّها هي الهدف الأوحد للدعوة ، والمبالغةُ في تصويرِ هذا الجانب ، وكأنَّهُ الإسلامُ كلّه ، بحيثُ لو أخفقَ الدعاةُ في هذا الأمر ، فكأنَّما أُغلِقَ بابُ الدعوة في وجوههم ، وسُدَّ الطريق عليهم ، فلم يبقَ لهم عِلْمٌ ، ولم يعد لوجودهم من فائدةٍ أو معنى . (انظر : « الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه » للدكتوريوسف القرضاوي ، ص : ١٢٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد غضبَ أتباعُ الشيخ المودودي من كتاب العلاَّمة الندوي ، ورَدُّوا عليه ردوداً قاسيةً في مجلاَّتهم وصحفهم في مقالات سمَّاها بعضهم « التفسير الحقيقي للإسلام » .

في حين رَحَّب الشيخ المودودي بنقد صديقه وزميله القديم في الجماعة الإسلامية (العلاَّمة الندوي) ولم يرَ في هذا النقد حرجاً ولا إثماً . والقادة عادة يتسامحون ما لا يتسامح الأتباع والتلاميذ .

ولسنا في مقام الفصل بين الرجلين الكبيرين في هذا المقام ، ولكننا نريد أن نبيِّنَ اتجاه العلاَّمة الندوي في الإصلاح ، ونظريته في التغيير ، وتركيزه على الجانب النفسي والإيماني قبل كل شيء .

ولعلَّ بقاء العلاَّمة الندوي في الهند بأغلبيتها الوثنية المتحكِّمة ، وفي بيئة إسلامية تعتبر أقلية في بلادها ، وإن كانت كبيرة في ذاتها (٢٥٠) مليوناً ، وعدم قدرة المسلمين على أن يكون لهم دولةٌ تحكم بالإسلام في تلك البلاد ـ كان له تأثيره في نظرة الشيخ إلى الإصلاح والتغيير ، وإن كان هو يقدِّم ذلك علاجاً ومنهاجاً للمسلمين في كلِّ مكان ، ولكنَّ الإنسانَ لا يمكنه أن ينفصلَ عن مكانه وزمانه .

وأودُّ أن أوضِّحَ هنا أن تركيزَ العلاَّمة الندوي على الإيمان باعتباره أساسَ كلِّ تغييرٍ وإصلاحٍ ، إنَّما يعني الإيمانَ بمفهومه الإسلامي الرحب العميق ، فليسَ الإيمانُ في الإسلام مجرَّدَ شعورٍ وجداني ، كما في أديانٍ أخرى ، إنَّما يتمثَّلُ الإيمانُ في كلِّ جوانبِ النفس الإنسانية من العقلِ والوجدانِ والإرادةِ ، أو ما يعبِّرُ عنه بعضهم بالتفكير والانفعال والنزوع[1] .

ولكن لم يصل العلاَّمة الندوي في نقد الشيخ المودودي إلى تلك الحدود التي وصَلَ إليها بعضُ منتقديه ؛ بل لم يزل يعترف بنبوغ الشيخ المودودي العقليِّ ، ويقدِّر كثيراً من آراءه وأفكاره ونظرياته ، ويرى أن كثيراً من مقالاته وكتاباته ورسائله تُنير الشبابَ المثقَّفين والمتعلمين ، وتبصِّرهم بالدين ، كان يحثُّهم على مطالعتها والاستفادة منها ، ويُقدِّر ذلك بذلك المقال الذي كتبه إثر وفاتِه ، ذكر

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته : ص(١٢٥ ـ ١٢٦) بتصرّفٍ وزيادة .

www.abulhasanalinadwi.org

فيه إعجابَه الكبير بشخصيته ، ومدى تأثير كُتبه في المسلمين ، ثم ذكر عن سبب الخلاف الذي وقع بينهما ، وأنا لا أرى بأساً بنقل ذلك المقال هنا ، وهو جديرٌ بالنقل برُمَّته ، يقول فيه ـ رحمه الله ـ :

« إنَّني لا أعرف رجلاً أثَّر في الجِيل الإسلامي الجديد فكرياً وعلمياً مثل تأثير الراحل العظيم ، لا في العمق ، ولا في السَّعة ، وقد كان السيد جمال الدين الأفغاني من أقوى الشخصيات الإسلامية التي نبغتْ في القرن الماضي ، وأكبرها نفوذاً في عقول الشباب المثقَّف وسيطرةً ، بل سحراً عليها وتأثيراً في الفكر والاتجاهات والأساليب الأدبية ، والكتابية والخطابية ، حتى كان صانع جيلٍ ومفتتح عهد ، ولكن الحقَّ يقال : إن سيطرته العقلية والنفسية كانت محدودة في السخط على الأوضاع السياسية القائمة ، والاستعمار الأجنبي ، وفي إثارة الأنفة والنخوة في الشعوب الإسلامية المحكومة في بلادها ، والعمل للجامعة الإسلامية لم ترافقها فكرة منسقة ، ولا دعوة واعية إيجابية تقوم على الدراسات الإسلامية العميقة ، والنقد والتحليل العلميين للحضارة الغربية المادية وقِيَمها وموازينها ، مع شدة حنق هذا النابغة الإسلامي وتلميذه العملاق الشيخ محمد عبده على الأمم الغربية التي قادت الحملة والزحف على العالم الإسلامي ، وفي مقدمتها وعلى رأسها الشعب الإنجليزي ؛ والحكومة البريطانية ، وكانت دعوة سلبية أكثر منها إيجابية .

بخلاف الأستاذ السيد أبي الأعلى المودودي الذي قامت دعوته على أُسسٍ علمية أعمَل وأمتَن من أُسس تقوم عليها دعوات سياسية ، ورُدود فعل للاستعمال الأجنبي ، وكانت كتاباته وبحوثه موجهة إلى معرفة طبيعة هذه الحضارة الغربية وفلسفتها للحياة ، وتحليلها تحليلاً علمياً قلَّما يوجد له نظير في الزمن القريب ، وقد عرض الإسلامَ ، ونظامَ حياته ، وأوضاعَ

www.abulhasanalinadwi.org

حضارته وحكمه ، وصياغته للمجتمع والحياة وقيادته للركب البشري ، والمسيرة الإنسانية في أسلوبٍ علميٍّ رصينٍ ، وفي لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمي ، ويملأ الفراغ الذي كان يوجد في الأدب الإسلامي المعاصر من زمن طويل ، ويقضي حاجةً في نفس الشباب الطموح إلى مجد الإسلام والمسلمين ، وقيام دولَتِهِ ومجتمعاته الشريفة المعتزة بنفسها ودينها ، ورسالتها ومقومات حياتها في الأقطار الإسلامية أولاً وفي العالم بالتالي .

وممَّا يجب أن يسجَّل في مآثره الخالدية : أنه قد كان لكتاباته فضلٌ كبيرٌ في إعادة الثقة إلى نفوس الشباب المثقف الذكي بصلاحية الإسلام لمسايرة العصر الحديث ، بل لقيادته وللتغلب على مشكلاته الطريفة المعتقدة ومعالجتها بل للمنع عن وقوعها ، ومحاربة « مركَّب النقص » في نفوس هؤلاء الشباب فيما يتصل بالعقائد ، والأخلاق ونُظم الحياة الإسلامية . وقد بَعثت كتاباتُه القوية ثم جهودُه المتواصلة الرغبةَ القوية العارمة لقيام حكمٍ إسلاميٍّ ، ونظام إسلامي ومجتمع أفضل في كل بلد إسلامي ، بل في كل بقعة من بقاع الأرض ، وقد ساهم في ذلك وواكبه عددٌ من رجالات العالم الإسلامي ، ونتمنَّى أن يكون قد عرف بذكائه وتجاربه الواسعة أن الطريق إلى ذلك طويلٌ شاقٌّ ، ومحفوف بالمكاره ، وأن الأرض في حاجة إلى تمهيد وتعبيد ، والمجتمع المسلم في حاجة إلى إعداد داخلي ، وشحنة إيمانية خلقية ، ليكون قادراً على حمل هذه الأمانة ، وهذا العبء الثقيل ، ولعلَّه لو امتدت حياته ـ وأراد الله ـ لربَّما كان وفَّق لتوجيه عنايته إلى هذه التربية والإعداد النفسي بطريق أقوى وأكثر وضوحاً وتأثيراً »[1] .

---

(١) من أعلام المسلمين ومشاهيرهم : ص(٣٣٧ ـ ٣٣٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

« لقد كان أساس إعجابي وتأثُّري وصِلتي بالأستاذ المودودي ومنشورات الجماعة ، تلك المقالات الفاضلة النقَّادة التي كَتَبَها الأستاذ في الرَّدِّ على الحضارة الغربية وفلسفتها للحياة ، ووِجْهة النظر المادية المعاصرة ، والّتي قد جاء معظمها في مجموعة مقالاته باسم « تنقيحات » وقد كان في هذا الصدد بيني وبين الأستاذ توافقٌ وانسجامٌ كانسجام صغير مع كبير ، ومؤلّف ناهض مع مؤلف محنَّك ، ولا شأن لي بالتفسير العصري : للدين الّذي يدبِّجه قلمه ، ولا حاجة لي إليه ، التفسيرِ الذي يتجلَّى في كتابات الأستاذ كـ « المصطلحات الأربعة الأساسية في القرآن » و « تفهيمات » و « رسائل ومسائل » ذلك لأن أمري في هذا الباب كان يختلف تماماً عن أمر شابٍّ مثقَّفٍ بالثقافة الإنجليزية يقتبس تصوَّره للدين وفهمه إيّاه كلياً من كتابات الأستاذ ، أو من كتب مفكّر أو مؤلّف آخر ، بدلاً من أن يقتبسه من مصادر الدِّين الأساسية ـ الكتاب والسنَّة ـ والبيئة والتربية الدينية .

ولذلك فقد كنتُ عاجزاً ـ لدراساتي الدينية المباشرة واستعادتي من كُتب العلماء المتقدمين والمتأخرين الّذين كانوا أوسع وأعمق علماً في الكتاب والسنة ، ونجد عندهم اجتهاداً في الفكر والرأي ، وعُمقاً وإحاطة في الدراسة ـ عن أن أعتبر الأستاذ مفكراً إسلامياً فريداً ، يندر نظيرُه عبر القرون ، إنما كنتُ أعتبر ميزته الأساسية وجوهره في ذكائه وألمعيته ، وحدّة ذهنه ، وقدرته الفائقة على الكتابة ، والعرض في أسلوبٍ عصريٍّ مؤثِّرٍ ، ولا أزال أعترف له بذلك »[1] .

« اتصلت الصلاتُ الودية بيني وبينه ـ رغم صغري في السِّن ، وشهرته في العالم ، وتقدُّمه في السن بعشر سنوات

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ١٦٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

وأكثر ـ واستمرت المراسلات ، وتبادل الرأي والفكر ، حتى اختلفت طُرقنا ومناهج فكرنا في سنة ١٩٤٤م اختلافاً يرجع إلى طبيعة تجارب كلٍّ واحد منا ، التجارب الشخصية ، والأحداث التي مرَّ بها، والبيئة التي عاشها، والرجال الذين تأثر بهم، وبفعل التكوين العقلي الوراثي، الذي يمتاز به كلُّ واحد عن الآخر، وكان اختلافاً في أسلوب الفهم والتفهيم لبعض الحقائق والمقاصد الدينية ، والنظرة إلى التاريخ الإسلامي ، وضرورة التربية والتزكية للأفراد ، وهذا الاختلاف في منهج التفكير، والتنوع في الفهم والتفهيم هي المرونة العقلية ، والخصيصة البشرية، التي فطر الله الناس عليها ، والتي يرجع إليها الفضلُ في تقدُّم العقل البشري ، وتلقيح الأفكار ، وتنقيح الأنظار ، وسعة المكتبات العلمية ، ويساعد على الانتقال من الصالح إلى الأصلح ومن النافع إلى الأنفع ، ويشجِّع عليها الإسلام، ويؤيِّده موقف كبار علمائه وممثِّليه ، بعضهم مع بعض ، في عصوره الذهبية ، والقرون المشهود لها بالخير ، وكان الفقيد ـ رحمه الله ـ من الذين فتحوا الطريق إلى الحرية في النقد والمناقشة العلمية للآراء ، ومن السائرين على هذا الدرب في كتاباته وبحوثه في تاريخ الإصلاح والتجديد، وفي القضايا الشرعية والفقهية.

وقد تجلَّت هذه الروح المرنة السامية في رسالته الأخيرة التي تلقيتُها منه في يناير سنة ١٩٧٩م ، حين وصله كتابي المشهور الذي جاءت فيه ملاحظاتي عن كتابه « المصطلحات الأربعة في القرآن » ، وعن فكرته الأساسية التي تقوم عليها دعوتُه في فهم الدين وتفهيمه ، والذي ظهر أولاً في « أردو » ، ثم ظهرت ترجمتُه بالعربية باسم « التفسر السياسي للإسلام » ، وقد رحَّب في هذه الرسالة بهذه الملاحظات ، وشكر المؤلِّف عليها ، ودعاه إلى مراجعة سائر كتاباته ومؤلَّفاته وإبداء الملاحظات عنها ، وقال :

www.abulhasanalinadwi.org

« إنني لا أستطيع أن أقول إني سأوافق عليها تماماً ، ولكني سأدرسها وأتأمَّل فيها » .

وقال : « إنني لا أعتبر نفسي فوق مستوى النقد واختلاف وجهات النظر » .

ويجب أن يكون هذا شأن رُوَّاد الحقِّ ، ومنتجعي الخير ، والعاملين لمجد الإسلام وحده ، والطالبين لرضا الله وحده .

وممَّا لا شكَّ فيه : أن الله سبحانه وتعالى قد أكرم الفقيد بمواهب فكرية وعلمية وكتابية لا تتفق إلا للأفذاذ بعد الأفذاذ ، وللنوابغ بعد النوابغ ، في عصور مختلفة ـ وكلٌّ يؤخذ من قوله ، ويُرَدُّ إلاَّ النبي المعصوم ﷺ ـ .

وكان من أهمِّ مزايا الفقيد : أنه عرف قيمةَ هذه المواهب وقدرها في العهد المبكِّر ومنذ أمسك القلم ، وسمع صدى صريره في الهند ، وكان عهد القلق والاضطراب في المجتمع الإسلامي ، وكان المسلمون ـ في شبه القارة الهندية ـ في بلبلة فكرية ، وكانوا يشعرون بطموح غامض إلى شيء أقرب إلى نفسيتهم ، وخلفياتهم ، وقلق لا يقدرون على تفسيره ، فجاءت كتاباته تُحاوِل ملأَ هذا الفراغ ، ولذلك استرعى انتباه كثير من الواعين والناشدين للقوة والعزة للإسلام ، وملك عليهم إعجابهم ، وكانوا نواة الجماعة الإسلامية في الهند ، والعمود الفقري في باكستان ، ثم مَرَّت الجماعة بتطوُّراتٍ وأحداث هي موضوع المؤرِّخ للجماعة ، ومؤلِّف سيرة القائد الراحل الأستاذ المودودي[1] .

فكانت علاقة العلامة الندوي ظلَّت طيبةً بالشيخ المودودي كصديقين كريمين وقديمين رغم ابتعاد العلامة عن الجماعة الإسلامية ، ولم يكن يفرِّق بينهما إلاَّ اختلافٌ في وجهات النظر في بعض القضايا الفرعية ، وفي منهج العمل وأسلوبه كما ذكر العلاَّمة نفسه في هذا المقال .

---

(١) من أعلام المسلمين ومشاهيرهم : ص(٣٤٠ ـ ٣٤١) .

www.abulhasanalinadwi.org

صلته بـ« جماعة الدّعوة والتبليغ »

قبل أن أتحدَّث عن صلة العلامة الندوي بجماعة الدعوة والتبليغ ، أرى جديراً بأن أتحدَّث هنا بالاختصار عن هذه الجماعة ، وسبب تأسيسها للشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، ثم عن أهدافها وأصولها .

جماعة الدعوة والتبليغ :

الزمنُ الّذي بدأ فيه الشيخُ محمد إلياس الكاندهلوي دعوتَه إلى الله كان زمن نشاط حركة الرِّدَّة ، والعودة إلى دين الآباء الوثني البرهمي ، وكان أكبر مركز نشاط هذه الدعوة المناطق التي يسكنها المسلمون الذين عنَتهُم : أنَّهم أسلموا أيام الحكومات الإسلامية ، وإنهم ينتمون إلى أُسَرٍ وبيوتات هندوكية قديمة ، وقد آن الأوان ـ في الحكومة الإنجليزية التي تمنح لكل فرد وجماعة حرية الاعتناق لأيِّ ديانة تُريدها ، والعودة إلى ماضيها السحيق ، وتشجيع كلَّ حركة تضعف المسلمين الذين انتزعت منهم الحكم ، والبلاد التي أورثهم الله إيَّاها ، ولا تأمنهم في المستقبل ـ أن يرجعوا إلى دينهم القديم ، ونشطت هذه الدعوة في المناطق التي يمعن سكانها المسلمون في الجهالة ، والتمسك بالحضارة الهندوكية ، ومشاركة مواطنيهم في كثير من العقائد والعادات والأعراف ، وقد ارتدَّ فعلاً كثيرٌ من القبائل المُسْلِمة المنحدرة من الأصول الهندوكية عن الإسلام ، وعادوا إلى دين آبائهم على زعمهم .

أفزع ذلك الشيخَ محمد إلياس الذي رزقه الله من الحمية الدينية والغيرة على الإسلام النصيبَ الأوفر ، وطيَّر نومَه ، وكدَّر صفو حياته ، وشغل باله ، فأقبل أولاً على الجولات التي كان هدفها الدعوة والوعظ والإرشاد ، ثم على إنشاء الكتاتيب وبثِّها في القرى والأرياف ، وعيَّن فيها مدرِّسِين وأساتذة ، كان ينفق عليهم من جيبه .

وقد لاحظ الشيخُ محمد إلياس بفراسته الإيمانية ، وإخلاصه للدعوة وتجاربه العلمية : أن الدعوة إلى الله ، والقيام بحركة إسلامية ، ينتقل سريعاً إلى أمور سلبية ،

www.abulhasanalinadwi.org

ونقد لاذع ، ويتحوَّل ذلك سريعاً إلى إثارة الخلافات ، وإيجاد المشكلات ، وإهانة كثير من المسلمين الّذين لا يكونون على مستوى هذا الداعي ـ المتخيَّل عنده ـ فيُثير ذلك فِتَناً كثيرة ، وقد تنتقل هذه الدعوة الإيجابية البنَّاءة ، السليمة الهادئة ، المجرَّدة عن الأغراض الدنيوية ، ومطامع الملك والسلطان إلى معسكرات خلافية ، أو منظَّمات سياسية ، أو مخطَّطات إرهابية ، فأضاف إلى أُسس هذه الدعوة حمايتين حكيمتين دقيقتين لهذه الدعوة البريئة ، الخالصة المخلصة لله ، وهما :

الأول : إكرامُ المسلم ـ على عِلاَّته ، ومواضع ضعفه ، ومواضع نقده ـ نظراً إلى الركيزة الإيمانية المودعة في قلبه ، وإيمانه بالله ورسوله ، وعدم تمرده عليها .

والثاني : عدمُ الاشتغال بما ليس بسبيل الداعي ، وما هو في عداد الأمور الجانبية أو الهامشية في حياة المسلم ، وترك ما لا يعنيه .

وقد اهتدى أخيراً إلى أنَّ هذه الدعوة لا تقوم على قدميها ، ولا تنتشر في العالم ، ولا تحقِّق المطلوب إلاّ إذا كان لها رجال متطوِّعون محتسبون ، لا يُريدون عليها جزاءً ولا شكوراً ، ولا يعتمدون فيها على الإعانات والاكتتابات ، ومساعدة الحكومات ، وأن تعيش هذه الدعوة بعيداً عن المجال السياسي ، والشعارات الاستفزازية ، واللافتات الجذَّابة ، وتعتمد على الإخلاص ، وابتغاء رضوان الله ، والامتثال لأوامر الله ، والتقرُّب بكل ذلك إلى الله ، كما كان الشأن في العصر الإسلامي الأول .

وفي ضوء ما شرح الله له صدره ، وما اهتدى إليه عن طريق دراسته العميقة للكتاب والسنَّة والسِّيرة النبوية ، وأخبار الصحابة رضي الله عنهم ، وعن طريق تجربته العلمية وممارسته للدعوة ـ غير معتمدٍ في ذلك على الخطابة والكتابة ، والذكاء المحض ـ فتح الله له الطريقَ إلى دعوة الناس إلى الخروج في سبيل هذه الدعوة ، والاكتتاب بالوقت والنفس ، وتقديم جزءٍ من الحياة ، والتفرُّغ عن الشواغل بدل الاكتتاب بالمال ، وبدأ دعوتَه بمنطقة « مَيْوَاتْ » (الواقعة في جنوب « دلهي ») التي كانت من أحطِّ المناطق الهندية خلقاً وثقافة وحظّاً ، وأبعدها عن الدين ، وأعظمها جهالةً وضلالةً .

ولم تمضِ شهورٌ على بدء هذه الدعوة في هذه المنطقة حتى انتشرتْ بين أهلها ، وتأثروا بها في وقت قصير ، وخرجوا شهوراً في سبيل الله ، وقطعوا مسافاتٍ بعيدةٍ مما بين شرق الهند وغربها ، وشمالها وجنوبها ، ركباناً ومشاةً ، فتغيَّرت أخلاقُهم ، وتحسَّنت أحوالهم ، واشتعلت فيهم العواطفُ الدينية ، وانتشرت الدعوة في الهند

www.abulhasanalinadwi.org

وباكستان من غير نفقات باهظة ، ولا مساعدات مالية ، أو نُظُم إدارية ، بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الإسلام ، وقد انتشر دعاتها ورجالها اليوم في أنحاء العالم ، وهي في نشاط مستمرٍّ في الأقطار الإسلامية .

إعجاب العلاَّمة الندوي بجماعة الدعوة :

فلمَّا رأى العلامة الندوي نشاطاتِ الشيخ إلياس المثيرة ، وجهوده الحثيثة ومساعيه الحميدة في سِلْك الدعوة في منطقة « ميوات » ، غمرته كلها بالسُّرور الخالد ، والغبطة الكبيرة ، بَدَا له أن ما شاهده في هذه المنطقة بأعينه لم يكن مشهداً من مشاهد القرن العشرين ، بل كان مشهداً يخيِّل إليه كأنه من التاريخ الإسلامي الأول ، من إصلاح وتجديد، وتغير جذريٍّ في الأحوال والسلوك والأخلاق، فتاقت نفسُه إلى اللقاء بالشيخ إلياس ، والانخراط معه في سلك الدعوة ، فأتاح الله له فرصةَ اللقاء بالشيخ ، وقَابَلَه الشيخُ بحفاوة وحب وعطف ، كأن الشيخ منه على ميعاد ، ولا سيَّما عندما علم الشيخُ بأنه ينتمي نسباً إلى الإمام الشهيد السيد أحمد بن عرفان ، فازدادتْ حفاوته وحبُّه وتجاوبه ، وقد كان أول ما أثَّر في العلامة وأُعجب به ، هو عطف الشيخ البالغ وحبُّه المتدفق ، وعاطفته الجياشة بحب وحفاوة كانت تزداد كل لحظة ، وصرَّح الشيخ مرة حسب تعبير العلامة ـ بقوله: (لا نزال إلى يومنا هذا في ظلِّ تجديد الإمام الشهيد)[1] .

فكان لقاؤه هذا بالشيخ الكاندهلوي نقطة تحوّلٍ في حياته ، فاعتزم العلامة الندوي أن ينحو منحاه وينهج منهجه في الدعوة ! وقد كان منه بمكان قريب ، فالمبادىء هي المبادىء والسرائر هي السرائر ، ولم يتركه الشيخ أيضاً حتى صمَّمَ على أن يدعو بلسانه كما يدعو بقلمه ، ووفَّقه الله في إرشاده اللفظي ؛ إذ كان يملك أسلحته الماضية ، بل كان يملك أكثر مما-يملك أستاذه ؛ لأن الشيخ الكاندهلوي خطيبُ منبر ، يُحدِّث العامة بما يجذبهم ، وليس له سبحات العلامة الندوي في مطاوي الأسفار ، وحواشي المجلدات ، فإذا دُهشت الجموع إعجاباً به خطيباً داعية .

خروج العلامة الندوي في سبيل الله :

رجع العلاَّمة الندوي من (دلهي) إلى (لكهنؤ) بعد اللِّقاء بالشيخ محمد إلياس

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ١٨٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

متأثِّراً شديد التأثر ، ومُعجباً غاية الإعجاب به وبدعوته ، وفي نفسه قبس من روح شيخه محمد إلياس ، وبدأ عملَ الدعوة مع أولئك الطلاب النجباء الّذين كانوا متتلمِذين عليه في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، ولم تكن للعلاَّمة علاقة بأهل المدينة إلى ذلك الوقت، فكانت ثروتُه كلها هؤلاء الطلاب، فبدأ يأخذهم معه، ويذهب بهم إلى الأحياء والحارات في نواحي ـ لكهنؤ ـ والقرى النائية والمُدن الشاسعة في الهند ، يعمل في الطبقة المتخلِّفة الفقراء ، وسكَّان الأحياء البسطاء ، ويتَّصل بعامة الناس وخاصتهم ويدعو إلى المحافظة على الصلوات ويُثير فيهم الشعورَ الديني ويجدِّد فيهم فكرَ الإسلام وينفخ فيهم روحه ، ويدعوهم إلى هَدْي الله وشرعه ويحثُّهم على العمل بأحكامه .

وكانت تستغرق تلك الرحلاتُ والجولات أحياناً ثلاثة أيام في نواحي (لكهنؤ) وأريافها ، وأحياناً أخرى كانت تستغرق أربعين يوماً ، أو أكثر في مختلف مُدن الهند .

وبسبب انصرافه إلى عمل الدعوة في رحلاته تلك لا سيَّما الطويلة منها ، قطع علاقته بالتدريس في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، وتخلّى عن تلك الوظيفة ، وكرّس نفسه كلياً لعمل الدعوة إلى الله ونشر دينه ، وبعد انقطاعه عن سلك التدريس ، جاءته طلبات ودعوات من جامعات الهند الكبرى للتدريس فيها برواتب ضخمة ، لكنّه ترفَّع عنها ، ولم يزل مشغولاً في عمل الدعوة .

وخلال هذه الجولات الدعوية المتواضعة كان يكتب العلامةُ الندوي تقارير مختصرة عنها للشيخ محمد إلياس ، وكان الشيخ يردُّ عليها ، بالذي يُثير فيه الحماس والتشجيع على استمرار العمل .

لكن . . كان أَولى وأَحرى برجل مثل العلامة الندوي أن يرحل ، لا إلى قُرى الهند وربوعها المترامية ، بل إلى العالم الإسلامي في حواضره الظاهرة ، إن العالم الإسلامي في حاجة إلى رحَّالة مثله يُقابِل علماءه ويُناقِش مفكِّريه ، ويجتمع مع شبابه ، ويدرك أغوار هذه النفوس الجائرة بين أمواج الفكر المضطرب شرقاً وغرباً ، وتلك رسالة صعبة ، هي رسالة جمال الدين الأفغاني من قبل ، ولكنَّ جمال الدين الأفغاني كان نوراً ونار اً ، والعلامة الندوي كان نوراً فحسب ؛ إذ لا يميل إلى إشعال الثورات ، ولكنّه يدعو إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة ، ويُجادل بالتي هي أحسن كما أشار القرآن الكريم .

فقد رحل العلامةُ إلى الشرق والغرب مراتٍ داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة

www.abulhasanalinadwi.org

الحسنة ، عامِلاً على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المسموعة والمقروءة وبالعمل الإيجابي البنَّاء في كل مجال ، جوَّاباً للآفاق في سبيل الله ، وكانت لرحلاته تأثيرٌ عظيمٌ ؛ لأن اسمه كان يسبق شخصَه ، وكان أحبَّاءه وخُصومه في الرأي يحرصون على لقائه ؛ فالأحياء ليطفئوا غليل الشوق برؤيته ، ويمتعوا أنفسهم بكلماته ، والخُصوم يُريدون أن يسمعوا الجديدَ مما يُبْدِعُهُ كلَّ يومٍ دون إمهال ، وعسى أن يجدوا مجالاً للردِّ ، وموضعاً للحوار[1] .

---

(١) استفاد المؤلِّف في هذا الموضوع من هذه الكتب : « شخصيات وكتب » و « الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله » للعلامة الندوي ، و « النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين » للدكتور البيومي ، الجزء الثالث .

www.abulhasanalinadwi.org

اتصاله بحركة « الإخوان المسلمين »

بعد الحديث عن جماعة الدعوة والتبليغ ، والجماعة الإسلامية اللتين اتصل بهما العلاَّمةُ الندوي اتصالاً قوياً في شبابه ـ وإن لم تَبْقَ صلتُه في آخر حياته بالجماعة الإسلامية بسبب بعض الاختلافات التي تحدَّث عنها هو نفسُه والتي قد ذكرناها ـ لا يفوتني أن أتحدَّث هنا عن صلتِه بحركة الإخوان المسلمين (في مصر) ، والتي تأثَّر بها تأثراً شديداً ، وكان أثناء تدريسه في « ندوة العلماء » قرأ شيئاً كثيراً من أدب الإخوان ، وتتبَّعَ أخبار هذه الحركة ونشاطاتها الدعوية والإصلاحية في كنانة الإسلام (مصر) ، ومدى قوة تأثيرها في الطبقة المثقَّفة ، والشباب المسلمين ، من خلال بعض المجلاَّت المصرية التي كانت تأتي دار العلوم (ندوة العلماء) ، فأُعجِبَ بهذه الحركة ومؤسِّسها الإمام الشهيد حسن البنا أيُّما الإعجاب ، وهو بعيدٌ عن مقرِّ هذه الحركة ومركز نشاطاتها بعيداً كلَّ البُعد بُعداً جغرافياً وبُعداً معنوياً ، ولكنَّه كان يعتبر نفسه عضواً من أعضاء هذه الحركة ، وفرداً من أفراد أسرتها ، فتجلَّى تأثير هذه الحركة في بعض المقالات والكُتب التي كتبها بين آونة وأخرى .

ثم يسَّرَ الله له السَّفَرَ إلى مصر عام ١٩٥١م ، ولكن لم يقدر له اللقاء بالإمام الشهيد ، وقد استأثرت به رحمة الله عليه عام ١٩٤٩ ، إلاَّ أنه اجتمع ببعض تلامذته الكبار ، وبثَّ إليهم آمالَه وآلامه ، ونصح لهم بما ينبغي أن لا يغفلوا عنه ، وقد وَجَد العلاَّمةُ الندوي الإمامَ الشهيد قريباً من مشربه الذي يجمع بين السلفية والصوفية ، وقد تجلَّى ذلك فيما كتبه عن الإمام الشهيد ، حين قدَّم مقدمةً ضافيةً لكتابه الشهير « مذكِّرات الدعوة والدعاة » [1] .

وقد كتب العلاَّمةُ الندوي عن هذه الرحلةِ شيئاً كثيراً في سيرته الذاتية ، سجَّل فيها ما رأى في هذه الحركة مِنْ مميزات وخصائص تمتاز بها عن باقي الحركات ، وتجدُرُ هذه الرحلة بالنقل هنا مَعَ الاختصار ، فيكتب العلاَّمةُ :

« لمَّا سافرتُ إلى مصر كانت عندي رغبةٌ شديدةٌ في الاطّلاع على « حركة الإخوان

---

(١) وقد ألحقنا هذه المقدِّمةَ القيمة بمجموعة مقدِّمات العلاَّمة الندوي ، والتي ستصدر من دار ابن كثير بدمشق ، بعنوان « مقدِّمات الإمام أبي الحسن الندوي » .

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين » ودراستها ، وأن أجمع المعلومات المباشرة عنها ، وأقابل أصحابَ الإمام حسن البنَّا ، ورفقته الشباب الذين ربَّاهم تربيةً إخوانيةً ، وأتعرَّف على أصول هذه الدعوة ومبادئها وأسباب نجاحها وانتشارها ، وقد كان الإمامُ قد استشهد عام ١٩٤٩م ، ولكن كان جميع أصحاب الشيخ ورفقته والعاملين معه وتلامذته وأصدقاؤه موجودين إذ ذاك لحُسْن حظّي ، وكان كتابي « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » ـ الذي كان قد طُبِعَ في مصر قبل رحلتي بشهور ـ قرىء في وسط الإخوان وحلقاتهم بشوقٍ واهتمامٍ ، ووضعه الإخوانُ لسَعَة صدورهم وعَدَم تعصُّبهم ـ الذي امتازوا به من بين المنظمات الإسلامية ـ في ضمن مقرَّراتهم ومنهجهم الدعوي الخاص ، فكان هذا الكتابُ وسيلةَ تعريفٍ بي ، ثم كوني مسلماً هندياً وعلاقتي بمؤسَّسةٍ تعليميةٍ معروفةٍ[1] كان سبباً كافياً لجذب انتباه الإخوان ـ الذين كانوا دعاة إلى وحدة العالم الإسلامي والتعارف والتضامن بين أفراده . أمَّا شخصية الإمام حسن البنَّا ، والمعلومات الذاتية والتاريخية عنها ، فقد كان أوثقَ مصدر وأولاه بالأخذ والاعتماد شخصيةُ والده الموقَّر الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ، الذي أفادني بجميع المعلومات الضرورية حتى الجزئية عن ولده الذي هو مفخرته وذُخْرُه في الآخرة ؛ إن شاء الله[2] .

وعدا ذلك كان زميلُ الإمام في الدرس ومشاركه في العمل ومربّي الإخوان الأستاذ بهي الخَوْلي (مؤلِّف « تذكرة الدعاة ») مِن خاصة أصدقائي وأحبابي ، فقد حكى لي عن الإمام البنا تفاصيل من مشاهداته وانطباعاته ومعلوماته كصديقٍ له وزميلٍ ومعاصرٍ له مشاهدٍ ، كما كانت لي لقاءات ـ سوى هذين الشيخين ـ بعدد من أولئك الشباب الذين كانوا موضعَ ثقة الإمام وبمثابة أمين سرّه وعضده الأيمن ، وحصلتُ منهم على معلومات صحيحة معتبرة عن حياة الإمام وجوانب شخصيته المتنوعة ، وشعرت بعد الاجتماع بهؤلاء ومقابلتهم أنني لم أحرم ـ كُلّياً ـ زيارة الإمام .

إنَّ ما سمعتُه من هؤلاء ، وما شاهدتُه من أثر الشيخ أيقنتُ معه بأنَّ شخصيته كانت من الشخصيات التاريخية غير العادية التي يخلقها الله تعالى لقيادة حركةٍ، أو القيام بدعوةٍ، أو إحداث ثورةٍ إسلاميةٍ في عهدٍ من عهود التاريخ ، ويهبهم للقيادة والإرشاد صلاحيات متنوعة فائقة ، وعقلاً كبيراً واسعاً ، وقلباً ولوعاً فائضاً بالحب والحنان ،

---

(١) أي دار العلوم ـ ندوة العلماء .

(٢) انظر « مذكرات سائح في الشرق العربي » ، ص(٦٧ ـ ٦٧٠) ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

ولساناً فصيحاً بليغاً ، وأخلاقاً طيبة كريمة ، وشخصية حبيبة أثيرة . لقد كانت هذه هي العناصرُ التكوينية في شخصية حسن البنَّا .

وقد كانت حركة الإخوان ـ لسُوء حظِّي ـ عندما كنتُ في مصر مفروضاً عليها الحظر ، لا يسمح باجتماعاتهم وندواتهم ، ولكن للثقة التي وضعها أصحابُها والمسؤولون عنها فيّ تشرّفتُ بالحضور في مجالسهم ونواديهم الخاصة ، ووجدتُ فرصةَ الاستماع إلى خواطرهم وآرائهم ، وعرض آرائي وأفكاري عليهم ، وقد تمتعت بفرصة طيبة لتقديم آرائي واقتراحاتي بصورة مرتَّبة منسقة لمكتب الإرشاد للإخوان ، حضره عقول الإخوان ، وقلوبهم ، وشخصياتهم الرئيسية ، وذلك بعنوان « أريد أن أتحدَّث إلى الإخوان »[1] ، يقدِّر مدى استجابتهم لها ، وإشادتهم ، وتنويههم بها : أنَّهم نشروها في صورة رسالةٍ مستقلةٍ ، وصدرَتْ لها إلى حين لم يفرض الحظر على حركة الإخوان مرة ثانية ثلاث طبعات ، والواقع أنني لم أجرِّب مثل هذه السماحة ورحابة الصدر وسعة الأفق والترحيب بالنقد ، من أي جماعةٍ دينيةٍ أو سياسية أخرى .

وقد خرجتُ في تلك الفترة مع الشيخ محمَّد الغزالي ـ الذي هو أكبر كاتبٍ وباحثٍ إخوانيٍّ ، وأوثق ترجمانٍ للجماعة ـ إلى كثير من قرى مصر وأريافها مراراً وتكراراً ، وقد رأيتُ في هذه الجولات مشاهد رائعة من حماس الإخوان الديني وضيافتهم الكريمة وحفاوتهم البالغة ، وإسلاميتهم وحُبِّهم وإخلاصهم وعدم تعصبهم ورحابة صدورهم لا أنساها أبداً ، وأمكن لي أن أقيس بذلك تربية الإمام البنَّا وتأثيره وصنعه للرجال وإحداث ثورة في السيرة والأخلاق ، وعلمت كيف أن هذه الشعلة الجوالة ألهبت مئاتٍ من القلوب بالحرارة الإيمانية ، وأن الجوانب التي تأثّرتُ بها بعد دراسة هذه الحركة ومقابلة من ينتمون إليها ويعملون فيها ومشاهدتهم عن كثب ، هي كالتالي :

١ ـ إنَّ هذه الحركة أحدثَتْ في مجتمعٍ وشعبٍ تأثَّرَ بالحضارة الغربية والمدنية الغربية وعِلاّتها وأدوائها تأثُّراً كبيراً ، وتأثَّرَ بالحكم التركي والمملكة الوراثية ، وحوَّلت إلى طبقة من « المترفين » قوَّة عملية جبَّارة ، وعاطفة قوية للتضحية والجهاد ، وبساطة وتقشفاً في المعيشة ، بحيث لا يوجد لها نظيرٌ في هذا العصر ، وفي تعبير أحد قادتها وموجِّهيها الشيخ بهي الخَوْلي : (إنها نفخت في الشعب الرخو الرقيق حياة جديدة ، وقوة جديدة) وينبغي للاطلاع على هذه الرُّوح المعنوية القوية ، وعاطفة العمل

---

(١) انظر بعضَ مقتطفات هذه الرسالة في صفحات (٢٣٠ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

والتضحية والاستماتة فيهم وجراءتهم وعُلُوّ هِمَّتهم دراسة كتاب « الإخوان المسلمين في حرب فلسطين » .

٢ ـ والشيء الثاني الذي أثَّر فيّ ، هو حُبّ الإخوان وحفاوتهم البالغة وحرارتهم والصلات القوية المستحكمة بينهم ، وقلّ ما شاهدتُ مثل هذه الصِّلات الأخوية الوديّة والشعور بالأخوة الصادقة والزمالة الطيّبة بين أفراد جماعة في الجماعات والحركات والدعوات الأخرى . إنَّ حركة الإخوان أنشأت أخوَّةً عالميةً يعتقد فيها كل فرد من أفرادها بعضهم بعضاً كأخيه الشقيق .

٣ ـ والجانب الثالث الذي تأثّرتُ به كثيراً هو أن هذه الحركة متصلة بالحياة وقضاياها ومشاكلها اتصالاً عملياً قريباً ، فهي لا تنأى بنفسها عن قضايا الحياة ، بل تؤثر فيها ، وتحاول حلَّها وعلاجها ، فلها صلة قائمة بالعامة والحياة ، ولها دخل ومواقف في حياة الجماهير ، فقد قامت بإصلاحهم وإزالة فسادهم ، وحاولتْ في كل خطوة من خطواتها علاج مشاكلهم ومساعدتهم ، وأرى أن لذلك دخلاً كبيراً في تأثيرها ونفوذها وقبولها في الناس .

٤ ـ والجانب المضيء الرابع الذي تمتاز به هذه الحركة : أنها تحاشت الخلافات الدينية والعلمية والمذهبية في عملها ، ويمكن أن يعتبر ذلك في جوانب ضعفها ، ولكن لو نظرنا إلى انحطاط العالم الإسلامي الديني والخلقي ، والغزو الأجنبي الثقافي ، وغزو الإلحاد والإباحية ، والفوضى العقلية في المسلمين ، لكان هذا من حسن حظِّ الدعوة الإسلامية أن تصرف كل جهودها وأوقاتها وقوتها وصلاحيتها في العمل الإيجابي البناء ، ونشر الدعوة الأساسية ، والقيام بأساسيات الدين .

٥ ـ وإنَّ أنجح الجوانب وأضوأها في حركة الإخوان : أنها وقفت ـ بقوة ـ في طريق تيّار الإباحيّة واللادينيّة في مصر ـ ويتبعها البلدان العربية الأخرى ـ وأثرت على نزعة الاستهزاء بالدين ، والاستخفاف به ، والردّة العقلية والثقافية ، والثورة على العقائد والتعاليم الدينية التي كانت تسود وتطغى . . . ويعترف أعداء الإخوان والمخالفون لهم أيضاً أنَّ حركة الإخوان هي التي أضعفت هذه الجبهة وقاومتها ، وأدخلت في قلوب أهلها الذعرَ والخوف . . . »[1] .

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

وبعد تبيينه مميِّزات وخصائص « حركة الإخوان » يذكر العلاَّمةُ الندوي سببَ عدمِ نجاحها المتوقّع في مهمَّتها ببصيرة مؤرِّخٍ حصيفٍ ، فيقول :

« والواقع أنَّ الإخوان لو لم يُشارِكوا ـ لفترةٍ قليلةٍ أخرى ـ في السياسة العملية ، أو لو لم يتورَّطوا في تلك السياسة العملية ، واشتغلوا بعملهم الدعوي والإصلاحي بكل ما أوتوا من قوَّةٍ وصلاحيةٍ ، لظهرت هناك ثورةٌ إسلاميةٌ في البلدان العربية ونشأت حياةٌ جديدةٌ ، وقد علمتُ من عددٍ من المصادر الصحيحة التي يُعْتَمَد عليها : أن الإمام حسن البنَّا كان يتأسَّف في آخر أيام من حياته ويتألَّم من أنه اضطُرَّ للدخول في المجال السياسي قبل أوانه ، وأحاط به الطريق الشائك ، وأنه كان يتمنَّى كثيراً إلى أن يعود ـ مرَّةً ثانيةً ـ إلى العمل الدعوي التربوي الخالص ، ويجد فرصةً كافيةً لإعداد الجماعة ، وتربية المسلمين حتى يستطيعوا القيام بكل مسؤولية تناط بهم ، ويمُرُّ بكل مِحَنٍ يصابون بها ، وبلاءٍ يختبرون به بسلامٍ آمنين »[1] .

وهذه نصيحةٌ قيمةٌ ، ونظرةٌ فِراسيةٌ للعلاَّمة الندوي ، وكان يؤكِّد عليها دائماً لأبناء الصحوة الإسلامية ، وهي تحتاج إلى عقول تفهم مراميها ومقصدها البعيد ؛ لأن أعظم ما يُخشى على الصحوة ـ كما قال الداعية الكبير الشيخ يوسف القرضاوي ـ الغُلُوُّ والتشديد في غير موضعه ، والتمسُّكُ بالقشور وترك اللُّباب ، والاشتغال الزائد بالجزئيات والخلافات ، وسوء الظنِّ بالمسلمين إلى حدِّ التأثيم والتضليل ، بل التكفير » كما نلاحظ ونشاهد ذلك اليومَ في كثيرٍ من الجماعات والحركات والمنظَّمات الإسلامية في العالم الإسلامي ، ولم يقصد العلاَّمةُ الندوي بملاحظته ـ في عدم نجاح حركة الإخوان المتوقع في مهمَّتها ـ نفيَ أهمية المجال السياسي للدعوة ، وإنَّما يقصد الحكمةَ في خوض هذا المجال الواسع ، والاطمئنان أولاً إلى رسوخ الدعوة والعقيدة في قلوب الأفراد ، وإنتاج الرجال الأكفَّاء الذين يتولَّون التربيةَ والدعوة عن جدارةٍ وفهمٍ صحيحٍ .

نصيحة للإخوان :

وأذكر هنا بعضَ مقتطفات رسالة العلاَّمة الندوي التي وجَّهها إلى الإخوان ممَّا جاء فيها عن النصائح النابضة بالحيوية والحرارة ، والإخلاص ، يقول فيها :

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ٢٣٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

« ليسَ خَطْبُ الدعوة الدينية والتجديد الإسلامي بهيّنٍ أيها الإخوان الكرام : فليست رسالتها ومهمتها قلبَ نظامٍ فقط ، أو تغييرَ وضعٍ سياسي بوضع سياسي آخر ، ونظام اقتصادي بنظام آخر ، ولا نشرَ الثقافة والعلم ، ومكافحة الأميَّة والجهل ، أو محاربة البطالة والتعطّل ، أو معالجة عيوب اجتماعية أو خلقية ، إلى غير ذلك مما يقوم له الدعاة والمصلحون في أوروبة وفي الشرق ، وإنّما هي دعوةُ الإسلام ، والتي تشمل العقيدة والأخلاق ، والأعمال والسياسة ، والعبادة والسلوك الفردي والجماعي ، وتتناول العقل والقلب ، والرُّوح والجسم ، وتعتمدُ على تغيّر عميقٍ في القلب والنفسية ، والعقيدة والعقلية ، وتنبعُ من القلب قبل أن تنبعَ من قلمٍ أو صحيفة كتابٍ أو منصّةِ خطاب ، تنفَّذُ على جسم الداعي وحياته قبل أن يطالِبَ بتنفيذها على المجتمع كلّه .

هذه الدعوةُ كانت جديرةً في الحقيقة بالأنبياء ومواهبهم ، وقُوَاهم ورسالتهم ، وإيمانهم وجهادهم ، وثباتهم وفقههم ، وحكمتهم وإخلاصهم .

كذلك ، وهي دعوة كل عصرٍ ومصرٍ ، وحاجة الإنسانية كلّها ، فلا بُدَّ أن تجدّدَ في كلِّ زمانٍ وفي كلِّ محيطٍ ، وتكونَ دعوتهم مطابقةً لسيرتهم ، مقتبسَةً من مشكاتهم ، فلنرجع إلى هذا المصدر ، ولندرسه دراسةً عميقة واسعة » .

إلى أن يقول :

« امتازت دعوةُ الأنبياء وجهودهم بتجرُّدها من التفكير في المنافع المادية ، والثمرات العاجلة ، فكانوا لا يبتغون بدعوتهم وجهادهم إلاّ وجه الله ، وامتثال أوامره ، وتأديةَ رسالته ، تجرَّدت عقولُهم وأفكارُهم من العمل للدنيا ، ونيل الجاه ، وكسب القوَّة لأسرتهم أو أتباعهم ، والحصول على الحكومة ، حتى لم يخطر ذلك ببال أصحابهم وأتباعهم ، وكانت هذه الحكومة التي قامت لهم في وقتها ، والقوَّة التي حصلت لهم في دورها ، لم تكن إلاّ جائزةً من الله ، ووسيلةً للوصول إلى أهداف الدين ، وتنفيذ أحكامه ، وتغيير المجتمع ، وتوجيه الحياة ، كما قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج : ٤١] .

ولم تكن هذه الحكومة قطُّ غايةً من غاياتهم ، أو هدفاً من أهدافهم ، أو حديثاً من أحاديثهم ، أو حلماً من أحلامهم ، إنَّما كانت نتيجةً طبيعيةً للدعوة والجهاد ، كالثمرة التي هي نتيجة طبعية لنمو الشجرة ، وقوة إثمارها .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد قال كاتبُ هذه السطور في رسالته « بين الجباية والهداية »[1] ما يحسنُ نقله هنا :

« بعثَ الله محمّداً ﷺ ، فدعا الناسَ إلى الإسلام ، فالتفَّ الناسُ حوله ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الكهف : ١٣ ـ ١٥] ، هؤلاء الفتيان هدف كل قسوة وظلم واضطهاد ، وبلاء وعذاب ، وقد قيل لهم من قبل : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢ ـ ٣] ، فصمدوا لكلّ ما وقع لهم ، وثبتوا كالجبال ، و ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ [الأحزاب : ٢٢] ، حتى أذن الله في الهجرة ، ولم تزل الدعوة تشق طريقها ، وتؤتي أُكُلها ، حتى قضى الله أن يحكم رجالها في العالم ، ويقيموا القسط ، ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، فقد عَرَف أنهم إذا تولَّوا وسادوا ﴿ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [الحج : ٤١] .

وهكذا جاءت الدعوة بالحكمة ، كما تأتي الأمطار بالخصب والزرع ، وكما تأتي الأشجار بالفاكهة والثمر ، فلم تكن هذه الحكومة إلا ثمرة من ثمرات هذه الدعوة الإسلامية ، ولم تكن هذه العزة والقوة إلا نتيجة ذلك العذاب الذي تحمّلوه من قريش وغيرهم ، وذلك الهوان الذي لقوه في مكة وغيرها .

وفرقٌ كبيرٌ ـ أيها السادة ـ بين الغاية التي تُقْصَدُ ، والنتيجة التي تظهر ، ويظهر هذا الفرقُ في نفسيّة العامل والساعي ، فالذي يقصد الحكومة يتوانى ويقعد إذا لم ينلها ، أو انقطع أمله فيها ، ويشتغل بها عن الدعوة ، ويطغى إذا نالها ، وخطرٌ على كلِّ جماعةٍ تتكوّن عقليتها بحبِّ الحكومة والسعي لها أن تقعد عن الجهاد في سبيل الدعوة ، أو تنحرف وتزيغ في قصدها ؛ لأنَّ أساليب الوصول إلى الحكومة تخالِفُ أساليب الدعوة .

---

(١) اقرأها في « خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤوساء » ص(١٩) ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

فيجبُ علينا أن نتّقي عقولنا ونفوسنا ، ونجرّدها للدعوة . . وللدعوة فحسب ، والخدمة ، والتضحية ، والإيثار ، وإخراج الناس بإذن الله من الظلمات إلى النور ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ، ومن ضِيق الدنيا إلى سَعَتها ، ومن جور الأديان المحرّفة ، والنظم الجائرة ، والمذاهب الغاشمة ، إلى عدل الإسلام وظلّه ، ولا يكون دافعنا إلى العمل والجهاد إلا امتثال أمر الله ، والفوز في الآخرة ، وما أعدَّ الله لعباده من الأجر والثواب ، ثم الشفقة على الخلق ، والرحمة بالإنسانية المعذَّبة ، والحرص على نجاة الإنسان .

فإذا كان ذلك لا يمكن في مرحلة من مراحل الدعوة ، أو في فترة من فترات التاريخ بعد تغلغل مبادىء الدعوة في نفوس الدعاة ، ورسوخ العقيدة فيهم - إلا بالحكومة ، سَعَيْنا لها لمصلحة الدعوة والدين ، وبنفس العفّة والنزاهة ، والصدق والأمانة ، والخشوع والتجرّد ، الذي نجتهدُ معه لواجبات الدين وأركانه ، والعبادات الأخرى ، فلا فرقَ للمؤمن بين الحكومة وبين العبادات إذا حصل الإخلاصُ وصحّت النيّة ، فكلٌّ في رضا الله ، وكلٌّ في سبيل الله ، وكلٌّ عبادةٌ يتقرَّب بها العبد إلى الله » . اهـ[1] .

. . .

وفي ختام هذا الحديث أرى لزاماً عليَّ أن أذكر هنا : أنَّ العلاَّمة الندوي لم يقيِّد نفسَه في آخر سنوات حياته بالتزام جماعةٍ معيَّنةٍ ، فقد بقي حُرّاً ، يُشرِف على نشاطات الجماعات من داخل الهند وخارجها ، فيرى من نواقصها ما لا يراه رجالها وأعضاؤها ، ويبصر نقاط ضعفها ، فيوجِّهه وينصح ، وينقد ويسدِّدُ ، ولعلَّ في ذلك خيراً . كما كان لا يدخر وسعاً في النصح لحكّام المسلمين وأمرائهم ورؤسائهم وزعمائهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، وخصوصاً : أنَّه لا يطمع في شيءٍ من أحدٍ منهم .

* * *

(١) محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة : (١/ ٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثالث :

رحلاته الدعويّة والعلميّة في الخافِقين

لقد تعرَّف العلاَّمة الندوي بدراسته المتابعة للجرائد والمجلاَّت العربية (الصادرة عن مصر خاصةً) ، وبالجوِّ الأدبي في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ على كثير من أوضاع العالم العربي ، وعلى عددٍ كبيرٍ من أصحاب الأقلام والأدباء من أصحاب الأساليب البيانية ، والمفكِّرين الفضلاء من أصحاب المدارس الفكرية المستقلة ، فعندما خرج لأول مرة إلى الحجاز ومصر لم يكن له شيءٌ جديدٌ فيهما يُثير إعجابَه ، أو يؤثِّر فيه ، أو يبهر عينيه ، فيتحدَّث العلاَّمة عن ذلك :

« . . . عندما سافرت عام ١٩٥١م إلى مصر ، فلم تواجهني هناك شخصية جديدة ، تسحر العقول وتدهش النفوس ، أُؤْخَذُ بسحرها وأخضع لهيبتها وجلالها ، ولا كانت لي هناك مكتشفات جديدة ، وقد كان ذلك بفضل تلك البيئة الإسلامية الأدبية الناضجة التي عشتُها ، وهيأت الحكمة الإلٰهية أسبابها ووسائلها من قبل ، وإنه لمن الأهمية بمكان للدعاة والعاملين في مجال التعليم والتربية والدعوة أن يكونوا قبل سفرهم إلى البلاد الخارجية ـ لا سيَّما تلك التي يُسيطِر عِلمُها ورقيها وحضارتها على العقول والقلوب ، ويكون لها سحر في النفوس ـ قد درسوا أدبَها ولغتها وثقافتها دراسة ناقدة بصيرة ، وسبروا غورها وتعرَّفوا على حلوها ومرِّها ، قبل أن يطؤوا تلك البلاد ، ويخالطوا رجالها وقادة الفكر فيها . . . » .

ثم أتيحت للعلاَّمة الندوي فُرَصُ الأسفار والرحلات إلى البلاد العربية والأوروبية والأمريكية مرَّات ، وطوّف بأكثر العالم الإسلامي ، وكانت رحلاته عظيمة التأثير ، وقد تحدّث العلاَّمةُ عن رحلاته في كُتب مستقلة ، وفي مقالات سائرة ، وعبّر عن شعوره الصادق دون مجاملة للباطل ؛ إذ رأى أنّ رحلته لا تتمّ على وجهها الصحيح إلاَّ إذا أَفصح عن مراده دُون لثام ، والحقيقة لا تُؤلم إذا سِيقَتْ في أسلوب أدبيٍّ يترفَّع عن

www.abulhasanalinadwi.org

التعريض ، ويناى عن الاستعلاء ، وقد جمعتُ جميع تلك الرحلات في كتابٍ مستقلٍّ ، سمَّيتُه بـ « رحلات العلامة أبي الحسن الندوي : مشاهداته ، محاضراته ، لقاءاته ، انطباعاته »[1] .

أُلخِّص هنا من الكتاب المذكور أهمَّ أوَّلِ رحلاتٍ له في الشرق والغرب ، مع تقديم مقتطفات بعض محاضراته التي ألقاها أثناء تلك الرحلات ، وللاطلاع على جميع رحلاته فليرجع إلى كتاب : « رحلات العلاَّمة الندوي » .

---

(١) قد صدر من دار ابن كثير بدمشق عام ٢٠٠١م .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته الأولى إلى الحجاز للحجِّ

عام ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

خرج العلاَّمةُ الندوي لأوّل مرةٍ من الهند عام ١٩٤٧م إلى الحجاز حاجّاً إلى بيت الله الحرام بعد أن طارت شهرته في الآفاق من خلال مؤلفاته ومقالاته الّتي كانت سَبَقَتْه إلى الحجاز إلى ذلك الوقت ، وكان سفره هذا موفَّقاً ، بدأت بعده سلسلة أسفاره ورحلاته الكثيرة في أنحاء الأرض .

وخلال مكوثه في الحجاز لم يغفل العلاَّمةُ عن نشر الدعوة وتبليغها ، بل راحَ يدعو ويذكِّر العرب برسالتهم الّتي شَرّفهم الله بحملها ، ويقابل ويحاور إبّان الحجِّ رجالَ العالم الإسلامي ووفود العالم العربي وأعلام الحجاز ومشاهيرها ، وينفخ فيهم روح الإسلام ، ويقوم بالجولات ويعقد الاجتماعات في المدينة المنوَّرة وقُراها المُجاورة .

وفي تلك الفترة توطدت علاقات طيبة بينه وبين علماء الحجاز لا سيَّما أصحاب الفضيلة : الشيخ عبد الرزاق حمزة ، والشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ ، والشيخ السيد علوي المالكي ، والشيخ أمين الكتبي ، والشيخ حسن مشاط ، والشيخ محمد العربي ، والشيخ محمود شويل ، وكانت رسالة العلاَّمة « إلى ممثلي البلاد الإسلامية » قد طُبعت ، فكانت خير معرِّف له في الحجاز .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلتُه الثانية إلى الحجاز

١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م

رحَلَ العلامةُ الندوي عام ١٩٥١م للحجِّ مرة أخرى وتعرّف على أدبائها وأصحاب الأقلام فيها بصفة خاصة ، وعلى رأسهم معالي الشيخ محمد سرور الصبان[1] ، والتقى بهم عدة لقاءات كان أهمها لقاءه في بستان البخاري بمكة لمكرمة الّذي حضره جمع من الشباب الأدباء والصحفيين وكبار الموظّفين أمثال الأساتذة : سعيد العامودي ، وعبد القدوس الأنصاري ، ومحمّد أحمد باروم ، وعلي حسن فدعق ، وحسين عرب ، وكانت الجلسة ـ حسب تعبير العلاَّمة الندوي ـ كأنها جلسة نقاش للطالب قدّروا فيه مدى خبرته باللغة العربية ودقائقها وأغوارها ، في دراسته ومعلوماته العامة ، واطّلاعه على اللغة الإنجليزية ، فكانت الأسئلة عن الأدب العربي وأعلامه المعاصرين كالدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد .

وَسَألوه عن رأيه في الاشتراكية ، وفي الحضارة الغربية ، وقد شعر العلاَّمة في ذلك بقيمة تلك الدراسة ، وذلك المنهج للتعليم والمطالعة الّذي هيّأ الله ـ تعالى ـ أسبابه في الهند ، ولم يكن يقدِّرها حقَّ قدرها في ذلك الحين .

لقد شعر العلاَّمةُ أثناء إقامته بالحجار : أن الحضارة الغربية قد أثَّرت في البلدان العربية ، بل شلّت قُواها ، وحطمت أعصابها ، ولا يستثنى من ذلك شباب جزيرة العرب والحجاز المقدس ، الّذين رُزِقَ بهم العالم نعمة الإيمان والإسلام ، وانقشعت بهم ظلماته وظهرت منهم أمّة خلقت للقيادة والإمامة .

فكتب رسالةً إلى أخيه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني في سبتمبر عام ١٩٥١م ، أبدى فيها ألمَه من الوضع المتردي في الحجاز ، وكان ممّا جاء فيها :

---

(١) وزير المالية في المملكة ، والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة سابقاً ، توفي رحمه الله عام ١٣٩١هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

« . . . جئتُ إلى هذه البلاد عام ١٩٤٧م لأول مرة ، ثم جئتُ هذا العام ١٩٥١م ، فرأيتُ فرقاً هائلاً كبيراً ، وتغييراً عظيماً في ظرف ثلاث سنين ، فقد أنشبت الحضارة الغربية ومدنيتها وتجارتها واقتصادها وتصوُّراتها ونظرياتها أظفارها ، وأحكمت قبضتها على هذه البلاد من أسواقها إلى عقول رجالها ، ويشعر الإنسان بذلك حال نزوله بجِدَّة ، وكلما ازدادَ اطلاعاً على الأوضاع والظروف ، انكشفت له هذه الحقيقة وظهرت للعيان ، ولا يدري أحدٌ كَمْ من عقول وقلوب في ملابس عربية تحولت إلى غربية خالصة ، وكيف أصبحت لغة القرآن تسخّر للتصوّرات الغربية والنظرات المادية البحتة ، لقد بلغ الشغف بكسب المعيشة ، وتوليد الثروة إلى الأزمة ، ولا يمكن عندهم تصوّر الحياة ، إلّا بأن يعيشوا في ظلِّها ويتقدّموا في المادة والثروة .

إنَّ جهودنا مقابل ذلك ، وكتبنا القليلة ، ولقاءاتنا المعدودة ، وجولات الجماعة[1] وتنقُّلاتها ما هي إلّا كما يُرمى خزفٌ في البحر ، فيُحدِث أمواجاً خفيفة ، وأخاف أن تكون هذه اللقاءات والاجتماعات والاتفاق مع بعض الشخصيات وتأييدها سبباً للخطأ في التصوّر والفهم ، لكن الواقع أنها ليست إلّا بحثاً عن الناس وسعياً وراء النجاح لا غير . . . » .

وخلال إقامته بالحجاز طلبت منه الحكومةُ السعوديةُ أن يبدأ سلسلةً من الأحاديث في إذاعتها .

فألقى العلامةُ الأحاديث بعد رؤية وتفكير بعنوان « بين العالم وجزيرة العرب »[2] الّذي كان يتوقع أنه سوف يُبدي فيه آراءه وانطباعاته بأسلوب مناسب ، ويعبّر عن قلبه وضميره على لسان العالم ، ثم يرد عليه بلسان جزيرة العرب ، فكان

---

(١) أي جماعة الدعوة والتبليغ ، وقد سبق ذكرُها في المبحث الأول ، في صفحة (٢٢١ ـ ٢٢٥) .

(٢) اقرأ هذا الحديث في كتاب « إسمعيات » للعلامة الندوي ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

عنوان حديثه الأول « من العالم إلى جزيرة العرب » الّذي يفتح فيه العالم الإنساني ـ بعد أداء حقوق الشكر والتقدير على تلك المِنَن والهدايا الكريمة الّتي قدّمتها إليه جزيرةُ العرب عن طريق سيّدنا محمّد ﷺ ، والّتي أعادت الحياة من جديد ـ صفحات الشكوى ويعرض جروح قلبه وفزع نفسه إلى أنه لماذا تخلّت الجزيرة العربية ـ الّتي كانت قد طلعت من أُفقها الوضّاء شمس الإسلام الساطعة ـ عن قيادته وإمامته ؟

وخاطبها في صراحة ووضاحة فقال :

« إننا لسنا في حاجة إلى زيتك الّذي تسير به العجلات والماكينات ، إننا في حاجة إلى ذلك الإيمان وتلك الحرارة والنور الّذي اختصّك اللهُ به ، وتستضيء به العقول والقلوب ، ثم ردَّ على العالم من جزيرة العرب ، ردّاً فيه اعتراف بالقصور ، واعتذار ومواعيد .

قُوبلت تلك الأحاديث بالاستحسان والقبول ، واستُمع إليها في رغبة وشوق ، وشاع ذكرها بين الشباب والأدباء في ميادينهم وساحاتهم وذهابهم ورواحهم ، وزَادَتْ شهرةُ العلامة بعد إلقاء هذه الأحاديث في الأوساط العلمية والأدبية في الحجاز ، وقامت بينه وبين الأدباء وأهل العلم من الشباب روابط وصلات دينية وأدبية .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلة دعوية واستطلاعية للشرق الأوسط

عام ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م

زيارة مصر :

في عام ١٩٥١م يسَّر الله له السفر إلى مصر ، الّتي كان يحنّ إليها بعد أن طالَعَ جرائدها ومجلاّتها الأدبية والفكرية ، وكُتُبَ علمائها وأدبائها في الأدب والتاريخ .

ولمَّا وَصَلَ العلامةُ الندوي إلى مصر لم تلتفت إليه أنظار الأوساط العلمية والأدبية ؛ إذ لم يكن عمره يجاوز آنذاك (٣٧) عاماً ، وهو يرتدي الزيَّ الهنديَّ الّذي لا يجاوز في القدر ملابس اليوم في الشرق العربي إلاّ قليلاً ، فلا عباءة علماء الأزهر تكسوه ، ولا بزَّة الأفندية تجمِّله ، أما إقامته فكانت في مكتبة متواضعة لإحدى جمعيّات القاهرة الخيريّة .

كتب الداعية الكبير الشيخ يوسف القرضاوي عن زيارة العلامة الندوي لمصر ، ولقاءاته بكبار علمائها وأدبائها في مقالٍ له ، يقول فيه :

« كان الشيخ ومن معه يسكنون في شُقَّةٍ متواضعة في زقاق من أزقة شارع الموسكي بحيِّ الأزهر ؛ فالشيخ لا يقدر على سكنى الفنادق ، ولا يحبها ـ حتى وإنْ قدر عليها ـ وفي اجتماعات مجلس الرابطة بالمملكة يدع الفنادق التي ينزل فيها الضيوف ـ وهي من فنادق الدرجة الأولى ـ وينزل عند بعض إخوانه[1] .

كما أنه يرفض النزولَ ضيفاً على بعض الكبراء من الأغنياء والموسرين ، لعلَّ ذلك للشبهة في أموالهم ، أو لئلا يكون أسيراً لإحسانهم .

كان الشيخ حين زار مصرَ في شرخ الشباب ، لحيته سوداءُ ، ووجهه نضرٌ ، وعزمه

---

(١) كان أكثر إقامته بمكة المكرمة في منزل تلميذه : الأستاذ الدكتور عبد الله عباس الندوي ـ حفظه الله وأمتع به ـ ، والذي كان أستاذاً في جامعة أم القرى، ومستشاراً في رابطة العالم الإسلامي .

www.abulhasanalinadwi.org

فتيٌّ ، وروحه وثّابةٌ ، وغيرته متوقدةٌ ، كان يحمل حماس الشباب ، وحكمة الشيوخ ، يحمل فكر العالِم الموفّق ، وقلب المؤمن الغيور في آنٍ واحدٍ .

ذهبتُ لزيارة الشيخ في مسكنه المتواضع أنا وأخي وصديقي ورفيقي محمد الدمرداش مراد ـ رحمه الله ، رفيقي في الدراسة ، ورفيقي في الدعوة ، ورفيقي في المحنة ، ورفيقي في السكن ـ، ودعوناه إلى بيتنا في شبرا ، ليلتقي ببعض إخواننا من شباب الأزهر الملتزمين بالدعوة في صورة ما يسمِّيه الإخوان (كتيبة) وهو تعبير عن ليلة جماعية تُقضى في العلم والعبادة والرياضة ، وقليل من النوم ، وكان الشيخ حريصاً على أن يستمع منا ، كما نستمع إليه ، فكانَ يسأل عن حسن البنا ، وكلامه وطريقته ، ومواقفه وتصرُّفاته في الأمور المختلفة ، كبيرة كانت أو صغيرة . مما كوّن معه فكرة عن الشيخ البنا ، وأنه كان (إماماً ربانيّاً) بحقٍّ ، ولم يكن مجرد زعيم يطالب بحكم إسلاميٍّ ؛ بل كان قبل كل شيء (مربِّياً) يريد أن ينشىء للإسلام (جيلاً جديداً) ، ويحسن الفهم له ، والإيمان به ، والالتزام بتعاليمه ، والدعوة إليه والجهاد في سبيله .

وتكرَّر لقاؤنا معه ، ولقاؤه معنا ، ونحن شباب الدعوة الإسلامية (أنا والأخ أحمد العسّال والأخ الدمرداش وآخرون) .

كانت أيامُ الشيخ أبي الحسن في مصر أياماً خصبة مباركة ، لا يكاد يخلو يومٌ منها عن محاضرة عامة يُدعى إليها ، أو درس خاصٌّ يرتَّب له ، أو لقاء خاصٌّ يُعَدّ له .

ألقى محاضرةً تحت عنوان « المسلمون على مفترق الطرق »[1] في دار الشبان المسلمين على ما أذكر ، [حضرها عظام الرجال في الفكر والأدب ، وكبار علماء الأزهر ومشايخه ، وأعيان البلد ، ولم يكن هذا الحديث حسب العادة معَدّاً ومسجَّلاً في مصر من قبل ، بل كان خطبة مرتجلة ومجلجلة ، وكانت تجربة جديدة من شخصٍ عجميٍّ لأهل مصر ، وكان هذا الخطاب ناجحاً جدّاً ، شاع ذكره في الأوساط الدينية والأدبية في مصر ، وعلّق عليها تعليقات طيبة الشيخ محمد الغزالي ، والشيخ أحمد الشرباصي ، والأستاذ عبد المنعم خلاّف ، والأستاذ عبد المتعال] ، وألقى محاضرة عن (محمد إقبال) شاعر الإسلام في الهند في كلية دار العلوم ، كان لها تأثيرٌ ودويٌّ ،

---

(١) اقرأ هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (١/ ٢٨٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

والشيخ من المعجبين بشعر إقبال ، ويحفظ منه الكثير الكثير ، وقد أخرج كتاباً عنه بعنوان (روائع إقبال) .

التقى الشيخُ في القاهرة بكثير من العلماء والدعاة والمفكرين ، وسجَّل عنهم ملاحظاته الدقيقة في كتابه الذي أصدره بعد رجوعه « مذكِّرات سائح في الشرق العربي » .

التقى بالأديب الكبير الناقد الشهيد سيد قطب ، وأعجِب به الشهيد ، وكتب مقدمة لكتابه (ماذا خسر العالم. . .؟) أنصف فيها الكتاب وصاحبه ، وقدَّره حقَّ قدره.

والتقى كثيراً بالشيخ محمد الغزالي ، ورافقه في بعض رحلاته الدعوية ، وأُعجِب كل منهما بصاحبه ، وكتب عنه الشيخ في (مذكِّراته) تلك .

وأذكر : أنَّ الشيخ الندوي كان قد اصطحب معه عدةَ رسائل من أوائل كتاباته الإسلامية الدعوية ، وهي جملة رسائل تعبِّر عن حسٍّ رقيق ، وفكر عميق ، وبيان أنيق ، وعن رهافة الحاسة الأدبية ، وعُمق الحاسة الروحية عند الشيخ .

وأذكر : أنَّ الشيخ الغزالي قرأها ومنها رسالتان ، إحداهما : « من العالم إلى جزيرة العرب » ، والأخرى : « من جزيرة العرب إلى العالم » وفيهما يستنطق الشيخ ما يريده العالمَ من الجزيرة من الهدى ودين الحق وهو ما قدَّمته الجزيرة قديماً للعالم ، وردَّ الجزيرة على هذا التساؤل .

وهنا قال الشيخ الغزاليُّ معقِّباً : هذا الإسلام لا يخدمه إلا نفسٌ شاعرةٌ محلِّقةٌ ، أما النفوس البليدة المطموسة فلا حظَّ لها فيه ! .

لقد وجدنا في رسائل الشيخ لغةً جديدة ، وروحاً جديدة ، والتفاتاً إلى أشياء لم نكن نلتفت إليها ، إن رسائل الشيخ هي التي لفتت النظر إلى موقف رِبْعِي بن عامر رضي الله عنه بين رُسْتم قائد الفرس وكلماته البليغة له ، التي لخَّصت فلسفة الإسلام في كلمات قلائل ، وعبَّرت عن أهدافه بوضوح بليغ ، وإيجاز رائع :

« إنَّ الله بعثنا لنُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضِيق الدنيا إلى سَعتها ، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام » .

والشيخ الندوي ـ فيما أعلم ـ هو أول من نبَّهنا إلى قيمة هذا الموقف ، وهذه الكلمات ، ثم تناقلها الكاتبون بعد ذلك ، وانتشرتْ .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد لقي الشيخُ أستاذنا البهي الخولي وقد أعجب به الأستاذ البهي غاية الإعجاب ، وسجَّل ذلك في رسالة سطرها إليه[1] ، كما لقي الأستاذ صالح عشماوي وغيره من قادة الإخوان ، وجلس إليهم وتحدث معهم حديثاً نشره في رسالة بعد ذلك ، عنوانها : « أريد أن أتحدث إلى الإخوان المسلمين »[2] .

ولقي كذلك أستاذَنا العلامة الدكتور محمد يوسف موسى ، وقد كتب له مقدمة لكتابه (ماذا خسر العالم . . . ؟) .

كما لقي الأديبَ الداعية الشيخ أحمد الشرباصي ، الذي سجَّل معه مقابلة عن سيرته نشرت في مقدمة (ماذا خسر العالم . . . ؟) ومما ذكره في هذه المقابلة : أنه سئل عن أغرب ما رآه في مصر ؟ فكان جوابه : أنَّي وجدتُ العلماء حليقي اللِّحى ! ولا ريب : أن هذه صدمة شديدة لعالِمٍ لم ير في حياته في وطنه عالماً واحداً حليقاً ، وحلقُ اللحى عندهم من شأن المتفرنجين ، والبعيدين عن الدين ، أما أن يكون هذا هو الطابع العام للعلماء في بلد ، فهو الشيء الغريب ! ومن العجب أنَّ بعض شيوخ الأزهر المتحمِّسين لإعادة الأزهر إلى مكانته القديمة يحاولون أن يفرضوا على الطلبة لبس العمامة ، وهي مجرَّد تقليد ! ولا يفكِّرون أن يفرضوا عليهم إطلاق اللحية ، وهو سنَّةٌ إسلاميةٌ بلا ريب ! .

ولم يكتف شيخنا بالنشاط والحركة في مدينة القاهرة على سعتها ، بل امتدَّ إلى مدن أخرى ؛ سمِعَتْ بالشيخ فدعته إلى زيارتها ولقاء الجمهور المسلم فيها .

ومِن ذلك : مدينة (المحلة الكبرى) التي كنتُ أخطب في أحد مساجدها ، وقد دعاه إليها الدكتور محمد سعيد ـ رحمه الله ـ رئيس الجمعية الشرعية بمدينة المحلة ، وهو طبيب أسنان معروف ، نذر حياتَه لإحياء السنَّة ، والدعوة إلى الله على طريقة (إخواننا في الجمعية الشرعية) ، وقد عرف الشيخ أن بينه وبين الإخوان شيئاً ، فهو يأخذ عليهم أنهم لا يلتزمون بالآداب التي يلتزمونها هم من إعفاء اللحية ، وإحفاء الشارب ، وإرخاء العذبة ، وإطالة الصلاة ، وقال الشيخ للدكتور :

« إنَّ دعوة الإخوان دعوة عامة ، مهمتها أن تجمع الجماهير على الأصول الكلية

---

(١) اقرأها في « رسائل الأعلام إلى العلاَّمة أبي الحسن الندوي » ، ص(١٠٩ ـ ١١٠) .
(٢) اقرأ هذه الرسالة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (١/ ٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

للإسلام ، ثم تربيهم بالتدريج على الآداب الخاصة ولا بدَّ أن يكون في الأمة المنهجان : النهج العام للإخوان ، والنهج الخاص كالجمعية » .

واستراح الدكتور سعيد ـ رحمه الله ـ لكلام الشيخ ودعاني معه على الغداء عنده .

ولكن سرعان ما كاد هذا يذهب هباءً ، عندما ذهبنا مع الشيخ إلى بلده (نبروه) وتكلمت كلمةً أغضبت الدكتور سعيد ـ غفر الله لنا وله ـ ولا أدري : لماذا ؟ ولكن الشيخ تدارك الموقف بهدوئه وحكمته وبات الناس تلك الليلة في المسجد سُجَّداً وقياماً بدعوة من الشيخ ، واستجابة كثيرين من الحضور .

كانت زيارة الشيخ لمصر هي بداية لقائي به ، ومعرفتي به ، ثم زادتها الأيامُ قوةً على قوة ، بيد أن هناك فترة انقطعت فيها أخبار الشيخ عنا ، وذلك بعد ظهور ثورة يوليو ، وصدامها الدامي مع الإخوان ، ودخولنا المعتقلات والسجون ، والحيلولة بيننا وبين كل نشاط يتصل بالجماهير من تعليم وتدريس أو وعظ وخطابة ، وإنْ أجبرتهم الأقدار أن يستعينوا بنا حين وقع العدوان الثلاثي على مصر ، وقد صُنِّف الشيخ الندوي ـ وزميله الشيخ المودودي ـ على أنهما من أعداء الثورة المصرية ، وخصوم الناصرية ، ولهذا حين صدر قانون إنشاء (مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر) وهو ينصُّ على أن يضمَّ علماء بارزين من أقطار العالم الإسلامي ، استُبعد اسما الرجلين الكبيرين مع أنهما كانا أولى المرشحين بذلك ، لمكانتهما العلمية والعالمية . . . » .

ونظَّم خلال إقامة العلاَّمة في القاهرة اللِّواءُ صالح حرب باشا حفلةَ تكريم وتعارف بالعلاّمة ، وحضرها بعضُ شخصيات مصر المحترمة ، كالشيخ حسين محمد مخلوف (مفتي الديار المصرية سابقاً) والشيخ محمد الشربيني (رئيس جمعية العلماء في الأزهر) ، والأمير عبد الكريم الخطابي .

ذكر العلامة في هذه الحفلة خلال حديثه نبذةً عن الشخصيات الإصلاحية والتجديدية في الهند ، وتاريخ الدعوة الإسلامية ، ومختلف أدوارها وعهودها وأساليبها ومناهجها ، وقدّمه كتحفة من الهند لعلماء مصر ، وقال :

« لو قدَّمت إليكم شيئاً مما عندكم ؛ لكان لكم أن تقولوا : « بضاعتنا رُدّتْ إلينا » لذلك أفتح أمامكم صفحات من التاريخ الإسلامي وخدمة الدعوة الإسلامية لم يقع عليها بصرُكم من قبل » .

وقد نُشرت هذه المحاضرة بمصر بعنوان « الدعوة الإسلامية وتطوراتها في

www.abulhasanalinadwi.org

الهند »[1] وقد تلقَّاها الناس بقبول واستحسان ، وقرأها الناس بعناية واهتمام ، وما عداها كانت له محاضرتان مهمتان ، إحداهما بعنوان : « شعر إقبال ورسالته »[2] التي ألقاها في مؤسّسة « دار العلوم » والأخرى بعنوان « الإنسان الكامل في نظر الدكتور محمد إقبال »[3] . الّتي ألقاها في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) ، وقد كانت له محاضرات أخرى في عدد من المراكز الدعوية والنشاطات الدينية والجمعيات الإسلامية ـ كشباب سيدنا محمد ﷺ ، وجمعية أنصار السنَّة المحمَّدية ، والجمعية الشرعية ، وجمعية العشيرة المحمديّة ، وجمعية مكارم الأخلاق ، والرابطة الإسلامية ـ فكانت هذه المحاضراتُ سببُ تعارف في أُسَر هذه المنظمات والأوساط وأعضائها ، وتمهدت الطريق للعلاقات والصلات .

ونَظَّمَتْ للعلامة إحدى الجمعيّات الإسلامية رحلاتٍ وجولاتٍ دعويةً ، زار فيها ـ عدداً من القرى والأرياف ـ كالقناطر الخيرية وحُلوان ، وطنطا ، ونكله ، وبنها ، والمحلة الكبرى ، ونبروه ، والعزيزة ، وحامول ، وسنتريس ، وقويسنا ، رَافَقَه فيها الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي ، وذلك إضافة إلى لقاءات متكرِّرة مع الطلاب في أروقة الأزهر والفنادق .

وقد كتب أيضاً الكاتبُ الكبير الدكتور محمد رجب البيومي عن رحلة العلاَّمةالندوي هذه لمصر ، يقول فيها :

« على أنّ لأبي الحسن شجاعةً أدبيةً تكاد تكون منقطعة النظير ، فهو في كل مكان يرحل إليه ، يخطبُ في النوادي العامة ، ويُلقي المحاضرات الثقافية في ساحاتِ العلم ، وينشرُ ما يريده في أمهات الصحف . لأنّ اسمه الكريم يَسبقه مُعلِناً عن قدره العظيم ؛ ومن مظاهر هذه الشجاعة الأدبيّة ، أنه في مقالاته هذه يُرسِل نقداته الجريئة لبعض ما لا يوافق عليه مما يرى ، ويسمعُ ، يُرسلها في أمهات المجلاّت المقروءة ليصدَع بكلمة الحق دُون محاباة .

أذكُر أنه زار مصر في سنة ١٩٥٠ م ، وخالط كتَّابها ومفكِّريها ، وعقد ندواتٍ ممتازة بجمعية الشبان المسلمين وغيرها ، ثم عنَّ له أن يكتب في مجلة « الرسالة »

---

(١) اقرأ هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (١/ ٣٧٥) .
(٢) اقرأ هذه المحاضرة في « روائع إقبال » للعلامة الندوي .
(٣) اقرأ هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (٣/ ٦٣٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

كلمةً تحت عنوان « اسمعي يا مصر » ، بدأها بالإشادة بما رآهُ من محاسن ، ثم وجّه الأمة المصرية إلى رسالتها الحضارية في إفهام الغرب ما يجهله من مزايا العرب والإسلام ؛ لأنّها بكتّابها وجامعاتها ومفكّريها أقدر بلدٍ يقوم بهذه الرسالة ، حتّى إذا انتهى من ذلك ، جاهرَ بنقداته الجريئة في مثل قوله[1] :

« احرصي يا مصر على رجولة أبنائك وأخلاقهم ، وصُوني شبابَهم وشرفهم ودينهم وصحّتهم من أن يعبث بها العابثون ، أو يتّجر بها المتّجرون ممَّن يعيشون على أثمانِ الأعراض والأخلاق ، ويحبّونَ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ؛ لتروج بضاعتهم ، وتزدهرَ تجارتهم ، أولئك هم أصحاب الروايات الخليعة والصور العارية ، والأدب المكشوف . .

كافِحي يا مصرُ الوباءَ الخُلقي الذي يقضي على حيوية الأمة ، وطاردي كلّ من يحاول أن يُزعزع العقيدة في شعبك ، إنّ العالم العربي قد أحلّك من نفسه محلاً رفيعاً ، ووضعَ ثقتَه فيك ، فلا تُصدّري إليه من أدبك وموضوعاتك ما يرزأهُ في إيمانه وأخلاقه ، إنّ هذه الروايات الخليعة والأدب الماجن أفسَدُ وأضَرُّ بالأمة من الحبوب المسمومة ، والفواكه الموبوءة . . إنّ القارة الأفريقية لا يزالُ جزءٌ كبيرٌ منها على فطرته ، وهو حقلٌ لجهودك وتربيتك ، فأرسِلي إليها دعاتَك المبشّرين لتُنقِذي نفوسَ هؤلاء ، وتكسبي قلوباً تكون خيراً لك من الأمم الغربية التي تخطبين وُدَّها ، وتحرصين على صداقتها ، وهي لا تدوم على حال » .

وأذكُـر : أنَّ مقال الأستـاذ الكبير قوبل بالاستحسان ، وفسحت له المجلاّت الملتزمة مجـال التحليـل والتعقيب حيـن رأتْ فيه صيحـةً مخلصـة يقوم بهـا مرشد أمين »[2] ، وعلَّق عليه الكاتب الإسلامي الكبير الداعية الشهيد سيد قطب قائلاً في إحدى لقاءاته بالعلاّمة : قرأتُ « اسمعي يا مصر » ويا لَيْتَ مصر قد سمعتْ !! .

---

(١) انظر هذه الرسالة في « إسمعيات » ص (٥٠) بعنوان « اسمعي يا مصر » إعداد المؤلّف ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين : (٣/ ٣١) .

www.abulhasanalinadwi.org

وكانت هذه الرحلة رحلة مباركة ، هيَّأَ الله للعلاَّمة خلالها فُرَص الاستفادة والإفادة ، واللقاءات والزيارات ما لم تتهيَّأ له بعد في بلدٍ من بلاد العرب غير السورية ، وكان صِيته قد ذاع في الأوساط الدينية والدعوية والأدبية في مصر خلال كتابه « ماذا خسر العالم . . . ؟ » كان يكفيه له أن يُقال فيها : إنه مؤلِّف هذا الكتاب ، وقد مكث فيها العلاَّمةُ حوالي ستة شهور ، التقى خلالها بكبار العلماء والدّعاة والأدباء والمفكرين الذين كان يُفْتَخَر بهم في أنحاء العالم العربي ، فقد التقى ـ من كبار العلماء والمشايخ ـ : شيخ الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم ، والشيخ حسنين محمد مخلوف ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ عبد الرحمن البنَّا الساعاتي ، والشيخ أحمد محمد شاكر ، والشيخ حامد الفقي ، والشيخ زاهد الكوثري ، والشيخ عبد الوهاب بك الخلاّف ، والشيخ مصطفى صبري أفندي (شيخ الإسلام سابقاً في بالدولة العثمانية) والشيخ محمد فؤاد عبد الباقي .

والتقى من القادة والزعماء والأدباء مع : سماحة المفتي أمين الحسيني ، والأمير عبد الكريم الريفي ، واللّواء صالح حرب باشا ، وعبد الرحمن عزّام باشا ، وأمين محمود خطاب .

ومن الدعاة والمفكِّرين الإسلاميين : الشهيد سيد قطب ، والأستاذ محب الدين الخطيب ، والشيخ محمد الشرباصي ، والشيخ محمد الغزالي ، والدكتور سعيد رمضان ، والأستاذ صالح العشماوي ، والشيخ بهى الخولي .

ومن الأدباء : الدكتور أحمد أمين ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ أحمد حسن الزيات ، والأستاذ محمود محمد شاكر ، والدكتور محمد حسين هيكل .

كما أُتيح له أثناء إقامته في مصر أن يلقي في أوقات مختلفة محاضرات في الفكر والدعوة في الجامع الأزهر ، وجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) وفي إذاعة مصر وفي مراكز النشاطات الدينية[1] التي ذكرناها آنفاً .

---

(١) اقرأ مذكِّرات العلامة التي سجَّل فيها هذه الرحلة ، والتي طُبعت بعنوان « مذكِّرات سائح في الشرق العربي » في دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى السودان :

سافَر العلاّمة الندوي من مصر إلى السُّودان ، والشام ، والقدس ، والأردن ، والتقى في السودان بأعيانها ورجالها في الفكر والعلم ، أمثال الأستاذ إسماعيل بك الأزهري (رئيس وزراء السودان فيما بعد) والشيخ شوقي أسد (سكرتير جمعية التبشير الإسلامي) ، والشيخ محمّد عَوض ، والحاج محمد موسى (قائد العمّال ورئيس جمعية الشبان) . وتحدث معهم عن تجارب الدّعوة الإسلامية في الهند ، ونبَّه على مسؤوليات الشعب العربي المسلم المليء بالحيوية والنشاط ، والّذي لا يزال يحمل كثيراً من الأخلاق والسِّمات الإسلامية ، وهو واقع تحت نفوذ مصر العلمي والسياسيّ وتأثيرها ، والإمكانيات الكبيرة للدعوة الإسلامية في أفريقيا والمستقبل الزاهر لها ، وصَرَّح بأنَّ السودان خاصةً وأفريقيا عامة تستطيع أن تلعب دوراً خطيراً وكبيراً في تاريخ العالم ، وقد لعبت كلُّ قارة دورها واستنفدت طاقتها وصلاحياتها وأفرغت جعبتها ، وقد بقيت أفريقيا وحدها ، فإذا تبنَّت الدَّعوةُ الإسلاميةُ في إخلاص وحماس ، واحتضنت رسالة العصر التي يحتاج إليها العالم المعاصر ؛ فإنَّ الله تعالى سوف يبوِّئها منصب القيادة في العالم .

زيارته لدمشق :

سافر العلامةُ الندوي إلى دمشق عام ١٩٥١م ، وكانت أحبَّ بلدٍ إليه ، قضى فيها أياماً مِن أصفى أيام عمره وأطيبها وأحلاها ، وأبعدها عن الأكدار والأحزان ، حسب تعبيره « لا أعرف مدينةً ـ بعد الحرمين الشريفين ـ حلَّت من قلبي محلّ دمشق ، وألفتها وعرفت كثيراً من أحيائها ، وشوارعها ودروبها ، وحدائقها ومناظرها ، وكان لي فيها خيرةُ الأصدقاء والأحباب ، تجاوبت نفسي مع نفوسهم ، والتقى فكري بفكرهم ، وقد طابت لي الإقامةُ فيها في كلِّ مرة ، وطابت الأسحار والآصال ، واستقرّت النفس ، وهدأ البال ، واعتدلت الصحة ووافق المناخ ، وكنتُ إذا قرأتُ لشوقي بيته الّذي قاله في دمشق وجدته دائماً لم يبالغ ، ولم يجانب الصواب :

آمنتُ بالله واستثنيتُ جنَّته دمشق رَوْحٌ وجنَّاتٌ وريحان

أقام العلامة الندوي (٤٨) يوماً في سورية ، قضى ٢٤ يوماً منها في دمشق ، وزار في الباقي حمصَ ، وحماةَ ، ومعرة النعمان ، وحارم ، وحلب ، وخلال هذه

www.abulhasanalinadwi.org

الرحلات ، ألقى الخطبَ والمحاضرات ، التي مكّنته من الاتّصال بالأوساط العلمية والدينية والأدبية المختلفة ، ومقابلة كبار شخصياتها الموقَّرة وتبادل الآراء معها .

وأثناء إقامته بدمشق زار مراكزَها الإسلامية ، ومؤسَّساتها العلمية والأدبية ، ومراكزها للنشاطات الدينية ، وزار مجمعَ اللغة العربية ، والمكتبة الظاهرية ، ومدرسة دار الحديث ، وجمعية التمدّن الإسلامي ، وحضر إحدى جلسات البرلمان السوريّ المهمّة المثيرة[1] .

والتقى بكبار علمائها وأدبائها وأعيانها أمثال أصحاب الفضيلة : العلاّمة بهجة البيطار ، والشيخ مصطفى الزرقاء ، والشيخ عبد الوهاب الصلاحي ، والشيخ أحمد الدقر ، والشيخ أبي الخير الميداني ، والشيخ مكّي الكتّاني ، والدكتور مصطفى السباعي ، والأستاذ محمد المبارك ، والأستاذ محمد أحمد دَهْمان ، والشيخ أبي اليسر عابدين ، (حفيد العلاّمة الشامي ومفتي الجمهورية) والشيخ أحمد كفتارو ، والشيخ محمد سعيد البرهاني ، والشيخ محمد علي حوماني ، والأستاذ محمد كُرد علي ، والأستاذ محمد خليل مردم بك ، والشيخ عبد القادر المغربي .

وكان يرافقه في لقاءاته مع هؤلاء الأعلام والعلماء الأستاذُ عبد الرحمن الباني ، الّذي كان مدرّساً في كلية المعلّمين في دمشق .

وخلال هذه الرحلة ذَهَبَ إلى بيت المَقْدِس وتَشَرَّف بزيارة المسجد الأقصى ، وقضى فيها الأيام الأخيرة من رمضان ، وأثناء تلك الأيام التقى الملكَ عبد الله بن الملك الشريف حسين بن علي (ملك الأردن) ، والتقى به الملكُ عبد الله أيضاً بعد أن قرأ بعض كتبه مثل « ماذا خسر العالم . . . ؟! » فعلّق عليه تعليقاً طيباً .

خلال إقامته بدمشق ألقى العلاّمةُ محاضرات ، وكانت من أهمّها : « شهادة العلم والتاريخ في قضية فلسطين »[2] وقد ألقى هذه المحاضرة في قاعة جامعة دمشق . وحضر الجلسة عددٌ كبيرٌ من المستمعين ، واكتظت القاعة على سعتها وكان بين الحضور : الدكتور معروف الدواليبي (رئيس المجلس النيابي) ، والشاعر الأستاذ

---

(١) انظر : « مذكّرات سائح في الشرق العربي » ص : (٢٣٥) .

(٢) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » بعنوان « العوامل الأساسية لكارثة فلسطين » (٢/ ٧١) .

www.abulhasanalinadwi.org

عمر بهاء الدين الأميري ، وعددٌ من أعضاء البرلمان ، وأساتذة الجامعة وكبار علماء دمشق ، كالعلاّمة بهجة البيطار ، والأستاذ أمين المصري ، والأستاذ سعيد الأفغاني ، والشيخ أحمد كفتارو ، والشيخ أحمد الدقر ، وعَلَّقَ على المحاضرة الشيخُ بهجة البيطار ، والشيخ مصطفى السباعي ، بكلمة بليغة ، وأيّدا ما جاء فيها من آراء وملاحظات .

وقد اشتملت تلك المحاضرةُ على دراسة تلك العوامل المهمة الّتي أدَّت إلى هذه المأساة ، فمنها :

الأول : فقد الدوافع النفسيّة إلى الاستماتة والتفاني في سبيل المبدأ والعقيدة .

والثاني : طغيان العقل على العاطفة وضعف روح المغامرة .

والثالث : عدم وجود شخصيةٍ في قيادات الشعوب العربية كلِّها تغمر فلسطينُ وقضيتُها مشاعرَها وتفكيرَها ، ويصبح حالها كحال صلاح الدين الّذي وصفه أمينُ سرِّه القاضي ابن شَدّاد : « إنما كان كالوالدة الثكلى التي ذُبح ولدها الوحيد في حجرها » وإنه متى تحل هذه القضية الفلسطينية لا تحلّ إلاَّ بهذا الطريق ، لا من طريق المؤتمرات والقرارات والمجاملات .

وكانت له غير هذه المحاضرةِ محاضراتٌ وأحاديثٌ في دمشق ، ألقاها في الهيئات العلمية ، الإسلامية ، وجمعيّة التمدّن الإسلامية ، وعرض فيها تجاربه وآراءه وأفكاره ، وأكّدَ أمام العلماء ضرورة الاتصال المباشر بالشعب ، ودعوة العامّة ، وأهمية هذا العمل الدعويّ في المدارس والكليات والجامعات ، ونبَّهَ إلى تلك الأخطار الّتي يمكن أن تتحول إلى واقع مريع إذا بقي العلماء بمعزلٍ عن العامّة ، ولم يتواصلوا معهم ، ويوقظوا شعورَهم الديني .

وقال في إحدى خُطَبِه في دمشق :

« إنَّ الطبقة التي تملك زمامَ البلاد ، لم تهضم الإسلامَ هَضماً صحيحاً ، بل لم يتجاوز الإسلام تراقيها ، إنها لا تؤمن بالإسلام كدينٍ ونظامٍ للحياة كما تؤمن بمبادىء الحضارة الغربية وأهميتها وفائدتها ، كذلك فإنَّ أكثرية سكَّان البلدان العربية تعيش في مرحلة الطفولة في الوعي السياسي واليقظة

www.abulhasanalinadwi.org

الاجتماعية ، وما دامت هي لم تَصْحُ مِن غفوتها فلا أملَ منها في شيء » .

وعدا هذه الخطب ألقى خطبةَ الجمعة في المسجد الجامع بجامعة دمشق ، راعى فيها عقليةَ الطلاّب والشباب ومستواهم وتعليمهم وتربيتهم[1] .

لقد أراد العلامة أن يتحدث بعد رحلاته المتتابعة عن المسلمين بين الأمس واليوم ، فكتب مقالاً[2] هو من أنفَس ما قيل في موضوعه ، كتبه تحت عنوان « بين الصورة والحقيقة » وهو جديرٌ أن يُدرَّس على الطلاب في جميع المعاهد والكليات نظراً لمغزاه الدقيق ، فقد جعل العلاَّمة الصورة البعيدة عن الحقيقة مثل الثمار المصنوعة من الخزف تتراءى للنَّاظر كأنها تُفّاح أو رمان أو عنب أو موز أو بُرتقال في لونها وشكلها ، ولكنْ أينَ الصورة من الحقيقة ؟ وأينَ طعمُ الثمار ورائحتها ؟ إنها ليستْ إلا للزينة أو المثال . لأنَّ الصورة لا تستطيعُ أن تسدّ مكان الحقيقة وتنوب عنها ، ولا تمثّل دورها ، فإذا وقع صراعٌ بينهما انهارت الصورة ؛ إذ لا تتحمل عبء الحقيقة ؛ إنَّ صورة إسلامنا اليوم وصورة كلمتنا لا تقدران أن تتغلبا على عداوتنا الحقيرة ، وتقهرا شهواتنا ، إنّنا نتلذذ بكلمة الشهادة والتوحيد ، ومنّا من يعرف ما يقول ، ولكنَّ الصورة شيءٌ والحقيقة شيء آخر ، إنّ أصحاب النبي ﷺ كانوا على حقيقة هذه الشهادة ، فإذا قالوا : لا إله إلا الله ، اعتقدوا : أنَّه لا إله غيره ولا ربَّ سواه ولا نافعَ ولا ضارَّ إلا هو ، أمَّا نحنُ فنقولها ونغفل عن معناها حين نرجو الخير من الأعداء ، ونتركُ إله الكون الوهَّاب .

إنَّ أكبر انقلاب وقع في تاريخ هذه الأمة هو أن الصورة احتلّت مكانَ الحقيقة ، واستولت على حياة الأمة من عهدٍ بعيد من التاريخ ، والّذين كانوا يرون الصورة من بعيد يعتقدون أنَّها الحقيقة ، ولذلك يذعرون ويشفقون من قربه ؛ لقد حرَسَ الإسلامُ المسلمين بالصورة مدةً طويلة فلم يجترىء عليهم أحدٌ ، ثمَّ تجرَّأَ التَّتار عليهم في بغداد وما وليها ، فانهارت الصورة ، وأصبحت عاجزةً عن أن تدفع المكروه ، وكلُّ ما تقرأ

---

(١) اقرأ ما كتبه العلامة الندوي عن هذه الرحلة الدعوية والاستطلاعية في « مذكّرات سائح في الشرق العربي » .

(٢) قد نُشِر في مجلة «المسلمون» ، العدد الثامن من السنة الثالثة ، ص(٤٣) وانظر هذا المقال في «محاضرات إسلامية في الفكر والدَّعوة» للعلامة الندوي ، (١/ ٦٢٤) طبع دار ابن كثير بدمشق.

www.abulhasanalinadwi.org

في تاريخ الإسلامِ من أخبار انكسار المسلمين وهزيمتهم في ميادين القتال هو أثر انخذال الصورة وفَضيحتها لا غير ، لقد فضحتنا الصورةُ في كلّ معركة أو اصطدام ، والذنب ذنبنا ؛ لأننا حمَّلنا عبء الحقيقة على الصورة فجاء الخذلان ! .

هذا المقال النَّاريّ (وأرجو ألا أكون أخفقتُ في تلخيص نُقاطه الهادفة) يرسمُ وجوه الإصلاح إذا أردنا أن نسير في الطريق الصحيح ، وقد كرر العلامة معناه الرائع في أبواب شتّى من تأليفه ، لأنه يعتقد أن بدء البرء العاجل أن نعرف مكامنَ الداء القاتل ، وها هو ذا قد عرف موضع الداء ووصف الدواء .

ولكن كيف السبيل إلى النهوض من هذه الكبوات المتلاحقة ، لقد فكَّر العلاَّمة في رجال اليوم وفي بعض شبابه ، فوجد التربية المدرسية والإعلامية في أكثر بلاد الإسلام قد ضلّت سواء السبيل ؛ إذ خضعت أجهزةُ التعليم إلى النظام الأوروبّي ، فأحدثت فجوات هائلة بين عقيدة الطالب المسلم ، وما تُوحي به المقرّرات المستوردة من انفصام عن مبادىء هذه العقيدة ، والعلاجُ الصحيح في خطواته الأولى أن تبدأ بالنظر في أساليب التربية المتخذة دستوراً راسخاً لا تتخطّاه بعضُ هذه الدول ، ثم ننظر في تربية النشء وِفق مقرّراتٍ هادفة تعرف طريقها الصحيح ، بدلَ الكُتب المترجمة ، وأشباه المترجمة بما يُضلُّ النشْءَ عن حقيقة تاريخهم المجيد ودينهم الرشيد[1] .

---

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين : (٣/ ٣٣ ـ ٣٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

زيارته لسورية كأستاذ زائر في جامعة دمشق

١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م

لم تمض خمسةُ أعوام على عودته من رحلة مصر والشام حتى قَيَّضَ الله له السفرَ مرةً أخرى إلى دمشق ، حيث دعاه صديقه الفاضل الداعية الفقيه ، الدكتور مصطفى السباعي في إحدى رسالاته إليه[1] عام ١٩٥٥م مبشِّراً بإنشاء كلية الشريعة في الجامعة السورية ، وقد ذكر فيها : أنه عُهِدَ إليه بأن يبلّغه طلبَ الجامعة بأن يتفضّل بقبول مسؤولية التدريس فيها لعامٍ أو عامين ، ويشرِّفُ الجامعة بالحضور .

وكتَبَ العلاَّمةُ الندوي ردّاً على رسالته معتذراً عن الانضمام إلى المدرِّسين الموظَّفين ، وتعذُّرِ بقائه بعيداً عن مقرّه ومركز نشاطه الّذي له حق أكبر عليه ، لكنه أبدى استعداده للحضور لفترة محدودة كأستاذ زائر يُلقي فيها سلسلةً من المحاضرات حول موضوع من المواضيع الإسلامية بصورة منتظمة .

قبلت لجنةُ الجامعة السورية عذره ، وقبلتْ اقتراحه أيضاً بإلقاء سلسلة المحاضرات حول الشخصيات الإسلامية والتجديدية في التاريخ الإسلامي وجهودها العظيمة ، وقد اختار العلامةُ هذا العنوانَ « التجديد والمجدِّدون في تاريخ الإسلام » ليعرض أمام طلاّب الكلية وشبابها الناهضين النابغين ، ولأساتذتها البارعين الفضلاء خلاصةَ دراسته للتاريخ الإسلامي ونتائجها التي تحملهم على العمل الديني الدّعويّ والإصلاحي ، وتكون دافعاً قوياً لهم لتغيير الأوضاع من جديد في هذه الأرض التي ضيَّعت التاريخَ .

وقد دعت الجامعةُ السوريةُ إلى تلك المحاضرات كبارَ أساتذتها ، وأعيان المدينة ، وكبار العلماء المهتمِّين بالفكر الإسلامي ، وكانت تكتظُّ القاعة بالمدعوين رجالاً ونساءً ، ولم يكن صاحبُ الدعوة الدكتور مصطفى السباعي حاضراً في اللقاء

---

(١) انظر في « رسائل الأعلام إلى العلاَّمة أبي الحسن الندوي » ص (١١٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

الأول وقد أبدى أسفه على ذلك في مقدِّمته التي قَدَّمَ بها الجزء الأول من كتاب « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » ، وقرَّر أن تكون المحاضرة كلَّ يوم أربعاء ، وتُرسل لها بطاقات دعوة متجددة .

وقد كانت ثماني محاضرات ، وكانت المحاضرة الثامنة في ١٩ شوال عام ١٣٧٥هـ (الموافق ٣٠ مايو عام ١٩٥٦م) ، وكان موضوعها « حجَّة الإسلام الغزالي ، مصلحاً اجتماعياً » .

وحسب تعبير العلامة الندوي ـ فقد كان الحضور يكثرون ويزيدون في المحاضرات ، وتغصّ القاعةُ بهم وتضيق ، والغريب : أنَّ كبار أساتذة الجامعة وفضلاءها كالأستاذ مصطفى الزرقاء ، والأستاذ محمد المبارك ، والدكتور معروف الدواليبي ، والعلامة محمد بهجة البيطار ، والشيخ أحمد كفتارو ، وأمثال هؤلاء من كبار العلماء كانوا يواظبون على حضور هذه المحاضرات كمواظبة الطلاب والشباب ، وأغرب مِن ذلك ، أنه بدأ شهر رمضان من المحاضرة الثالثة التي كانت في ١٩ أبريل عام ١٩٥٦م بعنوان « الإمام حسن البصري وخلفاؤه » في ٩ من رمضان عام ١٣٧٥هـ ، وكانت ثلاث محاضرات في رمضان ، فصادف الموعد الوقت بين المغرب والعشاء ، ورغم ذلك لم تتأثَّرِ الحفلات ، ولم يقلَّ الحضور ، أو ينقص الاهتمام[1] .

ودُعِيَ العلاَّمةُ قبل المحاضرة الأخيرة بتاريخ ١٥ شوال ١٣٧٥هـ (الموافق ٢٦ مايو ١٩٥٦م) ، من قبل سعادة الدكتور أحمد السمَّان نائب رئيس الجامعة على حفلة غداء في فندق الشرق ، ودعي إليها أساتذة الجامعة ، وعددٌ كبيرٌ من أعيان البلد ووجهائها ، وكان العلاّمة الشيخ محمد بشير الإبراهيمي ، مجاهد الجزائر وقائدها الفاضل موجوداً حينذاك في دمشق ، وحَضر هذه الحفلةَ .

هكذا تمَّت سلسلة تلك المحاضرات بنجاح وتكريم ، ونالت إعجاباً شديداً وقبولاً عظيماً في جميع أرجاء العالم الإسلامي ، خاصّةً بعد أن نُشِرَتْ تلك المحاضرات في صورة كتابٍ مستقلٍّ يشتمل على أربع مجلَّدات باسم « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » .

لقد كانت للعلامة الندوي فضلاً عن هذه المحاضراتِ محاضراتٌ وأحاديثُ في

---

(١) من « في مسيرة الحياة » (١/ ٢٥٨) بتصرُّفٍ يسيرٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

المراكز الدينية والإذاعة السورية ، فمنها الحديثُ الأولُ له أذيع من الإذاعة . بعنوان « اسمعي يا سورية »[1] ذكر فيه العلامةُ بدايات قصّة معرفته بالشام ، وصلته الدينية والروحية والعاطفية بها التي بدأت أيام الصبا ، ثم ذكر تلك الشخصيات الجليلة في الشام ، وعدَّ منها من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وعظماء التاريخ الإسلامي ـ التي هي ثروة إسلامية دفينة في ثرى الشام الطيبة ، وزينة وحلية ، ومصدر اعتزاز وكرامة لها ، وذكَرَ لهم كيف يتذكر العالمُ كله الشام الحبيبة ، وما هي المناسبات التي تذكّره بالشام ويطالبها بإعادة دورها وتاريخها ، ثم شرح لهم سرَّ مَجْدِها الغابر ، وكيف أنّها شملت الجزءَ الكبيرَ من العالم بعطفها ورحمتها وظلالها الوارفة ، وكيف يمكن أن تستعيد الآن هذا المجد وتلك العزّة ، وأنَّ الشعوب لا تتبوَّأ منصب الحب والعزة والكرامة باللغات والآداب ، والمدنيات والقوميات ، بل تتبوَّأ هذا المنصب برسالاتها ودعواتها الخاصة ، وأهدافها الصالحة ، وخدمتها المخلصة للإنسانية البائسة ، وأنَّ على الشام أن تجاهد لها ، وأنَّ نجاة العالم اليوم مرهونة بتعاون وتلاقي الشرق والغرب ، الشرق بإيمانه وروحه ، والغرب بتكنولوجيته وعلومه الجديدة ، وتستطيع الشامُ أن تساهم مساهمة فعّالة في هذا العمل البنَّاء التاريخي .

وقال أخيراً :

> « إنَّ نعمة الإسلام التي حُظيت بها الهند على يد محمد بن القاسم الثَّقَفي ، الّذي كان أحد القادة الدعاة في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، وكانت دمشق هذه هي عاصمة الوليد ، إنَّ هذا النداء والاعتراف إنما هو نوعٌ من المكافأة والشكر على ذلك الإحسان والمنة العظيمة ، وإنما هي ضريبة الحبِّ والوفاء والإخلاص .

أمّا الحديث الثاني في الإذاعة السورية فكان بعنوان « محمد إقبال في مدينة الرّسول ﷺ[2] » الّذي نقَلَ فيه العلاَّمةُ أبياتَ محمد إقبال مِن ديوانه « هدية الحجاز » الدافقة بالعواطف والأشواق ، والمفتّقة للقرائح إلى اللغة العربية ، وحكى قصّة رحلة

---

(١) اقرأ هذا الحديث في « إسمعيات » بعنوان « اسمعي يا سورية » .

(٢) انظر هذا الحديث في « روائع إقبال » ص(١٨٨) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

محمد إقبال إلى مدينة الرّسول ﷺ الّتي حَلَّق فيها على جناح الشوق واللهفة والحبِّ في عالم الخيال .

مشاركته في مؤتمر العالم الإسلامي أثناء إقامته في دمشق :

خلال إقامة العلامة الندوي بدمشق عُقِدَ المؤتمر الإسلامي في ٢٦ يونيو عام ١٩٥٦م بإشراف الدكتور محمد معروف الدواليبي .

شارَكَ في هذا المؤتمر كبارُ رجال الفكر والدعوة من أنحاء العالم الإسلامي ، كانَ منهم : الأستاذ أبو الأعلى المودودي ، والعلاّمة المفتي محمد شفيع الدِّيُوبندي[1] (مفتي الجمهورية الإسلامية الباكستانية) ، والأستاذ ظفر أحمد الأنصاري من باكستان ، وعُيِّنَ فيه العلامةُ الندوي نائباً للرئيس ، والأستاذ المودودي رئيساً .

وألقى العلامةُ في هذا المؤتمر محاضرةً بعنوان « ارتباط قضية فلسطين بالوعي الإسلامي »[2] ، وقد ذكر فيها : أنّ الآمال الّتي علّقها بصدد قضية فلسطين المهتمّون بها وقادتها وزعماؤها بالعالم الإسلامي في التناصر والتعاضد والاهتمام والحماس الّتي هي أمضى سلاحٍ في هذه القضية ، وأكبر قوّةٍ مؤثّرةٍ على الرأي العام العالميّ ، إنها تعتمد ـ كلياً ـ على عواطف المسلمين الإيمانية ووعيهم لقضايا الأمة . ولعلّ المحامين عن هذه القضية والممثّلين عنها لا يعرفون مدى الانحطاط والتردّي الذي أصيبت به الأمة الإسلامية في هذا الجانب ، وإلى أيّ حدٍّ بردت هذه العاطفة وخمدت هذه الجذوة الإيمانية ، وضعف هذا الوعي الدينيّ ، فليهتمّ قادتُنا وساستُنا والمهتمّون بهذه القضية وحماتها بهذا الجانب المعنوي الحسّاس ؛ لأنه هو الحلّ الأساسي لكل مشكلة ، والمفتاح الوحيد لكل قفل ، إنّهم في حاجة أكيدة إلى جهود جديدة مضاعفة للنهضة الإسلامية في العالم الإسلامي ، ثُمَّ شرَحَ أخيراً باختصارٍ منهجَ العمل ، والأسباب الحقيقية للانحطاط .

---

(١) هو والد العلاّمة الفقيه القاضي محمد تقي العثماني ـ حفظه الله وأمتع به ـ، كان من كبار علماء الهند ، هاجر إلى باكستان وأسّسَ هناك مدرسةً إسلاميةً تعدُّ اليوم من كبرى الجامعات الإسلامية فيها ، عيّن مفتياً لجمهورية الباكستان الإسلامية ، وبقي على هذا المنصب حتى وافاه الأجل المحتوم عام ١٣٩٦هـ .

(٢) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (٢/ ٨٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

وأثناء إقامته بدمشق تكرَّرت زياراتُه لمجمع اللغة العربية الّذي كان ولا يزال يُسْمع باسمه ، ويُقْرأ عن إنجازاته الجليلة والعظيمة ، ومساهمته في نشر كتب التراث العربي وإحيائه ، والّذي كانت العضوية فيه تكريماً كبيراً لأيِّ عالمٍ أو باحثٍ ، وقد كان مِن أعضائه فاضلان معروفان من فضلاء الهند ، أحدهما : مسيح الملك حكيم أجمل خان[1] ، والثاني العلاّمة عبد العزيز المَيْمَنِي[2] . وخلال إقامته بدمشق تعرّف عليه وأنس به رئيسُ المجمع الأستاذ خليل مردم بك ، وبعد عودته إلى الهند اختاره المجمعُ عضواً مراسلاً لما اتُّصف به من العلم الجمّ والبحث الدقيق في الثقافة العربية والإسلامية ، وجهوده الجبّارة ومساعيه المشكورة في هذه الميادين .

سفره إلى لبنان وتركيا :

انتهَزَ العلامةُ الندويُّ فرصةَ إقامته بدمشق ، وقام برحلتين إلى الخارج ، إحداهما : إلى لبنان ، والثانية إلى تركيا ، سافر إلى لبنان في ٤ ابريل ١٩٥٦م وزار بيروت وطرابلس ، والتقى فيها مع الشخصيات الدينية والعلمية والأدبية ، وقادة وزعماء الحركات الدينية والجماعات الإسلامية ، أمثال الشيخ محمد علايا (مفتي جمهورية لبنان) والأستاذ محمد عمر داعوق (مؤسِّس حركة عباد الرحمن وقائدها) ، والشيخ شفيق يموت (رئيس المحكمة الشرعية) ، والأستاذ محمد أسد ـ ليوبولد وايس سابقاً ـ المؤلِّف المهتدي الفاضل المعروف الّذي كان مقيماً في بيروت بصدد

---

(١) هو الشيخ الفاضل العلاَّمة أجمل بن محمود بن صادق بن شريف الدهلوي ، الحكيم الحاذق المشهور ، المعروف بحاذق الملك ، أحد الأذكياء الماهرين في الصناعة الطبية ، وله شهرةٌ عظيمةٌ في بلاد الهند ، لقَّبته الدولةُ البريطانية عدَّة ألقابٍ سامية اعترافاً بخدماته الطبيَّة وعلوِّ المنزلة في أهل الهند . سافر إلى الشرق والغرب مرات ، كانت له مشاركةٌ جيدةٌ في العلوم الأدبية ، توفي ـ رحمه الله ـ بمدينة رَامْفُوْر عام ١٣٤٦هـ . وله مصنَّفات كثيرة .

(٢) هو العلاَّمة المحقِّق ، اللغوي الأديب الأستاذ عبد العزيز بن عبد الكريم المَيْمَنِي الرَّاجْكُوْتِي . أخذ العلم عن كبار العلماء والمحدِّثين لعصره في الهند ، وأكَبَّ على الأدب العربي ، فحفِظَ نحواً من مئة ألف بيت ، وبرع بفقه اللغة والأدب ، رحل إلى البلاد العربية مرات فأفاد من كنوز مخطوطات مكتباتها . توفِّي ـ رحمه الله ـ عام ١٣٩٩هـ (١٩٨٧م) ، وله مؤلفات قيمة في الأدب واللغة . اقرأ ما كتبه العلاَّمة الندوي عنه في : « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص(٣٢٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

تأليف الجزء الثاني من كتابه « الطريق إلى مكة » والأستاذ الفُضيل الوَرْتَلاني (المجاهد الجزائري المعروف) والدكتور مصطفى الخالدي (الداعي العامل المعروف في المجالات الاجتماعية) .

وزار في بيروت مركزَ عباد الرحمن والكلية الشرعية ، وخلية الملك سعود التي هي مركز إسلامي ببيروت ، وقاعة للمحاضرات والحفلات والاجتماعات الإسلامية .

وزار في طرابلس كلية الشريعة ومركز المولوية ، ومدرسة الغزالي ، ومدرسة ابن خلدون وغيرها .

وألقى العلامةُ محاضرة في بيروت في خلية الملك سعود ، كان موضوعها « الشعوب لا تعيش على أساس المدنيات ، بل تعيش بالرسالات ، وتعضدها روحها وخصائصها »[1] .

ثمَّ توجَّه من طرابلس إلى تركيا ، وزار أرضها الكريمة الطيبة الندية الّتي ازدانت وازدهرت بدماء الشهداء الزكية ، والّتي كانت على مدى قرون وأجيال رمزاً لكرامة العالم الإسلامي ، ووتداً راسياً في البلاد الصليبية بأوربا ، وحارسةً للحرمين الشريفين ، وقلعةً حصينةً للأماكن المقدَّسة والبلاد العربية .

شاهد العلامةُ الشوكةَ التركيةَ ، ورأى أسود هذه الأمة الغَيُور وصقورها ، ثم شاهد أيضاً نتائج الجهود المنتظمة القوية التي قام بها أتاتورك للقضاء على الآثار الإسلامية والعربية ومحوها ، ورأى آثارَ البُعد عن الثقافة الإسلامية والحرمان من المكتبة الإسلامية بتغيير الخط العربي إلى الخط اللَّاتيني .

وقد حكى العلامةُ قصّة كلِّ ذلك في مذكراته اليومية[2] ، ثم سافر إليها عام ١٩٦٤م ، فعام ١٩٨٦م ، فعام ١٩٨٩م فعام ١٩٩٣م ، فعام ١٩٩٦م وكانت رحلاته الأربع الأخيرة لحضور مؤتمرات رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، والتي انعقدت فيها .

---

(١) انظر هذه المحاضرةَ في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » بعنوان « الأمم والحضارات لا تعيش إلا بالشخصيات والرسالات » (٢/ ٢٦٤) .

(٢) اقرأ عن هذه الرحلة في كتاب « رحلات العلامة أبي الحسن الندوي . . . » ، ص(١١٠) » .

www.abulhasanalinadwi.org

زيارة بغداد :

إبَّان عودته من دمشق قاصداً الهندَ تاقت نفسه إلى زيارة ذلك البلد الذي قرع أسماعه أوّلاً ـ بعد مكة المكرمة ، والمدينة المنوّرة ـ أيام صباه الأولى ؛ إنها بغداد ، فقد كان يقرأ « القاعدة البغدادية »[1] ، وكان يسمع بيتاً مِن نظم شاعر الهند الإسلامي الكبير « حالي » يقول في بغداد :

« تلك البلدة الّتي كانت مفخرة البلاد التي كانت تحكم البرَّ والبحرَ ، وأولئك الأبطال الذين ارتجَّت بهم البلاد ، وسُمِعَت أصداؤهم في الدول والحكومات ، ينامون النومة الأخيرة في مقابر بغداد » .

أقام العلاّمة في بغداد يومين أو ثلاثة أيام ، زار فيها الآثار والأماكن التاريخية التي تعجُّ بها هذه المدينة العظيمة العامرة .

---

(١) وهو كتاب صغير للتعريف بالحروف الهجائية والتمرين على استعمالها .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى الكويت

عام ١٩٦٢م

قام العلاّمة الندوي برحلة دعوية إلى الكويت عام ١٩٦٢م ، وقضى فيها عشرة أيام ، واتصل بالشخصيات الموقَّرة مِن أوساطها الدينية والأدبية والعلمية ، وألقى عدةَ خطب للجمعة ، ومحاضرات في الجمعيات الإسلامية والمراكز الدينية ، ومن أشهر الخطب والأحاديث التي ألقاها بالإذاعة الكويتية بعنوان : « اسمعي يا زهرة الصحراء »[١] الّتي ذكر فيها أولاً ظهور دولة الكويت فجأة ورقيَّها ونهضتها وازدهارها ، كتفتّح زهرة غضة في الصحراء ، ثم لفت الأنظارَ إلى ما تستطيع الكويت أن تقوم به مِن دورٍ رياديٍّ في المدنية الحاضرة وعلى الخريطة العالمية ، وما هي شخصيتها وسيرتها المثالية التي ينبغي أن تظهر بها أمام العالم ، وقدرتها على تبوُّء مكانة السيادة والعزّة والكرامة في العالم .

وقدَّمَ في هذه الرحلة رسالةً[٢] إلى أمير الكويت الشيخ عبد الله السَّالم الصَّباح ، شرح فيها سَبيل رقي العرب وازدهارهم ، ووحدتهم وقيادتهم ، وحلٌ قضاياهم ومشاكلهم ، ونبَّه أخيراً إلى خطر بناء معابد لغير المسلمين في هذه الدولة المسلمة[٣] ، التي بدأت تؤسَّس وتقام في الكويت والإمارات العربية ، والتي تُخالِف صراحة وصية الرسول ﷺ : « لا يَجْتَمِعُ دِيْنَان في جزيرة العرب »[٤] .

بعد هذه الرحلة إلى الكويت كانت للعلاَّمة رحلاتٌ متعدِّدة إليها عام ١٩٦٨م ، ثم ١٩٨٣م ، ثم عام ١٩٨٧م .

---

(١) اقرأه في « اسمعيات » ص (٤٣) .

(٢) انظر هذه الرسالة في كتاب « خطاباتٌ صريحةٌ إلى الأمراء والرؤساء » للعلاّمة الندوي ، ص(٣٩) .

(٣) أُخبِر العلامة الندوي بأن الحكومة الكويتية سمَحَتْ للهندوس المقيمين فيها ببناء المعابد الوثنية ، لذا نبَّه إليها بخطر ذلك .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ، في كتاب الجامع ، باب ما جاء في إجلاء اليهود ، برقم (١٦٩٧) مرسلاً عن ابن شهاب ، وابن أبي شيبة في المصنَّف (٦/ ٤٦٨) برقم (٣٢٩٩٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

www.abulhasanalinadwi.org

زيارته للبلدان الأوربية

عام ١٩٦٣م

قام العلاّمةُ الندويُّ برحلة إلى أوربّة في سبتمبر عام ١٩٦٣م بدعوةٍ من صديقه الجليل الدكتور سعيد رمضان المصري للمشاركة في الجلسة الاستشارية للمركز الإسلامي بجنيف ، وقضاء أيام مع الطلاّب المسلمين المغتربين ، وإلقاء الخطب والمحاضرات عليهم ، وهذه كانت أولى الرحلات له إلى بلاد الغرب .

وقد زار العلامةُ في هذه الرحلة جنيف ، ولوزان ، وبرن ، وباريس ، ولندن ، وكيمبرج ، وأكسفورد ، وغلاسغو ، وإيدمبرا ، وزار كذلك إسبانيا : مدريد ، وقرطبة ، وغرناطة ، وإشبيلية .

وألقى خلال هذه الرحلات أحاديث ومحاضرات ، منها حديثٌ في المجلس الإسلامي بجامعة إيدمبرا ، وخطاب في قاعة الاتحاد الطلابي بجامعة لندن ، وخطابات في إذاعة B.B.C. ، أحدهما بعنوان « انطباعات لأحد زوّار لندن » ، وكان الثاني حواراً حول موضوع الإمكانيات للرقي باللغة العربية وتقدّمها وتطوُّرها وصلات البلدان الإسلامية بها ، وكانت أهمّ محاضراته الّتي ألقاها في جامعة لندن تحت عنوان « بين الشرق والغرب » ، وقد نالت إعجاباً شديداً بعد أن نُشرت مترجمةً إلى اللغة الإنجليزية تحت عنوان : (Between the East and west)

والتقى في هذه الرحلة بأفاضل رجالات الغرب والمستشرقين ، كرئيس القسم العربي بجامعة أكسفورد البروفيسر بيكتون (Becton) ، والمستشرق المعروف الدكتور آربري (Dr. Arbery) ، والأستاذ باسيم (Bashem) ، والمستشرق إريكبيرت (Ericberth) ، وكذلك التقى بفضلاء المسلمين : كالأستاذ محمد أسد ، والدكتور حميد الله الحَيْدَرْآبادي ، والدكتور زكي علي المصري ، واستفاد كثيراً في أثناء إقامته في لندن من مكتبة المتحف البريطاني ، ومكتبة إنديا آفِس .

www.abulhasanalinadwi.org

زيارته للأندلس :

لقد كان أهمُّ مراحل هذا السفر وأحَبُّها إليه هوَ زيارة الفردوس المفقود الأندلس (إسبانيا اليوم) ، وشعر العلامة الندوي فيها ـ حسب تعبيرة ـ بذلك الأنس والقرب والودّ حتى كانت أجواءها تعانقه ، وتضمّه إلى جوانحها ، وتحكي كلُّ ذرة من ذراتها رسالة الحب والأنس .

لقد وجَدَ في الصلوات هناك وفي ذكر الله من الرقة والروحانية والتأثير ما لم يجده إلاّ في أماكن معدودة ، زار أطلالَ مدينة الزهراء ، وآثار الحمرلء وسقوفها وجدرانها ونقوشها وكان ينشد بلسان الحال :

لمَن الديارُ ببرقة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان
صدعُ الليالي إذ رمين دياره صدع الزُّجاجة ما لذاك تُدان

لقد نكأت هذه الرحلةُ جروحه وقروح قلبه ، وأصبح تاريخ المجد الحافل والقوّة والشوكة والسلطان ، والعلم والفضل والكمال عبر القرون والأجيال الّذي انبثَّ على آلاف من صفحات « نفح الطيب » و « الحلل السُّندسية » والّذي كان قرأه العلامةُ في « غابر الأندلس وحاضرها » للعلامة كرد علي و « أخبار الأندلس » للشيخ خليل الرحمن تمثّل أمامه في عالم الخيال ، وعاد في ذاكرته غضّاً طريّاً .

فلمّا زار قرطبة بدأت ترنّ في أذنه قصيدةُ شاعر الإسلام الدكتور محمّد إقبال الرائعة بعنوان « مسجد قرطبة »[1] وتذكّر العلامةُ هناك هذه الأبيات منها :

(إنَّ روعتك وجمالك وجلالك ومهابتك دليلُ رجال الله ، فهم من الجمال والروعة والمهابة بمكانك أنت من الجمال والجلال ، بنيانك قويٌّ محكمٌ ، وأعمدتك كثيرةٌ لا تعدُّ ، كأنها في صحراء الشام جنّات من نخيلٍ)[2] .

وبعد هذه الرحلة كانت للعلاّمة رحلاتٌ إلى أوربة عام ١٩٦٤م ، ثم عام ١٩٦٩م ، ثم عام ١٩٨٣م ، ثم تكرّرت رحلاته إلى بريطانية .

---

(١) اقرأ هذه القصيدة المترجمة بالعربية شعراً ونثراً في « ديوان إقبال » (١/ ٤٧٥) إعداد المؤلّف ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) كتب العلاّمة الندوي إثر هذه الرحلة مقالاً عنها ، فاقرأه في « مقالات إسلامية في الفكر والدعوة » (١/ ١٣٥) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

زيارة الدول الإسلامية في غرب آسيا (الشرق العربي)

عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م

قرَّرَتْ رابطةُ العالم الإسلامي عام ١٩٧٣م ، أن تُرسل لها وفوداً إلى مختلف بلدان العالم ، كانت برامج هذه الوفود تشتمل القارات الخمس لهدف الأطلاع على أوضاع المسلمين ومؤسّساتهم ومنظَّماتهم العلمية والثقافية وحاجاتها وأعمالها ونشاطاتها ، وتعريف أهلها بأهداف رسالة الرابطة .

وقد قدَّمَت الرابطةُ إلى العلامة الندوي قائمة بمختلف البلدان الّتي ستَتَوجَّه إليها الوفودُ ، منها البلدان الغربية كأمريكة وأوربّة ، ومنها البلدان الشرقية كاليابان وأندونيسيا ، ولكنَّه أحبّ المشاركة في الوفد الذي كان يتوجه إلى أفغانستان ، وإيران ، ولبنان ، وشرق الأردن ، والشام ، لصِلاته الثقافية والفكرية ، وصِلاته التعليمية بها ، فاختارته الرابطةُ رئيساً للوفد .

ابتدأ الوفدُ هذه الرحلة من كابُول عاصمة أفغانستان ، وأنهاها بعَمَّان عاصمة الأردن ، وكانت ما بين ٤ حزيران ١٩٧٣م و ٢٠ من آب ١٩٧٣م ، ولذلك حَلاَ له أن يسمِّي الكتابَ الّذي ألَّفه عن هذه الرحلة بهذه التسمية : « مِن نهر كابُول إلى نهر اليرموك »[1] وخلال هذه الرحلة أتيحت له فرصة لزيارة هذه البلدان والتجوُّل فيها ، ومشاهدتها بحرية ومن غير كلفة ، قبل أن تندلع في أرجائها الثورات الّتي قلبتها رأساً على عقب ، فقد وقعت أفغانستان وإيران ، والعراق ـ إلى حدٍّ ما ـ تحت سنابك الثورات .

وبعد تشكيل وفدٍ جديدٍ بدأَ العلامةُ جولة أخرى في ٢٩ يوليه ١٩٧٣م كانت محطتها الأولى بيروت ، وخلال هذه الجولة في بيروت زار المؤسّسات والمنظمات

---

(١) وقد ألحقناه بـ« رحلات العلامة أبي الحسن الندوي . . . » .

www.abulhasanalinadwi.org

المختلفة ، وحضر حفلات الترحيب المتعددة ، وزار طرابلس ، وصور ، وصيدا ، والتقى أعيان البلد وقادته والوزراء المسلمين ، وكبار العلماء ، وأقيمت حفلةُ شرفٍ وتكريم له في دار الإفتاء في لبنان تحت إشراف ورعاية مفتي لبنان الشيخ حسن خالد ، وحَضَرها دولة الرئيس آنذاك الأستاذ تقي الدين الصلح رئيس وزراء لبنان ، ودولة الرئيس الأستاذ صائب سلام رئيس الوزراء الأسبق ، وعددٌ من الوزراء وأعضاء مجلس النواب ، وأعيان البلد ، وكبار العلماء والقضاة الشرعيين والأساتذة الكبار ، ورجال الفكر والثقافة في لبنان .

ألقى فيها العلامةُ كلمة على هذا المسرح العالميّ وملتقى الحضارات بعنوان : « موقف الشعب المسلم في ملتقى الحضارات »[1] ونبَّه فيه إلى مسؤوليات العلماء المختصِّين في الفقه الإسلامي .

---

(١) اقرأ هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلة إلى الخليج العربي

عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م

قام العلامة الندوي بزيارة قصيرة لإمارتي أبو ظَبي ودُبي بناءً على دعوة من حاكم الشارقة الشيخ سلطان محمد القاسمي الذي كان شديدَ الإعجاب بشخصية العلاَّمة ، وألقى في هذه الرحلة خطاباً في مسجد عليّ بن أبي طالب في الشارقة بعنوان « خليج بين الإسلام والمسلمين »[١] وذكر فيه أنه كما يقع هذا الخليج بين إيران والبلاد العربية وانفصلت به القطعتان من الأرض كذلك ، مِن المؤسف والمؤلم أنه قد وَقَع هناك خليجٌ بين الإسلام والمسلمين ، فالتعاليم الإسلاميَّة في وادٍ والمسلمون الذين يدينون بها في وادٍ ، وواجبات الخلافة والمكانة تتطلب شيئاً ، ومسيرة المسلم ومنهجه ودوره على مسرح الأحداث في العالم تبتغي شيئاً آخر .

وفَصَّلَ العلامة القول في هذا الانفصال الشديد غير الطبيعي ، ودعا إلى العودة إلى الإسلام ومسيرة المسلمين الأولى ، وذكر ما يلحق المسلمين والعالم كلَّه من الخسائر بسبب هذا الوضع الشاذِّ البعيد عن الفطرة والأصالة .

وكان له خطابٌ آخرٌ في هذا السفر بُدَيَي في مكتبتها العامة بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٧٤م ، حضره عددٌ جمٌّ من أعيان البلد والعلماء والفضلاء والأساتذة ، وكان عنوان الخطاب « كيف دَخَلَ العرب في التاريخ ؟ »[٢] .

ذكر فيه العلامةُ كيف استطاع العرب أن ينالوا تلك المكانة السامية في التاريخ ، ولفتوا إليهم أنظارَ العالم ، وشغلوا أقلام المؤرِّخين بتدوين مآثرهم ومفاخرهم وفضائلهم ذاكراً الأسباب الحقيقية وراء ذلك ، والسِّرَّ الّذي يكمن خلف تلك المكانة .
كانت للعلاَّمة رحلاتٌ متعدِّدة إلى الخليج (الإمارات العربية المتحدة) إثر هذه الرحلة ، زارها عام ١٩٧٦م ، فعام ١٩٨٣م ، فعام ١٩٨٨م ، فعام ١٩٩٣م ، فعام ١٩٩٩م، مُنِحت له في زيارته الأخيرة جائزة « الشخصية الإسلامية لعام ١٤٢٠هـ »[٣] .

---

(١) اقرأ هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية . . . » (١/ ٦٢) .
(٢) اقرأ هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية . . . » (٢/ ١٦٥) .
(٣) انظر صفحة (٣٢٩) من هذا الباب .

www.abulhasanalinadwi.org

زيارة المغرب الأقصى

عام ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م

سافَرَ العلاَّمة الندوي إلى المغرب إثر دعوةٍ من رابطة الجامعات الإسلامية (التّي اتخذت مقرَّها الرئيسي في الرباط) ، وكان منذ عدة أعوام عضواً فيها ، وكان كثيرَ الاشتياق للسفر إلى ذلك المغرب الإسلامي لا سيّما مدينة طرابلس ، وتونس والجزائر التاريخية ، التي لم يكن زَارَها من قبل ، وأخيراً وصل إلى الدار البيضاء ، وفوجىء في إحدى المأدبات بزيارة أستاذه الجليل الشيخ تقي الدين الهلالي المرَّاكشي .

بدأ مؤتمرُ رابطة الجامعات الإسلامية في ١١/ مايو ١٩٧٤م ، وكان من خطابه في الحفل الافتتاحي :

« إنه لغزٌ من ألغاز التاريخ : أن الحركة العلمية الكبرى في العلم الإنساني والحركة التأليفية والكتابية الكبرى في النوع البشري نبعتا من نبوة نبيٍّ أميٍّ ، إن ارتباط هذه الحركة العلمية وهذه الخدمة الهائلة للعلم والثقافة ـ التي كانت هذه الأمة حاملة لوائها ـ بهذه الأمية ، يُثير تساؤلاً تاريخياً يتطلب من عقلاء العالم ، ورجالات فلسفة التاريخ إجابةً مقنعةً عليه ، وصدق الشاعر الإيراني والحكيم الرّباني الشيخ مصلح الدِّين الشِّيرازي المعروف بسَعدي حينما قال : (إنَّ اليتيم الّذي لم يتلقَّن مبادىء العلم استطاع أن ينسخ مكتبات الأديان ، وجَعَلها لا تغني غناءً ولا تحمل معنىً) لكن المرء قد يفهم من هذا البيت أن معجزة النبي ﷺ في هذا الصدد كانت سلبية ، حيث إنه نسخ المكتبات والذخائر العلمية القديمة الّتي كانت قد تجرَّدت عن رسالتها ودورها الإيجابيّ ، وبدأت تمثِّل دور التضليل ونشر الأباطيل ،

www.abulhasanalinadwi.org

لكن الواقع أنَّ هذه المعجزة كانت إيجابيةً بنَّاءة أكثر من أن تكون سلبية ، إنه نسخ ذخيرة كتب محدودة ، لكنه حَبَا الإنسانية بمكتبات واسعة زاخرة ينقطع نظيرها في تاريخ الأمم » .

استمرّت جلساتُ المؤتمر إلى ١٣/ مايو ١٩٧٤م ، ونظَّمت خلالها وزارةُ الثقافة حفلاً كبيراً ، ألقى فيه العلامةُ خطاباً بعنوان : « أزمة العالم الحقيقية »[١] ، وقد نشرته إذاعة المغرب ، وكانت خلاصة خطابه وجوهرها ما يلي :

« إنَّ أكبر ما يعانيه العالم الإسلامي من الفراغ والعوَز ، وأشد ما يقاسيه من أزمات هو الضعف الإيمانيُّ ، والفساد الخلقي ، والتزعزع العقائدي ، وحين أردُّ هذا الوضع الّذي يعيشه المسلمون إلى الأزمة الإيمانية ، فإني لا أريد به مفهوم الإيمان الكلامي والاعتقادي الّذي يخرج به الإنسان من دائرة الإسلام ، وتجري عليه الأحكام الشرعية ، ويكون مخاطباً بالآداب الدينية ، وإنما أريد بذلك تلك الحرارة الإيمانية ، والصلابة في العقيدة ، والإيمان كلَّ الإيمان بكون الإسلام هو الوسيلة الوحيدة للنجاة والخلاص والفوز في الدنيا والآخرة ، والّتي كانت مزيةَ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الأمر الّذي تغلغل في أحشائهم ، وملك عليهم عقولهم ، وجرى منهم مجرى الدم والروح » .

ثم غادر العلاَّمةُ الرباط بتاريخ ١٥/ مايو ١٩٧٤م إلى مراكش المدينة التاريخية في المغرب الأقصى ، والتي لم تزل مركز الحكومات الإسلامية وعاصمتها ، لطالما ذُكِرَ اسمها مكان المغرب الأقصى ، حتى سمِّيت تلك المنطقة كلُّها مراكو (Morocco) . ومكث في الطريق حيناً في الدار البيضاء ، وحَضَرَ فيها حفل تأبين لزعيم المغرب العلاّمة علاّل الفاسي[٢] وألقى فيه كلمة ، وذكَرَ مزاياه الّتي كان أوّلها « أنه بدأ حياته

---

(١) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكرو الدعوة » (١/ ١٧٦) .

(٢) كان يعرفه العلامة الندوي شخصياً من قبل ، وصَاحَبَه في عدة جلسات في مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية بالرباط ، وقد لحق باللطيف الخبير عام ١٩٧٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

العلمية عالماً دينياً ، فكان أستاذاً فاضلاً في جامعة القرويين قبل أن يكون زعيماً سياسياً ، وأن بينه وبين علماء الهند شبهاً كبيراً ، فقد قادوا حركة التحرير للبلاد : وأمَّا ميزته الثانية فدراسته للنظم والفلسفات المعاصرة بدقةٍ وعمقٍ ، ولم يتخلف عن ركب العلم والحضارة البتَّة ، كما ذَكرَ أنه كان أعرف بعلماء الهند ومفكِّريها وقادتها وزعمائها من غيره من العلماء والمفكرين العرب » .

وخلال إقامته بمراكش زار العلاَّمةُ آثارها القديمة التي عُدَّت ثروة عظيمة وذكريات جليلة للعالم الإسلامي .

وكان مِن حُسن الطالع وجميل المصادفة أن الملك الحسن كان مقيماً في مراكش أثناء مكوث العلاَّمةِ ، وأتيحت له فرصة اللقاء به في حفلة كبيرة ، وقُدِّمَ لإلقاء كلمة باسم ضيوف المؤتمر ، فقال العلاَّمةُ فيها :

« إنِّي أكتفي بالتحية الّتي علَّمنا إيّاها نبيُّنا الأعظم ، وجدّكم الأجل محمّد ﷺ ـ أرواحنا فداه ـ أعني السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكذلك أكتفي لكم بالدعاء الّذي يدعوه الخطباءُ في يوم مبارك في ساعة مباركة على منابر المساجد كلَّ يوم جمعة أعني : اللّهم انْصُر من نَصَر دينَ محمّد ﷺ واجعلنا منهم » .

وأضاف قائلاً :

« إنَّني سعيدٌ بتبليغ رسالة كريمة إليكم عن العالم الإسلامي ، أراها أمانة في عنقي ومسؤولية على عاتقي ، وهي أن المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها ينتظرون بفارغ الصبر أن يطلع مِن أفق العالم الإسلامي نجم جديد ، يعلّقون عليه آمالهم ، إنهم يعيشون وضعاً متردّياً عصيباً عجيباً ، يحتاجون فيه إلى قائد مؤمن ألمعي عصامي ، يمتاز بإخلاصه ويقينه ، وعزمه الراسخ وقلمه الواثق » .

أثناء إقامته في المغرب بدأ العلامةُ بكتابة مقال بعنوان « نحن الآن في المغرب »[1]

---

(١) انظر هذا المقال في « رحلات العلاَّمة أبي الحسن علي الندوي . . . » بعنوان « أسبوعان في المغرب الأقصى » ص(٤٠٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد بدأ فيه بقوله :

« قدِّرت لي زيارة أكثر الأقطار الشرقية الإسلامية في شرخ الشباب ، وفي فجر الحياة وظُهْرها ، وتأخرت زيارةُ المغرب الإسلامي العربي الحبيب ـ لحكمة يعلمها الله ـ إلى أن دنا الأصيل ومالت شمس الحياة إلى المغيب » .

لقد تأخَّرت زيارةُ المغرب الحبيب جسدياً ، وبحساب الشهور والأعوام ، ولكن لم تتأخر زيارته والتعرف عليه في ظلال العلم والدراسة ، وفي رحاب المكتبة الإسلامية الواسعة ، التي يشغل فيها المغرب الإسلامي حيِّزاً كبيراً ، وله فيها ركنٌ خاصٌ هو من أغنى أركان المكتبة وأجملها ، وقد عشتُ في أطيافه ، وعشت مع أعلامه ونوابغه رَذحاً من الزمن ، وتقلبتُ بين مدنه وعواصمه ، وجوامعه وجامعاته ، وحكوماته وحضارته ، وبطولاته ومغامراته ، وعثرته ونهوضه ، وسايرتُ ركب تاريخه الطويل المليء بالألوان المختلفة ، والأحداث الجسيمة ، التي تمرّ بها جميع الشعوب الحية الكريمة القويّة الراجحة في ميزان الشعوب ، والأمم الغيورة على رسالتها وشخصيتها ، المحاطة بالأعداء والمنافسين من كل جانب » .

ثم تحدَّث العلاَّمةُ فيه عن بعض العوامل التي تساعد على استعادة المغرب الأقصى القديم من جديد ، وتحصيل فتوح وانتصارات جديدة ، وقد بيَّنَ العلاَّمةُ في هذا المقال أهمية المدنية الإسلامية ، وآثارها على الحياة الإسلامية ، ودعا المغربَ الأقصى والبلدان الإسلامية إلى القيام بأداء دورها الراشد الاجتهادي في هذا المجال .

www.abulhasanalinadwi.org

زيارته لأمريكة

عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

كان يرى العلامة الندوي : أنَّ رحلة إلى أمريكة حاجة دعوية دينية وعلمية ، فإن من دأَبَ على نقد الحضارة الغربية ، والمجتمع الغربي ، والأنظمة الغربية لا بدّ أن يشاهد أمريكة ، الّتي بلغت ذروةَ الرقي العلمي والصناعي والتكنولوجي ، والّتي تركت بصماتها على سائر أقطار العالم .

وأُتيحت للعلامةِ في شهر نيسان ١٩٧٧م فرصة للسفر إلى أمريكة بدعوة من منظمتها الإسلامية المعروفة (M. S. A) لحضور مؤتمرها السنويّ المنعقد في (Indiana Bloomington) .

لقد شملت هذه الرحلةُ جميع المدن ذات الأهمية الحضارية والتعليمية والصناعيَّة في شمال أمريكة وكندا الّتي يقيم فيها عددٌ كبيرٌ من الطلاب والأساتذة والعاملين المسلمين في مختلف مجالات الحياة ، من العرب والباكستانيين والهنود وغيرهم .

أمَّا برنامج منظَّمة (M. S. A) فقد كان محصوراً في مدينة واشنطن فحسب ، لكنَّه ارتحل بعده إلى مُدن أمريكة وكندا الشمالية ، وألقى خطاباً في مراكزها الإسلامية ، وقد زادت خطاباته ومحاضراته الّتي ألقاها في هذه الرحلة على العشرين ، وألقى بعض المحاضرات في خمس جامعات من جامعات أمريكة الكبرى ، وفي جامعة هارفرد (كيمبردج) ، وجامعة أوتار (سالت ليك ستي) ، وجامعة دترايت (آن آربر) ، وجامعة جنوب كيلي فورنيا (لوس أنجلس وجامعة كولمبيا (نيويورك) ، كما ألقى خطبَ الجمعة في قاعة الصلاة بالأمم المتحدة ، وجوامع تورنتو ودترايت ، وقد كان يحضر هذه الخطبَ والمحاضرات عدد كبير من المثقفين المسلمين في شوق واهتمام ، وقد تحدث فيها العلاَّمةُ أحاديث صريحةً واقعيةً ، ونَصَحَ المسلمين في أمريكة بما يصلح حالهم ، وقَدَّمَ لهم خلاصة دراسته وتجاربه ، نعرض هنا باختصار بعض العناوين والأفكار الهامة التي تضمَّنتها محاضراتُه . قال في إحدى محاضراته وخطبه :

www.abulhasanalinadwi.org

« إنَّ أمريكة تتمتع بحياة ميكانيكية ، ورقيٌ ماديٌ علميٌ وتكنولوجيٌ ، لكن الإنسانية فيها في سقوطٍ وزوال ، فلو نالت هذه البقعة ثروة الدين القيِّم لكان تاريخ العالم اليوم غير تاريخه ، إن أمريكة شقية وسعيدة في آنٍ واحدٍ .

سعيدةٌ لأن الله تعالى قد أنعم عليها بالخيرات المادية الوفيرة القوية الكبيرة ، والوسائل الكثيرة .

وشقيةٌ لأنها حُرمت نعمة الدين الحق ، ولأنها اعتنت بالمادة مثل ما لم تعتنِ بالأخلاق الفاضلة والوجهة الصحيحة ، فلو سئلتُ : أي ديانة أنسب وأولى بالغرب ؟ وأي ديانة أضرّ بها ، وأقلّ مناسبة ؟ لكانت الإجابة الصريحة الواقعية أنَّ أنسب ديانة لها كانت الإسلام ، وأن أضرّ ديانة بها كانت المسيحية »[1] .

وقال في إحدى المحاضرات الّتي ألقاها أمام عامة المسلمين المقيمين بأمريكة :

« حَذارِ حَذارِ مِن أن ينشأ إسلامٌ أمريكيٌ أو أوروبيٌ !!! إنَّ الإسلام يحتاج إلى طقسٍ خاصٍ وجوٍّ خاصٍ ودرجةٍ خاصةٍ من الحرارة والبرودة ، وهو يجمع في وقت بين العقيدة والعمل ، والأخلاق والمعاملات ، والعواطف والوعي والشعور ، والذوق الخاص الّذي يحيط بالإنسان ويصوغه في قالب جديد » .

وأضاف قائلاً للإخوان المسلمين المقيمين بأمريكة :

« إنَّه لا بدَّ من إيثار الإيمان والدين على كل رقيٍّ وتقدُّمٍ مهما كلَّفكم ذلك ، واطمئنوا ـ قبل كلِّ شيء ـ على النشء الجديد ، فإذا كان هو في خطر الردة الفكرية والحضارية فلا

---

(١) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية . . . » بعنوان « ما وجدتُه في أمريكة . . . وما فقدتُه » (٢/ ٤٧٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

مبرَّر لكم في بقائكم هنا ولو يوماً واحداً ، وإنْ كنتم على يقين وطمأنينة بأنكم تستطيعون أن تعيشوا هنا وِفق مرضاة الله تعالى ، ويشهد لكم ضميرُكم الحي بأنكم تحافظون على إيمانكم وعقائدكم ومستقبل جيلكم الجديد ، فإنَّ بقاءكم هنا لا يجوز فحسب ، بل يفيد ويبارك فيه »[1] .

في أواخر أيام رحلته في أمريكة ، دَخَلَ العلاَّمة يوم ٢٩/ يوليو/ ١٩٧٧م معهدَ العين في (فيلادلفيا) لإجراء عملية جراحية في عينه اليمنى بعد أن أخبره أهلُ الخبرة أن أمريكة هي أنسب مكان لإجراء هذه العملية .

وقد كتب الله لهذه العملية النجاحَ إيذاناً بحياة علمية جديدة ذاخرة بالتآليف ، حيث عاد يمشي ويتحرك ويباشر القراءة والكتابة بنفسه بعد (١٤) عاماً[2] .

---

(١) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية . . . » بعنوان « احذروا مِن أن ينشأ إسلامٌ أمريكيٌّ أوربيٌّ » (٢/ ٤٦٤) .

(٢) أُجريت له عمليةٌ جراحيةٌ في العين اليسرى عام ١٩٦٤م ، ولم يقدّر الله لها النجاح ، وبقي مضطراً إلى الاستعانة بغيره في القراءة والإملاء حتى هذه الرحلة إلى أمريكة عام ١٩٧٧م .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى باكستان

عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

سافَرَ العلاَّمة الندوي إلى باكستان في شهر يونيو عام ١٩٧٨م بناءً على دعوة رابطة العالم الإسلامي لحضور مؤتمرها الآسيوي الأول المنعقد في (كراتشي) بتاريخ ٦/ يوليو/ ١٩٧٨ ، وقد كان حضوره فيه أمراً لا بدَّ منه لكونه عضواً تأسيسياً في الرابطة ، ومواطناً هندياً له علاقات دينية وعلمية وتاريخية بباكستان الشقيقة لبلاده .

وقد افتتح الجنرالُ محمد ضياء الحق (رئيس جمهورية باكستان الإسلامية يومئذ) هذا المؤتمر ، واختير السيد أي كَي بُرُوهِي وزير القانون والشؤون الإسلامية بباكستان رئيساً للمؤتمر ، واختير العلاَّمة نائباً للرئيس ، وقد كان حضر المؤتمر كبارُ الشخصيات الّتي تمثِّل العالم الإسلامي ، وقد انعقد المؤتمر في جوٍّ هادىء رزينٍ ، وأسند الخطاب إلى العلامةِ في جلسته الأخيرة ، وبدأ خطابه بهذه الأبيات :

حمامة جرعى دومة الجندلِ اسْجعي فـأنـت بمـرأىً مـن سعـادٍ ومسمـعِ

ثم ذكر العلاَّمُة أن الرسالة التي ينبغي أن يحملها السادة الحاضرون من هذا المؤتمر ، والتي هي روح المؤتمر وجوهره ، والتي لا تزال تذكرهم بمسؤوليتهم وواجبهم الكبير كقادة ودعاة ، وورثة للرسول الكريم ﷺ في بلادهم وأوضاعهم الخاصة ، لا يمكن أن تكون أفضل من تلك الكلمة الصادقة الجريئة الّتي قالها سيدُنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم الرّدة ، والتي تمثِّل مسؤوليته كخليفة للرسول الأعظم ﷺ ، وتعبِّر عن مشاعره وغيرته الإيمانية المتأججة في صدره ، والّتي غيَّرت مجرى التاريخ حتى عاد تيار الردة تياراً آخر ، بل سيلاً عارماً اكتسح الكفر والشرك ، وفتح البلدان ، وسخّر الممالك ، كانت تلك الكلمة الجليلة :

« أينقص الدِّينُ وأنا حيٌّ ؟! »

وفي هذه الرِّحلة كانت له خُطَبٌ ومحاضراتٌ عديدة ، حضرها عددٌ كبيرٌ من أعيان المواطنين ورجال الفكر والتعليم ، وكبار العلماء والصحافيين ، العاملين في

www.abulhasanalinadwi.org

المجالات الاجتماعية ، وقد استعرض العلاَّمةُ في هذه الكلمات خلاصة تجاربه ودراساته وأفكاره لا يبتَغي من جراء ذلك عرضاً سياسياً ، ولا يفكّر في ردود الفعل الموافقة أو المخالفة .

وعرَضَ أمام الحاضرين تلك الحقائق الّتي قد يُدركها من هو في الخارج أكثر من أهل البلد ؛ لأنَّ الّذين يعيشون في درجة خاصَّة من الحرارة والبرودة يتعوّدونها ولا ينظرون إلى الأشياء إلاّ مِن خلالها ، وكان القاسم المشترك في تلك الخُطَب والمحاضرات تذكير الإخوة الباكستانيين بمسؤوليتهم ودورهم ، وتذكيرهم بذلك الإعلان العظيم والدعوىٰ الكبيرة التي قامت عليها دولة باكستان ، والتي بذل لأجلها المسلمون الهنود أكبر تضحياتهم وجهودهم ، ولكنهم لم ينتفعوا بها ، ونبَهَّهُم إلى أنَّ دراسة التاريخ الإسلامي ، وقصة ازدهار الدول والحكومات ورقيِّها وسقوطها وانحطاطها تفيد أنَّ أكبر خسارة جنتها الحكوماتُ والمجتمعات الإسلامية إنما كانت على أيدي الطامعين الحريصين على الحكم والسلطان .

وكان أهمُّ حديثٍ في هذه السلسلة ، أَلقاه العلاَّمة في إحدى حفلات الترحيب الّتي حضرها كبار الشخصيات الّتي تمثِّل الجماعات والأوساط الدينية ، والاجتماعية والتعليمية ، وقادة الأحزاب السياسية ، وكبار الصحافيين والأدباء والعلماء ، وقال فيها :

« إنَّه يجب عليكم القيام بأنواع ثلاثة من التضحيات ، ولنا إمام في تاريخنا لكل نوع من هذه التضحيات : فتضحية قام بها سيدنا خالد بن الوليد في معركة اليرموك ، فإنه لمَّا بَلَغَه : أنَّ عمر بن الخطاب عزله عن القيادة ؛ لم يَثُر ؛ ولم يقطِّب، وقال : لو كنتُ أقاتل في سبيل عمر ؛ لوقفتُ عن القتال ، ولو كنتُ أقاتل في سبيل الله ازددتُ اندفاعاً وحماساً ، وشهدت الدنيا أنه مَثَّلَ أروع الأمثلة في جهاده ، ولم يحدث هذا العزل فيه تغييراً ، بل زاده شوقاً وحنيناً إلى الشهادة .

وتضحية أخرى : قدَّم نموذجها سيِّدُنا الحسن بن علي رضي الله عنهما ، إذ تنازل عن حقِّه في الخلافة لسيدنا معاوية رضي الله عنه ، وقضى على الفرقة والخلاف .

www.abulhasanalinadwi.org

والتضحية الثالثة : تلك التي ضرب مثلها الرائع عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه بتغيير حياته ، والتغاضي عن مصالح أسرته في سبيل إقامة الحكومة الراشدة ، وإصلاح المجتمع على أُسُس الحياة والسيرة الإسلامية الفاضلة .

وهذه التضحيات الثلاث تُواجهها الأمةُ الإسلاميةُ في باكستان الآن » .

ثم قال :

إنَّ القرن الحالي يبحث عن مُعْتَصِمٍ آخر ، كالمعتصم العبَّاسي بغيرته وحميته الدينية يلزمكم أن تكونوا حماةً للحق والإنصاف والعدل والمساواة في العالم كله ، ولا يمكن لأحد في حدود قدرتكم وتأثيركم الخُلقي والاجتماعي أن يظلم أحداً أو يهضم حقوقه أو يهدر كرامته »[1] .

وخلال أيام إقامته بباكستان زار العلاَّمةُ لاهور ، وقابل هناك الأستاذَ أبا الأعلى المودودي الّذي كانت بينهما علاقات قديمة ، وكان هذا اللقاء حاراً كريماً ، وتبادلا الآراء ، والأفكار .

وكانت للعلاَّمة الندوي رحلةٌ أخرى لباكستان عام ١٩٨٤م ، ألقى فيها محاضرات قيمة في موضوعات مهمَّة ، ترجع للاطلاع على هذه الرحلة إلى : « رحلات العلاَّمة أبي الحسن الندوي » و « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » .

---

(١) انظر المحاضرات التي ألقاها العلاَّمة الندوي في هذه الرحلة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » في الجزء الثاني .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى قطر

عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

سافَرَ العلاَّمةُ الندوي إلى قطر لحضور المؤتمر العالميّ للسيرة النبوية بدعوةٍ من حكومة قطر في ٥/ محرم الحرام ١٤٠٠هـ (٦/ نوفمبر ١٩٧٩م) ، وكان عضواً في مجلسه الإداري ولجنة الاختبار ، وقد حضر المؤتمرُ شخصياتٌ مرموقةٌ موقرةٌ من تركية ، والمغرب الأقصى ، وأمريكة ، وأوربّة في البلدان الشرقية والجنوبية ، وقد أُسند إلى العلاَّمة كلمة الوفود ، الّتي أشار فيها أوّلاً إلى مؤتمرات باكستان وتركية في هذا الموضوع ، ومناسبتها ، وذكَرَ منّة البعثة المحمّدية ـ وصاحبها عليه الصلاة والسلام ـ على هذه البلاد ، وتلك الثورة العظيمة ، والحياة الجديدة التي أحدثتها هذه البعثةُ ، وأنَّ هذه المؤتمرات إنما هي شيءٌ من الاعتراف بالفضل ، والشكر على المِنَن والنِّعَم ، وقال :

« إنَّ هذه الجزيرة يجب أن تعرف نعمة الإسلام ، وأن لا تكون كنوداً ، اسمحوا لي أن أقول بكلّ صراحة ألاّ تكون كنوداً أمام هذه النعمة الجسيمة الّتي أخرجت جزيرةَ العرب من عالم الخمول ، ومن عالم التناحر ، ومن الجاهليّة الشنعاء الرذيلة الخسيسة ، الموغلة في السفالة والجهالة ، أخرجت هذه البعثةُ المحمّديةُ هذه الجزيرة العربية مِن لا شيء ، إلى كلّ شيء ، فكلُّ ما جاء في هذه الجزيرة هو من فضل البعثة المحمّدية ، وإنني أستحضر الآن بيتاً لشاعرنا شاعر الإسلام الّذي أصبح ترجماناً للفتوّة وللشهامة الإسلامية : الدكتور محمّد إقبال ، اسمحوا لي أن أنشده أولاً بلغته الّتي قال فيها هذا الشعرَ ، فإنَّ هناك عدداً من إخواننا الباكستانيين :

ازدم سيـــــرابِ آل أمّـــــي لقـــــب لإله رُست درريك صحراء عرب

يقول : لقد هبت نفحةٌ من نفحات محمد النبي الأمّي عليه الصلاة والسلام ، وفاضت قطرةٌ من ماء الحياة من فمه الّذي لم

www.abulhasanalinadwi.org

يكن ينطق إلاّ بالوحي ، فنشأت جنَّاتٌ وحدائقٌ ، وفاحت روائحُ عبير من صحراء العرب .

قدِّروا أيها الإخوان ! ارجعوا إلى الماضي السحيق ، وليس سحيقاً ، ارجعوا إلى الماضي القريب ، وما يومُ حَليمة بِسرٍّ ، وما قضية أربعة عشر قرناً بقضية كبيرة معقَّدة ، ارجعوا إلى الماضي القريب ، أين كانت الجزيرة العربية ؟، أين كانت هذه الإمارات ـ رغم دعائي وتقديري لها ـ ، أين كانت المملكة العربية السعودية حفظها الله وصَانَها من الفتن[1] ، أين كانت باكستان ، وأين كانت إيران ؟، وأين كنَّا ؟ نلتقي نحن في هذا الملتقى الكريم ، ملتقى السيرة النبوية ، ملتقى السنَّة النبوية ، لا والله لو مرّت الآلافُ من السنين ، ولو حلم الحالمون وتغنَّى الشعراء ، وكتب الأدباء ، وتكهَّن الكهَّان ، لما قُدِّر لهذه الأمّة العربية ، ولما قدِّر لهذه الجزيرة العربية أن يُرفَع لها راية أو تُسْمَعَ لها كلمة[2] .

---

(١) كانت هذه الكلمة على إثر حادثة الحرم الشريف المشؤومة بأربعة أيام .

(٢) انظر المحاضرة التي ألقاها العلاَّمةُ في هذا المؤتمر في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » بعنوان « رسالة سيرة النبيِّ الأمين إلى إنسان القرن العشرين » (٣/ ٤٧٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

سفره إلى سريلانكا

عام ١٩٨٢م

سافَرَ العلاَّمة الندوي إلى سيلان (سري لانكا) في شهر فبراير ١٩٨٢م بناءً علي دعوة من معالي الشيخ محمد عل الحركان[١] لإلقاء المحاضرات في الجامعة النَّظِيْمِيَّة ، وهي مؤسَّسة تعليمية كبيرة في سريلانكا ، وقد رغب إلى العلاَّمةِ مؤسِّسها الحاج محمّد نظيم أن يكرّمه بزيارة الجامعة .

وألقى العلامةُ كلمةً في إحدى حفلات الجامعة ، وقال فيها :

« لقد شاع عن هذه البلاد روايةٌ مشهورةٌ ـ دون أنْ نقطع بصحتها أو نتحمّل عهدها ـ أن جَدَّنا وأبا البشرية جميعاً آدم عليه السلام هبط من الجنة على هذه الأرض ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس إنّ ربَّكم واحدٌ وإنَّ أباكم واحدٌ »[٢] .

إنَّ هذا الإعلان الّذي هو أساسٌ محكمٌ للأخوّة البشريّة ـ ينبغي لكونكم آل مهبط آدم ـ حسب الرواية المشهورة ـ أن تعلنوه عشر مرات إذا أعلنته البلاد الإسلامية مرةً واحدةً ، ولو قالوه خفيةً وعلى حياء ، فأنتم أحرى بأن ترفعوه مدوّياً مجلجلاً ، وتكونوا دعاته وحملته » .

وقد كانت له هناك ـ غير هذا الخطاب ـ أحاديثُ متعددةٌ أمام الطُلاّب ، والأساتذة ، وأهل البلاد .

---

(١) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وقتئذ ، توفي عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) ، رحمه الله تعالى .
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤١١) برقم (٢٣٥٣٦) من حديث أبي نضرة .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى إنكلترا

عام ١٩٨٣م

سافَرَ العلاَّمة الندوي إلى لندن في شهر مايو عام ١٩٨٣م بدعوةٍ من الباحث الإسلامي الهندي الكبير الأستاذ البروفسور خليق أحمد نظامي بمناسبة تأسيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد ، وألقى العلاَّمةُ في هذه الرحلة عدَّةَ محاضراتٍ ، فمنها محاضرته القيمة بعنوان : « الإسلام والغرب » نقتطِفُ منها ما يلي :

« لقد قال أحدُ العلماء المختصّين في العلوم الغربية ، والّذي طالت إقامته في الغرب قبل أكثر من نصف قرن ، هو الدكتور محمّد إقبال عن الحضارة والبيئة الغربية :

(إنَّ نور الحضارة باهرٌ ، وشعلة حياتها ملتهبة وهَّاجة ، ولكن ليس في ربوعها من يُمثِّل دور موسىٰ فيتلقّى الهداية والإلهام ، ويبدِّد باليد البيضاء الظلام ، ولا من يُمثِّل دور إبراهيم عليه السلام ، فيحطِّم الأصنام ، ويحوِّل النار إلى برد وسلام ، إنَّ عقلها الجريء يغير على ثروة الحب ، وينمو على حساب العاطفة ، إنَّ عماليقها وثوارها قد طغى عليهم التقليد ، فلا يخرجون ـ حتى في ابتكارهم وثورتهم ـ عن الطريق المرسوم والدائرة المحدودة)[1] .

إنَّه لا بدَّ الآن لحماية الحضارة الإنسانية ، وحماية الغرب لنفسه ـ الّذي تُعَدُّ بريطانية فرداً كريماً محترماً من هذه الأسرة ، وتحمل تاريخاً رائعاً من قوّة الإرادة ، وعُلوّ الهمة ، والذكاء

---

(١) انظر « روائع إقبال » للعلامة الندوي ، صفحة (٧٥) ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

والطموح ـ من الجهود العلميّة والفكرية الثورية الواقعية المخلصة ، والجهود الجريئة المغامرة ، الّتي تنفخ في هذه الحضارة المحتضرة والمجتمع المحتضر روحاً جديدة من الحياة ، وتؤهّلهما من جديد للبقاء في العالم ، وتبرّر وجودهما واستمرارهما .

ولا شكَّ : أن جامعات هذه البلاد ، ومدارسها العلمية ، ومراكزها الفكرية ، والمؤلّفين وأصحاب الأقلام وقادة الفكر يستطيعون أن يقوموا في هذا المجال بدور كبير ، وأعتقد أن مشروع « المركز الإسلامي » الّذي يُدرَس في هذه الجامعة والّذي دعا له هذا المجلس يقوم في موضعه المناسب ، وموعده المناسب ، وسيكون حلقةً في هذه السلسلة ومَعْلَمةً في الطريق ، هذا هو الأمل الّذي ساقني ـ رغم ضعفي وزحمة أشغالي ـ إلى هذه الجامعة ، ودَفَعَنِيْ للحضور في هذه المناسبة الكريمة »[1] .

مكَثَ العلاَّمة في إنكلترا ستة أيام ، زار خلالها المراكز الإسلامية في مِدْلَند (Midland) والمنظَّمات والجمعيات الدينية في لندن ، وتجوَّل في القرى التي يسكنها عددٌ كبيرٌ من المسلمين ، كما زار المراكز التبليغية ، وأهمَّ المساجد في إنكلترا ، وكان القاسم المشترك في الخطابات والمحاضرات الّتي ألقاها : مسؤولية المسلمين المقيمين بإنكلترا ، والتنبيه إلى المنهج الصحيح ، وتفرّس الأخطار ومقاومتها ، والحفاظ على الشخصية الإسلامية .

---

(١) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » في الجزء الثاني .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى الأردن

عام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

سافَرَ العلاَّمة الندوي إلى الأردن عام ١٩٨٤م إثر دعوةٍ من المؤسسة العلمية للبحث والتأليف والتحقيق الملَقَّبة بمؤسّسة آل البيت ، الَّتي يُشرِف عليها وليُّ عهد المملكة الأردنية الهاشمية سموُّ الأمير الحسن بن طلال ، وكان العلامةُ عضواً فيها منذ سنوات ، فَحَضَر مؤتمرها السنوي الّذي انْعَقَدَ في ٢٥/ إبريل/ ١٩٨٤م ، وقد حَضَرَه كبار رجال العلم والأدب المعروفين ، والعلماء والباحثين في عدد كبير من بلاد الخافِقَين .

وقد رَحَّبَ الأميرُ الحسن بالعلاَّمة في خطابه الترحيبي ـ الّذي افتتح به المؤتمر ـ بصفةٍ خاصةٍ ، وأبدى سروره واغتباطه بمقدمه ، وطلب منه أن يلقي كلماته في المؤتمر .

فألقى العلاَّمة كلمة مرتجلة ، استعرض فيها ملخّصاً موجزاً للمدّ الإسلاميّ في الهند ، وكيف استطاع المسلمون في الهند أن يحافظوا على شخصيتهم الإسلامية ، وخصائصهم المِلِّية ، مع ما أسدوا من خدمات وحسنات لهذه البلاد ، وأشار أيضاً إلى صِلاتهم القويّة واهتمامهم البالغ باللغة العربية وآدابها وعلومها ، وأسباب هذا الاهتمام ودوافعه ، وفي مقدّمتها حبُّ الرسول ـ ﷺ ـ والصلة القوية المتينة بالحرمين الشريفين ، وغَيرتهم على الدين ، وحميتهم للإسلام ، وقد ذَكَرَ في هذا الصدد تلك الوصية الحكيمة الّتي أوصى بها الإمامُ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدِّهلوي مسلمي الهند : أن يبقوا على اتصال دائم مستمرٍّ بالحرمين الشريفين ، فلا ينقطعوا عن زيارتهما ، للحفاظ على شخصيتهم الإسلامية ، وأن يعتنوا باللغة العربية وآدابها وعلومها وقواعدها وتعليمها اعتناءً خاصاً ، يقول في رسالته المسمَّاة بـ « المقالة الوضيئة في الوصية والنصيحة » :

« نحنُ رجال غرباء هاجر آباؤنا إلى الهند ، وإنَّ عروبة

www.abulhasanalinadwi.org

النسب وعروبة اللسان مفخرتان لنا ، وهي التي تقرّبنا إلى سيّد الأوّلين والآخرين ، وأفضل الأنبياء والمرسلين ، ومفخرة الوجود ﷺ ، السعيد منا من حصلت له مشاركةٌ في لسان العرب ، والصرف والنحو ، وكتب الأدب ، واطّلع على الحديث والقرآن ، ولا بدّ من الحضور للحرمين الشريفين وتعليق القلب بهما ، وفي ذلك سرُّ سعادتنا ، والشقيّ مَن أعرض عنهما »[1] .

ونَوَّهَ العلاَّمة في هذه الكلمة بمناسبةٍ بمؤلَّفات والده العلاَّمة السيّد عبد الحي الحسني باللغة العربية التي تتناول تاريخ العلوم والثقافة الإسلامية وتطوّرها في شبه القارة الهندية على مدّ القرون ، وفهرس مؤلّفات علماء الهند باسم « الثقافة الإسلامية في الهند » الذي نَشَرَه مجمع اللّغة العربية بدمشق .

وألقى في هذه الرحلة محاضرةً حول قضية فلسطين، وبيت المقدس بمناسبة هذا المؤتمر، ووجود جمع حاشد فيه من العلماء الكبار، وقادة الفكر، ورجال السياسة المعروفين من أنحاء العالم الإسلاميّ ، وكانت خلاصة ما قَالَ وجوهره :

« إنَّ هناك شواهد مستمرة في التاريخ الإنساني ـ وفي التاريخ الإسلامي بصفة خاصة ـ أنَّ الحقيقة الحاسمة المغيّرة لمقادير الشعور ومصائر الأمم ، ليست هي القوّة الّتي تعمل على تغيير خريطة البلاد السياسية ، وخِطط الحرب الاستراتيجية ، والعَدَد والعُدَد ، والقلّة والكثرة والأوضاع الغالبة القاهرة ، بل إنَّ القوة الّتي تُحدِث الثورة والانقلاب ، وتجعل المستحيل ممكناً ، هي تلك الشخصية الّتي تملؤلها عزيمةٌ خارقةٌ للعادة ، وإيمانٌ صادقٌ ، متهيئة لتغيير الأوضاع وقلبها رأساً على عقب ، تقدِّم في سبيل ذلك كلَّ تضحية وإيثار ، والّتي لا يقرّ لها قرارٌ ، ولا يهدأ لها بالٌ إلا في ركوب المخاطر وخوض المغامرات والبطولات ، ويشهد التاريخ أنه لا تغني عند ذلك هذه

---

(١) في مسيرة الحياة : (٢/ ١١) .

www.abulhasanalinadwi.org

الإحصائيات المحبوكة الدقيقة ، وتذوب جبال المشكلات والصعوبات والمخالفات والمعَارضات كما يذوب الثلجُ أو تذوب الشمعةُ ، وتطلع شمس النصر والفتح المبين وهَّاجةً تقشع ضباب البرد ، وتقطع حجاب الظلمة ، وتخطف بالأبصار ، وهذا هو الدرس الّذي نتلقّاه من الحروب الصليبية ، وتلك هي العبرةُ في حياة صلاح الدين الأيوبي .

وقد أشار العلامةُ محمّد إقبال إلى هذه الحقيقة بأسلوبه الخاص في بيتين من شعره يقول فيهما :

« إذا كان أحدٌ هناك يناضل مثل « الكليم »[1] ، فإنه لا يزال يأتيه نداءٌ : « لا تَخَفْ » من شجرة الوادي الأيمن ، لقد انكشف عليَّ بصحبة الشيخ الرّومي[2] هذا السرّ الدقيق : إن « كليماً » واحداً مستميتاً فوق مئة ألف فيلسوف حكيم » .

وخلاصةُ الحديث وروحه ؛ أنَّ المسألة ليست مسألة إحصائيات ، فإنَّ الإحصائيّات تتغيَّر ، إنَّ حقيقة الأمر هي وجود الرجل المختار ، الرجل الّذي يملك عزيمة وإيماناً ، واعتزازاً بالدين ، وإرادةً قويةً صارخةً لتغيير الوضع مهما كان مدعَّماً بالحقائق والإحصائيات ، رجل كصلاح الدين الأيوبي .

أثَارَ هذا الخطابُ شجون المستمعين وهَاجتْ قلوبهم وذَرَفَتْ عيونهم .

أقام العلامةُ بالأردن ثمانية أيام ، وألقى خلالها خطباً ومحاضرات ، وكان موضوعُها الرئيس معجزة شهر رجب ، الإسراء والمعراج ، ومعانيهما وأغراضهما البعيدة ونتائجهما الجليلة ، وكانت هذه الخُطَبُ تشتمل على إشارات واضحة إلى انتقال الإمامة والقيادة ، ومنصب الإرشاد والهداية ، من بني إسرائيل إلى المسلمين ، وإعلان إمامة سيّدنا محمّد ﷺ للشعوب والأمم ، وأمة خاتم النبيين ، وما تمتاز به هذه الأمة الإسلامية من مكانة عالمية ومسؤولية قيادية .

---

(١) إشارة إلى موسى كليم الله تعالى .

(٢) الشاعر الصوفي المعروف ، انظر ترجمته في صفحة (٦١٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان له خطابٌ طويلٌ في ٢٧/ رجب/ ١٤٠٤هـ في جامع سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالزَّرقاء ، حضره جمعٌ كبيرٌ بخصوص تلك الليلة المباركة ، واكتظّ الجامع على سعته ، وعجّ الناس خارج الحرم ، وكانت المحاضرة الثانية في قاعة جامعة اليرموك بإربد ٢٩/ رجب/ ١٤٠٤ ، دعا فيهما العلامةُ الإخوة المسلمين ـ وقد ذكر معركة اليرموك الحاسمة ـ لأخذ الدروس منها ، وتكوين الشخصية الإيمانية المميّزة التي كانت السرَّ الحقيقيَّ وراء كلِّ المكاسب والفتوح والانتصارات .

وكان الخطاب الأخير في غرة شعبان في كلية العلوم العربية بعمّان ، ووجّه فيه العلامةُ الدعوة مستلهماً حادث الإسراء والمعراج لاستعادة القوّة المعنويّة للمسلمين ، والحفاظ على خصائص الشخصية الإسلامية للأفراد والجماعة ، الّتي انتصرت على حضارة الفُرس والرُّوم الراقية ، والمجتمع الّذي كان قد وَصَلَ إلى قمّة الرقيِّ الماديّ ، وأرست قواعدَ عهدٍ وعالَمٍ جديدٍ .

وبعد إلقاء هذا الخطاب قُدِّم إليه تمثالٌ تذكاري جميل لقبّة الصخرة كذكرى من كلية العلوم العربية .

وكانت للعلاَّمة رحلةٌ أخرى إلى الأردن عام ١٩٩٧م .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى اليمن

عام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

لا شكَّ أنَّ الشوق والحنين إلى اليمن والصلة بها ، وزيارة أرض العلم والإيمان ، وأرض النُّور والريحان أمرٌ طبيعيٌّ يشعر به قلب كل مسلم لما خَصَّ الله تعالى به أهلها من الثناء ، والوصف الحسن على لسان النبوَّة ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ فقد قال ﷺ لمَّا جاءه وفد من أهل اليمن :

« أتاكم أهلُ اليمن هم أرقّ أفئدةً ، وأَلْيَنُ قُلُوباً ، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانيةٌ »[١] وفي رواية أخرى : « والفقه يمانٍ والحكمة يمانيةٌ »[٢] .

وإضافة إلى هذه الدوافع الّتي يشترك فيها كلُّ مسلم اطّلع على ما جاء في وصف اليمن وأهلها ، ودورهم في الإسلام ؛ كان هنالك دافعٌ آخرٌ ، وهو أن العلاَّمة الندوي كان يدين في عربيته ودراسته للأدب العربي ، وتذوّقه لأستاذه الجليل الشيخ خليل بن محمّد اليماني[٣] ، الّذي يرجع إليه الفضلُ الأكبرُ في ثقافته العربية ، فقد وَرِثَ كثيراً من الخصائص اليمنية التي جرت منه مجرى الدم ؛ إذ كان من الغريب لمن يصحبه أن لا يحب اليمن ولا يحنّ لزيارتها ، ثم إنَّ إسناد العلاَّمةِ في الحديث الشريف[٤] الّذي أكرمه الله به ، هو عن طريق العلاّمة حيدر حسن خان الطُّونكي ، وهو تلميذ إمام الحديث وخاتمة المحدِّثين في الهند : الشيخ حسين بن محسن الأنصاري السعدي الخزرجي اليماني ، وكل الوسائط والشيوخ في هذا الإسناد يمنيُّون .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، برقم (٤٣٨٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه . . . برقم (٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر تخريج الحديث السابق .

(٣) قد سبقت ترجمته في الباب الثاني ، الفصل الثاني ص(١٦٤) .

(٤) وقد أوردنا هذا السند في الباب الثاني ، الفصل الثاني ، ص(١٧٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان من تقدير العزيز العليم وحكمة القدير أن زَارَ العلاّمة أكثر بلدان العالم العربي ـ من دول الخليج إلى الجزائر والمغرب ـ وتجوّل فيها ، وتكررت زيارته لها مرّات عديدة لكنه لم يَزُر اليمن قبل رحلته هذه ، لا سيّما أنه تلقّى دعوة لزيارة اليمن عام ١٩٧٦ ، لكن منعته ظروف خاصة من تلبيتها ، ليصدق المثل العربي « الأمور مرهونةٌ بأوقاتها » .

فقد سافَرَ العلاّمة إلى اليمن (الّذي سبقَتْهُ مؤلّفاته إليها ، واختير بعضها في المناهج والمقرّرات الدراسية هناك) بناءً على دعوة من الأستاذ أحمد عبده ، (والذي كان مستشاراً لمكتبة التوجيه والإرشاد) ، وقد اهتمت حكومة شمالي اليمن الّتي يحتلّ فيها أصحاب الاتجاه الديني والغيرة على الإسلام مناصبَ هامة ، وتعاونت مع المنظّمين لشؤون السفر ، وقد أبدت من الثقة والاعتماد على الزائر ما لم يلقه في أي مملكة أو دولة إسلامية أو عربية ، وسمحت له بالمحاضرة في مراكز حسّاسة مهمّة ـ مثل « كلية الطيران العسكرية ، ومركز المدرّعات » ـ لا يسمح للزائرين من الخارج بدخولها وزيارتها عادة ، وكان الفضل في ذلك يرجع أيضاً إلى العلماء والقضاة والرؤساء الّذين كانت لهم مكانةٌ محترمةٌ ، وإجلالٌ لدى العامة والمسؤولين في الحكومة ، ويثق بهم الرئيس ، ورئيس الوزراء ، وعامة المسؤولين ، وأعضاء البرلمان ، يثقون بإخلاصهم وجلالة شأنهم وعلوّ كعبهم في العلم ونصحهم للبلاد والحكام .

ألقى العلامة عدة محاضرات خلال إقامته باليمن . كلُّها جديرة بالذكر على وجه من الإيجاز .

أولُ خطابٍ له كان في جامعة صنعاء ، ألقاه في اليوم التالي لوصوله ١٤/ شعبان ١٤٠٤ هـ (١٥/ مايو ١٩٨٤ م) أمام الطلاّب والمثقفين من أهل صنعاء ، الّذين غصّت بهم القاعة وقد جَلَسَ على الأرض عددٌ كبيرٌ ممّن لمْ يجدوا لهم مكاناً على المقاعد ، واكتظت الساحة بالحضور ، وكانت هذه الفرصة الأولى في حياة العلاّمة للخطاب في اليمن ، وشعر ـ حسب تعبيره ـ بأنَّ الطبع وقّادٌ والقريحة سيّالةٌ ، والمعاني منهمرةٌ ، والأفكار تترى .

فأبدى انطباعه هذا وسروره الغامر ، ثم بدأ خطابه بقوله :

« إخواني ، كلُّكم تعرفون الشلاّل المعروف الّذي يتدفّق منذ آلاف من السنين في كندا ، والّذي يُعرف بـ « شلاّل نياجرة » (Niagra Fall) ، ويعدّ من عجائب العالم السبعة ، إنّني قد زرتُه

www.abulhasanalinadwi.org

وهو ينزل من فوق ارتفاع مئة وثمانية أمتار ، ولكن البلاد التي وَضَعَ الله تعالى فيها هذا الشلاَّل قد وفقت لتستخدم هذا الشلاَّل الطبيعي في صالح الإنسانية وفي صالح المدنية ، فتأخذ منه القوة الكهربائية ، تهيّىء منها خمسة ملايين من القدرة الحصانية (Horsepower) ، التي تصل به الكهرباء إلى المُدن البعيدة ، وليس لهذا الشلاَّل إلاَّ هذا العمل ، وليست للمجتمع وتلك البلاد إلاَّ هذه العقلية ، وليس لعملها إلاّ هذا المجال .

ولكنّي أريد أن أحدّثكم عن شلاّلٍ لا يقاس به هذا الشلاّل الكندي في القوة والتأثير ، إنه شلاّل الإيمان والإخلاص ، الّذي أكرم الله به الأمة الإسلامية بصفة عامّة وبلادكم بصفة خاصة ، وشهد بهذا الاختصاص لسان النبوَّة الّذي كان مجرى الوحي ، فقد قال ﷺ لمَّا جاءه وفد من اليمن : « أتاكم أهلُ اليمن أرقُّ أفئدةً ، وألينُ قلوباً ، الإيمان يمانٍ ، والفقهُ يمانٍ ، والحكمةُ يمانيةٌ » كما جاء في صحيح البخاري ـ كتاب المغازي في باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن[1] .

> إنَّ الدول الكبيرة والبلاد الراقية المتحضرة عندها كل شيء ، ولكنها لا تملك هذا الشلاَّل الإيماني ، هذا الحرمان هو الّذي أنتج عندهم المادية الراعنة ، والقومية الشقية ، والأنانية البغيضة ، والعصبية الحِزبية ، والسياسة الطائشة ، والفرقة والتناحر والصراع » .

لقد استعرض العلاَّمة صورة هذه البلاد الغربية أمامهم ، وصارحهم بأن البلدان الإسلامية لا تزال تملك الخصائص ، والمميّزات العظيمة التي يمكن أن تستغل في إنجاز المهمات الكبيرة ، وإحداث الثورة في البلاد ، لكن العامة يجهلون هذه الثروة ، أمَّا قادة الفكر والرأي في كثير من البلاد الإسلامية فإنهم مع الأسف الشديد يرون في هذه الطاقة أكبر خطر عليهم ، فهم في حرب معها ، ومؤامرة لإضعافها وتذويبها ،

---

(١) قد سبق تخريجه في صفحة (٢٨٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

ويرونها أو يُعلِنونها علامة للتخلُّف والرجعيّة ، وقد يسمّونها في استخفاف وكراهة « التمسُّك بالأصول » (Fundamentalism) .

وخاطب العلامةُ الشبابَ وقال لهم :

« اعرفوا نفوسكم أيها الشباب ، إذا عرفتم نفوسكم فقد عثرتم على الكنز الدفين ، على شلاّل قوي هو أقوى شلاّل في العالم ، الشلال الإيماني الّذي تستطيعون أن تقتبسوا منه التيار الكهربائي ، الّذي يُنير ما حولكم من بلاد الله ، ويُنيرُ العالم كلّه ، لقد كان سلفكم هم الّذين أناروا العالم . لأنهم قد اقتسبوا وأخذوا هذا التيار الكهربائي من صدورهم المليئة بالإيمان ، وحملوه إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب ، إنَّ العالم اليوم في حاجة إلى أولئك المؤمنين الّذين يَتَدَفّقُ الإيمان من صدورهم ، ويفيض على لسانهم .

إخواني ! إنَّ لسان النبوّة لمَّا وصفكم بالإيمان والفقه والحكمة ، فإنه لا يكون شيئاً مؤقّتاً . لأنه إذا جرى وصف أو شهادة على لسان حكيم أو مؤرِّخ ، أو بصير أو طبيب ، يكون مقصوراً على ذلك الفرد أو الجيل ، ويكون محدوداً في ذلك الزمان ، ولكنها كلمة النبيِّ الخالد ، النبي العالميّ الإنساني ، إذ قال : « الإيمانُ يمانٍ » فيجب أن يكون في كل عصر ، وأنتم بدوركم تغارون على هذه الشهادة والكرامة ، وتحاولون أن لا يكون ذلك مختصّاً بزمنٍ دون زمنٍ ، هذه شهادة لكم قائمةٌ مسجّلةٌ في التاريخ ، حفظها الحديث النبويّ الصحيح ، فيجب عليكم أن تعتزوا بهذه الشهادة .

إنَّ كثيراً من الشعوب الإسلامية مستعدّةٌ للمساومة والمبادلة معكم ، أعطوها هذه الشهادة بالإيمان والفقه والحكمة ، وخذوا منها ما شئتم ، وأنا أقول بلسان مسلمي الهند على الأقل : خذوا منا ما شئتم من مكتباتٍ ومدارسٍ ، ومن علومٍ ومن ثرواتٍ ، وأعطونا هذه الكرامةَ الّتي أكرمكم الله بها « الإيمان يمانٍ ،

www.abulhasanalinadwi.org

والفقه يمانٍ ، والحكمة يمانيةٌ »[1] .

استمرَّ هذا الخطاب حوالي ساعة ونصف ، وكان الحضور في غاية الإصغاء وحسن الاستماع[2] ، واشتهر هذا الخطاب في الأوساط العلمية والدينية ، وأصبح حديث النّاس ، وشاع ذكره في البلاد .

وكان للعلامة غير هذا الخطاب ثلاث محاضرات أخرى في صنعاء ، إحداها في كلية الطيران (Air Force College) ، وثانيها في مركز المدرّعات (Artillery Center) ، وَلَمَّا وَصَلَ إليه العلاَّمة استقبله ضابط كبير ، وأوعز إلى الجنود بالأوامر العسكرية للاحتشاد في القاعة ، وكانوا في عدد المئات ، وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي خطب فيها العلامةُ في مثل هذا المركز الحسّاس ، وكانت هذه تجربته الأولى رغم كثرة جولاته وأسفاره تلبية لدعوات من الحكومات العربية والإسلامية[3] .

وأمّا محاضرته الثالثة فكانت في جامع المشهد ، وقد ألقاها أمام جمعٍ كبيرٍ منَ المثقَّفين ، والطلاب الجامعيين ، وأعيان البلد . وكان عنوانها « درسٌ لنا في قصة سبأ »[4] وقد عُرضت جميع هذه المحاضرات والخطابات في التلفزيون ، ونُشرت في الإذاعة اليمنية .

وخلال إقامته باليمن التقى العلاَّمة بكبار مسؤولي الدولة ، وفي مقدمتهم رئيس الدولة علي عبد الله صالح ، والّذي دعاه دعوة خاصة على الغداء بقصر الجمهورية ، وتحدّث معه على جلسة الغداء ، وأبدى للعلاَّمةِ احتراماً وتوقيراً كبيرين ، ورأى فيه العلاَّمةُ البساطة وعدم الكلفة .

كما كانت له لقاءات مع رئيس الوزراء عبد العزيز عبد الغني ، ووزير الخارجية الصبيحي ، وعدد من أعضاء البرلمان ، وكان الحديث مع كل واحد منهم في جوٍّ من الحرية والصفاء . وأبدى كلُّ واحد منهم الاهتمام به وكرّمه .

---

(١) قد سبق تخريجه قبل قليل في صفحة (٢٨٦) .

(٢) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية . . . » بعنوان « شلاَّل الإيمان والإخلاص وكيف يستفاد منه » (١/ ١٨٥) .

(٣) انظر المحاضرة التي ألقاها العلاَّمةُ في كلية الطيران في « محاضرات إسلامية . . . » بعنوان « مصدر قوَّة المسلم » (١/ ٢١١) .

(٤) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية . . . » بعنوان « درسٌ من قوم سبأ » (١/ ٢٢٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى الحجاز

عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م

سافَرَ العلاَّمة الندوي إلى السعودية في شهر ديسمبر عام ١٩٨٤م لحضور الجلسة السنوية للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، وكان هذا السفر من أهمِّ أسفاره إلى السعودية ، ألقى فيه محاضرات قيمة ، كانت أهمَّها « دور محمّد إقبال في توجيه الأدب والشعر » ألقاها في مكتبة الملك عبد العزيز في المدينة المنوَّرة إثر إصرار شديد من الشباب المثقف ورجال الأدب والفكر من السعوديين .

حضر هذه المحاضرة حشدٌ كبيرٌ من كبار العلماء وأفاضل الرجال والطلاب الجامعيين باهتمام خاص ورغبة شديدة ، وقد بدأ العلامةُ محاضرته بقوله :

> سادتي وإخواني ! إنّني أستحيي أمام الله تعالى ومن حضر من الإخوان أن أذكر في جوار الرسول ﷺ ، وفي ظلّ جداره العظيم ، شخصاً غير شخص الرسول ﷺ ، وأن أشيد به ، قد قال الشاعر العربي القديم :
>
> **ولمَّا نزلنا منزلًا طلَّه النَّدى أنيقاً وبستاناً من النُّور حاليا**
> **أجدَّ لنا طيبُ المكان وحسنه منىً فتمنَّينا ، فكنت الأمانيا**
>
> وهذا هو المكان الّذي طَلَّه الندى ، طَلَّه ندى الرسالة السماوية الأخيرة ، والصحبة النبوية العَطِرة ، فلا يجوز إلاَّ ذِكرُ من نالت به هذه المدينة الشرف ، ونالت به الإنسانية الحياة الجديدة ، والمعنوية الجديدة ، ولكنّي سأتحدَّث عن رجل كان قويَّ الصّلة ، عميقها بالنبي ﷺ ، وهذا هو المبرِّر الوحيد للحديث عنه في هذا الجوار الكريم ونحن على غَلْوة سهم[1] ـ كما يقول العرب ـ من المسجد الشريف .

---

(١) الغَلْوَة : مقدار رمية سهمٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ شاعرنا العظيم محمّد إقبال كان ـ وقد شهدتُ ذلك بعيني وأشهد بذلك بجوار المسجد ـ أنه إذا ذُكرت المدينة فضلاً عن الرسول ﷺ دمعت عيناه ولم يتمالك ، وقد قال بيتين من الشعر بالفارسية ، اسمحوا لي أن أنشدهما بلغتهما فهنالك من يفهم الفارسية يقول :

بای ین پیری ره یثرب کرفتم　　نوخوان از سرور عاشقانه
جوآن مرغی که در صحرا سرِشام　　کُشا پد پر بفکر آشیانه

ومعناها : لقد لامَني إخواني ، واستغربوا توجّهي إلى مدينة الرسول ﷺ على علوّ (كبر) سنّي، وأنا في سرور وحنين، ونشيد ورنين ، وقالوا : هذا إرهاق ، وتكليف بما لا يطاق ! فقلتُ لهم : يا إخواني ! ألا تعرفون أن الطائر يهيم على وجهه في الصحراء ، ويحلّق في الفضاء ، فإذا أدبر النَّهار وأقبل اللّيل ، تذكَّر وكرَه ورفرف بجناحيه إلى وكره ، يطير إليه ليأوي فيه ، والمدينة وكر الروح ، ووكر العقيدة ، ووكر الإيمان بالنسبة إلى المسلم ، فكيف لا أطير إلى وكري حين دنا أصيلُ حياتي » .

ثم ألقى العلامةُ الضوء على دور الشاعر الإسلامي محمّد إقبال القيادي الثوري في توجيه الأدب والشعر إلى الوجهة الجديدة ، وتأثيره البالغ عليها ، وذَكَر بصفة خاصّة : أنَّ اللغة والأسلوب عدا الأفكار والنظرات تؤثّر أيضاً تأثيراً كبيراً في شبه القارة الهندية ، واستشهد ببعض أبياته الّتي تلقي الضوء على نظرته إلى الشعر والأدب ، وقال :

« واسمحوا لي أن أقرأ أمامكم سطوراً تدلُّ على ما كان يعتقده شاعرنا العظيم محمد إقبال ، وهي تدلّ على نظرته إلى الأدب ، وعليها بَنى أدبه ، وعلى ذلك قامت مدرسته الشعرية الفكرية الفلسفية الهادفة . يعتقد محمّد إقبال : أنَّ الأدب لا يصلُ إلى حدّ الإعجاز ؛ حتى يستَمِدَّ حياته وقوته من أعمال القلب الحيّ ، ويُسقىٰ بدمه .

نقلتُ هذا المعنى في كتابي « روائع إقبال » إلى العربية ، ومنه أقتبس هذه السطور :

www.abulhasanalinadwi.org

(يا أهل الذوق والنظر العميق ! أنْعِم وأكْرِمْ بنظركم ، ولكن أيَّ قيمة للنظر الّذي لا يدرك الحقيقة ، لا خيرَ في نشيد شاعر ، ولا في صوت مُغَنٍّ ، إذا لم يُفِيضا على المجتمع الحياة والحماس) .

أنتم تعرفون أيها السادة ، قيمة نسيم السحر عند الشعراء والأدب ، وأهل القلوب الواعية الحيّة ، ولكنه يقول :

(لا بارك الله في نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلاَّ الفتور والخمول والذوي والذبول ، إنَّ غاية الإنسان في فنٍّ من فنون العلم والأدب ، لوعة الحياة الدائمة . ما قيمة شرارة تلتهب سريعاً وتنطفىء سريعاً ؟ وما قيمة لؤلؤة كريمة ، أو صَدَفةٍ لامعة لا تُحدِث اضطراباً في الأمواج ولا اضطراباً في البحار ؟ ، لا نهضة للأمم إلاَّ بمعجزة ، ولا خير في أدب ولا شعر إذا تَجرَّدَ عن تأثير عصا موسى) »[1] .

وقد استمع الحاضرون إلى العلاَّمة في طمأنينةٍ وسكينةٍ ، ورغبةٍ شديدةٍ ، وأبدوا انطباعاتهم الطيبة ، وأدلى الأدباء والكُتَّاب بتعليقات طيبة عليها في الجرائد السعودية الكبرى ، وقد حَضَرَ هذه المحاضرة أئمَّةُ الحرمين الشريفين ، ونائب قاضي المدينة المنورة فضيلة الشيخ عطية سالم ، وعددٌ كبيرٌ من العلماء المدرّسين في الحرم الشريف .

وعدا هذه المحاضرة كانت له محاضراتٌ خلال إقامته بالسعودية في جامعاتها المختلفة ، ومن أهمِّها « أزمة إيمان عالمية ومسؤولية العلماء المسلمين » الّتي ألقاها أمام طلاَّب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة ، وكانت تلك الأيام تشهد مجاعةً شديدة في الصومال والسودان وأثيوبيا ، وكانت حديثَ المجالس ، فقال العلامة :

« إنَّ المجاعة الّتي هي أخطر وأدهى من تلك المجاعة الّتي يتحدّث عنها النّاس هي مجاعة إيمان وأخلاق ، المجاعة الّتي

---

(١) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » بعنوان « دور محمد إقبال في توجيه الأدب والشعر » (٣/ ٦٦١) .

www.abulhasanalinadwi.org

أصيبت بها أكثر البلاد ، حتى البلدان الراقية المتحضِّرة ، ولكن هذه المجاعة لا تهمّها ولا تفكر فيها ، كأن قيمة الجسد عندها أعلى من قيمة الروح » .

وقد نُظِّمَتْ للعلامة في هذه الرحلةِ حفلةُ استقبالٍ وترحيبٍ كبيرةٍ وفاخرةٍ من قبل أحد أعيان جدّة ؛ هو الشيخ عبد المقصود خوجه[1] ، في يوم ٩/ يناير/ ١٩٨٥م ، حضر فيها من أعيان جدّة ووجهائها وعلمائها وأدبائها وكُتّابها ما لم يحضر من قبل ، وأبدوا عواطفهم النبيلة وانطباعاتهم الطيبة عن شخصية العلاَّمة الجليلة ، وكان من خصائص هذه الحفلة أنْ وزِّعت على الحاضرين بعضُ مؤلّفات العلامة مثل « السيرة النبوية » و « مختارات من أدب العرب » في كمية كبيرة .

ولم يكتفِ العلامة بإلقاء كلمة شكر وتقدير فحسب في هذه الحفلة التكريمية ، بل حاول أن يتقدّم برسالة إلى هذا الحفل الكريم ، وعلى هذه الأرض الطيبة ذات الدعوة والرسالة ، وفي ظلال الحرم المحرَّم ، وأن ينادي بلسان الدكتور محمّد إقبال :

« قُم يا باني الحرم وسادته ، قُم لبناء العالم الجديد » .

فقال العلامة بعد إزجاء كلمات الشكر والتقدير :

« سادتي وإخواني ! ليست العبرة بالقامة والحجم والكثرة ، وإنما العبرة بالقيمة على القامة ، هناك شيئان يوزنان ، القامة والقيمة ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى فَضَّل القيمةَ على القامة ، إنَّني كلَّما أقرأ الآيات الأخيرة من سورة الأنفال ، عجبتُ وكدتُ أحار وأغلَبُ على أمري ، إذا قرأتُ قول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

---

(١) وهي حفلة « الإثنينية » (نسبة إلى يوم الإثنين) يقيمها الوجيهُ الحجازي الشيخ عبد المقصود خوجه يوم الإثنين في قصره بمدينة جدَّة ، يكرِّم فيها علماء وأدباء وشخصيات هذه الأمة . وعادته في تلك الحفلة أن يرحِّب بالضيف المكرَّم ويعرِّف به ، ثم يدعو بعضَ أصدقاء الضيف ومعارفه للكلام عنه ، وذكرِ معرفتهم به ومن مآثره وفضائله ، ثم يلقي الضيفُ كلمته ، ثم يترك المجال للأسئلة والأجوبة ، ثم يهدي الشيخُ عبد الخوجه الضيفَ لوحةً تذكارية ، وهي عبارة عن حذو كسوة الكعبة الشريفة .

www.abulhasanalinadwi.org

لمَن يقال هذا ؟ لهذه الحفنة البشرية التي تألفتْ من المهاجرين والأنصار ، تألفتْ من الأنصار أصحاب الدار ، والمهاجرين المغتربين ، الّذين لم يتجاوز عددهم خمسمئة وألف ، لقد حَثَّ الله على المؤاخاة الإسلامية ، وربط المهاجرين بالأنصار ، والأنصار بالمهاجرين ، وأثار فيهم روح الأخوّة الصادقة ، وحَثَّهُمْ على أن يكونوا وحدةً جديدةً ، وحدةً تقوم على الإيمان وعلى الكلمة وعلى الترحّم للإنسانية ، تقوم على المبدأ والعقيدة ، فقال لهم : إذا قَصَّرْتم في إنشاء هذه الأخوة ، وفي تكوين هذه الوحدة الّتي جَهِلَها العالمُ وتناساها التاريخ ـ وبكلمة أصحُّ ـ نَسِيَها التاريخ منذ مئات السنين ، إذا قَصَّرْتُمْ في إنشاء هذه الوحدة الّتي تقوم على الرسالة الفاضلة وعلى الأخوة الصادقة المخلصة ، فإنَّها تكون فتنةٌ في الأرض وفساد كبير ، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

ما نِسبة هذه القلّة القليلة الّتي كانت تعيش في يثرب الّتي سُمِّيت بعد ذلك بمدينة الرسول ﷺ ؟ ما وَزْن هذه القِلّة وما عدد أفرادها ؟ ما وزن هذه القلّة في الميزان السياسيّ ، وفي الميزان الدُّوَلي ، وفي الميزان الاجتماعي ، حتى في الميزان العلمي ؟ إنَّهم ـ كما أعتقد ـ لم يبلغ عددهم ألفين ، وقد أُجري إحصاؤهم ثلاث مرّات كما ورَدَ في صحيح البخاري ، وكان عددهم في آخر إحصاء بلَغَ خمسمئة وألف نسمة .

فلمن يقال هذا ؟، هل يقال للرُّومان الّذين سيطروا على نصف الأرض ، والّذين كانوا يتمتَّعون بأكبر إمبراطورية وأكبر حضارة قامت في ظلّها ، وبأكبر قوّة حربيَّة ودولية وسياسيّة .

هل يقال هذا للفُرس الإيرانيين الّذين قاسموا الرُّومان بسط نفوذهم بالاستيلاء على الأرض المعمورة ، كان هؤلاء الرومان والفرس هم المؤثّرين في مصير الإنسانيّة ، وهم الّذين كانوا

www.abulhasanalinadwi.org

يجدّفون سفينة الحياة ومركب الحضارة ، وهم الّذين كانوا يتصرّفون في وسائل الأمم ـ إذا صحَّ هذا التعبير ـ وفي أوضاع العالم ، هل يقال لهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

قِيسوا ساداتي وإخواني ا قِيسوا أولاً حجم الكلمة وروعتها ، كلمة « فتنة في الأرض » ما أكبر حجمها ، وما أثقل وزنها ، لم يقل « فساد » فحسب ، بل « فساد كبير » .

إنَّه يقال لهذه المجموعة الصغيرة الّتي قام عليها الإسلامُ ، وقامت على أعناقها رسالة الإسلام ، إنْ قَصَّرْتُم أيها المسلمون في تكوين هذه الوحدة الإسلامية الإيمانية الرحيمة العادلة ، وإنْ لم تقيموا هذه الوحدة على الإخلاص ، وعلى أساس الإيمان والتضحية والإيثار والتفاني ، فلا نتيجةَ لذلك إلاَّ أن تكونَ ﴿ فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

هذه قيمةُ الأمة المسلمة حين كانت في عدد المئات في عدد ألف أو ألفين ، هذا هو التصوير الصادق ، وإعطاء هذه المجموعة هذا الوزن الكبير ، وهذه القيمة الكبيرة ، وهذه المكانة الرئيسية في خريطة العالم ومجموع الأمم ، فثَبَتَ بذلك أن المسلم بقيمته لا بقامته ، وأنَّ الأمة المسلمة برسالتها وإيمانها وعقيدتها وفضلها الخُلُقي وضميرها الحي ، وبالروح المتغلغلة في الأحشاء ، المسيطرة على الشعور وعلى العقل والتفكير ، قيمةُ هذه الأمة في هذه الخصائص الّتي أكرمها الله بها ، ليست بكثرة العَدَد والعُدَد ، وبكثرة المساحة المكانية الّتي تسيطر عليها وتحكم فيها ، ولا بالفخامة وبحجم المساحة الزمانية الّتي تؤثِّر فيها .

إنَّني أنظر إلى هذه المجموعة بهذا المقياس ، وبمكبِّرة الإسلام ، المكبِّرة الّتي أعطانا الإسلام والتي لها قيمةٌ في بلادنا

www.abulhasanalinadwi.org

البعيدة عن مهد الإسلام ومركزه ، لها من القيمة هناك ما ربما لا يكون في الوسط الإسلاميّ وفي مهد الإسلام .

وأنا أشكر صاحبَ هذه الدار ، وصاحب الفضل في هذه الفرصة المباركة على تكريمي بتوجيه الدعوة إلى هذه المجموعة الطيبة التي ليست كثيرةً في العدد ولكنّها كبيرة في القيمة ، وإنني أنتهز هذه الفرصة لأُحييكم جميعاً وأشكركم على أنكم كرّمتم في شخصي الحقير هذا الاعتزاز ، ولستُ أدري الاعتزاز صحيحٌ أم لا ، ولكنه ما اشتهر من الانتساب والانتماء إلى العلم والدين والدعوة ، فتكريم مثلي في هذه البلاد المقدّسة في الحقية ، تكريمٌ للعلم وتكريم للدعوة ، وتكريمٌ للأخوّة الإسلامية ، وتعبيرٌ بالشعور الصادق عن النفوس الكريمة ؛ وإنني أحمد الله تعالى على أنه أتاح لي هذه الفرصة قبل أن أغادر هذه البلاد المقدّسة »[1] .

---

(١) في مسيرة الحياة : (٢/ ٧٤ـ ٧٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى بنغلاديش

عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م

سافرَ العلامةُ الندويُّ إلى بَنْغَلادِيْش بدعوة من بعض جامعاتها الإسلامية الكبرى ، وبعض الجمعيات الأخرى وخاصّة المؤسّسة الإسلامية بدكّا . وأقام فيها عشرة أيام من ٩/ مارس إلى ١٩/ مارس ١٩٨٤م ، زار فيها دكّا ، وشِيْتَاغَوْنغ ، وكَوْكسْ بَازَارْ ، وسِلْهَتْ ، ومَوْمِنْ شاهي (مَيْمَن سِنْغ) والمناطق الرئيسة بها ، وألقى خطابات في اجتماعات كبيرة ، وزار المدارس الإسلامية ، وذَهَبَ في جولته إلى منطقة شيتاغونغ ، وكوكس بازار إلى « نهيلة » الّتي تقع على حدود بورما ، وسمع به هناك أهالي بورما من المسلمين ، فحَضَرَ كثيرٌ منهم إلى الاجتماع الّذي عُقد هناك ، وزار أثناء إقامته بدكّا « سِنَّارْكَاوْن » التي كانت آخر الحدود الشرقية للدولة الإسلامية القديمة ، وبداية الشارع الطويل الّذي بناه الملك شَيْرشَاه السُّورِي ، والّذي يصل إلى « نيلاب » بالسند ، وقد سمّيت هذه المنطقة باسم « بَينام » في مديريّة دكّا .

كان أولُ خطابٍ للعلامة في الجامعة الإسلامية بفتية شيتاغونغ ، كان عنوانه : « الحاجة إلى معرفة قدر نعمة الإسلام والشكر عليها » وقد ذَكَرَ فيه بعضَ الحوادث الماضية ، وشدَّد النكير على انتهاك الحرمات ، وتناسي نعمة الإيمان ، وصلة الإسلام ، وحقوق المسلم ، واحترام نفسه وعرضه وماله ، واستنكر تلبيةَ كلَّ نعرة وهتاف ، والاندفاع وراء كل حركة ودعوة ، وبَيَّنَ خطر ذلك على الدين والأمة الإسلامية ، فلا يجوز الإعجاب بكل ما يبهر الألباب ، ويخدع النفوس ، وينفِّسُ عن العواطف المكبوتة ، وتلا عليهم بعضَ قصص بني إسرائيل الّتي تشبه هذه الحوادث والأدواء الخلقية ، وانتقد الجاهلية القومية واللغوية السُّلالية التي تصل إلى حد الكفر والظلم والعُدوان ، والضراوة بالدماء وقتل المسلمين الأبرياء .

وكان أهمُّ خطابٍ ألقاه العلامة في حفلة الترحيب الّتي عقدتها المؤسّسةُ الإسلاميةُ في ١٣/ مارس ١٩٨٤م بفندق كبير ، وحَضَرَه أعيان دكّا ، وكبار رجالها ، كان موضوع

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الخطاب « الفتح للحبّ الصادق والإنسانية المخلصة » ، وقد تناول العلاَّمةُ في هذا الخطاب الخصائص والمميّزات الّتي امتاز بها الشعب المسلم عن غيره من الشعوب والأمم ؛ من الإخلاص والعاطفة الإيمانية ، والتضحية والفداء ، والبساطة ، والشَّجاعة ، وأنّه مِن المؤسف أن تصبح هذه الخصائص الّتي هي منح ربانيّةٌ ومعجزةٌ إسلاميةٌ مهملةً مُعطّلةً ، لا تُستغَلُّ ولا تُستخدَم فيما كان ينبغي أن تُستخدَم فيه ، فلا تُسقى الحقول والزروع من الشلاّل الإيماني الفطري ، أو هذا الماء الشفّاف الجاري من الحب والانقياد ، ولا تولد منه القوَّة الكهربائية الّتي تحلّ المشاكلَ المعقَّدةَ ، والتي يحوِّلُ بها الشعب لا إلى الذهب بل إلى الإكسير ، وتولد منه قوَّة جديدة لا في هذه البلاد فحسب بل في العالم الإسلامي كله .

ولكن ليس هذا عملُ القادة السياسيين ، بل هو عمل المخلصين أصحاب القلوب المؤمنة ، وإنَّ من الضرورة بمكان أن يُردم الخليج الواسع الّذي يتّسع ويعمق على مرِّ الأيّام بين الطبقة القديمة والطبقة الجديدة ، وبين العلماء وخرّيجي الجامعات العصرية ، وأن تتكاثف الطبقات في مجال خدمة الإسلام ، وأبدى العلامةُ أخيراً آماله الكبيرة في المؤسّسة الإسلامية أنها ستقوم بإخراج المكتبة الإسلامية المعاصرة للطبقة العصرية المثقفة في لغتها وأسلوبها ، فهي نجمة تتألّق ، ويرتجى منها الخير الكثير .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى ماليزيا

عام ١٩٨٧م

لقد تخرَّجَ عددٌ كبيرٌ من شباب ماليزيا في دار العلوم ندوة العلماء ، وامتازوا بصلاحهم وصلاحيتهم ، كما تَخرَّجَ عددٌ من شباب أندونيسيا في الجامعة ، ثم اختاروا ماليزيا لقربها من أندونيسيا ووحدة اللغة والجنسية والطبيعة مجالاً لنشاطاتهم الدينية والتعليمية والدعوية ، ويشاهد في هذا البلد في الآونة الأخيرة اهتمامٌ زائدٌ بالدعوة والأخوّة الإسلامية وحماس بالغ لها ، ولقد حازَ الخرّيجون النَّدوِيُّون لعلمهم وثقافتهم وجدّهم واجتهادهم واتجاههم إلى العمل الدعويّ مكانةً محترمةً في الأوساط الإسلامية الدعويّة والتربوية ، وحظوا بثقة واعتماد من منظَّماتها وحركاتها الإسلامية .

فقد اتَّصل الفضلاء الندويون ببعض المنظَّمات الإسلامية لا سيّما حركة « أبيم » (أي حركة الشباب المسلم) النشيطة القويّة ، ووجَّهوا إلى العلامة عن طريق هذه المنظمة دعوةً لزيارة ماليزيا ، وإلقاء محاضرات وخطب فيها ، وألحُّوا عليه لصلتهم وعلاقتهم بجامعة ندوة العلماء ، فسافر العلامةُ إلى ماليزيا في شهر إبريل عام ١٩٨٧م ، فزار كوالالامبور ، وكوالاترنكانو ، وألقى محاضرات وخطب في الجامعة الإسلامية العالمية ، ومراكز حركة « أبيم » ، ومركز الحزب الإسلامي ، ومعهد التربية الإسلامية واجتماعات عامة للمسلمين ، ومن أهمّ المحاضرات الّتي ألقاها العلامةُ في هذه المرحلة محاضرة بعنوان « إلى الإسلام من جديد »[1] في جامع ترنكاتو .

وقد ذكر فيه العلامةُ أمثلةً مختلفةً حول : أنَّ لكل شيء فائدةً خاصةً وضرورةً مستقلةً ، وتقدَّر قيمته وثمنه بناءً على فائدته وضرورته ، وأشار بعصاه التي كان يحملها ، وإلى الساعة الّتي كانت أمامه ، أنَّ هذين الشيئين لو تركا عملهما ولم يُستَفَدْ منهما الفائدة المطلوبة منهما ، لكانا شيئين مُهمَلَين ، لا يفيد الاحتفاظ بهما .

---

(١) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (١/ ١٦٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

ثم ذَكرَ لهم سببَ بعثة هذه الأمّة المسلمة ، واصطفائها وتكريمها واختيارها ، ومكانتها وواجباتها ، وحاجة هذا العصر وهذه البلاد إليها ، ومدى الفراغ الّذي تخلّفه إذا قَصّرتْ في أداء واجبها ، وعرض للأخطار الّتي تواجه البلاد إذا نسيت دورها ، ثم شَرَحَ لهم : أن المسلمين إذا اختاروا منهجهم القديم ونظامهم الصالح للحياة والمجتمع ، كان لذلك أثره الكبير العميق على هذا المجتمع والبلاد ، وذَكَرَ لهم مثالَ صُلح الحديبية الّذي كان قد هَيَّأَ الجوَّ للّقاءات المفتوحة الحُرَّة بين المسلمين وغير المسلمين ، واستطاع بذلك مشركو مكّة ـ إذ لم يكن هناك خوفٌ على الأنفس والأرواح بسبب معاهدة الصلح ـ أن يجتمعوا بأقربائهم وإخوتهم المهاجرين الّذين تربطهم بهم قرابةٌ ونسبٌ ولغةٌ وطبيعةٌ ، وشاهدوا التغيير الجذريّ الهائل الّذي أحدثته صحبةُ الرسول ﷺ في أخلاقهم وعاداتهم ومعاملتهم ، رأوا فرقاً شاسعاً جليلاً بينهم وبينهم ، رغم اشتراكهم في اللغة واللون والدم ، والحضارة والاجتماع ، فقد بَلَغَ إعجابهم بذلك وتأثّرهم ما جعلهم يدخلون في الإسلام في مدّة سنتين أو ثلاث بأعداد تزيد عمّن دخلوا به خلال ١٥ ـ ٢٠ سنة ، ويجب عليكم أن تفخروا بهذا الفرق والميزة في الأخلاق والاجتماع الّتي مَيَّزَكم الله تعالى بها بفضل الإسلام ، الأمر الّذي يرغّب الناس في دراسة هذا الدين ، ويدعوهم للتفكير والتأمّل في أسباب هذا الفرق الشائع والميزة البارزة ، الّتي ميّزت بين طبقتين هذا التميز الخلقي والاجتماعي ، رغم الاشتراك في اللغة والجنسيّة والموطن .

وضرَبَ لهم العلاّمةُ في هذا الصدد مثالاً بالمجاهدين الّذين كانوا في معسكر الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) وفتحوا مدينة بَشَاوَرْ ، فقد سأل أهلها بعض الجنود الهنود في جيش الإمام : هل عيونكم سليمةٌ تبصرون بها من بعيد ؟

فرجعوا إليهم بالسؤال ، وما الداعي إلى هذا الاستفسار ؟

فقالوا : إنّنا رأينا أنَّ أيَّ عسكريٍّ منكم رغم بُعْده عن وطنه وأهله لأعوامٍ ، لا يرفع بصرَه إلى أي امرأة ، ولا يلقي لها بالاً ، ولو كانت هذه التجربة مع شخص أو شخصين ، قلنا : إنَّ بهم زهداً أو ورعاً بالغاً ، ولكن الجنود كلّهم يمثّلون هذه السيرة .

فقالوا : إنَّ ذلك فيضٌ من تربية إمامنا وقائدنا ، إننا نعمل بقول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] .

www.abulhasanalinadwi.org

وخلال إقامته بماليزيا كانت للعلامة محاضراتٌ أخرى في مُدنها وجامعاتها المختلفة وكان له خطابٌ أخيرٌ في مركز « الحزب الإسلامي » ذكر فيه أهميّة المعاملة الرفيقة الودودة في إنجاح العمل الدعوي ، ونتائجها الطيبة المثمرة ، ونُظِّم له هُناك حفلة استقبال وترحيب من قبل « الحزب الإسلامي » ، وكان فيها جمعٌ كبيرٌ من الحضور ، جاؤوا من أماكن بعيدة ، وحَضَرَ فيها كبارُ قادة الحزب وأعيانه .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى تركية

عام ١٩٨٩م

كان قد تقرَّر عقد ندوة « رابطة الأدب الإسلامي العالمية » في إستانبول بتركية من ١٢ ـ ١٦ من أغسطس سنة ١٩٨٩م ؛ وذلك لأن عدداً كبيراً من أعضاء الرابطة والأدباء العرب ، والأساتذة في الجامعات العربية ، يتوجّهون إلى تركيا للاصطياف ، وبدأ الاتّجاه الإسلامي يتصاعد في مجالات حياتها المختلفة ، من عمليةٍ وفكريةٍ وأدبيةٍ ، فتقرَّر أن تعقد ندوة رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، في هذا العام في تركية ، وعيّن موضوعها : « الأدب الإسلامي للأطفال » .

نال هذا الموضوعُ لطرافته اهتماماً كبيراً من الأدباء ، الذين يحملون عاطفة دينيةً واتجاهاً إسلامياً ، وأعربوا عن سرورهم وابتهاجهم على ذلك ، وتولّوا مسؤولية تنظيمها وإدارتها وضيافتها ، وكان في مقدّمتهم الروائي الشهير والكاتب المسرحي الكبير ، ورئيس تحرير مجلة أدبية : الأستاذ علي نار .

عقدت الجلسة الافتتاحية لهذه الندوة في قاعة فندق مكة في ١٢/ من شهر أغسطس سنة ١٩٨٩م ، وشارك فيها الشيخُ يوسف جاسم الحجّي (وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت سابقاً ، ومدير الهيئة الخيرية حالياً) ، والكاتب الإسلامي الكبير والداعية الأستاذ محمد قطب ، والشاعر الإسلامي الأستاذ عبد الله بن إدريس (الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ، والدكتور حسن الأمراني (الأستاذ بجامعة « وجدة » بالمغرب) ، والدكتور عبد الباسط بدر (الأستاذ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة) ، وشاعر طَيْبَة الأستاذ ضياء الدين الصَّابوني ، والأستاذ الشاعر عثمان ذكي ، والأستاذ سلطان ذوق (رئيس فرع الرابطة في بنغلاديش) .

بدأت الجلسةُ الافتتاحية بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، ثم ألقى العلاَّمة الندوي كلمتَه كرئيس الندوة والرابطة ، وبيَّن فيها حقيقة الأدب ودوره القيادي ، وصرَّح بـ :

www.abulhasanalinadwi.org

« أن كلمة الأدب انتقلت من اللغة العربية إلى اللغة الأردية والتركية ، وكان معناها في الزمن الماضي الخُلُق والمروءة ، والقِيَم الإنسانية الرفيعة ، وجاء في الحديث النبوي الشريف : « إنَّ الله أَدَّبني فأحْسَنَ تأديبي »[1] ، وأنا أعتقد أنه لا يوجد في لغة غير إسلامية كلمة للأدب ، تحتوي على معاني الحضارة والثقافة والخلق النبيلة ، والقيم الإنسانية الرفيعة ، فينبغي للأدباء والكُتّاب أن لا يغفلوا هذا الجانب للأدب ، ويضعوا الخُلُقَ موضعَ عنايتهم وتقديرهم ، ولا سيّما في هذه الأيام التي يستعمل فيها الأدب كأداة قوية مؤثرة للهدم والبناء ، والإفساد والإصلاح ، والخير والشر ، ويجب علينا أن نقوم بدعم صلة الأدب بالخُلُق ؛ إذا تسرّب إليها الضعف والذبول » .

ثم تحدَّث الأستاذ محمد قطب ، وصرَّح في كلمته مؤكِّداً على الحاجة إلى الأدب الإسلامي : أنَّ عدداً كبيراً من الناس يُظلَمون ويُضطهدون في إفريقية وأوربة وآسيا في هذه الأيام ، ويعانون آلاماً ومصائبَ عنيفة ، وأشدّ أنواع العذاب ، فيستطيع الكُتَّاب الإسلاميون أن يعرضوا قضاياهم في كتاباتهم على مستوى رفيع من الأدب والفنّ ، ويعتبر هذا العمل خدمة جليلة للإنسانية البائسة المنكوبة المضطهدة ، ولَفَتَ انتباهَ المشاركين في هذه الندوة إلى أدب الأطفال .

وقُدِّمتْ في الجلسات الأخرى لهذه الندوة بحوث ومقالات حول أدب الأطفال ، ونوقشت ، وعُيِّنَت خصائص أدب الأطفال ، وحدوده الفنية والنظرية في ضوء تعاليم الإسلام .

وتحدَّث فضيلة الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي عن الخصائص الأدبية والفنية لكتابي « قصص النبيين » (١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥) للعلامة الندوي ، ونال بحثَه إعجاباً وتقديراً على وجه العموم ، ثم أصدرت قرارات مختلفة ، كان من بينها قرار عقد مسابقة عالمية عن أدب الأطفال ، في ضوء الأدب الإسلامي ، وقرار منح ثمينة على أفضل ما يؤلَّف في هذا الموضوع من كتاب .

---

(١) حديث ضعيف ؛ أخرجه السيوطيُّ في « الجامع الصغير » برقم (٣١٠) وعزاه لابن السَّمْعاني في « أدب الإملاء » عن ابن مسعود رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

وعقدت احتفالات كثيرة غير جلسات الرابطة القانونية في مدينة استانبول ، وعلى شاطىء البوسفور ، وفي بيوت بعض أعيان البلد الإسلاميين .

وسنح للعلاَّمة الندوي خلال فترة انعقاد هذه الندوة إلقاءَ كلمةٍ في مسجدٍ واسعٍ يدعى بـ(سلام) ، يقع في حيٍّ سلطان جغلي ، أمام تجمُّعٍ كبيرٍ من المسؤولين في المدارس الدينية ، والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية ، والمنتمين إلى جماعة الدعوة والتبليغ ، الذين قدموا من المناطق البعيدة ؛ لسماعهم اسم الخطيب ، ودراستهم لبعض مؤلَّفاته المترجمة إلى اللغة التركية ، وقد عقد هذه الحفلة بدون إعلان كبير ، فكان يعتبر العلاَّمةُ الندوي هذه الكلمة حصاد هذه الرحلة ، ورسالة هذه الندوة إلى الشعب التركي ، الذي كان يجري في عروقه الدم الإسلامي ، والذي كان قد تمّ واجه في الزمن الماضي آلاماً شديدة ، ومصائب عنيفة ، وقضايا شائكة معقدة ، ويقوم الآن أيضاً على مفرق محجة .

وأبدى العلاَّمةَ في هذه الكلمة اعترافَه بالخدمات العظيمة والبطولات والتضحيات ، التي قام بها الشعبُ التركي الأبيُّ الغيور ، الذي كان قد شرَّفه الله بتولية الخلافة الإسلامية لمدة قرون .

وكانت الكلمة لموقعها ، والبيئة التي أُلقيت فيها ، ووجود عدد وجيه من المثقَّفين الأتراك ـ مثيرة ، يتأثّر بها القلبُ والوجدان . . ذكَّرهم بماضيهم اللامع المشرق ، وأشارَ إلى المسؤولية التي تقع على كواهلهم للحفاظ على الإسلام ، وبثَّ تعاليمه ، وإعلاء كلمته ، وأنذرهم بالمؤامرات والدسائس التي ينسجها علماء الغرب ليقطعوا صلتهم بالدين ، ويجعلوا هذه البلاد أندلساً ثانية ، ولَفَت أنظارهم إلى أن يعزموا على إحباط هذه المؤمرات ، ويحتالوا لها كل الاحتيال .

وقد صحبَ العلاَّمةَ الندوي في هذه الرحلة الكاتبُ الأديب الأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر ، والذي كتب في انطباعاته عن هذه الرحلة يذكر فيها في موضعٍ إقبالَ الناس على اللقاء به ، والاستماع إليه ، يقول :

« . . . لا أنسى أياماً أكرمني الله فيها بصحبته في تركية ، كان مضيِّفوه ـ أي العلاَّمة الندوي ـ لا يجدون وقتاً ولا مكاناً يتيح له لقاء الأعداد الكبيرة التي سعت إلى لقائه ، ويعتذرون لجمعياتٍ وهيئاتٍ وجامعاتٍ لضيق وقته وتعبه الشديد ، حتى عتب عليهم مَنْ عتب ، وخاصمهم مَنْ خاصم . وفي اللقاءات القليلة التي عقدت غَصَّت القاعاتُ

www.abulhasanalinadwi.org

بالحضور قبل موعد الاجتماع ، ووقف عددٌ كبيرٌ خارجَ الأبواب ينصتون إلى مكبّرات الصوت ، . . يومها قرأتُ في عيون الناس محبةً عميقةً ، وتقديراً عالياً لا يتأتّيان إلا لدعاة صدقوا الله ، فزرع الله في قلوب الناس محبتهم وتقديرهم .

وشهدتُ بعضَ لقاءاته بالطلاب والمثقّفين في وقتٍ أضنتهم فيه المواجهة الشرسة مع المدنيّة الغربية وأذيالها ، وأدمتهم مطاردة الطغاة ، فتزلزلت روحهم المعنوية ، وخبت طموحاتهم ، ورأيتُه (أي العلاّمة الندوي) يغرس ـ بعناية المزارع الخبير ـ في أعماقهم الشعورَ بعزة المسلم وتفوقه العقدي والحضاري ، ورأيت كيف تتحول الزلزلة إلى ثقة راسخة ، والآلام إلى مصابرة عالية ، والجراح إلى إصرار على مواصلة الطريق . . . [1] .

ثم تكرّرت له الرحلات إلى تركية ، سافر إليها عام ١٩٩٣ ، فعام ١٩٩٦ ، فكانت الرحلات الأخيرة للحضور في مؤتمرات رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، يرجع للاطلاع عليها إلى كتاب « رحلات العلاّمة أبي الحسن الندوي . . . » .

---

(١) نظرات في الأدب : (في تقديمه له) للعلاّمة الندوي ، ص(٦ ـ ٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلته إلى سمرقند وبخارى

عام ١٩٩٣م

كانت معرفة العلامة الندوي لتاريخ منطقة ما وراء النهر ، المُنجِبة لأعلام التاريخ الإسلامي في العلم والروحانية ، الحافلة بالذكريات العطرة التي يفوح شذاها دائماً ، والمليئة بالآثار العلمية الّتي خلّدتها ، وتغني المتتبِّع لآثارها بمرّ العصور والأجيال ، والّتي لها منّة عظيمة ، واعتراف العلاَّمة وتقديره لأعلامها الّذين لا مثيلَ لهم ، وامتنانه لهم ، وغيرته عليهم أبت أن يُحْرَمَ من زيارة ذلك الإقليم العامر ، رغم أسفاره البعيدة والطويلة التي قام بها إلى الشرق والغرب .

ذلك الإقليم الّذي أنجب أفذاذاً في الحديث كالإمام البخاري ، والإمام الترمذي ، وفي الفقه كأبي الليث السَّمَرْقندي ، وشمس الأئمة السَّرْخَسِي صاحب « المبسوط » ، وأبي الحسن علي بن أبي بكر المَرْغِيْنَاني صاحب « الهداية » ، وأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الشَّاشِي[1] صاحب « أصول الشاشي » ، والعالم الجليل في علم الكلام أبي منصور المَاتُرِيْدِي مِنْ جهةٍ ، ومِنْ جهة أخرى أَنْجَبَ في العلوم العقلية أبا النصر الفارابي ، والشيخ الرئيس أبي علي بن سينا ، وغيرهما ممَّن يفتخر بهم التاريخُ ، ويندرُ وجود أمثالهم ، ويعدُّون عمالقةً في فنونهم .

وبالإضافة إلى هؤلاء الأفذاذ في الحديث والفقه ، وأعلام الفلسفة والحكم أَنْجَبَ أعْلاماً في التربية الروحية ، وأئمة السّلاسل الصوفية ، والمجدِّدين للإخلاص والتعلّق مع الله ، كالشيخ خواجه بهاء الدين النقشبندي (مؤسِّس السلسلة العالية النقشبندية) ، وخواجه عبد الله أحرار من أعلام المشايخ الرَّبانيين ، ومن الجهة الأخرى أَنْجَبَ الفَاتحين المحظوظين مِنْ أولي العزم والهمة العالية ، ومؤسِّسي الإمبراطوريات كظهير الدين محمد بَابَرْ مؤسِّس السلطنة المغولية ، فالإقليم يشتمل على فَرْغَانَةْ ، ومَرْغِينان ،

---

(١) تُعرف (الشَّاش) اليوم بـ(طَشْقَنْد) .

www.abulhasanalinadwi.org

وتِرْمِذ ، وفاراب ، وفَرِبْر ، وساباط ، وخَجَنْد ، ومناطق أخرى صانعةً للتاريخ ، ومُنجبةً للأعلام .

وقد هُيِّئَتْ للعلاَّمة وسائلُ للسفر إلى هذه المنطقة العامرة من الله تعالى ، وأتيحت له فرصة كانت تلائم مكانة هذه المنطقة وجديرة بها ، فقد قَرَّرَ المركز الإسلامي بأكسفورد (لندن) في الدورة السابقة له ، أن يقيم مركزاً علمياً في جوار المسجد الواقع بقرب قبر الإمام البخاري كتذكارٍ له ، وتخليداً لخدماته العظيمة في تدوين الحديث والتعريف بها حسب اقتضاء العصر الحاضر ، يقوم الباحثون فيه ، والمقدِّرون لجهوده ، بالبحث والتحقيق ، ويعرضون مآثره العلمية ، وكماله العلمي ـ الَّذي ينفرد به في خدمة الدين الحنيف ـ على العالم ، ونَالَ هذا المشروعُ رعايةَ السلطان حاجي حسن حاكم بُروناي[1] ، واهتمامَ وزير تعليم بلاده الأستاذ بيهن عبدالعزيز ، أحد أعضاء المركز الإسلامي ، وتعاونه المتواصل .

وحدَّد المركز الإسلامي في اجتماعه السَّنوي الَّذي سَبَقَ ذكره (٢٣ ـ ٢٤ أكتوبر ١٩٩٣م) ، ووعَدَ العلامة في تلك الجلسة بحضور هذه المناسبة باعتباره مفخرة له ، وسعادة كبرى في حياته . فغادر العلاَّمةُ إلى طشقند في ٢٢ أكتوبر مصطحباً الأستاذَ محمد الرابع الحسني الندوي .

انعقدت الجلسة الافتتاحية في ٢٣ أكتوبر صباحاً ، واستمرَّت ساعتين ، تحدَّث فيها حاكم سمرقند ، والنائب الأول لرئيس الوزراء ، والدكتور عبد الله عمر نصيف[2] ، والعلامة الندوي ، والأستاذ حامد الغابد[3] ، والدكتور فرحان النظامي[4] .

أُلقيت الكلمات ـ كالعادة ـ باللغة الأوزبكية ، والإنكليزية ، أمَّا كلمة العلامة فكانت باللغة العربية .

---

(١) الدولة الإسلامية الفتيّة الغنيّة بالثروة المالية التي تفوق بعض الدول الكبرى .
(٢) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة سابقاً ، ونائب رئيس مجلس الشورى حالياً في المملكة العربية السعودية .
(٣) الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي سابقاً .
(٤) أمين المركز الإسلامي لجامعة أكسفورد بلندن .

www.abulhasanalinadwi.org

كان العلامةُ يشعر ـ حسب تعبيره ـ خلال انعقاد المؤتمر ، شعوراً غامراً أنَّ جوَّ المؤتمر لا يليق بمكانة إمام للحديث ، بل أمير المؤمنين في حديث رسول الله ﷺ ، ومؤلِّف أصحّ كتاب بعد كتاب الله عزَّ وجَلَّ ، وبتذكاره ، والّذي كان يجب أن يسود في مثل هذه المناسبة على الحاضرين جوٌّ من الحبِّ والاحترام ، فأشارَ العلاَّمةُ في كلمته إلى ذلك الجانب ، وقال :

« إنَّ الاحتفال الّذي يُعْقَدُ لتخليد ذكرى بطل من الأبطال ، تلقى فيه كلمات ، وتستخدم فيه لغة يشعر بها المستمعون بالفروسية ، والفتوة ، والبطولة ، وتثور فيهم تلك العواطف ، وتنعكس على الجوّ تلك المزايا ، وكذلك إذا عُقد احتفال للتعريف بأديب وشاعر ، أو التنويه به ، تسود البيئة الأدبية والبلاغية ، ويشعر الحاضرون بتلك المزايا ، وكذلك إذا عُقِدَ احتفال في ذكرى مصلح أو داعي انقلاب ، فلكلِّ مناسبةٍ لغةٌ وتعبيرٌ ، وجوٌّ يعكس على المستمعين مزايا تلك الشخصية الّتي تقدَّم كنموذج .

ولكن مع الأسف أُشاهِد من البداية : أنَّ الإمام البخاري رحمه الله ، يُذكر في هذا المجلس الموقَّر ، وتُعرض خدماته ، ويُعرَّف بشخصيته ، ولكن لا يخيِّم على الجوّ موضوعه ، ولا مزاياه ، ولم يقدَّم بحثٌ ، ولم تبيَّن حقيقةٌ تُرشد إلى منهج للحياة ، وتُحدِث عاطفةً ـ لقضاء الحياة في ضوء النبوّة والرسالة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ولذلك أقرأ عليكم الحديثَ الأولَ في صحيح البخاري ، وإنِّي أعتذر : أنه لا يمكن تمهيد أو تقديم أفضل منه لأيّ كتابٍ ، وقد أوضَحَ الإمامُ البخاريُّ ـ رحمه الله ـ بإيراد هذا الحديث سبب تأليفه هذا الكتاب ونيّته ، وأرشد طلبةَ العلم إلى المنهج الّذي يجب أن يقضوا به الحياة ، وما هي النيّة الّتي يجب أن يحملوها ، ويقصدوها ، وذلك الحديث الأول ، هو الحديث الآتي : « إنَّما الأعمالُ بالنيَّات ، وإنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نَوَى ، فمَنْ كانت

www.abulhasanalinadwi.org

هِجرتُه إلى الله ورسوله ؛ فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانتْ هِجرته إلى دنيا يُصيبها ، أو امرأةٍ يتزوَّجها ؛ فهِجرته إلى ما هَاجر إليه »[1] .

إنَّ هذا الحديث يطالبنا بأن تكون سائر أعمالنا لرضا الله ، وأن يكون الحصول على الأجر والثواب بُغيتنا ، ودستور حياتنا ومبدأ عملنا » .

وفي الختام قرأ العلاَّمة الحديث الآتي ، وهو الحديث الّذي ختم به الإمامُ البخاري كتابه : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

انعقدت أربعُ جلسات في ٢٤/ أكتوبر وترأَّسَ إحدى هذه الجلسات فضيلةُ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، أمَّا الجلسة الّتي ألقى فيه العلامة مقالته فترأَّسها الأستاذ الحجَّة المحدِّث الأصولي الفقهي اللغوي النظار : الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة ـ رحمه الله ـ ، وكان عنوان مقال العلاَّمة الندوي : « الإمام محمَّد بن إسماعيل البخاري ، وكتابه صحيح البخاري ، مكانتهما في تاريخ الإسلام والدين والعلم والمكتبة الإسلامية العالمية »[2] .

ذكر العلامةُ في هذا المقال الحاجة إلى جمع الحديث وتدوينه ، وذَكَر دوره في وقاية الدين من التحريف ، والأمّة الإسلامية من الانحراف ، ومآثره في إقامة البيئة الدينية ، والمجتمع الإسلامي السيلم ، وصيانته ، وأَوْضَحَ : أنَّ التاريخ يشهد أنَّ كل بلدٍ انقطعت صلته بالحديث ، وهجر الاشتغال والاعتناء به ؛ فُتح فيه باب البدع ، وتدفّقت التقاليد المعارضة لروح الشريعة الإسلامية ، الّتي لا يمكن صدُّها إلاّ بالحديث

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، برقم (١) ، وأبو داود في كتاب الطلاق ، باب في ما عني به الطلاق ، برقم (٢٢٠١) ، وابن ماجه في أبواب الزهد ، باب النية ، برقم (٤٢٢٧) عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

(٢) انظر للإطلاع على المقالة بكاملها « نظرات في الحديث » للعلامة الندوي ، جمع وترتيب الشيخ بلال عبد الحي الحسني الندوي ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

النبويّ الشريف ، ولا يمكن أن يغلق ذلك المنفذ إلاَّ باتباع السنة ؛ لأنها هي الّتي تميّز بين المعروف والمنكر ، والسنة والبدعة ، وذلك هو الباعث الرئيسيّ لتصدّي المغتربين ومتّبعي الحضارة الغربية للحديث والسّنّة ، ومحاربتهم واستهدافهم لها ، وقطع صلة المسلمين بها ؛ لأنَّها هي العقبة الرئيسية في طريقهم ، وفي إنجاز أهدافهم ، ثمّ ألقى العلاَّمةُ بعض الضوء على مزايا الإمام البخاري وخدماته الجليلة ، ومزايا الجامع الصحيح ، ومكانته العالية ، وقَدَّم بعض التوصيات في هذا الأمر .

وفي الخِتام لفَتَ العلامةُ الانتباه إلى خطر ، وهو أن لا يصبح في مرحلة من المراحل قبر الإمام البخاري ضريحاً مثل الضرائح الأخرى ، تنشأ حوله نباتات مثل قبور الصالحين في الهند ، وتبدأ تأدية الطقوس ، وتمارس أعمال تتعارض مع السنَّة وعقيدة التوحيد ، والتعاليم الإسلامية وأسوة الصحابة .

ثم نقَلَ من الجزء الأخير من مقالته حديثين .

« لعَنَ الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد »[1] والحديث النبويّ الشريف : « لا تجعلوا قبري عيداً »[2] .

* * *

وبعد . . فذاك ـ عزيزي القارىء ـ عرضٌ موجزٌ لأغلب رحلات وأسفار العلامة الندوي التي يصعب بل يعسر استيعابها كافةً ، وسرد جزئياتها في هذا الكتاب ، فقد طَافَ ـ رحمه الله ـ أرجاء الأرض شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها داعياً إلى الله تعالى ، ومذكِّراً بشرعته ، ومنذراً بالأخطار الّتي تحيق بالأمّة ؛ إنْ انحرفت أو تناست أو جهلت شرعةَ ربّها ، ومبشِّراً لها إنْ استقامت على طريقته ومنهجه تعالى بتبوُّء مراكز

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ما يُكرَه من اتخاذ المساجد على القبور ، برقم (١٣٣٠) ، ومسلم في كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المسجد على القبور . . . برقم (٥٢٩) وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البزَّار في المسند (٢/ ١٤٧) برقم (٥٠٩) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال : هذا الحديثُ لا نعلمه يروىٰ عن علي إلاَّ من هذا الوجه بهذا الإسناد .

www.abulhasanalinadwi.org

الرِّيادة والقيادة للبشرية جمعاء ، ومَن أراد الاستزادة من الاطلاع على جميع رحلاته الدعوية والعلمية فليرجع إلى كتابنا « رحلات العلاَّمة أبي الحسن علي الحسني الندوي ـ مشاهداته ـ محاضراته ـ لقاءاته ـ انطباعاته » وهو في الحقيقة وثيقة تاريخية قيمة ، جديرةٌ بقراءتها لكلِّ مهتمٍّ بالدعوة والفكر الإسلامي .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الخامس

العلاَّمة أبو الحسن الندوي

شخصية عالمية

محترمة عند الأمراء والرؤساء ،
وجريئة على الصدع بالحق والنصح لهم
ومشرَّفة بكبرى التكريمات

المبحث الأوَّل : لقاءاتُه مع الملوك والأمراء والرُّؤساء ، ومحاوراتُه معهم ، وتوجيهاته لهم .

المبحث الثاني : تقديراتٌ وتكريماتٌ بانتخابه رئيساً للمؤسَّسات والجامعات ، وبترشيحه عُضواً في المجامع اللغوية والعلمية ، وبمنح الجوائز الكبرى له اعترافاً بخدماته الجليلة في مجالات مختلفة .

المبحث الأول

لِقاءَاتُه
مع المُلوك والأمراء والرُّؤساء
ومحاوراتُه معهم

مقابلته مع الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود وتقديم رسالة إليه :

التقى العلاَّمة الندوي بالأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود عام ١٩٤٧م وقدَّم إليه رسالةً ، كتب فيها بعد أنْ لاحظ خلال إقامته في الحجاز في غمرة تعمُّقه في دراسة القرآن الكريم والتاريخ ـ المرحلة الانتقالية ـ الّتي هي من أدقِّ مراحل الشعوب والبلاد ، وكيف بدأ البلد يحذو حذو البلد النامي الّذي تشيع فيه الرفاهيةُ والرخاء ، وتتغيَّر أوضاعه بسرعة ، ويقفو أثر بلاد مصر والشام والعراق التي تتزعَّم التحرُّرَ والانطلاق ، ويقلِّد البلدان الغربية التي لا وازعَ لها من خُلُق ولا دين ، وكلّ ذلك إنما هو نتيجة تخلّي هذه البلاد عن تلك الدعوة والحركة التي قامت لإصلاح العقيدة وإشعال العاطفة الدينية ، فتحقق بفضلها ما لم يكن يتصوَّر ، وأصبح بها المستحيلُ ممكناً ، فقامت دولة واسعة تستطيع ـ إذا أراد الله ـ أن تعيد التاريخَ على أعقابه ، وتحقِّق من تكوين المجتمع الإسلامي المثالي ما كان يحلم به المعنيّون بالإسلام ، والّذي هو من أشدِّ حاجات هذا العصر ، ولكنها مُنِيَتْ ـ على مرِّ الأيّام ـ بمشاكلَ ومِحَنٍ ، تُمنَى بها الحكومات الناشئة من ضعف الدعوة والحسبة الدينية ، وفقد القدوة الصالحة ، وسيطرة الدوافع الاقتصادية والاستغلالية على الجهاز الإداري ، وما قدَّر اللهُ أخيراً من التضخّم المالي ، والعثور على منابع الثروة وأسباب الرخاء ، فكانت تلك نتائج طبيعية منطقية نفسية ، يقرِّرها القرآن في إيجازه وإعجازه ، ويشهد به تاريخ الحكومات والمجتمعات في حدوده وأسلوبه .

وأحسَّ العلاَّمةُ الندوي في نفسه في الأيام الأخيرة من إقامته في الحجاز باندفاعٍ

www.abulhasanalinadwi.org

شديد ورغبةٍ ملحّة في أن يوجِّه هذه الحقائق وهذا الواقع في صورة رسالةٍ ويقدِّمها إلى الأمير سعود ، فبدأها بتلك الجملة التاريخية البليغة الّتي كَتَبها الخَليفةُ عمر بن عبد العزيز إلى أحد عمّاله الّذي شكى إليه : أن إقبال الناس في البلدان المفتوحة على الإسلام سيؤثر على مالية الدولة ؛ إذ لا تؤخذ الجزية منهم الّتي هي من أكبر وسائل الدخل للحكومة ، فكتب إليه عمرُ بن عبد العزيز : « ويحك ! إنَّ محمداً ﷺ بُعِثَ هادياً ولم يُبْعث جابياً ، ويسعدني أن يدخل الناس كلُّهم في الإسلام ، ولو خلت خزائنُ الدولة ، ويضطر الناس إلى اتخاذ طرق جديدة للكسب »[1] .

ثم ذكر العلاَّمةُ الفرقَ بين طبيعتي المنهجين للحكم ، حكم الهداية وحكم الجباية ، وطريقي تقليدهما وتنفيذهما ، وقِيَمهما ومُثُلِهما ، وأشار إلى أن الحكومة بدأت تسير على « طريق الجباية » وأن ذلك نذير خطر ، ثم بَيَّنَ ما يعلّق المسلمون على هذه الدولة من آمال كبيرة ، وشَرَحَ فضل « حكومة الهداية » وتأييد الله تعالى ونصره لها وحبّ المسلمين وفداءهم لها .

لقاءه بالملك عبد الله بن الشريف حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية :

قابَلَ العلاَّمةُ الندوي الملكَ عبد الله بن الشريف حسين عدةَ مرات ، كانت إحداها لدى عودته من بيت المَقْدِس ، حيث دعاه الملكُ دعوةً خاصّةً عام ١٩٥١م ، وجالسه العلاَّمةُ وراح يدعوه بأسلوب الداعية الحكيم ، ويحدِّثه من غير تكلفٍ عن أسرته وتاريخها وحجم المسؤوليات الملقاة على عاتقها ، وعلى رأسها تولّي بيت المقدس عامة ، والمسجد الأقصى خاصة ، كتب العلاَّمةُ انطباعاته عن هذه الزيارة في كتابه « مذكِّرات سائح في الشرق العربي » يقول فيه :

« استقبلها الملكُ عبد الله ببشرٍ وبساطة ، وعلمنا : أن السيد المجدِّدي (السفير الأفغاني آنذاك) ذكرنا له ، فقال : لماذا لم تأخذوهم معكم ؟ وأرسل إلينا فوراً .

حيَّيتُه بتحية الإسلام، وصافحتُه وجلستُ أمامه، وعرَّفني السيد المجدِّدي، وعرَّف

---

(١) يُرجع للتفصيل والإيضاح إلى كتاب العلاَّمة الندوي « كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب » و « خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

أسرتي في الهند ، فأنشدت للشريف الرضي مشيراً إلى الاجتماع في النسب والافتراق في الملك والنشب .

مـا بيننـا يـومُ الفخـار تفـاوت أبـداً كـلانـا فـي المعـالـي معـرق
إلَّا « الإمـارة » ميَّـزتـك ، فـإنَّني أنـا عـاطـلٌ منهـا وأنـت مطـوق

ورأيتُ : أن الملك يحفظ هذه الأبيات ويكمل ما أنشده ، قال الملكُ للسيد المجدِّدي مشيراً إلى أنَّ سَحْنَتي[1] سحنة الأشراف اليَمَنِيِّين .

وتشعَّبَ الحديثُ ثم قام الملك للعشاء وأجلسني بجنبه ، قلتُ له على المائدة : يا جلالة الملك ! إنَّ دولة تنفِّذ الأحكام الإسلامية ، وتنفِّذ الدين في السياسة والإدارة تسترعي اهتمام العالم كله ، وتكتسب من الاحترام والإجلال ما لا تناله أكبر دولة في العالم ، مهما كانت حدود هذه الدولة ضيقة ، ومواردها محدودة ، وأصغى الملكُ إلى حديثي وأجاب بلباقة وفهم ، ثم قمنا إلى المجلس فواصلتُ حديثي ، وقلتُ :

« للحكم أساسان : الجباية والهداية ، والحكومات الإسلامية ينبغي أن تقوم على أساس الهداية ، وكان الرسولُ ﷺ بُعث هادياً لا جابياً . وما كان خلافُ جدِّكم سيدنا علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه مع سيدنا معاوية رضي الله عنه إلا في هذه النقطة ، فإنَّ سيدنا علي كان يريد أن تبقى الخلافة على وضعها الصحيح ، ولا تصير ملوكية » .

استمَعَ الملكُ ما قلتُه ثم ذكر العقبات في سبيله ، ونواياه الحسنة ، واهتمامه بتوطيد الحكومة ، وتقوية الجيش ، وذكر الخطوات التقدُّمية في المملكة ، وذكر انتقال هذه المملكة من بلدٍ صغيرٍ لا يزيد عددُ نفوسه على سبعة آلاف إلى مملكة تضم عدداً كبيراً لا نسبة بينهما ، ثم سألني عن منهاجي فقلت : سنُسافر غداً ، فقال : يا مولانا ! لا تضنُّوا علينا بأيام تقيمون هنا ولا أقلَّ من ثلاثة أيام . ثم كلَّم الشيخ الشِّنقيطي بما لم أسمعه ، وقدَّمت إليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » وكان بودِّي قبل أن يظهر الكتاب أن يصل إليه فقدَّر الله أن أقدِّمه إليه بيدي فقبل شاكراً ، واستأذنا وانصرفنا ، وكان في المجلس غير السيد المجدِّدي ، والشيخ الشِّنْقِيطي ، سعادةُ فوزي باشا الملقي ، وسعادة إبراهيم باشا[2] .

---

(١) السَّحْنَة : الهيئة والشكل .
(٢) مذكِّرات سائح في الشرق العربي : ص (٢٦٣ ، ٢٦٤) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

فهم الملكُ المرحوم مغزى كلام العلاَّمة ، وأشارَ إلى بعض حاشيته ماذا يقول هذا السيد الندوي !! وقدَّم إليه هدية ثلاثين ألف دينار أردني ، وهمَّ العلاَّمة أن يعتذر من قبولها ، ولكنه لم يستطع ذلك ؛ لأن السيِّد المجدِّدي همَسَ إليه أنَّه يعتبر إهانةَ الدولة أن ترفض هدية الملك فقبلها شاكراً للملك ، وما خرج من الديوان الملكي إلا وقد أودع المبلغَ في صندوق البرِّ بأهل فلسطين الذي كان الملكُ يرأسه[1] .

لقاءه بالأمير سعود بن عبد العزيز :

التقى العلاَّمةُ بالأمير سعود بن عبد العزيز عام ١٩٦٢م في جلسة تأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، والذي قد قرأ الرِّسالة التي وجَّهها إليه (العلاَّمةُ الندوي) في زيارته الأولى للحجاز عام ١٩٤٧م ، وأُعجِب بها .

لقاءه بالأمير فيصل بن عبد العزيز وتبادل الآراء معه :

قابل العلاَّمةُ الندوي الأميرَ فيصل بن عبد العزيز آل سعود ١٩٦٣م في قصره الملكي في جلسةٍ خاصةٍ ، وطَلب منه أن يستمع إلى حديثه الذي يريد الإفضاء به ، فقبل الأميرُ ذلك ، وتحدَّث إليه العلاَّمةُ ، وأبدى شعورَه بالخطر من أن المملكة العربية السعودية ولاسيّما الحجاز تساق إلى خطوات البلدان العربية الراقية ، ويخطَّط لها ما يخاف منها على أهداف زيارة الحرمين الشريفين ، وكونهما بلدين إسلاميين مثاليين ، وتتأثَّر قداستُهما وجلالتهما بذلك ، فاستمع إلى حديثه الملكُ بإنصاتٍ ، وأبدى احتياطَ المملكة البالغة ، وحسن طويتها فيما يتعلق بالتخطيط للحجاز ، وطمأنه على أنه سوف لا يحدث شيءٌ مما يتوقعه ويخاف منه ، والّذي يخالف مكانةَ هذا المركز للإسلام ورسالته .

ثم كَتَبَ العلاَّمة إليه رسالة مفصَّلة ، بعدما تسلَّم هو زمام السلطة في البلاد ، كان موضوعها الأساسي، أن الحجاز لها شخصيةٌ خاصة ورسالة ومكانة خاصة ، ولا بدَّ من الحفاظ عليها في كل عصر ، ولا يجوز فيها أي إجراء « تقدُّمي » و « تغريبي » أو أي

---

(١) من مقال الدكتور عبد الله عباس الندوي في مجلة « الرائد » العدد الخاص بالعلاَّمة الندوي ، عدد ٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ ، (ص : ٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

خطة للترفيه والتسلية تضر ـ أدنى ضررٍ ـ بشخصيتها وأهدافها ورسالتها[1] .

ثم كتب إليه رسالةً أخرى صَرَّح فيها بـ :

« أنَّ تجربة تهيئة الأسباب والوسائل المادية للتسلية والترفيه ، والرخاء والثراء ، والعيش الهنيء اللّذيذ ، وشغلهم ، وإلهاءهم بذلك عن فكرة انتقاد الحكومة وتغيير الأوضاع ومطالبة الإصلاح ـ لم تزل فاشلة منذ عهد بني أمية إلى يومنا هذا ، فإنَّ هذه الطبقة نفسها التي تعيش في ثراء فاحش ، وغنى مُطغ ، ولا يكون لها ـ في ظاهر الأمر فرصة التفكير في شيء تكون أكثر الناس فقداً للطّمأنينة والقناعة ، وقلة الشكر ، والنكران للجميل ، وأنها هي الّتي تكون مصدر الثورة والطغيان ، وبالعكس منها الطبقة المتدينة تكون أكثر الناس وفاءً وأمانة وثقة»[2] .

فبعث إليه الملكُ ردّاً على هذه الرسالة بتاريخ ٩/ صفر عام ١٣٨٥هـ[3] .

وبعد ذلك كان للعلاَّمة مع الملك فيصل لقاءان آخران غير هاتين المقابلتين ، إحداهما بجدَّة، والأخرى بمكة المكرمة ، وقد أبدى فيهما العلاَّمةُ آراءَه ، وملاحظاته، وتخوّفاته ، وشرح الملكُ موقفه وموقف حكومته ، وقد تأثر العلاَّمة بذكائه الفائق ، وحسن وفادته ، وطيب أخلاقه ، وصبره على الاستماع ، وبساطته تأثراً كبيراً .

لقاءاتهُ مع الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود وأخيه الملك فهد وتوجيه رسائله الدعوية إليهما :

وكذلك قابل العلاَّمة الملكَ خالد بن عبد العزيز آل سعود والملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في زيارات مختلفة ، ووجَّهَ إليهما رسائلَ دعويّة ، أبدى فيها آراءَه وملاحظاته ، ونبَّههم إلى أن للحجاز شخصية خاصة ورسالة ومكانة ، ولا بدّ من المحافظة عليها في كل عصر .

مقابلتُه مع الملك الحسن الثاني (عاهل المملكة المغربية) ونصيحته له :

قابل العلاَّمة الملكَ الحسن الثاني لدى زيارته للمغرب لحضور مؤتمر رابطة

---

(١) انظر هذه الرسالة في كتاب « خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء » ص(٣٣) .

(٢) انظر هذه الرسالة في « خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤُساء » ص (٤٥) .

(٣) انظر ردَّ الملك الفيصل على رسالة العلاَّمة في « خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء » ص(٤٩) في الهامش .

www.abulhasanalinadwi.org

الجامعات الإسلامية عام ١٩٧٦م ، وقبل هذه الزيارة قد وجَّه إلى العلاَّمة جلالةُ الملك دعوةً ملحّةً لزيارة المغرب ، ذكرها العلاّمةُ في مذكّراته لهذه الرحلة ، يقول فيها :

« . . . وقد وجَّه إليَّ مرَّةً جلالةُ الملك الحسن الثاني عاهل مراكش دعوةً ملحة لزيارتها ، ومن عادته أنه يدعو نخبة العلماء من الأقطار الإسلامية في شهر رمضان المبارك لإلقاء الدروس والمحاضرات في القصر الملكي ، ويحضرها في عناية بالغة ، ويحضرها عددٌ كبيرٌ من أبناء البلد ، ويعنىٰ بنشر هذه المحاضرات التلفازُ والراديو ، وتكون له كلمةٌ ختامية في نهاية سلسلة هذه الدروس ، تطبع وتنشر في صورة كتاب ، ولكن ما تمكنتُ من الحضور ؛ لأن هناك نظاماً رتيباً لشهر رمضان المبارك في وطني « رَائي بَرِيْلِي » ، أبقى متقيّداً به ، ويحضره عددٌ وجيهٌ من خُلَّص الأصدقاء وطلبة دار العلوم ـ ندوة العلماء ، وبناءً على ذلك اعتذرتُ عن تلبية الدعوة الملكية الكريمة ، وفاتتني الفرصة السانحة لزيارة المغرب ، وكان ذلك تقدير العزيز العليم ، فلو حضرتُ بهذه المناسبة ؛ لتمكنتُ من زيارة أرجاء البلد والاحتكاك بمختلف الطبقات ، والاجتماع في حريةٍ بنخبة الأفراد وصفوة الأشخاص ولا سيَّما العلماء ، ورجال الفكر ، وقادة التعليم والتربية ، وزعماء السياسة . . . »[1] .

قابل العلاَّمةُ الملكَ هذه المرَّة في القصر الملكي مع نخبة من كبار العُلماء ، وألقى كلمةً نيابةً عنهم أمام الملك ، وقال : « إنَّني أكتفي بالتحية التي علَّمنا إيَّاها نبيُّنا الأعظم وجدُّكم الأجلُّ محمد ﷺ (أرواحنا فداه) أعني : السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكذلك أكتفي لكم بالدعاء الذي يدعوه الخطباء في يومٍ مبارك في ساعةٍ مباركة وعلى منابر المساجد كلَّ يوم جمعة ؛ أعني : « اللّهم انْصُرْ مَنْ نَصَرَ دِيْنَ مُحمَّدٍ ﷺ واجْعَلْنَا مِنْهُمْ » .

وأضاف قائلاً :

« . . . إنَّني أسعد بتبليغ رسالة كريمة إليكم عن العالَم الإسلامي ، أراها أمانةً في عنقي ومسؤولية على عاتقي ، وهي : أنَّ المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها ينتظرون بفارغ الصبر أن يطلع من أُفق العالم الإسلاميّ نجمٌ جديدٌ ، يعلّقون به آمالهم ، إنَّهم يعيشون وضعاً مردياً عصيباً عجيباً ، يحتاجون فيه

---

(١) رحلات العلاَّمة أبي الحسن الندوي : ص(٤٠٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

إلى قائد عصامي ، مؤمنٍ ألمعي ، يمتاز بإخلاصه ويقينه وعزمه الراسخ وقلبه الواثق ، وقد صوَّر القرآنُ هذا الوضع تصويراً بيّناً معجـزاً فقال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ﴾ التوبة : ١١٨] .

إنَّ المسلمين يعيشون مثل هذا الوضع ، ولا يرون ملجأ من الله إلا إليه ، وقد كان يطلع من أفق العالم الإسلامي في الماضي شخصيةٌ عملاقةٌ عصاميةٌ ، تحوّل مجرى التاريخ، لكن ذلك يحتاج إلى الإيمان والإخلاص ، والشهامة والغيرة ، وصِدق الولاء والوفاء وإنما ينهض بذلك من يريد أن يقدِّم الإسلام ويرضي ربَّه ويقنع ضميره ، ويؤدِّي مسؤوليته سامياً عن الأغراض الشخصيّة ، وكان الناس يتطلَّعون في هذا العهد الأخير إلى والدكم العظيم السلطان محمد الخامس ، ولكن لم يمهله الأجلُ ، ومن يدري إذا كان الله قد كتَبَ لكم هذا الشرف ، ويريد أن يسوق إليكم هذه السعادة . . . »[1] .

لقاءاته بالأمير سلطان بن محمد القاسمي (حاكم الشارقة) وتوجيه رسائله الدعوية إليه :

كان بين العلاَّمة الندوي وبين الأمير سلطان بن محمّد القاسمي (حاكم الشارقة) صلةٌ قويّةٌ ، وكان الأميرُ كثير الإعجاب بشخصية العلاَّمة وشديد التأثُّر بمؤلَّفاته . سافر العلاَّمةُ بناءً على دعوته الخاصَّة إلى الإمارات العربية المتّحدة عام ١٩٧٤م ، وتبادلا الآراء ، ووَجَّه إليه رسائلَ دعوية وفكريةً ، وكان الأميرُ يودِّع العلاَّمةَ لدى كل زيارته للشارقة بقدومه شخصياً إلى المطار تكريماً لضيف بلاده .

وقد زاره الأميرُ عام ١٩٨٠م في مقرِّ « دار العلوم ـ ندوة العلماء » بلكهنؤ (الهند) ، وقد تكرَّر لقاءُ العلاَّمة معه ، ولقي من سموِّه دائماً العطفَ ، والتكريم .

---

(١) رحلات العلاَّمة أبي الحسن الندوي : ص(٤٤٧ ـ ٤٤٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

مقابلته مع الرئيس عبد الله صالح (رئيس الجمهورية العربية اليمنية) وإقامته حفلةً لتكريم العلاَّمة :

قابله الرئيسُ علي عبد الله صالح لدى زيارته الأولى لليمن عام ١٩٨٤م[١] ، وأقام له حفلةَ اللقاء والتكريم بقصر الجمهورية ، وأبدى للعلاَّمة احتراماً وإكراماً كبيرَين .

زيارة الجنرال محمد ضياء الحق (رئيس جمهورية باكستان الإسلامية) للعلاَّمة :

زاره الجنرالُ محمد ضياء الحق في مدينة كراتشي عام ١٩٨٤م . ولم يكن في برنامج الرئيس أن يزور كراتشي ، لكنه زارها للقاء بالعلاّمة وتبادل الآراء معه ، وقال له العلاَّمةُ عند طلبه النصيحة ! « حَاوِلْ أيها الرئيس أن تكون صلاتُك بالهند طيبة ، فيها خير للمسلمين ـ إن شاء الله ـ »[٢] .

ثم قدَّم إليه العلاَّمة تِمْثالَ قُبَّة الصخرة الرُّخَاميّ ، وكان أُهدِيَ إليه كهدية تذكارية من كلية العلوم العربية في عَمَّان ، يقول العلاَّمة في سِرِّ تقديم هذه الهدية إلى الرئيس : « وكانت هذه الهديةُ السُّنِّية إشارةً خفية إلى أنَّ استخلاص المسجد الأقصى المبارك مسؤولية مِن مسؤوليات رئيسٍ مؤمنٍ ، لبلدٍ مسلمٍ كبيرٍ كباكستان »[٣] .

وكان الرئيسُ ذا صلةٍ قويَّةٍ بالعلاَّمة الندوي ومن كبار المُعجَبين والمتأثِّرين به ، وكان العلاَّمة معلِّقاً به آمالاً كثيرة في صدد إصلاح البلاد وتطبيق النظام الإسلامي الحكومي ، وتنفيذ القانون الإسلامي ، والمحافظة على سلامة البلاد وكرامتها ، وضرب المثل العمليّ المثالي لقادة الأقطار الإسلامية وحُكَّامها .

وقد تألَّم العلاَّمةُ شديداً بنبأ اغتياله عام ١٩٨٨م ، حيث يقول :

« ولمَّا انتبهتُ كعادتي كلَّ ليلة ، أخبرني أحدُ الزملاء بهذا النبأ المُفزع ، ففزعتُ له كلَّ فزع ، وحسبتُ له كلَّ حساب ، ومَلَك عليَّ أعصابي حتى لم أستطع أن أطالع الصُّحَفَ أو أسمع الإذاعات مدةَ أسبوعين أو أكثر ، والذي شغل بالي أكثر ، هو أنَّني خفتُ أن يكون ذلك حادث اغتيال أو نتيجة مؤامرة سياسية ، أو حزبية إجرامية من نفس

---

(١) انظر للاطلاع على هذه الرحلة « رحلات العلاَّمة أبي الحسن الندوي » ص(٤٩٣) .
(٢) من مقال الدكتور عبد الله عباس الندوي في مجلة « الرائد » العدد الخاص بالعلاَّمة .
(٣) رحلات العلاَّمة أبي الحسن الندوي : ص(٥٢٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

أبناء البلاد ، أو منظَّمة من منظَّماتها السرِّية ، فيكون ذلك غايةً في نُكران الجميل والكفران بنعمة الله ، وإضاعة فرصة قلَّما يجود بها الزمانُ ، ولا شكَّ أنَّ مثل هذا العمل الإجرامي الكنود يكون سبباً لنقمة من الله وحرمان من نصره ، ويكون فيه توريط البلاد في محنة قد يطول أمدُها ، ويصعب التخلُّص منها ، في غير حاجة واضطرار ، وحسن قصد وبحث عن الأفضل الأمثل ، في عدد من الأقطار الإسلامية ، واستعجالٍ للأمر وأنانيات ، وشهوة للحكم ، تتغاضى عن المصلحة الإسلامية العامة ، وعما يعرّض البلاد للاضطراب والفوضى ، وإحباط المساعي في سبيل تطبيق المنهج الإسلامي السياسي والتشريعي في البلاد ، وغضّ البصر عما يحيط بهذه الدولة الإسلامية الوليدة ـ المحاطة بالدول المنافسة الحاقدة ، التي لم تسغ قيام هذه الدولة المسلمة يوماً من الأيام ، والتي لا تزال غُصَّة في حلقوم بلاد الشيوعية والعداء للإسلام والمسلمين ، وشوكة في جنبها ـ من الأخطار والتهديدات ، وانتهاز الفُرَص للتخلُّص منها أو إضعافها »[1] .

زيارة السيدة إندرا غاندي (رئيسة وزراء الهند السابقة) للعلامة في مقرِّه ، ونصيحتُه لها :

زارت السيِّدةُ إنْدَرَا غاندي العلاَّمةُ الندوي في مقرِّه (رائي بريلي) مع أصحابها وحواشيها ، وكان معها كبيرُ وزراء ولاية أترابرديش سابقاً ، ولمَّا استقرَّ بها المجلس ، استشارت العلاَّمة في بعض الأمور السياسية في مصلحة مسلمي الهند ، فلمَّا دار حديثُها حول هزيمتها النكراء في انتخابات عام ١٩٧٧م ، قال لها العلاَّمةُ : « إنَّني أراكِ مظلومةً في بعض الجوانب ، وهو أنَّ الناس حجبوا عن أنظارك الحقائق والوقائع ، فلم تقفي على مشاعر الناسِ والأوضاع القائمة ، حتى آل الأمرُ إلى ما أنتِ فيه »[2] .

ولمَّا التمَسَتْ السيدة من العلاَّمة دعواتِه الصالحة في نجاحها في الانتخابات القادمة ، قال العلاَّمةُ : « إنَّني أدعو لمَن ينفع البلادَ ويخدمها الخدمة الصحيحة الحقيقية أيّاً كان »[3] .

واستمعت السيدةُ غاندي إلى كلمة العلاَّمة ، ثم دخلتْ بيتَه وسلَّمت على نساء

---

(١) في مسيرة الحياة : (٣/ ١٣ ـ ١٤) .
(٢) المرجع السابق : (١/ ٣٢٢) .
(٣) المرجع السابق : (١/ ٣٧٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

عائلته » وكانت هذه آخرُ مقابلتِها معه .

زيارة السيّد أَتَالْ بِهَاري فاجْبَائي (رئيس وزراء الهند السابق) للعلاَّمة :

تكرَّم السيدُ أتَالْ بِهَاري فَاجْبَائي بزيارة العلاَّمة يعوده في ٢٨/ مارس ١٩٩٩م ، وذلك في مقرّه بندوة العلماء، حيث كان يُشرف على علاجه جماعةٌ من الأطباء البارعين ممن يقومون بالرعاية الطبية الدقيقة ، ويوفِّرون بعون من الله ـ جميع التسهيلات المطلوبة ، وقد تقدَّم السيد فاجبائي بتوفير جميع التسهيلات للعلاج ، وطلب من العلاَّمةِ إتاحةَ الفرصةِ له لهذه الخدمة ، وشكره العلاَّمةُ على هذه الروح الطيبة .

وأوصاه العلاَّمةُ ـ وهو رهين الفراش ـ بالتزام المبادىء الإنسانية التي تنفع البلادَ والجماهير ، وتتكفَّل بتقدُّم البلاد والعيش في ظلٍّ من الأمن والإخاء والسلام للشعب ، وقد استمع رئيسُ الوزراء إلى وصيته ، ووَعَدَ بأنه سوف لا يقصِّر في تنفيذها .

وما عدا مقابلات رؤساء وزراء الهند هذه مع العلاَّمة في مقرّه نفسه هناك عديدٌ من اللقاءات والمقابلات لهم معه، وقد وجَّه إليهم العلاَّمة في جميع تلك المقابلات واللقاءات نصائحه المخلصة ، وتوجيهاته الرشيدة ، وآراءه السديدة في مصلحة البلاد والشعب ، من يريد الاطلاع عليها فليقرأ أجزاء سيرته الذاتية « في مسيرة الحياة » أو الكتابَ الذي أعدَّه المؤلِّف بعنوان « خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء » .

زيارة البروفيسور نجم الدين أربكان (الزعيم التركي المعروف ، ورئيس وزراء تركية الأسبق) :

قام البروفيسور نجم الدين أربكان بزيارة العلاَّمة الندوي في أحد الفنادق في اسطنبول لدى زيارته لتركية عام ١٩٩٦م ، تحدَّث معه العلاَّمةُ حديث العالم الصادق الداعية ، فذكَّره بأهمية اسطنبول وأهمية فتحها ، وما كان يرمز إليه اشتراك الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري في إحدى معارك فتحها ، واستشهادُه على أسوارها ودفنه فيها ، ثم ربط العلاَّمةُ بين هذه المعاني ، وأهمية الإسلام ومعناه لهذه المدينة ولتركية ، كان ذلك كلُّه في حديثٍ عميقٍ شاملٍ مؤثِّرٍ ، حديث ينفذ إلى الأعماق ، ويخترق الحواجز ، فتدمع له عيونُ السامعين ، وتتضح له جوارح الزعيم الزائر ، وتبلغ الموعظة والحقيقة إلى أعمق أعماقه ، فعاهد الزعيمُ نجم الدين العلاَّمة على حماية الإسلام في هذا البلد ، ثم نهض ليودِّع العلاَّمة بعيون دامعة ، مقبلاً يده ، وشاكراً له .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني

تقدير وتكريم

انتخابه عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق :

انتخب مجمعُ اللغة العربية العلاَّمةَ الندوي عضواً مراسلاً عام ١٩٥٧م لِمَا اتصف به من العلم الجمِّ ، والبحث الدقيق في ميادين الثقافة العربية والإسلامية ، ولمساعيه المكثَّفة المشكورة في سبيلها .

إدارته لجلسة تأسيس رابطة العالم الإسلامي الأولى في محضر أمراء وحكَّام البلاد العربية :

حضر العلاَّمةُ مؤتمرَ العالم الإسلامي عام ١٩٦٢م ، حضره الملكُ سعود ، والملك إدريس السَّنُّوسي ـ حاكم ليبيا ـ وأشخاص آخرون ذوو شأن من أرجاء العالم الإسلامي كافة ، وقد أسّست هناك منظمة عالمية باسم رابطة العالم الإسلامي ، واختير الأعضاء المؤسِّسون ، وكان العلاَّمةُ الندوي منهم ، وفيه مُنح له شرفُ إدارة الجلسة الأولى لتأسيس رابطة العالم الإسلامي نيابةً عن رئيسها شيخ الإسلام بالمملكة العربية السعودية ومفتيها العام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ . وقدَّم فيه العلاَّمةُ مقالَه القيّم بعنوان « الإسلام فوق القوميات والعصبيات »[1] .

اختياره عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى في الجامعة الإسلامية (بالمدينة المنوَّرة) :

اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢م ، وظَلَّ عضواً فيه إلى انحلال المجلس ـ وانضمامه لوزارة التعليم العالمي ـ قبل أعوام .

---

(١) اقرأ هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدَّعوة » .

www.abulhasanalinadwi.org

اختياره عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية :

اختير عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٧١م .

تكريمه بـ « الملك فيصل العالمية » تقديراً لخدماته الإسلامية :

تَمَّ اختيار العلاَّمةِ لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٠م ، لخدماته الجليلة ومآثره العظيمة للإسلام والأدب ، وكانت له رسالةٌ وَجّهَها إلى رئيس لجنة جائزة الملك فيصل العالمية ، قال فيها بعد كلمات الشكر :

« . . . . لقد كان خيراً أن ينال العاملون في مجال الخدمات الإسلامية جائزتهم في الآخرة ، وقد أُعلِن عن هذه الجائزة في غيابي ، ولم يبقَ لي بدٌّ الآن ـ احتراماً للملك فيصل المرحوم رائد التضامن الإسلامي ، وتقديراً لخدماته الإسلامية ـ أن أقبل هذه الجائزة ، وأدعو الله تعالى أن يحقِّق ما ترمز إليه هذه الجائزة ، وما تتضمنه من تقديرٍ للخيرِ وترغيب بالمزيد فيه ، ولا أستطيع أن أحضر بنفسي ، فيمثِّلني الدكتورُ عبد الله عباس الندوي[1] فهو يتلقى الجائزةَ ويبلِّغ شكري وسلامي » .

وقال : « إنَّ هذه الجائزة تحمل جوانبَ متعددة ، فأمَّا الجانب المعنويّ فيه : الاعتراف والتقدير ، فأنا أقبله بتقدير وشكر ، أمَّا الجانب الآخر المالي الّذي يلازمه : فأستميحكم أن أصرفه فيما أرى من مصالح الخدمات الإسلامية ، وسوف يُعلِن عنها الدكتور عبد الله عباس الندوي . . . » .

بعد ذلك أَعلنَ تلميذُه فضيلةُ الأستاذ الدكتور عبد الله عباس الندوي أنَّ نصف المبلغ من الجائزة مخصَّصٌ للمجاهدين الأفغان ، ورُبعه لجماعة تحفيظ القرآن الكريم ، والرُّبع الباقي للمدرسة الصَّولتية بمكة المكرمة[2] .

---

(١) أحدُ تلاميذ العلاَّمة الندوي النجباء النبغاء ، انظر ترجمته في الباب السادس ، الفصل الثاني ص(٩٠٣) .

(٢) في مسيرة الحياة : (١/ ٣٩٦/ ٣٩٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

اختياره عضواً في مجمع اللغة العربية بالأردن :

اختُير عضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الأردنيّ عام ١٩٨٠م .

منحه شهادة الدكتوراة الفخرية :

مُنِحت له شهادة الدكتوراة الفخرية في الآداب من جامعة كشمير عام ١٩٨١م .

دعوته إلى أول ندوة عالمية عن الأدب الإسلامي :

دعا إلى أوّلِ ندوةٍ عالميةٍ عن الأدب الإسلامي في رحاب دار العلوم ـ ندوة العلماء عام ١٩٨١م ، كان موضوعها « البحث في الأدب العربي وآداب اللغات الأخرى عن العناصر الإسلامية » وقد نالت هذه الدعوةُ من القبول في البلدان العربية ، وحضر للمشاركة فيها عددٌ لا بأس به من الأدباء العمالقة ، والشعراء الأفاضل ، وكبار المؤلفين المعاصرين ، وعمداء كليات اللغة والأدب في الجامعات الكبرى من جميع البلدان العربية .

اختياره رئيساً لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن :

اختير رئيساً لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن عام ١٩٨٣م ، وحضرَ أوّلَ جلسة وترأّسها .

اختياره عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن :

اختير عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية وللبحث والتأليف والتحقيق .

وحَضَر في جلسة عام ١٩٨٤م ، حيث حضَرَ كبارُ رجال العلم والأدب المعروفين والعلماء والباحثين المحقِّقين في عدد كبير من أنحاء العالم .

وقد نوّه به الأميرُ حسن بن طلال (وليُّ عهد المملكة الأردنية الهاشمية) في خطاب الترحيب الذي افتتح به المؤتمر بصفة خاصة ، وقال العلاَّمةُ في هذا المؤتمر : « إنَّني أعتبر الأردنَ خطَّ الدفاع الأخير ، والرباط الحسَّاس الخطير للعالم الإسلامي الذي له حقٌّ كبير على كل مسلم ، وهذا هو الشعور الذي حملني ـ رغم ضعف صحّتي وكثرة شواغلي ـ على هذا السفر وحضور المؤتمر »[1] .

---

(١) في مسيرة الحياة : (٢/ ١٠ ـ ١١) .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد ألقى العلاَّمةُ في هذا المؤتمر تلبيةَ رغبةٍ ملحَّةٍ كلمةً مرتجلةً ، استعرضَ فيها ملخّصاً موجزاً للمدِّ الإسلامي في الهند .

تأسيسه لـ« رابطة الأدب الإسلامي العالمية » :

تأسَّست رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٩٨٤م إثر مقالٍ للعلاَّمة الندوي ، كتبه بعد أن اختير عضواً لمجمع اللغة العربية بدمشق في مجلة « المجمع » بعنوان : « نظرة جديدة إلى التراث العربي »[١] .

لفت فيه نظرَ الأدباء العرب إلى البحث عن عناصر الأدب الإسلامي وإبرازها ، ونخل المكتبة الإسلامية الأدبية لهذا الغرض واستعراضها ، وضغَطَ فيه على أهمية وجود رابطة الأدب الإسلامي . فاختير رئيساً عاماً لها فوراً بعد التأسيس .

حفلة تكريمية فاخرة به في جُدَّة :

أقام الشيخُ عبد المقصود خَوْجَه ـ من أعيان جُدَّة وأغنيائها ـ حفلاً كبيراً فاخراً بجدَّة في يوم ١٥ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ (الموافق ٦ يناير ١٩٨٥م) للترحيب بالعلاَّمة الندوي وتكريمه . حضر فيها من أعيان جدَّة ووجهائها وعلمائها وأدبائها وأصحاب الأقلام فيها ما لم يحضر من قبل ، وأبدوا عواطفهم النبيلة وانطباعاتهم الطيبة عن شخصية العلاَّمة الندوي الجليلة ، وأشادوا بمآثره القيمة في مجال العلم والأدب .

ندوة أدبية كبيرة في استانبول حول حياته ومساهماته في خدمة الأدب :

أُقِيمتْ ندوةٌ أدبيةٌ كبيرةٌ حول حياة العلاَّمةُ الندوي وجهوده الحثيثة ، ومساعيه المشكورة ، وخدماته العظيمة في مجال الدعوة والأدب عام ١٩٩٦م في استانبول « تركية » ، وهو على هامش المؤتمر الرابع العالمي للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وحضرها عددٌ جمٌّ من كبار العلماء والأدباء المشهورين من أنحاء العالم الإسلامي والعربي أمثال : الداعية الكبير الدكتور يوسف القرضاوي ، والمفكِّر الإسلامي الكبير الأستاذ محمد قطب ، والكاتب المفكِّر الدكتور عبد الحليم عويس وغيرهم ، وألقوا فيها مقالاتٍ يُشيدون بجهوده ومآثره الدعويّة والأدبيّة[٢] .

---

(١) اقرأه في الباب الرابع ، الفصل الثالث ، ص(٥٧٩) .

(٢) وقد نُشِرتْ هذه المقالات في كتابٍ مستقلٍّ ، وطبعته مؤسَّسة الرسالة ـ بيروت عام ١٤٢٢هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

تكريمه بإعطاء مفتاح الكعبة المشرَّفة :

كرَّمه بنو شيبة[1] بتسلم مفتاح الكعبة المشرَّفة له ـ لعلَّ ذلك بإشارةٍ من عاهل المملكة الملك فهد بن عبد العزيز ـ عام ١٤١٦هـ ١٩٩٧م ، ليتشرَّف بفتح بابها بيده ، ويؤدِّي الصلاةَ في داخلها ، فكان هذا أعظم شرفٍ وأكبر كرامةٍ له في حياته . وقد حَضَر في هذه المناسبة المباركة أجلَّةُ علماء المملكة أمثال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الباز وغيره .

تكريمه بـ« جائزة الشخصية الإسلامية » لعام ١٤١٩هـ :

وافقت لجنةُ جائزة دُبَي الدولية لمسابقة القرآن الكريم (التي يرعاها صاحبُ السُّمُوّ محمد بن راشد المكتوم ولي عهد الحكومة) في دورتها الثانية بإجماع من جميع أعضائها على تكريم العلاَّمة الندوي بجائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ ، تلقى العلاَّمةُ الدعوةَ الكريمة من حكومة دُبي للحضور في الحفل الختامي لمهرجان المسابقة القرآنية ، المنعقد في ٢٠/ من شهر رمضان المبارك ، ورغم أنَّ الظروف الصحية لم تكن تسمح له بالسفر ، وفي شهر رمضان ، إلا أن المسؤولين عن الجائزة ألحُّوا عليه بتشريفه هذا الحفل ، ووفَّروا لذلك جميع التسهيلات اللازمة ، وأرسلوا طائرةً خاصة إلى مقرّ العلاَّمة الندوي بلكهنؤ ، وكانت الطائرةُ مزوَّدة بجميع الوسائل المطلوبة مع جماعة من أعضاء اللجنة ، وجماعة من الأطباء ، لكي يرافقوه إلى دُبَي .

قُوبل العلاَّمةُ الندوي من جميع الطبقات في الإمارات العربية المتحدة بحفاوة بالغة ، وترحيب واسع ، وكان حشدٌ كبير من الزوَّار الّذين كانوا يزدحمون عليه في المضْيَفَة الّتي نزل فيها ، ويتمنّون أن يروه عن كثبٍ ، ويسلِّموا عليه ، ويستمعوا إلى كلماته .

عقد الحفل الختامي لمسابقة القرآن الكريم في قاعة المبنى التجاري الواسعة ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان ١٤١٩هـ (المصادفة ليلة الثامن من شهر يناير ١٩٩٩م ـ برعاية ولي العهد سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم ، وكان مِسك الختام تكريم العلاَّمةِ الندوي الّذي دُعي إلى المنصة التي تلقى فيها سمو ولي العهد العلاَّمة

---

(١) هم من سُلاَلة شيبة بن عثمان وعثمان بن طلحة ؛ الذي أعطاه النبيُّ ﷺ مفتاح بيت الله بعد فتح مكَّة المكرَّمة قائلاً : « خُذْها تالدةً تالدةً لا ينزعها يا أبا طلحة منكم إلاَّ ظالمٌ » وما زال هذا المفتاحُ يحتفظ به بنو شيبة إلى ساعتنا هذه . والحديث أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١١/ ١٢٠) برقم (١١٢٢٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

بالترحيب اللائق ، وقدَّمَ إليه جائزةَ دبي للشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ ، وانتهز العلاَّمةُ هذه الفرصة الغالية لإلقاء كلمته أمام الحفل ، وتحدَّثَ فيها عن حياة الطفولة الّتي عاشها في القرية ، وحنينه إلى تعلّم لغة القرآن الكريم والبراعة فيها ، وكيف أن الله سبحانه وتعالى قد حقَّق أمنيته ، واستطاع أن يجعل اللغة العربية لغة التعبير كتابةً وخطابةً ونطقاً وحواراً .

ثم إنَّه خاطب الأمةَ العربية ، وقال :

« لو جُمِع لي العربُ في صعيدٍ واحد ، واستطعتُ أن أوجّه إليهم خطاباً تسمعه آذانهم ، وتعيه قلوبهم لقلتُ لهم :

أيها السادة ! إنَّ الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد العربي ﷺ منبع حياتكم ، ومنْ أُفُقه طلع صبحُكم الصادق ، وأنَّ النبي ﷺ هو مصدر شرفكم وسبب ذكركم ، وكل خير جاءكم ـ بل وكل خير جاء العالم ـ فإنَّما هو عن طريقه وعلى يديه ، أبى الله أن تتشرَّفوا إلا بانتسابكم إليه وتمسُّكِكُم بأذياله ، والاضطلاع برسالته ، والاستماتة في سبيل دينه ، ولا رادَّ لقضاء الله ولا تبديل لكلمات الله .

إنَّ العالم العربي بحرٌ بلا ماءٍ كبحر العَروض ، حتى يتخذ سيدنا محمد ﷺ إماماً وقائداً لحياته وجهاده ، وينهض برسالة الإسلام كما نهض في العهد الأول ، ويُخلص العالم المظلوم من براثن مجانين أوربة ـ الذين يأبون إلا أن يقبروا المدنيَّة ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم ـ ويوجِّه العالم من الانهيار إلى الازدهار ، ومن الخراب والدَّمار والفوضى والاضطراب ، إلى التقدُّم والانتظام ، والأمن والسلام ، ومن الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان ، وإنه حقٌّ على العالم العربي سوف يُسألُ عنه عند ربِّه فلينظر بماذا يجيب؟!» .

وبعد ذلك توجّه العلاَّمةُ بالشكر إلى المسؤولين عن هذه الجائزة واختياره لها ، وعلى رأسهم سموّ ولي العهد محمد بن راشد المكتوم ، ثم أعلَنَ إعلاناً مُدوِّياً بوقف هذه الجائزة الّتي تبلغ قيمتها مليون درهم على التعليم الإسلامي في الهند وغيرها ،

www.abulhasanalinadwi.org

وقُوبل هذا الإعلان الكريم بعاصفة من التصفيق ، ودوّت القاعة بهتاف التكبير ، وكان من خصائص هذا الحفل أن كتابين (أحدهما : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » والآخر : « أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب »[1] للمؤلّف) وُزِّعا على الحاضرين في عدد كبير من قبل لجنة الجائزة .

تكريمه بـ« جائزة سلطان برونائي للخدمات الإسلامية » :

لقد وقَعَ اختيارُ سلطان برونائي : السلطان الحسن البلقية على العلاَّمة الندوي لمنح جائزة الخدمات الإسلامية لعام ١٩٩٨م ، وذلك اعترافاً بمكانته العلمية والفكرية الإسلامية العظيمة ، وتقديراً لخدماته المتميزة التي أنجزها في مجال الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي عن طريق جولاته الدعوية في جميع أنحاء العالم ، وإشادةً بمؤلّفاته الإسلامية الفكرية والتاريخية التي أثْرَتِ المكتبة الإسلامية العظيمة ، وكوَّنت أسلوباً دعوياً خاصاً لنشر تعاليم الإسلام وفكره الديني والعلمي .

تكريم منظَّمة « إيسسكو » بمنح الوسام له :

منَحته المنظَّمةُ الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو Isesco) ، وِسَاماً من الدرجة الأولى ، إعراباً للخدمات الجليلة التي قدَّمها إلى الثقافة العربية الإسلامية ، وتقديراً لعطائه العلمي المتميِّز فيها . استلمه فضيلةُ الأستاذ الدكتور عبد الله عباس الندوي ـ أحدُ تلاميذ العلاَّمة الندوي النبغاء ـ في الرباط عام ١٤٢١هـ (٢٠٠١م) ، وذلك بعد سنة من وفاته ؛ رحمه الله ! .

* * *

---

(١) والذي صدر في سلسلة « الأعلام » من دار ابن كثير بدمشق ، عام ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) .

www.abulhasanalinadwi.org

-

الفصل السّادس

وداع إمام الدعاة ، وقُدوة المفكّرين
ورائد الأدب (الإسلامي)

المبحث الأول : وفاته ـ قصائدٌ في الرثاء ـ أعقابه .

المبحث الثاني : ملامحُ شخصية العلاَّمة الندوي : مذهبه ـ حليته ـ صفاته ـ مواهبه .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

وَفَاتُه

لقد قدَّر الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية في عام ١٩٩٩م (١٤٢٠هـ) أن تودِّع عدداً من كبار أعلامها العلماء وعامليها العظماء وخيارهم علماً وعملاً ودعوةً إلى الله ، ولا يكون من المبالغة في شيء إذا قيل ، إنه لم تلقَ وفاة عالم ومفكِّر ، وأديب وداعية في العصر الحديث ذلك الاهتمام والتأثر والانفعال الذي لقيته وفاة العلامة أبي الحسن الندوي ، وسيُلاحظ القارئُ ذلك الأثر في أقوال وتعازي كبار العلماء وأمراء البلاد الإسلامية والعربية في الصفحات الآتية .

أيَّامٌ قَضَاهَا قبل وفاتِه :

كان العلاَّمة الندوي في حالة صحية جيدة قبل ثلاثة أيام من وفاته ، يَصومُ ويصلِّي التراويح عشرين ركعةً كاملةً ، يقوم على عادته لقيام الليل ويتسحَّر ويصلِّي الفجر ويقرأ سورة « يَس » مع بعض أوراده الخاصة ، ثم يدعو لوالديه ولأساتذته ، ولكبار العلماء والدعاة والمجدِّدين والمصلحين والمجاهدين في سبيل الله عبر التاريخ الإسلامي الطويل ، ثم يستريح ساعتين ، فيستيقظ ويصلي ركعتين ، ويتلو القرآن ما تيسَّرَ له ، ويستقبل الزوار ، ويقرأ الرسائل الواردة إليه من أنحاء العالم ويردّ عليها ما ينبغي منها بالردِّ ، وينظر في بعض الكتب ويملي إذا اقتضى الأمر ، ثمَّ يستريح ما بين صلاة الظهر والعصر ساعةً ، ويشتغل بعد صلاة العصر في الذكر والدعاء ، ثم يفطر مع ضيوفه ، ويتعشَّى معهم بعد صلاة المغرب مباشرةً ، فيستريح قليلاً ثم يصلِّي العشاء والتراويح ، ويجلس ساعة أو نصفها للضيوف والزوار والحضور مِن الطلاب .

ومن المختصر . . . كانت أمورُه ـ المذكورة ـ كلُّها تجري في أوقاتها كالأيام العادية ، وكان صحيحاً نشيطاً متحمِّساً لا تظهر عليه أية آثار من التعب أو الإرهاق ، وكان قبل ليلة من مغادرته إلى مسقط رأسه « تكية كلان » حدَّث في مجلسه ـ الذي كان

www.abulhasanalinadwi.org

ينعقد لنصف ساعة بعد التراويح ـ عن قصة رِبْعِيٍّ بن عامر وقولته التاريخية المشهورة أمام رُسْتُم قائد الفرس ؛ إذ قال له : ما الذي جاء بكم ؟ فقال رضي الله عنه : « الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضِيق الدنيا إلى سَعة الدنيا والآخرة » ، وركَّز العلامة على كلمة الابتعاث وما تُشير إليه من أن الله سبحانه وتعالى عندما أرسل نبيَّه ﷺ فلم يكن ابتعاثُ فردٍ واحد فقط ، وإنما تبعه ابتعاث الأمة العربية كلها ، لتحمل هذه الرسالة إلى العالم الذي أرسل الرسول ﷺ إليه أجمع ، وكما نبَّه العلامةُ على كلمة سعة الدنيا والآخرة وما تشمل عليه من حكم وصدق إيمان بالآخرة.

وفي نفس هذا المجلسِ عَرض على العلاَّمة أحدُ الحضور فكرةَ إكمال سلسلته الرائعة « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » بتناول الدعاة والعلماء والمصلحين بعد القرن الثاني عشر الهجري ، أي بعد الإمام الشاه ولي الله الدِّهلوي ، وأهمِّ الحركات والدعوات الإسلامية في القرون الماضية ، وعلى أن يتولَّى إكمال هذه السلسلة تحت رعاية العلاَّمة وحسب توجيهه وإرشاده ابنُ أخته الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، فاستحسن العلاَّمةُ هذه الفكرة ، وأيَّد هذا الاقتراح بحضور فضلية الأستاذ واضح الندوي حفظه الله .

وكذلك كان مجلسُه عامراً وممتعاً ليلة الأربعاء ، وكانت هي آخر ليلة قضاها في رحاب « ندوة العلماء » ، واستمع في هذا المجلس تلاوةَ القرآن الكريم من أحد الطلاب ، فجَرى الحديث عن بعض مؤلفاته القيمة وبالأخص منها كتاب « العقيدة والعبادة والسلوك » .

ثمَّ غادرَ مقرَّه « ندوة العلماء » بلكهنؤ إلى قريته ومسقط رأسه « تكية كلان » صباح يوم الأربعاء مع جملة من أقاربه ومجموعة من أصحابه وتلاميذه ، لكي يقضي هناك العشرة الآخرة من رمضان المبارك مع أفراد عائلته ، وقضى في قريته يومين ـ قبل يوم بفاته ـ كعادته ، وجلس في الليلتين للحضور وتحدَّث في المجلس كالمعتاد ، وأثناء مجسله ليلة الجمعة سُئِلَ عن العاقبة وورودها في القرآن الكريم على وجهين ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] وقوله في موضع أخرى : ﴿ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل : ٦٩] وما إلى ذلك ؟ فأجاب : « العاقبة إما أن تكون محمودة أو أنها تكون مذمومة ، وقد وردت في القرآن الكريم بالمعنَيَين » وكنا كثيراً ما نسمعه يدعو « اللَّهم أحسِنِ العاقبة » .

www.abulhasanalinadwi.org

حُسْن الخِتَام :

ولمَّا كان يوم العام الأخير من العام الميلادي (٣١/ من ديسمبر ١٩٩٩م) وهي جمعة الوداع في العالم الإسلامي كلِّه ، تهيَّأ العلاَّمةُ الندوي لصلاة الجمعة بغاية من الاهتمام ، واستحمَّ وغيَّر ملابسه ، وكان من عادته أنه لم يكن يخرج لصلاة الجمعة ولم يكن يحبُّ أن يتوجَّه إلى المسجد الحرام أو المسجد النبوي ولاستقبال الضيوف إلا بكامل لباسه بما فيه الشِّيرْوَاني (اللباس الفوقاني الَّذي كان يلبسه دائماً في المناسبات والاجتماعات) ، فلبس الشريواني وتطيَّب ، فطلب من حفيده هو فضيلة أستاذنا الشيخ بلال عبد الحي الحسني الندوي المصحفَ ليقرأ سورة الكهف[1] ، وقبل أن يحضر المصحف بدأ يقرأ سورة « يَس » فإذا به توقَّف لسانه ومال إلى الوراء ، فأمسكه الشيخُ بلال من جهة رأسه ، وأسرع خادمه الخاص الشيخ عبد الرزاق إلى رجليه النازلتين من السرير لينوِّماه على ظهره ، فلفَظ نفسَه الأخيرة ، وهو يقرأ آيةً من سورة « يَس » ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يَس: ٢٦ـ٢٧]، ففاضت روحُه المتشوِّقة إلى بارئها ، واطمأنت النفس ، ورجعت إلى ربِّها راضية مرضية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قيل : إنها كانت نوبة قلبية سبَّبت توقُّفَ قلبه ، ورغم أنه أسرع إليه الأطباءُ بالأوكسجين ، ولكنه أبى إلاَّ أن يستجيب لنداء ربِّه ، ويلحق بالرفيق الأعلى ، حدث ذلك في تمام الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق ظهراً ، وانضمَّ ـ رحمه الله ـ إلى صُفوف أولئك الرجال من المؤمنين الَّذين أشاد اللهُ بذكرهم في كتابه العزيز ، فقال : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

وما أن أُعلِن عن وفاته إلا وبدأت قوافل تلاميذه ومحبِّيه تتوافد إلى قريته ، وقد صُلِّيَ على جثمانه في الساعة العاشرة والربع من ليلة الثالث والعشرين في الهند ، وأمَّ المصلِّين نائبُهُ وخليفته وابن أخته الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، ودُفن بجوار

---

(١) وهي من السُّوَر التي نشأ على قراءتها منذ عقلَ وميَّز ، كان يتلوها يوم الجمعة تعبُّداً وثواباً كعامة الناس ، يرجع الفضل في ذلك إلى تربية والدته الجليلة ، التي كانت تُوصيه دائماً بقراءة هذه السورة الكريمة يوم الجمعة وتحاسبه عليها حيناً بعد حين حتى حفظها في صغره بكثرة القراءة لها .

www.abulhasanalinadwi.org

أبويه وأكابر أسرته في مقبرة دائرة شاه علم الله بتكية كلان ، ويقدر عدد المصلين عليه بين مئتي ألف وثلاثمئة ألف وهذا كان عدداً كبيراً وكثيراً بالنسبة لساعة وفاته وتجهيزه ؛ ولأن الكثير من الناس لم يحضروا الجنَازة بسبب المواصلات المنقطعة والخطوط الجوية الملغاة بسبب البرد القارس والضباب الشديد ، ولو لم يكن هذا لكانت جنازته مشهداً قلَّ أن يسمع بمثله !

عاش الفقيد خمساً وثمانين عاماً من عُمرِه ، ملؤه جد واجتهاد ، وقلق واضطرب ، وهموم وأحزان في سبيل العودة بالأمة الإسلامية العظيمة إلى مكانتها الأصلية ، ووظيفتها الطبيعية ، ورسالتها الحقيقية ، من قيادة العالم البشري ، والوصاية على العالم كله بواسطة هذا الدين الأخير الذي أكمله الله تعالى على يد خاتم النبيين محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وبشَّر به الأمة العربية لكي تتسلم بيدها زمام التوجيه والقيادة ، وتمنَّ بذلك على العالم الحائر الذي يتسكع في دياجير الغواية والضلال ، وظلمات الحضارات المادية التي تقطع صلة الإنسان عن مصادر العزّ والشرف والحبِّ والتضامن ، وهو مصدر الوحي الإلهي الخالد الذي يتمثَّل في صورة كتاب الله العزيز الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] ذلكم دين الإسلام الذي يتفق تماماً مع فطرة البشر ، وينسجم مع طبيعة الحياة الإنسانية .

وقد شهد الله تعالى بكَماله ، وتمام نعمته على العالم البشري ، وارتضائه منهجاً عادلاً شاملاً للإنسان إلى يوم الدين ، وذلك ما يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

تلك هي الفكرةُ التي استولت عليه ـ رحمه الله ـ بجميع تفاصيلها وتفسيراتها ، فكان يبذل جميع طاقاته ومواهبه لتذكير الأمة المسلمة ، ولا سيَّما الأمة العربية ، صاحبة الرسالة والمبدأ ، بهذه المكانة القيادية الفريدة ، وإقناعها بأنها هي الأمة العظيمة التي اختارها الله تعالى لهذا المنصب الجليل ، ولتمثيل دور الهداية والتوجيه في كل عصر ومصر ، وفي كل زمان ومكان .

ذلك هو الأساسُ المتين الذي بنى عليه (رحمه الله) صرحَ الهدف النبيل، والعمل الجليل الذي تبنَّاه من خلال تجاربه العلمية ودراسته العميقة التي تابعها باستمرارية وجديّة لا يتخلَّلهما ضعفٌ ، أو فتور ، أو رؤى متغيرة ، ولنا أن نعبِّر عن هذه النقطة

www.abulhasanalinadwi.org

المهمة في حياته بما كان ينجزه (رحمه الله) من أعمال جليلة ذات طابع فكري ثابت ، نعبر عنها بتجديد الصلة برسالة محمد ﷺ واعتبارها سفينة نجاة للإنسانية جمعاء ، وإعادة الثقة بمنهج الإسلام للحياة إلى النفوس .

على هذه النقطة ركَّز ـ رحمه الله ـ مواهبَه الفكرية والتوجيهية ، ومجهوداته الدعوية والعلمية كلها ، فكان التوفيق حليفه في تحقيق ذلك الهدف الغالي الذي اصطنعه لنفسه ، وتبناه من خلال إنتاجاته الفكرية والعلمية والأدبية والتاريخية التي تتجلَّى فيها خصوصية فِكر الداعية وإخلاصه ، وعمق رؤية العالم ورسوخه ، وبلاغة الأديب المؤمن الواعي ، وتواضع العالم الديني ، وحكمة المتكلم وجماله ، وبصيرة الكاتب واقتداره على ناصية التعبير والبيان .

فرحل فقيدُ العلم والدين ، والأدب والدعوة ، وقدوة العمل والتواضع والتربية والسُّلوك إلى جوار رحمة الله ، وخلف في حياته تاريخاً مثالياً للجامعية ، والعبقرية ، والمعرفة ، والبصيرة ، والإطلاع الواسع الغزير على أحدث ما يوجد في العالم من نظريات ، وفلسفات وحضارات ، وما يتجدد فيه من أحداث وأوضاع اجتماعية وسياسية ، قلما يتوفر مثل هذه الجامعية والشمولية في شخص واحد ، كما قال الشاعر :

وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالمَ في واحدِ

لقد كان الفقيدُ من أولئك الأعلام الذين يحبس التاريخ أنفاسه إلى أمد طويل ؛ لكي يُنجب عباقرة أفذاذاً يملؤون سمع الزمان وبصره ، بمفاخرهم وصنائعهم[1] .

إنَّها خسارة ، أيَّةُ خسارة ، والله سبحانه وتعالى هو المسؤول عن تعويض هذه الخسارة الفادحة ، وسدِّ هذا الفراغ الهائل ، وما ذلك على الله بعزيز .

أثر وفاته في العالم العربي والإسلامي :

لُوحِظت آثارُ وفاته ـ رحمه الله ـ في العالم كلِّه ، وكان في مقدِّمته العالم العربي . فقد أعرَبَ عن حُزنهم الحكَّامُ والأمراء ، والأدباء والعلماء ، والقادة والزعماء ،

---

(١) من مقال الدكتور سعيد الأعظمي الندوي المنشور في مجلة « البعث الإسلامي » عدد ذي القعدة ، عام ١٤٢٠هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

وعلَّقت على وفاتِه كبرى المجلات العالمية البارزة ، وكتب بعض الكُتَّاب : أن مثل هذه الشخصية لا يأتي بها الزمان إلاَّ بعد قرون ، فلم يكن الفقيد شخصية القرن ، بل كان شخصية القرون العديدة ، كما كتبَ أحد الكُتَّاب في صحيفة عربية : أنه كان في صفِّ الإمام حسن البصري ، والشيخ الربَّاني الفُضَيل بن عياض ، والشيخ عبد القادر الجيلاني .

والجديرُ بالذكر : أن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (عاهل المملكة العربية السعودية) قد تكرَّم في المناسبة بالتعزية الكريمة ، وأمَر رئاسةَ الحرمين الشريفين بإقامة صلاة الغائب على روح الفقيد ، وذلك ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان (١٤٢٠هـ) .

وتكرَّم صاحبُ السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمَّد القاسم (حاكم الشارقة) بإجراء مكالمة هاتفية مع خليفة الفقيد فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وبعث بالتعازي القلبية إلى أسرة الفقيد وآل الندوة .

وتكرَّم لسموُّ الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (أمير دولة قطر) بتوجيه وفد مؤلَّف من ستة من كبار العلماء[1] برئاسة الداعية الكبير العلاَّمة الشيخ يوسف القرضاوي ، على طائرة أميرية خاصة لتقديم عزاء الحكومة القطرية ، والشعب القطري ، وعلماء قطر في العلاَّمة الفقيد .

وكذلك تكرَّم صاحبُ السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة) بإرسال التعزية في العلاَّمة الفقيد بواسطة نجله الكريم سمو الأمير الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان (نائب رئيس الوزراء في الدولة) .

وعُقِدت حفلاتُ التأبين في أرجاء العالم في الأوساط الدينية والدعوية ، والأدبية والعلمية .

---

(١) وهم : فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود (رئيس المحاكم الشرعية) ، وفضيلة الشيخ خليفة بن جاسم الكواري (مدير إدارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف) ، وفضيلة الشيخ عبد القادر العماري (القاضي بالمحكمة الشرعية سابقاً) ، وفضيلة الدكتور عبد العظيم الديب (أستاذ الفقه الإسلامي في كلية الشريعة بجامعة قطر) ، وفضيلة الدكتور ثقيل بن ساير الشُّمَّري (نائب رئيس محكمة الاستئناف بالمحاكم الشرعية لدولة قطر) .

www.abulhasanalinadwi.org

وفي إحدى حفلات التأبين التي عقدت في « دلهي » اعترف أحدُ كبارة القادة من الحزب الحاكم[1] بأن الفقيد كان من الأفذاذ الذين يندرُ وجودهم ، وأنه كان محبباً إلى النفوس ، ومكرماً لدى جميع الناس ، وأن رئيس الوزراء[2] كان يكرمه ، ويحبُّ أن يسترضيه .

وصرحَ كذلك أحدُ كبار وزراء الهند السابقين أنه كان يستنيرُ بكُتبه ، وأحياناً يستفيد من أفكاره في خطبه ، ويستشيره إذ حدثت له مشكلة[3] .

ووصَفَ في إحدى هذه الحفلات بعضُ مادحيه أن وفاته خسارة للعالم الإسلامي كله . ووصف آخرون من غير المسلمين ـ وفي مقدمتهم رئيس الوزراء الهندي ، ووزير الداخلية ونائب الرئيس ـ : أنها خسارة للعالم كله ، ووصف بعضهم : أنه كان رسول المحبَّة والسَّلام ، وقائداً للإنسانية ، وعبَّروا عن حزنهم العميق واعتبروه أكبر شخصية في العالم[4] .

رحم الله شيخَنا ، وغفر له مغفرة شاملة ، وأكرم نزله في فسيح جنَّاته ، وجعله ممَّن أنعم عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

* * *

(١) الذي لا يخفي بعض قادته عداءهم الشديد للإسلام والمسلمين .
(٢) يعني رئيس الوزراء الحالي السيد واجبائي .
(٣) مجلة « البعث الإسلامي » العدد الخاص بالعلامة الندوي ، صفحة (٢٠) .
(٤) المرجع السابق : ص(٢٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

قصائد

في رثاء العلامة الندوي

لقد هزَّ الشعراءَ ـ العرب منهم والعجم ـ هذا المصابُ الجليل ، كما هزّ غيرَهم من الأدباء والعلماء من عامة المسلمين ، وعاشوا ـ متفاعلين مع الملايين من أبناء الأمَّة ـ لوعة الفقد والفراق ، وهم ـ الشعراء ـ أرقُّ الناسِ شعوراً وألطفهم حسّاً ، فكتَبَ الكثيرُ من فحول الشعراء الإسلاميين ، في الفاجعِ الكبير الرثاءَ المتدفِّق بالحُزن والألم لفقيد الأمة الإسلامية صادرين عن عظيم حبِّهم للراحل الكبير ، ومعبِّرين عن مدى تأثُّرِهم بفداحة الخطب ، واعترافهم بمآثر الفقيد العظيم التي لا تُمحى ، وتقديرهم لمكانته الفريدة التي كان يتبوَّؤها في قلوب الجميع .

أكتفي هنا بإيراد مرثيَّتَيْن اختياراً من بين عشرات المراثي التي قالها وكتبها كبارُ الشعراء الإسلاميين ، والتي قد نُشِرت إثر وفاة العلامة في كبرى الجرائد والمجلاَّت العربية الصادرة في العالم الإسلامي[1] .

الأولى من هاتين القصيدتين للشاعر الإسلامي المعروف : الأستاذ عبد الرحمن العشماوي ، والأخرى للشاعر المجيد ، والمؤلِّف الكبير ، والعالم المربِّي : الشيخ عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة المَيْدَاني ، وإليك هاتين القصيدتين :

---

(١) للاطلاع عليها يرجع إلى الأعداد الخاصَّة بالعلاَّمة الندوي للمجلاَّت « الأدب الإسلامي » و « المجتمع » و « البعث الإسلامي » و « الرائد » و « الصحوة الإسلامية » و « الداعي » وغيرها .

www.abulhasanalinadwi.org

تلويحةُ وداعٍ لشيخ الهند

للأستاذ عبد الرحمن صالح العشماوي

قـوافِـي الشِّعـر فـي دمهـا حنيـنٌ ... تـدفَّـقَ مِـنْ دَمِـي وإلـيَّ عـادا
أضـاءَ بهـا دروبَ الـوعـي حتـى ... رأيـتُ لِهِمَّتـي فيهـا اتِّقـادا
عَبَـرْتُ بهـا محيـطَ الهنـد لمـا ... رأيـتُ وراءَه قصـراً مُشَـادا
وأبصـرتُ المـآذنَ شـامخـاتٍ ... تـذكِّـرُ مَـنْ تغـافـلَ أو تمـادىٰ
وتنشـر فـي سمـاء الهنـد ذكـراً ... وتسبيحـاً تُـرِيْـحُ بـه العبـادا
وتُسمِعنـي صـدى كلمـاتِ شيـخٍ ... تُـذِيـبُ عنـادَ مَـنْ أبـدى العنـادا
تحـرِّكُ بـالهـدوء شعـورَ فَـظٍّ ... فيُعلِـن بعـد شـدَّتِـه انقيـادا
لِمَـنْ هـذا الحـديـثُ يَفيـضُ حُبّـاً ... وتستهـوي بـلاغتُـهُ الفُـؤادا ؟
لِمَـنْ ؟ فـأجـابنـي صـوتٌ حـزيـنٌ ... يُخـافِتنـي ويَـرتِعـد ارتعـادا
لَقـد مـات المحـدِّثُ ، قلـتُ : مـاذا ؟ ... فَغَمْغَـمَ بـالكـلامِ ومـا أعـادا
سكـتُّ سكـوتَ مـن يخشـي جـوابـاً ... يـزيـدُ حبـالَ حسـرتـه انعقـادا
وأدركـتُ الحقيقـةَ ، رُبَّ صمـتٍ ... ـ إذا مـا أُلْجِـمَ الـراوي ـ أفـادا
مضـى بـالشيـخ مـركبُـهُ وولّـىٰ ... إلـى الأخـرى ، وبلَّغـه المعـادا
قـوافـلُ مَـنْ نُحِـبُّ مضـتْ سِراعـاً ... وآثـرتِ التنقُّـلَ والبُعـادا
أشيـخَ الهنـد ، هـذا عـامُ حـزنٍ ... تَـزلْـزَلَ فيـه عـالَمُنـا ومـادا
تسـاوَتْ فيـه أشْهُـرُنـا فصِـرْنـا ... نـرى صفـراً ونحسبُـهُ جُمـادَىٰ
تسـاقطـتِ الكَـواكـبُ فيـه حتـى ... تشعَّـبَ ليـلُ حسـرتنـا وزادا
أشيـخَ الهنـد ، مـا ودَّعْـتَ هنـداً ... ولا سُعـدىٰ ، ولـم تُثْكَـلْ سُعـادا
لقـد أثكَلْـتَ أمَّتَنـا ، ولـولا ... عقيـدتُهـا لأعلنَـتِ الحـدَادا
بَكتْـكَ ؛ لأنَّ سَعْيَـكَ سَعْـيُ شَهْـمٍ ... بحمـل أمـانـةَ الإصـلاحِ آدا
لأنَّـكَ يـا أبـا حسـنٍ وفـيٌّ ... زَرَعْـتَ لهـا وأحسَنْـتَ الحِصـادا

www.abulhasanalinadwi.org

لقـــد أغلَنتَهـــا والأرضُ حُبلَـــى ... بـــاطلهـــا الـــذي احتشـــد احتشـــادا
بـــأنَّ خســـارةَ الـــدُّنيـــا انحطـــاطٌ ... لأهـــل الـــدِّيـــن ، أوْرَثَهـــا الكســـادا[1]
وأشعـــل فـــي نـــواحيهـــا لهيبـــاً ... مِـــن الشَّهـــوات عـــوَّدَهـــا الفســـادا
تجـــاوزتَ المحيـــطَ تَبُـــثُّ وَعْيـــاً ... وتطـــرِّدُ عـــن روابينـــا الجـــرادا
وأدركْـــتَ الصِّـــراعَ صـــراعَ كفـــرٍ ... وإيمـــانٍ ، فـــأطْلَقْـــتَ الجيـــادا[2]
شـــدْتَ إلـــى الحجـــاز رحـــالَ وَعْـــيٍ ... قَـــدَحـــتَ بـــه لِهِمَّتنـــا الـــزِّنـــادا
وسِـــرْتَ إلـــى المـــدينـــةِ بـــاشتيـــاقٍ ... فـــأسْلَـــسَ ركبُـــكَ الســـاري القيـــادا[3]
نظـــرتَ إلـــى جـــزيـــرتنـــا بعيـــنٍ ... تـــرى فيهـــا المنـــابـــعَ والمهَـــادا[4]
أشيـــخَ الهنـــدِ مـــا سَـــافـــرتَ إلا ... وقـــد أرسيْـــتَ فـــي الهنـــد العِمَـــادا
لنَـــذْوَتِكـــم مشـــاعـــلُ مـــن علـــومٍ ... تُضِـــيءُ بنـــورِ حكمتهـــا البـــلاد[5]
أشيـــخَ الهنـــد ، قـــد هَبَّـــتْ ريـــاحٌ ... مـــن الإيمـــان تمنَحُنـــا الـــرَّشـــادا
فتَحْـــتَ لهـــا النـــوافـــذَ حيـــن هَبَّـــتْ ... فمـــا تـــركَـــتْ غبـــاراً أو رمـــادا
كتبـــتَ لنـــا فمـــا أرخصـــتَ فكـــراً ... ولا أخفيـــتَ معنـــى مُستفـــادا
وكنـــتَ أدِيْبَنـــا فـــي الهنـــد تحمـــي ... بحُسْـــنِ صيـــاغـــة الأسلـــوب « ضَـــادا »
تصيَّـــدْتَ البـــلاغـــةَ مـــن حمـــاهـــا ... ومَـــنْ أبـــرى سهـــامَ الـــوَغـــى صـــادا
ومـــا كـــلُّ الظِّبـــاء إذا أُثِيـــرتْ ... بـــأنغـــام الهَـــوى تـــأتـــي تهـــادىٰ
وفـــرقٌ بيـــن مَـــنْ صلَّـــى خشـــوعـــاً ... وإيمـــانـــاً ، ومَـــنْ صلَّـــى اعتيـــادا
ومَـــن كتـــبَ الحـــروفَ لنشـــرِ ديـــنٍ ... ونُصْـــرتِـــه ، فقـــد بلـــغ الجهـــادا
ومَـــنْ جعَـــلَ الكتـــابَ لـــه مَعينـــاً ... فلـــن يخشـــى لمنبعـــهِ نَفَـــادا[6]

---

(١) تلميحٌ إلى كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » .

(٢) تلميح إلى كتاب « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية » .

(٣) تلميحٌ إلى كتاب « الطريق إلى المدينة » .

(٤) تلميحٌ إلى كتاب « كيف ينظر المسلمون إلى جزيرة العرب » .

(٥) تلميحٌ إلى دار العلوم ـ ندوة العلماء .

(٦) ملخَّصٌ من القصيدة الطويلة المنشورة في جريدة « الجزيرة » السعودية (عدد ٩٩٩٠ ، الجمعة ٢٨ من شوال ١٤٢٠هـ) .

www.abulhasanalinadwi.org

مرثية بقصيدة
لفقيد الأمة الإسلامية في العالم
العلامة أبي الحسن الندوي

للشيخ عبد الرحمن حسن حَبَنَّكة الميداني

لفقيـــدِ الإســـلامِ مـــن كـــلِّ حـــيٍّ ... فيـضُ حـزنٍ مـع فيـض دمـعٍ سخـيٍّ
مـات بـالهنـد فـي الضُّحـى وقلـوبٌ ... فـي جميـع الـدنيـا بكـتْ فـي العشـيِّ
نـــدوةُ العلـــم والـــرشـــاد بلكهنـــو ... كـــم تبـــاهَـــتْ بشيخهـــا النـــدويِّ
« حسنـــاً » أنْجَبَـــتْ يـــداه فكنَّـــا ... ه « أبـــاه » لســـانَ صـــدقٍ وفـــيٍّ
بجهـــاد لـــم يعْـــرِف النـــومَ إلا ... غفـــواتٍ مـــلأى بـــذكـــرٍ خفـــيٍّ
لـــم يكـــنْ عُقْمُـــه عقيـــمَ الـــذراري ... وهـــو يُنْشِـــىءُ رجـــالَ جيـــلٍ كمـــيٍّ
يحملـون الـرايـاتِ مـن دعـوة الحـقِّ ... لنشـــر الإســـلام فـــي كـــلِّ حـــيٍّ
هـــؤلاء الأولادُ حقّـــاً وصـــدقـــاً ... لا الـــذراري مـــن فـــاجـــرٍ وشقـــيٍّ
فتـــلاميـــذُه ذراريـــه حتـــى ... صـــار جَـــدّاً لألـــف كهـــلٍ ذكـــيٍّ

* * *

سَعْيُـــه كـــان فـــي الهـــدايـــة قصـــداً ... فـــي سبيـــل الـــربِّ الجليـــلِ العلـــيِّ
لـــم يكـــن غـــاليـــاً لأيِّ سبيـــلٍ ... خلـف حـدّي قصـد الصـراط السـويِّ
يتحـــرَّى بـــالحكمـــة الـــرُّشـــد حتـــى ... ليِّـــن الصلـــب مـــن عنيـــدٍ غـــويِّ
لـــم يُنـــاطِـــح بـــرأســـه الصخـــرَ لكـــن ... فتـــت الصخـــر بـــالنـــديِّ النـــديِّ
كـــان يفـــري فـــي الأرض فـــريـــاً حثيثـــاً ... بضيـــاء مـــا بيـــن نشـــرٍ وطـــيِّ
مـــا خبَـــتْ فيـــه وقـــدةُ الضـــوء حتـــى ... ذاق بـــالمـــوت قبـــض روحٍ زكـــيِّ
بيـــد أنَّ الآثـــار ممَّـــا جنـــاه ... بجهـــادٍ تجـــري بـــأحســـن ريِّ

www.abulhasanalinadwi.org

عــفَّ نفســاً عــن الغــرور بمجــدٍ ... هــو مــن كســب كــدحــه العبقــريّ
وأتَتْــه الــدنيــا فقــال خُــذُوهــا ... فــي سبيــل المــولــى العــزيــز الغنــيّ
وضعــوهــا فــي كــلّ مشــروعِ خيــرٍ ... واجعلــوهــا عمــادَ كــلّ سنــيّ
وتنــاءى عــن جــرّ غنــمٍ وفيــرٍ ... أنَّــه فــرعُ سيــدٍ حسنــيّ
عــربــيُّ الجــذور فــي الهنــد حتــى ... نبعــة الأصــل عنــد خيــرِ نبــيّ
لــم تــزده ألقــابُــه وهــي فضلــى ... غيــر وفــرٍ مــن الخضــوع الأبــيّ
لــم يكــن هَمُّــه عُلُــوّاً بــأرضٍ ... بــل رضــا الله فــي الخلــود الهنــيّ
درجــاتُ الإحســان قــد رَفَعَتْــه ... إذ رأتــه إمــامَ بــرٍّ تقــيّ
نشــأة الهنــد قــطّ مــا حجبَتْــه ... عــن فصيــح مــن منطــقٍ عــربــيّ
ولســانُ القــرآن كــان منــاه ... أن يــراه فــي مسجــده العــالمــيّ
تتحــدَّى آدابُــه كــلَّ قــولٍ ... عــربــيِّ البيــان أو أعجمــيّ
كــان فــي الأرض مثــلَ شمــسٍ وبــدرٍ ... دائــبَ الجــري مــع فــؤادٍ جــريٍّ
كــان يسعــى فــي الله سعيــاً حكيمــاً ... مثــل ضــوء الضُّحــى ونــور العشــيّ
كان كالشمس في الضياء ومثل البدر ... نــوراً يهــدي بــدأب رضــيّ
كــان فــي الأرض نيــران استجــابــا ... لــدعــاء المــولــى بشخــص « علــيّ »
فــإلــى الخلــب يــا إمــام لتلقــى ... فــي فسيــح الفــردوس أسمــى بهــيّ
مــع خيــر الــورى إمــام البــرايــا ... عــربــيٌّ ذي رفعــةٍ هــاشمــيّ
كــلُّ مَــن فيــه مسعــدٌ وسعيــدٌ ... فــي جنــاحــي صفيــة وصفــيّ
وعليهــم رضــوان ربٌّ كــريــمٍ ... دائــمُ الجــود بــالعطــاء الثــريّ

* * *

فهنيئــاً بــالحُــور مــن منشــآت ... ونفيــس مــن سُنْــدُسٍ وحلــيّ
وحســان مــن كــلّ جنــسٍ وصنــفٍ ... وفيــوض مــن مسعــدٍ غيبــيّ
وهنيئــاً بمجــد ملــكٍ عظيــمٍ ... ليــس يبلــى بفضــل ربٍّ ولــيّ
وهنيئــاً بــرؤيــة الله فيــه ... ونعيــم مــن كــلّ دانٍ جنــيّ
رُبَّ عــوضٍ عنــه العبــاد شمــوســاً ... وبــدوراً تهــدي بنــور جلــيّ

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

أعقابه

لم يُرزَق العلامةُ الندوي الأولادَ لحكمةٍ لا يعلمها إلاَّ الله ، وكان ابنُ أخيه وأبناء أُخته بمثابة الأولاد له ، وكان أعزُّهم وأحبُّهم إليه ، وألصقهم به ، وأعرفهم بشؤونه وأخباره هو : ابنُ أخيه الأستاذ محمد الحسني ، مُنشىء مجلَّة « البعث الإسلامي » الغَرَّاء[1] ، والذي كان عَلماً من أعلام الصحافة الإسلامية لمدَّةٍ تزيد على عشرين عاماً ، ومجاهداً حرّاً في ميدان الكلمة الشريفة والإعلام الإسلامي ، ومدافعاً شريفاً عن حقوق إخوته المسلمين في كل مكانٍ ، ومناضلاً بارزاً من أجل وحدة المسلمين ، وضمِّ صفوفهم ، ودعوتِهم للوقوف ضدَّ كل الأخطار المحيطة بهم ، والمتمثلة في قُوَى الكفر ، والإلحاد ، والصليبيَّة الاستعمارية والصهيونية العالمية .

نشأ الأستاذ الحسني تحت سمع العلاَّمةِ وبصره وذلك بعد وفاة أخيه ، وكانت القرائن والآثارُ تدلُّ على أنَّه سيقدِّم كتاباتِ العلامة ويعلِّق عليها ويعني بنشر آثاره ، ويسجِّل حوادثَ حياته ويؤرِّخها ، كما جرتِ العادةُ وشهدتِ المقاييسُ الظاهرة بدور الأبناء في تخليد آثار آبائهم وعمومتهم وأساتذتهم ومربِّيهم ، ولكن . . . استأثرتْ به رحمة الله عليه عام ١٣٩٩هـ وهو في ريعان شبابه[2] ، فكانت حادثةُ وفاته على العلامة عظيمةً ، لكنَّه تحمَّلها في صبر العظماء .

فكان من الطبيعي أن يكون بعد وفاة الأستاذ محمد الحسني أبناءُ أخته الشيخ محمد الرابع الندوي والأستاذ محمد واضح رشيد الندوي[3] محطَّ العناية للعلاَّمة و مركزَ الحبِّ له ، وكان شديدَ الحبِّ لهما وكثير العطف عليهما ، لا يتحمَّلُ أن يبعُدَا عنه طرفةَ عينٍ ، وكان الشيخ محمد الرابع حُظِيَ بمرافقة العلامة في معظم أسفاره داخل

---

(١) اقرأ كلمةً في تعريفها في الباب السادس ، صفحة (٨٦٣) .

(٢) اقرأ ما كتب عنه عمُّه العلاَّمة الجليل أبو الحسن الندوي ، في « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ، صفحة (٣٤٢) ، وانظر ترجمته المختصرة في هذا الكتاب ، في الباب السادس ، صفحة (٩٠١) .

(٣) ستأتي ترجمتُها في الباب السادس .

www.abulhasanalinadwi.org

الهند وخارجها ، والنيابة عنه في المؤتمرات الإسلامية والندوات الأدبية المنعقدة في العالم الإسلامي التي لم يستطع الحضور فيها ، فكان أقربَ الناسِ إلى العلامة وأكثرهم ثقةً واعتماداً في أمور ندوة العلماء ، وأموره الشخصية ، وكان أشبههم به خَلْقاً وخُلُقاً ، خلَّفَه العلامةُ في حياتِه ، فهو الآن خليفتُه ، وهو ـ حرس اللهُ مُهْجَتَه ـ على طريقة السَّلف الصالحين في عِلمه وعَمله ، وورعه وتقواه ، وزهده وإخلاصه ، وتواضعه وفضله ، وشرفه وسؤدده ، ورجاحة عقله ، وحلمه وتأنّيه ، واتِّزانه واعتداله ، وستتحدَّث عنه في الباب السادس في الفصل المخصَّص بتلاميذ العلامة الندوي .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

ملامح شخصية العلامة الندوي

مذهبه ـ حليته ـ صفاته ـ مواهبه

لقد سئمنا نحن القارئين والكتَّاب ـ والله الذي يعلم السِّرَّ وأخفى ـ الكاتبَ الإسلامي ، والخطيبَ والمفكِّر الإسلامي ، والأديبَ والشاعر الإسلامي ـ ولا أقول : الكاتب والخطيب ، والمفكِّر والأديب ، والشاعر المتغرب العلمانيّ المتوحِّش من الإسلام ـ الذي يُجِيد القول ، ويتفنَّنُ في الكتابة ، ويُبدِع الرأيَ والفكر ، ويسحر القارىءَ والمستمع بسحر الخطاب وبلاغة البيان ، ويُدهِشَ العقلَ بالشعر البارع والأدب الفارع ، ويُقنِع كلَّ ذهنٍ شاكٍّ بالحُجَّة الدامغة والبرهان القاطع ، ولكن لا يُجيد الالتزامَ بالعمل الإسلامي ، ولا يُحسِن التقيُّدَ بالأحكام الشرعيّة ، ولا يعرف الانصهارَ في قالب الشمائل النبويَّة .

فقد ترى مفكِّراً إسلاميّاً كبيراً لِحْيَتُه محلوقةٌ أو مقصوصة إلى البشرة ، بحيث لا تستطيع أن تضبط شعراتها ولو بأطراف أظفارك ، وشاربه معفيٌّ عنه على خلاف ما أمر به سيِّدُنا ونبيُّنا وشفيعنا محمد ﷺ[1] .

وقد ترى كاتباً إسلاميّاً مرموقاً يُثرِي المكتبةَ الإسلاميّة ويُصدِر كلَّ شهرٍ كتاباً بديعاً ، ويُلقِي كلَّ يومٍ خطاباً لَبِقاً بارعَ المعاني ساحرَ المعاني ، لا يصلِّي بتاتاً ، أو يصلِّي في غير جماعة ، أو يصلِّي فلا يُحسِن الوضوءَ ، فقد يمسح على الحِذائين ، أو يمسح على جورَبين قُماشِيَّين شافَّين ، أو يصلِّي على غير وضوء ، ثم إنَّ ملامحه لا تدلُّ على أنّه مسلمٌ ملتزمٌ ، ورجلٌ مطلوبٌ في الشرع ، أو إنسانٌ مصوغٌ في قالب الأسوة النبويّة ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ .

وكذلك ترى أدباءَ إسلاميِّين أو شعراء إسلاميين يأتون بالعَجَب العُجَاب من الأدب

---

(١) روى ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ : « أنَّه أَمَرَ بإِحْفَاءِ الشَّوارب وإعْفَاءِ اللِّحْيَةِ » أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب خِصَال الفطرة ، برقم (٢٥٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

والشعر الذي يهزُّ الأذواقَ والوجدان ، ويحرِّك العواطفَ ، ويشنِّف الآذانَ ، ويرقِّق القلوبَ ، ويُبكي العيونَ ، ولكن إذا اطلعتَ على أعماق حياته ، وسبرتَ أغوارَ عمله وفكره ، ومنهجَه في الأداء والعطاء والتعامل ، وسيرتَه الشخصيّة وصورتَه الواقعيّة ؛ وجدتَه لا يختلف عن المسيحيِّ أو اليهوديِّ أو الوثنيِّ ، أو الغربيِّ العلماني المُلحِد ، أو الشرقيِّ الشيوعيِّ المتنكِّر المتبجِّح في هيئته وهِنْدَامه ، وفي أخلاقه ومعاملاته ، وفي تعامله مع النفس والحياة والمجتمع والناس .

إنَّنا نحن المتابعين لهؤلاء النماذج من الكتَّاب والدعاة ، والمفكِّرين والأدباء ، والشعراء الإسلاميِّين عَبْرَ مؤلَّفاتهم وكتاباتهم وخطاباتهم ، وعبر معايشتهم من خلال اللِّقاءات والزيارات والندوات والمؤتمرات ، قد آمنَّا إيماناً كاملاً بأنَّ العلاَّمة أبا الحسن النَّدْوي كان أفضلَهم وأحسنَهم ـ وجزى الله الكلَّ عمَّا قدَّمه للأمة ـ بكلِّ المقاييس .

فقد كان ـ رحمه الله ـ صالحاً في مظهره ومخبره ، وقوله وفعله ، وكتاباته وخطاباته ، وهيئته وهِنْدامه ، وسيرته وسلوكه ، وفي حركاته وسكناته ، لا يقول ولا يكتب إلا صادراً عن رصيدٍ ثرٍّ وأساسٍ متينٍ من العمل والسلوك .

فزَيُّه زيُّ العلماء ، وسيرتُه مصوغةٌ في القالب النبويّ ، وخطاباته وكتاباته معجونةٌ من الاعتدال والتوازن إلى جانب السُّموِّ الروحانيِّ والشفَّافيّة الإيمانيّة .

فلم يجرح مشاعرَ الناس أو مشاعرَ المسلمين بقلمه أو لسانه مثلَ كثيرٍ من الكتَّاب والمفكِّرين « الإسلاميين » الذين نصبوا أنفسَهم حكماً حتى فيما يتعلَّقُ بالصحابة والأنبياء ، فجرحوا عدداً منهم ، وعدَّلوا مَن شاؤوا منهم ، واتهموا كثيراً منهم بالمعايب والنقائص التي تُوجَد في أسافل الناس . كما وُجِدَ ويُوجَد كثيرٌ من المفكِّرين والكتَّاب الإسلاميين الذين يقفون دائماً في معسكر الأعداء ، ويتّهمون المسلمين بكونهم هم المجرمين في جميع المشكلات والمعاناة ، التي يعيشونها ، وأنَّ الأعداء كلُّهم بريئون من إصابتهم بأذى براءة الذئب من دم ابن يعقوب !!

إنَّ العالِمَ الداعية ، المفكِّر الأديب ، الكاتب المُكثِر ، الخطيب المؤمن : العلاَّمة أبا الحسن الندوي بشهادة جميع القرَّاء والمستمعين والمتابعين والمعايشين لم يجرح شعورَ أحدٍ بنفثةٍ من قلمه ، أو لمسة من قوله ، أو لوثةٍ من فكره ، أو ضربةٍ من رأيه .

ظلَّ ـ رحمه الله ـ إنساناً سويّاً يلتزم بالتوازن في حياته ، وفي قلمه ولسانه ، وإنِّي كلَّما خالطتُه ؛ ازددتُ حُبّاً له وإعجاباً به ، وإيماناً بسموِّ نفسه ، وسَعةِ قلبه ، وطهارةِ

www.abulhasanalinadwi.org

ذيله ، وصلتِه القويّة بربّه ، ورهبانيَّته الدائمة بالليل ، وفروسيته الثابتة بالنهار ، وتفكيره المتصل في مصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

أكثر ما يجذب إليه النَّاس إنسانيّته وبراءته النابعتان من صفاءِ سريرته ونزاهة سيرته ، وحبِّه اللامتناهي للإنسانِ من أي ديانة كان .

وأفضل ما يميِّزه عن مُعاصريه من العلماء والدعاة ، والمفكِّرين والكتَّاب ، والأدباء والشعراء الإسلاميين ، هو جمعه الكامل الشّامل بين العلم والعمل ، وبين ما يقول ويفعل ، وبين ما يأتي ويذر ، فقد كان ـ رحمه الله ـ قوَّالاً وفعَّالاً معاً ، لم يكن داعيةً بمجرَّد القول ، وإنما كان داعيةً ـ كالسَّلف الصالح ـ بالقول المقرون بالفعل .

لقد قرأتُ كثيراً من كُتُبِ الكتَّاب الإسلاميِّين ، واستمعتُ إلى كثير من الخطباء والأدباء المعاصرين عبر الإذاعات والتلفزيونات ، فأخذتُ بإيمانيةِ المقال ، وإسلاميّةِ الصياغة ، وبلاغةِ الأسلوب ، وفصاحةِ التعبير ، ونصاعةِ البيان ، وإشراقةِ اللسانِ ، ولكن لمَّا أُتِيحَ لي أن أُقابِلَهم وأعيشَ معهم لحظاتٍ ، وجدتُهم على خلاف ما كوَّنَتْ لهم من الصورة في مخيلتي عندما قرأتُ وسمعتُ لهم عن غيبٍ ، فهِنْدامُهم غير ما ينبغي أن يكون هندامَ العلماء الصلحاء والدعاة الأدباء والمفكِّرين الإسلاميين ، وأخلاقُهم لا تصدق أقوالَهم الجذَّابة وكتاباتهم اللمَّاعة ، وقلتُ في نفسي : أن تسمَعَ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ من أنْ تراه .

ويُميَّز ـ رحمه الله ـ عن كثير من معاصريه المعروفين أن حبّ الناس الغامر له ، وإعجابهم المتزايد به ، لم يجعلاه يصاب بشعور بعلوٍّ ، كما أنْ استمراريّته في العبادة والمجاهدة لم تجعله يتورَّطُ في الإعجاب بالنفس ، بل إنّه ظلَّ يتقدَّم تواضعاً وحلماً وكرماً وإنكاراً للذَّات ، مع تصاعد حبِّ الناس له ، وازدياد توفيق الله إيّاه للإكثار من الذكر والعبادة ونفع الناس بالتوجيه والقيادة والتعليم والتربية .

وقد وُجِدَ ويُوجَد : أنَّ كثيراً من الكتَّاب والباحثين ، والدعاة والمفكِّرين ، والأدباء والشعراء ، مع إنتاجاتهم الكثيرة ، وإبداعاتهم الثَّرة ، وأعمالهم الفكرية الأدبية العلمية الغزيرة ، يظلُّون منطوين على أنفسهم ، قابعين في داخلهم يلذُّون في قصور دراستهم ، ويتفرَّجون في منتزهات كتاباتهم وأبحاثهم ، ويتيهون في دنيا خطاباتهم ودعواتهم ، ويتشاغلون بمرابع أعمالهم العلميَّة بشكل لا يتيح لهم فرصة

www.abulhasanalinadwi.org

للاحتكاك بالمجتمع ، ومعايشة آلام الناس وأحلامهم ، ومعالجة مشكلاتهم وما يمسُّ حالاتهم ، فضلاً عن أداء فريضة القيادة والتوجيه ، والقيام بمسؤولية التعليم والتربية ، والمشاركة في هُموم البلاد والعباد .

ولكنَّ العلاَّمة الندويَّ ـ رحمه الله ـ رغمَ حيازته لقصب السبق في الدراسة والكتابة ظلَّ مبرِّزاً في الرحلات والزيارات والمشاركة في اللقاءات والاجتماعات في داخل الهند وخارجها ، وقد لا يُدانيه في ذلك كاتبٌ أو باحثٌ أو داعيةٌ أو مفكِّرٌ في شبه القارة الهندية ، فقد زار شرقَ الأرض وغربها مرَّاتٍ وكرَّاتٍ ، وكان دائمَ التَّرحال استجابةً لمصالح الأمة الدعوية والثقافية والفكريّة ، كما أنَّه خاض معتركَ الحياة الحامي ، واستمَعَ لدقَّات ضميرِ الأمَّة ، وتفاعل مع همومِها وآلامها وآمالها ، ونصح الساسَةَ القادة ، ووجَّه الملوكَ والأمراء ، وقاد ركبَ الشعبِ المسلم الهندي بين الأمواج المتلاطمة والعباب الصارخ من القضايا المعقَّدة والمشكلات الشائكة ، وعاش مع الأمَّة وفي الأمة وللأمة .

لم يكن ـ رحمه الله ـ مَلَكاً من الملائكة ، معصوماً من الخطأ والنسيان ، وإنمَّا كان بشراً معرَّضاً للخطأ ، ولكنِّي لم أجِد فيمَن عِشْتُهم من العلماء الكبار ـ رغم تقديري لمكانتهم وجهودهم وجهادهم في الدعوة الإسلامية ، ورغم الأدعية الصادقة لهم برفع الدرجات والمغفرة ـ من يُدانِيه في صفاته السامية التي تجعل البشرَ يُشابِه الملكَ .

ثم إنَّ كثيراً من الكتَّاب والمفكِّرين يعيشون حياتَهم في الكتابة والدراسة ، والبحث والتفكير ، والتوجيه والنصح ، ولكنهم لا يتمكَّنون من تخريج جيلٍ يذكر يسدُّ مَسَدَّهم في القول والفعل ؛ ولكنَّه ـ رحمه الله ـ أثَّرَ بكتاباته وخطاباته وبمجالسه وبصحبته في جيلٍ عريضٍ لا يعَدُّ ولا يُحَدُّ في العالَم كلِّه ، فكم من مثقَّفٍ تخرَّجَ على كتاباته يُحاكي أسلوبَه في الكتابة والخطابة ، ويتغنَّى بأفكاره ، ويرشف منهجَه في العمل والأداء ، ويعبُّ طريقته في الدعوة ، ويتبنَّى هتافَه ونداءه إلى الإنسانيَّة والربَّانية .

إنَّ هذا الجيلَ العريض الواعي المتخرِّج على أفكار العلاَّمة وفي مدرسته الإيمانية الربَّانية القرآنية الجامعة المتَّزنة ، وإنَّ ما تركه من رصيدٍ ضخمٍ من المؤلَّفات والكتابات والرسائل ومجموعات الخطابات ذات اللغة الأدبية الرشيقة والأسلوب المؤمن السيَّال ، والصياغة الدقيقة المحكمة ، والمعاني اللطيفة . . سيظلاَّن صدقةً جاريةً

www.abulhasanalinadwi.org

تستفيد منها الأمةُ ، وتتخرَّجُ عليها الأجيالُ ، ويتَّصل ثوابُها مذخوراً له ـ رحمه الله ـ عند ربِّه الشكور[1] .

وإنِّي أُحَاوِل هنا وصفَ شخصية العلاَّمة الندوي الفذَّة خَلْقاً وخُلْقاً ، وذِكرَ تلك الصِّفات والمواهب التي كان يتمتَّع بها ـ رحمه الله تعالىٰ ـ متجنِّباً في كل ذلك عن الإطراء والمبالغة فيها ـ كما جرت العادةُ عند بعض الكُتَّاب والمؤلِّفين لدى الكتابة والتأليف عن الشخصيات ـ فإنَّ شخصيةَ عالمٍ أو مصلحٍ ، أو داعيةٍ ، أو مفكِّرٍ إذا كانت عظيمةً ألمعيةً أو عبقريةً ، فهي تبرُزُ من نفسها من خلال عظائم أعمالها وجلائل آثارها دون إطراءٍ ومبالغةٍ في بيان المواهب والصفات .

مذهبه في الفقه :

كان حنفيَّ المذهب ، لكنَّه لم يكن متشدِّداً ومتعصِّباً له ، رغم أنَّه درَسَ العلوم الشرعية كلَّها على الأساتذة والشيوخ الأحناف ، فمنهم من كانوا معروفين بتعصُّبِهم الشديد للحنفيَّة ، ولكنَّه لم يتأثَّرْ بهذه النزعة المذهبية في الفقه ، بل كان يتتبَّعُ الدليل من الكتاب والسنَّة ، ويرى الاجتهادَ أمرٌ لا بدَّ منه لحياة الأمَّة ، وكان لا يختار الآراء الشَّاذَّة ؛ التي لم يذهب إليها أحدٌ من أئمَّة السَّلف ، وأحياناً يكونُ اعتمادُه في شرح المسائل على بعض تحقيقات شيخ الإسلام ابن تيمية ، والشيخ شاه ولي الله الدِّهلوي ـ رحمهما الله ـ .

عقيدته :

قد تحدَّث عن عقيدة العلاَّمة الندوي الداعيةُ الكبير الدكتور يوسف القرضاوي في تقريظه ـ في مستهلِّ الكتاب ـ فأحسن وأجاد ، فلا مزيدَ عليه ، ولا أرى بأساً في إعادة كلامه هنا لما يتصل بالموضوع ، فيقول ـ حفظه الله تعالىٰ :

« . . . وآتاه الله قبل ذلك كلِّه : العقيدةَ السليمة ، عقيدة أهل السنَّة والجماعة ، سليمةً من الشِّركيات ، والقبوريات ، والأباطيل ، التي انتشرت في الهند ، وكان لها

---

(١) مجلة « الصحوة الإسلامية » العدد الخاص بالعلامة الندوي (٣٦) السنة (٢٣) من مقال الأستاذ نور عالم خليل الأميني بتصرُّفٍ وزيادةٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

سوقٌ نافقةٌ ، وجماعاتٌ مروّجة ، تغدو بها وتروح ، تأثَّروا بالهندوس في معتقداتهم وأباطيلهم ، كما هو الحال عند جماعة « البَرِيلَوِيّين »[1] الذين انتسبوا إلى التصوُّف اسماً ورسماً ، والتصوّفُ الحقُّ براءٌ منهم ، وقد حفلت عقائدُهم بالخرافات ، وعباداتُهم بالمبتدعات ، وأفكارُهم بالتُّرّهات ، وأخلاقُهم بالسلبيات .

ولكنَّ الشيخ تربَّى على عقائدِ مدرسة (دِيُوْبَنْد) التي قام عليها منذ نشأتها علماءُ ربَّانيون ، طاردوا الشركَ بالتوحيد ، والأباطيلَ بالحقائق ، والبدعَ بالسُّنَن ، والسلبيات بالإيجابيات .

وأكَّدت ذلك مدرسةُ الندوة ـ ندوة العلماء ـ وأضافت إليها روحاً جديدةً ، وسلفيّةً حيّةً حقيقةً ، لا سلفيةَ شكليّةً جدليةً ، كالتي نراها عند بعض مَنْ يُنْسَبون إلى السَّلف ، ويكادون يحصرون السلفية في اللحية الطويلة ، والثوب القصير ، وشنِّ الحرب على أدنى تأويل في نصوص الصفات !

إنَّ العقيدةَ السلفيةَ عند العلاَّمة الندوي هي : توحيدٌ خالصٌ لله تعالى لا يشوبه شركٌ ، ويقينٌ عميقٌ بالآخرةِ لا يعتريه شكٌّ ، وإيمانٌ جازمٌ بالنبوّةِ لا يداخِلُه تردُّدٌ ولا وهمٌ ، وثِقَةٌ مطلقةٌ بالقرآنِ والسنَّةِ مصدرين للعقائد والشرائع والأخلاق والسلوك :

خَلْقُه :

كان ـ رحمه الله ـ مربوعَ القامة ونحيفَ البدن ، نحيل العود ونقيَّ اللون ، له لحيةٌ طويلةٌ ناعمةُ الشعر وجميلة المنظر ، وكان وقوراً مهيباً في غير عبوسٍ أو فظاظةٍ ، طَلْقَ الوَجْهِ ، دائمَ البِشْرِ ، نظراتُه عميقةٌ نفَّاذةٌ ، ونبراتُه دقيقةٌ أخَّاذةٌ ، فيها بُحَّةٌ ، عليه جلالُ العلماء ، ووقار النُّبلاء .

وكان كثيرَ النشاط ، لا يعرف الكسلَ ، خفيفَ الروح ، بشوشاً ودوداً ، سريعَ الدمعة ، جريحَ المقلَّة ، كلَّما ذُكِر شيءٌ من أخبار الرسول ﷺ ، أو أُنْشِد بيتٌ رقيقٌ مرقِّقٌ فاضتْ عيناه ، وتملكه البكاء ، وهو يُغالِبُه ويُخفيه فتَنُمُّ عليه الدموع .

---

(١) هي جماعةُ القبوريِّين المبتدعين الضَّالَّة المُضِلَّة ، وقد تحدَّثنا عنها في تقريظ الشيخ القرضاوي ، انظر صفحة (٢١ ـ ٢٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان عدوّاً للمظاهر الكاذبة ، يتخفَّفُ في ثيابه وطعامه وفراشه ، ويكره التكلُّفَ والمجاملةَ الزائدة .

خُلُقُه :

كان حُسْنُ الخلق والتواضع من مزايا العلاَّمة الندوي البارزة ، أعطاه الله حظاً وافراً من الأخلاق الحسنة .

لقد كان قرآنيَّ الأخلاق ، محمديَّ السلوك ، حسنيَّ السيرة ، ربَّانيَّ الغاية ، إسلاميَّ المنهج والفكر والهوى ، فقد كان هواه وشعوره وعواطفه وميوله تبعاً لما جاء به محمدُ ﷺ بلا افتعال ، ولا مباهاة ولا إذلال ، كأنّما هو مجبول على ذلك ، نشهد ذلك منه ونُحِسُّه ، ولا نزكّيه على الله عزَّ وجلَّ ، فكأنّما جعل شعارَه قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾[1] [الأنعام : ١٦٢ ـ ١٦٣] .

كانت الأخلاقُ النبويةُ تتجلَّى في سيرته . وكان بعيداً كلَّ البُعْد عن الرذائل ، ومتحلِّياً بالأخلاق الفاضلةِ لسلامة طبعه ، وخصائصه العائلية ، وتربية الصَّالحين وأولياء الله .

وكان جُلساؤه يتأثَّرون بها بغير أن يشعروا به ، وكلَّما ازداد أحدٌ نظراً إلى حياته عن قربٍ وكثبٍ ؛ ازداد حُبّاً وشغفاً به .

وكان يَعطِف على تلاميذه ومعتقديه وصِغاره عطفاً عظيماً ، ويُكرِمهم ويحترمهم .

كان هيِّناً ليِّناً ، سهلاً سمحاً ، كريماً سخياً ، فيه من خُلُق الحَسَنِ السبط رضي الله عنه ومن رفقه ولينه وزهده وتواضعه ، ما يؤكِّدُ نسبَه ، ويؤيِّد حسبَه ، فكان حسنياً خُلقاً وأدباً ، كما أنّه كان حسنياً أصلاً ونسباً .

الزهد والتواضع :

كان مِن أزهَد الناس في الدنيا ، وأرغبهم في الآخرة ، وأحرصهم على ما عند الله تبارك وتعالى ، فما عند الناس ينفد ، وما عند الله باقٍ . فلا المال يغريه ، ولا الجاه

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : ص (٦٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

يفتنه ، ولا الشهوات تأسره ، فقد كان ـ بإيمانه ويقينه ـ أكبرَ منها جميعاً[1] .

لم يكن يهمُّه العيش الرغيد ، والطعام اللذيذ ، والفراش الناعم الوثير ، كان يجلس على الحصير ، ويأكل الجَشْبَ ، ويلبس الخشن ، ينام قليلاً ، ويسهر كثيراً ، كانت حياته كلُّها جهاداً ، وكفاحاً ، ومثابرةً ، وثباتاً[2] .

يقول الشيخ علي الطنطاوي عن زهد العلاَّمة الندوي :

« عرفتُ أبا الحسن من قريبٍ في مكة وفي المدينة وفي دمشق ، وعرفته قبل ذلك في الهند ، فوجدتُه في الأحوال كلِّها مستقيماً على الحقِّ ، عاملاً لله ، متواضعاً ، زاهداً زهداً حقيقياً ، لا زهد المغفَّلين الذين يعيشون وراء أسوار الحياة ، لا يدرون ما الدنيا ولا يعرفون ماذا فيها ؛ بل زهد العالم العارف بالدنيا وأهلها ، فقد رأى الشرقَ والغرب ، وزار الحواضر والأمصار ، ولقي الكبار والصغار ، وعاش صدرَ حياته في قصر الأمير نور الحسن ابن الأمير السيد صديق حسن خان العالم السلفي والأمير الكبير[3] ، أسكنوه فيه بعد موت أبيه ، فذاق حياةَ الترف والنعيم ، ولكنه زهد فيه ، فزهده ليس زهد الحرمان ، ليس زهد الجائع الذي لم يجد الطعام فوطَّن نفسه على فقده ، بل زهد الذي فقد شهوة الأكل والأكلُ أمامه ، يحضر المؤتمرات ، ولكنه يتجَنَّبُ الفنادق الكبار ، التي ينزل فيها الوفود ، وينزل في بيوت تلاميذه ، وما أكثر هؤلاء التلاميذ »[4] .

يذكر الأستاذُ محمد المجذوب ـ رحمه الله ـ :

« وأنا لا أذيع مجهولاً من حياة الشيخ عندما أذكر أنه ـ وهو العضو الدائم في المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة ـ لم يقبل أن يُصْرَفَ له فلسٌ

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه ، ص(٦١) .

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم ، المربي الجليل : ص(١٩) .

(٣) أحدُ رجال النهضة الإسلامية المجدِّدين ، وكانت بينه وبين أسرة العلاَّمة الندوي الوشائج والصلات الوثيقة ، ومن مآثره التي لا تُنسى ويغمط حقُّها ، أنه أمر بطبع كثيرٍ من الكتب العربية النادرة والتي كانت في صورة المخطوطات مثل : « تفسير ابن كثير » و « فتح الباري » وغيرهما، وأهداها إلى أهل العلم في الهند وخارجها . توفي عام ١٣٠٧هـ (١٨٩٠م) رحمه الله تعالى .

(٤) في مسيرة الحياة : في مقدمة الكتاب ـ (١/ ١٦ ـ ١٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

واحدٌ من المكافئات السخيَّة المخصَّصة لمثله ، ولم أعرفه نزل فندقاً قطٌّ على حسابها ، على تعدُّدِ المرَّات التي حضر فيها اجتماعات هذا المجلس حتى الآن ، وأنا لا أدري كم في علماء الإسلام من نظير لهذا الزاهد الكبير »[1] . وكان يترك الفنادق الفخمة (خمسة نجوم) لينزلَ في بيوت بعض إخوانه أو تلاميذه من الهنود ، وهي عادةً بيوتٌ متواضعة ؛ لأن هذه البيوت أقربُ إلى فطرته ، وإلى حياته ، وإلى بساطة معيشته وطبيعة مأكله ومشربه .

يقول الداعية الكبير الدكتور يوسف القرضاوي :

« والحقيقةُ أنّي لم أرَ في عصرنا مثلَه في زهده في الدنيا ، وتقلُّلِه من متاعها ، ورفضه لزخارفها ، واستعلائه على مغرياتها . وقد كان يمكنه أن يعيشَ مرفَّهاً بحكم منزلته في قومه وفي العالم .

ولكنَّه كان يريد لنفسه حياةً غير هذه الحياة ، إنّها حياة أرباب القلوب من الربّانيين الذين يعيشون في الدنيا ولا تعيش الدنيا فيهم ، ويملكون الدنيا ولا تملكهم ، كأنّما جاء من العصر الأول إلى هذا العصر ، ليمثِّلَ إبراهيمَ بن أدْهَم ، أو الفُضَيل بن عياض ، أو الجُنَيد بن محمد ، الذين يحيون في الدنيا بقلوب أهل الآخرة ، ويمشون فوق الأرض ، وبصائرُهم ترنو إلى السَّماء . ولهذا أبى الشيخُ رحمة الله عليه إلا أن يعيشَ عيشة هؤلاء السلف الزاهدين ، والأئمة الصالحين ، فكأنَّما هوقبسٌ من نور جدِّه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، التي أتته الدنيا ، فقال لها : « إليك عنِّي ، غرِّي غيري . قد بايَنتُكِ ثلاثاً لا رجعةَ فيها . آهِ من قِلَّةِ الزَّاد ، وبُعدِ السفر ، ووحشة الطريق[2] ! » .

لقد كان يرفضُ المكافآتِ التي تُعطى لأمثاله في مقابلة جهود يقوم بها ، وهي مشروعة ، ويقبلها غيرُه من العلماء ، ولكنَّه آلى على نفسه أن يقدِّم ما عنده من علم وجهد لله تعالى ، لا لعَرضٍ من الدنيا .

حدَّثني الإخوةُ السوريون : أنَّه عندما دُعِيَ إلى سورية أستاذاً زائراً لجامعة دمشق ، ولكلية الشريعة فيها خاصة ، في عهد عميدها الداعية الفقيه المربِّي القائد الدكتور

---

(١) علماء ومفكِّرون عرفتُهم : (١/ ١٤٣) .
(٢) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : ص(٦١) .

www.abulhasanalinadwi.org

مصطفى السباعي ؛ ألقى عدداً من المحاضرات الأصيلة العميقة ، تعب عليها ، وبذل جهداً لا يُنكَر في إعدادها ، وكان لها تأثيرٌ عميقٌ ، ووقعٌ مشهودٌ بين الأساتذة والطلاب ، وكان موضوعها (التجديد والمجدِّدون في تاريخ الإسلام) ، وهي التي ظهرت بعد ذلك تحت عنوان : (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) .

وعلى عادة الجامعة صَرَفَت له مكافأةً ، كما تصرف لكلِّ الأساتذة الزائرين ، وهنا كانت المفاجأة ، فقد رفض الشيخُ أن يأخذ مكافأة على محاضراته ، ووقع الإداريون والماليون في جامعة دمشق في حَيْصَ بَيْصَ ، كما يقولون ، فقد صُرِف المبلغ من بنده في ميزانة الجامعة ، ولا سبيلَ إلى إعادتِه ، ولم يجدوا حلاًّ إلا أن يُتبرَّع به للطلاب الفقراء[1] .

ومِن المعروف أنَّ الشيخ حين أُعطِيَ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ، وكان مقدارها ثلاثمئة ألف ريال سعودي في ذلك الوقت ـ على ما أذكر ـ تبرَّع بها الشيخُ كلّها ، بعضها لفقراء الحرمين ، وبعضها لفقراء الهند ومدارسها الدينية .

وكذلك فعلَ بكلِّ مبالغ الجوائز التي حصل عليها ، مثل جائزة سلطان بروناي في التاريخ الإسلامي ، وجائزة دُبي الدولية للقرآن الكريم ، حين اختير ليكون (الشخصية الإسلامية) لعام ١٤١٩هـ ، وقيمة الجائزة مليون درهم ، لم يدخل جيبه شيءٌ من قيمة هذه الجوائز ، بل أنفقها كلَّها في سبيل الله[2] .

صفاته وعاداته :

كان لتكلُّمِه ومجلِسه ـ رحمه الله ـ مستوىً خاصٌّ لا يكاد يتجاوزه أو يتنازل عنه ، وكان يغلبه الحياءُ بصورةٍ طبيعيةٍ ، ويتجلَّى في شخصيته الحياءُ العثمانيُّ[3] .

وكان لا يقدر على التكلُّم بكلامٍ أو الكتابة حولَ موضوعٍ لا يُوافِق مستواه ، وأحياناً كان يتكلَّمُ بكلامٍ حلوٌ وفكاهيٌّ ، ولكنَّ الفكاهةَ لا تكبر على أحدٍ ، وكان رزيناً وقوراً .

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : ص(٦٢) .
(٢) المرجع السابق : ص(٦٣) .
(٣) تلميحٌ إلى حياء سيِّدنا عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان يتكلَّمُ مع أصدقائه المُعاصرين الذين لا يحجب بينهم تكلُّفٌ في نطاق الرزانة والوقار ، ولا يرضى بالجلوس بين أيدي أطفال أسرته ومعتقديه مادّاً رجليه[1] .

وكان بعيداً عن عيوب اللِّسان ، وفي هذا العصر الراهن ، قَلَّ من لا يغتاب مِن عباد الله ، وكان ـ رحمه الله ـ من هذه القِلَّة القليلة ، وما وجدتُه يغتابُ أحداً في الخلأ والملأ . وإنْ سمع أحداً في مجلسه يغتاب أحداً نهاه عن ذلك ، أو غيَّرَ موضوعَ الحديث بأسلوبٍ حسنٍ[2] .

ولكنْ هذا ما كان يمنعه من نقد الأفكار والاتجاهات التي يرى أنها تجاوزت الصوابَ ، كما رأيناه ينقد العلاَّمةَ المودودي ، والشهيد سيد قطب ـ رحمهما الله ـ على فضلهما ومنزلتهما عنده ـ بيدَ أنَّه نقدُ العالم العادل ، لا نقدُ الحاقِد المتحامل[3] .

لقد نقدَ الأفرادَ ، نقدَ الجماعات ، ونقدَ الاتجاهات ، نقدَ الحكومات ، ولكنْ بأدبٍ جمٍّ ، وعبارة رقيقة ، وبلغة المُحِبِّ المُشفِق ، والناصح الأمين ، لا بلغة المتعالي على الآخرين ، أو الحاقد عليهم ، أو المتربص بهم[4] .

وكان صبوراً على الطاعة والابتلاء ، حريصاً على الصَّلاة أشدَّ الحرص ، مؤدِّياً لها في أول وقتها في الحضر والسفر والتعب والمرض ، وكان أوَّلُ سؤاله لزائره ـ إذا كان صغيراً منه ، أو قريباً له ـ إذا أتاه في وقت الصلاة : هل أدَّيتَ الصلاةَ ؟

وكان يشكُرُ من يقوم بأدنى عملٍ من أعماله شكراً جزيلاً ، وكان يلقى مُعارِضيه المتشدِّدين بدماثة الخُلُق والإكرام والاحترام ، إنه فتح قلوبَ كثير من مُعانديه ومُنتقديه ، واستولى على قلوبهم بها .

كان دائمَ المطالعة ، حريصاً على صحبة الكتاب في خلواته وأوقات فراغه ، وكان شديدَ الاهتمام والعناية بكتب السِّيرة وبكتب السَّلف والتاريخ والأدب .

---

(١) جريدة « الرائد » عدد (٢١) السنة (٤٢) . من مقال الأستاذ عتيق أحمد القاسمي بتصرُّفٍ واختصار .

(٢) المرجع السابق .

(٣) اقرأه ذلك في كتابه « التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب » طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٤) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : ص(٦٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان ذوَّاقاً جدّاً في ملبسه ومشربه ومطعمه ومسكنه ، لا يقدر أن يرى شيئاً غيرَ مرتَّبٍ ، خاصةً الكتب إذا رآها الموضوعةَ مقلوبةً قوَّمها بيده ، وإن لم يستطع ؛ أمر به أحداً .

كان لا يتكلَّف في مأكله ولا مشربه ولا ملبسه ولا مسكنه ، ولا في شيء من شؤون حياته ، بل هو على سجيَّته ، كأنّما وَضَعَ نُصبَ عينيه قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] .

هَمُّه الأكبر الدعوة إلى الله :

وكان كلُّ همِّه وفكره ونشاطه : الدعوة إلى الله ، وإصلاح الأمة ، وهداية البشرية ، وكان قد نذر نفسَه وقُوَاه لهذه الغاية الوحيدة ، فدروسه وحلقاته للقرآن الكريم ، والحديث النبوي والتاريخ والأدب ، وإعداد المؤلَّفات ، وكتابة المقالات ، والإشراف على السَّير التعليمي والمنهج الدراسي في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، ورحلاته وأسفاره كلها كانت للدعوة ، وتربية الشباب وإعداد الجيل .

كان جريئاً في الحقِّ ، ومِقْداماً في إحقاق الحقِّ وإبطال الباطل ، وصريحاً في تقديم قضيَّة الإسلام ورسالتِه ومبادئه وقِيَمه ، وقوياً في التكلُّم في أمور المسلمين أمامَ الملوك والأمراء والحكَّام ، ولكن بلينٍ ورفقٍ ، وتهذيبٍ وأدبٍ ، وخُلقٍ ونُبلٍ[1] .

فصاحة لسانه وبلاغة كلامه :

كان فصيحَ اللِّسان ، بليغ الكلام ، وكان يمتاز بتمكُّنٍ عجيبٍ من اللغة العربية ، وتذوُّقٍ رفيع للأدب ، وكانت تراكيبُه اللفظية تلفت السامعَ ، وتستهوي القلبَ ، وكان يغلب على أسلوبه العنصرُ العاطفي الملتهب ، ومع ذلك إذا طرق بابَ البحث ؛ أجاد ، وأفاد ، وأمتع .

وصفه بعضُ الكتَّاب الإسلاميين بأنه عميد الأدب الإسلامي ، لكنه كان صاحبَ مدرسة خاصة في الأدب المعاصر ، فقد قال له الدكتور تقي الدين الهلالي عقب إحدى محاضراته : « إنَّ لك لأسلوباً يا أبا الحسن ! » ، وذلك خير شهادة من أستاذ لتلميذه ،

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم المربِّي الجليل : ص(١٨ ـ ١٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

وكتب الدكتور خورشيد أحمد[1] في مقاله عن الشيخ النَّدْوي بعد وفاته : إنَّ كلامه كان يصل إلى القلب مباشرة ، وأمَّا العلاَّمة المودودي فكان يصل إلى القلب عن طريق الفكر .

وقد وجَّه العلامةُ الندوي الأدبَ إلى طبيعته الأصيلة ، ووظيفة البناء والإصلاح ، وانطلاقاً من فكره نشأت حركةٌ قويةٌ للأدب الإسلامي العالمية ، التي أقامت جسراً بين الأدباء الإسلاميين وغير الإسلاميين[2][3] .

الغيرة والحمية الدينية والأنفة :

كان ـ رحمه الله ـ غيوراً جدّاً ، وذا شكيمةٍ بالغة ، أنعمَ الله عليه بنعمة الغيرة الإيمانية التي تبعث الناسَ على التحلِّي بالأعمال الصالحة الإيمانية ، ويجتنب بها المؤمنُ الشرور والرذائل التي لا تُحصى ، وقد تجلَّتِ الغيرةُ والأنفة في سائر مراحل حياته من الفقر والسَّعة ، بلغ صيتُه أوجَه خلال خمس عشرة سنة أو عشرين سنة أخيرة مِن عمره ، وكان الأمراءُ والأغنياء يُريدون أن يهبوه أموالاً كثيرة طائلة ، ولكنَّه أكرم نفسَه عن الأموال والثروات المادية ، وحفظ بكلِّ معنى الكلمة فقره الغيور ، ولم يكن يتصوَّر منه أن يُشير لأفراد أسرته إلى أحدٍ ليفيدهم إفادةً ماديةً ، حتى أنه احتاط في طلب التعاون المادي للمؤسَّسات التعليمية والدينية التي كانت تحت إشرافه كما ذكرنا آنفاً .

لا حاجةَ إلى ذكر مكانة العلاَّمة الندوي بين علماء البلاد العربية وأثريائها وتجَّارها ، وإلى بيان كيفية نظرهم إليه بإجلال وتقدير ، وكان الملكُ فيصل الشهيد والرئيس ضياء الحق المرحوم يحبَّانه حبّاً نابعاً عن القلب ويمدحانه مدحاً عظيماً ، ولكنَّه ذَهَبَ إلى الملوك والأمراء بفكرة سامية داعياً متألِّماً ، عرض عليهم مشوراتِه العظيمة وتوصياته الثمينة المشتملة على النصح لهم ، وكان لا يرضى أن يقول كلمةً ولو إشارة بدعم مؤسَّساته التعليمية والدعوية التي كان يُشرف عليها .

---

(١) أحد كبار الكتَّاب الإسلاميين في شبه القارة الهندية ، ومن أبرَزِ وأنشَطِ رجال « الجماعة الإسلامية » (لمؤسِّسها الشيخ المودودي) .

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم المربِّي الجليل : ص(١١) .

(٣) اقرأ الباب الرابع المخصَّص بآراء ونظرات وتأمُّلات العلاَّمة الندوي في الأدب الإسلامي والعربي ، وجهوده وفي خدمته .

www.abulhasanalinadwi.org

وكانت الحميَّةُ الدينية متوفِّرةً فيه ، وإنها كانت بحكم ارتباطاته العائلية بالمصلح العظيم الشيخ علم الله ، وانحدار سُلالته من المجاهد المصلح السيد أحمد بن عرفان الشهيد ، وبحكم تربية أولياء الله والصالحين ، وبفضل ما أفاضوا عليه من عناياتهم البالغة والذين استفاد من مصاحبتهم فوائدَ عظيمة لا يستهان بها ، وكان أساسُه دائماً في هذا الأمر ـ أي في الحمية الدينية ـ جملة الخليفة الأول سيِّدنا أبي بكر الصديق التاريخية التي قال فيها رضي الله عنه « أينقص الدِّينُ وأنا حيٌّ » وقد قالها عندما مال الصحابةُ الكبار إلى الامتناع عن القتال على الفور وتأخيره إلى مدَّة عن مانعي الزَّكاة لضعف القُوَّة العسكرية الإسلامية ، وعموم فتنة الرِّدَّة الخطيرة بعدما توفِّي رسولُ الله ﷺ ، وقد استخدمها العلاَّمةُ في كثير من مقالاته وخطبه ، وذكر في رسالته « رِدَّةٌ ولا أبا بكر لها » بالإشارة إليها أموراً مُثيرة للتفكير ، وكلمات مملوءة بآلام نحو القضايا المعاصرة .

وكان ـ رحمه الله ـ ليِّنَ العريكة مصلحاً ، كان يلقِّن الناسَ المحافظة على أسلوب اللين والحكمة للدعوة إلى الإسلام وإفشائه ، ولا يحب التعصبَ والتطرف بغير حاجة إليهما ، ولكنَّه عندما كان يرى أنَّ المسألة هي مسألة حفظ الدين وصيانته ، ويرى بعضَ الناس يريدون التحريفَ في الدين فتشتعل فيه شعلةُ الحمية الدينية ، ويجاهد في الذَّبِّ عنه والاحتفاظ به حقَّ الجهاد ، ويُعلِن الحقَّ بصوتٍ جهوريٍّ ، ولا يخاف في ذلك لومةَ لائم ، ويبذل أقصى جهوده في ألا تنجح الحركاتُ في أهدافها ضدَّ عقائد الإسلام وأحكامه وتعليمات شريعته .

كان يشعر باضطرابه في مثل هذه الأحوال بصورة بارزة ، وإنَّ الغزو الفكري والقلمي الذي قام به ضدَّ حركة القومية العربية ، وتصريحاته القوية المؤثِّرة ضدَّ أنشودة الهندوس القومية المشتملة على كلمات الشِّرك والكفر ، وضدَّ سَرَسْوَتي[1] وَنْدَنا (عبادة سرسوتي) ، وموقفه ورأيه الصحيح في الوظائف الرسمية لأئمة المساجد نماذج عديدة لغيرته الإيمانية القوية .

ومِن الجدير بالذكر : أنَّه لمَّا أصابه الفالجُ واشتدَّ مرضُه فاتفق أطباءُ لكهنؤ ودلهي الكبار على أن ينقلوه إلى مستشفى كبير في العاصمة دلهي ، وضغط الأطباءُ بهذا الصدد

---

(١) آلهةٌ كبيرةٌ عند الهندوس .

www.abulhasanalinadwi.org

على أقاربه والقائمين بخدمته بصورةٍ مُلِحَّة ، فاضطرَّ فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي وغيره من القائمين على شؤونه وأعماله إلى أن يُوافِقهم على رأيهم ، ولكن كان من الصعب أن الوقت كان وقت المساء ، وغادرت سائرُ الرحلات المتجهة إلى دلهي كل يوم .

ومن المصادفة أنَّ حاكم مديرية لكهنؤ كان قد حضر ندوةَ العلماء لعيادته بعدما اطلع على مرضه ، وحينما علم بمرضه الشديد وآراءَ الأطباء نحو نقله إلى دلهي على الفور فإنه عرض نفسَه لهذه الخدمة وقال: إنْ أذنتم لي فأحصل على الطائرة الرسمية لحكومة ولاية أُتَرَابَرَادِيش على الفور لهذا الأمر الجليل، فاستعدُّوا لذلك مضطرّين إليه.

فاتصل حاكمُ مديرية لكهنؤ برجال الحكومة الإقليمية والمركزية في هذا الأمر المُهِمِّ بالهاتف ، واستأذن الحكومةَ للطائرة وقال : إنَّ طائرة حكومة أترابراديش ستذهب بالعلاَّمة إلى دلهي في خلال ساعة ، ثم تشوَّقَ المديرُ إلى التسليم على العلاَّمة فجاءه وسلَّمَ عليه ، وقال للعلاَّمة : إنِّي نظَّمتُ الطائرةَ للذهاب بكم إلى دلهي ، عندما سمع العلامةُ هذا الكلامَ من حاكم المديرية فتساءل صارخاً : مَن الذي يذهب إلى دلهى ؟ لن أذهب إليها .

ولمَّا رأى الناس أنَّه قد غضب غضباً شديداً فحار كلُّ من الممرِّضين والمرتبطين به والأطباء ، وسلاَّه الناس أنه لن يذهب إلى دلهي فاطمأنَّ العلاَّمة قليلاً ، ولمَّا رأى الأطباء موقفَه القطعي، فتواضعوا أمامه، ووفّروا الوسائلَ لمعالجته بقدر ما استطاعوا.

وعلم الناسُ بعد أن الحكومة الإقليمية والمركزية كانتا قرَّرتا القيام بمعالجته على حساب الحكومة كما تقرَّر أن يستقبله رئيسُ الوزراء وغيره من الوزراء في المطار عندما يصل العلامةُ إلى دلهي بالطيارة .

وكان من غيرته وفراسته الإيمانية ـ رحمه الله ـ أنه لم يرضَ بقبول منَّة الحكومة التي أغارت على دار العلوم لندوة العلماء وبيته في مقرِّه دائرة الشيخ علم الله ، وأمَرَتْ بفرض أنشودة الهندوس الشركية في المدارسة الرسمية ، وأمرَتْ بعبادة سَرَسْوَتي فيها ، وإنَّه لما صرَّح موقفَه نحو هذه القضية فغضب أمراءُ الحكومة غضباً شديداً ، وأصدروا بيانات سخيفة ضدَّه[1] .

---

(١) جريدة « الرائد » عدد (٢١) السنة (٤٢) من مقال الأستاذ عتيق أحمد القاسمي .

www.abulhasanalinadwi.org

سعة صدره واهتمامه بتضامن الأمة الإسلامية :

ومن ميِّزات العلاَّمة الندوي : أنَّه كان واسعَ القلب ، ولم يرضَ قطُّ بأن تتفرَّقَ كلمةُ الأمَّة الإسلامية لتباين مذاهبها الفقهية ، وأنْ تثور فيهم العداوةُ والبغضاء وسوء الفهم حيث تفقد أهميتها العظيمة ومكانها السامي ، وتقع فريسة الأعداء الماكرين بسهولة ، قد كان أكرمه الله تعالى بهذه النعمة منذ أن كان طالباً ، ولذلك فإنَّه اتجه إلى الخير والفلاح حيثما وجد ، وشدَّ الرحالَ إليه ، واجتهد في أن يستفيد من كلِّ منهلٍ مفيضٍ .

وارتبط بحركات إسلامية مختلفة وكذا حداه اشتياقه إلى إصلاح النفس والتزكية الروحية إلى كثير من أولياء الله وذوي النفوس الذكية ، ونال من جميعهم فوائدَ كثيرة ، وكان محبوباً عندهم لطلبِه الصادق وتواضعه ، ونال منهم ثروةً علمية وروحية غالية ، جعلتْ شخصيتَه مرجعاً للخواص والعوام ، ومناطَ آمال العالم الإسلامي كله .

وفي العصر الحديث تشَتَّتِ الأمةُ الإسلامية في فِرَق وجماعات كثيرة ، ولهذا تمزَّقَ رداءُ وحدتها ، وهذا الأمر الذي أدَّى إلى افتضاح الإسلام وخزيه ، وكان يتمنَّى ويجهتد في أن يتحد المسلمون لتحقيق المقاصد الأساسية التي حملت على جميعهم معرضين عن اختلافاتهم التافهة الرخيصة ، ويريد أن يُواجهوا التحديات التي تُوجَّه إليهم في العصر الحديث ، ويفشوا رسالةَ الإسلام التي ترشد الناس إلى الصراط السوي ، بعدما يجمعون قُوَاهم المشتَّتة ، ويجتهدوا في نيل أهدافهم الغالية بوضع المخططات التي تطلب مدَّةً غير قصيرة .

وقد كان ـ رحمه الله ـ رُزِق عاطفة الوحدة الإسلامية لانتمائه إلى حركة ندوة العلماء ، وإنَّه قد توصَّل بدراسته القرآنية الواسعة ، وعُمْق نظره في تاريخ الإسلام ، وعلمه بدسائس أعداء الإسلام إلى هذه الحقيقة ؛ أن مواجهة فِتَن العصر الراهن ليست بهيِّنة إلا بعد إيجاد عاطفة الوحدة الفكرية والعملية وعاطفة التناصر والتعاضد فيما بين المسلمين .

وكان يفكِّر دائماً في توحيد الأمة الإسلامية ، ويبتعد عن كل ما يدعوهم إلى الافتراق والتشتُّت ويحملهم على سوء الفهم ويزداد به التباعد بينهم وسوء الظنّ ، ولهذا لما اضطرَّ إلى انتقاد جماعة أو طائفة خاصة ؛ اتَّخذ في انتقادها أسلوباً ليِّناً ، وابتعد عن الأسلوب الذي يكبر على القلوب ، ويستفاد من دراسة انتقاداته : أنَّ قلبه كان عامراً

www.abulhasanalinadwi.org

بعواطف النصح والخير ، وإنه لم يرد بها الاستهزاء بأحدٍ ولا إهانته ، بل أراد بها أن يؤثِّر في قلبِ وذهن من ينتقده .

(وقد امتاز ـ رحمه الله تعالى ـ بميزتَين يصعب الاتصافُ بهما على الناس ، وقد زادت هاتان الميزتان في تأثير شخصيته وتحبُّبِهِ لدى الناس ، وهما :

أولاً : الصبرُ على أذى الناس واحتماله بطلاقة الوجه ، وعَدَمِ انتقامه مِن المسيء إليه بل معاملته معه رغم ذلك بإسداء الخير ومكارم الأخلاق ،

والميزةُ الثانية : هي رعاية من يُساعِده ، أو يُشارِكه في العمل ، فكان يُعامِله معاملةَ جدٍّ كريمةٍ ، ولم يكن يجفوه بقدر المستطاع ، فنادراً ما هجر مساعداً له ، أو أبعَدَه عنه ، وكان يجمَعُ بين أضداد الناس ويستفيد من كلِّ واحدٍ منهم مِن صلاحياته حتى المختلفين عنه في المنهج العلميِّ والاتجاه النظري ، وبذلك كان يتفق عليه آراء الناس ، ويجتمعون حولَه كما لا يجتمعون على غيره)[1] .

وبهذه الأخلاق المرضية التي تحلَّى بها كان يحترمه مُعارِضوه احتراماً صادقاً نابعاً عن القلب ، ينظر إليه الناسُ بنظر العزِّ والاحترام في سائر الأوساط رغم الخلافات الفكرية ، وإنَّه دعم كلَّ حركة تأسَّسَتْ على الأُسُس الصحيحة الثابتة لتوحيد الأمة الإسلامية في العالم الإسلامي وشبه القارة الهندية ، وكان يعتبر « هيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند » ثروةً نادرةً ثمينةً ، ويُوجِب على نفسه إبقاءها وترقيتها ، وإنه كان يتألَّمُ من كلِّ نبأ ينبىء بالتفرُّق والتشتُّت بين المسلمين ، ويديم التفكير في توحيدهم ، وإبعاد الفرقة عنهم[2] .

أعظم آماله :

وكانت مِن أعظم آماله ـ رحمه الله ـ أن يرى الإسلام سائداً على الأرضِ ، وأن يرى الدُّوَلَ الباغية معذَّبةً مقهورةً حتى يسلِّي نفسَه ، ويستبشر ، ويرى انتقامَ الله من الذين حاربوا الإسلامَ وأزَلُّوا المسلمين . . .[3] .

---

(١) العبارةُ ما بين القوسين مقتبسةٌ من كلمة التأبين التي ألقاها الشيخُ محمد الرابع الندوي في مركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد (بريطانية) .

(٢) جريدة « الرائد » عدد (٢١) السنة (٤٢) .

(٣) من حوار الشيخ أحمد الشرباصي الذي أجراه مع العلامة الندوي ، انظر « ماذا خسر العالم =

www.abulhasanalinadwi.org

وكان يريد أن يدخُلَ جميعُ المسلمين في السِّلم كافةً ، ويصطبغوا بصبغ الحياة الإسلامية ، ويتبعوا القرآنَ والسنَّةَ ، وينالوا به منصبَهم القياديَّ المفقودَ وسيادتَهم الضائعة المسلوبة التي اغتُصِبتْ من أيديهم ، ويمنعوا الدنيا كلَّها عن مضار القيادة الغربية التي لا تعرف الإلٰهَ والنفسَ ، ويُحافظوا على القِيَم الإيمانية والخُلُقية التي تكاد تقضي عليها هذه القيادةُ الغربية الشنيعة ، ويُداووا العالمَ الإنسانيَّ كلَّه بتوفير الوسائل التي تهتدي بها .

وكان يشتاق إلى أن تستأنِفَ الأمَّةُ الإسلامية القيامَ بأداء واجباتها الدعوية بتخطيطٍ كاملٍ ونشاطٍ بالغٍ ، وتدعو الناسَ ـ القانطين اليائسين الحائرين في نيل الهدوء والطمأنينة القلبية بعدما جرَّبوا أدياناً مختلفة ، وفلسفات مختلفة ، وقوانين مختلفة ـ بالعلم والحكمة والموعظة الحسنة إلى مَعِين الإسلام الصافي ، ويُنبئوا الدنيا بأنَّ الإسلام وحده ضامنٌ لفلاح الإنسان في الآخرة ونجاحه في الدنيا ، وهو وحده حلٌّ لمشاكله وقضاياه المعقَّدة العويصة[1] .

أعظم يوم السرور ، وأشدُّ ساعةِ الحزن في حياته :

كان أعظمُ يومِ السُّرور في حياته يومَ كرَّمته بنو شَيْبة[2] ـ بإشارة عاهل المملكة ـ بتسليم مفتاح الكعبة المشرفة إليه ليتشرَّف بفتح بابها والدخول والصلاة فيها ، وذلك في عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٧م .

وكان أشدَّ يوم الحزن في حياته يوم توفِّي أخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني عام ١٣٨٠هـ ، والذي يرجع إليه الفضل في تربيته ، وكان أحبَّ الناس إليه ، وأعظمهم حُنُوّاً عليه ، فكان المصاب عظيماً ، والواقع كبيراً ، فتحمَّله في صبر العظماء ، ثم توفِّي ابنُ هذا الأخ الشفوق الأستاذ محمد الحسني عام ١٣٩٩هـ ، الذي كان للعلاَّمة بمثابة الابن ، والذي كان عضدَه الأيمن وأحبَّ إليه من جميع الأقارب ،

= بانحطاط المسلمين ؟! » ص(٥٥) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

(١) جريدة « الرائد » عدد (٢١) السنة (٤٢) .

(٢) هم من سُلالة شيبة بن عثمان وعثمان بن طلحة ؛ الذي أعطاه النبيُّ ﷺ مفتاحَ بيت الله بعد فتح مكة قائلاً : « خُذْها خالدةً تالدةً لا ينزعها يا أبا طلحة منكم إلا ظالمٌ » سبق تخريجه في صفحة (٣٢٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

فطمَّ الأمرُ ، وعظُمَ الخطب، وكانت الخسارةُ فادحةً، وتتابعت المِحَن، والحوادث .

شخصيته المحبَّة عند الجميع :

كان ـ رحمه الله ـ محبّاً إلى جميع أقاربه وتلامذته ، موجِّهاً ومربِّياً لهم باللُّطف والذوق والحكمة ، فما رحل عنهم إلا وهو عزيزٌ وغالٍ عنده .

وكذلك كان محبوباً إلى جميع الناس في العالم الإسلامي كلِّه ، اجتمع عليه السلفيُّون والمتصوِّفون ، والمذهبيُّون واللاَّمذهبيُّون ، كما اجتمع عليه المتثقِّفون بالثقافة الإسلامية التقليدية ، والمثقَّفون بالثقافات الحديثة ، أحبَّه الجميعُ لاعتقادهم بصدقه وإخلاصه وتجرُّدِه لله ، وبُعده عن الأغراض الشخصية والمصالح الذاتية ، والعصبية الجاهلية[1] .

لقد كان محبوباً في الهند إلى جميع الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ، كانوا يُجِلُّونه ، ويحترمونه ، ويعرفون له قدرَه ، الحكَّام منهم والمحكومين .

وإنْ دلَّ ذلك كلُّه على شيء فإنما يدلُّ على الحبّ الغامر الذي ارتبط بشخصيته ، والقبول العام الذي كان يحظى به في جميع الأوساط ، ليس لمجرَّد أفكاره ودعوته إلى الوسطية والاعتدال ؛ بل لأنه كان مثالاً للخُلق الإسلامي ؛ ولأن حياته كانت صورة لأفكاره ومثله .

فبالمختصر . . . كان ـ رحمه الله تعالى ـ إنساناً بكلِّ ما تسعه كلمةُ الإنسانية ، ربّانياً بكلّ ما تعطيه كلمةُ الربّانية ، أخلاقياً بكلّ ما تفهمه كلمةُ الأخلاقية ، مسلماً بكلِّ ما تفيده كلمة الإسلامية .

مِنَ الرِّجَالِ المَصَابِيْحِ الَّذِيْنَ هُمُو ... كأَنَّهُمْ مِنْ نُجُومِ حَيَّةٍ صُنِعُوا !
أَخْلاقُهُمْ نُوْرُهُمْ ، مِنْ أيِّ نَاحِيَةٍ ... أقْبَلْتَ تَنْظُرُ في أَخْلاقِهِمْ سَطَعُوا

أعماله اليومية :

كانت أوقاتُه ـ رحمه الله ـ مشغولةً بأمور نافعة موزَّعة بينها ، يُحافِظ عليها بكلِّ دقَّةٍ وشدَّةٍ .

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : ص(١٤٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

كان يستيقظُ قبل ساعةٍ من أذان الفجر ، ويتهجَّدُ ، ويتلو القرآنَ ما يتيسَّرَ له حتى قُبيل إقامة الصلاة ، فإذا صلَّى الفجرَ جلس قليلاً مشغولاً بحزبه ووِرْده ، كان يفضِّل التمشِّيَ بعد الفجر ، لكن في آخر عمره بدأ يفضِّل عليه النومَ ساعةً بسبب الضعف والأرق اللذين اعترياه .

كان يتناول الفطورَ الخفيف بالشَّاي مع أفراد أسرته إذا كان في مسقط رأسه ، وإلا مع أساتذة دار العلوم الذين يسكنون في حرم الجامعة ، فإذا فرغ من الفطور طلع إلى غرفة مطالعته ـ وهو بعد صلاة الضُّحى ـ واشتغل بالمطالعة ثم بالكتابة والتأليف ثلاثَ ساعاتٍ متواليةٍ ، ولا يزوره في هذا الوقت إلا مَن يطلبه هو نفسُه ، أو من يكون مستعجلاً من الضيوف ، وكان يثقل عليه كثيراً أن يُزعِجه أحدٌ بزيارته ويصرفه عن شغله ، لكنْ إذا دخل عليه أحدٌ لن يُبدِ له أيَّ أثرٍ من الانزعاج والتذمُّر . ثم يشتغل بإملاء الرسائل ـ التي كانت تأتيه من أنحاء العالم ، يتراوح عددُها بين (٣٠) و(٤٠) يومياً ـ والردِّ عليها حتى قبيل أذان صلاة الظُّهر .

وإذا صلَّى الظهرَ خرج إلى البيت وجلس مع الضيوف ـ الذين يكثر عددُهم دائماً ـ لتناول الغداء ، وبعد الفراغ من الغداء يقيل ساعةً .

وإذا صلَّى العصرَ جلس للناس ، ومنهم أساتذة دار العلوم ومدرِّسيها ، وأعيان المدينة ووجهائها ، والزُّعماء والسَّاسَة ، فيتناول معهم الشايَ بالحليب الذي كان يُؤثِره ، ويحبُّه ، ويتوهَّم الزائرُ الجديد حينئذ أنَّه في حفلةٍ صغيرةٍ وأنه شيءٌ جديد ، وهو له عادة ، ثم يتهيَّأُ لصلاة المغرب قبل نصف ساعة من الأذان .

إذا صلَّى المغربَ ذهب إلى البيتَ والتقى مع أفراد الأسرة وجلس معهم قليلاً ، هذا إذا كان في مسقط رأسه ، وإلا اشتغل بالمطالعة حتى أذان العشاء .

فإذا صلَّى العِشاء تناول العَشاء فوراً مع الضيوف وكبار أساتذة دار العلوم ، وجلس معهم ومع طلاَّب دار العلوم نصفَ ساعةٍ ، وينبسط إلى الحديث ، وأكثر أحاديثه في السيرة النبوية ـ على صاحبها ألف ألف سلام ـ والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ . وإذا كان في نشاطٍ يستمرُّ في الحديث ، ويتحدَّثُ عن التاريخ والأدب ، وعن رجالِ الله وأحوالهم ورقائقهم ، وعن سِيَرِ سلفه كالإمام أحمد بن عرفان الشهيد وغيره من الأولياء الصالحين ، كالإمام أحمد بن عبد الأحد السَّرْهِنْدي والشيخ شاه ولي الله الدِّهْلَوي وغيرهما ، وعن المفكِّرين المجدِّدين ، وزعماء الحركات الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

والجماعات الدعوية كالإمام حسن البنَّا الشهيد ، والداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، والمربِّي الجليل الشيخ عبد القادر الرَّائِيْفُوري[1] وغيرهم . فإذا انتهى هذا المجلسُ أوى إلى الفراش .

وكانت أيَّامُه وأوقاته في شهر رمضان تختلف عن غيره ، وكان شديدَ العبادة والاجتهاد فيه ، يفضِّل جُلَّ أوقاته العبادة والصلوات والأذكار والتلاوة على المطالعة والتأليف ، وكان يعتكف في مسجد زاويته (والتي تسمَّى زاوية شاه عَلَم الله) ، ويؤمُّه مئاتُ الناس من أنحاء الهند ، ويصومون معه ، ويقومون ، ويتحوَّلُ المكانُ الذي يقضي فيه هذا الشهرَ المبارك إلى زاويةٍ عامرةٍ بالذكر والتلاوة ، والسَّهر والعبادة .

* * *

(١) اقرأ ما كتب العلاَّمةُ الندوي عن هؤلاء الثلاثة ، في الفصل السابع من هذا الباب ، ص (٣٧٤ ـ ٣٨٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abuhasanalinadwi.org

الفصل السّابع

الشخصياتُ والكتبُ
التي أَسْهَمَتْ في بناء شخصيته

المبحث الأول : الشخصيات (المعاصرة) التي أَثَّرتْ فيه .

المبحث الثاني : الكتب التي عاش فيها .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abuhasanalinadwi.org

المبحث السادس :

الشّخصيّات (المعاصرة) الّتي أثّرت فيه

عندما نرى عَلَماً كبيراً أو شخصيةً عملاقةً مثل العلامة الندوي نتساءل عن تلك العوامل التي كوَّنت شخصيته الألمعية وأهَّلته لهذه المكانة المرموقة ، ونبحث عن تلك المناهل التي ارتوى منها حتى أصبح إماماً يُقتدى به ويُشار إليه بالبنان ، ولا نعلم منهجاً أفضل من هذا الذي سلكهُ العلاَّمة في هذا السبيل ، فقد طاف بالخافقتين داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عاملاً على إعلاء كلمة الله ، بالكلمة المسموعة والمقروءة وبالعمل الإيجابي البنَّاء في كل مجالٍ ، محاضِراً ومحدِّثاً ، ومحاوِراً واعِظاً ، وهادِياً ومُشاركاً بالرَّأي والفكر في المجالس العلمية والمراكز الدينية ، والمجامع الجامعية والمؤسَّسات الإسلامية ، وملتقياً بذوي الخبرة والتجربة من العلماء والزعماء ، وقادة الفكر ، يأخُذ ، ويعطي ، ويتعرّف على الجديد .

نذكر هنا تلك الشخصيات التي كان يرى العلاَّمة الندوي : أنَّ لها أثراً كبيراً على فكره وثقافته ـ فضلاً عن إلى أسرته ، وهي أسرة الدين والعلم ـ وإلى شيوخه المربيِّين ، والعلماء الصالحين ـ فمِن أبرز تلك الشخصيات :

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ محمّد إلياس الكَانْدَهْلَوِي

(١٣٠٣ـ ١٣٦٣هـ)

كان من أكابر الدُّعاة إلى الله الذين عرفهم العالم الإسلامي في هذا القرن ، وُلد في الهند في أسرة عريقةٍ في الدين والعلم ، والدعوة إلى الله ، والتمسُّك بعقيدة التوحيد الخالصة ، وكان لسلفه دور كبير في تاريخ الإصلاح الديني ، ومساهمة فعَّالة في حركة الجهاد التي قادها الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد .

يقول عنه العلامة الندوي : « أكثر مَن تأثرتُ به هو إمام الدعوة إلى الله الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، كأنَّ هذا الرجل مأمور من الله ، لا أقول عن طريق الرسالة أو الوحي ، ولكنَّه كان مقيَّضاً لهذا الأمر[1] ، رافقْتُه في السفر والحضَر ، فرأيت نواحي من الحياة لم تنكشف لي من قبل ، فمن أغرب ما رأيت ؛ يقينُه الذي استطعت به أن أفهم يقينَ الصحابة ، فكان يؤمن بما جاءت به الرُّسل إيماناً يختلف عن إيماننا اختلافاً واضحاً كاختلاف الصورة والحقيقة ، إيماناً بحقائق الإسلام أشد وأرسخ من إيماننا بالماديات وبتجارب حياتنا ، فكان كل شيء صحَّ في الشرائع وثبت من الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها ، وكأنه يرى الجنة والنار رأيَ عين .

راعَ الشيخُ محمد إلياس ما أصاب المسلمين ـ في العالم الإسلامي بصفةٍ عامة ، وشبه القارة الهندية بصفة خاصة ـ من الضعف والتَّدهور في الإيمان والروح ، وجفاف منابع الشعور الديني في هذه المدة ، وما أثرت فيهم الحكومة الإنجليزية والحضارة الغربية ، والتعليم المدني ، وغفلة الدعاة والاشتغال الزائد بالحياة ، حتى صارت مدارس العلوم الشرعية ، ومراكز الحياة الإسلامية الدينية كجُزر في بحر محيط ، وأصبحت تتأثر هي نفسها بمحيطها الثائر على الدين ، ، فاقتنع أخيراً بأن التعليم وحده لا يكفي ، والاعتزال لا مسوِّغ له ولا مجال ، والانزواء والانطواء يزيدان في قرب

---

(١) مجلة « المجتمع » الكويتية بتصرُّف يسير ، عدد (١٣٣٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

الخطر ، فلا بد من التقدَّم إليها من غير انتظار ، لأنها لا تشعر بمرضها وفقرها في الدين ، وما في ذلك من خسارة وخطر ، وشقاء وحرمان ، وتعرض للمصائب في الدنيا ، وأهوال في الآخرة .

واقتنع كذلك بأن الواجب أن يبتدىء بغرس الإيمان في القلوب ، وتصحيح العقيدة ، وفهم مبادىء الإسلام ، والعمل بها ، ثم العلم بأركان الإسلام العملية الأربعة ـ الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ـ مع الإقبال على العلم والتعلم لما يحتاج إليه المسلم من عقائد وعبادات ومسائل ، هذا مع الاشتغال بذكر الله الذي يربط القلب بالله تعالى ، ويدفع عنه الشيطان ويقويه على مداومة هذا العمل .

وفي ضوء ما شرح الله له صدره ، وما اهتدى إليه عن طريق دراسته العميقة للكتاب والسنة والسيرة النبوية ، وأخبار الصحابة رضي الله عنم ، وعن طريق تجربته العلمية وممارسته للدعوة ـ غير معتمد في ذلك على الخطابة والكتابة ، والذكاء المحض ـ فتح الله له الطريق إلى دعوة الناس إلى الخروج في سبيل هذه الدعوة ، والاكتتاب بالمال ، وبدأ دعوته بمنطقة هي أحط المناطق الهندية خلقاً وثقافةً وحظاً ، وأبعدها عن الدين ، وأعظمها جهالةً وضلالةً ، وهي منطقة (مَيْوَات) في جنوب دِلْهِي ، عاصمة الهند .

وقد أثّرتْ هذه الدعوةُ التي أذاب فيها مهجته ، ووضع فيها مواهبه ، رغم ما كان فيها من مصاعب ، فقد قبل دعوته مئاتٌ وألوف من هذه المنطقة ، وخرجوا شهوراً وقطعوا مسافاتٍ بعيدة بين شرق الهند وغربها ، وشمالها وجنوبها ، ركباناً ومشاة ، فتغيَّرت أخلاقهم ، وتحسَّنت أحوالهم ، واشتعلت فيهم العواطف الدينية ، وانتشرت الدعوة في الهند وباكستان من غير نفقات باهظة ، ولا مساعداتٍ مالية ، أو نُظم إدارية ، بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الإسلام ، وتذكر بالدعاةِ المخلصين المجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون في سبيل الدعوة والجهاد متاعَهم وزادَهم ، وينفقون على أنفسهم ، ويتحملون المشقة محتسبين متطوعين[1] .

---

(١) انظر : « شخصيات وكتب » صفحة (١٥) ، و « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » صفحة (٢٣٣) ، و « الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله » للعلامة الندوي ، طبع دار ابن كثير ، دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتور محمّد إقبال

١٢٨٩ـ١٣٥٦هـ (١٨٧٧ ـ ١٩٣٨م)

هو نابغةُ الدهر، شاعر الإسلام، داعية الحق ، المفكِّر المسلم العملاق ، فيلسوف الشرق ، أشهر ممَّا يُعرَّف : العلاَّمة الدكتور محمد إقبال ، الذي أيقَظَ بفكره العُقول ، وبشِعره القلوبَ .

كان العلاَّمة الندوي شديد الإعجاب بشخصيته ، وكثير التغني بشعره . تلمح في أدب العلامة وذوقه الرفيع تأثره الواضح ، وإعجابه البالغ في كتاباته ومحاضراته بمحمد إقبال ، كان خلاصة ذلك تلك الدراسة القيمة ، الماتعة المُمتعة التي كتبها العلاَّمة عنه بعنوان « روائع إقبال » والتي في الحقيقة ـ رغم صغر حجمها ـ إضافةً جديدةً للمكتبة العربية بكل ما فيها من معنى ، وكان العلامة كثير الاستشهاد بروائع من شعره في معظم كتاباته ومؤلفاته ، يقول عن قيمة شعره وأدبه عنده :

« إنَّ أسباب الإعجاب بشعر محمد إقبال كثيرة ، وللمُعْجَبين به أن يتحدَّثوا عن أسباب إعجابهم ، وهي ترجع في الغالب إلى موافقة الهوى والتعبير عن النفس ، فالإنسانُ إنما يحب نفسَه ، ويطوف حولها ، ويعيش فيها ، ويحب كلَّ ما وافق نفسه ، وترجم عن ضميره ، ولا أبرِّىء نفسي ، فربما أحببتُ شعر محمد إقبال لأني رأيته يوافق هواي ، ويعبِّر عن ضميري وخواطري ، وينسجم مع عقيدتي وتفكيري ، ويتناغم مع عاطفتي ومشاعري .

إنِّي لا أعتقد في إقبال عصمةً ولا قدساً ولا إمامةً ولا اجتهاداً في الدين ، ولا أبالغ في إجلاله والاستشهاد بأقواله ، كما يُبالِغ كثيرٌ من الكتَّاب المعاصرين ، والمؤلِّفين المتطرِّفين ، إنّني أعتقد أن الحكيم السَّنَائي[1] ، وفريد الدين العطَّار[2] ، والعارف

---

(١) أحد كبار شعراء الصوفية ، عُرف بكثرة مدائحه في السلاطين الغزنويِّين ، توفي عام ١١٣١م .

(٢) شاعرٌ صوفيٌ مشهور ، عُرف بمدائحه في الأئمة ، وله مدائح بليغة في سيدنا علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ ، كان يمارس الطِبَّ والصيدلة ، توفي عام ٥٨٩ ، ولكن في تاريخ وفاته اختلافٌ .

www.abulhasanalinadwi.org

الرُّومي[1] ، كانوا أرفعَ منه مكانةً بكثير في التأدُّب بآداب الشرع ، والجمع بين الظاهر والباطن ، والدعوة والعمل .

وقد كانت له (أي لمحمَّد إقبال) في محاضراته التي ألقاها في « مَدْرَاسَ »[2] ، أفكارٌ فلسفيةٌ وتفسيراتٌ للعقيدة الإسلامية لا نوافقه عليها ، ولا أعتقد كما يعتقد كثيرٌ من الشباب المتحمّسين أنه لم يفقه الإسلامَ عالمٌ مثلُه ، ولم يحظ بعلومه وحقائقه غيره . إنني لم أزل ـ والحقّ أحَقُّ أن يقال ـ في كل دورٍ من أدوار حياتي وثقافتي معتقداً أنه لا يزيد على أن يكون تلميذاً من تلاميذ الثقافة الإسلامية النجباء الأذكياء ، دَرَسها دراسةً مخلصةً ، وكان لا يزال في حاجةٍ إلى التعمُّقِ والرسوخ فيها ، والاستفادة من معاصريه الكبار[3] ، وكانت في شخصيته الكبيرة النادرة جوانبُ ضعفٍ لا تتفق مع عظمته العلمية ، وعظمة رسالته وشعره ، لم يجد وقتاً كافياً وجوّاً ملائماً لإكمالها وتسديدها .

إنَّ جُلَّ ما أعتقده : أنَّ إقبال شاعر أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق في هذا العصر ، وأنطقه الله الذي أنطق كلَّ شيء ، أنطقه كما أنطق الشعراء والحكماء قبل عصره ، وفي غير عصره ، إنَّني أعتقد أنَّه كان صاحب فكرة واضحةٍ ، وعقيدة حازمةٍ عن خلود الرسالة المحمدية وعمومها ، وعن خلود هذه الأمة وصلاحيتها للبقاء والازدهار ، وعن كرامة المسلم ، وأنه خلق ليقود ويسود ، وعن تهافت المبادىء والفلسفات والدَّعوات التي ظهرت في هذا العصر ، كالقومية ، والوطنية ، والشيوعية ، ووجدت فيه من وضوح الفكرة ، وشدَّة الاقتناع بها ، والتحمس لها ، والشجاعة في نشرها ، وفي نقد هذه الفلسفات ما لم أجده مع الأسف في كثيرٍ من رجال الدين ؛ لعدم اكتناههم بحقيقتها ، واطلاعهم على نواياها ، وأهدافها ، وأُسسها ، وتاريخها »[4] .

---

(١) من كبار الشعراء الصوفية ، وأحد حكماء المسلمين ، انظر ترجمته في حاشية صفحة (٦١٤) ، في الباب الرابع .

(٢) مدينةٌ كبيرةٌ في الهند الجنوبية ، وأمَّا محاضراتُه التي ألقى فيها ؛ فقد طُبعت بالإنكليزية ، ثم نُقلت للعربية باسم « تجديد الفكر الديني في الإسلام » .

(٣) وكان ـ رحمه الله تعالى ـ لم يزل يستفيد فعلاً من محدِّث العصر العلاَّمة أنور شاه الكَشْميري ، وشيخ النَّدْوِيِّين العلاَّمة السيِّد سليمان الندوي وغيرهما من كبار علماء عصره ، كما يدلُّ على ذلك تلك الرسائلُ التي كتبها إليهم ، تتجلَّى منها سماحةُ نفسِه ، وتواضعه ، ورُوحه العلْمية .

(٤) روائع إقبال : ص (٢٤ ـ ٢٥) طبع دار ابن كثير ، دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ عبد القادر الرّائِينفُوْرِي

(ت١٣٨٢ هـ)

كان نموذجاً حيّاً من نماذج السَّنُوسية[1] ، وكان من كبار العلماء الربانيين ، ومن أولئك القادة والعُلماء والصَّالحين الَّذين يحتاج إليهم المسلمون في كُلِّ زمان ومكان للقيادة والتوجيه ، والاستفادة من بركاتهم وطيب أنفسهم .

تلقَّى منه العلامة الندوي التربية الروحية ، واستفاد من صحبته ومجالسه ، كان كثير العطف على العلاَّمة ، وهو الذي أمره بتاليف كتابٍ بالعربية في التعريف بـ « القاديانية » والردّ عليها .

يقول عنه العلاَّمة الندوي : « . . . إنه كان ينتمي إلى تلك الجماعة الربانية التي لا تصرفها أشغالها والعكوف على الذكر والتسبيح والانقطاع إلى الله عن تَتبُّع حال المسلمين والتفكير في مسائلهم ، ولا تجعلها في غفلة من قضايا المسلمين لحظة ، بل تزيدها اهتماماً بها ، وتحدث في قلوبها حرقةً واضطراباً زائداً لها ، ويتحول هذا الهم أحياناً إلى دموع ، ترسلها عيون رجالها فتتضرَّع إلى الله ، وتبتهل لنصرة المسلمين ولعِزتهم وسعادتهم ، وأحياناً تغلبهم الشكوى على حال المسلمين ، والاعتراف بتقصيرهم وتهاونهم في الإسلام ، فيتوجَّهون إلى تذكيرهم وتنبيههم وإنذارهم ، فيرسلون الدموع في خلواتهم ومناجاتهم مع الله ، وفي محافلهم ومجالسهم يحرك هذا الهمُّ ألسنتهم للتنبيه والإنذار والتوصية ، فلا يفارقهم هذا الهم .

وقد رأينا في اطّلاع الشيخ وبصره بأوضاع العصر وظروفه وبصيرته السياسية وفراسته الإيمانية وجمعه بين العبادة والإنابة ، والجانب العملي المشرق نموذجاً طيباً للزوايا السَّنُوسية ، وذكَّرتنا أخلاقه الفاضلة ، وعطفه الأبوي ، وتواضعه ، وحفاوته

---

(١) ذكرنا السَّنُوسِيَّة للتشبيه فقط ، إذ لا علاقةَ ولا صِلَةَ للشيخ بالحركة السنوسية .

www.abulhasanalinadwi.org

وضيافته ، بأخلاق السلف الصالحين الذين كانوا يقتدون بأسوة صاحب الخُلُق العظيم ﷺ .

كان الشيخ عبد القادر واقعياً في طبيعته يحب العمل والاجتهاد ، ويراعي التطورات وتغيرات العصر ، وكان بعيداً عن الإفراط والتفريط ، وبُعْدِ الخيال الناتج عن الذكاء المفرط ، والمجاهدة المضنية ، والرجائية (المغالاة في الرجاء والتفاؤل) ، فكان ذهنه متوازناً للغاية ، وعملياً ، يبني أفكاره على دراسة الحقائق ومتابعة الأحداث ـ مهما تكن مُرَّةً ومشوِّشةً للذهن ـ ، وكان لا يغفل عن جوانب الضعف والمواضع المظلمة ، وكان له نظر ثاقب يراقب به التطورات والمتطلبات العصرية ، ويرعاها حق رعايتها ، ويوليها أهميتها وينبه إليها ، ويصرف الاهتمام إليها . ورغم أنه نشأ في بيئةٍ خاصة ، وعاشَ مدةً من الزمن في جو خاص ، مرتبطاً بطبقة دينية خاصة ، كان متفتح الذهن ، واسع الفكر ، دقيقَ النظر ، ناقداً بصيراً بالأمور ، لا يوجد له مثيلٌ في رجال الطبقة الدينية المتحفظة التي كان ينتمي إليها »[1] .

---

(١) انظر : « في مسيرة الحياة » (١/ ١٦٠ ـ ١٦١) ، و « شخصيات وكتب » ص(٣١) ، و « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص(٢٥٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

الإمام الشهيد حسن البنّا

١٣٢٤ـ١٣٦٨هـ (١٩٠٦ـ١٩٤٩م)

هو الرجلُ القرآني ، والمعلِّم الربَّاني ، الذي جسد بدعوته شمول الإسلام وتوازنه ، وربَّانيته وواقعيته ، فربط الفكر بالحركة ، ومزج العلم بالعمل ، وجمع بين التربية والجهاد ، كما جمع بين نقاء العقيدة السلفية ، وروحانية الصوفية السنِّية . ودعا إلى الإسلام عقيدةً ونظاماً ، ديناً ودولةً ، عبادةً وقيادةً ، مصحفاً وسيفاً . وحارب الفساد والظلم في الداخل ، والاستعمار والصهيونية في الخارج ، وربَّى على الإسلام جيلاً جعل الله غايته ، والرسول أسوته ، والقرآن شرعته ، والجهاد وسيلته ، والموت في سبيل الله أسمى أمانيه . إنه مؤسس كبرى الحركات الإسلامية الحديثة في العالم : الإمام الشهيد حسن البنا ، واضعُ أُسَسِ العمل الإسلامي الجماعي ، الذي انتشرت رسائله وتلاميذه ، وتلاميذ تلاميذه في العالم كله انتشار أنوار الفجر . وشاء الله أن تكون المِحَنُ المتتابعة التي صُبَّت على إخوانه وتلاميذ مدرسته ، سبباً في هجرتهم بدعوتهم ، وتفرقهم في أقطار الشرق والغرب ، فتنتشر بهم الدعوة والصحوة في كل مكان[1] .

وإن كان العلاَّمة الندوي قد عزم على لقاءه ولكن الله تعالى لم يشأ ذلك ، إلاَّ أنه تعرَّف عليه من خلال تلامذته وجماعته وآثاره ، وبثَّ إليهم آمالَه وآلامه ، ونصح لهم بما ينبغي أن لا يغفلوا عنه ، وقد سبق حديثُنا عن ذلك كلِّه في الفصل الرابع[2] .

يقول العلاَّمةُ عن شخصية الإمام البنَّا ، وعن مدى تأثير دعوته في الناس :

« إنَّ لهؤلاء الثائرين والدُّعاة المصلحين قائمةٌ مشرقةٌ مشرِّفةٌ ، يتجمَّل بها تاريخ الإصلاح والدَّعوة ، ولا يخلو منهم زمانٌ ومكانٌ .

---

(١) من « يوسف القرضاوي : فقيه الدعاة وداعية الفقهاء » للأستاذ عصام تلمية ، ص(٣٨) .

(٢) انظر الفصل الرابع من هذا الباب ، ص(٢٢٦ ـ ٢٣٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ الذي عرف الشرق العربي الإسلاميّ في فجر القرن العشرين ، وعرف مصر بصفةٍ خاصَّةٍ ، وعرف ما أصيب به هذا الجزء الحساس الرئيسي من جسم العالم الإسلاميّ من ضعف في العقيدة والعاطفة ، والأخلاق والاجتماع ، والإرادة والعزم ، والقلب والجسم ، وعرف الرواسب التي تركها حكم المماليك ، وحكم الأتراك ، وحكم الأسرة الخديوية ، وما زاد إليها الحكم الأجنبي الإنجليزي ، وما جلبته المدنيَّة الإفرنجية المادِّية ، والتعليم العصري اللَّاديني ، والسياسة الحزبية النفعية ، وما زاد هذا الطين بِلَّةً من ضعف العلماء ، وخضوعهم للمادَّة والسُّلطة ، وتنازل أكثرهم عن منصب الإمامة ، والتوجيه ، وانسحابهم عن ميدان الدَّعوة ، والإرشاد ، والكفاح والجهاد ، واستسلامهم « للأمر الواقع » ، وخفوت صوت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، زاد إلى ذلك كلِّه نشاط دعاة الفساد والهدم ، والخلاعة والمجون ، والإلحاد والزندقة ، وتزعُّم الصحف والمجلات الواسعة الانتشار ، القوية التأثير للدَّعوات المفسدة ، والحركات الهدَّامة والاستخفاف بالدِّين وقِيَمه ،والأخلاق وأُسسها ، وما آل إليه الأمر ، ووصلت الأقطار العربية بصفة عامَّة ، والقطر المصري بصفةٍ خاصَّةٍ من التبذُّل ، والإسفاف ، والضعف والانحطاط ، والثورة والفوضى ، والانهيار الخلقي والروحي في الثلث الأول من هذا القرن الميلادي ، ورأى كلَّ ذلك مجسماً مصوّراً في أعداد « الأهرام » و « المقطم » و « الهلال » و « المصوَّر » وفي كتبٍ كان يصدرها أدباء مصر ، وكتَّابها المفضَّلون المحبَّبون عند الشباب، ورأى ذلك مجسماً مصوَّراً في أعياد مصر ومهرجاناتها ، وحفلاتها وسهراتها ، واستمع إلى الشباب الجامعيّ في نواديهم ومجالسهم ، وزار الإسكندرية وشواطئها ، ومصائفها ، ورافق فرق الكشَّافة والرياضة والمباراة ، ودخل دُور السينما ، ورأى الأفلام الأجنبية والمحلية ، واطلع على الروايات التي تصدرها المكتبة العربية في مصر بين حين وآخر ، ويتهافت عليها الشباب بنهامةٍ وجشعٍ ، وعاش متَّصلاً بالحياة والشعب ، وتتبَّع الحوادث ، ولم يعش في برجٍ عاجيٍّ ، وفي عالم الأحلام والأوهام .

ومن هنا تبدأ فقرةٌ تقول : إنَّ من رأى ذلك كلَّه عرف رزية الإسلام والمسلمين ، ونكبة الدَّعوة الإسلامية في الجزء (أي مصر) الذي كان يجب أن يكون زعيماً للعالم العربيّ كلِّه ، وزعيماً للعالم الإسلامي عن طريقه ، وقد بقي قرناً كنانة الإسلام ، ومصدر العلم والعرفان ، وأسعف العالم العربيّ ، وأنجده ، بل أنقذه من فتراتٍ دقيقةٍ

www.abulhasanalinadwi.org

عصيبةٍ في التاريخ الإسلامي ، ولا يزال يحتضن الأزهر الشريف أكبر مركزٍ ثقافي إسلاميٍّ ، وأقدمه .

إنَّ كلَّ مَن عرف ذلك عن كثبٍ لا عن كُتبٍ ، وعاش متَّصلاً به ؛ عرف فضل هذه الشخصية التي قفزت إلى الوجود ، وفاجأت مصر ، ثم العالم العربيَّ والإسلاميَّ كلَّه بدعوتها ، وتربيتها ، وجهادها ، وقوَّتها الفذَّة التي جمع الله فيها مواهب وطاقاتٍ قد تبدو متناقضةً في عين كثيرٍ من علماء النفس والأخلاق ، ومن المؤرِّخين والناقدين : هي العقل الهائل النيِّر ، والفهم المشرق الواسع ، والعاطفة القويّة الجيَّاشة ، والقلب المبارك الفيَّاض ، والروح المشبوبة النَّضرة ، واللسان الذرب البليغ ، والزهد والقناعة ـ دون عنتٍ ـ في الحياة الفردية ، والحرص وبُعْد الهمَّة ـ دونما كللٍ ـ في سبيل نشر الدَّعوة والمبدأ ، والنفس الولوعة الطَّموح ، والهمَّة السامقة والوثابة ، والنظر النافذ البعيد ، والإباء والغيرة على الدَّعوة ، والتواضع في كلِّ ما يخصُّ النفس . . تواضعاً يكاد يجمع على الشهادة عارفوه ، حتى لكأنَّه ـ كما حدَّثنا كثير منهم ـ مثل رفيف الضياء : لا ثقل ، ولا ظلَّ ، ولا غشاوة .

وقد تعاونت هذه الصفاتُ والمواهب في تكوين قيادةٍ دينيةٍ اجتماعية ، لم يعرف العالم العربي وما وراءه قيادةً دينيةً سياسيةً أقوى ، وأعمق تأثيراً وأكثر إنتاجاً منها منذ قرون ، وفي تكوين حركةٍ إسلامية يندر أن تجد ـ في دنيا العرب خاصَّةً ـ حركة أوسع نطاقاً ، وأعظم نشاطاً ، وأكبر نفوذاً ، وأعظم تغلغلاً في أحشاء المجتمع ، وأكثر استحواذاً على النفوس منها .

وقد تجلَّت عبقريةُ الدَّاعي مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها في ناحيتين خاصَّتين ، لا يشاركه فيهما إلا القليلُ[1] النادرُ من الدُّعاة والمربِّين ، والزعماء والمصلحين ، أولاهما شغفه بدعوته ، وإيمانه ، واقتناعه بها ، وتفانيه فيها ، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه ، وطاقاته ، ووسائله ، وذلك هو الشرط الأساسيُّ ، والسِّمة الرئيسية للدُّعاة ، والقادة الذين يُجري الله على يديهم الخير الكثير . والناحية الثانية

---

(١) وكان من هذا القليل النادر : الشيخُ محمد إلياس الكاندهلوي ، ونجلُه وخليفته الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (مؤلِّف كتاب « حياة الصحابة » المشهور في الآفاق المتوفى ١٩٦٥م) رضي الله عنهما وأرضاهما ، فقد كانا مثالين فذَّين في هاتين الناحيتين كلتيهما .

www.abulhasanalinadwi.org

تاثيره العميق في نفوس أصحابه ، وتلاميذه ، ونجاحه المدهش في التربية والإنتاج ، فقد كان منشىء جيلٍ ومربِّي شعبٍ ، وصاحب مدرسةٍ علميَّةٍ فكريَّةٍ خلقيَّةٍ ، ، وقد أثَّر في ميول مَن اتصل به من المتعلِّمين والعاملين ، وفي أذواقهم ، وفي مناهج تفكيرهم ، وأساليب بيانهم ، ولغتهم ، وخطابتهم تأثيراً بقي على مرِّ السنين والأحداث ، ولا يزال شعاراً و سمةً يعرفون بها على اختلاف المكان والزمان .

لقد فاتني أن أسعد بلقائه في مصر ، وفي غير مصر ، فقد كان العام الأول الذي كتب الله لي فيه الحجَّ والزيارة ، وخرجت من الهند لأوَّل مرةٍ وهو عام ١٩٤٧م هو العام الذي تغيَّب فيه الشهيد عن الحجاز ، ولم يغادر مصر ، وقد كان يحضر الموسم في غالب الأعوام ، ويحرص على نشر دعوته ، والحديث إلى وفود بيت الله الحرام ، وعلى السعي المجهد الحثيث في توثيق الصِّلات ، والعهود مع الوافدين من أنحاء عالم الإسلام كلِّه .

بيد أنَّي قابلتُ بعض تلاميذه ودعاته فلمستُ فيهم آثار بالقائد العظيم ، والمربِّي الجليل ، فلمَّا قدِّر لي أن أزور مصر سنة ١٩٥١م كانت رحمة الله قد استأثرت به ، ولما يجاوز عمره بعد الثانية والأربعين إثر حادث استشهاده الذي أدمى نفوس ملايين المسلمين ، وحرم العالم الإسلامي هذه الشخصية التاريخية الفريدة ، ولا أزال أتحسَّر على هذه الخسارة التي كتبت لي ، ولكنِّي اتصلتُ بتلاميذه اتصالاً وثيقاً ، وعشت فيهم كعضوٍ من أعضاء أسرةٍ واحدةٍ ، وزرت والده العظيم رحمه الله ، واستقيت منه معلوماتٍ وأخباراً سجَّلتها في مذكَّراتي[1] ، وقابلت زملاءه وأبناءه ، واجتمع لنفسي من كلِّ هذه الآثار والأخبار ملامح الصُّورة العظيمة لصاحب هذه الدَّعوة ، ومؤسس هذه المدرسة ، أنا واثقٌ بأنَّها صورةٌ صادقةٌ مطابقةٌ .

لقد كانت محاولة القضاء على آثار هذه الدَّعوة التي أعادت إلى الجيل الجديد في العالم العربي الثقة بصلاحية الإسلام ، وخلود رسالته ، وأنشأت في نفوسه وقلوبه إيماناً جديداً ، وقاومت « مركَّب النقص » في نفوسهم ، والهزيمة الداخلية التي لا هزيمة أشنع منها ، وأكبر خطراً ، والميوعة وضعف النفوس والانسياق تحت ربقة الشهوات والطغيان ، وخلقت ـ كما يقول شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال : « في

---

(١) إقرأها في « مذكرات سائح في الشرق العربي » ، ص(٦٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

جسم الحمام الرَّخو الرقيق قلب الصقور والأسود » حتى استطاع هذا الجيل أن يصنع عجائب في الشجاعة ، والبسالة ، والاستقامة ، والثبات .

لقد كانت محاولة القضاء على آثار هذه الحركة ، وطمس معالمها ، وتعذيب جنودها ، وتشريد رجالها جريمةً لا يغتفرها التاريخ الإسلاميُّ ، ومأساةً لا ينساها العالمُ الإسلاميُّ ، وإساءةً إلى العالم العربيِّ لا تعدلها إساءةٌ ، ولا تكفِّر عنها أيُّ خدمةٍ للبلاد ، وأيُّ اعتبارٍ من الاعتبارات السياسية ، إنَّها جريمةٌ لا يوجد لها نظير إلا في تاريخ التتار الوحوش ، وفي تاريخ الاضطهاد الدينيِّ ومحاكم التفتيش في العالم المسيحيِّ القديم ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله[1]!! .

---

(١) من أعلام المسلمين ومشاهيرهم : بتصرف واختصار ، ص(٢٩٦ ـ ٣٠٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

الشخصيات المعاصرة التي كان مُعْجَباً بها

سأل أحدُ الطلاب العلاَّمةَ الندوي في إحدى مجالسه ـ التي كانت تنعقد يومياً بعد صلاة العِشاء أثناء إقامته في دار العلوم (ندوة العلماء) عن الشخصيات المعاصرة التي هو مُعجَبٌ بها ، فتفضَّل العلامة بالجواب له ، وذكر بعض الأسماء ، وهي :

١ ـ المفسِّر الكبير الشيخ أحمد علي اللاَّهُوْرِي
٢ ـ العَلَم العالم المحدِّث الشيخ حُسين أحمد المدني
٣ ـ المحدِّث الكبير ، العالم الجليل الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي
٤ ـ المفتي أمين الحُسيني
٥ ـ الداعية الشهيد سيِّد قطب
٦ ـ الداعية الفقيه الدكتور مصطفى السباعي
٧ ـ الداعية المجاهد الأستاذ سعيد رمضان المصري
٨ ـ المفكِّر الإسلامي الكبير الأستاذ محمد المبارك
٩ ـ أديب العربية الكبير العلاَّمة علي الطنطاوي
١٠ ـ العالم السَّلفي النِّحرير الشيخ عبد العزيز بن باز
١١ ـ المحدِّث الأصولي الفقيه الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

الكُتُب التي عاش فيها وتأثَّرَ بها أثناء الدراسة والتدريس

كان للعلامة الندوي نهامةٌ موروثة وشغف زائد بالكتب ، ورثها كابراً عن كابر ، فكان يقرأ من صِغره كلَّ ما يقع في يده من مطبوعٍ . نذكر هنا تلك الكتب التي عاش فيها ومعها زماناً صالحاً ، والتي سيطرت على مشاعره وتفكيره مدةً طويلةً ، والتي كان يَدِينُ لها لنا في كثيرٍ من مجالسه في كثير من عواطفه وأهوائه وموازينه وأدبه وثقافته وكتابته ، لا شكَّ أنها كتب معدودة ، ولكنَّها قيمة ، كثيرة الإفادة ، وشديدة التأثير ، أذكر منها البعضَ مع تعريفٍ وجيزٍ لها ليستفيد منها القراءُ أيضاً ـ وأعتذر منهم على الإطالة في التعريف ببعضها والإسهاب في الحديث عنها ـ فمنها :

١ ـ تفسير سورة النُّور

لابن تيمية

لقد اعتمد شيخُ الإسلام ابن تيمية في تفسير سورة النور على التفسير بالمأثور ، كما هو دأبُه وديدنُه ، ويُشير في تفسيره إلى النزعات الدينية والفِرَق الإسلامية لبعض الآيات المختلف حولَها ، وذلك من أشاعرة ومعتزلة وخوارج وغيرهم ، إلاَّ أنَّه كان يلجأ في تمييز وترجيح هذه الآراء إلى قول السَّلف ، كما هو مذهبُه المعروف ، فيؤيِّده بما جاء في الكتاب والسُّنن ، وما أُثر عن الصحابة والتابعين في ذلك . ولم يترك شيخُ الإسلام قارئَه حائراً إذا عرض لأقوال السلف المختلفة في المسألة ، فيعرض رأيَه مرجِّحاً قوله مستنداً إلى الكتاب والسنَّة .

ومِن هذا يتبيَّنُ أنَّ هذا الكتاب ليس كتابَ تفسير لسورة النور فحسب ، بل هو تفسير لآيات الأحكام المتعلّقة على وجه الخصوص بالزِّنى ، واللِّواط ، واللعان ، والقذف ، والسكر ، والحدود ، والنظر إلى المحرَّمات ، وغضِّ البصر ، والتوبة ، وأسماء الله الحسنى وغيره مما اشتملتْ عليه السُّورةُ ، على تفصيل في ذلك ،

www.abulhasanalinadwi.org

واستقصاء نادرٍ لأحكام كلِّ مسألةٍ بما يشبع الناظر ، ويروي ظمأ القارىء .

يقول عنه العلاَّمة الندوي : « وقد أَرشدني تفسيرُ شيخ الإسلام ابن تيمية لـ« سورة النور » وأفادني في فترة المراهقة الدقيقة والبيئة الموبوءة إفادةً كثيرةً »[1] .

٢ ـ زادُ المعاد في هدي خير العباد

لابن قيِّم الجوزية

إنَّه كتاب عظيم في السيرة النبوية ، يحتوي على مواضيع مختلفة من السيرة ﷺ والسنة والفقه وعلم الكلام والتزكية والإحسان ، وأعتقد أنه ليس هناك كتابٌ جامعٌ ألَّف للعمل والإصلاح بعد كتاب « إحياء العلوم » للإمام الغزالي إلا هذا الكتاب ، بل قد يفوقه من ناحيةِ التحقيق والاسناد والتطبيق بين الكتاب والسنة[2] .

يقول عنه العلامة : « بدأتُ أُطالع ـ وأنا في سِنّ المراهقة الفكرية ـ كتباً غير مرتبطٍ بالمنهج الدراسي ، فاستهللتُ بمطالعتي بكتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن قيِّم الجوزية ، فحلَّ منِّي محلاً عظيماً ، وكأنَّه مكتبتي ورفيقي في السفر ، ومُشْرِفي وأُستاذي ، وبَدا لي كمُمَثِّلٍ بارعٍ عظيم للمكتبة الدينية العامرة ، يملأ الفراغ إذا حرمتُ من الاتصال بهذه المكتبة الزاخرة ، إنَّه علَّمني طريقةَ الصَّلاة المأثورة عن النبيِّ ﷺ ، ولقَّنني الأدعية والأذكار المأثورة ، وهَدَاني إلى آداب السفر ، وبه عرفتُ كيف أقضِي نهاري وليلي في ضوء السيرة النبوية »[3] .

٣ ـ سيرة « رحمةً للعالمين »[4]

للقاضي محمد سليمان المنصورفُوري

أتحدَّثُ عن كتابٍ كانت منَّته ـ ولا تزال ـ عظيمةً عليَّ ، وإني دائمُ الترحيم على

---

(١) شخصيات وكتب : ص (١٥٦) .

(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : (٢/ ٢٨٤) .

(٣) شخصيات وكتب : ص(١٥٤) .

(٤) وقد ترجمه أخيراً بالعربية الأستاذُ الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم (أستاذ اللغة الأردية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض)، وصدر من دار السلام ـ الرياض ، عام ١٩٩٨م.

www.abulhasanalinadwi.org

صاحبه العظيم الذي أتحفني عن طريق هذا الكتاب بمنحة هي أغلى الأشياء عندي بعد الإيمان ، بل هو جزءٌ من أجزاء الإيمان ، وكتاب « سيرة رحمة للعالمين » لمؤلّفه القاضي محمد سليمان المنصور فوري رحمة الله عليه ! ولهذا الكتاب قصةٌ عجيبةٌ[1] .

وقع بصري مرّةً على اسم كتاب « رحمة للعالمين » وكنتُ كثير النظر في الفهارس وإعلانات الكتب ، وأرسلتُ طلباً لهذا الكتاب ، وكان قد طُبع منه جُزءان ، تقصر ميزانيتي الصغيرة ـ وأنا في العاشرة أو الحادية عشرة من عمري ـ عن شرائه ، ولكن الصغار ـ خصوصاً في العصر الذي أتحدَّثُ عنه ـ لا يخضعون لقوانين الميزانيات وعلم الاقتصاد ، إنما ينساقون مع الغرائز والعواطف .

وجاء ساعي البريد وهو يحمل هذا الكتابَ فيما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة ، ورأيتُ ، فلا أملك ما أتسلَّم به هذا الكتاب وأدفع ثمنه ، واعتذرَتْ أمي ـ بارك الله في حياتها ـ مع حرصها على إرضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود ؛ لأنها لم تكن تملكها في ذلك الحين .

ورأيتُ ، فلم أرَ لي مساعداً وشفيعاً في هذه المهمَّة إلا الشفيع الذي طالما لجأ إليه الأطفال ، وعرفوا أن شفاعته لا تُرَدُّ ، ذلك الشفيع الذي لجأ إليه سيدنا عمير بن أبي وقَّاص الصغير ، فقبل رسولُ الله ﷺ شفاعته وأجازه للقتال في بدر ، ذلك شفيعُ الدموع والبكاء البريء الذي لم يزل وجيهاً مسموعاً عند الله وعند عباده الصَّالحين .

وكذلك كان ، فقد رقّ لذلك قلبُ أمي الحنون ، واجتهدتْ في دفع قيمة الكتاب والحصول عليه ، وأخذت الكتابَ .

بدأتُ أقرأ الكتاب ، وبدأ الكتاب يهزُّ قلبي ، وليست بهزَّةٍ عنيفةٍ مزعجةٍ ، إنما هي هزةٌ رقيقةٌ رفيقةٌ ، وبدأ قلبي يهتزُّ له ويطرب :

كما اهتز تحت البارد الغصنُ الرطب

وهذا هو الفارقُ بين هزَّة الكُتب التي أُلِّفت في حياة الأبطال والفاتحين الكبار ، وبين هزة الكتب التي أُلِّفت في سيرة الرسول الأعظم ﷺ ، فالأولى هزَّة تغير على القلب وتزعجه ، والثانية هزَّة تنبعث في النفس وتريحها .

---

(١) اختصرها المؤلف هنا ، اقرأها برُمَّتها في « الطريق إلى المدينة » بعنوان « الكتاب الذي لا أنسى فضله » .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ الحسنة التي لا أنساها لهذا الكتاب وصاحبه المخلص : أنَّه أثار في قلبي مِن الحبّ الذي كان لا لذّة في الحياة بغيره ، ولا قيمةَ للحياة بغيره[1] .

لا شكَّ : أن هذا الكتاب يُعدُّ دُرَّةً فريدةً بين مؤلفات مؤلِّف الهند الكبير القاضي محمد سليمان سلمان المنصور فُوري . وهو فريدٌ في أسلوبه ومنهجه ، نظراً لإخلاص المؤلِّف وإيمانه وطرازه الخاص والدعوة والتربية ، ونظراً لبساطة حوادث السيرة وجمالها ، وتأثيرها الذي ينفذ إلى عقل القارىء ، ومنه إلى روحه .

تناول مؤلِّف هذا الكتاب موضوعات السيرة النبوية المألوفة لدى كتَّاب السيرة قديماً وحديثاً ، ثمَّ أضاف إليها موضوعات جديدة مثل : فضل سيِّد المرسلين ، وحبّ النبي ﷺ ، وخصائص النبي ﷺ في القرآن الكريم والحديث النبوي ، بالإضافة إلى موضوعات أخرى عديدة جعلت من هذا الكتاب صورةً حيَّة لحياة الرسول ﷺ ، نقشها المؤنف بأسلوبٍ رائع يفسِّر قولَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

٤ ـ الرسالة المحمَّدية

للعلاَّمة السيِّد سليمان النَّدْوي

يقول عنه العلاَّمةُ : « . . . هذا من أقوى الكتب في السيرة وأروعها في جمال التعبير ، وبثِّ حلاوة الإيمان ، وتوثيق الصِّلة بذات النبيِّ ﷺ ، وهو عُصارةٌ لمكتبةٍ كاملةٍ في السيرة النبويَّة . . وهو هديةٌ ثمينةٌ للباحثين عن الحقِّ للتعريف بالإسلام ، ولعرضِ سيرة النبيِّ ﷺ بإيجازٍ ، وأسلوبٍ مُقنِعٍ مُؤثِّرٍ . . . »[2] .

« . . . فتح هذا الكتاب أمامي جوانب جيِّدةً للسِّيرة والحديث ، وأبانَ لي مناهجَ لعرض الحديث والسِّيرة على أصحاب العلم والمثقَّفين من غير المسلمين في هذا العصر الثوري . . . »[3] .

---

(١) الطريق إلى المدينة : ص(١٥ ـ ١٧) باختصارٍ .
(٢) شخصيات وكتب : ص(٥٩) .
(٣) مشاهير أهل علم كي محسن كتابين : ص(٤٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

٥ ـ الفاروق[١]

للعلامة شِبلي النُّعْماني

يحتوي هذا الكتابُ على سيرة مفصَّلة شاملة موثوقة لأمير المؤمنين (عمر الفاروق رضي الله عنه) ويُعتبر درة قيمة من بين مؤلفات علاَّمة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأريب الشيخ شبلي النعماني ، يرى العلماء أنه يفوق جميعَ الكتب التي تناولت موضوع حياة أمير المؤمنين عمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ في اللغات : العربية ، الفارسية ، والأردية .

بدأ المؤلِّفُ الكتابَ بمقدِّمة قيمة تحدَّث فيها عن عهود التاريخ الإسلامي المختلفة ومزاياها ، وواجبات المؤرخ ، كما استعرض حملات المستشرقين .

جعل المؤلِّف الكتاب في جُزأين ، تحدَّث في أولهما عن نسب عمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ ومولده ونشأته ، وإسلامه وهجرته واستخلافه ، وفتوحه وانتصاراته ، وفي الجزء الثاني ألقى نظرةً على فتوح العهد العمري ، ثم ناقش أسباب هذه الانتصارات والفتوح ، والعوامل من ورائها ، ثم تحدَّث عن كفاءته النادرة في إدارة المملكة ، كما قرَّر أنَّ حكومته كانت أقرب إلى الديمقراطية ، ثم حشد معلوماتٍ وأخباراً ممتعة عن تقاسيم البلدان والوظائف الحكومية ، والرواتب ، وطرق ردع الرشاوى ، وتحدَّث بشيء من التفصيل عن الموارد ، والنظام القضائي ، وغيرها من مصالح الإفتاء والشرطة والجيش والمال والدفاع .

وبعد ذلك عالجَ موضوعَ إمامة عمر رضي الله عنه واجتهاده وأحواله الشخصية وأخلاقه ثم أهله وأولاده[٢] .

وكان هذا الكتاب من جملة تلك الكتب التي كانت تأثر بها العلامةُ الندوي ، وقرأها مرات ، يقول عنه :

« إنَّ ألفاظ (الفاروق) الفخمة وحرارة جمله وعبارته تنزل كالصاعقة ، وتمضي

---

(١) وقد نقله إلى العربية الدكتور جلال الدين الحفناوي ، وطُبع في مصر .
(٢) شبلي النعماني علامة الهند الأديب ، والمؤرخ الناقد الأريب : بتصرّف واختصار ، للدكتور محمد أكرم الندوي ، ص(١٩٣ ـ ١٩٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

كالسُّيوف والأسِنَّة ، إنَّ المجهود الذي بذله العلامةُ للدفاع عن نظام الخلافة كان قوة وعيي، واستعدادي في ذلك الوقت لإدراكه وفهمه ، ولم يعد يَهُمُّني اليوم علمياً، ولكن الجزء الذي يشتمل على عرض الوقائع وتصوير الحوادث كان أثرها قد خلَّف تأثيراً عميقاً في نفسي في تلك الأيام ، ولم يزل يحمل بعض ذلك التاثير إلى اليوم»[1].

٦ ـ فتوح الشام

لمحمَّد بن عُمر الوَاقِدي[2]

يقول عنه العلامة : « وقد حَبَّبَ هذا الكتابُ شخصيات الصحابة والمجاهدين إلى نفسي ، ورفعت منزلةَ الجهاد في سبيل الله في عيني ، حتى لم يستطع كل ما قرأته بعد ذلك من بحث ومناقشات وشبهات ، وكل ما قرأته للمستشرقين والمستغربين أن يقلل قيمة الجهاد ، ولم تحم حوله شبهة ، وكان كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرِفَ الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكَّنا

كان من حسنات هذا الكتاب تلك الثقافة الدينية والتاريخية التي حصلت لي بفضله ، فقد عرفت كثيراً من الصحابة وأبطال الجهاد الإسلامي ، وكثيراً من المدن والبلدان الإسلامية والوقائع التاريخية في سِنٍّ مبكرة ، حين لم يعرفها كثير من أترابي ممَّن حرموا هذه الفرص في سن عالية ، وارتسمت هذه الذكريات وهذه الحوادث في خاطري ، حتى لما قدَّر الله لي الرحلة إلى سورية عام ١٩٥١م[3] ، وتمثلت هذه المناظر لعيني ، وهاجت الذكرى ، ولما دخلت حمص بادرتُ إلى زيارة سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ووقفت أمام قبره وقفةً طويلةً أستحضر مواقفه في الجهاد ، وبلاءهُ في الحرب ، واستهانته بحياته ، واستخفافه بالعدو ، وانتصارَه في كل معركة ، وأترحَّم عليه ، وقد طاب لي المقام ، وهاج البكاء .

وكان من حسنات هذا الكتاب أيضاً أني أصبحت أنظر إلى الأوروبيين ـ وهم

---

(١) شخصيات وكتب : ص(١٥٢) .

(٢) من أقدم المؤرِّخين في الإسلام ، ومن أشهرهم ، ومن حفَّاظ الحديث النبوي ، توفي ببغداد عام ٢٠٧هـ .

(٣) اقرأ عن هذه الرحلة في كتابه « مذكَّرات سائح في الشرق العربي » طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

خلفاء الروم الذين قاوموا المسلمين في الشام وفلسطين ـ كمنافسين للإسلام ، ولا ينشرح لهم صدري ؛ بل وأجدهم أحق بالعداء من الروم والفرس الذين انقرضت دولتهم ، وزالت أيامهم ، وتقلَّص ظِلُّهم ، أما الأوروبيون فقد اكتسحوا العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، واستعبدوا أممه وشعوبه ، ونشروا الفساد في البر والبحر ، وملؤوا أرض الله جوراً وظلماً وفساداً وشراً .

إنَّ لهذا الكتاب فضلاً عليّ لا أنساه ؛ فقد غرس في قلبي حُبَّ أصحاب رسول الله ﷺ وحب المجاهدين الأولين ، وإجلال الجهاد وبذل النفوس والأرواح في سبيل الله ، وأوغر صدري على أعداء الإسلام وأعداء الإنسانية ، فجزى الله مؤلِّفه كل خير ، وسقى الله ذلك العهد ، وتقبل تلك المجالس العطرة التي تعرفت فيها بهذا الكتاب وتأثرت به ، وما أحوج بيوتنا اليوم ، وما أحوج المجتمع الإسلامي إلى مثل هذه المجالس ، وإلى مثل هذه الكتب ! »[1] .

٧ ـ إحياء علوم الدِّين

لحجَّة الإسلام أبي حامد الغزالي

يقول عنه العلاَّمة : « إنَّ كتاب « إحياء علوم الدين » من كُتب الإسلام المعدودة التي أثَّرت في حياة المسلمين وتفكيرهم تأثيراً عميقاً ، وظلَّت تُسيطر على عقولهم ونفوسهم زمناً طويلاً ، ولا يزال له نفوذ في الأوساط الدينية ليس لغيره ، ولم يزل العلماء وأهل النظر يُثنون عليه ، ويعترفون بجلالة مكانته وتأثيره .

لقد رأى الغزاليُّ ـ بعدما أكرمه الله بالسعادة الروحية ، والمعرفة الحقيقية ، وانكشفتْ له حقيقة العلم ـ حقيقة ما فيه أهل الدنيا ، من العكوف على اللذات وعبادة الشهوات ، والتكالب على الحياة ، وحقيقة ما فيه أهل العلم ورجال الدين : من طلب الجاه والرياسة ، ونيل الحظْوة عند أهل الحكم والسياسة ، والجدل الفارغ ، والنقاش الحاد ، والاكتفاء بمسائل الفروع والأحكام ، والانصراف عن علم الآخرة ، وتهذيب النفس ، وحقيقة ما فيه المتدَّبون للإصلاح والدعوة من الكلام المُزَخرف ، واللَّفْظِ المُسجَع ، والقصص المُلْهِية ، ورأى عمومَ الفساد ، وغفلة الناس ، وسكوت

---

(١) شخصيات وكتب : ص (١٢٨ ـ ١٢٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

العلماء ، وفقدان النذير ؛ فانبعث في نفسه داعيةٌ قوية لتأليف هذا الكتاب الذي يكشف عن الناس الغطاء ، ويبين لك طبقة من طبقات الأمة ما فيه هذه الطبقة من أوهام وأحلام ، ويكون دعوة صارخة سافرة إلى الاستعداد للموت ، والتأهب للآخرة ، والأخذ بلباب الدين وحقيقته ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة .

وكان لا بدَّ للإصلاح الذي نهض له الغزالي ، وجاشت له نفسه ، وتحرَّكت مواهبه من أن يعرف المجتمع الإسلامي مواضع الضعف والفساد في حياته ، ويعرف عِلَله وأدواءه ، وكان لابد لذلك من أن تعرف طبقاتُه المختلفة ، كيف لبَّس عليها إبليس ؟ وما هي الأوهام التي تعيش فيها . وكيف تغيرت المفاهيم الدينية ؟ وكيف تشوَّهت الحقائق ؟ وكيف تشاغل الناس بالظواهر والأشكال والرسوم ؟ وكيف ابتعدوا عن الحقائق والمقاصد ، حتى أصبح المجتمع كله ـ إلا من عصمَ اللهُ ـ في شُغْلٍ شاغل عن الآخرة ، وما ينفع فيها وما يلزم لها ؟ وأصبح المفكرون في أمور الآخرة ، والساعون لرضا الله تعالى قلةً قليلةً .

عرَف الغزالي هذا قبل أن يؤلِّف الكتاب ؛ فنظر إلى المجتمع من خلال المقاييس الدينية الصحيحة ؛ فبيَّن بكل صراحة وقوة ، ما وقع فيه من انحرافٍ وابتعاد عن الجادة ، وتناوله طبقة طبقة ، فذكر أمراضها ومغالطاتها ، وميَّزَ بين المقاصد والغايات ، والوسائل والآلات ، وقسَّم العلوم : بين العلوم الدينية وبين العلوم الدنيوية ، وبين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة ، وبين فرض العين وفرض الكفاية ، ونبَّه على ما هو فرضٌ ومتعينٌ في زمانه لا يسع العالم تركه ، وما فيه مُتَّسَعٌ ومندوحة ، وذكر العلل التي تَخُصُّ الأغنياء وأهل اليسار وذكر أوهامهم وغرورهم ، وانتقد الملوك والأمراء بشجاعة ، وأنكر عليهم مظالمهم وأعمالهم المخالفة للشرع ، وقوانينهم المعارضة للدين ، وذكر شيئاً كثيراً من أمراض العامة ، والمُنكرات الفاشية في مختلف الطبقات ، والعادات المذمومة والعوائد الجاهلية ، والبدع المنتشرة ، وبذلك كان هذا الكتاب موسوعةً إسلامية اجتماعية ، وأوسعَ كتاب وأقواهُ في نقد المجتمع ، والدعوة إلى الإصلاح » [1] .

« . . . رغبت في قراءة كتاب « إحياء العلوم » للإمام الغزالي والذي أثر فيّ تأثير البرق

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٩) ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

إلا أنه لم تدم هذه الدراسة الروحانية وقد حال دون قراءته فكرةٌ حكيمةٌ لأخي الكبير الذي كان قد ارتأى أنه قد تخلق في نفسي بعض الميول والنزعات غير المعتدلة » .

٨ ـ الجواب الكافي عن الدواء الشافي

للحافظ ابن قيِّم الجُوْزيَّة

بيَّن المصنِّفُ في هذا الكتاب : أنَّ الدعاء هو من أنفع الأدوية في دفع البلاء وطلب الشفاء ، ثم يدخل في تفصيل كيفية الدعاء الناجع المستجَاب بإذن الله تعالى ، وذلك بأن يتحرَّى المُصاب أوقات إجابة الدعاء الستة ، وهي : الثُّلث الأخير من الليل ، وعند الأذان ، وبين الأذان والإقامة ، وأدبار الصلوات المكتوبة ، وعند صعود الإمام على المنبر يوم الجمعة حتى تقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم .

وأن يلحَّ المبتلى بالدعاء ، فلا يفتر ، ولا ييئس ، فإنَّ الله يحب المُلِحِّين في الدعاء ، ويغضب إذا لم يسأل ، وأن يكون صادقاً في اللجوء إلى الله عزَّ وجلَّ ، متيقِّناً من الإجابة ، ويشفع ذلك بفعل خير ، أو تقديم صدقة ، أو إحسان للناس ، فيجعل الله سبحانه إجابةَ دعوته شكراً لحسنته .

ثم يذكر المصنِّفُ أهميةَ الأدعية والتعوُّذات ، فهي بمنزلة السلاح الذي يدفع عن صاحبه غوائل وشرور شياطين الجنِّ والإنس ، ويحصنه من مكائدهم وآفاتهم .

لم يكتف المصنِّفُ بوصف العلاج والدواء لذاك المبتلى بالدَّاء فقط ، بل راح يبحث ويفتِّش عن أسبابه وعِلَله ، حتى وضع يده عليه ، وتمكَّن من معرفتها ، فوجدها تنحصر ـ أغلبها ـ في اقتراف الذنوب والآثام ، والانغماس في بؤر الملذَّات الحسية ، والمُتَع الدنيوية ، التي تنحرف بالمرء عن الطريق السويّ ، وتُبعِده عن الهدف الأسنى والحبِّ الأسمى ، ألا وهو محبة الله وحده ، فيقع العاصي فريسة للتعاسة والشقاء ، والخيبة والمرارة ، وتنزل به الكوارث والأمراض ، فتدنيه ـ آخر الأمر ـ من الموت المحقَّق ، والهلاك المحتوم .

يقول العلاَّمة عن هذا الكتاب : « . . . كان له فضلٌ كبيرٌ في الحصانة الخلقية ، والتماسك الديني الخلقي »[1] .

---

(١) شخصيات وكتب : ص(١٥٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

٩ ـ قيام الليل

لمحمد بن نصر المَرْوَزِي

هذا من تلك الكتب التي أفادت العلاّمةَ الندوي كثيراً في مقتبل عمره ، وكان له آنذاك كمربٍّ ومرشد كامل .

ومِن خصائص هذا الكتاب : أنه لا يُخاطب العقل ولا يعتمد على الدليل فحسب ، بل يضرب على أوتار القلب ويمسُّ سُويداء النَّفس ، ويغيِّر وجهة الهِواية والشوق ، وبهما العبرة ، وفيه قصص للسلف الصالح وتدبُّرهم في القرآن ، وفهمهم له ، وفيه فضائل قيام الليل بطُرق بديعة مؤثِّرة ، والكتاب خير مربٍّ ومرشد للشباب إذا قيِّض له في رَيعانه أن يعكف على دراسته .

١٠ ـ تعليم المُتعلِّم

لبرهان الإسلام الزَّرْنُوجِي

يُعَدُّ هذا الكتابُ من أشهر المؤلَّفات العربية في موضوع التربية كما يعتبره بعضُ الدارسين المُحدِثين ، اهتمَّتْ به الأوساطُ العلمية قديماً وحديثاً في الشرق والغرب منذ ظهوره وإلى الآن .

يعرض الزَّرْنُوجِي في هذا الكتاب تصوُّرَه لطريق التعلُّم ، ويرى : أنَّ هذا الطريق هو الأسلوب الأمثل لعملية التعلُّمِ ، وأن ما يعرضه هو نصيحةٌ للمتعلِّمين يجب الأخذ بها وإلا فلن يتمكَّنوا ممَّا يرغبون به . وشارك المؤلِّفُ في صياغة التربية الإسلامية من زاوية التعلُّم بشكلٍ موجزٍ ، فكان كتابُه بسيطَ التناول ، واضح الفكرة ، عميق النظرة مؤدِّياً هدفه الذي حدَّده لنفسه في بداية الكتاب، ومعبِّراً عن شمولية وعيه للتربية بدوافعها وأهدافها.

وقد أثنى عليه العلماءُ المتقدِّمون والمتأخِّرون كثيراً ، فمن المتأخِّرين عالمُ الهند الكبير المحدِّث الفقيه الإمام عبد الحي اللكهنوي ، يقول :

« طالعتُ الكتابَ (تعليم المتعلِّم) ، وهو كتابٌ قليل الحجم ، كثير المنافع ، وهو نفيسٌ مفيدٌ »[1] .

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية : للإمام عبد الحي اللكهنوي ، ص(٤٢٥) . ط الخانجي ـ=

www.abulhasanalinadwi.org

يقول العلامة الندوي في هذا الكتاب : « . . . إنَّه حَضَّني على الاحترام للكتاب والأستاذ وعلى الاستفادة منهما ، وأرسخ فكرة التمسُّكِ بآداب طالب العلم »[1] .

١١ ـ رسائل الإمام السَّرْهِندي

قد وجدنا العلامةَ الندوي يُثني كثيراً على رسائل الإمام السَّرْهِنْدِي . وينصح لأساتذتنا بقراءتها ، وقد أشاد بها كثيراً في مقدَّمة « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » أنقُلُ هنا منها بعضَ الفقرات ، يقول ـ رحمه الله ـ :

« . . . وكانت أُسرتي منذ ثلاثة قرون ـ على أقلِّ تقديرٍ ـ ذاتَ اتصالٍ وثيقٍ ـ فكرياً وروحياً ـ مع أسرتَيْ : (الإمام السَّرهندي) والإمام (أحمد بن عبد الرحيم المشهور بولي الله الدِّهلوي) .

وكانت عندنا في مكتبة والدي نسخةٌ عتيقةٌ من مجموعة (رسائل الإمام السرهندي) صدرت من إحدى المطابع الهندية ، وكانت هذه النسخة تشتمل على ثلاثة مجلَّدات ، فبدأتُ بمطالعتها ، نزولاً على رغبة أخي الأكبر ، وبدافع الطاعة له ، إلَّا أنَّني لم أستطع المُضيَّ في الطريق ، ولم أصبر معها طويلاً ، حتى تركتُ الكتاب ، وقد كانت أكبرُ معاناتي من الرسائل التي كتبها الإمام إلى شيخه ومربِّيه الروحي الشيخ الكبير الشيخ (عبد الباقي البَدْخَشِيّ الدِّهْلَوِي النَّقْشَبَنْدِي) والتي شرح فيه تجاربه وخواطره الشخصية في مجال التربية والسلوك إلى الله ، ولكنَّ إلحاح أخي الأكبر وتوجيهه ـ باستمرار ـ إلى قراءة هذه الرسائل ، وقراءة (إزالة الخفاء) للإمام ولي الله الدِّهلوي ، و (الصراط المستقيم) للسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، و (منصب الإمامة) للعلامة محمد إسماعيل الشهيد ، دفعني إلى اجتياز هذه العقبة مهما كلف ذلك من مشقةٍ ، وعنتٍ ، وهاجتْ الغِيَرُ في نفسي وتحمَّسْتُ ، وقلتُ : لا يتسنَّى لي إهمالُ وصية أخي الأكبر ، وهو مَنْ هو في عطفه وحنانه ، ثم يسبب هذا الإهمال الحرمان من قراءة كتابٍ مباركٍ ، عُرِفَ كبارُ العلماءِ المشايخ الأجلَّاء بإجلاله وتقديره والعناية به .

= القاهرة عام ١٣٢٤هـ .

(١) شخصيات وكتب : ص(١٥٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

وحالفني التوفيقُ فمضيتُ ، وكلما ازددتُ قراءةً لهذه الرسائل ؛ ازددتُ رغبةً فيها وتذوُّقاً لها ، وبدأتُ أسيغ الموضوع في حدود علمي وقدرتي على الفهم ، حتى أخذ الكتاب بمجامع قلبي ، وأصبحتُ له أسيراً ، أشعر فيه بلذّة غريبة ، وطعم لذيذ ، لا أكادُ أجدُه في الكتب الأدبية الممتعة .

وكانت هذه الفترة الزمنية من أدقِّ فترات حياتي ، فقد كان الزمن زمنَ المراهقة الفكرية ، وشرخ الشباب ، والصراع النفسي والعقلي ، لأسبابٍ يطول ذكرُها ، اعتورتني فيها بعضُ الابتلاءات القاسية ، فكان الكتاب في كل ذلك خيرَ مرشدٍ وموجِّهٍ ، فقد كنتُ أشعرُ أثناء قراءة الكتاب ، بسكينة تغشاني ، وتملأ جوانحي ، وتغمرُ قلبي ، لعلَّها كانت جديدة عليَّ تماماً ، لم يسبق لها في حياتي مثيل . . . »[1] .

١٢ ـ كُتب الإمام شاه ولي الله الدِّهْلَوِي

يظهر من خلال تتبُّع بعض أهمِّ مؤلَّفات العلاَّمة الندوي : أنه أُعجب بشخصية الإمام ولي الله الدِّهْلَوي وتأثر بكتبه غاية الإعجاب والتأثر ، ولا تكاد تخلو مؤلفاته من اقتباسات كتب الإمام الدهلوي ، لقد أبدى ـ رحمه الله تعالىٰ ـ حُبَّه الشديد له[2] ، فلنقرأ ما سجَّله قلمُه :

« يُمكِن لي أن أقول : إني لم أتأثَّر بأحدٍ (من القرون السالفة) أكثر ممَّا تأثَّرتُ بهذه الشخصية ، ولم أجد شخصيةً أتفِق معها هذا القدر فإنَّه كان مِن الضروري أن نرتبط بمدرسةٍ من المدارس الفكرية والمذهبية ، وأفتخر بانتمائي إلى مدرسة الإمام ولي الله الفكرية » .

يحسُنُ بي أن أنقُلَ هنا بعضَ ما كتبه العلاَّمةُ الندوي عن أهمِّ كتب الإمام الدهلوي التي أثَّرت فيه ، وكان يدين لها بالفضل دائماً ، وينصح لتلاميذه بقراءتها ، فهي :

● ـ الفَوزُ الكَبير في أصول التفسير :

إنَّ كتاب الإمام الدِّهلوي « الفوز الكبير في أصول التفسير » مَأثرةٌ تجديديةٌ ثوريةٌ

---

(١) من مقدمة « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » (٣/ ٩ ـ ١٢) ـ طبع دار ابن كثير بدمشق .
(٢) مشاهير أهل علم كي محسن كتابين : ص(١٨٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

في صَدَد الدعوة إلى القرآن ، وإنشاء مَلكة الفهم والتدبُّر للقرآن الكريم في أوساط الخاصة وأصحاب العلم والمثقَّفين ، وإيقاظ عاطفة الإصلاح للأمة الإسلامية ، وإنَّه لكتابٌ فريد (في المكتبة الإسلامية العامرة حسب علمنا) في بابه .

لا يُوجد في أصول التفسير شيء مستقلٌّ ـ بصفة عامة ـ وما هي إلا بعض القواعد والضوابط وشيءٌ من الأصول يذكرها بعض المفسِّرين في مقدِّمة تفاسيرهم أو لبيان منهجهم في التفسير والتأويل في بضعة سطور ، وإن كان كتاب الإمام الدهلوي « الفوز الكبير في أصول التفسير » أيضاً وجيزاً مختصراً ، ولكنه كلّه نُقاطٌ أساسيةٌ وكُلِّياتٌ جامعةٌ ، وهو ـ في الحقيقة ـ مذكِّرة نادرةٌ قيِّمةٌ لعالمٍ جليلٍ عانى مشكلاتِ القرآن ، ومارسها مُمارسةَ المجرَّب الخبير .

ولا يقدِّره حقَّ قدره إلاّ من واجه هذه المشكلات والمسائل العويصة ، وإنّ بعض الأصول والكلِّيات التي سجَّلها الإمام الدهلوي بناء على ذوقه ووجدانه وإدراكه لمغزى القرآن لا يمكن الحصول عليها بمطالعة مئات الصفحات في الكتب الأخرى .

إنَّ ما كتبه الإمام الدهلوي في مقاصد القرآن الكريم ، وموضوعاته ، وخصائص أسلوبه ، ومنهجه ، واختلافه وتميُّزه عن المؤلَّفات البشرية لا سيَّما كتب المتأخِّرين الدراسية ، وأسباب النزول في كلماتٍ قليلةٍ معدودةٍ ، يمكن ألاَّ يُشعر فيه ـ اليوم ـ بالجدَّة والابتكار ، ولكنها كانت في القرن الثاني عشر آراءً ونظراتٍ جديدة ، ولا تزال هذه الآراءُ غريبةً مجهولةً في كثير من الأوساط .

لقد وقع هناك نقصٌ كبيرٌ وفرقٌ هائلٌ ـ نتيجة كثرة الروايات المتعلّقة بأسباب النزول والتأكيد على أهميتها والتركيز عليها ؛ الذي كان أصبح شعار القرون المتأخّرة ـ في الاستفادة من مضامين القرآن العظيم وقصصه والانتفاع بعظاته وعبره في كل عصر ودور من أدوار التاريخ ، وتطبيقها على ظروف العصر وأوضاعه وقضاياه .

فقد أزاح الإمام الدهلوي بهذا التحقيق والتنقيح ذلك الستار الكثيف ، وكشف عن جمال القرآن الكريم وبهائه ورونقه .

وإنَّ بيان مواضع الضَّعف في الفِرَق التي تكفَّل القرآن الكريم بالردِّ عليها والتصريح بعقائدها وأفكارها وآرائها الصحيحة الأصيلة ، وأسباب ضلالها وانحرافها وسوء فهمها للحقيقة ، وتاريخ هذه الأسباب ، وبيان اتفاق وتطبيق هذه الأمور على بعض طبقات

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين ، هو الأساسُ الأول لفهم القرآن الكريم الذي لا يوجد ـ رغم الاختصار والإيجاز ـ بهذا الوضوح في أيٍّ من التفاسير الكبيرة كما يوجد في هذا الكتاب .

وكذلك شَرْحُ الفَرْق بين اصطلاحات المتقدِّمين والمتأخِّرين في النَّسخ والتطبيق والتوفيق بين الآيات الناسخة والمنسوخة ، وحَلُّ الخلافات التفسيرية بين الصحابة والتابعين من بحوث الإمام الدهلوي الجيدة النادرة .

وإنَّ ما ذكره الإمامُ الدهلوي من توجيهٍ لعدم مطابقة بعض الآيات القرآنية مع قواعد النحو الظاهرة المعروفة وعدم موافقتها لها ، يعرف قدره وأهميته مَنْ درس تاريخ تدوين النحو ، وكان له اطِّلاعٌ واسعٌ على الخلافات النحوية بين مدرستي الكوفة والبصرة .

وإنَّ من أكبر ميزات هذا الكتاب : أنَّ القارىء يطلع من خلاله على مواطن الضَّعف الحقيقية في الديانات السابقة والفِرَق الضَّالَّة والشعوب والملل وأمراضها القديمة وعللها الموروثة ، ويوفق أجيال المسلمين ، والمجتمع المسلم في كل عصر ، وطبقات الأمة المختلفة أن ترى وجهها في مرآة القرآن الكريم ، وتحاسب نفسها ، وتفكِّر في ألاَّ تتسرب أمراض الديانات والفرق القديمة ومواطن ضعفها المتوارثة إليهم ، ولا تدخل بخطىً صامتة عليهم .

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠][1][2] .

● ـ حُجَّة الله البالغة :

إنَّ كتاب « حُجَّة الله البالغة » للإمام الدِّهلوي يُعدُّ مِن جلائل أعماله العظيمة ، ومآثره العلميَّة الكبرىٰ ، التي عُرِضَتْ فيها الشَّريعةُ الإسلاميَّة والدِّينُ الحنيف في صورةٍ جامعةٍ متناسقةٍ مُدعَّمةٍ بالحِجَج والدَّلائل النَّاصعة القويَّة ، وقدِّمت فيها أبوابُ الإيمان والعبادات والمُعاملات والأخلاق والاجتماع والمدنيَّة والسِّياسيَّة والإحسان بترتيب وترابط ونظام ، وفي تناسقٍ واتِّزانٍ ، بحيث يُخيَّلُ إليك كأنَّها لآلىءُ العِقَد المنظوم ، أو

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : (٤/ ٥٢١ و٥٢٤) . طبع دار ابن كثير ـ دمشق .
(٢) سيصدر الكتاب من دار ابن كثير بدمشق ، بدراسة وتحقيق الشيخ سعيد أحمد البالَنْبُوْري .

www.abulhasanalinadwi.org

حلقات سلسلة مترابطة ، مع توضيح الفروق بين الأصول والفروع والمقاصد والغايات والوسائل والآلات ، وبين الحقائق الدَّائمة المستقلَّة والأمور العارضة المؤقَّتة ، بحيث لا يغيب ذلك ـ لحظة ـ عن الأنظار ، وكثيراً ما يختلطُ الأمر بينهما في كثير من البحوث والمؤلَّفات ؛ بل هي علَّةٌ قديمةٌ شائعةٌ في تلك الكتب والمؤلَّفات ـ بصفة خاصَّة ـ التي أُلِّفت نتيجةَ ردِّ فعلٍ لتعسُّفٍ أو مغالاة ، أو في فورة عاطفة وحماس .

ويرجع السَّببُ في هذا التَّرابط والتَّناسق ـ عدا ما وُهِبَ الإمامُ الدِّهلوي من اتِّزانٍ وتوسُّطٍ وسلامة فطرةٍ ـ إلى دراسته العميقة الواسعة لعلم الحديث الشَّريف ، وتلك الطبيعة الخاصَّة التي تتكوَّن عن طريق الاشتغال والاهتمام بالسِّيرة النَّبويَّة والحديث النَّبويِّ ، أو عن طريق صحبة العلماء الرَّبَّانيين وتربيتهم الذين تربَّوا في المدرسة النَّبويَّة ، وقطرت عليهم رشحاتٌ من السِّيرة العطرة على صاحبها الصَّلاة والسَّلام .

إنَّ هذا العرضَ الجامع المتَّسق المترابط الذي نشاهده في صفحات « حُجَّة الله البالغة » يندر نظيره في المؤلَّفات الدِّينيَّة ، وبذلك ظلَّ كتاب « حُجَّة الله البالغة » علمَ الكلام الجديد الذي يجد فيه أيُّ إنسانٍ يريد الحقَّ مع سلامة الفطرة وطيب القصد (وقد أُوتيَ شيئاً من الكفاءة العلميَّة ودقَّة النَّظر وعمق التَّفكير) إرواءً كاملاً لغليله ، وزاداً كافياً لقناعته وطمأنينته ، ولم يؤلَّف كتابٌ ـ في حدود علم الكاتب ، وفي اللغات التي يعرفها ـ في تأييد أيِّ ديانةٍ من الديانات وتفسيرها اللَّبق الحكيم ، وفلسفتها الجامعة المتناسقة كهذا الكتاب في منزلته ومكانته ، وإنْ كان قد أُلِّف ؛ فإنَّه ليس بين ظهراني العلماء والباحثين في الدُّنيا العِلميَّة المعاصرة .

يقولُ الإمام الدِّهلوي وهو يذكر دوافع تأليف هذا الكتاب وعوامله :

« إنَّ أدقَّ الفنون الحديثيَّة بأسرها عندي وأعمقها مَحْتِداً ، وأرفعها مناراً ، وأولىٰ العلوم الشَّرعيَّة عن آخرها فيما أرىٰ ، وأعلاها منزلةً وأعظمها مقداراً ، هو علمُ أسرار الدِّين الباحث عن حكم الأحكام وخفياتها ، وأسرار خواص الأعمال ونكاتها . . . إذ به يصير الإنسان على بصيرة فيما جاء به الشَّرع »[1][2] .

---

(١) حجة الله البالغة : (١/ ٤) .

(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : (٤/ ٥٦٩ ـ ٥٧١) .

www.abulhasanalinadwi.org

● ـ إزالة الخفاء عن خلافة الخُلفاء :

إنَّ الكتاب الذي يلي كتابَ « حجة الله البالغة » في القيمة والأهميَّة ، والذي هو مأثرة الإمام الدِّهلوي الفريدة هو كتاب « إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء » .

وإنَّه لِكثيرٍ من خصائصه ومزاياه كتابٌ فريدٌ في موضوعه ، ويزخر هذا الكتاب كله بالنُّكات العلميَّة المثيرة والإشارات النَّادرة اللَّطيفة ، وتتوفَّر فيه نماذج كثيرةٌ تدلُّ على تدبُّر الإمام الدهلوي الطَّويل وتفكيره العميق في كتاب الله تعالىٰ وتجاويه الموهوب معه وفهمه الغائص الدَّقيق ، وسرعة البديهة ، والتَّفطُّن لمكنونات الآيات وإشاراتها الدَّقيقة ، وعُمق الاستنباط ودقَّته ، ووفرة الذَّكاء وتوقد الذهن ؛ بحيث يتوصَّل به كل مُنْصِف سليم الفكر إلى أنَّ هذا العلم ليس كسبياً وكتابياً صرفاً ، وأنَّ مؤلِّف هذا الكتاب ليس صنيع المناهج الدِّراسيَّة المتداولة ، وكتب التَّفسير وأصول الفقه وعلم الكلام الشَّائعة في عصره ، يقتطف منها ، ويجمع فُتات مائدتها فحسب ، بل إنَّ عمله نابعٌ من الموهبة الرَّبانيَّة والفيوض الإلهيَّة الخاصَّة .

وقد صدرت من قلم الإمام نفسه عفواً ، هذه الكلمات التالية في مبدأ الكتاب :

« والواقع أنَّ نور التَّوفيق الإلٰهي ألقىٰ في روع هذا العبد الضعيف علماً مستقلاً بكل وضوح وتفصيل ، حتَّىٰ عَلِمَ علْمَ اليقين : أن إثبات خلافة (الخلفاء الراشدين) أصلٌ من أصول الدين العظيم ، وما لم يتمسَّك الإنسان بهذا الأصل تمسُّكاً قويّاً ولم يَعُضَّ عليه بالنَّواجذ ؛ بقيت كلَّ مسألة من مسائل الشَّريعة مُعرَّضة للشَّك والضعف » .

حتَّىٰ إنَّ العلماء الكبار الذين كانت لهم خلافاتٌ مع الإمام الدهلوي ، وكانوا موغلين في العلوم العقليَّة ، ومنهمكين فيها ، بل كانوا يحتلون مكانة الإمامة فيها ، لما وقع بصرهم على هذا الكتاب ؛ لم يتمالكوا أن أثنوا على مؤلِّفه ، واعترفوا بتبحُّر علمه وسعة معرفته ودقَّة نظره ، وقد وصف فخرُ المُتأخِّرين العلاَّمة أبو الحسنات عبد الحي اللكهنوي (ت ١٣٠٤هـ) ـ الذي يعترف بتبحُّر علمه ونبوغه وسعة نظره القاصي والدَّاني ـ في كتابه « التَّعليق الممجَّد على موطأ الإمام أحمد » كتابَ « إزالة الخفاء » بأنه « كتابٌ عديم النَّظير في بابه »[1][2] .

---

(١) التعليق الممجَّد : ص (٢٥) ، طبع المطبع اليوسفي .
(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : (٤/ ٥٩٨ ـ ٦٠٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

١٣ ـ مدُّ الإسلام وجزره

للشيخ ألطاف حُسين الحَالِي[١]

يقولُ عنه العلاَّمةُ : « [وهو] كتابٌ آخر يملك عليّ تفكيري ومشاعري ، ويحلُّ من قلبي وعقلي محلاً رفيعاً ، وهو كتاب منظوم أيضاً ـ والشعر أكثر تصرفاً في نفوس الصغار والأحداث وأملك لإعجابهم من النثر ـ إنه كتاب « مسدَّس حالي »[٢] ، اسم يعرفه ويألفه كلُّ من نشأ في مثل عهدي ، وأنا واثقٌ بأنَّ ألوفاً من المسلمين المثقفين في الهند يشاركونني في هذا الشعور والاعتراف بأنَّ « مسدَّس حالي » ظلَّ زمناً طويلاً يملك إعجابهم ، إنني لا أنسى ذلك العهد الذي كان فيه هذا الديوان الإسلامي نشيد الحفلات ، وفاتحة المقالات ، وتُكْأَة الخطيب ، وعُدَّة الأديب .

ومن حسناته وأياديه عليَّ شخصياً : أني احتفظت بصورة الجاهلية التي تلقيتها من هذا الكتاب ، وهي صورة ترينا أنَّ الأمة العربية كانت فقيرةً في كل شيء ، ضعيفةً في كل شيء ، تعيش في عزلة عن العالم وفي ظلمات خلقية وروحية ومادية ، فهبَّت عليها نفحةٌ من البعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، فكانت كل شيء ، وكانت كما عرفها التاريخ وعرفها العالم ، فكل فضل في سعادتها وسيادتها ، يرجع إلى النبوة المحمدية .

لقد احتفظتُ بهذه الصورة ، وبهذه العقيدة في رحلتي الطويلة بين الكتب والصحف ، والمقالات والمباحثات ، فلم تتزعزع ولم تضطرب ، ولم تغلب عليها كتابات المستشرقين الأوروبيين ، والمؤرخين الغربيين الذين ينظرون إلى الجاهلية العربية بالمكبِّرة ، ويحاولون أن يقنعوا قُرَّاءهم بأنَّ الجزيرة العربية كانت في مؤهلاتها واستعداها كالبركان يريد أن يتفجر ، وقد جاء محمد ﷺ في أوانه فتناوله بجمرة فانفجر ، ولا فضل ـ يزعمون ـ للنبيِّ العربي إلاَّ أنه عرف الساعة المواتية ، والفرصة السانحة لهذا الانقلاب الهائل فبدأ عمله في خير أوان وأحسن مكان .

---

(١) أحد كبار شعراء الإسلاميِّين باللغة الأردية ، توفي عام ١٣٢٢هـ .

(٢) اشتهر الكتاب بهذا الاسم ، و « حالي » لقب الشاعر .

www.abulhasanalinadwi.org

هذه مؤاخرةٌ علميةٌ كان كثيرٌ من الدارسين فريستها ، وقد قاومها أولاً ما اعتقدته وآمنت به من انحطاط العرب وسوء حالهم وبعدهم عن العلياء التي وصلوا إليها بفضل الرسالة المحمدية والدعوة الإسلامية ، ثم قاومتها الدراسات العلمية الحرة والدلائل التاريخية التي لا تدع في ذلك شكاً ، ولذلك أدينُ لهذا الكتاب ، وأحمل له في عنقي مِنَّةً كبيرةً وفضلاً جسيماً »[1] .

١٤ ـ إرشاد رَحْمَانِيّ

للشيخ محمد علي المُوْنكِيْري

يقول عنه العلامة : « وقع إليَّ كتابٌ صغير في أردو ، اسمه « إرشاد رحماني » ، من تأليف العالم الربَّاني الشيخ محمد علي المُوْنكِيْرِي مؤسِّس « ندوة العلماء » ، ذكر فيه في أسلوب طبعيٌ مؤثر مقابلاته مع بعض كبار المخلصين والعلماء الربانيين في عصره ، وخصَّ بالذكر شيخه مولانا فضل الرحمن الكَنْج مُرَاذْ آبَادِي عليه رحمة الله ، وكيف تعرَّف به ، وكيف كانت زيارته الأولى في « كانفور » ، وكان يومئذ طالباً يدرس الفلسفة والمنطق شأن طلبة العلم في عصره ، وكيف قابله الشيخ كأنه كان منه على ميعاد ، وقال : « هذا ولدي » ، وسأله عن الكتب التي يقرأها ، ولما ذكر كتب الفلسفة والمنطق امتعض الشيخ ، وقال : « تفرض أنك قرأت هذه الكتب وبرعت في هذه العلوم « اليونانية » فماذا بعد ؟ وأيُّ فائدة تجنيها ؟ امشِ معي إلى قبر رجل لم يعرف من هذه العلوم قليلاً ولا كثيراً ، ولكن عرف الله وكان له معه شأن ، ثم امش معي إلى قبر فلان من أئمة المنطق ومن كبار المؤلفين في هذا الموضوع ، ترَ عجباً وترَ فرقاً واضحاً ، وذكر كيف تملَّكه حبُّ الشيخ ، وكيف كانت له معه محادثات ومقابلات حتى استأثر به الشيخ ، وكان من أخص أصحابه ، وذكر سِيرته وتجرُّده من أسباب الدنيا ، وإقباله إلى الله بقلبه وقالبه ، وإطراحه على عتبة عبوديته ، وشدته في اتباع السنَّة ، والتمسُّك بما ثبت منها وصحَّ في الأذكار والأدعية والأفعال والأحوال ، كنت أقرأ ذلك ويسيغه عقلي الصغير ويلتذُّ به شعوري .

إنَّ مثلَ هذه الحكايات والأخبار ـ وقد رُويت عن غيره من الأولياء المتقدمين وعباد

---

(١) شخصيات وكتب : ص(١٣٠ ـ ١٣٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

الله الصالحين ـ أفادتني كثيراً ، وكانت دراستي لهذه الكتب والرحلات في ريعان الشباب ومقتبل العمر سعادةً عظيمة ، فقد تعرفت بطراز آخر من الرجال غير الطراز الذي عرفته ونشأت معه ، والذي كنت أراه حولي في عصر قد طَغَت فيه المادية ، وقويت فيه الدعوة إلى المال والوظيفة ، وأصبح الناس يقاسون بمقياس واحد وهو مقياس (الرواتب والإيراد) .

وقد أحسنتْ إليَّ هذه الدراسةُ من ناحية أخرى ، فقد عرفت بها : أنَّ الطبيعة الإيمانية لا تزال متنقلةً من جيل إلى جيل ، وأنَّ المصابيح بعضها يشتعل من بعض ، وأنَّ الله قد تكفَّل بحفظ هذه الخصائص الإيمانية كما تكفَّل بحفظ مصادر الدين .

لقد نشأتُ بفضل هذه الدراسة على حبِّ هذا الطراز الرفيع من الإيمان والإخلاص وإجلاله ، وكان العاصم لي من الاندفاع إلى شخصيات عظيمة في العلم ، صغيرة في المعاني الإنسانية ، غنية في المظهر ، فقيرة في (الحقيقة) ، تضاف الفضائل إلى أصحابها ـ من شهادات يحملونها ورواتب يتقاضونها ، وقصور يسكنون فيها ، وحكومات يتجمّلون بها ـ ولا تنبع من نفوسهم وقلوبهم ولا تتصل بشخصيتهم ، فهم إذا تجردوا منها أو سلبوها ؛ أفلسوا إفلاساً كاملاً وماتوا قبل أن يموتوا ، بالعكس من أصحاب الإيمان والإخلاص والصدق والتقوى والزهد والقناعة وكبر النفس وغنى القلب ، فلا يمكن تجريدهم من هذه الفضائل وحرمانهم ثروتهم .

لقد نشأتُ بفضل هذه الدراسة على رغبةٍ صادقة في الاجتماع بأمثال هؤلاء ، والبحث عنهم »[1] .

١٥ ـ الدين والعلوم العقليَّة

للأستاذ عبد الباري النَّدْوِي

هذا كتابٌ قيِّمٌ ، استفاد منه الكثير مَن كتب بعد في هذا الموضوع ، يقول عنه العلامة :

« وقع بصري خلال الدراسة والمطالعة على كتاب صغير للأستاذ عبد البارِي

---

(١) شخصيات وكتب : ص(١٤٦ ـ ١٥١) .

www.abulhasanalinadwi.org

الندوي (أستاذ الفلسفة الحديثة في الجامعة العثمانية حيدر آباد) عنوانه « مذهب وعقليات »[1] وقد وقع مني موقعاً عظيماً .

فقد عَيَّنَ المؤلف فيه حدودَ العقل والنقل ومجالات عملهما في دقة وإنصاف ، ووضَّح قِصَر باع التجربة الإنسانية والعلم الإنساني وعدم استحكامهما ، ووضَّح ما يمتاز به علمِ الأنبياء والمرسلينِ من القطيعة والبعد عن كل ريب ، تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، فحالفتني هذه المعلومات في الدراسة والمطالعة ، فقرأت بعدئذ كل ما عثرت عليه من كتب متعلقة بالفلسفة القديمة والجديدة وتاريخهما ، ولكن لم تزلزل القواعد البدائية التي رسخت في التخيل ، بل كلما توسَّعتُ في المطالعة والدراسة ؛ تجلّى لي صدق قوله تعالى : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٠] ، وقوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس : ٣٩] ، وأعانني على ذلك تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية وكتاب « النبوءات » له بلطائفه وإشاراته ، وقد أحكم هذا الارتسام وأثبته رسائل المجدِّد الكبير الشيخ أحمد بن عبد الأحد السِّرهندي »[2] .

١٦ ـ دواوين محمَّد إقبال[3]

يذكر العلامة الندوي إعجابه بشعر محمد إقبال وتأثيره فيه ، ويقول :

« إنَّ أعظم ما حَمَلني على الإعجاب بشعره هو : الطموح ، والحُبّ ، والإيمان ، وقد تجلَّى هذا المزيجُ الجميل في شعره وفي رسالته أعظم ممَّا تجلَّى في شعر معاصر ، ورأيت نفسي قد طبعت على الطموح والحُبِّ والإيمان ، وهي تندفع اندفاعاً قوياً إلى

---

(١) نقله الأستاذ واضح رشيد الندوي إلى العربية بعنوان « بين الدين والعقل » أصدرته مكتبة المختار الإسلامي في القاهرة ، ثم صدرتْ له طبعة جديدة منقَّحة من دار ابن حزم بيروت ، بتقديم العلامة الندوي .

(٢) القطعة بين القوسين من ترجمة الشيخ عبد الله بن محمد ا لحسني ، مقتبسة من مقال العلاَّمة الندوي الذي جاء في كتاب « الكتب التي أفادتني » في الأردية .

(٣) وهي أحد عشر ديواناً ، منها السبعةُ بالفارسية ، والأربعةُ بالأردية ، وقد تُرجمت كلُّها بالعربية ، وطُبعت في مجلَّدين بعناية المؤلِّف ، في دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

كل أدبٍ ورسالةٍ يبعثان الطموحَ ، وسموَّ النفس ، وبُعْدَ النظر ، والحرص على سيادة الإسلام ، وتسخيرَ هذا الكون لصالحه ، والسيطرة على النفس والآفاق ، ويغذِّيان الحُبَّ والعاطفة ، ويبعثان الإيمان بالله ، والإيمان بمحمد ﷺ ، وبعبقرية سيرته ، وخلود رسالته ، وعموم إمامته للأجيال البشرية كلها .

إنَّني أحببتُه وشُغلتُ به كشاعر « الطموح والحبِّ والإيمان ، وكشاعرٍ له عقيدةٌ ودعوةٌ ورسالةٌ ، وكأعظم ثائرٍ على هذه الحضارة الغربية المادية ، وأعظم ناقدٍ لها وحاقدٍ عليها ، وكداعيةٍ إلى المجد الإسلامي ، وسيادة المسلم ، ومن أكبر المحاربين للوطنية والقومية الضيقتين ، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية والجامعة الإسلامية[1] .

وأشهد على نفسي : أني كلَّما قرأت شعره ؛ جاش خاطري ، وثارت عواطفي ، وشعرت بدبيبٍ من المعاني والأحاسيس في نفسي ، وبحركةٍ للحماسة الإسلامية في عروقي ، وتلك قيمةُ شعره وأدبه في نظري »[2] .

١٧ ـ الإسلام على مفترق الطرق

للأستاذ محمَّد أسد

يقول عنه العلامة الندوي : « واطَّلعتُ على نقائص الغرب الحقيقية ، وأدركت طبيعة الثقافة الغربية ، واستحالة انسجامها بالثقافة الإسلامية ، وعرفت التناقض الجذري المبدئي بين هاتين الثقافتين بصورة واضحة وضّاءة ، وبعمق وإمعان ، من كتاب (Islam at the cross Roads) (الإسلام على مفترق الطرق) لمؤلفه محمد أسد (Leopold Weiss) سابقاً ، فنزلت هذه المحاكمة العاقلة العادلة في قرارة النفس ، ومسَّت شغاف القلب »[3] .

---

(١) روائع إقبال : ص(١٢ ـ ١٣) .
(٢) المرجع السابق : ص(٢٤ ـ ٢٥) .
(٣) شخصيات وكتب : ص(١٥٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

١٨ ـ كتب والده (العلاَّمة عبد الحي الحسني)

● **نُزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**[١] :

لم يقدَّر للعلامة أن يستفيد من والده الجليل مؤرِّخ الهند الكبير : العلاَّمة عبد الحي الحسني مباشرةً لصغر سنِّه ، ولكن ـ رحمه الله وأغدق عليه شآبيب رحمته ـ إذ ترك له ثروةً علميةً زاخرةً ، سنحت له بعد فرصةً للاستفادة من علمه ومجهوده طيلة حياته ، يقول العلاَّمة عن هذا الكتاب :

« إنَّ أكبر ثروة للتاريخ العلمي والديني والإسلامي في الهند كانت موجودة في البيت ، وكان ذلك كتاب والدي « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » في ثمانية مجلدات[٢] فقرأتها أكثر من مرة ، وبذلك تمثَّل لي تاريخ الهند الإسلامي العلمي الإسلامي في شبه القارة الهندية منذ دخلها الإسلام في صورة حَيَّة واقعية ، واطَّلعت على أوضاع الملوك والأمراء ، وأرباب الكمال وحملة راية الإصلاح والتجديد ، والمؤلفين الكبار والكتَّاب البارعين ، وعثرت على نكتهم اللطيفة وفوائدهم الدقيقة ، ولم يكن من الممكن أن أُلِمّ بها إلاّ بالبحث الدقيق وبمتابعة المؤلفات والكتب التي تُعد بالمئات ، وذلك بمثابرةٍ مستمرة وجهد بالغ ، إنما كان هذا كنزاً ثميناً للمعلومات والثقافة ، لا يمكن لمن يبحث في موضوع يتصل بالهند وعهدها الإسلامي أن يغضّ البصرَ عنه ، وقد وجدت في هذا الكتاب دائماً متعة روحية ، ولذّة أدبية وفائدة علمية ، وهو من الكتب المعدودة التي لا أملُّ قراءتها على كثرتها وتكرارها »[٣] .

وقد صبَّ المؤلف في هذا الكتاب مواهبه وسجاياه ، فجاء قطعة من نفسه ، ونسخة من روحه ، صفاءَ حسٍّ ، ورقة شعور ، واندفاعاً إلى الجمال والكمال أينما وُجِدا ، واعترافاً بالفضل أينما حلَّ واستقرَّ ، واقتصاداً في المدح والنقد ، وتنبيهاً

---

(١) صدر أخيراً في ثلاث مجلدات ضخمة من دار ابن حزم بيروت منقَّحةً في طبعة أنيقة بعنوان « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

(٢) شخصيات وكتب : ص(١٥٩) .

(٣) المرجع السابق : ص(١٥٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

لمواضع الضعف ومما لا يخلو منه بشر ، وعذوبةَ عبارة ، وخفَّةَ روح وتنوع مادة »[1] .

● مذكِّرات والِدِه :

يقول عنها العلامة : « عثرتُ خلال البحث عن مؤلفات والدي ـ رحمه الله ـ على مذكراته التي قيدها وهو في الثانية والعشرين من سنِّه ، وهو برنامجٌ يوميٌّ للرحلة التي قام بها في أيام الطلب سنة ١٨٩٤م للاستفادة من كبار العلماء والمشايخ ، وزيارة الأماكن الأثرية التاريخية في دلهي ، وما جاورها من البلدان والمراكز الدينية والعلمية ، وقد أثَّر في قلبي تأثيراً جذرياً عميقاً رغم بساطة ألفاظها وسهولة تعبيرها ، وتغلغل في أحشائي حب العلماء الربانيين ، وذقتُ حلاوةَ ما وجدتُها في كتب الأدب والشعر والقصص والروايات ، وبها نشأ في قلبي حب الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وملك قلبي وعقلي ، فكلما ذكره الوالدُ ؛ ترنّحت أعطافي ، واهتزّ قلبي ، وطربت نفسي ، وذاق القلب لذة عجيبة »[2] .

● تاريخ غُجْرات :

هو من خيرة كُتب مؤرِّخ الهند الكبير العلامة عبد الحي الحسني (والد العلامة الندوي) في أخبار ولاية غجرات (الهند) وهي أول ما وطئه المسلمون من أرض الهند ، ضمَّنه تاريخ هذه البلاد السياسيّ ، والمدني ، والعلميّ ، ذكر فيه العلماء والمشايخ ، والملوك ، والوزراء ، والقضاة ، وما ظهر على أيديهم من رقيٍّ المدنية ، والصناعة ، والعلم وما إلى ذلك . . .

يقول عنه العلامة الندوي : « استوحيتُ في الكتابة في اللغة الأردية من كتاب والدي رحمه الله : « تاريخ غجرات » الذي كان نموذجاً رائعاً للأسلوب الرصين ، والكتابة الرشيقة ، وقد جمع فيه جِدِّية الأسلوب التاريخي مع رِقَّة التعبير والطلاوة »[3] .

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : تقديم العلامة الندوي ، (١/ ٢١ ـ ٢٢) طبع دار ابن حزم ـ بيروت .
(٢) شخصيات وكتب : ص(١٥٧) .
(٣) المرجع السابق : ص(١٥٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الثالث

العلّامة أبو الحسن النّدوي

الدّاعية المفكّر المربّي

والعالم الصوفي المعتدل

الفصل الأول : العلَّامة الندوي الداعية المجدِّد الحكيم .

الفصل الثاني : العلَّامة الندوي المفكِّر الإسلامي العظيم .

الفصل الثالث : العلَّامة الندوي مربياً جليلاً .

الفصل الرابع : العلَّامة الندوي العالم الصوفي المعتدل .

www.abulhasanalinadwi.org

إلى كلّ مسلم يسعى لإعلاء كلمة الله

إنَّ مسؤولية العلماء والمفكِّرين المسلمين في العصر الحديث بعد مواجهتهم للتحدِّيات المعاصرة ، وإثباتهم أنَّ الإسلام قادرٌ على قيادتها وترشيدها والسُّموِّ بها ـ هي أن يفضِّلوا الإسلامَ على كُلِّ جماعةٍ ومؤسَّسةٍ ، ومدرسةٍ ، وطائفةٍ وحزبٍ ، وإذا رأوا أنَّ بقاء الإسلام يتطلَّب أن تُمحى جميع الأسماء واللَّافتات ، والشِّعارات والشَّارات ، والأحزاب والجماعات ، فليكن ذلك موضعَ غايتهم ، ولا يقعنَّ تلكُّؤٌ منهم أو إحجاماتٌ للحظةٍ واحدةٍ ، ولتكن مصلحةُ الدين والعقيدة مفضَّلةً على كل مصلحةٍ حزبيةٍ أو جماعيةٍ ، وليكن واضحاً أن الدين والإيمان وانتصارهما هو الهدف ، وسواء رجع الفضلُ إلينا أو إلى غيرنا من الإخوان من العقيدة والدين .

العلامة أبو الحسن الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الأول

العلّامة أبو الحسن النّدوي

داعياً حكيماً

www.abulhasanalinadwi.org

« نحن ندعو إلى الإسلام الكامل ، الذي يُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، ويُنيرُ العقولَ ، ويُشعِلُ مجامرَ القلوب ، ويُهذِّبُ الأخلاق ، وينظِّمُ الحياة ، ويضبطُ الأمم ، ويقودُ المدنية ، ويُشعلُ المواهبَ ، ويُنشىء الرجال ، ويُربِّي القادة والعباقرة ، لا هو جافٌّ خَشِيبٌ ، ولا هو رقيقٌ مانعٌ ، ولا هو رهبانيةٌ هجرٌ للدنيا ، ولا هو مادِّيةٌ ونهامةٌ للحياة ، إنما هو الدين الذي جاء به محمدٌ ﷺ ونطق به القرآن ، وتمثَّل في حياة الصحابة ، والقرون المشهود لها بالخير ، والتابعين لهم بإحسانٍ ، من الجامعين بين العقلِ والقلبِ ، والعقيدةِ والعملِ ، والجهادِ والربَّانيةِ » .

العلامة أبو الحسن الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

العلّامة أبو الحسن النّدوي

الداعية الأصيل

لقد كان العلاَّمة أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى مفكِّراً عظيماً ، وداعياً كبيراً ، ومصنِّفاً شهيراً ، طار صيتُه في العالم كلِّه ، ومؤرِّخاً ضليعاً ، مفسِّراً نابغاً ، أديباً بارعاً ، كاتباً قديراً ، خطيباً مصقعاً ، مربِّياً بارزاً ، عالماً ربَّانياً ، ولكنِّي أعتقد أنَّ سِمَته البارزة وميزته الجوهريَّة هي الدعوة إلى الله ، يغلب جانبه الدعوي جوانب شخصيته الأخرى .

إنه لمَّا انصرفت عنايتُه إلى الكتابة في السيرة فاختار من التاريخ الإسلامي أعلاماً تتجلَّى الدعوة والعزيمة في حياتهم ومآثرهم بصورة بارزة .

ولما توجَّه إلى الكتابة في السيرة النبوية فأبرَزَ فيها جانبَ الدعوة من حياة النبي ﷺ من بين جوانب حياته الأخرى .

ولمَّا توجَّهَ إلى تأليف الكتب المنهجية الدراسية فاتخذ قصصَ الأنبياء عليهم السلام محوراً لعناياته ، وصنَّفَ كتاباً طريفاً نادراً باسم « قصص النبيين » يحمل لذَّةَ الأدب ولوعة الدعوة .

وعندما توجَّه إلى اختيار نصوص قوية جميلة من جواهر الأدب العربي اختار من طرائف الأدب ما يحمل في ثناياه وطَيَّاته لوعةَ الدعوة وتأثيرها الساحر .

وحينما قصَّ في كتابه « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » قصةَ ازدهار الأمة الإسلامية وانحطاطها ذكرها بمكانتها الدعوية والقيادية .

واخترع ذهنه الدعوي في أوضاع الهند المحلية عنواناً جديداً باسم « رسالة الإنسانية » واجتهد في تبليغ رسالة الإسلام بعنوانها إلى المواطنين الهندِيِّين .

وبالجملة : إنَّ الرُّوحَ الدعوية ساريةٌ في سائر كُتبه ونشاطاته ، ولهذا كان ـ رحمه الله تعالى ـ عندي أولاً وآخراً عالماً ربَّانيا جليلاً ، وداعياً كبيراً إلى الله ، وإنْ أردنا أن نلخِّصَ ، ونجمِلَ مآثرَه ومفاخره في لفظة واحدة ؛ فهي « الدعوة » .

www.abulhasanalinadwi.org

لقد أصبحَتْ كلمةُ « الداعي » في هذا العصر كلمةً عاديةً هيِّنةً ، قليلةَ الأهمية رغم أنها تحمل عَظَمةً وأهميةً ، وأنَّ العنوان الرئيسي لجهود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو « الدعوة إلى الله » وخلاصة مساعي الصحابة رضي الله عنهم الدينية هي « الدعوة إلى الله » والداعي يكون وارثاً وأميناً للأنبياء ، ويزخر في قلبه بحرُ الإخلاص والمودة والتفكير ولوعة القلب للإنسانية جمعاء ، وهو يكون درَّاكاً ومفرط الذكاء ، ويكون خبيراً بالأوضاع العصرية ، ومطَّلِعاً على الحقائق الثابتة ، وعارفاً للحقِّ ، وتكون فيه الحكمةُ والكياسة بأكمل صورة وأتمِّها ، وهو لا يعرف اليأسَ وفتور الهمَّة ، وهو يبعث في الناس الأملَ حينما يكونون آيسين قانطين[1] .

لم يكن العلامة الندوي من المغالين ولا من المتسامحين في أمور الدين . كان متسامحاً في خلقه مع الناس وكان شعاره كما كان يعلنه في خطبه وكتاباته : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] . وكان هَمُّ المسلمين بل الإنسانية يشغل فكره كل وقت ، وكان في دعوته وتربيته وسلوكه مع الناس وحياته الخاصة يتمسك بالتواضع والإيثار والعطف والحب ولين الجانب .

إنه كان يدعو إلى الإسلام ، ولكن أسلوبه الذي كان يدعو به كان أسلوباً معتدلاً بين الأصالة والمعاصرة ، كما كان موقفه إزاء الحضارة الغربية ، فلم يكن يدعو إلى الرفض الكامل ولا إلى القبول الكامل ، كان منهجه في الحياة كما كان يدعو إليه منهجاً وسطياً ، وهو الجمع بين القديم والجديد ، كان دائم الفحص والاختبار ، والدراسة والتفكير ، وقد أوضح مسلكه في كتابه (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) إنه كان يخاطب طلاب المدارس الدينية ، ويطالبهم بتجديد المناهج ، ويخاطب طلاب المدارس العصرية ويطالبهم بالرجوع إلى منابع الإيمان واليقين ، وتربية النفس ، والخُلُق الحسن ، فكان مجاله واسعاً ، ومن أجل ذلك كان شخصيةً عالميةً مثالية[2] .

---

(١) من مقال الأستاذ عتيق أحمد القاسمي بتصرُّف واختصار ، المنشور في جريدة « الرائد » عدد (٢١) السنة (٤٢) .

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم المربِّي الجليل : ص(١٠ ـ ١١) .

www.abulhasanalinadwi.org

منهج الدّعوة في القرآن الكريم

لقد تحدَّدَ منهجُ الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بآيتين كريمتين من القرآن المجيد .

أولهما : قولُ الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

والثانية : قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

يقول الإمامُ شهاب الدين محمود الآلُوسي ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية الأولى :

﴿ ٱدْعُ ﴾ : أي من بُعِثْتَ إليهم من الأمم قاطبة ﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ : إلى الإسلام الّذي عبر عنه تارةً بالصراط المستقيم ، وأخرى بملّة إبراهيم عليه السلام .

﴿ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ : بالمقالة المحكمة ، وهي الحُجَّة القاطعة المزيحة للشُّبه ، وقريبٌ من هذا ما في البحر : أنها الكلام الصائب الواقع من النفس أجمل موقع .

﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ : وهي الخطابات المقنعة ، والعِبَر النافعة الّتي لا يخفى عليهم : أنّك تناصحهم بها .

﴿ وَجَٰدِلْهُم ﴾ : نَاظِر معانديهم . ﴿ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ : بالطريقة الّتي هي أحسن طُرق المناظرة والمجادلة : من الرفق واللِّين واختيار الوجه الأيسر ، واستعمال المقدمات المشهورة ؛ تسكيناً لشغبهم ، وإطفاءً للهبهم ، كما فعله الخليلُ إبراهيم عليه السلام .

ثم يقول: وإنَّما تفاوتت طرق دعوته عليه الصلاة والسلام، لتفاوت مراتبِ الناس.

فمنهم خواصٌ ، وهم أصحاب نفوس مشرفة قوية الاستعداد لإدراك المعاني ، قوية الانجذاب للمبادىء العالية ، مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف أنواعه ، وهؤلاء يدعون بالحكمة بالمعنى السابق .

www.abulhasanalinadwi.org

ومنهم عوام أصحاب نفوسٍ كدرةٍ ضعيفةِ الاستعداد ، شديدةِ الإلف بالمحسوسات ، قويةِ التعلُّق بالرسوم والعادات قاصرة عن درجة البرهان ، لكن لا عنادَ عندهم وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة بالمعنى المتقدم ، ومنهم من يعاند ويجادل بالباطل ليدحض به الحق . . بحيث لا تنفعه المواعظُ والعِبَرُ ، بل لا بدَّ من إقامة الحِجَج بأحسن طرق الجدال لتلين عريكته ، وتزول شكيمته وهؤلاء الَّذين أمر ﷺ بجدالهم بالتي هي أحسن[1] .

هذا هو منهجُ الدعوة ودستورها ، ما دام الأمرُ في دائرة الدعوة باللسان بالجدل ، وبالحُجَّة ، فأما إذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة فإن الموقف يتغير ، فالاعتناء عملٌ ماديٌّ يدفع بمثله إعزازاً لكرامة الحقِّ ودفعاً لغلبة الباطل على ألا يتجاوز الردُّ على الاعتداء حدوده إلى التمثيل والتفظيع ؛ فالإسلام دينُ العدل والاعتدال ، ودين السِّلم والمسالمة ، إنما يدفع عن نفسه وأهله البغي ولا يبغي ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] وليس ذلك بعيداً عن دستور الدعوة فهو جزءٌ منه ، فالدفع عن الدعوة في حدود القصد والعدل يحفظ لها كرامتها وعزَّتها ، فلا تهون في نفوس الناس ، والدعوة المهينة لا يعتنقها أحد ، ولا يثق : أنها دعوة الله . . . [2]

ومع تقرير قاعدة القصاص بالمثل ، فإنَّ القرآن الكريم يدعو إلى العفو والصبر ، حتى يكون المسلمون قادرين على دفع الشر ، ووقف العدوان في الحالات الَّتي يكون فيها الصبرُ أعمق أثراً ، وأكثر فائدةً للدعوة ، فأما إذا كان العفو والصبر يهينان دعوة الله ، ويرخصانها ؛ فالقاعدة الأولى هي الأولى ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ . . . . ﴾ [النحل : ١٢٦ ـ ١٢٨] .

ومع هذا البيان لا يخفى : أنَّ الله سبحانه وتعالى أجْمَلَ القَوْلَ في أمر الدعوة، ولم يفصِّل في وضع أحكام مطوَّلة لها ، بل أطلق القول وقيَّده بهذه الأسس الجامعة الَّتي سبق الحديثُ عنها ، والتي ينبغي ألا تخرج عن نطاقها أساليبُ الدعوة ومناهجها ووسائلها ، وجهود الدَّعوة إلى الله تبارك وتعالى في كل عصرٍ ومصرٍ ، وزمانٍ ومكانٍ ،

---

(١) تفسير روح المعاني : للإمام شهاب الدين محمود الآلوسي (١٤/ ٢٥٤) .
(٢) في ظلال القرآن : لسيد قطب ، (٤/ ٢٢١٢) باختصار يسير .

www.abulhasanalinadwi.org

وهذا من دلائل عالمية الدعوة الإسلامية ، الَّتي ميَّزها الله بها وفضَّلها على الدعوات ، يقول العلاَّمة أبو الحسن الندوي في إحدى محاضراته التي ألقاها في المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي بجامعة ـ ندوة العلماء بلكهنؤ :

« إنَّني أعتقد : أن الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة ، وأحكام مضبوطة ؛ لأن الدعوة تعتمد على المحيط وعلى الظروف والبيئة ، وعلى الجوِّ والملابسات ، فإذا كانت الدعوةُ تعتمد على الواقع وهو يختلف ، وإذا كانت الدعوة تعتمد على الارتجال ، ولا أريد الارتجال الكلامي اللساني ، إنما أريد الارتجال العقلي ، والذي يسمِّيه أهل البلاغة بـ (حضور البديهة) ، وإذا كانت الدعوة تعتمد كذلك على مكامن المرض ، ومكامن الضعف في النفس الإنسانية وفي المجتمع الإنساني ، فإنه ما يمكن أن يقال : يجب على الداعي أن يفعل كذا ، ويتكلم بكذا ، ويظهر في المظهر الفلاني ، وإنَّ كان المظهر البلاغي[1] .

ثم يتعرَّضُ العلامةُ ببيان بعض اللطائف التي أدركها في الآية التي معنا ، ويلتف إليها عقولنا فيقول :

« فكان من إعجاز القرآن : أنه لم يتعرض لأحكام تفصيلية في موضوع الدعوة ، وإنما وكلها إلى العقل السليم ، وإلى الذوق المستقيم ، وعلى العقيدة الراسخة ، والفكرة المتغلغلة في الأحشاء ، ثم حاطها بسياج واسع ، هو السياج الوحيد الذي يستطيع أن يحيط بالدعوة وهو قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] تشعرون بمدى أبعاد الإطلاق الذي جاء في هذه الآية ، وأبعاد التقيُّد الذي جاء فيها ، فأطلق وقال ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ ،

---

(١) راجع المحاضرة بكاملها بعنوان « روائع من أدب الدعوة في القرآن والسنة » ـ في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (١/ ٤٢٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

ما حدَّد وما عيَّن شيئاً معيَّناً خاصاً ، فمثلاً : تدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده ، وإلى العقيدة الصحيحة ، وتحثُّون على الصلاة ، وتدعون إلى مكارم الأخلاق وإلى الفضيلة ، أو تدعون الناس إلى الشعور بكرامة الإنسانية ﴿ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ يحوي كلَّ شيء ، إنه يمتد ويسع الآفاق ، ليس هذه الآفاق فقط ، إنها آفاق الأديان السماوية ، وآفاق الحاجات البشرية ، والحياة الإنسانية ، فاستحضروا الإعجاز الكامل لقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ ﴾ وهو لا يختص بالخطابة ، ولا يختص بالكتابة ، ولا يختص بالوعظ والنصيحة ، إنما قال : ﴿ ٱدْعُ ﴾ ، والدعوة عامة تشمل هذه المعاني كلَّها ، وهذه الأساليب كلها ، ثم قال : ﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ ، أي كلمة أوسع أُفُقاً ، وأعظم إطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ . إن ﴿ الحكمة ﴾ ـ الكلمة البليغة العربية التي جاءت في الآية ـ لا أعتقد أنها من الممكن ترجمتها أو نقلها إلى لغةٍ أخرى ، وكذلك ﴿ الموعظة ﴾ كلمة مطلقة ، و ﴿ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ أيضاً ، وهنا جاء القرآن بحلٍّ المشكلة ، فأطلق وقيَّد ، وأوجز وأعجز ، فقال : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ . . . ﴾ الآية . وقد جاءت هذه الآية في سياق الآيات التي تتحدث عن أكبر داعٍ من الأنبياء قبل الرسول ﷺ ، وهو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام[1] .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية : [يوسف : ١٠٨] يقول اللهُ تبارك وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين : الجِنّ والإنس آمراً له أن يخبر الناس أنَّ هذه سبيله ـ أي : طريقته ومسلكه وسنته ـ ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على

---

(١) محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة : (١/ ٤٢٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

بصيرة من ذلك ، ويقين وبرهان عقلي وشرعي ، وقوله ﴿ وسبحان الله ﴾ أي وأنزِّهُ الله وأجِلُّه وأعظِّمه وأقدِّسه عن أن يكون له شريكٌ أو نظيرٌ أو عديلٌ أو نديدٌ ، أو وليدٌ أو والدٌ ، أو صاحبةٌ أو مشيرٌ ، تبارك ، وتنزَّه ، وتقدَّس ، وتعالى عن كل ذلك علواً كبيراً »[1] .

هذا منهج الدعوة إلى الله تبارك وتعالى من خلال آيات القرآن المجيد .

وأمَّا منهج الدعوة في السنة المشرفة لرسول الله ﷺ فإنها تزخر بما لا يُعدُّ ولا يحصى من مواقفه وأساليبه الحكيمة في دعوة قومه وتربيته أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ.

وإليك بعض الأمثلة :

١ ـ قال عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه : « كان النبيُّ ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة كراهةَ السآمة علينا »[2] .

٢ ـ ومنها : أنه ﷺ كان يترك الأمرَ الَّذي فيه ضرر اتقاءً للفتنة ، كما ترك هدم الكعبة وبناءها على أساس إبراهيم ، اجتناباً لفتنة قوم كانوا حديثي عهد بجاهلية ، وقال لعائشة رضي الله عنها : « لولا أنَّ قومكِ حديثو عهد بجاهلية لأمرتُ بالبيت فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه ، وبلغت به قواعد إبراهيم »[3] .

٣ ـ تأليفُ القلوب بالمال ، وإلى هذا أشار بقوله ﷺ : « يا سعد ! إنِّي لأعطي الرجلَ وغيرُه أحبُّ إليَّ منه خشيةَ أن يكبَّه اللهُ في النار »[4] .

٤ ـ وكان ﷺ يعلِّم أصحابه الحكمة في الدعوة ، والبدء بالأهمِّ فالمهمّ ، فلما

---

(١) تفسير القرآن العظيم : للإمام ابن كثير (٢/ ٤٩٦) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم . . ، برقم (٦٨) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، باب الاقتصاد في الموعظة ، برقم (٢٨٢١) وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها ، برقم (١٣٣٣) ، والترمذي في أبواب الحج ، باب ما جاء في كسر الكعبة ، برقم (٨٧٥) وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة . . . ، برقم (٢٧) عن سعد رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال : « إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فإنْ هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإنْ هم أطاعوك ؛ لذلك فاعلمهم : أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ إلى فقرائهم ، فإنْ هم أطاعوك لذلك ؛ فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ »[1] .

فعلَّمهم الرسول ﷺ التدرُّج والحكمة ، وعدم الانتقال إلى الفرائض إلا بعد اطمئنان القلب إلى إيمانهم ، وظهور أثر ذلك عليهم ، ويخطىء اليوم بعضُ الدعاة حتى تحتوي خطبهم ونصائحهم في الدعوة والإرشاد إلى الإسلام ، ويظنها القاصرون براعةً وبلاغةً ، وفي هذا مخالفة صريحة لمنهج الدعوة في القرآن والسنة .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن . . . ، برقم (٤٣٤٧) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، برقم (١٩) عن ابن عباس رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

منهج العلاَّمة الندوي في الدعوة

منهج العلاَّمة الندوي في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى مختلفٌ عن مناهج كثير من الدعاة إلى الله والكُتَّاب والعلماء المعاصرين ، يصدق على منهجه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

لا يتكلَّمُ العلاَّمة عن مناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها إلاَّ وهو يذكر منهجَ الإمام أحمد السَّرْهِندي (المتوفى ١٠٣٤هـ)[1] مفصلاً منهجه وأسلوبه من بين المناهج والأساليب في الدعوة ، فيقدِّمه في صورة رسالته إلى الدعاة والعلماء بعنوان : « منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء » ويفرده بدراسة شخصيته ونهجه من بين رجال الفكر والدعوة الإسلامية .

وخلاصة قصة الإمام السرهندي : أنَّ الملك المغولي جلال الدين أكبر بن هِمَايُون بن بَابَرْ (مؤسِّس الحكومة المغولية بالهند) ، اتَّجه اتجاهاً معارضاً للإسلام ، ونشأ فيه عداءٌ للإسلام ، وعنادٌ شديدٌ للدين الإسلامي وصاحب الرسالة ﷺ ، وعطفٌ شديدٌ على البراهمة وعقائدهم وعاداتهم ، وكان لا يستطيع أن يسمع اسمَ محمد ، بل لقد أحلَّ الحرام ، وحرَّم الحلال ، وكانت هذه فترةٌ دقيقةٌ مظلمةٌ في تاريخ الهند ، التي دامت للمسلمين ألفَ عام أو يزيد .

هل يتجرَّد فيها المسلمون عن دينهم ويلفظ الإسلام فيها نفسه الأخير ؟ هنالك قام رجلٌ من علماء الإسلام ، ملكته فكرةٌ واحدةٌ : هي الإسلام ، ولم يزل متصلاً برجال البلاط والأمراء ، يكتب إليهم الرسائل البليغة التي تسيل عذوبة ، وتشتعل ناراً في وقت واحد ، والتي تعتبر من أقوى الرسائل الدعوية والإصلاحية ، ولم يزل يُثير غيرتهم الإيمانية ، ويلهب فيهم جمرة الإيمان المدفونة تحت الرماد ، فيقول للواحد منهم :

---

(١) يرجع للتفصيل « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » الجزء الثالث طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

« أنت مسلمٌ ، والحياة عارضةٌ ، والملك لا يعيش دائماً ، وهذا الحكم لا يدوم ، اتقِ الله في نفسك ، اتقِ الله في أمتك ، اتقِ الله في بلادك » .

وظلَّ على ذلك حتى استطاع أن يجر إليه عدداً كبيراً من الأمراء ، والوزراء ، ولم يوافق على أن يعارض الحكومة بالسيف ؛ لأن الحكومة إن ضعفت ، استولى عليها الهنادكُ فكان من الاحتياط والحكمة ، ألا تضعف شوكة المسلمين المادية والعسكرية ، فاقتصر على الدعوة بالرِّفق والحكمة ، وهلك الملكُ الباغي وجاء من أبنائه جَهَانْكِير ، الَّذي كان خيراً من أبيه ثم من أحفاده مَن أقام صرح الإسلام وهو السلطان « أَوْرَنْكَ زَيْب »[1] .

ثم انظرْ بعد ذلك إلى تعليق العلامة الندوي على هذا المنهج وصلاحيته لهذا العصر المضطرب بالثورات والفتن ، ونصح العاملين للإسلام بأخذ الدرس ، واستلهام العبرة منه ، يقول :

> « إنَّ هذا العصر المضطرب بالفتن والثورات أحوج إلى ذلك بالنظر إلى بعض الجوانب الخاصة، وقادة الحركات والتنظيمات الإسلامية، الَّذين يسرعون في تحدي الحكومات والقُوى السياسية ، ويُعلنون الحرب عليها من غير هوادةٍ ومن غير استعدادٍ وتريُّثٍ ، ويجرُّونها إلى جبهة معارضة في بداية المرحلة وأول الطريق ، وتحدُثُ في طريق الدعوة والعمل البناء عقباتٌ من غير ضرورة شديدة ، ومبرِّرٍ قويٍّ » .
>
> « ولا يزال هذا المنهج الربَّاني هو المنهج الميسَّر الَّذي حقَّق من النجاح والتوفيق ما لم يحقِّقه منهجٌ آخرٌ ، وازددت ثقة به واعتماداً عليه على مرِّ الأيام »[2] .

يُوصي العلامةُ بحكمته العاملين للإسلام بعدم التعجُّل ، أو تجاوز المراحل الأولى بسرعة ، والاندفاع في المجال السياسي بحيث يطغى على تربية الرجال ، وشحن قلوبهم ، وإعدادهم لمواجهة الفتن ، فيقول :

---

(١) في رحاب الدعوة : للعلامة الندوي ص(١٢١) إعداد المؤلِّف .
(٢) الإمام السرهندي ، حياته وأعماله : للعلاَّمة الندوي (ص : ٧٠٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

« مرحلة الدعوة وغرس المبادىء والإيمان في قلوب العامة تتقدَّم مرحلةَ السياسيةِ والحكمِ ، والوضعِ الإداريِّ ، وبطول هذه المرحلة وامتدادها ، ومثابرة رجال الدعوة عليها ، وجهادهم في سبيلها تنجح المراحل الأخرى ، وتؤتي الشجرة أكلها ناضجة شهية ، أما إذا استعجل رجالُ الدعوة ، وقطعوا هذه المرحلة بسرعة زائدة ، أو طفروا طفرة إلى السياسة والحكم من غير دعوة يبثُّونها في الشعب أو تربية يُحكِمونها ، لم تثمر الشجرة ، أو كانت الثمرةُ فجةً ناقصةً »[1] .

وهذا الكلامُ واضحٌ ودالٌّ دلالة واضحة على منهج العلامة المقتبس من منهج الدعوة القرآنية النبوي ، وسلوك منهج رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الإسلام .

أفضل وسائل نشر الدعوة عند العلَّامة الندوي :

الدعوة بالقدوة : والقدوة الحسنة أبلغ من ألف مقال لا يقترن بالتزام صاحبه بما يقول : وكثيرٌ من الناس يُحسنون الكلام ، ولا يحسنون العمل ، فلا تجني الدعوة من كلامهم خيراً ، والداعية الناجح هو الَّذي يهدي إلى الحقِّ بعمله ؛ وإنْ لم ينطق بكلمة . يقول العلَّامة الندوي حين سئل عن أفضل الوسائل التي يجب على الدعاة التزامها لنشر الدين :

« والله ! لم يزل ـ ولا يزال ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ الشيء الأول والأكثر تأثيراً هو الأنموذج العملي (ما يسمَّى بنشر الدعوة العملية والتربية بالقدوة »[2] .

كلٌّ من رأى والتقى العلَّامةَ يعرف التزامه بهذه الوسيلة المثلى ، ويعرف مدى زهده وعزوفه عن الدنيا ، يقول الأستاذ محمد المجذوب : « وأنا لا أذيع مجهولاً من حياة الشيخ ، عندما أذكرُ : أنه ـ وهو العضو الدائم في المجلس الاستشاري للجامعة

---

(١) الإمام السرهندي ، حياته وأعماله : للعلَّامة الندوي » (ص : ٧) .

(٢) فقه الدعوة وملامح وآفاق (كتاب الأمة) : للأستاذ عمر عبيد حسنة (ص : ٢٩) ، الطبعة الأولى نقلاً عن « جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في الدعوة الإسلامية » لفضيلة الأستاذ السيد رياض عاشور .

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامية بالمدينة المنوَّرة ـ لم يقبل أن يصرف له فلسٌ واحدٌ من المكافآت السخيَّة المخصَّصة لمثله ، ولم أعرفه نزل فندقاً قطُّ على حسابها ، على تعدُّد المرَّات الَّتي حضر فيها اجتماعات هذا المجلس حتى الآن ، وأنا لا أدري كم في علماء الإسلام من نظير لهذا الزاهد الكبير ؟! إنَّ خاصة الزهد والترفع عن حطام الدينا ، في هذا الجسد النحيل اللطيف الَّذي يكاد ينطق بقول ابن الرُّومي عن نفسه :

أنـــا مـــن خـــفَّ واستـــدقَّ فمـــا يثقـــل أرضـــاً ولا يســـدُّ فضـــاء

هذه الخاصةُ هي التي مكَّنت له في مضمار الإصلاح والنقد الاجتماعي ، فلا يهادن باطلاً ، ولا يكتم حقيقة . . . وجعلت لكلامه مساغاً في الأسماع ، فلا تنكر عليه ما يقول »[1] .

وهذه نتيجة القدوة الحسنة التي تَمَثَّلها العلاَّمةُ الندوي .

التربية والتعليم :

ومِن أهم الوسائل والمجالات التي يوليها العلامة الندوي اهتماماً بالغاً مجالَ التربية والتعليم ، فهو بنظره الوسيلة الأهم في تكوين الجيل الصالح ، لإقامة المجتمع الصالح ، ونظرة مستوعبة إلى أحاديثه الكثيرة ، وكُتبه في هذا الموضوع كافية لاستبانة هذا الواقع ، ولإمداد الباحث بما يكاد يؤلِّف منهجاً متكاملاً للتربية والتعليم كما يريده العلامة ، بل كما يتراءى في ضوء الإسلام[2] هذا فضلاً عن صلته الروحية القوية بتلامذته في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، والتي ترأَّس أمانتَها نحو أربعين عاماً .

الوعظ والتذكير :

وذلك يتَّضِح من خلال جهود العلاَّمةِ في الخطب والمحاضرات ، والاتصال المباشر بمختلف طبقات الشعب عن طريق الجولات والأسفار التي يقوم بها داخلَ الهند وخارجها في العالم العربي والغربي ، فهو لم يتوقف يوماً عن الدعوة إلى الله والتذكير بالآخرة[3] .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : للأستاذ محمد المجذوب (٢/ ١٠٤٣) .
(٢) المرجع السابق : (٢/ ١٥١) .
(٣) انظر للتفصيل « محاضرات في الفكر والدعوة » للشيخ أبي الحسن الندوي ، و « جهود الشيخ =

www.abulhasanalinadwi.org

مناصحة الحكام والأمراء والملوك والرؤساء :

بذَلَ العلامةُ الندوي عُصارة فكره ، وإخلاص قلبه ، وصفاء عاطفته في مناصحة الحكام والأمراء والقادة والمفكرين العرب ، عن طريق إرسال الكتب والرسائل والمقابلات والاتصالات الشخصية[1] .

التأليف والصحافة :

مؤلَّفات العلامة الندوي كثيرةٌ ومتنوعةٌ في موضوع الدعوة والفكر ، والسيرة والأدب ، الَّتي تسُدُّ الفراغ الروحي والفكر ، وتتعرض للقضايا الدعوية والفكرية الهامة ، وقد انخرط العلامة في سلك الصحافة خلال تدريسه في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ كما ذكرناه في الفصل السابق[2] ـ لنشر الدعوة الإسلامية من هذا الطريق ، فأصدر جريدة باللغة الأردوية باسم « تعمير حياة » الَّتي نالت قبولاً بالغاً في أوساط الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان منذ يوم صدورها ، وكانت لا تخلو جرائد ومجلات إسلامية داخل الهند وخارجها من المقالات الممتعة والحوارات المفيدة مع العلاَّمة .

= أبي الحسن الندوي في الدعوة الإسلامية » .

(١) انظر للاطلاع على رسائله ونصائحه الموجَّهة إلى الأمراء والرؤساء كتاب « خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء » للعلامة الندوي ، طبع دار ابن كثير ، دمشق ـ عام ٢٠٠٢م .

(٢) انظر صفحة (١٩٧ ـ ١٩٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

السِّمات العامة لمنهج العلامة الندوي في الدعوة

مِن خلال المطالعة الوسيعة والنظرة العميقة لمؤلفات العلامة الندوي ، والإطلاع على أعماله الفكرية وجهوده الدعوية تتضح معالمُ منهج واضح متميز ، مثلاً :

(١) الاعتماد الأساسي على الكتاب والسنة

لا شكَّ : أنَّ الكتاب والسنة هما الأساسُ لكل ما يأتي بعدهما ، توزن الأمور بميزانهما الصحيح ، بل هما السامقة ، الَّتي ينظر العلاَّمةُ من عليائها إلى القضايا والمشكلات ، قبل أي احتكام إلى العقول ، وهما المحكمات والبيِّنات الَّتي تقدَّم على الرأي أو الاجتهاد البشري غير المعصوم ، وهو قد تخصَّصَ في علوم القرآن وتفسيره ودرسهما بصورة عميقة أيضاً ، ومن اطلع على كتاباته ومؤلفاته عرف : أنها تعتمد على القرآن الكريم قبل أن تعتمد على غيره ، وتستمدُّ منه الروح والقوة والإيمان ، وذلك سرُّ قوَّتها وتأثيرها ، فكان خير من يدخل في موضوعٍ قرآنيٍّ مهمٍّ ، ويبحث فيه عن جدارةٍ وكفاءةٍ[1] .

(٢) سيره على نهج العلماء الصالحين :

كان سَيْرُه ـ رحمه الله ! ـ على نهج العلماء الصالحين من سلف هذه الأمة وخلفها والربَّانيين المخلصين والمصلحين الروحيين ، وأهل التزكية الخالصة من شوائب العجمية والفلسفة والإحسان وفقه الباطن ، ومن هنا كانت نظرته العادلة إلى « التصوُّف » الصحيح وإنْ كان يرى تسمية الأشياء بأسمائها الواردة في الكتاب والسنة ، فيرى أساسَ التسمية « التزكية »[2] عدولاً عن مصطلح التصوّف الَّذي ثار

---

(١) روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة : من تقديم فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، ص : (٩) .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة : ٢] .

www.abulhasanalinadwi.org

حوله لغطٌ كثيرٌ ؛ حتى جنت هذه التسمية على جانب مهمّ من جوانب الدين ، وحقيقة عظيمة من حقائقه[1] ، يقول العلاَّمةُ :

« فكان الأجدر بنا أن نسمّي العلم الّذي يتكفّل بتزكية النفوس ، وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعية ، وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية ، ويدعو إلى كمال الإيمان ، والحصول على درجة الإحسان ، والتخلُّق بالأخلاق النبوية ، واتباع الرسول ﷺ في صفاته الباطنية ، وكيفياته الإيمانية ، كان الأجدر بنا وبالمسلمين أن يسمُّوه : « التزكية » أو « الإحسان » أو فقه الباطن ، ولو فعلوا ذلك ؛ لانْحَسَمَ الخلافُ ، وزال الشقاق »[2] .

« والتصوُّف ليس كلُّه شرّاً كما يتصوَّر بعض الناس ، والمتصوِّفة ليسوا كلُّهم ضُلاَّلاً كما يدعي من ينقصهم العلمُ ، أو العدلُ ، بل هم كغيرهم من الطوائف كما قال شيخُ الإسلام ابن تيمية في رسالته عن « الفقراء » : فيهم المستقيم والمنحرف ، وفيهم الظالم لنفسه والمقتصد ، والسابق للخيرات بإذن الله »[3] .

(٣) حضور الشخصية :

وتظهر في كتابات العلاَّمة الندوي وأحاديثه ومحاضراته ميزةٌ خاصةٌ ، وروحٌ متميزةٌ ، يشعر القارىء أو السامع له بأنَّ لعباراته الأدبية سحراً ، وذوقاً خاصاً لا يتوافر إلا لِلْعِلْيَةِ من أصحاب المواهب الّذين تعمَّقوا سرَّ الكلمة ، وتفاعلوا به ، وكان لقلوبهم أكبر الأثر فيها يصوغونه ، وتلك هي الخاصة الرئيسية الّتي يمتاز بها أبداً أولو الأذواق الروحية من المتخرّجين في مدرسة القرآن ، وبهذه الخاصة يتناول العلامةُ الأحداث التاريخية ، فإذا هي ماثلةٌ بالحياة وبالعِبر . . . وقلَّما تقرأ له بحثاً أو قصةً لا تلمس

---

(١) جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في الدعوة الإسلامية : للأستاذ عاشور ، ص(٩٩) .
(٢) ربانية لا رهبانية : للعلاَّمة الندوي ، ص(١٠) طبع دار ابن كثير بدمشق .
(٣) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة : للدكتور يوسف القرضاوي ، ص(٧٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

أثناءهما هذه الثورةَ الناطقةَ بالحكمة ، وهذا ما يكاد الكاتبون عنه يُجمِعون عليه[1] .

(٤) الاستيعاب للتاريخ وتاريخ الأمم والشعوب :

ومعظمُ كتابات ومؤلفات العلاَّمة الندوي تدور وتقوم على الأحداث التاريخية ، واستنباط العبرة والدروس ، والتحذير من مُهلِكات القرون السابقة ، وأكثر ما يتجلَّى هذا في كتابه القيم : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟!) . يقول العلامةُ :

« أكثر كتاباتي تدور حول موضوع تاريخي ، فقد درستُ تاريخ الإسلام سياسياً ، وفكرياً وعلمياً وروحياً ، وتاريخ أوروبّة والفلسفات القديمة والحديثة ، وتاريخ الديانات »[2] .

(٥) النظر الوسط إلى الحضارة الغربية :

وقد وجَّه العلاَّمةُ دعوته إلى الغرب أن يغيِّر اتجاهَه من الجاهلية إلى الإسلام ، ووجَّه حديثه إلى الشباب المغترب محذراً له من أن تسحره هذه الحضارة الخادعة ، وأن يعيشوا في الغرب كالداعي والإمام[3] .

(٦) التركيز على دعوة العرب :

كان يركِّز العلامةُ دعوتَه على العرب باعتبارهم الأمةُ المختارةُ لحمل رسالة الإسلام ، بحيث فكَّر أن يجعله هدفَ حياته وموضوعها ، يقول : « لو كانت أمةٌ على وجه الأرض تستحق مني أكبرَ تقدير وأعظم إعجاب ؛ لكان العربُ من غير نزاع ، والَّذي يطمعني في هذه الكلمة ، ويغريني بها هو حبِّي وحرصي على أن يستعيد العرب مكانتهم العالمية ، ويتسلموا قيادة البشرية »[4] .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : للأستاذ محمد المجذوب ، (١/ ١٣٨) .

(٢) محاضرات إسلامية . . . انظر المحاضرة فيها بعنوان « واقع العالم الإسلامي » (٢/ ١٨٥) .

(٣) من تقديم الأستاذ محمد الحسني الندوي لكتاب العلاَّمة الندوي من حديث مع الغرب (ص : ١٢ ـ ١٣) .

(٤) في مسيرة الحياة : (١/ ٩) و(٢/ ٢١) .

www.abulhasanalinadwi.org

أهمّ المجالات الرئيسية للدعوة
في رأي العلاّمة الندوي

١ ـ تحريكُ الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير المسلمة ، وإثارة الشعور الديني فيها ، فهي مادّةُ الإسلام ورأسُ ماله ، والخامات الكريمة التي تستخدم لأي غاية نبيلة ، بتصحيح العقيدة وإخلاصها لله ونقائها من الشرك ، والعادات والتقاليد غير الإسلامية ، وإزالة التناقض ، وتربية الفهم والحقائق والقضايا المهمة .

٢ ـ صيانةُ الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف ، وإخضاعها للتصورات العصرية الغربية أو المصطلحات السياسية والاقتصادية ، والتجنُّب عن تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً بحتاً .

٣ ـ تقويةُ الصلة الروحية والعقلية والعاطفية بالنبي محمد ﷺ ، والحب العميق له ، الذي يُؤثِره على النفس والأهل والولد ، ولعلَّ البلاد العربية (بفعل أحداث ودعوات قومية) أحوجُ إلى العناية بهذه النقطة ، وأحقُّ بها من غيرها .

٤ ـ إعادةُ الثقة في نفوس الطبقة المثقَّفة ، ومَن بيدهم القيادة الفكرية والتربوية والإعلامية في البلاد والحكومات الإسلامية بصلاحية الإسلام وقدرته ، لا على مسايرة العصر وتطوراته وتحقيق مطالبه ، بل على قيادة الركب البشري إلى الغاية المثلى ، وتجديف سفينة الحياة إلى برّ السلام والسعادة ، وإنقاذ المجتمع البشري من الانهيار والانتحار ، الذي تعرض له تحت القيادة الغربية الخرقاء .

٥ ـ قلبُ نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب ، المنتشر السائد في البلاد الإسلامية رأساً على عقب ، وصوغه صوغاً يتفق مع شخصية هذه الشعوب المسلمة وعقيدتها ، ورسالتها ، وقامتها ، وقيمتها . ويعلق العلاَّمة على نظام التربية والتعليم أهمية كبيرة في حياة الشعوب والأمم ، ويرتِّب عليه صلاح الأوضاع المختلفة أو فسادها ، فيقول :

www.abulhasanalinadwi.org

« ولا يصلح نظامُ التربية والتعليم إصلاحاً جزئياً فحسب ، بل يبتكر ابتكاراً جذرياً ، مهما استنفد من الطاقات ، وكلَّف من الوسائل والنبوغ والعبقريات ، وبغير ذلك لا يقوم العالم الإسلامي على قدميه ، وبرأسه وعقله ، وإرادته وتفكيره ، ولا تدار الحكومات والأجهزة الإدارية ، والمرافق العامة برجال مؤمنين أقوياءً أمناءً مخلصين ، يطبِّقون التعاليم الإسلامية في الحكومة والإدارة ، والتربية والإعلام والمجتمع ، فتمثِّل الحياة الإسلامية بجمالها وكمالها ، وينشأ المجتمع الإسلامي بسماته وخصائصه » .

٦ ـ إيجادُ حركة علمية قوية دَولِيَّة ، تعرِّف الطبقة المثقفة الجديدة بذخائر الإسلام العلمية وتراثه المجيد ، وتنفخ في العلوم الإسلامية روحاً من جديد ، وتُثبت للعالم المتمدِّن أن الفقه الإسلامي وقانونه أرقى القوانين وأوسعها في العالم ، وهو يقوم على أساس من المبادىء الخالدة التي لن تبلى ، ولن تفقد صلاحيتها في يوم من الأيام ، وهي تصلح لمسايرة الحياة الإنسانية في كلِّ زمان ومكان ، وتُغنيها عن كل قانون وَضَعَتْه أيدي البشر .

٧ ـ تجريدُ أمة عن حضارتها التي نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها معناه عزلها عن الحياة ، وتحديدها في إطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية ، وفصل حاضرها عن ماضيها ، فلا بدَّ للحكومات الإسلامية والمجتمعات الإسلامية من التخطيط المدني الإسلامي المستقل ، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى ، والارتجالية ومركب النقص ، ولا بدَّ من تمثيل الحضارة الإسلامية في عواصمها ، وفي دوائرها ، وفي بيوتها ، وفي مجتمعاتها ، وفي فنادقها ومنتزهاتها ، وإلى حدٍّ في مكاتبها وطائراتها ، وسفاراتها ، وبذلك لا يعرض العالم الإسلامي نموذجاً للحياة الإسلامية ، والمثل الإسلامية فحسب ، بل يقوم بدعوة صامتة للإسلام .

٨ ـ معاملةُ الحضارة الغربية ، بعلومها ونظرياتها ، واكتشافاتها وطاقاتها كموادَّ خامٍ يصوغ منها قادة الفكر وولاة الأمور في العالم الإسلامي حضارةً قويةً عصريةً مؤسسةً على الإيمان والأخلاق والتقوى ، والرحمة والعدل في جانب ، وعلى القوة والإنتاج والرفاهية وحب الابتكار في جانب آخر .

www.abulhasanalinadwi.org

٩ ـ إقناعُ الحكومات ـ في بعض البلاد الإسلامية التي مثَّلت دوراً رائعاً في تاريخ الدعوة والحضارة الإسلامية ـ المشغولة بحرب إبادة للعنصر الإسلامي ، أو عملية تطوير الإسلام وتفسيره وِفق مصالحها السياسية ، أو أهواء قادتها الشخصية بأنها سياسةٌ عقيمةٌ لم تنجح في بلد إسلامي ، وإقناعها بتوجيه طاقاتها وإمكاناتها إلى عدُّو مشتركٍ ، وإلى ما يقوي البلاد الإسلامية ، وإقناع الحكومات المسلمة ـ المسالمة للإسلام ـ بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتهيئة الجو المناسب المساعد على ذلك .

١٠ ـ أمَّا بالنسبة للبلاد ـ غير الإسلامية فالقيام بالدعوة إلى الإسلام والتعريف به بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الإسلام وروح العصر ـ أما البلاد التي فيها الأقليات المسلمة فالاهتمام بتمثيل الإسلام والحياة الإسلامية تمثيلاً يلفت إليه الأنظار ، ويستهوي القلوب ، والقيام بالقيادة الروحية والخُلقية وقبول مسؤولية إنقاذ البلاد والمجتمع من الانهيار الخُلقي والخواء الروحي والتدهور الاجتماعي الذي تعرضت له هذه البلادُ حكومةً وشعباً ، حتى يتهيأ للإسلام أن يُثبت جدارته وحاجة البلاد إليه ، ويتهيأ للمسلمين أن يقوموا بدورهم البلاغي والقيادي في هذه البلاد .

ومثَّل العلاَّمةُ الندوي هذا الاتجاه عملياً في الهند ـ مسقط رأسه ـ بمواقفه الجليلة دفاعاً عن قضايا المسلمين وغيرهم ، والدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين عن طريق « حركة رسالة الإنسانية » التي قامت بغرس يده .

١١ ـ إيجادُ حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية في العالم الإسلامي ، تقترن بصفات الرجولة والطموح وعلو الهمة وبُعد الغور ، والقدرة على مواجهة الطاقات الرئيسية القائدة التي تملكت زمامَ قيادة البشرية ، وأصبحت تتحكم في مصائر الشعوب والأقطار الإسلامية وغير الإسلامية من غير حقٍّ أو مبررٍ)[1] .

هذه خطوطٌ عريضةٌ لمنهج العلاَّمة الندوي في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، مقتبسةٌ من كتبه ومؤلفاته ، التي تعطي صورةً واضحةً عن شمولية فكره ودعوته ومنهجه المعتدل الحكيم ، وترسم للدعاة إلى الله تعالى آفاقاً ، وتفتح لهم أبواباً ومجالات يوجِّهون إليها طاقاتهم وجهودهم في العمل من أجل الإصلاح والتغيير .

---

(١) انظر محاضرة العلاَّمة الندوي بعنوان « الدعوة في العصر الحاضر » في كتاب « محاضرات إسلامية . . . » (١/ ٥٨٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

ركائز الفقه الدعوي

عند العلاَّمة الندوي

يقوم فقهُ الدعوة عند العلاَّمة الندوي على ركائز وأُسَس تبلغ العشرين ، منها ينطلق ، وإليها يستند ، وعليها يعتمد ، نجملها هنا :

١ ـ تعميق الإيمان في مواجهة المادية :

تعميقُ الإيمان بالله تعالى ، وتوحيده سبحانه : ربّاً خالقاً ، وإلهاً معبوداً ، واليقين بالآخرة داراً للجزاء ، ثواباً وعقاباً ، في مواجهة المادية الطاغية .

٢ ـ إعلاء الوحي على العقل :

اعتبارُ الوحي هو المصدر المعصوم ، الذي تؤخذ منه حقائقُ الدين وأحكامه ، من العقائد والشرائع والأخلاق ، واعتبار نور النبوَّة فوق نور العقل ، فلا أمانَ للعقل إذا سار في هذا الطريق وحده من العثار ، ولا أمان للفلسفات المختلفة في الوصول إلى تصور صحيح عن الألوهية والكون والإنسان والحياة .

٣ ـ توثيق الصلة بالقرآن الكريم :

توثيق الصلة بالقرآن باعتباره كتاب الخلود ، ودستور الإسلام وعمدة الملَّة ، وينبوع العقيدة ، وأساس الشريعة ، وهو يُوجب اتباع القواعد المقرَّرة في تفسيره ، وعدم الإلحاد في آياته وتأويلها وفق الأهواء والمذاهب المنحولة .

٤ ـ توثيق الصلة بالسنة والسيرة النبوية

توثيق الصلة بالسنَّة المطهَّرة ، والسيرة النبوية باعتبار السنة أولاً : مبيِّنة القرآن وشارحته نظرياً ، وباعتبار السيرة ثانياً : هي التطبيق العملي للقرآن ، وفيها يتجلَّى القرآن مجسداً في بشر « كان خُلقه القرآن »[1] وتتجلَّى (الأسوة الحسنة) التي نصبها

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٣٠) برقم (٧٢) ، وأحمد في المسند (٦/ ٩١) برقم =

www.abulhasanalinadwi.org

الله للناس عامة ، وللمؤمنين خاصة ، لهذا كان المهم العيش في رحاب هذه السيرة ، والاهتداء بهديها ، والتخلُّق بأخلاقها ، لا مجرَّد الحديث عنها باللسان أو بالقلم .

٥ ـ إشعال الجذوة الروحية (الربانية الإيجابية) :

إشعال الجذورة الروحية في حنايا المسلم ، وإعلاء (نفخة الروح) على قبضة الطين والحمأ المسنون في كيانه ، وإبراز هذا الجانب الأساسي في الحياة الإسلامية الذي سمَّاه العلاَّمة (ربَّانية لا رهبانية) . بإبراز العنصر الإيجابي في هذه الحياة الروحية المنشودة ، فهي روحيةٌ اجتماعيةٌ ، كما سمَّاها الأستاذ البهي الخولي ـ رحمه الله ـ وهي ربانية إيجابية تعمل للحياة ولا تعتزلها ، ولا تعبدها ، وتجعل منها مزرعة للحياة الأخرى : حياة الخلود والبقاء .

٦ ـ البناء لا الهدم ، والجمع لا التفريق :

لقد جعلَ العلاَّمة الندوي همَّه في البناء لا الهدم ، والجمع لا التفريق ، وأنا أشبِّهه هنا بالإمام حسن البنَّا ـ رحمه الله ـ ، الذي كان حريصاً على هذا الاتجاه الذي شعاره : نبني ولا نهدم ، ونجمع ولا نفرِّق ، ونقرِّب ولا نباعد ، ولهذا تبنى قاعدة المنار الذهبية : « نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضُنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) .

وهذا هو توجُّه العلاَّمة الندوي فهو يبعد ما استطاع عن الأساليب الحادة ، والعبارات الجارحة ، والموضوعات المفرِّقة ، ولا يقيم معارك حول المسائل الجزئية ، والقضايا الخلافية .

ولا يعني هذا : أنه يُداهن في دينه ، أو يسكت عن باطلٍ يراه : أنه خطأٌ جسيمٌ يشاهده ، بل هو ينطق بما يعتقده من حقٍّ ، وينقد ما يراه من باطلٍ أو خطأٍ ، لكن بالتي هي أحسن .

٧ ـ إحياء روح الجهاد في سبيل الله تعالى :

إحياءُ روح الجهاد في سبيل الله ، وتعبئة قُوى الأمة النفسية للدفاع عن ذاتيتها ووجودها ، وإيقاد شعلة الحماسة للدين في صدور الأمة ، التي حاولت القوى

= (٢٤٦٤٥) و (٦/ ١٦٣) و (٢٥٣٤١) عن عائشة رضي الله عنها .

www.abulhasanalinadwi.org

المعاديةُ للإسلام إخمادها ، ومقاومة روح البطالة والقعود ، والوهن النفسي ، الذي هو حبُّ الدنيا ، وكراهية الموت .

٨ ـ استيحاء التاريخ الإسلامي وبطولاته :

استيحاءُ التاريخ ـ ولا سيما تاريخنا الإسلامي ـ لاستنهاض الأمة مِن كبوتها ، فالتاريخُ هو ذاكرة الأمة ، ومخزن عِبَرها ، ومستودع بطولاتها ، والعلاَّمة يملك حِسّاً تاريخياً فريداً ، ووعياً نادراً بأحداثه الكبيرة ، والدروس المستفادة منها . . .

والتاريخُ عنده ليس هو تاريخُ الملوك والأمراء وحده ؛ بل تاريخ الشعوب والعلماء والمصلحين والربّانيين، ليس هو التاريخ السياسي فقط ، بل السياسي ، والاجتماعي ، والثقافي ، والإيماني ، والجهادي ، ولهذا يستنطق التاريخ بمعناه الواسع .

٩ ـ نقد الفكرة الغربية والحضارة الحديثة :

نقدُ الجاهلية الحديثة ، المتمثِّلة في الفكرة الغربية، والحضارة المادية المعصارة، ورؤيته هنا واضحةٌ كل الوضوح لحقيقة الحضارة الغربية وخصائصها ، واستمدادها من الحضارتين : الرومانية واليونانية ، وما فيهما من غلبة الوثنية ، والنزعة المادية الحسية ، والعصبية القومية ، وهو واعٍ تماماً للصراع القائم بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية ، وخصوصاً في ميادين التعليم ، والتربية ، والثقافة ، والقيم ، والتقاليد ، وقد أنكر العلاَّمةُ موقف الفريق المستسلم للغرب ، المقلِّد له تقليداً أعمى في الخير والشر ، ومثله موقف الفريق الرافض للغرب كله ، والمعتزل لحضارته بمادياتها ومعنوياتها . . . ونوَّه بموقف الفريق الثالث ، الذي لا يعتبر الغرب خيراً محضاً ، ولا شراً محضاً ، فيأخذ من الغرب وسائلَه لا غايتَه ، وآلياتَه لا منهجَ حياته .

١٠ ـ نقد الفكرة القومية والعصبيات الجاهلية :

نقدُ ما شاع في العالم العربي والعالم الإسلامي كلِّه من التنادي بفكرة (القومية) القائمة على إحياء العصبيات الجاهلية ، بعد ما أكرم الله به هذه الأمة من الأخوة الإسلامية ، والإيمان بالعالمية ، والبراءة من كلِّ من دعا إلى عصبية ، أو قاتل على عصبية ، أو مات على عصبية ، وأشدُّ ما آلمه : أن تتغلغل هذه الفكرةُ بين (العرب)

www.abulhasanalinadwi.org

الذين هم عصبة الإسلام ، وحملة رسالته ، وحفظة كتابه وسنته ، وهو واحدٌ منهم نسباً وفكراً وروحاً .

١١ ـ تأكيد عقيدة ختم النبوة ومقاومة الفئة القاديانية :

عقيدةُ ختم النبوَّةِ ، وهي عقيدة معلومة من الدين بالضرورة بين المسلمين طول القرون الماضية ، ولم يثر حولها أيُّ شكٍّ أو شبهة ، وإنما أوجب تأكيد هذه العقيدة ظهور الطائفة القاديانية بفتنتهم الجديدة التي اعتبرها العلامةُ (ثورةٌ على النبوَّة المحمَّدية) .

١٢ ـ مقاومة الردة الفكرية :

مقاومةُ الردَّة الفكرية التي تفاقَمَ خطرُها بين العرب والمسلمين عامة ، والمثقَّفين منهم خاصة ، فكما قاوم العلاَّمةُ (الردة الدينية) التي تمثلت في القاديانية ، التي أصرَّ علماء المسلمين كافةً في باكستان على اعتبارهم أقلية غير مسلمة ، لم يأل جهداً في محاربة هذه (الردَّة العقلية والثقافية) .

١٣ ـ تأكيد دور الأمة المسلمة واستمراره في التاريخ :

تأكيدُ دور الأمة المسلمة ، في هداية البشر والشهادة على الأمم ، والقيام على عبادة الله وتوحيده في الأرض ، كما أشار إلى ذلك الرسولُ ﷺ في بدر : « اللهم إنْ تهلك هذه العصابة لا تُعْبَد في الأرض »[1] ، وهذه الأمة صاحبة رسالة شاملة ، وحضارة متكاملة ، مزجت المادة بالروح ، ووصلت الأرض بالسماء ، وربطت الدنيا بالآخرة ، وجمعت بين العلم والإيمان ، ووفقت بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع ، وهذه الأمة موقعها موقع القيادة والريادة للقافلة البشرية ، وقد انتفعت منها البشرية يوم كانت الأمة الأولى في العالم . . . ثم تخلفت عن الركب لعوامل شتَّى ، فخسر العالمُ كثيراً بتخلُّفها .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، برقم (١٧٦٣) ، والترمذي في أبواب تفسير القرآن سورة الأنفال ، برقم (٣٠٨١) وغيرهما عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

١٤ ـ بيان فضل الصحابة ومنزلتهم في الدين :

بيانُ فضل الجيل المثالي الأول في هذه الأمة ، وهو جيل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أبرُّ الناسِ قلوباً ، وأعمقهم علماً ، وأقلُّهم تكلفاً ، اختارهم الله لصحبة نبيِّه ، ونصرة دينه ، وأنزل عليهم ملائكته في بدر ، والخندق ، وحنين ، وهم الذي أثنى عليهم الله تعالى في كتابه في عدد من سوره ، وأثنى عليهم رسولُه في عدد من أحاديثه المستفيضة ، وأكَّد ذلك تاريخهم ، وسيرتهم ، ومآثرهم ، فهم الذين حفظوا القرآن ، والذين رووا السنة ، والذين فتحوا الفتوح ، ونشروا الإسلام في الأمم .

وهم طليعةُ الأمة وأسوتها في العلم والعمل ، وأئمتها في الجهاد والاجتهاد ، وتلاميذهم من التابعين على قدمهم ، وإن لم يبلغوا مبلغهم : « خيرُ القرون قرني ثم الذين يلونهم »[1] فمن شكَّك في عظمة هذا الجيل وفي أخلاقه ومواقفه ، فقد شكَّك في قيمة التربية المحمدية .

١٥ ـ التنويه بقضية فلسطين وتحريرها :

فقضيةُ فلسطين ليست قضيةَ الفلسطينيين وحدهم ، ولا العرب وحدهم ، بل هي قضية المسلمين جميعاً ، فلا بدَّ من إيقاظ الأمة لخطرها ، وتنبيهها على ضرورة التكاتف لتحريرها ، واتخاذ الأسباب ، ومراعاة السنن المطلوبة لاستعادتها .

١٦ ـ العناية بالتربية الإسلامية الحرة :

العنايةُ بالتربية الإسلامية الحرَّة التي لا تُستمد فلسفتها من الغرب ولا من الشرق ، إنما تُستمد فلسفتها من الإسلام : عقيدةً ، وشريعةً ، وقيماً ، وأخلاقاً ، في حين تقتبس وسائلها وآلياتها من حيث شاءت ، في إطار أصولها المرعية ، فالحكمة ضالةُ المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها ، وينكر العلاَّمةُ على التعليم القديم طرائقه في العناية بالألفاظ والجدليات ، كما ينكر على التعليم الحديث إغفاله للروح وأهداف الحياة وينقل من شاعر الإسلام : محمد إقبال قوله : « إنَّ التعليم الحديث لا يعلِّم عين

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٦/٧) وابن عساكر في « تاريخ مدينة دمشق » (٣٧/٦٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

الطالب الدموع ، ولا قلبه الخشوع » ، ولقد أولى العلاَّمةُ جانب التربية اهتماماً بالغاً ؛ لأنها هي التي تصنع أجيال المستقبل ، والتهاون فيه تهاون في الثروة البشرية .

١٧ ـ العناية بالطفولة والنشء :

العنايةُ بالطفولة ، والكتابة للأطفال والناشئين ، بوصفهم رجال الغد ، وصنَّاع تاريخ الأمم ، وقد التفت العلاَّمةُ إلى هذا الأمر الخطير ، وهو في الثلاثينات من عمره ، وكتب مجموعةً من قصص النبيين للأطفال ، في لغة سهلة ، وأسلوب عذب ، وطريقة شائقة ، مضمناً إياها ما يجب من المعاني والقيم ، ومن الدروس والعبر ، ومن العقائد والمثل ، حتى قال بعضُ العلماء : إنها (علم توحيد) جديد للأطفال ، وأثنى عليها أديبٌ كبيرٌ كالشهيد سيد قطب ؛ مارَسَ هذا العمل أيضاً .

١٨ ـ إعداد العلماء والدعاة الربانيين المعاصرين :

العملُ الدؤوب لإعداد العلماء والدعاة الربانيين ، الذي يجمعون بين المعرفة الإسلامية ، والرؤية العصرية ، مع الغيرة الإيمانية والأخلاق الربانية ، وهذا ما اجتهد في أن يُسهِم فيه بنفسه عن طريق التدريس في (دار العلوم ـ ندوة العلماء) ، ثم عن طريق تطوير المناهج ، وعن طريق وضع المقرَّرات والكتب الدراسية ؛ ثم عن طريق الاشتراك في مجال الجامعات والمؤسَّسات التعليمية في الهند وفي غيرها ، مثل المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة .

وهو يرى : أنَّ المسلمين أحوج ما يكونون اليوم إلى الداعية البصير ، والعالِم المتمكِّن ، الذي إذا استقضي ؛ قضى بحق ، وإذا استفتي ؛ أفتى على بينة ، وإذا دعا إلى الله ؛ دعا على بصيرة .

١٩ ـ ترشيد الصحوة والحركات الإسلامية

ترشيدُ الصحوة الإسلامية ، التي يشهدها العالم الإسلامي ، بل يشهدها المسلمون في كل مكان ، حتى خارج العالم الإسلامي ، حيث توجد الأقليات والجاليات الإسلامية في أوربَّة والأمريكتين والشرق الأقصى وغيرها ، وهي صحوةُ عقول وقلوب وعزائم ، ولكن يخشى على الصحوة من نفسها أكثر من غيرها ، فتتآكل من الداخل ، قبل أن تضرب من الخارج .

www.abulhasanalinadwi.org

وأعظمُ ما يخشى على الصحوة : الغُلوُّ والتشديد في غير موضعه ، والتمسك بالقشور وترك اللباب ، والاشتغال الزائد بالجزئيات والخلافيات ، وسوء الظنّ بالمسلمين إلى حدِّ التأثيم والتضليل ، بل التكفير .

والعلاَّمةُ بطبيعته رجلٌ معتدلٌ في تفكيره ، وفي سلوكه ، وفي حياته كلها : فهو قديمٌ جديدٌ ، وهو تراثيٌّ وعصريٌّ ، وهو سلفيٌّ وصوفيٌّ ، ثابتٌ ومتطوِّرٌ في لين الحرير وصلابة الحديد ، وهكذا يريد لجيل الصحوة أن يكون .

٢٠ ـ دعوة غير المسلمين :

دعوةُ غير المسلمين للإسلام استكمالاً لما قامت به الأمة في العصور الأولى ، وقد ساهم العلاَّمةُ في ذلك منذ عهد مبكر ـ وهو ابن الثانية والعشرين ـ بدعوة الدكتور أَمْبَيْدَكَرْ[1] ـ زعيم المنبوذين ـ إلى الإسلام ، ورحلته إليه في مدينة بَوْمبَاي .

وهو يرى : أنَّ فضل الأمة الإسلامية على غيرها في قيامها بواجب الدعوة إلى الله ، وأنَّ البشرية اليوم ـ رغم بلوغها ما بلغت من العلم المادي والتطور التكنولوجي ـ أحوج ما تكون إلى رسالة الإسلام ، حاجة الظمآن إلى الماء ، والسقيم إلى الشفاء ، والأمة الإسلامية هي وحدها التي تملك قارورةَ الدواء ، ومضخة الإطفاء .

تلك هي الركائزُ العشرون ، التي قام عليها فقهُ الدعوة عند العلاَّمة الندوي ، وكلُّ ركيزة منها تحتاج إلى شرحٍ وتفصيلٍ[2] .

* * *

(١) وقد تحدَّثنا عنه في الباب الثاني ، الفصل الرابع، ص(٢٠٧ ـ ٢٠٨) .

(٢) ملخَّصاً من مقالتي الداعية الكبير الدكتور يوسف القرضاوي المنشورتين في مجلة « البعث الإسلامي » عدد رجب وشعبان ، وعدد رمضان ١٤١٧هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثاني

العلّامة أبو الحسن النّدوي

مفكّراً إسلامياً كبيراً

المبحث الأول : العرب في فكر العلاَّمة الندوي .

المبحث الثاني : العرب في أدب العلاَّمة الندوي .

المبحث الثالث : مواقف العلاَّمة الندوي من القضايا العربية الإسلامية .

المبحث الرابع : ترشيد الصحوة الإسلامية اليوم كما يراها العلاَّمة الندوي .

المبحث الخامس : مواقف العلاَّمة الندوي الحكيمة من حلِّ قضايا المسلمين في الهند .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abuhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

العرب في فكر العلاَّمة الندوي

كان أهَمُّ خصائص شخصية العلاَّمةُ أبي الحسن الندوي لوعة قلبه وفكرته للأمة الإسلامية والعالم الإنساني كلِّه ، بلغ اضطهادُ المسلمين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أوجَه ، كان الاستعمارُ الغربي جعل يبتلعُ المسلمين في سائر العالم ، وهم كانوا يبتعدون عن القيادة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والعلم ، والتكنولوجيا شيئاً فشيئاً ، ولذلك كان أعداؤهم يسعون في إبعادهم عن أحكام الإسلام وقِيَمه سعياً بالغاً ، وصار المسلمون أمَّةً ليست لها أهميةٌ ، وكان الوضع هو الوضع الذي صوَّره النبيُّ ﷺ بقوله : « يُوْشِكُ الأممُ أنْ تَدَاعَى عليكم كما تداعى الأكَلَةُ إلى قَصْعَتِها »[1] .

ومزَّق الأتراكُ بسفاهتهم رداءَ الخلافة الإسلامية بعدما أصبحوا فريسةً لدسائس الاستعمار الغربي ، وأُشرِبَ العربُ القومية العربية حتى استولت عليهم النشوةُ والذهول ؛ حتى لم يعد لهم ارتباط بماضيهم ، ولا علمَ لديهم بالحاضر والمستقبل ، وسُفكت الدماءُ في شبه القارة الهندية لتقسيم البلاد ، وأُنشىء خليجٌ واسعٌ للبُغض والعداوة بين طائفتي الهندوس والمسلمين ، وبعدما تحرَّرتِ الهندُ بُذلت المساعي والجهود لفرض الحضارة الشركية والثقافة الآرية على العائشين فيها .

كان العلاَّمةُ الندوي مِن سلالة مولعة بالتصنيف والتأليف وتحترف بالمعالجة ، وكان جدُّه مؤرِّخاً عظيماً ، أديباً ضليعاً ، وكتابه « مهرجان تاب » خير نموذج لذوقه العلمي ، ودراسته الواسعة ، وكان والده العلاَّمةُ السيد عبد الحي الحسني عاليَ الكعب في العلوم الإسلامية ، ودقيقَ النظر في التاريخ الإسلامي، وتاريخ الهند ، وأديباً عظيماً وكاتباً قديراً مع أنه كان نابغاً في الطب ، ففي هذه الأوضاع العائلية لم يكن من الصعب

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم ، باب في تداعي الأمم على الإسلام ، برقم (٤٢٩٧) عن ثوبان رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

على العلاَّمةُ الندوي أن يشتغل في خلوته بأعماله التأليفية مُعرِضاً عن المصائب والمشاكل ، ويغرس في حديقة العلم أزهاراً جديدة بقلمه السيَّال .

وإنْ لم تقتنع طبيعتُه بهذا ؛ فكانت حركةُ ندوة العلماء ودار علومها محورين عظيمين لنشاطاته ، وكان رقيُّ ندوة العلماء وازدهارها خير مجال لمواهبه العلمية والفكرية ؛ ولئن كان أمراً هاماً واسعاً يتطلَّبُ مواهبَ علمية ، فكرية ، عظيمة ، ولكنَّ الله كان وهبَهُ قلباً متألِّماً ، ولهذا كان من المستحيل أن يقنع بخلوته مصنِّفاً وبجلوته منظِّما منسِّقاً ، إنه كان اتخذ المصلحَ العظيم السيد أحمد بن عرفان الشهيد الذي كان من المُصلحين في الماضي القريب أسوةً له وقدوةً ، وكان العلامةُ ينحدر من سلالته ، وكان طالع الكتبَ المتصلة بحركة السيد أحمد الشهيد الإصلاحية والجهادية عندما كان شاباً بدقةٍ وإمعان ، وأبرز ملامحَها في كتابه « سيرة أحمد الشهيد » ولهذا كان من المستحيل أن لا يلتفت إلى أوضاع الأمة الإسلامية العالمية والمحلِّية ، ويحصرَ مواهبه العلمية والفكرية في مجالٍ واحدٍ .

وكان يشعر في قلبه بآلام سائر المسلمين في العالم ، ويداويها ويضمد جروحهم بقدر ما كان يستطيع ، إنَّه هزَّ العربَ ، وقال : أيها العرب !

« إنَّ علومكم وارتفاعكم ليس في القومية العربية بل هو في إسلامكم ، وإنَّ مصيركم مرتبطٌ بالإسلام ، وإنْ علَتْ كلمةُ الإسلام ، عاد إليكم العزُّ والمجد والوقار ، وإنْ يهن الإسلام ؛ تهونوا ، وبفضل هذه الانتقادات المستمرَّة تحطَّمَ صنمُ القومية العربية ، وانكسر طلسمُها الساحر[1] .

اهتمامه وعنايته بالبلاد العربية :

إنَّ أكبرَ قضيةٍ شغَلتْ ذهنَ العلاَّمة الندوي من قضايا البلاد العربية ؛ هي قضية القومية العربية وهُتافها الذي سحر طبقةً كبيرةً من البلاد العربية ، وقد حاول أعداءُ الإسلام عن طريق الدعوة إلى القومية العربية أن يقضوا على ارتباط العرب بإسلامهم

---

(١) جريدة « الرائد » العدد (٢١) السنة (٤٢) من مقال الأستاذ عتيق أحمد القاسمي بتصرُّفٍ وزيادةٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

وإيمانهم ارتباطاً قلبياً وعاطفياً ، ويُنشِئووا فيهم الميلَ إلى الافتخار والاعتزاز بثقافتهم التي كانوا عليها قبل الإسلام ، حتى تضعف صلتُهم بالإسلام ، وهتف بها جمالُ عبد الناصر هتافاً عظيماً حتى صعبت على الناس الكتابةُ والخطابة ضدَّها ، فكتب العلاَّمةُ الندوي المقالاتِ والرسائل القويَّة والمؤثِّرة ضدَّها بجرأته الإيمانية ، وبلاغته الأدبية ، فضعفت بها دعوتُها ، وانكسرَ طلسمُها شيئاً فشيئاً .

وكان يقلق العلامةَ : أنَّ وسائلَ الإعلام والمؤسَّسات التعليمية في العالم الإسلامي خصوصاً في البلاد العربية ليستْ تحت رعاية المسلمين ؛ بل تحت رعاية غيرهم من المشركين والكافرين والضَّالين المُلحِدين .

وكان يشعر : أنَّ المقرَّرات الدراسية للجامعات والكليات والمدارس تحت أيدي الذين ربَّتْهم المعاهدُ التعليمية الغربية ، أو تأثَّروا بأفكار الغرب التعليمية ووِجْهات أنظارها ، ولهذا تصطبغ أذهان من يتعلَّم فيها من الشبان بصبغة الأفكار الغربية ، وتتزلزل عقيدتُهم نحو خلود الإسلام ونافعيته ، وهؤلاء الشباب يصيرون غريسةَ الرِّدة الذهنية والفكرية بسرعة عجيبة مع أنهم مسلمون سلالةً وأصلاً ، ويرسخ في أذهانهم : أنه لا يوافق نظامَ الحكومة الإسلامية وقوانين الإسلام العصر الحاضر ، وكان يدعو المرتبطين بالحركات الإسلامية في البلاد الإسلامية والمهتمِّين بأمر علوِّ كلمة الإسلام إلى أن يتوجهوا بصورة خاصة إلى المقرَّرات الدراسية للجامعات والكليات والمدارس ، ويجاهدوا في صبغها بصبغة الإسلام .

وكان يرى : أنَّ السبب الرئيسي للصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية هو أنَّ المعاهد التعليمية على طِراز الغرب ذهناً وفكراً ، والشباب المتخرِّجون منها يستولون على السياسة والحكومة ، وهم يريدون في البلاد فرضَ الحضارة والثقافة والقوانين الغربية على أهاليها رغم أنهم يحملون ذهناً دينياً ، وهم يرتبطون بأحكام وتعاليم الإسلام ، ونشأت به في بعض الأحوال أوضاعٌ خطيرة دامية .

وكان يرى : أن المُعجبين بالغرب أيضاً متغلِّبون على وسائل الإعلام والصحافة والإذاعة في البلاد الإسلامية ، وللإعلام دورٌ هامٌّ أساسيٌّ في تكوين أذهان العامة والخاصة وتشكيل ميولهم ، ولذلك فإنَّ الحاجَّة ماسَّةٌ إلى ترشيدها إلى صراطٍ مستقيمٍ ، والاستفادة منها لتعليم الأفكار والنظريات الصحيحة ، وكان يشعر بأن

www.abulhasanalinadwi.org

الأوساط الإسلامية تتوجَّهُ إليها قليلاً ، ويزداد تغلُّبُ الرجال المتأثِّرين بالغرب عليها ، وتستخدم في إفساد الأجيال الشابة وتنفيرها عن الإسلام .

وكانت شخصيةُ العلاَّمةُ الندوي شهيرةٌ في العالم كله ، وينظر إليه المسلمون في جميع الأقطار بنظر الإجلال والتقدير ؛ وإنَّه اجتهد في الاطلاع على مشاكل وقضايا مسلمي جميع الأقطار ومشاورتهم مشورةً صحيحة سديدة ، وإنه سافر إلى معظم العالم ملبيًّا دعوات المسلمين المفكِّرين في الدين مع أعذاره وأمراضه وضعفه ، وأينما حلَّ وسار كداعٍ إلى الإسلام ووارثٍ للأنبياء ، وشخص أمراضَهم الدينية والروحية ، ووصف علاَجَها ، وأكرمهم بآراء قيمة بلوعة قلبه ونصحه لهم ، ووزَّع بينهم هدايا الحبِّ والإخلاص[1] .

---

(١) جريدة « الرائد » العدد (٢١) السنة (٤٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

العرب والعروبة في أدب العلاَّمة الندوي

أنقلُ هنا بعضَ ما كتبه فضيلة الأستاذ الدكتور عدنان زُرْزُوْر حول « مسألة العرب والعروبة عند العلاَّمة الندوي » مشيراً فيه إلى نقطة مهمَّةٍ تتعلَّق بهذه المسألة ، وهي النقطة التي عبَّر عنها في وقت مبكِّر في كتابه « ماذا خسر العالم . . . ؟ » حين تحدَّث عن « رجاء العالم الإسلامي في العالم العربي » وعن زعامة العالم العربي وقيادته للعالم الإسلامي ؛ بل حين ندب العربَ لمزاحمة أوربة بعد الاستعداد الكامل . . إلى آخر ما تضمنه الفصل الأخير من هذا الكتاب ، والذي كان بعنوان : (زعامة العالم العربي)[1] .

يقول ـ حفظه الله ـ :

« . . . لقد كانت الأفكار والآراء التي تضمَّنها هذا الفصل حجَّتنا في الخمسينات من القرن الماضي على أصحاب الفكر القومي ، الذين وضعوا العروبة في مقابل الإسلامية ! والذين شوَّهوا الصلة بين العروبة والإسلام ـ وكثيرٌ منهم ربطوا العروبة والقومية بالاشتراكية ، بعد أن حاولوا قطع صلتها بالإسلام ـ بل الذين شوَّهوا وجدانَ أبناء ذلك الجيل وعقولهم من خلال مناهج التعليم بوجه عام ، ومناهج الأدب والتاريخ بوجه خاص . ولا مجال هنا لضرب الأمثلة والشواهد . . .

لقد كان لهذا الصوت القوي القادم من الهند ، والمفعَم بالحيوية والصدق . والمؤيَّد بالحقائق ووقائع التاريخ . . أثره البالغ لدى أبناء جيلنا في الرد والمناقشة وتصحيح المفاهيم ، وفي تعزيز الثقة بمستقبل الدعوة الإسلامية وحضارة الإسلام . . .

وأذكر : أنَّ أستاذنا محمد المبارك ـ رحمه الله ـ أشار إلى هذه النقطة ـ أو هذه الحجة ـ في محاضراته ، وفي بعض كتاباته كذلك .

---

(١) انظر « ماذا خسر العالم . . . » الباب الخامس ، الفصل الثاني ، ص(٣٧٥) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

وربَّما لاحظ العلاَّمةُ الندوي ذلك وأكثر منه حين نقد الفكر القوميَّ لبعض الأحزاب في كتابه : (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) وقد كان هذا الكتاب في أول أمره رسالةٌ صغيرةٌ قبل أن يتَّسع حجمها في كتاب في وقت لاحق . وأذكر : أن أستاذنا المبارك رحمه الله عُني بهذه الرسالة ، ودفعها إليَّ ذات يوم ، وطلب مني أن أقرأها مشيراً إلى النقاط النقدية المهمة التي وردت فيها ، والتي لم تكن خاصة بالفكر القومي وحده دون سواه ! .

أعودُ لبعض ما كتبه العلامةُ في الفصل المشار إليه قبل قليل : (زعامة العالم العربي) : فبعد أن شرح ـ على نحو علميٍّ وأدبيٍّ دقيقٍ وممتعٍ ـ كيف أنَّ العرب أولاً خرجوا من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ثم كيف أخرجوا الأمم من ضيق الدنيا إلى سعتها آخراً ؛ قال في هذا العالم الإسلامي :

« لقد قام هذا العالَم الكبير على أساس العقيدة الواحدة ، والإيمان العميق ، والصلة الروحية القوية ، وكان أوسعَ عالَمٍ عرفه التاريخُ ، وكانت الشعوبُ التي تكوِّن هذا العالَم أقوى أسرة عرفها التاريخ ، تنصهر فيها الثقافات المختلفة ، والعبقريات المختلفة ، فتكوَّن منها ثقافة واحدة هي الثقافة الإسلامية ، التي لم تزل تظهر في نوابغ الإسلام الذين لا يحصيهم عددٌ ، وفي المآثر الإسلامية ـ بين علمية وعملية ـ التي لا يستقصيها التاريخ » .

وأضاف : « لقد كانت ـ ولا تزال ـ قيادة هذا العالم بجدارة واستحقاق أشرف قيادة وأعظمها وأقواها في تاريخ الزعامة والقيادة . وقد أكرم الله بها العرب لمَّا أخلصوا لهذه الدعوة الإسلامية وتفانوا في سبيلها ، فأحبَّهم الناسُ في العالم حبَّاً لم يُعرف له نظيرٌ ، وقلَّدوهم في كل شيء تقليداً لم يُعرف له نظيرٌ . وخضعت للغتهم اللغاتُ ، ولثقافتهم الثقافات ، ولحضارتهم الحضارات ؛ فكانت لغتهم هي لغة العلم والتأليف في العالم المتمدّن من أقصاه إلى أقصاه ، وهي اللغة المقدّسة الحبيبة التي يؤثرها الناس على لغاتهم التي نشؤوا عليها ، ويؤلّفون فيها

www.abulhasanalinadwi.org

أعظم مؤلَّفاتهم وأحبَّها إلى قلوبهم ، ويُتقنونها كأبنائها وأحسن ، وينبغ فيها أدباء ومؤلِّفون يخضع لهم المثقفون في العالم العربي ويقرّ بفضلهم وإمامتهم أدباء العرب ونقّادهم » .

« وكانت حضارتهم هي الحضارة المثلى التي يتمجّد الناس ويتظرّفون بتقليدها ، ويحثّ علماء الدين على تفضيلها على الحضارات الأخرى ، ويطلقون على كلِّ ما يخالِفُها من الحضارات اسم (الجاهلية) و (العجمية) ، وينهون عن اتخاذ شعائرها ومظاهرها »[1] .

قلتُ : لعلَّ أحداً لم يقرأ درساً أبلغ من هذا الدرس في الرد على الشعوبية والشعوبيين من العرب والعجم أجمعين[2] ، ألا ما أروع هذه الموضوعية ! وأعمق هذا الإيمان ! .

ثم اتسعَ العلامةُ في الحديث عن هذه الصلة بين العرب والإسلام ، وبخاصة من خلال المقالات العديدة التي لم تنقطع ، وهو يتحدَّثُ عن العرب أو يخاطبهم جميعاً في مثل هذه المقالات التالية : « إلى الراية المحمدية أيها العرب » « أجاهلية بعد الإسلام أيها العرب ؟ » أو يخاطبهم بأسماء بلادهم ؛ بلداً في إثر بلد . . . في المقالات التالية : « اسمعي يا سورية ! » ، و« اسمعي يا مصر ! » ، « اسمعي يا زهرة الصحراء ! (الكويت) » . . .

وقد جُمِعَتْ هذه المقالات وغيرها في كتابين قيِّمين يحملان عنوان : « العرب والإسلام » و « إسمعيَّات » وممَّا جاء في مقدمة الكتاب الأول قوله ـ رحمه الله :

« عقد الله بين العرب والإسلام للأبد ، وربط مصيرَ أحدهما بالآخر ، فلا عزّ للعرب إلا بالإسلام ، ولا يظهر الإسلامُ في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العربُ ركبَه ، وحملوا مشعله ، وقد حرص رسول الله ﷺ على بقاء هذا الرباط الوثيق المقدّس بين

---

(١) ماذا خسر العالم . . . ص(٣٩٤ ـ ٣٩٥) .

(٢) راجع فقرة بعنوان (الشعوبية القومية الحديثية) في كتاب « جذور الفكر القومي والعلماني » للدكتور عدنان زرزور ، ص(١٠٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

العرب والإسلام ، فجعل جزيرةَ العرب مركز الإسلام الدائم وعاصمته الخالدة ، وحرص على سلامة هذا المركز وهدوئه وشدّة تمسّكه بالإسلام »[1] .

ولم يفته في هذا الكتاب (العرب . . . والإسلام) أن يتحدّث عن نفسه أو عن عروبته وحبّه للعرب ، فقال رحمه الله :

« إنّني لا أقلُّ من أكبر عربيٍّ يعيش في العواصم العربية في عربيتي ونسبي الصريح وحبي للعرب ، وتضلّعي من ثقافتهم وعلومهم وآدابهم ولغتهم ، وليس أحدٌ من إخواني العرب الأقحاح أولى بالاعتزاز بالعربية منّي ، وأوفر نصيباً مني ، ولكنّ الإسلام أفضل من كلّ نسب ، وأقوى من كل عصبية »[2] .

لا غَرْوَ إذاً أن تكون كتب العلاَّمة الندوي تعلِّم اللغةَ والبيان ، كما تعلّم الدين والثقافة ، أمّا موقع هذه الكتب من الروح والعقل ، فلا شك في أنها تغذّي هٰذين معاً أو في وقت واحد . . وإن كنتُ قد وصفتُ العلاَّمة الندوي في أحد مواسم الحج ـ منذ نحو ربع قرن ـ بأنَّه يمثِّلُ روحَ شبه القارة الهندية ـ ، في حين يمثّل الأستاذ المودودي عقلها . وربما كان اختلاف مناهج العمل بين العالِمين الشيخين الجليلين يعود من بعض وجوهه إلى هذه الطبيعة ، وقلت : إنَّ الفروق بينهما قريبة من الفروق بين السيد جمال الدين ، والشيخ محمد عبده . فقد كانت طبيعة المودودي ، ومنهجه في الدعوة والإصلاح أقرب إلى السيد جمال الدين ، في حين أنَّ طبيعة العلاَّمةُ الندوي ومنهجه أقرب إلى الأستاذ الإمام ، فقد عوّل مثله على إصلاح اللغة العربية ، وعلى التربية والتعليم . والبعد عن السياسة ، أو ما أسماه العلاَّمة : (التفسير السياسي للإسلام) في كتابه الذي يحمل ـ بالعربية ـ هذا الاسم[3] .

---

(١) العرب والإسلام : ص(٤) .
(٢) المرجع السابق : ص(١٥) .
(٣) من مقدمة الدكتور عدنان زرزور لـ « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » بتصرّفٍ يسيرٍ ، (١/) طبع دار القلم بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

موقف العلاَّمة الندوي مِن القومية العربية

في تحليل العلاَّمةُ الندوي لحركة القومية العربية وعواقبها ، كان يرى : أنها أخطرُ من كلِّ الحركات القومية التي ظهرتْ في العالم الإسلامي ؛ لأنَّ الأتراك والإيرانيين والأكراد والأفغان ، كانوا جُزءاً من الملَّة الإسلامية ، ويُعَدُّ انحرافهم انحرافَ ملَّةٍ ، أمَّا العرب فلم يكونوا ملَّةً فحسب ، وإنما كانوا منبعَ الدعوة الإسلامية ، وحَمَلة لوائها الأولين ، ورُوَّادها السابقين ، وكان بلدهم المنبع الأول للإسلام ، ومأواه وملجأه الأخير ، فكان قبولهم لدعوة القومية وانحصارهم في القالب المحدود للقومية والعروبة ، أو احتضانهم لدعوة البعث العربي للقومية ، بدلاً مِن كونهم حَمَلة الدعوة الإسلامية العالمية كارثةً تاريخية ، فإذا كان انحراف الأمم الأخرى ، انحرافاً لها وحدها ، كان انحراف العرب تحريفاً ، لذلك فإنَّ القلق والهمَّ اللذين يساوران النفوس ، والحذر الذي يُطير النوم عن عيون المحبِّين للدين والعاملين له والمهتمِّين به ، لا يُستغرب ، ولا يُثير الدهشةَ والتساؤل ، بل العكس ، فعدم الاضطراب على هذا الحادث الأليم ، يدلُّ على عدم الشعور بضخامته ووخامة نتائجه[1] .

وكان يرى العلاَّمة الندوي ـ في هذا السِّياق ـ : أنَّ عدم مبالاة بعضهم بخطورة حركة القومية العربية الخائنة للإسلام ، والمنفصلة عنه ، تقود إلى عدم معرفة هؤلاء الناس البُسَطاء بحقيقة أفكار دعاة القومية العربية ، وبعجزهم عن إدراكها ؛ وذلك لأنَّ عدداً قليلاً من العلماء وحملة الدِّين هم الذين يتمكَّنون من دراسة منشورات القومية العربية الموثوق بها ، وتُتاح لهم فرصة السماع والقراءة للأحاديث والبيانات والتقارير الصُّحفية لقادة تلك الحركة وزعمائها، أمَّا الفئة التي تكتفي بالتصفُّح للجرائد والمجلاَّت الصادرة من الدُّوَل التي تعبِّر عن هذه الأفكار والاتجاهات ، فتقتصر معرفة هذه الفئة من الناس على معلومات سطحية طافحة ، وتعتمد على بيانات سياسية في أغلب الأحوال[2] .

---

(١) الخطر الأكبر على العالم العربي : للعلاَّمة الندوي ، ص(١٤) .

(٢) المرجع السابق : ص(١٥ ـ ١٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

وبالتَّالي لا يُدرِكون مدى خطورة الدعوة للقومية العربية ، وتوغُّلها في النفوس ، وتأثيرها وأبعادها ، وأهدافها ، وغاياتها ، وإلى أيِّ مدى سَرَتْ فيها عدوى الإلحاد واللاَّدينية ، وتفاقمَتْ ، وما هي انعكاسات هذه الدعوة على قلوب الشَّباب والمثقَّفين الذين تأثَّروا بأهدافهم التي يعبِّرون عنها ويجهرون بها : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[1] [آل عمران : ١١٨] .

وكما يقول الكاتبُ الإسلاميُّ الموسوعيُّ النابهُ الأستاذ أنور الجندي : « فإنَّ الأستاذ الندوي لم يُهاجِم شيئاً في عنفٍ وقوَّةٍ ، كما هاجَمَ الاتجاهَ العربي إلى القومية الضيِّقة والعصبيَّة اللاَّإسلامية ، التي تمثَّلت في ذلك التيَّار العنيف الذي أراد أن يضربَ الإسلامَ بالعرب ، والعربَ بالمسلمين ضرباً قويّاً[2] .

ـ ويتساءل العلاَّمةُ الندوي : هل كان للعرب أن يمثِّلوا هذا الدورَ العظيم ، وأن يشغلوا سمعَ الزمان ، وأن يغيِّروا مجرى التاريخ لولا هذه الرسالة السماوية التي تسمَّى بالإسلام ، ولولا هذا الكتاب العظيم الذي يُعرف بالقرآن ، ولولا تبنِّيهم لهذه الدعوة الجديدة وجهادهم في سبيلها[3] ؟!!

ـ ولم يتوقَّف العلاَّمةُ الندوي عن مقاومة هذا الاتجاه القومي اللاَّديني ، كاشفاً زيفَه في كلِّ مكانٍ وكلِّ خطابٍ ، كاشفاً ـ في الوقت نفسه ـ عن ذلك العقد الربَّانيّ الأبدِيّ بين العرب والإسلام . . . يقول :

« لقد عقد الله بين العرب والإسلام للأبد ، وربط مصيرَ أحدهما بالآخر ، فلا عزَّ للعرب إلا بالإسلام ، ولا يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العربُ رَكْبَهُ وحملوا مشعلَه ، وقد حرص رسولُ الله ﷺ على بقاء هذا الرباط الوثيق المقدَّس بين العرب والإسلام ، فجعل جزيرةَ العرب مركزَ الإسلام الدائم وعاصمته الخالدة ، وحرص على سلامة هذا المركز وهدوئه وشدَّة تمسُّكِه بالإسلام ؛ لأنَّ العاصمة يجب أن تكون بعيدةً عن كلِّ تشويشٍ وفوضى وصراع ، وظلَّ العربُ والإسلام زميلَين مترافقَين ، وأخلَصَ كلٌّ منهما للآخر ، وأقسَمَ ألا يُفارقه ، وعاش العربُ وعزُّوا

---

(١) الخطر الأكبر على العالم العربي : ص(١٦) .
(٢) أعلام القرن الرابع عشر الهجري : (١/ ٤١٦ ـ ٤١٧) .
(٣) المرجع السابق : (١/ ٤١٦ ـ ٤١٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

بالإسلام وسادوا الدنيا ، وانتشرت لغتُهم وثقافتهم في بلاد وأقطار وبيئات لم تكن تنتشر فيها ويرسخ قدمها لولا الإسلامُ ولولا القرآن ، واتخذها العلماءُ والأذكياء لغةَ دينٍ ، وعلمٍ ، وتأليفٍ ، ولم يكونوا فاعلين ذلك لولا أنها لغةُ الإسلام الرسمية ، ومفتاح المكتبة الإسلامية[1] .

والإنسانُ يعجب ويشارك العلاَّمةَ الندوي العجب في أمر هؤلاء القوميِّين العرب ، الذين يريدون حصرَ القومية في نطاقها العنصريِّ الضيِّق ، ويقطعون صلتَهم بالمسلمين الذين يتعبَّدون بالارتباط بهم ، ويشعرون بالمنَّة نحوهم ، ولا يُنازِعونهم القيادةَ إذا ملكوا مؤهِّلاتِها ، وحملوا رايةَ الإسلام . . رايةَ عزِّهم ومجدِهم .

ويضرِبُ العلاَّمةُ الندوي أمثلةً رائعةً تدلُّ على هذا الارتباط العميق بالعرب ، وهذا التقدير الإسلامي العام للغتهم . . لغة القرآن الكريم . . التي هي فيصل الارتباط بالعروبة المؤمنة ، التي لا تقوم على الجنس بمعناه العنصري ، بل على رابطة الفكر واللِّسان ، وما يفرزانه ، من عقيدةٍ ومنهجِ حياةٍ وغايةٍ .

وفي يوليو سنة ١٩٧٨م في كراتشي بباكستان التقى العلاَّمة الندوي بالعلاَّمة المحقِّق البحَّاثة اللغوي : الشيخ عبد العزيز المَيْمَني الرَّاجْكُوْتي[2] صاحب « سمط اللآلىء » ، وأحد أعضاء لجنة تصحيح « لسان العرب » لابن منظور ، فسأله العلامةُ الندوي : كم تحفظ مِن شعر العرب ؟ فأجابه : أحفظ بين خمسة وسبعين ألف بيتٍ ومئة ألف بيتٍ . . . فهل يُوجَد في العالَم كلِّه من يحفظ من لغةٍ ليست لغتَه اليومية ولا القومية هذا القدرَ من الشعر . . اللَّهم إلا نموذج هذا المسلم العظيم الذي يرتبط بالعروبة ثقافةً وديناً . . . ؟!!

وهل كان يُمكِن أن تكون اللغة العربية البدوية لغةً عالمية إلا بنزول القرآن الكريم بها . . . كما قرَّرَ الكاتب النصراني جورجي زيدان وغيره[3] .

فما مصلَحةُ العرب في قطع الوشائج الإسلامية ، وترك هذا الرصيد الثقافي الهائل الذي يرتبط بلغتهم لارتباطها بالإسلام .

---

(١) أعلام القرن الرابع عشر الهجري : (١/٤١٨) .
(٢) قد سبق ترجمتُه في الباب الثاني ، الفصل الرابع ، ص(٢٥٨) .
(٣) انظر المحاضرة بعنوان : « معجزة الإسلام الخالدة » في محاضرات إسلامية . . . » (١/٢٠٥).

www.abulhasanalinadwi.org

ويقدِّم العلامةُ الندوي مثالاً آخر لهذه الدائرة الفسيحة للغة العرب وثقافتهم في ظلِّ ارتباطها بالإسلام ، فينقل عن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدِّهْلَوي (المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي) المتوفَّىٰ ١١٧٦هـ في رسالته التي أسماها : « المقالة الوضيّة في النصيحة والوصية » .

قوله : « نحن رجالٌ غرباء ، هاجرَ آباؤنا إلى الهند ، وإنَّ عربية النسب وعربية اللِّسان مفخرتان لنا ، وهي التي تقرِّبنا إلى سيِّد الأوَّلين والآخرين ، وأفضل الأنبياء والمرسلين ، ومفخرة الوجود ﷺ ، السعيد منَّا مَن حصلَتْ له مشاركةٌ في لسان العرب والصرف والنحو ، وكُتُب الأدب ، واطَّلع على الحديث والقرآن ، ولا بدَّ لنا مِن حضور الحرمَين الشريفين ، وتعلُّق القلب بهما ، وفي ذلك سِرُّ سعادتنا ، والشقيُّ مَن أعرَضَ عنهما »[1] .

ويعلِّق العلامةُ الندوي على هذه الوصية الطيبة قائلاً :

أين رابطةُ الشعوب والبلاد بلُغات حكَّامهم ، ومستعمريهم ، أو باللغات التي لا يتصلون بها إلا عن طريق السياسة ، أو الثقافة ، أو الاقتصاد من هذه الرابطة التي تقوم على العقيدة والإيمان والحبِّ والغرام ؟[2] .

ولذلك لمَّا سُمِحَ بالأذان باللغة العربية في تركيا ـ وكان ذلك ممنوعاً في عهد أتاتورك ـ خرج الأتراكُ من بيوتهم ، وبدؤوا يرقصون فرحاً ، وذُبِحت مئاتٌ من النعاج شكراً وسروراً بأنَّ الله مدَّ في حياتهم حتى أدركوا هذا اليومَ السعيد ، وسمعوا الآذانَ العربي في لغة نبيِّهم التي كان يؤذِّن فيها بلال ، وأبو مَحْذُورَة ، وابن أمِّ مَكْتُوم ، والذي كان يدوِّي على منابر مساجدهم قبل أن يصدر هذا الحكم القاسي السفيه .

هذا هو الرِّباطُ الذي يربطُ الشعوبَ بالعرب ، وهو الذي تضمره قلوبُ غير العرب للعرب ، وهو نابعٌ عن شعورٍ واحد ، وهو الشعور بعظم نعمة الإسلام وضخامتها التي جاءتهم عن طريق العرب ، إنَّهم ينظرون إليهم كحاملي رسالة الإسلام ، وناقلي

---

(١) محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة : (١/ ٢٠٦) .
(٢) المرجع السابق : (١/ ٢٠٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

التعاليم الإسلامية ، ينظرون إليهم كالمُنقِذ من الضلال ، وكالمُخرِج من الظلمات . . . ذلك الذي رفعكم أيُّها العرب إلى مستوى القيادة العالمية ، فهل تتخلَّون عن هذه المنزلة الرفيعة ، وتنزَّلون إلى مستوى القوميات ، والعصبيات ، والنظريات الضيِّقة ، والقوانين التي تتغيَّر صباحَ مساء[1] .

---

(١) محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة : (١/ ٢٠٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

دعوة العلاَّمة الندوي

إلى العرب لقيادة سفينة الإنسانية

احتلَّ اهتمامُ العلاَّمة الندوي بشخصية النبي محمد ﷺ ، وبالجيل العظيم الَّذي صنعه الرسولُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، وجُلُّهم من العرب ، مساحة كبيرة من فكره !! .

ومن خلال الطُّرق الفنية غير المباشرة أحياناً ، وبوسائل صريحة مباشرة في أحيان أخرى كان العلاَّمةُ يشير إلى أنه لا يكتب التاريخ مجرداً ، ولا يكتبه لكي يقدم دراسة تاريخية جامدة ، كما أنه لا يكتب عن سيرة الرسول ﷺ لمجرّد البواعث العلمية والتاريخية ، وكذلك هو لا يقدِّم تاريخ الصحابة لغاية ثقافية ومعرفية . . . بل إنه يكتب في ذلك كله لغايات تربوية ، وأهداف تعليمية ، ولكي يستوعب العرب القيمةَ الحقيقيةَ للإسلام ، ويربطوا بالتالي ماضيهم الإسلامي العظيم بحاضرهم ، وليدركوا إمكانات الإقلاع الحضاري ، وقواعد الانطلاق الصحيح .

إنَّ على هؤلاء العرب ـ كما يؤكِّد العلاَّمةُ ـ أن يدركوا : أنهم بدون محمد ﷺ ، والقرآن الكريم ، ما كان بإمكانهم أن يصنعوا هذا التحوّل الخطير في التاريخ !! .

وفي كثيرٍ من المواضع والمواقع كان ينقل ـ رحمه الله ـ كلماتِ جعفر بن أبي طالب للنجاشي ، وغيرها من تلك الكلمات التي تصف وضع العرب قبل الإسلام ، وذلك لكي يدرك العرب عظمَ التحول الَّذي أحدثه الإسلامُ فيهم .

ولئن كان بعضُ المثقفين والمفكرين العرب من أصحاب الثقافة الضحلة أو الوافدة المغلوطة ، ما زالوا يتحدَّثون عن علاقة العرب بالإسلام بطريقة مشوَّهة ، غير مدركين للتحولات الكبرى التي صَنَعَها الإسلام في تاريخ الحضارات . . . فضلاً عن سيرتهم هم أنفسهم . . .

فإنَّ العلامةُ الندوي ـ كان على العكس من ذلك ـ لقد كان مدركاً تمام الإدراك

www.abulhasanalinadwi.org

للأثر العظيم الَّذي أحدثه الإسلام في حياة العرب ، ولعظمة ما أعطاه العرب والمسلمون الأول ـ بالإسلام ـ للتاريخ البشري . . .

وفي مواقع كثيرة من كتبه ورسائله يفصِّل العلاَّمةُ ما أعطاه الرسول ﷺ كمثلٍ أعلى للتاريخ والإنسانية والحياة من حلول للألغاز الكبرى ، ومن إبراز لقيم الخير المطلقة ، وإحياء للحقائق العليا والموازين القويمة الَّتي تاهت عنها البشريةُ .

لقد كانت أولُ مآثر الرسول ﷺ : أنه أغمد ذلك السيف المصلَّت على رقبة الجيل البشري الَّتي كانت كل لحظة تنذر بفنائه وانقراضه ، ووهبه ﷺ ، هدايا غالية ، وتحفاً ثمينة أعادت إليه حياة جديدة ، وشحنته بهمة عالية ، وقوة فتية ، وعزَّة كريمة ، ومنحته هدفاً عالياً جديداً لمرحلته الشاقة الطويلة ، بدأ بعهده الميمون السعيد دورٌ جديدٌ للإنسانية ، والحضارة ، والمدنية ، والعلوم ، والفنون ، والإخلاص ، والروحانية ، وبناء الإنسان من جديد . . .

إنَّه الله قدَّم للمجتمع البشري ثروةً عظيمةً تعتمد عليها الإنسانية لخيرها ورشدها وبركتها وتستفيد منها المدنية لازدهارها ورقيها[1] .

وفي شمول وإيجاز رائعين يلخِّص العلاَّمةُ الندوي : « القِيم العليا » و « المبادىء المطلقة » الَّتي أعطاها الإسلام للتاريخ والحضارة البشرية والتطور الإنساني ، ونشرها العرب الأسلاف ـ بفكرهم وسلوكهم وجهادهم بين الناس ـ في مبادىء عشرة ، يصح أن تسمّى : « الإعلان الإسلامي العالمي للرقيّ البشري والوحدة الإنسانية » . . . وهذه القِيمُ والمبادىء المطلقة هي :

١ ـ عقيدة التوحيد النقية .

٢ ـ مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية .

٣ ـ إعلان كرامة الإنسان وسموه .

٤ ـ ردُّ الاعتبار إلى المرأة ومنحها حقوقها وحظوظها .

٥ ـ محاربة اليأس ، والتشاؤم ، وبعث الأمل ، والرجاء ، والثقة .

---

(١) انظر المقال بعنوان « محمد ﷺ الرسول الأعظم . . . » في « مقالات حول السيرة النبوية » للعلامة الندوي ، ص(١٤١) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

٦ ـ الجمع بين الدنيا والدين .

٧ ـ إيجاد الرابط المقدَّس الدائم بين الدين والعلم .

٨ ـ استخدام العقل والانتفاع به حتى في القضايا الدينية ، والحثُّ على النظر في الأنفس والآفاق .

٩ ـ حمل الأمة الإسلامية ـ والعرب طليعتها ـ على قبول مسؤولية الوصاية على العالم ، والحسبة على الأخلاق والاتجاهات .

١٠ ـ الوحدة العقائدية الحضارية العالمية « في إطار الإيمان بالتنوع ، والحوار المنهجي بين الأفكار ، وضمان حرية العقيدة »[1] .

ويرى العلاَّمةُ : أن التقاء البشرية ممثلةً في صفوتها المفكرة ، وعقولها المبدعة على هذه المبادىء العشرة ضرورة لاستمرار الحضارة الإنسانية في مستواها الإنساني ، وضرورة لحفظ الحضارة الإنسانية ، ولتهذيب عوامل الصراع بين فروع الجنس البشري ، ولتحقيق نوع من التفاعل البناء بينها .

يقول العلاَّمة :

« إنَّ قوام هذا العالم المتحضر وبقاءه ، وقيمة الحضارة ، والتاريخ ، والأخلاق ، والأدب ، والشعر ، والفن ليست إلاَّ في الاعتراف بالحقائق الثابتة ، والتسليم للواقع ، وإظهاره ، والتعبير عنه ، وتقدير الفضل والكمال والإشادة بهما ، وشكر المحسنين وأصحاب الفضل والعطاء والاعتراف بمنَّتِهم . وحين يتجرَّد هذا العالم ، من الآداب والأخلاق فلا لذَّة في العيش في هذا العالم ولا كرامة ، وتتحول الدنيا إلى حظيرة للوحوش والأنعام السائمة ، حيث لا يبقى من الدوافع ، والقوى المحركة إلاَّ شهوة ملء البطون وقضاء المآرب الجنسية والأهواء والنزعات الحيوانية ، ولا تبقى أية صلة بين الأستاذ والتلميذ ، والمعطي والآخذ . والمريض والطبيب ، حتى بين الأبناء

---

(١) مقالات حول السيرة النبوية : ص(١٤٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

والآباء والأمهات ، ولا يبقى أيُّ شعور بالفارق بين النَّاهب والحارس ، والخائن والأمين »[1] .

عندما يتحدَّث العلاَّمةُ عن أمجاد العرب العلمية إنما يتحدَّث عنها كنفحة من نفحات النبوة المحمَّدية والنبي الأمِّي ، وذلك لتذكير العرب بهذا المجد حتى يعرفوا معالم الطريق المحدد لهم للإقلاع الحضاري ـ فلا طريق لهم إلا طريق محمَّد والإسلام ـ فإنَّ الحماس العلمي العربي إنما انبثق من النبوة المحمدية ومن تعاليمها ، وبتوجيه الإسلام انطلقت حركة علمية عالمية خالدة مساحتها الزمنية أكبر من مساحتها المكانية ، ومساحتها المعنوية أوسع من كلتا المساحتين . . . ويؤكِّد العلاَّمةُ أقواله في هذا السياق بشهادة للباحث الغربي المؤرِّخ الفرنسي الدكتور غوستاف لوبون ، الَّذي يقول في كتابه المشهور : « حضارة العرب » :

« والإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث ، وإذا كانت هنالك أممٌ تتساوق هي والعرب في ذلك ، فإنك لا تجد أمةً فاقت العرب ، فالعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة ؛ صرفوا همَّهم إلى إنشاء مسجد ، وإقامة مدرسة فيها ، وإذا ما كانت تلك المدينة كبيرة أسَّسوا فيها مدارس كثيرة ، ومنها المدارس العشرون التي روى (بنيامين التطبلي) (م ١١٧٣م) أنه شاهدها في الإسكندرية ، وهذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة . . . إلخ ، على جامعات مشتملة على مختبرات ، ومراصد ، ومكتبات غنية ، وكل ما يساعد على البحث العلمي . . ، وكان للعرب في إسبانية وحدها سبعون مكتبة عامة . . . وكان في مكتبة الخليفة الحكم المستنصر (م ٣٦٦هـ) بقرطبة ستمئة ألف كتاب ، منها أربعة وأربعون مجلداً من الفهارس ، كما روى مؤرِّخو العرب ، وقد قيل بسبب ذلك : إنَّ شارل الحكم لم يستطع بعد أربعمة سنة أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسعمئة مجلد ، يكاد ثلثها يكون خاصاً بعلم اللاهوت »[2] .

إنَّ هذه التجربة النبوية الكريمة ، وهذا الجيل الَّذي ربَّاه محمد ﷺ وفتح به

---

(١) مقالات حول السيرة النبوية : ص(١٤٢) .

(٢) حضارة العرب : ص٣٤٣ ، نقلاً عن مقالٍ « جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردية » في « مقالات حول السيرة النبوية » ص(٢٤٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

العالم . . . وهذه المبادىء والقِيم المطلقة الَّتي جاء بها الإسلام ، وكلَّف العرب بأن يكونوا طليعة إبلاغها . . . هذا كلُّه يُلزم العرب المعاصرين أمام الله ، ثم أمام التاريخ والإنسانية أن يتقدَّموا لاستئناف حمل راية الحضارة الإنسانية ، فهم مصطفون إلى يوم القيامة لهذه الغاية ، ولا سبيل إلى سعادتهم أو رفعتهم بغير هذا الطريق ، ومهما جرَّبوا من طُرُقٍ أخرى ، فلن يتحقق لهم شيء إلا إذا مزجوا الإسلام بعقولهم وقلوبهم وجعلوه الروح والدم والقلب لكلِّ حركاتهم وأجسادهم . . !! .

ولئن كانت أجناسٌ أخرى قد سيطرت على العالم عن طريق الغزو والغلب ، أو عن طريق العبقرية العقلية ، فإنَّ العرب ما دخلوا التاريخ إلا عن طريق الإسلام وحده ، فلم يغرس الله حبهم في النفوس والقلوب ، ولم تنتشر لغتهم هذا الانتشار الواسع ولم يكتب لها الخلود والبقاء ، ولم تدوَّن بها العلوم الكثيرة . . . لم يتحقق كل ذلك إلا بفضل القرآن الكريم والشريعة الإسلامية .

وليس أمامَ العرب ، كي يدخلوا التاريخ ، ويقودوا سفينة الإنسانية إلا عن طريق : « الرسالة والهداية والرحمة للإنسانية ، والخدمة المخلصة المجردة عن الأغراض ، وكما كان أمرهم مع الحضارة والتاريخ في الماضي ، فإنَّهم ـ كذلك ـ لن يدخلوا التاريخ مرةً أخرى إلا من هذا المدخل الَّذي دخلوا منه أولَ مرةٍ »[1] .

---

(١) انظر المحاضرة بعنوان « كيف دخل العربُ في التاريخ ؟ » في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (٢/ ١٧٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

موقف العرب من المدنية الأوربية
في فكر العلاّمة الندوي

كان موقفُ العرب خلال القرنين الأخيرين من الحضارة الأوربية بشقيها المادي الشيوعي ، والمادي العلماني مناطَ اهتمام العلامةِ الندوي فكراً وحديثاً ، وجهاداً ودعوةً .

وكان يُؤلِمه : أنَّ هؤلاء العرب الّذين حكمت قِيمُهم وعلومهم الدنيا عشرة قرون ، ينسحقون هذا الانسحاق الشنيع ، ويركعون هذا الركوع الذليل المخجل ـ حكّاماً ومثقّفين ـ أمام هذه المدنية الأوربية ، والحضارة الغربية التي يسمّيها العلاّمةُ « بالمسيح الدجّال » .

لقد أحزنه موقفهم هذا كلّ الحزن ، لكنه لم ييأس ، ولم يستسلم ، بل جرَّد فكره وقلمه ، وقدَّم دراسات كثيرة يفضح فيها هذه الحضارة المادية الأوربية ، ويقارن بينها وبين الحضارة الإسلامية ويتتبع نواحي السقوط في الحياة العربية ، وأبطال هذا السقوط من حكام ومفكرين شيوعيين وعلمانيين وماديين وقوميين[1] .

وهو في كلِّ ذلك يقدِّم الأدلة الناصعة ، والحجّة المستقاة ، والبراهين الكاشفة من ماضي المسلمين ، ومن حاضر الأوربيين ، ومن نتائج الذوبان والتبعية في المجالات السياسية والميادين العسكرية والحضارية . . . وهي نتائجٌ مُرَّةٌ ، وهو حصادٌ أليمٌ . . . أضاع على العرب والمسلمين ثرواتٍ هائلةً وسنواتٍ طويلةً ، جلب إليهم هزائم مخزية ، وجَعَلَ بأسهم شديداً بينهم ، وجعل رحمتهم تتجه كلها إلى أعداء دينهم

---

(١) إقرأ في ذلك ما كتبه العلامة الندوي من كتبه ورسائله ، خاصةً « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية » طبع الدار الشامية ـ بيروت ، و« أبحاث حول الحضارة الإسلامية والغربية » طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

وأوطانهم ، بينما تكاد شدتهم تنحصر في إخوانهم الَّذين يحكمونهم ، أو مع إخوانهم الَّذين يجاورونهم ، فيما يسمَّى بالخلافات على الحدود والسيادة الوطنية !! .

كانت مصر في طليعة البلاد العربية التي رصد العلاَّمةُ الندوي الصراع بين الإسلام والتغريب فيها . وقد تتبع ـ رحمه الله ـ رحلة التغريب في مصر منذ عصر محمد علي باشا ، والخديوي إسماعيل ، وحفر قناة السويس التي وصلت الشرق بالغرب لصالح الغرب !! .

ولم يفت العلاَّمة أن يلمع هنا إلماعةً رائعةً تدلّ على إدراكه العميق لمسؤولية مصر ومكانتها ، حين دعا مصر ـ في حديثه المشهور « اسمعي يا مصر » ـ إلى أن تحفر قناة جديدة أفضل من قناة السويس ألف مرة ، وأعود منها على الشعوب الإنسانية بالخير والسعادة ، وأعمق منها تأثيراً في اتجاه العالم ومصير الشعوب والأمم ، وأوسع تاثيراً في التاريخ الإنساني ، هي قناةُ التعارف الصحيح المتبادل المتوازن بين الشرق والغرب ، قناة تصل الشرق المتخلِّف في العلوم الطبيعية والصناعات المفيدة بالغرب الذي قد بلغ الذُّروة فيها ، وتصل الغرب بالحائر المتخم بقوته المادية ، والمفلس في الروح والأخلاق واليائس المتشائم ، السالك في سبيل الانتحار ، بمنابع الرضا والهدوء والأمن العاطفي . والثقة المتبادلة ، والأمل القوي في مستقبل الإنسان الكامنة في رسالات الشرق الدينية والروحية التي يمثلها الإسلام في شكلها الكامل النهائي . وتصل وسائل الغرب الهائلة الجبارة المكدسة التي لا تعرف غاية بغايات الشرق النبيلة الكريمة الرحيمة التي لا تمل وسلية ، تصل الغرب الذي يستطيع ولا يريد ، بالشرق الذي يريد ولا يستطيع ، فيفيض كلُّ واحد منهما على الآخر أفضل ما عنده ، ويتعاونان ـ تعاون الشقيقين ـ في إسعاد البشرية ، وتهذيب المدنية . هذا القناة الثقافية العقلية لو تحققت وظهرت إلى الوجود ؛ كانت فتحاً جديداً في العالم ، ومأثرة تاريخية تشغل أعظم مكان مشرف في التاريخ الحديث ، وتكسب لمصر الزعامة الخالدة ، وأشرف مركز تطمح إليه القلوب والأبصار .

لكنَّ مصر ـ كما هو معروف في التاريخ وكما رصد العلاَّمةُ الندوي ـ تميَّزت بموقف ضعيف تقليدي ، على الرغم من محاولات السيد جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، والإمام حسن البنا ، فقد استطاع تلامذةُ أوربَّة المتخرجون من جامعاتها أن يعكروا صفوَ الوصول إلى صبغة حضارية صحيحة للنهضة ، وأجَّجوا

www.abulhasanalinadwi.org

الصراع مع الأزهر ، ومع دعاة الحلّ الحضاري الصحيح الَّذي يقوم على (التحديث) في ظلِّ الإسلام ـ كما فعل اليهود واليابانيون وغيرهم ـ بدلاً من (التغريب) القائم على الذوبان ، والتبعية ، والإلحاد ، والانحلال .

وتتبَّعَ العلاَّمةُ الندوي المدَّ التغريبيَّ العلمانيَّ الماديَّ في سورية والعراق ؛ الَّذي سيطر عليهما ، واللَّتان كانتا حواضرَ لأعظم وأكبر خلافتين إسلاميتين بعد الراشدين !! وقد رزئت (تونس) بالرئيس « الحبيب بورقيبة » الَّذي حكمها بعد استقلالها سنة ١٩٥٧م لنحو ربع قرن ، وكان من أكثر الحكام صراحةً في التجرؤ على القرآن الكريم الَّذي لم يقرأه ، وفي الانتقاص من الإسلام الَّذي لم يعرفه ، والَّذي لم يكلف نفسه مشقة التعرف عليه ، بينما كان يستجيب لأقوال المنصرين ، والمستشرقين ، وتلامذة الكنيسة الفرنسية كما يستجيب التلميذ لأستاذه ، والابن لأبيه دون إعمال فكر .

ولقد اتضَحَ من تصرفات بورقيبة وبياناته كما يذكر العلاَّمةُ الندوي : أن الرئيس بورقيبة (الذي رمى القرآن بالتناقض ، والرسول بالبداوة ، والمسلمين بالوثنية ، وعبادة محمد ﷺ) كان يعاني من مركب النقص والتبعية الفكرية ، حيث لم يدرس أيَّ علم من العلوم الإسلامية ، وفي الوقت الذي لم يستطع فيه أن يفهم كلياً الاعتراضات والشكوك التي أثارها الناقدون ، وتدل الأفكار التي أعرب عنها الرئيس بورقيبة حول حياة النبي ﷺ ، والعقائد الإسلامية ، وطرق العبادة ، على أنه لا يختلف مع المبادىء الأساسية للإسلام والشريعة فحسب بل إنه يريد أيضاً أن يقود مسلمي تونس إلى نفس الجهة ، ويثير شكوكاً ، وريباً في قلوبهم .

ولئن كان الرئيسُ بورقيبة قد تخصَّصَ لربع قرن في الهجوم على القرآن ، فإنَّ العقيد مُعَمَّر القذَّافي الَّذي قاد انقلاباً عسكرياً ضدَّ الحركة السنوسية الجهادية الإصلاحية في ليبيا ، قد تخصَّص في الهجوم على السنَّة ، مع أنه بدأ حكمه بمحاولة خداع الأمة عن طريق بعض الإجراءات التي نظر الجميعُ إليها على أنها لصالح الإسلام والعروبَة ، لكنها كانت محاولة لتثبيت الأقدام ، وخداع الجماهير المسلمة ، فلم تكد تمر سنواتٌ قليلةٌ استطاع فيها إحكام ديكتاتوريته العسكرية على الشعب الليبي المسكين ، حتى كشف عن مهمته وبدأ يقوم ببعض حركات ساذجة لا تدلُّ على اتزان في الفكر داعياً الناس إلى قبول الأحاديث النبوية في دائرة العبادات فقط ، أمَّا الأحاديث الأخرى الَّتي تتناول مختلف مجالات الحياة الإنسانية ؛ فلا يمكن ـ عنده ـ تطبيقها على الحياة

www.abulhasanalinadwi.org

المعاصرة ، وكما يقول العلاَّمةُ الندوي ، فإن القذَّافي إنما يريد من ذلك حصر الإسلام في العبادات المحدودة ، ليقطع صلة الإسلام المستمرة بالحياة على غرار النصرانية .

وهكذا عرض العلاَّمةُ الندوي لهذه التيارات التغريبية التي انتظمت الجزائر والمغرب وليبيا وغيرها مبيِّناً التخصص الدقيق لكل حاكم مسلم في الإجهاز على الإسلام من زاويته ، ومن ثم قدَّم ـ رحمه الله ـ نماذج رائعة في الوقوف ضدَّ هذه التغريبية ، كان من أبرزها وأعظمها النموذج الَّذي قدَّمه شاعر الإسلام الكبير محمّد إقبال ، الَّذي كان يقول في الحضارة الغربية :

« إنَّ من شعار هذه الحضارة الغارة على الإنسانية والفتك بأفراد النوع البشري ، وإنَّ شُغلها الدائم التجارة ، إنَّ العالم لا يسعد بالسلام والهدوء وبالحبِّ البريء النزيه والإخلاص لله إلا حين تنهار هذه الحضارة الجديدة .

وهو يناشد الإنسانَ المسلمَ أن يلتفت إلى حقيقة النعومة والفتنة في هذه الحضارة الداعرة ، فيقول له :

« إيَّاك والحضارة اللاَّدينية التي هي في صراع دائم مع أهل الحق ، إنَّ هذه الفتانة تجلب فتناً ، وتعيد اللاَّت والعزى إلى الحرم ، إنَّ القلب يعمى بتأثير سرحها ، وإنَّ الروح تموت عطشاً في سرابها ، إنَّها تقضي على لوعة القلب ، بل تنزع القلب من القالب ، إنها لِصٌّ قد تمرَّن على اللصوصية ، فيُغير نهاراً ، أو جهاراً ، وإنَّها تدع الإنسان لا روح فيه ، ولا قيمة له .

إنَّها حضارة شابَّة ـ بحداثة سنِّها ، والحيوية الكامنة فيها ـ ولكنها محتضرة تعاني من سكرات الموت ، وإنْ لم تمت حتف أنفها ، فستنتحر ، وتقتل نفسَها بخنجرها »[1] .

يشخِّص العلاَّمة الندوي في غير موضعٍ من كتبه ومؤلَّفاته أسبابَ نجاح محاولات تغريب المسلمين ، ووسائل علاج هذا المرض الخبيث ، وينتهي إلى دعوة العرب

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية : للعلامة الندوي ، ص(٢١٠ ـ ٢١١).

www.abulhasanalinadwi.org

والمسلمين إلى ما يسمِّيه : « بالموقف الثالث » وهو الموقف الَّذي يأخذ من الحضارة الغربية بعض ما توصَّل إليه العلم والصناعة بعيداً عن الأفكار والقِيَم والمفاهيم والمثل وصبغ الحياة بطريقة مادية ، وذلك على النحو الَّذي بسطه المفكِّر المسلم (اليهودي سابقاً) الأستاذ محمد أسد في كتابه « الطريق إلى مكة » حيث تتوافر لرؤيته التي ارتضاها العلاَّمةُ معه ، يقول الأستاذ محمد أسد :

« إنَّ عالمي الإسلام والغرب لم يكونا يوماً أقرب أحدهما من الآخر ، كما هو اليوم ، وهذا القرب هو صراع ظاهرٌ وخفيٌّ ، ذلك أن أرواح الكثيرين من المسلمين والمسلمات لتتعفَّن رويداً رويداً تحت تأثير العوامل الثقافية الغربية ، إنهم يتركون أنفسهم يبتعدون عن اعتقادهم السابق ، بأن تحسين مقاييس المعيشة يجب ألا يكون سوى واسطة لتحسين أحاسيس الإنسان الروحية ، وإنهم يسقطون في وثنية « التقدُّم » نفسها التي تردىٰ فيه العالم الغربي ، بعد أن صغَّروا الدين إلى مجرد صلصلة رخيمة في مكان ما من مؤخرة الأحداث ، ولذلك تراهم يصغِّرون مقاماً ولا يكبِّرون ذلك أن كل تقليد ثقافي ـ بخلاف الخلق والإبداع ـ لا بدَّ أن يحقر الأمة ، ويقلِّل من شأنها .

والمسلمون إذ تبنَّوا ـ كما هو من واجبهم أن يفعلوا ـ الطريق والوسائل الحديثة في العلوم والفنون الصناعية لا يفعلون أكثر من اتباع غريزة التطور والارتقاء التي تجعل الناس يفيدون من خبرات غيرهم ، ولكنهم إذا تبنَّوا ـ وهم في غير حاجة إلى أن يفعلوا ذلك ـ أشكال الحياة الغربية والآداب والعادات والمفاهيم الاجتماعية الغربية ؛ فإنهم لن يفيدوا من ذلك شيئاً ، ذلك أنَّ ما يستطيع الغرب أن يقدِّمه لهم في هذا المضمار لن يكون أفضل وأسمى مما قدَّمته لهم ثقافتهم نفسها ، ومما يدلُّهم عليه دينهم نفسه[1] .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : ص(٢١٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

ولو أنَّ المسلمين احتفظوا برباطة جأشِهم ، وارتضوا الرقيَّ وسيلةً لا غايةً في ذاتها ؛ إذاً لما استطاعوا أن يحتفظوا بحرِّيتهم فحسب ؛ بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسانَ الغرب سِرَّ طلاوة الحياة الضائع »[1] .

ولقد تعدَّدت دراسات العلامةِ الندوي ضدَّ هذه الغارة التغريبية والمادية ، ومن هذا الدراسات كتبه الهامة ، وعلى رأسها كتابه : « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية » وكتابه « ردَّةٌ ولا أبا بكر لها ! » و « الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي » و « حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي » و « الأمَّة الإسلامية : وحدتُها ووسيطتها وآفاق المستقبل » .

فكلُّ هذه الدراسات تصب مباشرةً في هذه القضية المذكورة الخطيرة .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : ص(٢١٢).

www.abulhasanalinadwi.org

مساعي العلاَّمة الندوي

إلى التفاعل مع الأمراء والرؤساء والقادة العرب

على الرَّغم مِن أنَّ أكثر الحكَّام والرؤساء والقادة والمفكِّرين العرب الَّذين لم يألفوا مراسلةَ الدعاة ، أو تلقي النصائح منهم ، أتيح للعلاَّمة الندوي مرَّاتٍ أن ينصح كثيراً منهم بأسلوبه الدعوي الحكيم ، سواء بطريقة الإلتقاء بهم مباشرةً ، أم بطريقة الكتابة والمراسلة إليهم[1] .

وكان لبعض الحركات والتنظيمات الإسلامية المشهورة في البلاد العربية نصيبها من حوارات العلاَّمة الندوي ونصائحه .

وكما كان يحرص العلاَّمةُ على أن تكون (الدعوة) مناطَ أحاديثه مع الرؤساء ، والمفكِّرين ؛ فكذلك كل محور (الدعوة) مناط تركيزه في حواراته ونصائحه مع الحركات والتنظيمات الإسلامية .

إنَّه كان يرىٰ : أن الدعوة هي البذرة ، وأن الوصول إلىٰ التمكين السياسي في الأرض هو الثمرة ، وأن الاهتمام يجب أن يتجه إلىٰ البذرة ، ويترك أمر الثمرة لله سبحانه يمنحها عندما تتوافر الأهلية ، وتتحقق الشروط .

أمَّا التركيز علىٰ الثمرة (أي : الحكم والسياسة) دُون السَّير في الطريق الطبيعي للأشياء ، وهو الاهتمام ببذرة الإيمان ، وبالتربية الفكرية والنفسية والدعوية والوجدانية ، فهو قلبٌ للأشياء ، ووضعٌ للعربة أمام الحصان ، وهو منافسة ضمنية لأهل الدنيا ، ذلك لأنه ليس من مصلحة الدَّاعية أن يعمل على أن يكون هو نفسه أو حزبه حاكماً لكي يطبق الإسلام . . . فدون ذلك أهوال كثيرة ، بل من واجبه أن يعمل

---

(١) اقرأ للاطلاع على تلك الرسائل كتاب « خطابات صريحة للأمراء والرؤساء » طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

على أن يكون الحكام مسلمين حقيقيين ، وأن يصل الحاكم المسلم إلى الحكم ، من أي طريق ، فالمهم أن يصل الدين ، فذلك أدعى إلى تجاوز الشبهات ، والصراعات ، وصور العنف المعروفة .

كان يرى العلاَّمةُ الندوي أنَّ التركيز على العلاج الدعوي ، والتربوي آكدُ وآصلُ ، وأعمق في التأثير الحضاري ، بدلَ القفز إلى العمل السياسي وإتاحة الفرصة لزعماء الانقلابات العسكرية لإجهاض العمل السياسي في مراحله المبكرة ؛ ذلك لأنهم مستعدون لتدمير كلِّ شيء إذا تعارض ذلك مع مصالحهم ، ومقاعدهم الرئاسية . . .

وفي أسلوب حكيم يترجم العلاَّمةُ الندوي عن ردّ عميق وشعور أخوي صادق ، ويلفت نظرَ أقطاب هذه الحركات الإسلامية إلى منهجه الدعوي الَّذي ينصحهم به ، فيقول لهم :

> « لقد امتازت دعوةُ الأنبياء وجهودهم بتجردها من التفكير في المنافع المادية والثمرات العاجلة ، فكانوا لا يبتغون بدعوتهم وجهادهم إلا وجه الله ، وامتثال أوامره وتأدية رسالته ، تجردت عقولُهم وأفكارهم من العمل للدنيا ، ونيل الجاه وكسب القوة لأسرتهم أو أتباعهم ، والحصول على الحكومة ، حتى لم يخطر ذلك ببال أصحابهم وأتباعهم ، وكانت هذه الحكومة التي قامت لهم في وقتها ، والقوة التي حصلت لهم في دورها ، لم تكن إلا جائزةً من الله ، ووسيلةً للوصول إلى أهداف الدين ، وتنفيذ أحكامه وتغيير المجتمع ، وتوجيه الحياة كما قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج : ٤١] ولم تكن هذه الحكومة قطُّ غايةً من غاياتهم ، أو هدفاً من أهدافهم ، أو حديثاً من أحاديثهم ، أو حلماً من أحلامهم ، إنما كانت نتيجةً طبيعية للدعوة والجهاد كالثمرة التي هي نتيجة طبيعية لنموِّ الشجرة وقوة إثمارها »[1] .

---

(١) انظر المحاضرة بعنوان « أريد أن أتحدَّث إلى الإخوان » في « محاضرات إسلامية . . . » =

www.abulhasanalinadwi.org

ثم يتوجه العلاَّمةُ بعد هذا النصح العلني غير المباشر إلى أقطاب الحركة الإسلامية بطريقة مباشرة ، قائلاً لهم :

« فكذلك الدعوةُ الإسلاميةُ التي تكلفتم بها ، والجهادُ الذي أخذتموه على عواقتكم يفرض عليكم إنشاء جيل جديد للإسلام ، جديد في قوَّة إيمانه ، جديد في حماسته وثقته ، جديد في أخلاقه ، جديد في تفكيره وعقليته ، جديد في كفاءته العلمية واستعداده العقلي ، وإنَّ نجاحكم في هذا الإنتاج البشري مقياسُ نجاحكم في مهمتكم ودعوتكم[1] .

إنَّكم أمام أنقاض عقلية ، وركام بشري ، وخامات مهملة تبنون بها بيتاً جديداً ، وتصنعون بها سفينة جديدة ، تمخر عباب الحوادث والموانع ، إنكم ستبدؤون في عمل جديد ، وجهاد جديد ، يستغرق منكم وقتاً طويلاً ويستنفد جهوداً عظيمة »[2] [3] .

* * *

= (١/ ٣١) .

(١) محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة : (١/ ٣٨ ـ ٣٩) .

(٢) المرجع السابق : (١/ ٣٩) .

(٣) استفاد المؤلِّف في كتابة هذه الأبحاث من مقالات الدكتور عبد الحليم عويس ، المنشورة في أعداد مجلَّة « البعث الإسلامي » عام ١٩٩٦ ـ ١٩٩٧م ، والتي قدَّمها في حفلة تكريم للعلاَّمة الندوي في إستانبول عام ١٩٩٦م .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

مواقف العلاّمة الندوي من القضايا العربيّة الإسلامية

لقد عاش العلاَّمة الندوي قضايا العالم العربي والإسلامي في مستوياتها المختلفة ، الفكرية والدعوية والسياسية . . . ، عاشها وهو يتألّم لواقعها الأسيف ويرصده رصد الخبير به ، ويظهر انحرافاته نحو الشرق المادي الشيوعي والغرب المادي العلماني . . . ، ويترك جهوداً مكثّفة ليُفيق العرب من هذا التيه ، ويكشفوا ذاتهم ، ويُدركوا أنهم طليعة المسلمين ، وأنهم مبتعثون ، وأنهم أرقى الأقوام حضارياً من خصومهم ، وأنهم الأملُ في إنقاذ الحضارة الإنسانية ، وتألَّم العلاَّمةُ كما يتألَّم الوالد والمربّي اللذَين لم يُستجب لهما . . . وخولفا . . . بل وعوملا بعقوق . . . لكنَّهما مع ذلك لم يستطيعا ـ ولا يستطيعان ـ التخلُّص من عاطفتهما ورسالتهما في الشدائد والمحن . . . فعاش ـ رحمه الله ـ مأساة فلسطين ، بقلب عربي وعقل مسلم . . . وعاش أزمة الخليج ، كما يعيش الإنسانُ مأساةً حقيقيةً .

وكان الإسلام في عقله وقلبه يضيء له الطريق ، فيضيء به للتائهين من حكام العرب ومثقفيهم الطريق ، ويصف به الدواء والعلاج . . . فلعل المارد العربي النائم يفيق .

لم ييأس العلاَّمةُ من غفلة العرب ، ولا من لهوهم وترفهم ، ولا تشرذمهم ، واستعلائهم ، وخيانة بعضهم للإسلام ، بل ظلَّ يواصل العطاء ، ويتعلَّق بكل أمل ، إن قضايا العرب ووسائلها ترتبط دائماً بفكر العلاَّمة كأنه ـ وهو يتابع قضاياهم من منظوره الإسلامي ـ يدفعهم بكل ما يستطيع ؛ لكي يعرفوا حقيقتهم ، ويكتشفوا ذاتهم ، ويستأنفوا دورهم ، ويقودوا المسلمين المبعثرين في الأرض ـ أقليات وأغلبيات ـ للعودة الرشيدة الفاعلة إلى الإسلام ، إنقاذاً لأنفسهم من واقعهم الأسيف ، وإنقاذاً للبشرية التي خسرت الكثير جداً بسبب انحطاط المسلمين ، هذا الانحطاط الَّذي كان النتيجة المباشرة لترك العرب لموقعهم القيادي ، وانشغالهم بالترف والصراع القبلي

www.abulhasanalinadwi.org

والجنسي على السلطان ، ولولا استبدال الله بالعرب المارقين أقواماً آخرين مثل الأكراد أبطال (حِطِّين) ، والمماليك أبطال (عين جالوت) لكان مصير الحضارة الإسلامية الزوال !!

إنه فراغ هائل ذلك الَّذي تركه العرب وتركه بالتالي المسلمون ، حين تركوا ـ كأمة ـ رسالتهم الجماعية الإسلامية التي كلَّفَهم الله بها ، وتخبَّطوا في عالم الأفكار يلتقطون إيديولوجيات من الشرق أو الغرب . . . لقد سقطوا ـ بل انحطوا ـ كأمة كان من الواجب أن يتخذها الناس مثالاً وقدوةً للأمم . . الأمم التي لا يمكن أن تتحول عن طريق النماذج الفردية ؛ لأن الأمم لا تحسب للأفراد المبعثرين حساباً ، خصوصاً وأن بعض الصالحين يوجدون في كل أمة وكل دين ، يقول العلاَّمة ـ رحمه الله ـ :

« إنما تتطلَّع الشعوب إلى شعبٍ مثاليٍّ ، إلى شعب قائد ، قائد الإنسانية ، شعب يمتاز عن الشعوب الأخرى في متانة العقيدة وقوتها ، وفي روح الإيثار والتضحية ، وفي البساطة في المعيشة وفي التسامي على الشهوات والأنانيات ، لا يستهويهم الشيء الذي يستهوي هذه الشعوب رغم سيادتها وقيادتها ، ورغم تقدمها في الثقافات وفي الفلسفات وفي العلوم »[1] .

إنَّ جريمة العرب في حق الإسلام ـ حين يتخلون عن رسالته ـ جريمة جماعية ؛ ذلك لأن بعثتهم بعثة جماعية ، هكذا كانوا منذ نزل القرآن يطلب منهم أن يحافظوا على شروط (خير أمة) . . . وحتى اليوم فما زال العرب ، ومن خلفهم المسلمون ، مدعوين للعودة إلى رسالتهم العامة وابتعاثهم الجماعي لِمَلْءِ الفراغ العالمي الكبير .

وبتحديدٍ دقيقٍ ، وانطلاقاً من حبِّه الكبير للعرب ، ومن وعيه بحقيقة مكانتهم يتوجه العلاَّمة بخطابه إلى العرب مشيراً إلى الفراغ العالمي ودور العرب في ملئه قائلاً في محاضرة ألقاها في جامعة الإمارات العربية ، يقول فيها :

« إنَّ هذا هو الفراغ الوحيد الموجود الآن في خارطة العالم الإنساني ، ولا يملأ هذا الفراغَ إلا المسلم ، ولا تملأ هذا الفراغ إلا الأمة العربية الإسلامية . . . لقد كانت رائدة للإنسانية

---

(١) الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية : للعلاَّمة الندوي ، ص(٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

في القرن السابع وما بعده من القرون ، ولا تزال رائدة للرسالة الإسلامية الإنسانية في هذا القرن ؛ لو عرفت قيمتَها ، ولو عرفت منابع قوَّتها ، ولو عرفت ضخامة رسالتها ، ولو عرفت عظم مسؤوليتها . فمتى تنهض الأمة العربية الإسلامية ، وتحمل الرسالة من جديد ؟ والنور الوحيد وهو نور الإسلام ، وهو النور الذي لا يزال عند العرب في صفحات القرآن وفي صفحات السيرة النبوية ، وإننا أبناء القارَّة الهندية ، ننظر إلى هذه الجزيرة كأمةٍ رائدةٍ ، وكحاملةٍ لهذه الرسالة »[1] .

وبالإضافة إلى هذا الباعث الإسلامي الحضاري ثمة باعث نفسي وعضوي آخر يدفع العلاَّمة الندوي للاهتمام الدؤوب بالقضايا العربية .

فالعلاَّمةُ ـ في محيط مثل المحيط الهندي بطوائفه الهندوسية واللا دينية وتموجاته العرقية والفكرية ، يقف (الوعي بالذات) و (الحفاظ على الهوية الروحية والحضارية) دافعاً قوياً للتمسك بالجذور ، فكيف إذا كانت الجذور سامية تحمل معها رسالة حضارية شامخة ، وليست مجرَّد نزعة عنصرية أو عرقية يراد من التثبت بها تحقيق استعلاء عنصري ، أو مكانة اجتماعية ، أو امتيازات طبقية أو جنسية . . .

إنَّ انتماءه الشريف إلى آل البيت لم يكن هذا قطٌّ في وعي الأسرة الحسنية الندوية ؛ بل كان نسيجاً آخر مختلفاً كل الاختلاف . . .

ولقد كان هذا النسب الكريم الَّذي يملأ الشعور به كيان أفراد الأسرة سبيلاً للحفاظ على الخصائص العربية والإسلامية وانتقالها من بطن إلى بطن عبر القرون . . .

وقد كان أفراد هذه الأسرة يشعرون بأنهم حماة للعقيدة الإسلامية السليمة من التوحيد الخالص ونبذ العقائد الشركية وما أكثرها في محيط المجمع الهندي .

وكانوا يشعرون بأنَّ عليهم أن يعتنوا عنايةً زائدة بالعلوم الدينية دراسة وتعليماً ونشراً . . . ويشعرون بأنهم يجب أن يكونوا السابقين في مجال الغيرة على الإسلام والحماس في الذود عنه ، والقيام بتحركات عسكرية وحركات جهادية إذا اقتدى الأمر ذلك .

---

(١) الإسلام وأثره في الحضارة . . . : ص(٢٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

وكانوا يجاهدون في سبيل أن يكون في الأسرة علماء ربَّانيون متبعون لكتابه وسُنَّة رسوله وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة ، فلم تخلُ فترةٌ من فترات هذه الأسرة ولمحة من لمحاتها من وجود علماء ربَّانيين وشيوخ مربِّين .

وكان من خصائص هذه الأسرة أيضاً ـ كما ذكرنا في الباب الثاني[1] : ـ الابتعاد عن مناصب الحكومة والوظائف الرسمية الكبرى والصغرى ما أمكن ، والقناعة بالميسور .

ومنها : البُعد عن استخدام الذكاء في تحقيق المآرب والغايات الدُّنيوية ، فيغلب على أفراد هذه الأسرة ـ في غالب الأحوال ـ الوداعة ، وما عبَّر عنه لسانُ النبوة « الغِرّ الكريم »[2] فهم يصلحون ليكونوا مظلومين أكثر مما يصلحون ليكونوا ظالمين . وهكذا أصبح هذا الشعور العرقي بناءً إيجابياً مسؤولاً ؛ بل طريقاً لمزيد من المزج بين الإسلام والعرب في مركب واحد ، وأصبح شعوراً مرتبطاً بالمسؤولية تجاه الإسلام والعروبة المؤمنة ، وبالتالي فقد تجرَّد من كل أوزار السلبيات العرقية العنصرية ، بل إنه قد حلّ لنا العلاَّمةُ من خلال تجربة نموذجية تعيش في بلاد الهند معادلة العلاقة بين العرب والإسلام ، وما يجب أن يكون عليه الفكر القومي العربي الَّذي يجب أن يمتزج بالإسلام امتزاجاً كاملاً ، وأن يدرك أنه بغير هذا الامتزاج يصبح العنصر العربيّ جسماً خاملاً ميِّتاً فاقداً للروح والعقل ومؤهَّلات الحياة . . !! .

وبإيجازٍ ، فإنَّه بتأثير هذين المؤثِّرين العظيمين : المؤثِّر الديني والحضاري، والمؤثِّر العنصري والنفسي كان مرتبطاً كل الارتباط بقضايا الأمة العربية ، يعيش معها، ويعالجها ويخطب فيها ، ويكتب من أجلها أكثر مما يتفاعل معها آلاف من هؤلاء المثقفين الَّذين وُلدوا في بلاد عربية ، ويحملون جنسيات عربية ، ويعيشون في أرض العروبة .

والأهمُّ من ذلك : أنه كان يتفاعل معها برؤية إسلامية نقية ، محافظاً على وعيٍ إسلاميٍّ وحضاريٍّ كبيرٍ لم يتحقق لكثير من العرب ، وعلى وضوح في التحليل ، وصراحة في قول الحق لم تتوافر لأكثر المتحدِّثين من العرب ، عن قضايا العرب !! .

ومنذ بَرَزَ اسمُ العلاَّمةُ الندوي في الثلاثينات من القرن العشرين ؛ وجهوده لم

---

(١) انظر ص(١٣٤ ـ ١٣٦) .

(٢) والحديث : « المؤمنُ غِرٌّ كريمٌ ، والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ »أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب في حسن العشرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

تتوقف أينما حَلَّ عن الصدع بالحق ، حتى في عناوين الكتب والمحاضرات الَّتي يوجِّهها للعرب ، كانت هذه الصراحة واضحة . . . ونذكر من عناوين الكتب والمحاضرات للعلاَّمةِ :

١ ـ اسمعوها مني صريحةً أيها العرب !

٢ ـ كيف يستعيد العرب مكانتهم .

٣ ـ العرب يكتشفون أنفسهم .

٤ ـ الخطر الأكبر على العالم العربي .

٥ ـ المأساة الأخيرة في العالم العربي .

٦ ـ اسمعي يا مصر !

٧ ـ اسمعي يا سورية !

٨ ـ اسمعي يا زهرة الصحراء (الكويت) !

وبالإضافة إلى هذه الصراحة الواضحة في عناوين الكتب ، وحتى لا يُظَنُّ أنَّ هذه العناوين إنما اختيرتْ لعوامل تشويقية أو فنيّة إعلامية .

نسوق هنا بعض ما قاله العلاَّمةُ محدِّداً فيه معالم منهجه هذا دون مواربة ، مبيِّناً أسبابه ومبرِّراته ، مقتطفين بعض ما كتبه ـ رحمه الله ـ عن هذا المنهج في صدر كتابه : « اسمعوها مني صريحة أيها العرب ! » . . . يقول :

« لو كانت أمةٌ على وجه الأرض تستحق مني أكبر تقدير وأعظم إعجاب وإكبار ؛ لكان العرب من غير نزاع .

ولو كانت نفسي تدفعني إلى المجاملة مع أمةٍ من الأمم، وتزيُّنها لي ؛ لكانت مع أمتي العربية العظيمة ، وعندي مما أمدح به هذه الأمة العربية العظيمة بحقٍّ لكثير وواسع ، وعندي مما أرضي به نفوس هذه الأمة وأسماعها ، وأرضي به عاطفتي كعضو من أعضاء هذه الأسرة العظيمة الكريمة لكثير وكثير ، وكلُّ ذلك مما يصدقه العلم الواقع ويقول العالَم : صدقتَ ، ويقول التاريخ : عدلتَ ، وبَرَرْتَ .

ولكنِّي أعتبر هذه المجاملة في هذه المناسبة جريمةً خلقيةً ،

www.abulhasanalinadwi.org

وأعتبرها خيانةً عظيمةً في حق هذه الأمة التي أدين لها في الدين والأخلاق والإنسانية والشرف ، ويدين لها العالم والإنسانية في حياتها الجديدة وفي عقيدتها وخلقها ، وليست أمة أحق بالأمانة ، وأحق بالصراحة ، وأحق بالنصح من هذه الأمة .

إنَّ عقيدتي وديني الذي أؤمن به وأدين يفرض علي أن أكون صادقاً وصريحاً ، وصِلتي بهذه الأمة ـ الدينية والنسبية والثقافية ـ تلزمني بالصدق والصراحة والوفاء والأمانة ، ثم اقتناعي بأن العرب هم الأمة المختارة لحمل رسالة الإسلام ، قد كُتِب لهم الوصاية على العالم ما داموا يدينون بهذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ ، وعِلمي بأن هذه الوصاية لم تحوّل عنهم بعد ، ولم تبرز أمةٌ على منصة العالم تَخْلُف هذه الأمة وتضطلع بالإمامة ، ولكني أعرف أن الزمان زمان تحوّل ، والساعة ساعة الانتقال كالساعة التي شهد فيها العالم أكبر تحوّلٍ في التاريخ وفي جدود الأمم ، ساعة مرّت في منتصف القرن السادس المسيحي تحوّلت فيها الإمامة وتحوّل فيها منصب الهداية من بني إسرائيل ـ الأذكياء المثقفين أصحاب الحضارة والعلوم والقرائح والمواهب ـ إلى بني إسماعيل أو العرب ـ الأمة التي تغلب عليها الأُمِّية والبساطة والفقر والاعتزال عن العالم ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فكان أكبر تحوّل شهده التاريخ الجديد ، وكان لهذ الحادث تأثيرٌ في مصير الأمم وأوضاع العالم واتجاه الإنسانية ، لم يكن لحادث سياسي ، أو تحوّل اجتماعي ، أو ثورة أخرى .

إنَّني لا أخاف أن يعود هذا المنصب إلى بني إسرائيل مرة أخرى ، فليس هناك ما يدلُّ على ذلك ، وبنو إسرائيل في شغل عنه لا شأن لهم بالعالم وما يعانيه من أزمة روحية ودينية وخلقية ، أسَّسوا حياتهم الجديدة ودولتهم الوليدة على المادة والمَعِدَة والتنظيم الصناعي والاقتصادي ، وجمعوا بين مبادىء

www.abulhasanalinadwi.org

كَـارَلْ مَـازكَـسْ ـ الـذي نبـغ فيهـم ونهـض منهـم ـ ووصـايـا ميكافيلي ، وحملوا معهم من أوربَّة إلى وطن اليهود ـ كما يدَّعون ـ ثمرات الحضارة الجديدة المادية اليانعة ، وحملوا معهم عصارتها وخلاصتها وشرورها وخبائثها ، فهم من أبعد الشعوب من أن تسند إليهم هداية الأمم والوصاية على العالم ، ومن أن يؤمل فيهم النهوض برسالة الأنبياء الذين ينتسبون إليهم كثيراً ، ويتبجَّحون بهم كثيراً ، ومن أبعد الناس أن ننتظر منهم الثورة على الفساد الذي ظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ومن أن يحملوا إلى الغرب رسالة الأنبياء والحياة الـروحيـة والـدعـوة إلـى الـوحـدة الإنسـانيـة والفكـرة الآفـاقيـة والعلمية ، وأن يجاهدوا في سبيلهما ، ويتفانوا لأجلهما .

ولكن ليس العالمُ كلُّه بني إسرائيل ، وهم حفنةٌ من البشر ، وقطعة صغيرة من الأرضِ ، قد يفاجيء العالمَ شعبٌ آخر ، أو بلد آخر لم يكن في الحساب كما فاجأَ العربَ العالمُ القديمُ .

وإنَّ هذا التحوُّلِ يكون من غير نبوَّةٍ جديدةٍ ، فليس في النبوة المحمدية وفي تعاليمها وفي شرائعها ما يوجب التحوّل ، إنها دائمة خالدة ، إنها حية باقية ، إنها سائرة مع الزمن بل سابقة للزمن ، إنه سيكون تحوُّلاً في حَمَلة هذه الرسالة ، وفي حماة هذه الرسالة ، وهي حاجة الإنسانية ونداء الوقت .

والذي يطمعني في هذه الكلمة ويغريني بها ؛ هو حبِّي وحرصي على أن يستعيد العرب مكانتهم العالمية ، ويتسلَّموا هذه القيادة المباركة التي يقول الله عن حملتها :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

وأن يتحوَّلـوا عـن المعسكـر الـذي يقـول الله عـن قـادتـه وزعمائه :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا

www.abulhasanalinadwi.org

يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص : ٤١ ـ ٤٢] .

بل يثوروا عليه ويعارضوه ويحاربوه وينادوا بأعلى صوتهم :

﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾ [الممتحنة : ٤] .

نادى بها جَدُّهم إبراهيم في عصره :

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٨][1] .

فبهذا المنهج الكريم ، ومن أجل الغاية السامية المنوطة بالعرب منذ جاء الإسلام وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن خلال عدد كبير من الكتب والرسائل والمحاضرات ، وانطلاقاً من عقيدة إيمانية ، ورؤية حضارية ، وانتماء جنسيٌّ ونفسيٌّ . . . من خلال هذا كلِّه . . . عالج العلاَّمةُ الندوي قضايا العرب معالجة الطبيب الحكيم ، والوالد الرحيم ، والعربي الصادق العليم .

---

(١) اسمعيات : للعلاَّمة الندوي ، ص(٧١ ـ ٧٤) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

موقف العلاَّمة الندوي من قضية فلسطين

كان موقف العلامة الندوي من قضية فلسطين موقفاً طبيعياً ، والذي عاش طيلة حياته الهمومَ العربية بكلِّ كيانه ، وتفاعَلَ معها تفاعل العربي المؤمن الملتزم ، وكانت هذه القضية من القضايا الرئيسية التي كان يوليها ـ رحمه الله ـ اهتمامه .

ولا نشكُّ أنه أثناء تطورات قضية فلسطين خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، كانت له متابعاته المستمرة ، وجهوده الإسلامية حول فلسطين في وسط المجتمع الهندي ، بل وفي البلاد العربية نفسها .

بيد أن ما يهمُّنا أن نشير إليه ، هو أن معالجة العلاَّمة لقضية فلسطين كانت تقوم على الرؤية الإسلامية التي ترى في هذه الكارثة نتيجة لا سبباً ، وعقاباً إلهياً للعرب الذين خانوا الإسلام ، وليس أمراً ابتدائياً وقع عفواً ، أو ابتلاءً محضاً ، أو ظلماً ، ولا سيَّما وأن العلاَّمة يدرك أنَّ خطر اليهود لن يقف أبداً عند حدود فلسطين ، ولا عند الشعب الفلسطيني ، وإنما سيمتدّ إلى العرب وبلادهم كلِّها .

وإنَّ من رأى البلاد العربية عن كثبٍ ، وشاهد تذبذبَ الحكومات العربية في سياستها ، وضعف إرادتها وخضوعاً للدول الكبرى وارتباطها بإشاراتها ، ورأى أخلاقَ الرؤساء والقادة ، ومن بيده الحل والعقد ، ورأى إخلادَهم إلى الراحة ، وإيثارهم اللذة والمنفعة ، ورأى بصفة خاصة في مصر التي كانت تتزعم العالمَ العربي ، وتقود الحركة الأدبية والعلمية والدينية عبث الأدباء والكتَّاب والموجهين بالأسس الدينية والقيم الخُلقية والاجتماعية ، والمقررات التاريخية وتسخيرهم لطاقة الأدب والأقلام ، لتقويض دعائم الحياة الصالحة والأخلاق الفاضلة ، وبعث فوضى فكرية ، ولا معروف فيها ولا منكر ، ولا حقَّ فيها ولا باطل ، وإنما هي انتهازية ، وأبيقورية ، وإقليمية ، وفرعونية[1] .

---

(١) أعلام الدعوة والفكر : للأستاذ أنور الجندي ، ص(١/ ٤٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

ورأى إحجامَ العلماء وقادة الدين عن قول الحقِّ ، ونقد الباطل ، والشهادة بالقسط ، ورأى خضوعَهم للمثل الزائفة التي خضع لها عبادةُ المَعِدَات والبطون من وجوب ارتفاع مستوى المعيشة ، وإرضاء الأهل والأسرة ، وتحقيق مطالبها ولو من غير حقٍّ ، ورأى افتتانَ العامة ، والطبقات الكادحة بالملاهي والمعازف والأغاني وبكل ما تتمَتَّعُ به الأذن والعين والخيال ، والتقاء هذه الطبقات كلها ـ على اختلاف مستوياتها وثقافاتها ـ على حب الحياة والكراهة للموت ، وبُعدها عن كل مغامرة وإقدام .

رأى ذلك كلَّه وتحققه وعاش فيه وجزم بأن هذه الشعوب لا تستطيع أن تتحمل أقلَّ صدمة تأتيها من الخارج ، ولا تستطيع أن تدافع عن دينها وشرفها ومقدَّساتها وكيانها[1] .

ووِفق هذا التحليل الذي يقوم على رؤية داخلية للواقع ، تنطلق من إيمان عميق بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] ينتهي العلامةُ الندوي إلى أن التخاذل في فلسطين قد مهدت له أسباب كثيرة من الأخلاق والتربية ، وأنَّ الاستعمار الغربي قد فتش عن منابع القوة الكامنة في نفوس المسلمين وقلوبهم ، فوجد أنَّ أكبر منابع القوة والحياة هو « الإيمان » فحاربوه ، وسلَّطوا على المسلمين عدُوَّين ، كانا أفتك بهم من المغول والتتار ، وهما : الشكُّ ، وضعف اليقين الذي لا شيء أدعى للضعف والجبن منه ، والثاني : ما نعبِّر عنه بالذل النفسي ، وهو أن المسلمين صاروا يشعرون بالذل والهوان ، في داخل أنفسهم ، وفي أعماق قلوبهم ، ويزدرون كل ما يتصل بهم من دين وتهذيب وأخلاق ، ويؤمنون بفضل الأوربيين في كل شيء ، ويعتقدون فيهم كلَّ خير[2] .

والمشكلة في حقيقتها : أنَّ العرب لم يحاولوا ـ إلا قليلاً ـ أن يضعوا قضيةَ فلسطين في إطارها الصحيح كقضية إسلامية تتعرَّض لحملة دينية يهودية ، فهي عقيدة زاحفةٌ تحتاج إلى عقيدة لصدِّها . . . وإنما بذلوا جهوداً كبيرة في معالجتها ، كقضية سياسية ، تدخل في نطاق التنافسات الاستعمارية ذاتَ الأبعاد الاقتصادية والسياسية ،

---

(١) أعلام الدعوة والفكر : ص(١/ ٤٢٣) .

(٢) المرجع السابق : ص(١/ ٤٢٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كتبوا في هذا كتباً كثيرة ، وخطبوا خطباً كثيرة أيضاً ، وتحدَّثوا بإسراف وسذاجة عن (إزالة آثار العدوان) ، ولم يتحدثوا عن (إزالة أسباب الخذلان) معتمدين في حلِّ قضية فلسطين من أول يومٍ على نفس الأساليب التقليدية التي يلقونها من عدوِّهم الغرب . . الذي حدد لهم المسارَ الذي يمشون فيه ، فكل ما فعلوه « كلام » ، وكله وقوف عند الآثار ، وبُعد عن الجذور والأسباب . . !! .

وقد ظلَّت معركةُ الكلام حامية ، ولم تقم محاولة جدية ، ولا برزت دعوة صريحة قوية إلى تغيير منهج الحياة في الشعوب والبلاد التي اكتوتْ بنار هذه الخيانة الغربية الكبرى التي لا مثيل لها في التاريخ الحديث ، حتى تعرَّضت للخطر الصهيوني بطريق مباشر ، ولا توجد دعوة إلى إزالة أسباب السخط والخذلان التي بيَّنها القرآن في أسلوبه البليغ السافر ؛ لكسب أسباب النصر الحقيقية التي دعا إليها الكتابُ والسنَّةُ ، وحفل بنتائجها وأمثلتها التاريخُ الإسلاميُ ، ولم يشعر أحدٌ من الحكام أو جمهرة المثقَّفين بحاجة إلى استفتاء القرآن والعقل الإيماني الواعي المنصف ، الذي لا يكذب ولا يخدع عن أسباب هذه النكبة[1] .

ولا طريقَ لاستعادة فلسطين إلا بالإسلام . . . وعندما تنتهي عوامل الهزيمة الأخلاقية والنفسية والفكرية ، ويعودُ الإسلام إلى مكانه في نفوس المسلمين وفكرهم وسلوكهم ، تنتهي تلقائياً مصادر الكارثة ، بل تنتهي مصادر كلِّ الكوارث ، وتعود فلسطين إلى العرب والمسلمين . . . يقول العلاَّمةُ الندوي :

> « إنَّ قضية فلسطين سهلةٌ هيِّنةٌ ، وانتصار العرب مضمون إذا كانوا أحراراً في تصرُّفهم ، مالكين لزمامهم ، مدبِّرين لسياستهم ، مغامرين بأرواحهم وجندهم ، ومحكمين لسيفهم وسنانهم ، واثقين بنصر الله ، معتمدين على سواعدهم فقط ، متمرِّدين على المادة والشهوات ، مصمِّمين على الكفاح والجهاد »[2] .

إنَّ قضية إنقاذ فلسطين ـ كما تؤكِّد كتب العلاَّمةِ الندوي ـ قضيةٌ مرتبطةٌ ارتباطاً

---

(١) أعلام الدعوة والفكر : ص(١/ ٤٢٦) .
(٢) المرجع السابق : ص(١/ ٤٢٦ ـ ٤٢٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

عضوياً بالعقيدة ، وسواء من الجانب اليهودي والصليبي أم من الجانب الإسلامي ، فإن جوهر المشكلة دينيٌّ بحت . . . فنحن المسلمين لا بدَّ لنا من أن نواجه الدين اليهودي الزاحف بالدين الإسلامي القوي الفعال . . إننا لسنا في حاجة إلى دين جديد ـ حاشا لله ـ ولكننا إلى إيمان جديد ؛ لأنه إذا كانت الأحوال غير عادية احتاج الإنسان فيها إلى إيمان غير عادي ، إلى إيمان قوي عميق ، إلى إيمان حيّ دافق ، إلى إيمان إذا لم يكن إيمان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فليكن إيمان صلاح الدين الأيوبي ، وإيمان كثير من الجنود الذين قاتلوا تحت رايته ، يقول القاضي بهاء الدين المعروف بابن شدَّاد عن صاحبه صلاح الدين الأيوبي : « إنَّه تاب عن المحرمات وترك الملذَّات ، ورأى أن الله سبحانه وتعالى خلقه لأمرٍ عظيمٍ لا يتفق معه اللهو والترف ، وكان رحمه الله عنده من القدس أمرٌ عظيمٌ لا تحمله الجبال ، وكان كالفاقدة ولدها ، الثاكلة واحدَها[1] .

إنَّ هذا هو الطريق الصحيح ـ الوحيد ـ لاستعادة فلسطين . . . وكما عاش العربُ مئتي سنة تحت الاحتلال الصليبي دون أدنى أملٍ لطرده عندما استولى على الرَّها ، وأنطاكية ، وطرابلس ، وبيت المقدس . . . حتى بَرَزَ الأبطال المؤمنون الأتقياء الصالحون ، كـ « عماد الدين زَنْكِي ، وابنه نور الدين محمود زنكي ، وصلاح الدين الأيوبي » ، فكذلك لن تتحرَّر فلسطين بالقيادات المنافقة الَّتي تعطي الإسلام بعضَ الكلام في بعض المناسبات ، ولكنَّ عقلها وقلبها يدور في فلك الأعداء ، وربما يثق بعضهم بقدرة أمريكة وقدرة إسرائيل أكثر ممَّا يثق بقدرة الله . . !! .

وإذا كان نِصف القرن الماضي قد أثبت فشلَ التجارب كلها ، وأعطى إسرائيل دفعةً هائلةً ، بحيث أصبحت قوةً عظمى ترتعد فرائصُ الحكام العرب أمام جبروتها وطغيانها . . . فلقد آن الأوانُ لنستجيب لذلك المنهج العظيم الَّذي أشار إليه العلاَّمة الندوي . . . أن نستفتي الإسلام ، ونستوعب درس التاريخ ، ونثق بالله ، وبديننا ، وبحضارتنا ورسالتنا .

ويومها ستعود فلسطين . . . بإذن الله ، كما أكَّد العلامة الندوي ـ رحمه الله ـ ، وكما يؤكِّد لنا ـ من قبله ـ وعد الله الذي لا يخلف الميعادَ ! !

---

(١) نفحات الإيمان : للعلامة الندوي ، ص(٨٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

« قضية فلسطين » في كتابات العلامة الندوي

إنَّ العلامة الندوي ـ رَحمه الله تعالى ـ واحدٌ من أفراد قلائل ممَّن كتبوا في قضية فلسطين كتابةً قويمةً بعد أن نظروا فيها بعمق ، وبعد أن فهموها على ضوء مِن سُنن الله في الخلق والحياة ، وعلى ضوء من نور القرآن الذي قصّ علينا قصص الأمم والأقوام ، في ارتفاعهم وانخفاضهم ، في حياتهم وموتهم ، وعلى ضوءٍ من دراسة تاريخ الأمم والشعوب ، وعوامل رقيها وانحطاطها ، وانبعاثها وتلاشيها ؛ لذا كان ما كتبه ـ رحمه الله ـ عن القضية نوراً يهدي إلى سواء السبيل ، وفكراً سليماً يضع يدَ الأمةِ على الداءِ ، ويصفُ لها الدواءَ الذي لا دواء سواه .

لقد اهتمَّ العلامةُ بقضية فلسطين منذ زمن بعيد ، وراح يكتب ويبيِّن ويحذِّر . كتبَ قبل قيام كيان إسرائيل في هذا المجال منذراً محذراً ، وكتب بعد قيام دولتهم المزعومة مبيِّناً وموضِّحاً حقيقة الكارثة ، وجذورها العميقة في تاريخ الأمة ، ونمط حياتها وسلوكها ، وكان من أبدع ما خطَّه قلمُه بعد النكبة تلك المحاضرة التي ألقاها على مدرَّج جامعة دمشق في عام ١٩٥١م ، والتي أسماها « العوامل الأساسية لكارثة فلسطين »[1] وقد أرجع في هذه المحاضرة أسباب النكبة إلى ثلاثة أمور ، لا يستطيع معرفتها والكشف عنها إلا رجلٌ من طرازه في الفهم والعلم والنظر ، وكانت تلك الأسباب ولا تزال جذور البلاء وأصل الداء .

وفي دمشق أيضاً وقَفَ العلامةُ في عام ١٩٥٦م وعلى مدرَّج جامعة دمشق ، أمام المؤتمر الإسلامي الثاني ، يخاطب ممثِّلي المسلمين وقادة الرأي فيهم ، وبيَّن لهم ارتباط قضية فلسطين بالوعي الإسلامي ، ويهيب بهم أن يبعثوا العالم الإسلامي من مرقده بالعقيدة والإيمان والأخلاق والأعمال ، وأن يشعلوا العاطفة الدينية في قلوب المسلمين الباردة وأجسادهم الهامدة ، ليكفلوا بذلك حل مشكلة فلسطين ، والانتصار في معركتها[2] .

---

(١) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (٢/ ٧٠) .

(٢) انظر هذه المحاضرة التي ألقاها في مدرَّج جامعة دمشق في « محاضرات إسلامية . . . » بعنوان=

www.abulhasanalinadwi.org

وجاءت نكبةُ حزيران عام ١٩٦٧م ، فهزَّت الأمَّة من أقصاها إلى أقصاها ، وأدمت قلوبها وأرواحها ، وطفح القلب الكبير ـ قلب العلاَّمة ـ بالألم والمرارة والحزن العميق ، وراح يكتب ويحاضر ، ويلقي الخطب في أنحاء متفرقة من بلاد الإسلام ، وأسهمَ مع غيره في تعليل الكارثة الكبرى الثانية ، التي أصيبت بها الأمةُ ، وكانت كتاباته في هذا المجال من أصدقِ ما كُتِب للناس وأعمقه ، وأكثره إخلاصاً وحرقةً وغَيْرةً ، على ما انتاب الأمة من هذه الداهية الدهياء .

فكتب ـ رحمه الله ـ مقالته العظيمة « كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية »[١] وأظهر فيها ألواناً جديدةً من البلاء الفكري والسياسي والاجتماعي الذي جدَّ في الأمة ، وساهم في محنتها .

ثم ألقى العلاَّمةُ محاضراته الثلاث : الأولى منها بعنوان « قارنوا بين الربح والخسارة يا زعماء العرب »[٢] ، والأخرى بعنوان « تعالوا نحاسب نفوسنا وقادتنا »[٣]، والأخيرة بعنوان « نظامان إلهيان للغلبة والانتصار » في بعض المدن الإسلامية أمامَ جماهير من المستمعين ، الذين أصغوا له بقلوبهم وعقولهم ، وسمعوا منه كلاماً عميقاً وصادقاً ، وآراءَ جديدةً نيِّرةً ، وتعليلات واقعية ملموسة .

وفي كلمته « إزالة أسباب الخذلان أهمّ وأقوم من إزالة أسباب العدوان »[٤] الَّتي أُلقيتْ في دورة رابطة العالم الإسلامي المنعقدة في منتصف رجب عام ١٣٨٨هـ ، شجب العلامة فيها منهج حياة أمَّتنا الذي آثرته ، ذلك المنهج القائم على المتعة ، والانتهازية ، والأبيقورية ، التي لا تعرف أدباً ولا خلقاً ، ولا تحترم ديناً ولا شريعة ، ولا تراعي مصلحة ولا عاقبة . وأعلن أنَّ هذا المنهج هو أشدّ خطراً من كلّ عدوٍّ خارجي ، ثم دعا إلى القيام بإصلاحات جذرية ، وإزالة أسباب الفسادِ والميوعة ؛ لتضمنَ هذه الأمةُ إزالة ما لحقها من عدوان وهوان .

= ارتباط قضية فلسطين بالوعي الإسلامي » (٢/ ٨٨) .

(١) انظر هذا المقال في كتاب « أحاديث صريحة مع إخواننا العرب» إعداد المؤلِّف .

(٢) طبع المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ .

(٣) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية . . . » (٢/ ١٤٨) .

(٤) انظر هذه الكلمة في « المسلمون وقضية فلسطين » ص(١٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

ولم ينسَ هذا المفكّرُ الإسلاميُّ العظيمُ دورَ الكتّاب والمفكرين ، ودور رجال الإعلام وزعماء الإصلاح في مواجهة هذه المعضلة الجسيمة ، فوجَّه إليهم نداءً حاراً ، عزَّاهم فيه ـ تعزية مفجوع لمفجوع ـ في كارثة العالم العربي ، ووصف لهم حزنَ المسلمين في الهند على ما أصاب إخوانهم العرب ، ثم أظهر لهم ألمه العميق من حالة الصحافة والإذاعة في العالم العربي ، وعدم اهتمامها بالبحث عن جذور النكبة العميقة في أعماق المجتمع العربي ، وعدم محاربتها للأوضاع البالغة الفساد في حياة الأمة ، ثم في الانحراف المتهور وراء النعرات الجاهلية ، والشعارات المستوردة ، والمبادىء الدخيلة ، وعدم محاسبتها الذين جرّوا على الأمة هذا الشقاء والبلاء .

ثم دعا أولئك الكتّابَ والصحفيين والمفكرين ـ كما دعا الأمة من قبل ـ إلى الإنابة إلى الله ظاهراً وباطناً ، والتمسك بحبله ، وتحكيم شريعته في الحياة ، وأكّد على دور الصحافة ، والإذاعة ، والأدب ، والكتابة في غرس هذه المعاني في النفوس ، وتحبيبها إلى العقول ، وإشاعتها في حياة الناس .

ولقد بدأ العلامةُ الندوي بعد أن كتب وألقى وحاضر كثيراً عن قضية فلسطين أن يجمع ما كتب ، ويخرجه للناس في كتابٍ[1] ، فقام بجمع هذه المقالات والمحاضرات والخطب التي سبق الحديثُ عنها ، وقدَّم لها بمقدمة رائعة عميقة ، بيَّن فيها أنَّ النكبات والكوارث العظيمة التي تصاب بها الأممُ ليست مفاجآت ، أو مجرَّد مصادفات ؛ بل هي نتيجة عوامل كثيرة ، وأكثرها داخلية نفسية ، كانت تتفاعل وتعمل عملها الطبيعي في حياة الأمة والمجتمع منذ زمن طويل ، ولم يفطن لها في أوانها إلا القليلُ النادرُ ، الذين رزقهم الله الفطنة الدقيقة ، والفراسة الصادقة ، وهم الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] .

ثم أتبع المقدمةَ بكلمة تحليلية واعية « عن التربية والأخلاق التي مهَّدت للتخاذل في فلسطين »[2] وأتى فيها بشيء معجب .

وختم العلاَّمةُ كتابه بكلمة قيمة ، عجيبة في نظراتها العميقة ، يحكمها العقل

---

(١) وقد طُبع في المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ .
(٢) انظر هذه المحاضرةَ في « المسلمون وقضية فلسطين » ص(١٣٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

والمنطق ، هذه الكلمة هي : « العاقبة للعرب المسلمين »[1] وقد برهن فيها ـ رحمه الله : ـ أن اليهود لا مستقبل لهم في فلسطين ، فهم ليسوا حملة رسالة نافعة للناس ، والعرب ـ الذين اعتُديَ عليهم هم أصحابُ الرسالة الإسلامية الخالدة ـ سوف لا يبقون هكذا في هذا الضياع والتلاشي والضعة ، بل سيعودون إلى رسالتهم الإسلامية من جديد ، وحينئذٍ سوف لا يكون لكيان إسرائيل أثرٌ في ربوعهم ، وسوف ينتصرون من جديد على كل أعداء الإنسانية والحياة الكريمة .

---

(١) انظر هذه المحاضرة في الكتاب المذكور ، ص(١٤٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

هذه وثيقة تأييد لقضية فلسطين ، خطَّها العلامة الندوي بيمينه مؤكِّداً ـ فيها ـ على تحريم التنازل عن أيِّ جزء من فلسطين ، ومُبدِياً موافقتَه على الفتوى الذي أصدَرَها علماءُ العالم الإسلامي بهذا الصدد ، إليك نصُّ هذه الوثيقة :

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أما بعد فإني قد اطلعت على فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين ، واطلعت على توصيات المؤتمرين الذين اجتمعوا عليه ، وأنا بدوري أوافق على هذه الفتوى وأثبت توقيعي عليها ، بعد الدراسة والاستماع إلى أدلة منقدة الماجاء في هذه الفتوى داعيا إلى ذلك في كتاباتي وخطاباتي ،

والله الموفق للصواب .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

أمين عام رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

www.abulhasanalinadwi.org

موقف العلاَّمة النّدْوي من أزمة الخليج

بينما كان العالمُ الإسلاميُّ يعيش فترةَ هدوء وترقُّب على مشارف العقد الأخير من القرن العشرين ، وبينما كان العلاَّمة الندوي يقوم بجهوده الطيبة ومساعيه الحميدة تُوشك على الوصول إلى النجاح في داخل شبه القارة الهندية ، لتحجيم حركات التطرف الهندوكي التي تسعى لإزالة الوجود الإسلامي في الهند . في ذلك الحين وقع الحادثُ المروِّعُ على غير توقع ، الَّذي تمثل في هجوم الرئيس العراقي صدام حسين على الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م مجهضاً كلَّ محاولات وحدة الصف العربي ، وناقضاً كل كلماته الكبيرة عن الأخوة العربية والتضامن العربي ، وعاقاً لكل الأيادي الَّتي قدمت إليه في مغامراته العسكرية الإجرامية ، وغادراً بكل وعوده القومية والبعثية الزائفة .

وبينما كان العلاَّمةُ يطوي أوراقَ اجتماع ناجح مع بعض عقلاء الهندوس ومفكِّريهم للالتقاء حول قضية مشتركة تسمَّى : « رسالة الإنسانية » تحترم حقوق المسلمين ، وكل الأقليات الأخرى ، وتزيل الأحقاد والعصبيات . . . وظهرت لهذا اللقاء آثارٌ طيبةٌ في الهند كلها ، . . .

بينما يقوم العلاَّمةُ بهذه الجهود الناجحة فوجيء العالم الإسلامي المقهور بالهجوم على الكويت ، فإذا بمسلمي الهند ، وإذا العلاَّمةُ الندوي ، وإذا بالدعاة والمسلمين جميعاً . . . تنكَّس رؤوسهم داخل الهند وخارجها . . وإذا بالأمة كلها تشعر بأنها في مأتم ، من جراء هذه الفعلة الغادرة الشنعاء . . . ولا تدري ماذا تفعل مع غادر جبَّار لا يعرف الحوار ، ولا يحكمه دينٌ ولا خلقٌ . . . وصوَّر العلاَّمة هذا الوضع وعواقبه قائلاً في محاضرته بعنوان « المأساة الأخيرة في العالم العربي »[1] يقول فيها :

« وإنِّي كدارس متواضع للتاريخ الإسلامي ، ومؤلف فيه ، لا أذكر أن المسلمين من حيث الملَّة أصيبوا بمثل هذه الصدمة

---

(١) انظر هذه المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (٢/ ٢١٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

العنيفة التي أدت إلى خجل وذلة ومهانة منذ قرون عديدة ، وتزيد هذه المأساة شدّةً ووطأة : أنها وقعت في منطقة عربية مجاورة للمنطقة التي كان منها الإشعاع الأول لاحترام الإنسان والعدل والإحسان ، وجزاء الإحسان الإحسان والكرامة ، ونجدة المظلوم والضعيف »[1] .

يحلِّل العلاَّمةُ ـ كعادته ـ الحدث الخطير من جوانبه الدينية والخلقية والمبدئية ويسمِّيه « المأساة الأخيرة في العالم العربي » ، ويعزو خطورته إلى عدد من الأسباب التي تتلخص في رأيه في العوامل التالية :

١ ـ إنَّ غزو بلد كبير كالعراق لبلد صغير كالكويت يقدم مثالاً سيئاً لا يتنافى مع التعاليم الإسلامية الخلقية ، والتقاليد الإسلامية فحسب ، بل إنه يتنافى مع الضمير الإنساني ، ومبادىء الأخلاق العامة .

٢ ـ وقد تعاقبت بعد غزو العراق للكويت واستيلائه عليها الأعمالُ والتصرفاتُ الشنيعةُ والمخزيةُ التي لا يوجد لها نظير إلا في تاريخ الغزاة والفاتحين الجبابرة المستبدِّين في تاريخ الحروب .

٣ ـ ثم إنَّ القائد العراقي الرئيس صدام حسين قام بفسخ كل ما سجَّله من انتصارات خلال حربه مع إيران بالصلح مع إيران ، على شروط إيران ، من طرف واحد .

٤ ـ كان الرئيس صدَّام حسين يعقد به الأمل في بعض الأوساط المتفائلة أنه قد يكون مؤهَّلاً لملء الفجوة التي كان تُلمس في قيادة العالم العربي ، أو يوفِّقه الله تعالى للاجتهاد من أجل توحيد الصفوف لمواجهة إسرائيل .

ولكن خابت هذه الآمالُ والتطلعاتُ ، ولم تلبث هذه الأماني حين انقلب هذا البطل المغوار على إخوانه وأشقائه ، وفتح جبهة جديدة داخل البلاد العربية .

٥ ـ إنَّ غزو العراق للكويت ، وعدم إصغائه إلى نداء القادة العرب والمسلمين ، وعدم إنصاته لنصيحتهم ، وتماديه في موقفه ، وتغاضيه عن جميع المخاطر التي تترتب على مثل هذا الموقف الطائش ، لقد أثارت شبهاتٌ ومخاوفٌ بأن يسوقه طمعه أو

---

(١) انظر المحاضرة في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (٢/ ٢١٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

طموحه ـ لا قدر الله ـ إلى التعرض للجزيرة العربية وبالأخص المملكة العربية السعودية التي تتولَّى خدمة الحرمين الشريفين وحفظهما وصيانتهما ، والاحتفاظ بقداستهما[1] .

ولا ينسى العلاَّمةُ الندوي أن يربط هذه المأساة بخروج العرب عن رسالة الإسلام ، إنها مثل نكبة ١٩٦٧م ، ومثل ضياع فلسطين ، ثمرة من الثمرات المُرَّة التي يجنيها العرب من خيانتهم للإسلام ، وسلبيتهم في مواجهة القيادات الحزبية والفردية الملحدة . . .

ولقد بلغ الهمُّ من العلاَّمةُ الندوي كلَّ مبلغ ، وكان يعيش الأيام الكالحة التالية للغزو . . . إنه يقول في كتابه « المأساة الأخيرة في العالم العربي »[2] :

« إنَّ عاطفته نحو العرب والمسلمين ، وما كان يأمله في اقتراب العرب ـ بالصحوة الإسلامية ـ من يوم العودة إلى منهج الله الذي يكفل لهم استئناف قيادتهم لسفينة الحضارة . . . كل ذلك قد جعله يعيش أياماً عصيبة ، ويعاني من همٍّ كبيرٍ إلى حدٍّ لا يذكر معه أنه تأثر هذا التأثر قبل حدوث هذه الفاجعة . . . لقد أقلق هذا الحادث ذهني وفكري ، وأقضَّ مضجعي إلى حدٍّ لا أذكر أني تأثرت مثله قبل حدوث هذه الفاجعة في حياتي ؛ لأني ـ وذلك فضل الله وتقدير العزيز العليم ـ منذ أن تطورتُ في القدرة على الكتابة ، والخطابة ، والدراسة ، كرست ما كنت أملكه من قدرة محدودة للتعبير ، وما توفر لي من وقت ، على قضايا العالم العربي ، وكانت الأمة العربية والدول العربية مجال علمي وشغلي الشاغل ، وموضوع دراستي ، وكانت معظم مؤلفاتي وكتاباتي باللغة العربية أصالة ، ثم نُقلت هذه المؤلفات إلى اللغات الأخرى ، وأستعير هنا ما قاله شاعرُ الإسلام « محمد إقبال » تحديثاً بالنعمة ، وتعبيراً عن حقيقة الحال :

---

(١) في مسيرة الحياة : للعلامة الندوي (٣/ ٧٥ ـ ٧٦).
(٢) المرجع السابق : (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

(إنْ كـان مـزمـاري عجميـاً ، فـإنَّ ألحـانـه عـربيـة ، ونغمـي عربي) . » .

إنَّ هذا واضح جليّ في كلماته : أنه كان مستعدّاً للتضحية في سبيل عودة العرب إلى رسالتهم وقضيتهم وجهودهم بكل دمه وماله ومكانته .

فهذه كلماتُه كلمات محب مستعدّ لبذل كلِّ شيء في سبيل محبوبه وعاشقه . . . وليس في كلماته أيُّ أثر للصنعة أو التكلُّف . . .

لقد خاصم ـ رحمه الله ـ على كُرْهٍ منه كثيراً من القيادات العربية . وقد مُنع من دخول كثير من البلاد العربية ، لمجرَّد إخلاصه وصراحته في تقديم النصيحة .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثالث :

ترشيد الصحوة الإسلامية اليوم
كما يراه العلامة الندوي

قد كثر الحديثُ عن الصحوات الإسلامية في بلاد مختلفة ، وكثر التفاؤلُ بها والاعتماد عليها ، وكانت لا تزال في حاجة إلى توجيهات عميقة مخلصة ، واستعراض أمين دقيق ، في ضوء دراسة واسعة هادفة للتاريخ ، وتجارب الدعوة والصحوات ، والحركات والانتفاضات ، قديماً وحديثاً ، ومعرفة واقع الحياة والمحيط ، والاتجاهات والحركات ذات الخطر والأثر في الحاضر والمستقبل ، التي تعاصر هذه الصحوةَ ، بقوة ونشاط ، وأهداف عميقة بعيدة ، وما تعيشه هذه الأمةُ من محن وأزمات ومؤامرات ، ومخطَّطات دقيقة رهيبة ، لا يسوغ التغافلُ عنها ، ولا الاستهانة بشأنها وخطرها ، وقد عاصر العلاَّمةُ الندوي صحوات مضى مضى عليها نحو نصف قرن ، وعرف كثيراً منها عن كثبٍ لا من كتبٍ ، وكان له اتصال بقادة بعضها ، وتقدير واعتراف بمجهودهم ونتائجه ، وترحيب وتشجيع لبعضها ، وتوجيهات ولفتات أخوية إلى ما يكمل النقص ويزيد في القوة والتأثير وإلى ما يستحق العناية الزائدة ، والاهتمام الأكثر من القادة الموجهين والمسؤولين والعاملين ، فتلقى ذلك ـ في أكثر الأحيان ـ بالشكر والتقدير ، أقدِّم هنا بعض توجيهاته السديدة ، ونصائحه الحكيمة للعاملين لترشيد الصحوة الإسلامية ، نقلاً مما جاء في محاضرته التي ألقاها في قاعة المحاضرات بالمجمع الثقافي الكبير في أبوظبي (الإمارات العربية المتحدة) بعنوان « ترشيد الصحوة الإسلامية » تقتطف منها ما يعبِّر عن رأي العلاَّمة الندوي :

الصحوة الإسلامية مسؤولية كبيرة وأمانة دقيقة :

« إنَّ الصحوة الإسلامية في الحقيقة مسؤوليةٌ كبيرةٌ ، وأمانةٌ دقيقةٌ جليلةٌ ، فإنها إذا أخفقت فهي كالسَّهم إذا طاش وأخطأ الهدفَ ، فإنه لا ينسب هذا الخطأ إلى القوس ،

www.abulhasanalinadwi.org

ولا يحمل على مصادفة أو فلتة ، بل إلى الرامي ، فإخفاق السهم في إصابته الهدف ، إنما يأتي من ضعف الساعد وعدم قدرة الرامي ، وكذلك الصحوة إذا اتّخذت منهجاً غير دقيق ، وغير مخطّط تخطيطاً دقيقاً جامعاً ، أفقدت الثقة أو أضعفتها بصلاحية الإسلام في إنشاء الصحوة الصالحة القوية .

الصحوة من طبيعة الإسلام وواجباته ، وحاجات البشرية الدائمة :

الصَّحوة في الحقيقة من طبيعة الإسلام ، يجب أن تمتدَّ وتتسلسلَ وتتصلَ اتصالاً مستمّراً ؛ لأنَّ هذه الأمة هي الأمة المختارة ، والأمة الأخيرة المبعوثة للإنسانية جمعاء ، وهو تعبير نبوي عن هذه الأمة ، وقد أُثِرَ عن الرسول عليه الصلاة والسلام : أنه قال لبعض كبار الصحابة : « إنَّما بُعِثتم ميسِّرين ولم تُبعثوا معسِّرين »[1] .

ولا أبلَغ ولا أوضح من قول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2] [آل عمران : ١١٠] .

« وهذا العصر يحتاج إلى الصحوة الإسلامية أكثر من أي زمان ؛ لأن هذا العصر هو عصر الشهوات والشبهات ، وعصر الفلسفات ، وعصر الأساليب الفكرية الأجنبية عن الإسلام ، فنحن نرحب بالصحوة الإسلامية في كل بلد ، وندعو لها بالتوفيق ، ولكن هذا لا يمنعنا من تناول هذه الصحوة بشيء من النقد الهادف ، ومِنْ وَزْنِ هذه الصحوة على ميزان العقيدة الإسلامية ، وعلى ميزان المقاييس والمعايير الصالحة .

وعندي أيها الإخوة ! ملاحظاتٌ ربما تنفع المساهمين في هذه الصحوة ، والداعين إليها ، والعاملين بها ، وهي :

١ ـ أن تكون موافقةً للعقيدة الإسلامية الصحيحة :

إنَّ أوَّل شرط لسلامة هذه الصحوة وجدارتها بالثقة والاحترام والدفاع ، هي أن تكون الصحوةُ موافقة للعقيدة الإسلامية المنبثة من الكتاب والسنة ، بحيث تتفق وعمل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ والأسوة به ، والأسوة بالخلفاء الراشدين من بعده ،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة ، باب الأرض يصيبها البول ، برقم (٣٨٠) ، والترمذي في أبواب الطهارة، باب ما جاء في البول. . ، برقم (١٤٧) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في مسيرة الحياة : للعلامة الندوي ، (٣/ ٢٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

وفهم الراسخين في العلم ، وعقيدة الجمهور من المسلمين ، أو تكون مجردَ ردِّ فعل في مواجهة أوضاع محلية ، أو مجرد وعود لإقامة حكومة إسلامية ، أو سيادة سياسية وعرض لإمكانياتها ، فيرحب الناس بها ، ويتحمس الشباب للدفاع عنها ، بصرف النظر عن عقيدة قادة هذه الحركة وانحرافاتهم عن العقائد الإسلامية المجمع عليها ، بل محاولة لها أو ثورة عليها في بعض الأحيان .

٢ ـ التوسُّعُ في الدراسة الدينية ، وتغذية الشباب المثقَّف بالغذاء الفكري الصالح القوي الدسم :

أنْ تتصف هذه الصحوة بشيء من التوسع والتعمق في الدراسة الدينية ، وفي فهم الكتاب والسنة ، ويرافقها ويقترن بها الوعي المدني ، وفهم القضايا المعاصرة والحركات والتيارات العاملة النشيطة وموقفها من الإسلام ، وأثرها في الحياة وخطرها على مستقبل هذا الدين والجيل الإسلامي ، والإطلاع على أهداف القيادات التي تريد أن تسيطر على هذه البلاد والبيئات ، وتتسلّم زمامَ توجيه المجتمع وِفق عقائدها وقيمها ومثلها ، وسبك الحياة سبكاً جديداً ، فإنَّ التغاضي عن هذه القوَّات ، والطاقات ، والحركات والقيادات ، وانطواء الجماعات الإسلامية على نفسها ، معتمدة على تمسكها بالدين والدعوة إليه ، والاشتغال بأداء الفرائض والواجبات الدينية ، وحياة الطهر والعفاف والعبادات والطاعات ، يحول بعد مدة من الزمن بينهما وبين حرية العمل بالدين ، وتطبيق أحكام الشريعة ويضيق الخناق حولها . ويُعنَى بالشباب المثقّف ـ الذين يزداد عددهم في هذه الصحوات ـ عناية خاصة ، فيُغَذّوا بالغذاء الفكري الصالح القويّ الدسم ، الذي ينوّر عقولهم ، ويعيد فيهم الثقة بصلاحية الإسلام للقيادة وحلِّ مشاكل الحياة ، ويجب أن يُحثّوا على الارتباط القوي العميق الإيماني والعملي بالقرآن الكريم ، ودراسة السيرة النبوية ، وتاريخ الإسلام الأول ، وتاريخ الإصلاح والتجديد وقادتهما . . الذي يشغل مواهبهم ، وينير لهم السبل لتوجيه طاقاتهم توجيهاً قيادياً سليماً .

٣ ـ ضرورة كون الصحوة إيجابية ، والتوقي من المجابهة وإثارة المشاكل والمعارضات من غير ضرورةٍ :

أن لا تكون هذه الحركة سلبيةً محضةً تسرع إلى مجابهة الحكومات والطاقات ذات

www.abulhasanalinadwi.org

القوى والوسائل ، وتُحدث لها مشكلات وعراقيل في الخطوة الأولى ، فتضيع بذلك كثيراً من طاقاتها وأوقاتها ، وتُنشىء لها أعداء ، وقد تجاهد في غير جهاد ، وفي غير عدوٍّ ، بل يجب أن تكون إيجابيةً أكثر منها سلبية ، وتفضِّل العمل بمبدأ إيصال الإيمان إلى أصحاب الكراسي ، وحملهم راية الإسلام ، وتطبيق النظام الإسلامي بأنفسهم ، على مبدأ إيصال أصحاب الإيمان وأعضاء حركة إصلاحية إلى كراسي الحكم ، أو احتكار عمل تطبيق النظام الإسلامي ، وقلب أوضاع المجتمع لأفراد جماعة خاصة ودعاة مخصوصين .

ولم أجِدْ في دراستي لتاريخ الإصلاح والتجديد في الإسلام مجهوداً تحقَّق له النجاح ، ومصلحاً تمكَّن من قلب الأوضاع ، وتغيير مجرى التاريخ وإرغامه على أن ينحو نحواً جديداً مثل ما تحقَّق للإمام أحمد بن عبد الأحد السَّرْهِنْدي (م١٠٣٤هـ)[1] .

٤ ـ أهميَّة الزهد والقناعة ، والعزوف عن حُبِّ الغلوِّ ، والتنافس في الدنيا في تاريخ الإصلاح والدعوة :

هو أن يتصف قادة الصحوة الإسلامية بشيء من العزوف عن المناصب والرئاسات والحياة الرغيدة الناعمة ، ومنافسة أرباب المناصب والجاه فيما وسع الله عليهم في الدنيا ، ويتسمون بسمة الزهد والقناعة والتوكُّل ـ حسب طاقتهم وفي الحدود الشرعية من غير رهبانية وغلوٍّ ـ على قدم السلف الصالح وأصحاب العزيمة .

وقد رأينا الزهدَ والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام ، فلا نعرف أحداً ممَّن قلب التيارَ ، وغيَّر مجرى التاريخ ، ونفخ روحاً جديدة في المجتمع الإسلامي أو افتتح عهداً جديداً في تاريخ الإسلام ، وخلف تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين ، وظلَّ قروناً يؤثِّر في الأفكار والآراء ، ويُسيطر على العلم والأدب ، إلا وله نزعةٌ في الزهد ، وتغلبٌ على الشهوات ، وسيطرةٌ على المادة ورِجالها ، ولعل السِّرَّ في ذلك : أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة ، والاعتداد بالشخصية والعقيدة ، والاستهانة برجال المادة ، وبصرعى الشهوات وأسرى المعدة » .

---

(١) اقرأ الجزء الثالث لـ « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » الخاص بالإمام السرهندي .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ منصب التجديد والبعث الجديد ، إنما هو خلافة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد قيل له : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] .

وأُمِر بأن يقول لأزواجه : ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨] ، وهذه سنةُ الله فيمن يختاره لهذا الأمر العظيم ، ومن يرشح نفسه ويمنيها بهذا المنصب الخطير ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] .

٥ ـ العنايةُ ببقاء الشعور بأهمية الجهاد في سبيل الله وفضله :

أن يقترن نشاط هذه الصحوة بروح التضحية والبطولة ، والجلادة والتقشف ، والقدرة على المغامرات ـ إنْ كان لا بدَّ منها ـ فإن الناس ما زالوا مفطورين على تقدير الإيمان القوي والعزَّة وروح المخاطرة ، وعلى الإجلال لشيء لا يجدونه عندهم ، وتاريخ الإسلام مليءٌ بالبطولات والمغامرات .

ووجود هذا الفراغ ـ عدم وجود روح التضحية والبطولة ، ـ والاعتداد بالإيمان والشخصية الإسلامية ـ يسبب ذلك نشوء حركة منحرفة زائغة ، فاسدة العقيدة والمنهج ، سلبية هادمة مدمِّرة ، يكون لها سحر على النفوس ، لا يبطله وعظُ واعظٍ ، أو مقالُ كاتبٍ ، أو استدلال منطقيٌّ ، أو بحث علميٌّ ، يشهد بذلك تاريخ كثير من الحركات العسكرية الثورية ، التي ظهرت باسم قلب الأوضاع الفاسدة[1] ، أو باسم الإسلام والإصلاح ، كذباً وزوراً أحياناً كثيرة ، والسَّيل لا يمسكه إلا سيلٌ مثله ، والتيار لا يدفعه إلا تيارٌ أقوى منه ، والباطل القوي لا يقاومه إلا الحق القوي ، وعدم وجود روح التضحية والفداء في سبيل العقيدة الصحيحة والأهداف الصالحة ، يمهِّد الطريق للوقوع في شبكة الدعوات المنحرفة الزائفة ، فقد بلغ التذمُّرُ من الأوضاع الفاسدة ، وتغلُّبُ النظم الجائرة نهايته . ومن لم يجد ماءً زلالاً سائغاً ؛ أروى ظمأه من الماء الفاسد العكر[2] .

وصدق الله العظيم ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٢].

---

(١) مثل ثورة كمال أتاتورك ، والثورة الإيرانية .

(٢) في مسيرة الحياة : (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٦٤) باختصارٍ يسيرٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

٦ ـ كيف تقع حركات إصلاحية جذرية فريسة الجمود ؛ الذي تنشأ لإزالته ، وتفقد الحيوية والحركية :

ومن عِبَر التاريخ المتكررة ، ودروسه التي يجب أن يُنتفع بها : أن حركات إصلاحية جذرية قامت لإزالة الجمود الطارىء على العقول والتفكير الحياة ، وإزالة الطُحْلُب[1] عن سطح ماء النهر الإسلامي الجاري ، والقضاء على التقيُّد ببعض التقاليد العرفية ، ومقاييسها ومطالبها التي ما أنزل الله بها من سلطان ، قامت لتحريك العقول والطاقات في المجتمع الإسلامي ، لفهم قضايا العصر ، وتحقيق مُتطلَّباته الصحيحة المقبولة ، ومسايرة العصر ، بل قيادته قيادة صالحة رشيدة ، والبرهنة على صلاحية الإسلام لقيادة كل عصر وحل مشكلاته ، وقدرته على إجابة كل سؤالٍ ، ومواجهة كل تحدٍّ .

ومِن عِبَر التاريخ : أن كثيراً من هذه الحركات الإصلاحية الجذرية ـ ولا أقول الثورية ـ وقعت على مر الزمن فريسة الجمود والركود اللذَيْن نشأت لمحاربتهما ، وأصبحت أسيرة منهجها الأول ، الذي كان مطابقاً لوضع العصر الذي نشأت فيه ، محققاً لمتطلبات حركة إصلاحية في إطار خاص محدود ، وتمسَّكَتْ بالخطوط والحدود ، التي رسمها قادةُ هذه الحركة في الماضي عن إخلاص ووعي ، إجابة لنداء العصر ، وتطبيقاً لما أنبأ به الرسول ﷺ بقوله : « يحمل هذا العلم من كلِّ خلفٍ عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »[2] ، وتمسَّكَتْ بهذه الخطوط والحدود ، تمسُّكَ الناس بالمنصوص القطعي ، الذي لا يقبل حذفاً ولا زيادة ، ولا مرونة ولا توسُّعاً ، وسيطر على العاملين في مجال هذه الدعوة والحركة : الركودُ الفكري ، والتطرُّف في بعض الحيان ، والجمود على منهجهم كنصوص الشريعة القطعية ، والآيات القرآنية .

---

(١) الطُحْلُب : خضرة تعلو الماءَ المزمن الركود .

(٢) أخرجه سليمان بن أحمد في مسند الشاميين (١/ ٣٤٤) برقم (٥٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٤٠) : رواه البزار ، وفيه عمر بن خالد القرشي ، كذَّبه يحيى بن معين ...

www.abulhasanalinadwi.org

السبب في ذلك :

وقد كان ذلك ؛ لأنَّ هذه الحركة قد فقدت عنصر النُّموِّ والقدرة على استعراض المحيط ، وطبيعة العصر وقضاياه الطريفة المتجدّدة ، والقدرة على التطبيق بين المنهج الإصلاحي وواقع الحياة ومتطلّباته ؛ ومن الحقائق : أنّ الإسلام استطاع أن يساير كل زمن ، وهو يثبت جدارته لقيادة المجتمع البشري ، والتطبيق بين تعاليمه وحاجات العصر ، لوجود العلماء والقادة الذين لم يفقدوا ـ قطُّ ـ النموَّ الفكري ، والذكاءَ الممتاز ، والقدرةَ على الاجتهاد واستنباط الأحكام من الأصول الدينية ومصادر الشريعة الأولى ، في كل زمانٍ ، ومواجهة كل تحدٍّ في عصرهم ومصرهم ، وتحقيق كل ما يطلبه الزمان وتحتاج إليه الأمة ، بقدرةٍ فائقةٍ ، وعبقريةٍ باهرةٍ ، ولم يغمضوا عيونَهم عن واقع الحياة ، ولم يصمُّوا آذانَهم على نداء العصر وطلبه ، فبقي هذا الدين حيّاً خالداً ، مقبولاً سائغاً ، قادراً على قيادة المجتمع البشري وترشيده ، وتسييره في دائرة الإسلام على الخط السليم ، والصراط المستقيم »[1] .

ويحسُنُ بي أن أنقُلَ في ختام هذا المبحث كلمةً قيمةً للداعية الكبير الشيخ يوسف القرضاوي ، والذي يتحدَّث فيها عن رؤية العلاَّمة الندوي للصحوة الإسلامية ، يقول ـ حفظه الله تعالى ـ :

« ترشيدُ الصحوة الإسلامية ، التي يشهدها العالمُ الإسلامي ، بل يشهدها المسلمون في كل مكانٍ ، حتى خارج العالم الإسلامي ، حيث توجد الأقليات والجاليات الإسلامية في أوربّة والأمريكتين والشرق الأقصى وغيرها ، وهي صحوة عقول وقلوب ، وعزائم ، ولكن يخشى على الصحوة من نفسها أكثر من غيرها ، فتتآكل من الداخل ، قبل أن تضرب من الخارج .

وأعظَمُ ما يخشى على الصحوة : الغُلوّ والتشديد في غير موضعه ، والتمسُّك بالقشور وترك اللباب ، والاشتغال الزائد بالجزئيات ، والخلافيات ، وسوء الظنِّ بالمسلمين إلى حد التأثيم ، والتضليل ، بل التكفير .

---

(١) في مسيرة الحياة : (٣/ ٢٨ ـ ٣١) باختصارٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

والشيخُ بطبيعته رجلٌ معتدلٌ في تفكيره ، وفي سلوكه وفي حياته كلِّها : فهو قديمٌ جديدٌ ، وهو تراثيٌّ وعصريٌّ ، وهو سلفيٌّ وصوفيٌّ ، ثابتٌ ومتطوّرٌ في لين الحرير وصلابة الحديد ، وهكذا يريد لجيل الصحوة أن يكون »[1] .

* * *

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته : ص(٩١ ـ ٩٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الرابع :

مواقف العلاّمةِ الندوي الحكيمة
من حلّ قضايا المسلمين في الهند

لقد خرَّجَت المدرَستان الكبيرتان (وهما : دارُ العلومُ دِيُوبَنْدَ[1] ، ودارُ العلومُ ـ ندوة العلماء[2]) علماءَ نابغين أقوياء في العمل الإسلامي وخدمة الشعب المسلم الهندي ، وخَرّجتا شخصياتٍ فكرية ودعوية واجتماعية قامت بمواجهة الظروف السيِّئة ، وإخضاعها لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين .

وكان مِنْ تلك الشخصيات البارزة ، من أبناء دار العلوم ندوة العلماء الفكرية والتعليمية : العلاَّمة السيد سليمان الندوي[3] ، والأستاذ الكبير عبد الباري الندوي[4] في السابق ، والعلاَّمة أبو الحسن الندوي في الأخير ، الذي خدم الإسلامَ ، والأمة الإسلامية في مجالات عديدة من الحياة ، منها مجال التربية ، ومجال الأدب والعلم ، ومجال الدعوة والإصلاح ، ومجال صيانة الشريعة الإسلامية من التغيير ، ومجال دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، ومجال السياسة الهادفة بطُرق الحوار والإقناع كما أسلفنا الحديث عن ذلك في المباحث السابقة من هذا الفصل .

ولقد أحرَزَ العلامةُ الندوي انتصاراتٍ بالغة في هذه المجالات ، بحكمته ، ورزانته ، وإخلاصه ، وزهده في الدنيا ، وتأثَّر به أناسٌ ذوو مكانة وأهمية في البلاد ، حتى الزعماء الهندوس ، وقد غيَّرَ عددٌ منهم رأيَهم المعارض للمسلمين ، رغم شدَّة إصرارهم عليه سابقاً .

---

(١) قد سبَقَ الحديثُ عنها في الباب الأول ، الفصل الثاني ، ص(١٠٩ ـ ١١٠) .
(٢) اقرأ الباب السادس المخصَّص بها في هذا الكتاب .
(٣) انظر ترجمته في الباب السادس ، الفصل الثاني ص(٨٧٧) .
(٤) انظر ترجمته في الباب السادس ، الفصل الثاني ص(٨٨١) .

www.abulhasanalinadwi.org

وأصبَحَتْ لكلِّ ذلك شخصيةُ العلاَّمة شخصيةً كان يثق بها الأكثريةُ ، حتى المعارضون له في الرأي ، وإذا حضر حفلةً أو اجتماعاً يرفعون منزلتَه ، وقد يقدِّمون إليه رئاسة الحفل وهو من علماء الشريعة الإسلامية ، ومن المحافظين في الدين والربّانيين من المسلمين ، وشخصيته كانت موقّرةً حتى بين رجال الأدب والعلم والسياسة المختلفين عن فكرته ورأيه كذلك .

لقد كانت الخصائصُ التي تربَّى عليها العلاَّمةُ هي أولاً : سموُّ النفس وصفاؤها ، والرقة والرحمة في السلوك مع الناس ، فقد كان والده العالم الجليل تقيّاً صالحاً ، وكانت أمُّه من أعظم الصالحات بين أقرانها من أسرتها ، فكانت تؤكِّد لأبنائها على السِّيرة الحسنة ، والمحافظة على الدِّين ، وتوفِّي والد العلاَّمة وهو ابن تسع سنين ، فربَّته والدتُه على السلوك الإسلامي الممتاز ، والسيرة الإنسانية الطيبة ، وألزمته بأن يكون على طريق السَّلف الصالح .

فكلُّ ذلك كان له أثرٌ في صياغة سيرته وسلوكه وثقافته ، ومنهج عمله في الحياة ، حتى اشتهر في الناس بفهمه للأوضاع ، واختياره لأفضل السُّبل لمعالجتها من توجيهٍ ، وسلوكٍ وعملٍ ، ونال أيضاً الاحترامَ اللائق من أصحاب العلم والدين .

ودخل العلامةُ الندوي في حياة الكفاح والعمل ، فأصبح عالماً وأديباً وأستاذاً في جامعة ندوة العلماء ، التي كان درس فيها على منهج الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، واختار هذا المنهج في ممارسته للدعوة والتوجيه الفكري ، والعمل التربوي بمعرفته للعصر ، وأسباب تقدُّمه ، والإسلام وقِيَمه وواجباته ، فسار على هذا المنهج في تربيته لتلاميذه ، بتعريفهم بالفكر المعاصر والمذاهب المعاصرة ، وأراد إنشاءَ الشعور بالاعتزاز بالإسلام وعلومه في نفوسهم ، أمَّا في مجالات عمله فقد جمع بين مهنة التعليم في جانبٍ ، وعمل الدعوة بلسانه وقلمه في جانبٍ اخر ، فاشتهر بخُطبه ومحاضراته في أنحاء العالم مع اشتهاره بتأليفه وكتاباته في اللغتين الأردية لغةَ وطنه ، والعربية لغة المسلمين الأولى ، وكان قادراً مجيداً فيهما ، مع معرفته للغة الإنكليزية قراءة وتحدُّثاً .

اختار العلاَّمةُ ثلاثةَ مجالات لعمله الاجتماعي ، وهي :

www.abulhasanalinadwi.org

أولًا : تربية النفوس على الأخلاق الكريمة ، وتحسين مستوى التعليم في المسلمين وتوسيعه .

وثانياً : نصرة القضايا الإسلامية في بلده العلماني ، وتقريب الفئات المبتعدة عن السيرة الصالحة ، والمعادية للإسلام والمسلمين إلى فهم الإسلام ، ووضع المسلمين الأصيل .

ففي المجال الأول قام بتربية النفوس على الصلاح بمؤازرة التعليم بجانبيه : العصري والديني في المعاهد والجامعات للمسلمين ، منها : (جامعة عليكرة الإسلامية) للعلوم العربية ، فقد كانت هذه الجامعةُ أخصَّ الجامعات بالمسلمين ، وكانت رفيعةَ المستوى ، وعديدة الأقسام ، وقد واجهتْ منذ استقلال الهند صعوبةً في المحافظة على صفتها الإسلامية بسبب الإشراف الحكومي عليها ، فقام المسلمون بمكافحة الضرر الذي كان يلحق بها ، فكان العلاَّمةُ متعاوناً مع المدافعين عنها بتأثير شخصيته ، التي كان عددٌ من أصحاب السلطة العليا مقدِّرين لها : لأسباب لها أهميتَّها[1] .

وكان العلاَّمةُ الندوي يفكِّر دائماً بعد انقسام الهند في ألا يضيِّع المسلمون سماتهم الدينية والإيمانية ، وألا تحرم أجيالُهم القادمة الجديدة إيمانها وعقائدها الدينية العظيمة الأساسية وتندمج في الثقافة الهندوسية ، ولا تطلع على التعاليم الإسلامية بحكم تعلُّمِها في المدارس الرسمية ، وكان هذا أكبرَ موضوع شغل تفكيره ، فتفكَّر ، واضطرب به ، وأعرب عن آرائه وأفكاره في سائر خطبه متألِّماً مضطرباً ، وكان أحياناً يهزُّ المسلمين بتلاوة هذه الآية الكريمة وترجمتها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم : ٦] .

ويُشير على المسلمين أن يؤسِّسوا في سائر البلاد المؤسَّسات التعليمية الابتدائية الدينية لأطفالهم ، ويؤسِّسوا الكليات ، والجامعات الإسلامية التي يقومون فيها بتوفير

---

(١) من مقال فضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوي بتصرفٍ واختصارٍ ، الذي قدَّمه في حفلة تكريم العلامة الندوي في إستنبول عام ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) .

www.abulhasanalinadwi.org

وسائل تعليم العلوم العصرية مع تعليم العلوم الدينية الأساسية ، وأحياناً يُثير عواطف المسلمين الإيمانية بتلاوة هذه الآية القرآنية : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣] ويقول إنَّ نبيّاً من أنبياء الله يفكّر في أمرِ حفظ إيمان أولاده الذين نشؤوا وترعرعوا في البيئة الدينية الإيمانية مثل هذا التفكير عندما حضره الموتُ ودنا أجلُه ، فعلينا أن نُبالِغ في التفكير والتدبير للاحتفاظ بإيمان وعقائد أطفالنا وأولادنا ، لأنَّ بيئة بلادنا مفسدةٌ للإيمان ، وداعيةٌ إلى الكفر والشرك ، وتعمُّ فيها وسائلُ كثيرة لإفساد دينِ وأخلاق أولادنا وشبابنا .

أوقدَتْ مقالاتهُ وخطبه في قلوب كثير من المسلمين مصابيحَ التفكير في هذا الأمر المهمِّ[1] ، فتأسَّسَتْ بترغيبه وتشويقه « حركة التعليم الديني لطلبة الصفوف الابتدائية ، والتي رأَسها العلامةُ ، والتي كانت قاعدةَ المراحل التعليمية كلِّها ، ومنها ينتقل في نفوس الطلبة الأثرُ الذي تلقَّوه فيها ، وأنشأت هذه الحركة آلافاً من المدارس الجانبية للتعليم الديني ، كانت تغذِّي الأطفالَ واليافعين المسلمين بالمعاني الإسلامية ، التي تحفظهم من ذوبان شخصيتهم في التيَّار الثقافي العلماني أو المشرك السائد في مدارس البلاد ، وبتأثير هذه الحركة نجا مئاتُ الآلاف من أطفال المسلمين من ذوبان شخصيتهم الإسلامية .

كما اعتنى العلامةُ بنشر المنهج التعليمي الجامع بين علوم التراث الإسلامي ومواد التعليم العصري ، وبخاصة المواد الاجتماعية مع المهارة في التعبير ، والأخذ من الحضارة الغربية وسائل النهوض المفيدة ، والاعتماد على التوفيق الإلهي والمعرفة الدينية ، وتبلورَتْ مساعيه في ندوة العلماء ، فتخرَّجَ منها جبلُ بل جيلان من أصحاب الكفاءة العلمية ، والقدرة الأدبية ، والعمل الدعوي ، كما ظهرت له كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ذات تأثيرٍ أخَّاذٍ للنفوس .

---

(١) من مقال الأستاذ عتيق أحمد القاسمي بتصرُّفٍ واختصار ، المنشور في جريدة « الرائد » عدد (٢١) السنة (٤٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

أمَّا في المجال الثاني ، وهو نصره للقضايا الإسلامية في بلده العلماني ، فقد قام في هذا المجال بالدفاع عن الأحوال الشخصية الإسلامية ، التي كانت ولم تزل باقيةً محفوظة للمسلمين تحت نصوص الدستور الهندي ، الذي كان يسمح لكلِّ طائفةٍ بالعمل في مجالها الخاص بدينها وثقافتها ، ولكنَّ أصحابَ السلطة كادوا ينسون أو يتناسون حقَّ المسلمين في هذا ، فأنشأ علماءُ المسلمين ووجهاؤهم في الهند ـ وكان العلامةُ في مقدَّمتهم ـ مجلساً إسلامياً استشاريّاً عامّاً للهند ، جمع فيه جميع الفئات المسلمة في البلاد ، فكان ذلك اتحاداً فريداً للمسلمين ، فقام بجهدٍ كبيرٍ ، وذلك بالحوار والاتصالات حتى نجح في صيانة أمن المسلمين والمحافظة على صفتهم الإسلامية .

ثم أنشأ المسلمون مجلساً عاماً للأحوال الشخصية الإسلامية ، وقاموا عن طريقه بالدفاع عن بعض جوانب الشريعة الإسلامية ، التي تصدَّى لإلغائها المتطرِّفون الهندوس ، ووافقهم في ذلك قضاتُهم بمحكمة النقض العليا ، فتصدَّى لهذا الحادث الفاجع المجلسُ الإسلامي ، وكان ترجمانه الأكبر ورئيسه هو العلامةُ الندوي لدى رئيس وزراء الهند ، وقد استطاع إقناعَ صاحب الحكم في البلاد بجدارة الحكم الإسلامي في معاملة الزَّوج المسلم مع زوجته المطلَّقة ، فقام رئيس الوزراء بالاستجابة لطلبه بتعديل مادة ذات صلة بهذا الجانب من الأحوال الشخصية في الدستور الهندي ، حتى تصبح فُسحةً للمسلمين للعمل بشريعتهم ، فكان ذلك نجاحاً باهراً فريداً للمسلمين وهم أقلية مكروهة في البلاد أمام أغلبية قاهرة معارضة للمسلمين في هذه القضية ، ولم يزلْ المجلسُ تحت رئاسته يؤدِّي دوره في كل ما يُواجِه من صعوبات في طريق عمل المسلمين في الهند بشريعتهم الإسلامي إلى أن وافاه الأجلُ المحتوم .

أمَّا مجالُ تقريب الفئات المبتعدة عن السيرة الصالحة ، فدأَبَ العلامةُ الندوي منذ شبابه على عمل الدعوة والإصلاح ، وأضاف إليه أخيراً سعيَه لإصلاح الفساد العملي في حياة المسلمين ، وانحرافهم عن الحياة الإسلامية السليمة ، ومنها : التبذير ، والطقوس الجاهلية ، وتقليد غير المسلمين في الأحوال الشخصية ، ولقد أثَّر سعيُه وسعي زملائه من العاملين في هذا المجال تأثيراً كبيراً ، فكم من حفلات الزواج عقد المتزوِّجون فيها زواجَهم تحت إشراف العلاَّمة بدون أيِّ تبذيرٍ وطقوسٍ جاهليةٍ ،

www.abulhasanalinadwi.org

وكم من الناس تركوا طقوساً غير إسلامية ، وأصبحوا ملتزمين بالتوجيهات الإسلامية للحياة .

أمَّا في شأن المعادين للإسلام والمسلمين مِن هندوس وغيرهم ، فقد قام العلاَّمةُ بحركة (رسالة الإنسانية) يعقد لها اجتماعاتٍ لأبناء الطبقة المتعلِّمة من الطائفتين المسلمة وغير المسلمة ، ويدعو فيها الحاضرين إلى إصلاح نفوسهم وسلوكهم في الحياة ، وإخضاعها للأخلاق الإنسانية الرشيدة ، مما لا يختلف في خيرها وصلاحها دينٌ عن دين آخر ، وهي مثل خدمة الضعفاء والمحتاجين ، والتعاون على طلب الخير للجميع ، والسعي لإنقاذ الناس من الوقوع في فساد ودمار ، ومن نشر السَّلام والوئام فيما بين أبناء الوطن الواحد ، والمواطنين بعضهم مع بعض .

لقد عقد العلاَّمةُ الندوي اجتماعاتٍ كبيرةً في مُدُنٍ هنديةٍ مختلفةٍ ، وساعده في ذلك تلاميذُه وإخوانه ممَّن أحبَّوه وصاحَبوه ، وبعضُ ذوي الإحساس الإنساني من الطبقة المتعلِّمة من غير المسلمين ، وأثَّرَ ذلك على نفوس عدد لا بأسَ به من المتعلِّمين غير المسلمين ، حتى بعض القُضَاة والحكَّام منهم ، واعتنق عددٌ منهم الإسلامَ بعدما انشرحتْ صدورُهم إلى فهم دعوة العلاَّمة والدين الذي يتبعه ، وقرأوا مؤلَّفاتِه والكتب الشارحة للإسلام ، وكان يرى العلاَّمةُ : أنَّ هذه الطريقة هي الطريقة النافعة في بلدٍ يختلط فيه المسلمون مع غير المسلمين ، وهي طريقة الحوار والتعريف بالإسلام ، ومعاملة الأجانب معاملة الأخوة والمحبة على الأساس الإنساني الكريم .

ولقد استطاع العلاَّمةُ بذلك وضعَ خطَّةٍ مؤثِّرةٍ ناجحة لتقريب النفوس إلى الإسلام ، وإذابة مشاعر الحقد والعداوة في نفوس المعادين للإسلام ، وإيناسها بالإسلام ، وبذلك يكسب المسلمون في البلد غير المسلم صداقةَ أعدائهم معهم أو ذوبان عداوتهم ضدَّهم على الأقل .

وكان يرى العلاَّمةُ : أنَّ الحوار البليغ المؤثِّر يفعل في النفوس ما لا يفعله غيرُه إلا نادراً، ويرى: أن الاتصال بالمعارضين بالحوار الحكيم معهم يأتي بنتائج باهرة ، ويرى في معاملة الحكَّام الجائرين ، أو المعادين للمسلمين : أنَّ مواجهة مخالفتهم وعداوتهم بأسلوب المعاداة يجعلهم أكثرَ نفوراً وابتعاداً ، وقد تُلجِئهم المجابهةُ إلى اختيار سُبُل الظلم والقمع أكثر ، فخير منهج في ذلك هو القول اللِّين ، والمعالجة الحكيمة اتباعاً

www.abulhasanalinadwi.org

لقول الله تعالى لسيِّدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام عندما أمرهما بمخاطبة فرعون : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] . وقوله جلَّ وعلا لرسوله محمَّد ﷺ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وكان يرى : أنَّ السَّعي لوصول المؤمنين الصالحين إلى كراسي الحكم قد لا يُجدي كثيراً ، كما يجدي إيصالُ الإيمان والصلاح إلى المتربِّعين على كراسي الحكم ، ويستشهد بمقولة لحاكم مسلم : « إنَّهم يريدون أن ينتزعوا الكرسيَّ مني ، فإنِّي أكسر الكرسيَّ ، ولا أعطيهم »[1] .

توفِّي العلاَّمة ـ رحمه الله ـ وليس في طُول الهند وعرضها عالمٌ دينيٌّ ، وقائدٌ إسلاميٌّ تهابه الحكومة في قرارة نفسها ، وتحسب له في سلوكها ، وتفكِّر لدى اتخاذ قرارٍ يمسُّ الإسلامَ والمسلمين أكثر من مرَّةٍ ، وقد تسحب القرارَ الذي قد اتخذَتْه ونَفَّذَتْه ، فهاهي الحكومةُ الإقليمية في ولاية (يُوْبي) تُصدِر مرسوماً لإرغام طلاَّب المدارس العصرية ـ بمَن فيهم الطلاب المسلمون ـ على أن يبدؤوا مشوارَهم الدراسيّ كلَّ يوم بإنشاد نشيد (وَنْدَيْمَاتَرَمْ) المشتمل على الوثنية المتعارضة مع عقيدة الإسلام ، فيصرخُ في وجهه ، ويُصارخ بأنَّه هو وشعبه المسلمين سيفضِّل الموتَ على الحياة التي يرغم فيها على التَّغنّي بمثل هذا النشيد الذي يقدِّس ما سوى الله عزَّ وجلَّ . وما أن يقرعَ المقالُ المؤمنُ أسماعَ المسؤولين في الحكومة ، حتى يسحبوا القرارَ ، ويؤكِّدوا : أنَّهم لن يفرضوا على المُواطِنين على كرهٍ منهم ما يضادُّ عقائدهم[2] .

فهكذا كان رحمه الله يقومُ بحلِّ قضايا المسلمين في الهند . بهذه الأساليب والطرق الحكيمة طريقة المحبَّة والحوار ، والتعبير الدعوي المؤثِّر ، والعمل السِّلمي الحكيم ، مع محافظةٍ كاملةٍ على القِيَم والعقائد الإسلامية العالية ، وحياةٍ صالحةٍ تقيةٍ فيها الزهدُ والقناعة لنفسه ، والإخلاص وطلب الخير للجميع ، وقد أحرَزَ بمنهجه هذا حبّاً في

---

(١) من مقال فضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوي بتصرُّفٍ واختصارٍ ، قدَّمَه في حفلة تكريم العلاَّمة الندوي في إستنابول عام ١٤١٧هـ (١٩٩٦) .

(٢) مجلَّة « الصحوة الإسلامية » العدد الخاص بالعلامة الندوي (٣٦) السنة (١٣) ، ص(٦٨) من مقال الأستاذ نور عالم خليل الأميني .

www.abulhasanalinadwi.org

قلوب الجميع ، كما أحرز نجاحاً كبيراً في هدفه التربوي والإصلاحي ، وفي طلبه لتغيير الأوضاع الفاسدة ، جزاه الله عن هذا الشعب المسلم الغيور على دينه أحسن الجزاء !

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثالث

العلّامة أبو الحسن النّدوي

مربّياً جليلاً

التمهيد : التربية الإسلامية عند العلَّامة الندوي .

المبحث الأول : آراء العلَّامة الندوي في التربية الإسلامية .

المبحث الثاني : مصادر التربية الإسلامية عند العلَّامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

« لو سُئلتُ عن لوحةٍ تُعَدُّ للأمة الإسلامية ، ولا تسع إلاَّ لجملةٍ واحدةٍ فقط ؛ أقولُ : اكتبوا :

﴿ مَاتَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ؟ ﴾ [البقرة : ١٣٣]

وليُحاسِب كلُّ مسلمٍ نفسَه طولَ حياته ، وليتأكَّد قبل مماته : هل يترك أولادَه وأحفاده مؤمنين بالله سبحانه وتعالىٰ ؟

وهل هيَّأَ لهم التعليمَ الديني الكافي الذي يضمن بعد توفيق الله سبحانه وتعالىٰ بقاءهم على الإيمان بالله الأحد الصمد ؟

أم أنَّهم ـ ولا قدَّرَ الله ـ ينحرفون بعد وفاته عن الطريق الحق ، وينساقون وراءَ السَّيل العارم من التيارات المعادية والحضارة الوثنية ، ويذوبون في بوتقة العلمانية والوطنية » .

العلامة أبو الحسن الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

التمهيد :

التربية الإسلامية
عند العلاّمة الندوي

لا تُستمَدُّ فسلفةُ العناية بالتربية الإسلامية الحرَّة المستقلَّة وأهدافها من الغرب ، ولا من الشرق ، وإنما تستمدُّ فلسفتها من الإسلام ، عقيدةً وشريعةً ، وقيماً وأخلاقاً ، في حين تقتبس وسائلها وآلياتها من حيث شاءت ، في إطار أصولها المرعية ، فالحكمةُ ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها . ويُنكِر العلاَّمةُ الندوي ـ رحمه الله ـ على التعليم القديم طرائِقَه في العناية بالألفاظ والجدليات ، كما ينكِرُ على التعليم الحديث إغفاله للروح وأهداف الحياة ، وينقل عن محمَّد إقبال قوله : « إنَّ التعليمَ الحديثَ لا يعلِّم عينَ الطالب الدموع ولا قلبه الخشوع ! » .

ولقد أولى العلامةُ الندوي جانبَ التربية اهتماماً بالغاً ؛ لأنَّها هي التي تصنَعُ أجيال المستقبل ، والتهاوُنُ فيها تهاونٌ في الثروة البشرية للأمة ، وقد نقل العلاَّمةُ عن بعض شعراء الهند[1] ، « إنَّ فرعونَ كان يكفيه عن تذبيح بني إسرائيل : أن يُنْشِئَ لهم كليةً يكيِّفُ عقُولَهم فيها كما يريدُ ، دون أن يريق دماً ، ولكنّه كان غبيّاً ! »[2] .

اهتمَّ العلامةُ بموضوع التربية الإسلامية بحكم أنه موضوع الساعة ، الذي يشغل قادة الفكر والمهتمين بشؤون العالم الإسلامي ، كان شديدَ التركيز على هذا الجانب في

---

(١) هو الشاعرُ الفُكاهيُّ الإصلاحيُّ المعروف : السيِّد أكبر حسين الإله آبادي ، لقَّبه الشعب الهندي بلقب « لسان العصر » . وكان ـ رغم ثقافته الحديثة العميقة ـ متديِّناً محافظاً سليم العقيدة ، قال في الليلة التي توفي فيها : « ما فاتني فريضة ، ولا غفلت عن حزبي » توفي ـ رحمه الله تعالى ـ عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) . ومن آثاره ثلاثة دواوين شعرية ضخام ، تلقتها الأوساط الأدبية والإسلامية بالقبول والاستحسان ، وشهد له كبار الأدباء والشعراء ، منهم شاعر الإسلام محمد إقبال .

(٢) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : للدكتور يوسف القرضاوي، ص (٩٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

معظم أعماله الفكرية ، فهو بنظره المعوّل الأهم في تكوين الجيل الصالح لإقامة المجتمع الصالح . ونظرة مستوعبة إلى أحاديثه الكثيرة في هذا الموضوع كافية لاستبانة هذا الواقع ، ولإمداد الباحث بما يكاد يؤلف منهجاً متكاملاً للتربية والتعليم كما يريده العلاَّمةُ ، بل كما يتراءى له في ضوء الإسلام ، ومن خلال تجاربه العميقة في هذا الميدان[1] .

بدأ العلاَّمةُ الكتابةَ في هذا الموضوع منذ عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) على شكل سلسلة من المقالات نشرها في المملكة العربية السعودية التي رحَّبت به ، واحتضنته ، ثم واصل الكتابة في موضوع التربية الإسلامية بين ثنايا مؤلفاته ، وأهمها :

١ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية .

٢ ـ روائع إقبال .

٣ـ ـ التربية الإسلامية الحرَّة .

والكتاب الأخير يجمع الأفكار التي عبَّر عنها في عديد من محاضراته وندواته[2] .

ألقى العلاَّمةُ محاضرةً هادفةً في مهرجان دار العلوم ـ ندوة العلماء (المنعقد بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٣٩٥هـ) تحت عنوان « أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية » ، وكلمةُ الأقطار الإسلامية لا يلتفت إليها إلا أمثالُه ممَّن يُحسُّون : أنَّ العالم الإسلامي وطنٌ واحدٌ ، فقد رأينا من أشياعِ أوروبا مَنْ يجزِّئون الوطن الواحد إلى عدَّة مناطق ، مدّعين أنَّ كل منطقةٍ لها بيئتها الخاصة التي تُحتّم أن يُقدَّم لها مقرّرٌ خاصٌّ يختلف عن مقررات جاراتها ؛ ومراعاةُ البيئة وظروفها المحلية قد تكونُ نافعةً في علوم الزراعة والتجارة والاقتصاد ! ولكنْ كيف يختلف المقرَّر في مناهج التاريخ واللغة والدين تحتَ شعارٍ مموَّهٍ كاذبٍ مفضوحٍ ؟! .

لقد التفت العلامةُ إلى خطر التجزئة حين تحدّث عن أساليب التربية بالأقطار الإسلامية بعامَّة ، فذكر أول ما ذكر أنَّ كثيراً من التربويين في هذه البلاد يحكّمونَ في مناهجهم التعليمية ومؤسّساتهم التربوية نفراً من الأخصائيين والمستشارين من البلاد

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : للشيخ محمد المجذوب، (١/ ١٥١).

(٢) أصول التربية الإسلامية : تأليف الأساتذة : محمد شحات الخطيب، مصطفى متولّي، وغيرهما، ص (٤٥٣).

www.abulhasanalinadwi.org

الأوروبية ، ثم هم يُرسلون البعثات من أبنائهم ليرجعَ الطَّلابُ ملزمين بما رأوه من المناهج هناك ، وكأنها قرآنٌ منزَّل ! فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة العقائد والسير والأخلاق ، وهي في أحسن أحوالها مذبذبةٌ بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية ، وفي كثير من الأحيان تنسلخ عما يدين به مجتمعها الإسلامي كلَّ الانسلاخ .

إنَّ عملية التربية في أمة من الأمم ليست بضاعةً تصدَّر إلى الخارج أو تستورَد إلى الداخل كالمصنوعات ، والمواد الخام ، والمخترعات التي لا تخص بلداً دون بلد ، وإنما هي لباسٌ يفصّل على قامة الشعوب ، وملامحها القومية ، وتقاليدها الموروثة ، والتربية في صميمها وسيلةٌ راقيةٌ مهذبةٌ لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعبٌ أو بلدٌ ، وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز . . . وقد دارت مناقشاتُ الندوة حول كلمة العلاَّمة ، ولاقت من القبول التام ما جعلها موضعَ التنفيذ المباشر لدى من يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه[1] .

أقدِّم هنا جوهرَ هذه المحاضرة باختصار :

منابع السموم :

تحدَّث العلاَّمة عن عمل المستشارين الأجانب في نظم التعليم المفروضة على العالم الإسلامي ، فيقول عن أصحاب السلطان : إنَّهم « حكَّموا في تخطيط برامجهم التعليمية ومؤسَّساتهم العلمية الأخصائيين أو المستشارين من البلاد الأجنبية ، ولم يستوردوا منها المقررات الدراسية فحسب ، بل النظرات التعليمية والتصورات التربوية ، وأرسلو البعثات إلى الخارج لتنشأ في أحضان المربِّين الغربيين والأساتذة الأجانب ، ثم أطلقوا أيديهم ومنحوهم كلَّ حرية في تخطيط البرامج وسياسة التعليم ، فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة العقائد ، والأفكار ، والسيرة ، والأخلاق ، أحسن أحوالها أن تكون مذبذبةً بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية ، وإلا فهي في أكثر الأحيان تنسلخ من كل ما يدين به مجتمعها ، وأمتها » .

التربية لدعم العقيدة :

وينقل هنا عن (دون آدامس) في أمر هؤلاء الموجَّهين طرفته التالية : « زعموا : أن

---

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين : للدكتور محمد رجب البيومي ، (٣/ ٣٥).

www.abulhasanalinadwi.org

فيضاناً قد اجتاح بعض الأماكن ، وكان هناك قردٌ وسمكةٌ ، فأمَّا القرد فقد استفاد من سوابق تجاربه فتسلَّقَ شجرة ونجا ، ثم وقع بصره على السمكة تكافح التيارَ فأشفق عليها ، وحملها إلى الشاطىء وهو يظن أنه ينقذها ، فكان في ذلك القضاء عليها »[1] .

ويعقب على ذلك بقوله :

« إنَّ عملية التربية في أمة أو بلاد ليست بضاعة تصدر إلى الخارج ، أو تستورد إلى الداخل ، كالمصنوعات أو المواد الخام ، أو الحاجيات أو المخترعات التي لا تختص ببلد دون بلد ، وإنما هي لباس يفصل على قامة هذه الشعوب ، وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة ، وآدابها المفضَّلة وأهدافها التي تعيش فيها وتموت في سبيلها ، وأن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعبٌ أو بلدٌ ، وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز »[2] .

وعلى الرغم من ثقته التامة بصحة هذه الأفكار لم يرضَ إلا أن يؤيدها بموافقات أساطين الخبراء في هذا الشأن من أميركيين ، وبريطانيين ، وحتى الشيوعيين ، مما يؤكِّد : أن ارتباط التربية والتعليم بمقومات الأمم قضية لا خلاف عليها ، بل هي القاعدة الأساسية في بنائها عند كل أمة تريد لنفسها البقاء في معركة الحياة . . وما دام الأمر كذلك فأحقُّ الأمم بالاستقلال في هذا الميدان هي الأمة التي حُمِّلت أمانة الله إلى البشرية ، وبدينها الخالد الكامل خُتمت رسالات السماء إلى الأرض ، فلا سبيلَ لها إلى أداء هذه المهمة إلا عن طريق استمساكها بالتميز ، الذي يحفظ لها أصالتها سليمة من كل تميُّعٍ أو تبعيةٍ أو تقليد . ذلك هو المنطق الرئيسي الذي عنه يصدر العلاَّمةُ في كل ما يتناوله من شؤون التعليم منهجاً وأسلوباً وغاية ، ولا جرم أنَّ لوسطه الندوي إيحاءه الفعَّال في هذا الاتجاه ، بما كان لندوة العلماء من أثرٍ ضخمٍ في إحياء هذه المثل ، وإخراجها من حيز النظر إلى مجال التطبيق .

---

(١) انظر البحثَ بعنوان « أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية » في كتاب « أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية » ص(١٠٣) للعلامة الندوي ، وهو المطبوع في سلسلة « من تراث العلامة الندوي » في دار ابن كثير بدمشق .

(٢) المرجع السابق : ص(١٠٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

تجربة رائدة :

ويصف العلاَّمةُ هذه المؤسَّسة ـ أي : دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ فيقول : إنَّها « تمثِّل فصلاً من أروع الفصول في تاريخ الوعي الإسلامي » ؛ إذ كان قيامها ـ ١٣١١هـ ـ لغرض واحد هو إنقاذ الكيان الإسلامي من عملية التدمير التي شنّها دعاة التغريب ، والردة الفكرية ، والحضارية من المسلمين ، والقوميين ، وغيرهم[١] .

يقول فقيدُ الأدب الإسلامي الأستاذ محمد مجذوب : « . . . والمتتبِّعون لأعمال هذه المؤسَّسة ، والمطلعون على نشاطها الواسع في خدمة الفكر والخلق والعربية ، يؤيِّدون العلاَّمةَ الندوي فيما ذهب إليه من تقديرها . ولا أذيع سرّاً إذا قلت : إنني أحدهم ، فعن طريق معرفتي بمناهجها ، وصلتي بخرِّيجيها الملتحقين بالجامعة الإسلامية[٢] أدركت عظم المهمة التي تنهض بها في خدمة الإسلام . إنَّ هؤلاء الفتية في مقدمة طلاب العالم الإسلامي التزاماً لأدب الإسلام ، ورغبة في العلم ، وتقديراً لمدرِّسيهم ، وتقديساً للغة القرآن ، التي لا يكاد يضاهيهم في سلامة النطق بها عربيٌّ من نوابغ الطلاب .

إنَّها لتجربة رائدة نهضت بها تلك المؤسسةُ ، فقدمت للعالم الإسلامي أنموذجاً للتربية والتعليم يستحق الدراسة ، ويمكنه أن يقيم لدعاة الإصلاح معالم على الطريق ذات دلالاتٍ لا تنكر .

ولقد حفلت مناهج الندوة بكل جديد مفيد من المواد العصرية ، إلى جانب المقرَّرات الإسلامية الضابطة ، مع مراعاة الاحتمالات النفسية لطالب العلم . إلاَّ أنَّ عامل التفوق في عملها هو دستورها التربوي ، الذي جمع بين التعليم والتطبيق على أفضل الوجوه . وأن في خرِّيجيها ؛ الذين تسنَّموا أرفع المنازل بين أساطين العلم في العالم الإسلامي كله[٣] لأبرز الأدلة على أننا منها تلقاء واحد من أنجح المشروعات التعليمية في هذا العصر »[٤] .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتُهم : (١/ ١٥١ ـ ١٥٣).

(٢) أي : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة ، حيث كان يدرِّس ـ رحمه الله ـ .

(٣) قد ذكرنا البعضَ من هؤلاء أساطين العلم والأدب المتخرِّجين في هذه المؤسَّسة العظيمة ، في الباب السادس في الفصل الثاني ، ص(٨٦٩) .

(٤) علماء ومفكرون عرفتُهم : (١/ ١٥١ ـ ١٥٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

ولا حاجة إلى التذكير بأن العلاَّمة الندوي ـ رحمه الله ـ كان أحد ثمرات هذه المؤسسة المباركة ، وقد شاء الله أن ينتهي إليه لواؤها ، فتابع طريق أسلافه في دفعها إلى الأعلى ، وحسبه ذلك ، وهذه ثروة لا تقوَّم من الخبرات الحية ، التي تمده بكل سديد من الرأي في مجال التعليم الإسلامي . ولا عجبَ بعد ذلك أن يحظى هذا المفكِّر العملاق بكل التقدير الذي تحفه به أوساط العِلْيَةِ من مثقفي العالم الإسلامي ، حتى ليُجمعون على تقديمه للكلام باسمهم في أكبر المؤتمرات .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

آراء العلاَّمة الندوي في التربية الإسلامية

الواقع التربوي في البلاد الإسلامية :

كان يرى العلاَّمة الندوي : أن العالم الإسلامي يتأرجح اليوم بين عقليتين ، وفلسفتين ، ووجهتين مختلفتين ، تتصارعان دائماً ، وأدَّى ذلك إلى ما يلي :

أ ـ غموض والتباس في مسائل التربية والتعليم ، ترتَّب عليه فوضى تعليمية ، وتناقضٌ وصراع بين العقائد والغايات والأهداف الإسلامية ، وبين نظام التعليم الذي يطبق النظريات الغربية المستوردة .

ب ـ صراع مستمر بين الفكر الإسلامي والروح الإسلامية من ناحية ، وبين نظم التعليم الغربية من ناحية أخرى ، وقد تجلَّى هذا الصراع واستفحل في جميع الأقطار الإسلامية ؛ التي أخذت العلوم الغربية برُمَّتها ، والكتب المقرَّرة في البلاد الأجنبية .

ج ـ شكٌّ واضطراب وفوضى فكرية هائلة ، وتناقض في الأفكار والآراء ، وارتياب في الدين واستخفاف بفرائضه وواجباته ، وثورة على الآداب والأخلاق ، وضعف وانحطاط في السلوك ، وتقليد للأجانب في القشور والظواهر ، وتبذير للأموال .

د ـ انقسام النظام التعليمي إلى معسكرين : المعسكر الديني والمعسكر العلماني ، أو بعبارة أخرى إلى المعسكر القديم والمعسكر الجديد ، وهذه الثنوية أو ما يسمى بازدواجية التعليم ، هي السبب الأكبر في خلق الحيرة والاضطراب والشك . إنَّ الأصل في التعليم أن يكون وحدة واحدة لا تتجزَّأ . حقاً توجد في التعليم غاية ووسائل مركبة ، لكن ذلك لا يعني ثنائية أو ازدواجية ؛ لأن بين الوسائل والغايات وحدة تربطهما معاً .

هـ ـ لقد أدَّت ازدواجية التعليم إلى ازدواجية في عقلية وأسلوب المجتمع

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامي ، كما أدَّت إلى ازدواجية في وجداناته ومشاعره . وهذا هو سِرُّ ما تعانيه البلدان الإسلامية من صراع مستمر بين الفكر الإسلامي والروح الإسلامية من جهة ، وبين العقلية الجديدة والنفسية الجديدة من جهة أخرى ، وهذا الصراع ـ كما يرى العلاَّمة الندوي ـ ليس أقل شؤماً على الأمة الإسلامية ، ولا أقل جناية على حياتها وسلامتها ، من ذلك الصراع الذي عاشته أوروبا في العصور الوسطى بين الدين والسياسة .

مبادىء وأسس التربية الإسلامية :

يرى العلاَّمة الندوي : أن التربية في البلدان الإسلامية ينبغي أن تستند إلى المبادىء والأسس التالية :

١ ـ تمييز التربية الإسلامية :

نخطىء كثيراً إذا اعتقدنا : أن التربية نقل معلومات وشحن للذاكرة بأفكار مبعثرة لا وحدة بينها ، كما أنها ليست مجرد محاربة الأمية والجهالة . فالتربية ليست عملية تثقيف لأفراد المجتمع فقط ، وليست مجرد تعليم العلوم والفنون واللغات الوطنية والأجنبية والآداب الأوروبية والمحلية ، وإنما عملية التربية في الحقيقة مسؤولية دقيقة . ويستشهد العلامة الندوي في هذا المجال بكتابات فلاسفة التربية الغربية أنفسهم ، ليؤكد أن عملية التربية مسؤولية ضخمة ، فينقل عن المربِّي الأمريكي كونانت (Connant) قوله :

« إنَّ عملية التربية ليست بيع وشراء ، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل . إننا في فترات التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا ، باستيراد نظريات التعليم الإنكليزية والأوروبية إلى أمريكة »[1] .

ويعلِّق العلاَّمة على هذا بقوله :

« هذا الرجل الفاضل (يقصد كونانت) قد بلغ من الحساسية إلى حد يرى فيه أن ما نقل من نظريات أوربة ـ في مجال التعليم ـ

---

(١) أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية : ص(٤٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

إلى أمريكا إنما يمثل جناية على الشعب الأمريكي ، وافتقاداً لشخصيته وعملية إجرام وهدم ـ هذا رغم ما بينهما من روابط كثيرة ـ فكيف ببلدين لا يلتقيان على دين واحد ، ولا على عنصر واحد ، ولا على لغة واحدة أو ثقافة واحدة »[1] .

لذا يرى العلاَّمة الندوي ، أن هدف التربية ـ وقضية التربية ـ في البلدان الإسلامية ينبغي أن يكون مخالفاً للتربيات الغربية ، أي : ينبغي أن يكون هدفها نابعاً من ذاتها متمثلاً في إنشاء جيل جديد يؤمن برسالته الإسلامية ، قادراً على تحمُّل هذه الرسالة السامية .

٢ ـ التربية سمةٌ خاصة بكل مجتمع :

إنَّ التربية لباس خاص يفصل في كل مجتمع على قامة الشعب وملامحه وثقافته وتقاليده وأهدافه وآدابه . إنه لباس يجب أن ينسجم مع أجوائه وبيئته التي يعيش فيها وتراثه وتاريخه الذي يغار عليه . إذا كان هذا هو أمر التربية وما يعترف به شتى المربين ؛ فينبغي علينا نحن المسلمين أن نجعل عقائدنا التي جاءت بها النبوة الأخيرة ، والدين الذي لم تعبث به يد التحريف والمسخ أساس تربيتنا ، وأن نفصِّل تربيتنا في ضوء القيم الإسلامية ومبادىء الإسلام وأهدافه[2] .

٣ ـ التربية وسيلة وليست غاية :

لم تعد التربية والتعليم غاية في الأمم التي بلغت سنَّ الرشد واستكملت الوعي ، بل أصبحت وسيلة . ولقد كان العلم في دور الطفولة العقلية ينظر إلى أشياء كثيرة على أنها غاية وهدف ، ثم أصبح مع تقدُّم العقل البشري ، وتطور تجاربه ينظر لها على أنها وسائل . فلا غرابة إذا كان قد نُظر إلى التربية والتعليم والمدارس والكليات والمكتبات باعتبارها غاية ، وللأسف لا تزال هذه النظرة شائعة ومسيطرة على الشرق . فنحن إذا علَّمنا عدداً كبيراً من أفراد الشعب القراءة والكتابة ، وإذا أسَّسنا عدداً من المدارس والكليات ؛ شعرنا بأننا أدَّينا الرسالة وحقَّقنا الغاية . والصواب : أن التعليم قنطرة تصل

---

(١) أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية : ص(٤٥) .
(٢) المرجع السابق : ص(٧٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

بين الحاضر والماضي ، وبين العلم والعقيدة ، وأن التربية والتعليم في خدمة فكر الأمة وثقافتها وقيمها وأخلاقها ، وبعبارة مختصرة في خدمة إسلامها الذي هو الدين الحق[1] .

٤ ـ التعليم مسألة خصوصية :

إنَّ مسألة التعليم في البلاد الإسلامية مسألة مستقلة بذاتها ، إنها ليست مسألة الصناعة التي يجوز فيها النقل عن الآخرين ، والاستفادة من أفكارهم ونظرياتهم بقصد نقل خبراتهم وإنجازاتهم أملاً في تجاوزها . إنَّ مسألة التعليم في البلدان الإسلامية مسألة ينبغي أن تكون قائمة بذاتها ؛ لأن الأمة الإسلامية أمة لها خصوصياتها « إنها أمة ذات مبدأ وعقيدة ، ورسالة ودعوة ، فيجب أن يكون تعليمها خاضعاً لهذا المبدأ وتلك العقيدة ، ولا يخضع لغير ذلك من أفكار أو فلسفات »[2] .

٥ ـ التعليم يرتبط بالعقيدة الإسلامية :

إنَّ التعليم أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدأ ، وتدين بهذه العقيدة ، وتحمل هذه الرسالة ، وتؤدِّي هذه الدعوة . وكل تعليم لا يؤدي هذا الواجب ويخون الأمانةَ فليس بالتعليم الإسلامي ، بل هو التعليم الأجنبي ، وليس هو البناء والتعمير ، بل هو الهدم والتخريب ، وأولى للبلاد الإسلامية أن تتجرد منه وتُحرم من ثمراته المادية ، « إنَّ الأمية خير لها من هذا التعليم الذي يصيبها بالغدر في طبيعتها وعقيدتها وروحها ، وذلك لأن التعليم مثل الحامض يمكن أن يذيب شخصية الكائن الحي ، ثم يكوِّنها كما يشاء . إنَّ هذا الحامض هو أشدُّ قوة وتأثيراً من أيِّ مادة كيميائية ، إنه يستطيع أن يحوِّل جبلاً شامخاً إلى كومة من تراب » . فإن فقد الإنسان دينه وفكره وهويته فماذا يتبقى له بعد ذلك ؟!

٦ ـ للعلم روح وضمير :

إنَّ العلم والكتب مثلها مثل الكائنات الحية ، فالعلوم التي توصَّل إليها المسلمون، والكتب التي ألفوها سرت فيها روح الإيمان بالله والتقوى والخشية والفضيلة والإيمان

---

(١) أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية : ص(٧٨) .
(٢) المرجع السابق : ص(١٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

بالآخرة . والعلوم التي توصَّل إليها اليونان والكتب التي ألفوها حملت خرافاتهم وروحهم الملحدة ، وكذلك العلوم التي توصَّلت إليها أوروبة الملحدة والكتب التي ألفها مفكروها سرت فيها أفكارهم الإلحادية وإيمانهم بالماديات والمحسوسات ، وقلة تقديرهم لكل ما لا يوزن ويحصى أو يرضخ للتجربة ، وسرت هذه الروحُ في علومهم وآدابهم وفلسفاتهم .

وممَّا سبق يتضح : أن نقل هذه العلوم وتلك الكتب بأطرها وروحها وضميرها إلى أبناء المسلمين يضر بالمسلمين أبلغ ضرر . لذا ينبغي على البلدان الإسلامية أن تعيد تدوين هذه العلوم من جديد تدويناً إسلامياً ، وأن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الإسلامي ، ويكتب بقلم مسلم ، ويدير دفة البلاد وفق مبادىء الإسلام الأمر الذي يؤدِّي في النهاية إلى أن تصبح البلاد الإسلامية إسلامية حقاً في عقلها وتفكيرها وسياستها واقتصادها وتعليمها .

٧ ـ أهداف واضحة ومحددة للتربية الإسلامية :

* أن يفهم أبناؤنا غايتهم ورسالتهم ، وأن يدركوا : أنهم يتعلمون ليستحقوا سعادة الدنيا والآخرة ، وينقذوا أنفسهم وأهليهم من النار ، وسخط الخالق ، والحياة الجاهلية ، ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

* أن يدرك أبناؤنا : أن كل شيء في حياتهم فرع ووسيلة ، وأن غايتهم النهائية ليست الوظائف (وإن كانوا يشغلونها بأهلية ، ويقومون بها بأمانة ويقظة) ، ولا المهن والحرف (وإن كانوا يباشرونها بيقظة وكفاءة) ، ولا الراحة والرغبة والمجد (وإن كانوا يتمتعون به في حلٍّ وفي اعتدال) ، وإنما غايتهم حسن العمل إلى الله ، لذلك عليهم أن يستعملوا مواهبهم ، ويركِّزوا قواهم وجهودهم ، ويعملوا لذلك على اختلاف أذواقهم وفنونهم ومهنهم .

* أن يقدِّر أبناؤنا قيمة علمهم ، ويعرفوا كيف يحافظون على كرامتهم ، فلا يضعون أنفسهم إلا في أشرف موضع يقدرون عليه من غير تكبر ولا أنانية ، وأن يستعملوا مواهبهم في الوجه الذي يليق بها ، وأن يعتزوا بدينهم والانتساب إليه .

* أن يتشبع أبناء المسلمين بروح الدعوة ، فقد اتضح أنَّ أمة أو جماعة ليس فيها

www.abulhasanalinadwi.org

روح الدعوة والتقدم والهجوم لا تحافظ على مبادئها وعقيدتها ، ذلك أن موقف المدافع موقف ضعيف ، وكل من لا يكون داعياً يكون هدفاً لدعوة أخرى . كما ثبت بالتجربة أن خير وسيلة للإيمان بالمبدأ والثبات عليه هي الدعوة إلى هذا الإيمان ، فالداعي قويُّ الإيمان بمبدئه متحمِّسٌ في عقيدته نشيطٌ في عمله ، فإذا أردنا أن نوجد في أبنائنا هذه الصفات فينبغي لنا أن نجعلهم دعاة .

* أن يختلط أبناء المسلمين المعلِّمين (طلاب المدارس والجامعات) بإخوانهم أبناء المجتمع على اختلاف طبقاتهم ممارسين دورهم في الدعوة والإرشاد والتوجيه بالموعظة الحسنة ، وبهذه الطريقة يحقِّق أبناء المسلمين هدفاً سامياً ، ويقضون في نفس الوقت على داء شديد حلَّ بدور العلم ورجاله ، وهو العزلة عن العالم الذي يعيشون فيه ، والانقطاع عن الأمة التي هم من أفرادها[1] .

٨ ـ إنَّ العلوم والفنون ليست غايات :

إنَّ الشعوب التي تتخذ الوسائل غايات ، والعلوم والفنون آلهة تعبد ، ويقوى فيها النظر والجدل على حساب الابتكار والعمل ، وتضعف فيها الإرادة وقوة المقاومة للمغريات ووسائل الترفيه ، وتعشق الحياة والملذَّات ، وتنشر فيها البلبلة الفكرية والتشكيك الشامل للعقائد والآداب ، والاستخفاف بجميع التقاليد والعادات التي كان فيها الشيء الكثير من القوة والصلاح ، ويتطاول فيها الريب إلى مصادر الدين ومراجع التاريخ ، هذه الشعوب لا تثبت أمام أيِّ عدوٍّ زاحفٍ أو قوَّةٍ مهاجمةٍ ، ولا تثبت في أيِّ معركةٍ يوماً واحداً[2] .

٩ ـ إنَّ التعليم لا يعطي ثماره بدون مساندة المجتمع :

إنَّ التعليم مهما كان راقياً ، ومهما اتسعت شبكته ، وأحكم صنعها لا يعطي ثماره الشهية ، ولا يؤثر تأثيره المطلوب إذا كان المجتمع يجتاز مرحلة عنيفة غير عادية من الحالة النفسية أو الخلقية ، أو كان مصاباً بالهستيريا المادية ، وتمجيد رؤوس الأموال

---

(١) أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية : انظر البحث فيه بعنوان « كيف توجه المعارف في البلاد الإسلامية » ص(٢٢٣) .
(٢) المرجع السابق : ص(٢٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

بصرف النظر عن القيم والمستوى الخلقي ، في هذه الحالة المشبعة بالهستيريا المادية تذوب طبقة المثقفين الجامعيين وغير الجامعيين ، والمفكرين والباحثين والمحققين . لذا لا يجوز التغاضي عن الحالة الاجتماعية في البلد ، وما يحتاج المجتمع من موجات وتيارات ، ولا بدَّ من العناية بتقويم المجتمع ، ومكافحة الأوبئة والأمراض ؛ التي تفترسه ، وتنخر هيكله ، وذلك عن طريق الدعوة الدينية والخلقية[1] .

١٠ ـ ينبغي أن يساند الإعلام دور المدرسة :

إنَّ وسائل الإعلام في كل بيت أصبحت أقوى وأوسع من كل مدرسة ، وأصبحت لها الكلمة الأخيرة في تقديم القيم ، وفي وزن الأشياء ، وفي تصريف الميول والرغبات ، لذا يقول عنها بعض الخبراء : إنها كالقلب إذا صلُحت ؛ صلح جسد المجتمع ، وإذا فسدت ؛ فسد جسد المجتمع ، لذا ينبغي أن يتوافر الانسجام التام بين هذه المؤسسات الإعلامية وبين المدرسة[2] .

١١ ـ تعليم الفتاة المسلمة :

إنَّ تعليم الفتاة المسلمة قضية تحتاج إلى دقةٍ واستقلال فكري ، وتحرُّرٍ من تقليد مفهوم التعليم النسوي الذي أخذت به الأقطار الغربية والشرقية في ظروف تختلف عن ظروفنا كل الاختلاف ، إنها قضية تحتاج إلى تخطيط فيه الإبداع والأصالة ، وفيه الذكاء والخبرة .

إنَّ تاريخ البلاد والأمم يشهد بأن أعظم أسباب الانحطاط والفوضى التي أدت إلى زوال الأمم وانقراضها ، وانحطاط المدنيات وانهيارها ، هو تفكك نظام الأسرة ، واختلال الميزان في الحياة المنزلية ، وزهد النساء فيها ، والتهرب من مسؤولياتها ، وانتشار السفور والتبرج ، إنَّ انصراف النساء عن الحياة المنزلية ، وزهدهن في الأمومة وحضانة الأولاد ، والاعتناء بتكوين البيت الصالح الذي يجد فيه الرجل جميع أسباب الراحة والهدوء ، يؤدِّي إلى فساد الحضارة وانحطاطها . إنَّ تقليد نظام التعليم الغربي

---

(١) أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية : انظر البحث بعنوان « طرق الاستفادة من التعليم . . . . » ص(٥٣) .
(٢) المرجع السابق : انظر البحث بعنوان « طرق الاستفادة من التعليم . . . . » ص(٥٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

في مجال تعليم الفتاة بقدَّه وقديده يعدُّ مخاطرة تهدِّد شخصية البلاد الإسلامية ورسالتها ، لذا ينبغي أن نكون على حذر من استعارتها ، والعاقل من اتعظ بغيره[1] .

١٢ ـ صياغة العلوم والآداب الغربية صياغة جديدة :

إنَّ العلوم والآداب الغربية ينبغي أن نتناولها كموادَّ خام ، ونصوغها صياغة جديدة ، إنَّ علوم الغرب وآدابه لا يمكن أن نتجاهلها ، ولا يمكن أن نتجاهل إمكانات الغرب وإنجازاته ، بل ينبغي أن نأخذها ونصنع منها ما نشاء وفق حالتنا وحاجتنا . وذلك بأن نفرِّغها من قالبها ، ونجرِّدها مما اقترن بها من عوامل الإلحاد والفساد والاستخفاف بالقيم ، ونأخذها نقية صافية مهذَّبة منقَّحة ، بل وعلينا أن نُطعِّمها بالإيمان بالله ، والنظر العميق المؤسَّس على التوحيد[2] .

الحاجة إلى صوغ نظام تعليمي إسلامي :

كان يرى العلاَّمة الندوي : أن حل مشكلة التربية والتعليم في المجتمعات الإسلامية يكمن في الحاجة إلى صوغ نظام تعليمي إسلامي في روحه وأهدافه وتربيته ، بحيث لا يخلو كتابٌ من الكتب ـ أياً كان ـ سواء أكان كتاباً في مبادىء اللغة أو في الأدب الإنجليزي أو العلوم البحتة من روح الدين والإيمان .

إنَّ وضع هذا المنهاج التعليمي يعدُّ من حاجات البلاد الإسلامية الأولى التي لا يمكن التغافل عنها أو التساهل فيها ، ولا بدَّ من بدء عملية تطور المناهج ، وسبك منهج تعليمي جديد ، يتغلل في أحشائه الإيمان بالله ، ويسيطر على جميع فروعه وجزئياته .

إنَّ هذا العمل ليس بالسهل أو الهيِّن ، إنه مشروع ضخم يتطلَّب ثورة في التفكير ، ومغامرة في المساعي ، لكنه عمل تجديدي من أعمال الإصلاح التربوي . إنه عمل شاق واسع يتطلب وقتاً طويلاً ، ولا يستطيع أن ينجزه فرد من الأفراد ، أو حفنة من الناس ، إنما هو عمل تقوم به جماعات ولجان ، ومجامع علمية بمساعدة الحكومات الإسلامية وتشجيعها ، على أن يسند كل جزء من هذا الإنتاج العلمي إلى جماعة تتوفَّر

---

(١) أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية : انظر البحث بعنوان « طرق الاستفادة من التعليم .... » ص(٥٧ ـ ٥٨) .
(٢) المرجع السابق : ص(٥٧ ـ ٥٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

فيها مؤهلاته ، وهذه هي أكبر خدمة للإسلام والمسلمين في هذا العصر .

إنَّ هذا العمل ـ مهما كان طريقه طويلاً وشاقاً ، ومهما كانت العقبات والعراقيل التي تواجه البلدان الإسلامية في إنجازه ـ يعدُّ الحل لموجة التغريب الطاغية التي اكتسحت العالم الإسلامي ، والتي تهدِّد كيانه الفكري وجهازه الاجتماعي ، بل وتهدِّد حياته وبقاءه ، وفي كل الحالات ينبغي لمناهجنا أن يحتل فيها القرآن الكريم مكانته ، فليكن له القسط الأوفر والنصيب الأكبر في دراستنا . وكذا السيرة النبوية ، وتاريخ الصحابة ، مع الاهتمام بالتربية المعنوية ، والتربية البدنية والعلوم العصرية الجديدة .

لكنَّ تحقيق ذلك كله يتوقف على وجود معلِّمين يؤمنون بهذه المبادىء والعقائد ، ويخلصون لها كلَّ الإخلاص ، ويدعون إليها بإيمان وحكمة ، وتكون حياتهم خير مثال لما يدعون إليه . غير أن قضية اختيار المعلِّمين ليست سهلة كما يظن كثيرٌ من رجال التربية . فالعلم والقدرة التعليمية والمؤهَّلات العلمية لا تكفي وحدها ، بل يجب أن تكون للسيرة والخلق والمبدأ والغاية والإيمان والعقيدة المكانة الأولى ، والأهمية الكبرى عند اختيار المعلِّم[1] .

* * *

(١) أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية : ص(٢١٣) ، استفاد المؤلِّف في هذا البحث من كتابين : « أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية » للعلاَّمة الندوي ، و «أصول التربية الإسلامية» تأليف الأساتذة: محمد شحات الخطيب، مصطفى محمد متولي، نور الدين محمد عبد الجواد، محروس أحمد إبراهيم غبان، فتحية محمد بشير الفزاني .

www.abulhasanalinadwi.org

-

المبحث الثاني :

مصادر التربية الإسلامية

عند العلامة الندوي

تفيد كتابات العلامة الندوي ومحاضراته وخطبه ورسائله : أن مصادر التربية الإسلامية لديه مرتبطة بمصادر التشريع الإسلامي ـ القرآن الكريم والسنة النبوية ـ وبمقاصده ، وقواعده ، وبمادئه العامة ، وبسيرة رسول الله ﷺ ، وأصحابه ، حيث يقول في إحدى محاضراته : والأمر الثاني الذي يجب أن نضعه في الاعتبار ، هو أن نظل على اتصال دائم بمنبع الهداية والإرشاد ، الكتاب ، والسنة ، وأسوة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه البررة الكرام ، وأتباعهم العظام[1] ؛ لإيمانه : أن العناصر التي كونت المجتمع الإسلامي الجديد ، ونشأت منها الأمة الجديدة ـ إنما هي ـ :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ شخصية النبي ﷺ وحياته وسيرته وأخلاقه .

٣ ـ تعليمات النبي عليه الصلاة والسلام وإرشاداته ، وتوجيهاته ، وأعماله التي يسمى مجموعها بالسنة ، ويحتوي عليها الحديث الشريف[2] .

٤ ـ العلم .

وسنشير هنا إلى كل من مصادر التربية الإسلامية ـ باختصار ـ فيما يلي :

---

(١) الطريق إلى السعادة والقيادة، للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة : للعلاَّمة الندوي (صفحة ١٩١).

(٢) نظرات في الحديث : انظر محاضرة العلاَّمة فيه بعنوان « دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته » ص(٨) طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

أ ـ القرآن الكريم :

مما نستدل به على أن القرآن من مصادر التربية الإسلامية ، قول العلامة الندوي : « . . . ويعجبني في ذلك ما قاله شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدِّهلوي : « والمحقَّق : أن الغاية الأساسية من نزول القرآن ، هي تهذيب النفوس البشرية ، والقضاء على العقائد الباطلة ، والأعمال الفاسدة »[1] . ومما نستدل به قول العلاَّمة : « لم يزل صاحب هذه التأملات تلميذاً متواضعاً من تلاميذ مدرسة القرآن الإيمانية ، والعلمية ، والدعوية الإصلاحية ، يدين لهذا الكتاب العظيم ، في ثقافته وتدبره ، وكتاباته وبحوثه ومؤلفاته ، وفي خطبه الشعبية ، ومحاضراته العلمية ما لا يدين لأيِّ كتاب ، أو دراسة علمية ، أو مدرسة فكرية ، أو أدب من آداب اللغات والثقافات ، يشهد بذلك من اطلع على ما وفق الله إليه كاتب هذه السطور من كتابات وخطابات[2][3] ، ولذا كان يملي على تلامذته ـ عندما عين معلماً للتفسير في ندوة العلماء ـ « . . . مقالات تمهيدية تهيء العقول والأذهان لدراسة القرآن العميقة ، والإيمان بإعجازه وخلوده ، وتيسر طرق الانتفاع والنفع به في مجالات الدعوة والعلم والبحث »[4] .

وكان يربِّيهم بالقرآن ، على أنَّ من موانع الاستفادة منه :

١ ـ الكبر . ٢ ـ المجادلة .

٣ ـ الكفر بالآخرة ، وعبادة المادة[5] . . . .

وأنَّ من مؤيدات الاستفادة من القرآن الكريم :

١ ـ الرغبة والطلب . ٢ ـ الاستماع والاتباع .

٣ ـ الخشية والرهبة . ٤ ـ الإيمان بالغيب .

---

(١) دراسات قرآنية : للعلامة الندوي ، ص(١٧١ ـ ١٧٢) .

(٢) تأملات في القرآن الكريم : للعلامة الندوي ، ص (٥ ـ ٦) .

(٣) اقرأ هذه الكتابات والخطابات التي جمعناها في كتاب مستقلٍّ بعنوان « دراسات قرآنية » .

(٤) تأملات في القرآن الكريم : ص(٦) .

(٥) المدخل إلى الدراسات القرآنية : للعلامة الندوي، ص(١٢٣ ـ ١٢٨) ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

٥ ـ التدبر . ٦ ـ المجاهدة .

٧ ـ التأدب والتعظيم[١] .

ب ـ السنة النبوية :

مما نستدل به على أن السنة النبوية ، والحديث الشريف من مصادر التربية الإسلامية تقرير العلامة الندوي : أن لها دوراً كبيراً في حياة المسلمين ، وتكوين الجو الديني يقول : « واقع حياة النبي ـ ﷺ ـ المباركة ، وإرشاداته ، وتعاليمه تخلق ذلك الجو الذي تخضر فيه شجرة الدين ، وتورق وتثمر . إنَّ الدين ليس مجموعة من الضوابط الخلقية الجافة ، إنه لا يبقى حياً بدون العواطف ، والوقائع ، والأمثلة العملية ، وخير مجموعة موثوق بها لهذه العواطف والوقائع ، والأمثلة العلمية ، هي مجموعة الحديث النبوي التي أصبحت من خصائص الأمة الإسلامية . . »[٢] .

ويرى العلاَّمة : أنه « بفضل هذه الثروة الحديثية ، استطاع المؤمنون الحاذقون في مختلف العصور ، والبقاع ، أن يؤلفوا للمسلمين كتباً تكون دستوراً كاملاً لحياتهم ، حتى إذا أراد المسلم ـ مهما كانت مهنته ووظيفته ـ ألا يخطو خطوة ، ولا يبت في أمر ، ولا يمارس نشاطه إلا في ضوء الهدي النبوي العام ما أمكن لاستطاع ذلك . . . »[٣] .

ومما يذكره العلامة ، ويفيد اعتبار السنة والحديث من مصادر التربية الإسلامية ، ولها مكانتها ، وأنها بمثابة الإطار المرجعي في حياة المسلمين ، يقول : « . . . إنَّ الحديث النبوي ميزان عادل لوزن حياة المسلمين وواقعهم ، والحكم عليه في كل عصر ، وإنه وسيلة قوية للحسبة على المجتمع الإسلامي ، ومدرسة دائمة يتخرج فيها المصلحون ، والمجددون[٤] ، وتجعل : « . . . المسلم المتخرج في هذه المدرسة النبوية التربوية مثلاً كاملاً ، وأسوة مرموقة في السمو الخلقي ، والسلوك الإنساني ،

---

(١) المدخل إلى الدراسات القرآنية : ص(١٢٩ ـ ١٣٨) .

(٢) نظرات في الحديث : ص(١٥ ـ ١٦) .

(٣) مقالات حول السيرة النبوية : للعلامة الندوي، اقرأ مقالة فيه بعنوان « النبي الخاتم . . . » ص(١١٥) .

(٤) المدخل إلى دراسات الحديث النبوي : للعلامة الندوي، ص(٥٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

مقتبساً في كل ذلك عن مشكاة النبوة ، والتعليمات التربوية[1] ، ولذا يلفت نظر المسلمين إلى أن « حاجة هذا العصر أشد إلى الاحتفاظ بالحديث والسنة من العصور الماضية »[2] ؛ لأنها هي التي تقف في وجه منكري الحديث والسنة ، ووجوب العمل بها ، من دعاة تقليد الحضارة الغربية ، وتحول دون « . . . تحقيق أغراضهم ، وهدفهم لنقل الجيل الإسلامي المعاصر من حضارة إلى حضارة ، ومن منهج الحياة القائمة على التعاليم الإسلامية ، والآداب النبوية السنية ، وأسوة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ التي حثَّ عليها القرآن ، ودعا إليها بصراحة[3] ، كما نجده يؤكد أن الدعوة إلى التشكيك في حجية الحديث ، وإنكار السنة ، وزحزحة الثقة بها مؤامرةٌ على الإسلام ، لأنها بذلك تجعل الأمة الإسلامية محرومة الإرث ، محذوقة (مقطوعة) الصدر ، مقطوعة الأصل ، حائرة تائهة »[4] .

ج ـ السيرة النبوية :

أما السيرة النبوية ، فهي ـ أيضاً ـ من مصادر التربية الإسلامية ، إضافة إلى السنة النبوية ، والحديث الشريف ، ونجد العلامة الندوي يجمع بينهما في كثير من كتاباته ، ومحاضراته ، منها قوله : « . . . ولما انقطعت هذه الصحبة الكريمة ، ولحق الرسول ـ ﷺ ـ بالرفيق الأعلى ؛ كان الحديث الشريف ، والسيرة العطرة ، يملآن هذا الفراغ »[5] .

ولأهمية السيرة النبوية في حياة المسلمين وتربيتهم ؛ كان كتاب العلاَّمة فيها أكبر كتاب أعده ، وقال فيه : « . . . وحاولت أن يجمع الكتاب بين الجانب العلمي ، وبين الجانب التربوي البلاغي ، لا يطغى أحدهما على الآخر ، وأن يشتمل على أكبر مقدار من القطع النابضة ، الدافقة بالحيوية والتأثير ، الآسرة للقلوب والنفوس . . . »[6] .

---

(١) المدخل إلى دراسات الحديث، ص(٥٦).
(٢) المرجع السابق، ص(٥١).
(٣) المرجع السابق: ص(٥٢).
(٤) المرجع السابق: ص(٥٥).
(٥) العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية : للعلامة الندوي، ص(١٥٤) طبع دار ابن كثير ـ دمشق .
(٦) السيرة النبوية : للعلامة الندوي، ص(٥٤) طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

ويذكر العلامة ما يفيد أنَّه كان للسيرة النبوية الدور الكبير في تربيته وتنشئته ، يقول : « . . . السيرة النبوية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ المدرسة الأولى التي تعلم فيها مؤلف هذا الكتاب ، وقد دخلها في سِنٍّ مبكرة ، لا يدخل فيها الأطفال في عامة الأحوال ، والفضل في ذلك يرجع إلى الجو الذي كان يسود بيته وأسرته . . . »[1] وقد وجدها ـ بعد دراساته التاريخية : أنها : « . . . تتميز من بين سير أفراد البشرية وفيهم الأنبياء ، وغير الأنبياء ، بدقتها ، وشمولها ، واستيعابها لدقائق الحياة ، وتفاصيلها ، وملامحها ، وقسماتها ، وذلك بفضل علم الحديث الذي لا يوجد له نظير ، لا في تاريخ الأنبياء ، ولا في تاريخ العظماء[2] .

د ـ العلم :

يرى العلاَّمة الندوي : أن « العلم » من مصادر التربية الإسلامية ـ أيضاً ـ ؛ لأن « هذا الدين الإسلامي نابع من العلم . . . لا يمتّ إلى الجهل بصلة ما . إنه ليس وليد الجهل ، أو القوة الحربية ، إنه وليد المعرفة والهداية الإلهية ، والوحي السماوي ، والعلم الرباني . . . »[3] .

ويؤكد العلاَّمة ذلك بقوله : إن الوحي لم يبتدىء فيه : « بكلمة (اعْبد) وكلمة (صلِّ) ، أو ما إليهما من الكلمات المتجانسة ، وإنما يبتدىء بكلمة (اقرأ) ، يخاطب المنزل عليه بالقراءة ، ولا عهد له بها ، لكي يقرر ويؤكد له : أن الأمة التي يكلف بهدايتها ، وتربيتها ، وتعليمها ليست ولوعاً بالعلم فحسب ، بل ستكون معلمة العالم ، مولعة بنشره ، وتصديه ، وترقيته ، والعهد الذي تقوم فيه بوظيفة الهداية والتبليغ ، والتربية والتعليم ليس عهد الأمية والوحشة والجهل . . . إنما هو عهد العلم والعقل والتفكر ، وعهد النظر ، والحكمة ، وعهد البناء والتعمير ، وعهد حب الإنسانية ، وعهد الرقي والتقدم[4] .

---

(١) السيرة النبوية : ص(٤٤) .

(٢) المرجع السابق : ص(٥١) .

(٣) الطريق إلى السعادة والقيادة : ص(٦١) .

(٤) انظر المحاضرة بعنوان « دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء، وتكوين الدعاة، وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة » في « محاضرات إسلامية في الفكر =

www.abulhasanalinadwi.org

ويَعُدُّ العلامة : أن ارتباط العلم بالدين أحد المعطيات العشر ، والمنح الأساسية التي ظهرت فيها تأثيرات الإسلام في حياة الأمم والشعوب والحضارة[1] ، لأن العلم من مصادر التربية الإسلامية ، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مرتبطاً بعقيدة الأمة ، ورسالتها ، ومثلها ، وقيمها ، أو غير مخالف لها ، أو متناقض معها ، لا يؤخذ على علاته ، وكأنه مسلَّم به ، لا يجوز النظر فيه ، أو تقويمه ، حيث يقول :

« يجب أن لا نتناول العلوم والآداب ، والمناهج التعليمية ، ونظريات التربية التي ظهرت في الغرب والشرق على أنها آخر ما وصل إليه العلم البشري . . . بل نأخذها على أنها تجارب بشر عملية ، تخطىء وتصيب ، . . . ولا نأخذ العلوم والآداب واللغات على أنها أشياء قد بلغت نهايتها ، وختم عليها بختم لا يفض ، بل نأخذها على أنها مواد خامة ، نصنع منها ما نشاء ، وفق حالتنا ، وحاجتنا ، ونفرغها في قالبنا ، ونجردها مما اقترن بها ـ في غير لزوم ، ولا مبرر ـ من عوامل الإلحاد والإفساد ، والاستخفاف بالقيم الخلقية ، ونأخذها نقية ، صافية ، مهذبة ، منقحة ، بل نطعّمها بالإيمان بالله ، والنظر العميق ـ المؤسس على الإيمان ـ إلى الكون ، وهكذا نجعل العلوم والدراسات كلها في غير تعسُّفٍ ، ولا إرهاق وسيلةً للعلم ، والحكمة ، وسبيلاً إلى الإيمان والمعرفة »[2] .

ولذا يوجه العلاَّمة المعلمين والمربين إلى أهمية مساعدة المتعلمين على الإفادة من العلم ، والبحوث والدراسات ، مع مناقشتها والنظر فيها على الشكل الذي ذكرناه آنفاً ، يقول العلامة :

« وقد أثبت علم التربية ، وعلم النفس : أن الحَجْرَ على

= والدعوة » (١/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣) .

(١) الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية : للعلامة الندوي، ص(٩٤ ـ ٩٥) طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) التربية الإسلامية الحرة : للعلاَّمة الندوي ، ص(٧٢ ـ ٧٣).

www.abulhasanalinadwi.org

الشبـاب فـي القـراءة والاطـلاع ، كـالحجـر علـى الأطفـال القاصرين ، الذين لم يبلغوا سن الرشد . . . إنَّ المنهج التربوي المتزن السليم ، هو الاطلاع على وجهات النظر ، والمدارس الفكرية المختلفة ، مرفقاً ذلك بتوجيه الأساتذة الراسخين في العلم والدين ، مع مناقشتها ، وعرضها على المحك العلمي ، والديني ، وتقرير الصحيح ، وتزييف الزائف ، وذلك مما يتفق عليه خبراء التربية ، وأصحاب التجربة والاختصاص في علم النفس وعلم الاجتماع . . . »[1] .

فهذه . . . كانت بعض إسهامات ، وآراء ، وتوجيهات المربِّي الجليل حول التربية الإسلامية ؛ التي قدَّمناها في هذا الفصل باختصار مستفيدين ممَّا كتب رحمه الله تعالى عنها في كتاباته ورسائله المختلفة ، وممَّا كتب بعض كبار المهتمِّين بهذا الشأن مبرزين فيه دور العلاَّمة في ضوء مؤلفاته ورسائله ، ومن يريد الاستزادة من الدراسة في هذا الموضوع فليرجع إلى مجموعة مقالات ومحاضراته وأبحاثه التي جمعناها في كتابٍ مستقلٍّ بعنوان « أبحاث في التعليم والتربية الإسلامية »[2] .

* * *

(١) التربية الإسلامية عند العلاَّمة السيِّد أبي الحسن علي الحسني الندوي : للدكتور محب الدين أحمد أبو صالح، بتصرُّفٍ يسير ، ص(١٣ ـ ٢٢)، طبع دار ابن كثير، دمشق .

(٢) وقد صدر من دار ابن كثير بدمشق في سلسلة «تراث العلامة الندوي» عام ٢٠٠٢م.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abuhasanalinadwi.org

الفصل الرّابع

العلّامة أبو الحسن النّدوي

العالم الصوفي المعتدل

المبحث الأول : رأي العلَّامة الندوي في التصوُّفِ .

المبحث الثاني : معالجة العلَّامة الندوي قضيةَ التصوُّفِ .

www.abulhasanalinadwi.org

« . . . فلا شكَّ أنَّه لولا هؤلاء ـ أصحاب النفوس المزكَّاة ، الذين وصلوا إلى درجة الإحسان وفقه الباطن ـ لانهار المجتمع الإسلاميُّ إيماناً وروحانيةً ، وابتلعت موجةُ « المادية » الطاغية العاتية ، البقيةَ الباقية من إيمان الأمَّة وتماسكها ، وضَعُفَتْ صلةُ القلوب بالله ، والحياة بالروح ، والمجتمع بالأخلاق ، وفق الإخلاص والاحتساب ، وانتشرت الأمراضُ الباطنية ، واعتلَّت القلوبُ والنفوس ، وفُقد الطبيب ، وتكالَبَ الناسُ على حطام الدنيا ، وتنافَسَ أهلُ العلم في الجاه والمال والمناصب ، وغلب عليه الطمعُ والطموحُ ، وتعطَّلت شعبةٌ من أهمِّ شُعَبِ النبوَّة ونيابتها ، وهي « تزكية النفوس ، والدعوة إلى الإحسان ، وفقه الباطن . . . » .

العلامة أبو الحسن الندوي

في كتابه « ربانية لا رهبانية »

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

رأي العلاَّمة الندوي في التصوُّفِ

قبل أنْ نعرض هنا رأيَ العلاَّمة الندوي عن التصوُّف نودُّ أن نوضِّح نقطةً هامةً ، وهي : أنَّ أهل شبه القارة الهندية والمتحدِّثين بالأردية حين يتحدَّثون عن التصوُّفِ ، أو حين يذكرون كلمةَ « تصوُّف » فهي تعني الورعَ والتقوى لا غير ، وتعني الصفات التي غلبت على السَّلف الصالح . أمّا التصوف بمعناه السلبي فهو عندهم مصطلحٌ يُطلقون عليه التصوف العجمي ، وهو مرفوضٌ لديهم .

يرى العلامةُ الندوي : أنَّ التصوُّف الذي يدعو إلى الرهبانية وإلى ترك الدنيا أو الانغماس في البِدَع والمضي على طريق الشِّرك ليس من الإسلام في شيء ، كما يرى : أنَّ الإسلام يربط الدين والدنيا معاً ، بينما الديانات القديمة ـ وبخاصة المسيحية ـ وزَّعت الحياةَ الإنسانية على قسمين : قسمٌ للدين وقسمٌ للدنيا ، ووزَّعت هذا الكوكب الأرضي في قسمين : معسكرُ رجال الدين ، ومعسكرُ رجال الدنيا ، وحال بين المعسكرين خليجٌ كبيرٌ ، ووقف بينهما حاجزٌ سميكٌ ، وفتح العداء بين رجال الدين ورجال الدنيا الباب على مصراعية للإلحاد واللادينية . . وينتقل العلامةُ الندوي إلى الإسلام فيقول :

« ومِن أعظم هدايا البعثة المحمدية ومِنَنها العظيمة نداؤها الذي دوَّت به الآفاق : أنَّ أساس الأعمال والأخلاق هو الهدف الذي ينشده المرءُ ، والذي عبَّر عنه الشارعُ بلفظٍ مفردٍ بسيطٍ ولكنه واسع عميق « النيَّة » فقال : « إنَّما الأعمال بالنيَّات ، ولكلِّ امرىءٍ ما نوى »[1] وأنَّ كل عملٍ يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله ، وبدافع الإخلاص

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، باب كيف بدء الوحي . . . برقم (١) ، وأبو داود في كتاب الطلاق ، باب في ما عُني به الطلاق والنيات ، برقم (٢٢٠١) وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

وامتثال أمره وطاعته هو وسيلةٌ إلى التقرب إلى الله ، والوصول إلى الله ، والوصول إلى أعلى مراتب اليقين ودرجات الإيمان ، وهو دينٌ خالصٌ لاتشوبه شائبةٌ ولو كان هذا العمل جهاداً وقتالاً وحكماً وإدارة أو تمتعاً وتحقيقاً لمطالب النفس ، وسعياً لطلب الرزق والوظيفة ، واستمتاعاً بالتسلية البريئة والحياة العائلية والزوجية ، وكل عبادة وخدمة دينية على العكس من ذلك لا تعتبر ديناً ، إذا تجردَّتْ عن طلب رضا الله سبحانه والخضوع لأوامره ونواهيه ، ولو كانت صلوات مكتوبة أو هجرة وجهاداً أو ذكراً وتسبيحاً ، ولا يثاب عليها العالم والمجاهد والداعي » .

ويستطرد العلامةُ فيقول :

« إنَّ المأثرة الخالدة من مآثر سيدنا محمد ﷺ : أنه ملأ هذه الفجوة الواسعة بين الدين والدنيا . . وعلمنا هذا الدعاء الجامع المعجز الواسع : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

لقد جَعَلَ الإسلامُ الحياة كلَّها عبادةً ، وجعل الأرض كلها مسجداً ، وأخذ بيد الإنسان من معسكرات متصارعة إلى جبهة واحدة واسعة من العمل الصالح ، وخدمة الإنسانية النافعة ، وابتغاء مرضاة الله ، فنرى هناك ملوكاً في أطمار الفقراء ، وزهاداً في زي الملوك والأمراء ، جبال حلم وينابيع علمٍ »[1] .

وقد أشاد العلاَّمةُ بالدعاة المسلمين في الهند ممَّن كوَّنوا جماعات منهم تحمي أولئك المسلمين الذين فرّوا من طغيان المادية من جهة ، ومن سيطرة البدع والشرك نتيجةً للاختلاط بالهنادكة من جهة أخرى ، ويقول عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد :

« فإذا قرأتَ تاريخه وجولاته في الهند لأجل بثِّ دعوته إلى التوحيد ، واتباع السنة والجهاد ؛ رأيتَ ألوفاً يتوبون من الذنوب والآثام والشرك ، حتى تفقر الحانات ، وتغص المساجد ، وكان من تأثير وعظه ودخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع أن تعطَّلَتْ تجارة الخمر في (كَلْكَتَه) وكسدت سوقها »[2] .

ثم تحضَّرَ العلامةُ على ضياع روح التقوى والورع بعد ذلك ، فيقول :

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! : ص(١٤) .
(٢) المرجع السابق : ص٢٥٩٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

« وانقرَضَ هذا الجيل ، وطُوِي هذا البساط ، ولفظ هذا العهد الروحي أنفاسه الأخيرة ، وتلاه عهد المادة وأصبحت الدنيا سوقاً ليس فيها إلا البيع والشراء »[1] .

ويتضح رأي العلاَّمة أكثر في التصوف فيما ساقه من نقدٍ لآراء الشيخ أبي الأعلى المودودي ، يقول :

« إنَّ هذا المصطلح (أي التصوف) الذي حدث وشاع في القرن الثاني فما بعده قد جُنِيَ على حقيقته ومقاصده ، وأن الأصل هو التعبير القرآني « التزكية » الذي ورد في مقاصد البعثة في سورة آل عمران وسورة الجمعة ، والتعبير المأثور عن النبي ﷺ وهو « الإحسان » الذي ورد في الأحاديث الصحيحة . . .

إنَّ الأستاذ المودودي آمن كحقيقة بديهية . . بأن « التصوف » عبارة عن البطالة والكسل والجمود والفرار من معترك الحياة ، وإنسحاب عن ميدان الكفاح والنضال ، والتراجع عن معركة الحق والباطل بل التفاهم مع القُوى الباطلة وممالئتها فضلاً عن الاستسلام والخضوع لها ، وكلاهما يستلزم أحدهما الآخر ولا يفترقان أبداً . . » .

وبعدها ساق العلاَّمةُ حديثاً عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وإسماعيل الشهيد وجماعة المجاهدين ، وقال :

« إنَّ اليقينَ والحبَّ هما جناحان لصقر الجهاد والاجتهاد ، يحلق بهما في السماء ، إن أحداً لايستطيع أن يترفع عن أهواء نفسه وعن المستوى السافل الذي أشار إليه تعالى بقوله : ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] إلا إذا تجلَّى فيه اليقينُ والحبُّ ، فأصبح كالبرق الخاطف في الليل البهيم أو كالشعلة المتأججة التي لا تخمد نارها ولا يهدأ أوارها »[2] .

وقد أورد العلاَّمةُ في هامش كتابه « التفسير السياسي للإسلام » : أنَّ للشيخ المودودي كلاماً جيداً يوافقه عليه في حقيقة التصوف الإسلامي ، وربما كان الخلاف بين العلاَّمةِ الندوي والشيخ المودودي هنا خلافاً بعيداً عن جوهر الأمر ، فكلاهما متفقان على النتائج الطيبة لتزكية النفس ، وكلاهما متفقان على ذمِّ التصوف العجمي ؛

---

(١) ماذا خسر العالم . . . : ص(٢٦٢) .

(٢) التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ المودودي والشهيد سيد قطب : ص(١١١) .

www.abulhasanalinadwi.org

الذي يدعو إلى الخمول والكسل وقتل روح الجهاد ، والعلامةُ الندوي يسمِّي المسلم الورع التقي : رجل الحب واليقين[1] .

والشيخ المودودي يتفق مع العلاَّمة الندوي في هذا ، وربما كان نقده للتصوف هو نقدٌ للتصوف العجمي الذي عمَّ الناسَ فجعلهم إمَّا يكسلون وإمّا يندفعون إلى البدع اندفاعاً ، ولاشكَّ : أنه يرى مثلما يرى العلاَّمة الندوي عظمة قادة الكفاح الإسلامي من أمثال الإمام أحمد بن عرفان شهيد في الهند ، وعبد القادر الجزائري في الجزائر ، وجماعات المجاهدين النقشبنديين الذين حاربوا الروسَ في داغستان ، وكسروا شوكتَهم ، والسَّنُوسي الذي حارب الإيطاليين وغيرهم من المجاهدين المسلمين[2][3] .

* * *

(١) التفسير السياسي للإسلام . . . : ص(١١٨) .
(٢) المرجع السابق : ص(١٢٠) .
(٣) الأدب الأردني الإسلامي : للدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، ص(٦٦٢ ـ ٦٦٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

معالجة العلاَّمة الندوي قضيةَ التصوُّف

قد عالج العلامةُ الندوي قضيةَ التصوُّف ـ على رغم ما يعرف من موقف السَّلفيين فيها ـ بطريقته المتميزة في كتابه الرائع (ربّانية لا رهبانية) ، وعالج فيها قضية (المصطلحات) وجنايتها على الحقائق ، إذا تشبّث الناس بها ، وجعلوا العبرة في الأسماء لا المسمَّيات ، وفي العناوين لا في المضامين ، ولو أنّهم وضعوا بدل اسم التصوّف أو عنوانه اسماً أو عنواناً آخر مثل (التزكية) المذكورة في القرآن أو (الإحسان) المذكور في الحديث ؛ لاتفق الجميع ، وارتفع الخلاف .

أرى هذا البحث جديراً بالإيراد هنا برُمَّتِه ، يقول فيه ـ رحمه الله ـ :

« إنَّ للمصطلحات والأسماء الشائعة بين الناس للأشياء جنايةً على الحقائق ، ولهذه الجناية قصةٌ طويلة في كل فنٍّ ولغةٍ ، وفي كل أدبٍ ودينٍ ، فإنها تُولِّد كائناً آخر تنشأ عنه الشبهات ، وتشتد حوله الخصومات ، وتتكوَّن فيه المذاهب ، وتستخدم لها الحِجَج والدلائل ، ويحمى فيها وطيس الكلام والخصام ، فلو عدلنا عن هذه المصطلحات المحدثة ، وعن هذه الأسماء العرفية ورجعنا إلى الماضي وإلى الكلمات التي كان يعبِّر بها الناس عن هذه الحقائق في سهولةٍ وبساطةٍ ، وإلى ما كان ينطق به رجال العهد الأول والسَّلف الأقدمون ؛ انحلَّتِ العقدةُ ، وهان الخطبُ واصطلح الناس .

ومن هذه المصطلحات والأسماء العرفية التي شاعت بين الناس « التصوف » ، ومن هنا ثارت أسئلةٌ وبحوثٌ ، وتساءل الناس ما مدلول الكلمة ، وما مأخذها ؟ .

هل هو من الصُّوف أو من الصفاء أو من الصفو ؟

أو هي مأخوذة من الكلمة اليونانية (صوفيا) معناها « الحكمة »[1] ؟

---

(١) كلُّها أقوالٌ قيلتْ في معنى التصوُّف واشتقاقه ، راجع « دائرة المعارف » للبستاني ، و« تاريخ=

www.abulhasanalinadwi.org

ومتى حدثَتْ هذه الكلمةُ ؟

ولم نعرف لها أثراً في الكتاب والسنَّة ؟ .

وما جاءت في كلام الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين لهم بإحسانٍ ؟

وما عُرِفَتْ في خير القرون ؟

وكل ما كان هذا شأنه ، فإنَّه من البدع المحدثة ، وقد حميت المعركةُ بين أصدقائه وخصومه ، والموافقين والمعارضين ، حتى تكوَّنَتْ بذلك مكتبةٌ كبيرةٌ يصعب استعراضها .

التزكية والإحسان ومكانتهما من الكتاب والسنَّة :

أمَّا إذا عدلنا عن هذا المصطلح الذي نشأ وشاع في القرن الثاني[1] ، ورجعنا إلى الكتاب والسنَّة وعصر الصحابة والتابعين ، وتأمَّلنا في القرآن والحديث ، وجدنا القرآنَ ينوِّه بشعبة من شعب الدين ، ومهمَّة من مهمَّات النبوَّة يعبِّر عنها بلفظ « التزكية » ، ويذكرها كركنٍ من الأركان الأربعة التي بُعث الرسولُ الأعظم ﷺ لتحقيقها وتكميلها ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] .

وهي تزكيةُ النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل ، وتخليتها من الرذائل ، التزكية التي نرى أمثلتَها الرائعة في حياة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وإخلاصهم وأخلاقهم ، والتي كانت نتيجتها هذا المجتمع الصالح الفاضل المثالي ، الذي ليس له نظيرٌ في التاريخ ، وهذه الحكومة العادلة الراشدة التي لا مثيلَ لها في العالم .

ووجدنا لسانَ النبوَّة يلهج بدرجة هي فوق درجة الإسلام والإيمان ، ويعبِّر عنها بلفظ « الإحسان » ومعناها : كيفية من اليقين والاستحضار ، يجب أن يعمل لها اعلاملون ، ويتنافس فيها المتنافسون ، فيُسأل الرسولُ ﷺ ما الإحسان ؟ فيقول « أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراه ، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراكَ »[2] .

= آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان .

(١) كشف الظنون : (١/ ٢٨٠) نقلاً عن الإمام القشيري .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل . . . ، برقم (٣٧) ، ومسلم في كتاب=

www.abulhasanalinadwi.org

ووجدنا الشريعةَ ، وما أُثِر عنه عن الرسول ﷺ من الأقوال والأفعال والأحوال ، ودُوِّن في الكتب ، ينقسم بين قسمين ، أفعال وهيئات ، وأمور محسوسة كقيام وقعود ، وركوع وسجود ، وتلاوة وتسبيح ، وأدعية وأذكار ، وأحكام ومناسك ، قد تكفَّل بها الحديثُ روايةً وتدويناً ، والفقه استخراجاً واستنباطاً ، وقام بها المحدِّثون والفقهاء ـ جزاهم الله عن الأمَّة ـ فحفظوا للأمة دينَها وسهلوا لها العمل به .

وقسمٌ آخر هو كيفيات باطنية ، كانت تُصاحب هذه الأفعالُ والهيئات عند الأداء ، وتُلازِم الرسولَ ﷺ قياماً وقعوداً ، وركوعاً وسجوداً ، وداعياً وذاكراً ، وآمراً وناهياً ، وفي خلوة البيت وساحة الجهاد ، وهو الإخلاص والاحتساب ، والصبر والتوكُّل ، والزهد وغنى القلب ، والإيثار والسخاء ، والأدب والحياء ، والخشوع في الصلاة والتضرُّع ، والابتهال في الدعاء ، والزهد في زخارف الحياة ، وإيثار الآخرة على العاجلة ، والشوق إلى لقاء الله ، إلى غير ذلك من كيفيات باطنية ، وأخلاق إيمانية ، هي من الشريعة بمنزلة الروح من الجسد ، والباطن من الظاهر ، وتندرج تحت هذه العناوين تفاصيل وجزئيات ، وآداب وأحكام ، تجعل منها علماً مستقلاً ، وفقهاً منفرداً ، فإنْ سمِّي العلم الذي تكفَّلَ بشرح الأول وإيضاحه وتفصيله والدلالة على طرق تحصيله « فقه الظاهر » سمِّي هذا العلم الذي يتكفل بشرح هذه الكيفيات ، ويدلُّ على طُرُق الوصول إليها « فقه الباطن » .

فكان الأجدَرُ بنا أنْ نسمِّيَ العلمَ الذي يتكفَّلُ بتزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعية وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية ، ويدعو إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان ، والتخلُّق بالأخلاق النبوية ، واتباع الرسول ﷺ في صفاته الباطنية ، وكيفياته الإيمانية ، كان الأجدَرُ بنا وبالمسلمين أن يسمُّوه « التزكية » أو « الإحسان » أو « فقه الباطن » ولو فعلوا ذلك ؛ لانحسم الخلافُ ، وزال الشقاقُ ، وتصالَحَ الفريقان اللذان فرَّق بينهما المصطلح ، وباعد بينهما الاستعمال الشائع ، فالتزكية والإحسان وفقه الباطن حقائقُ شرعية علمية ، ومفاهيمُ دينية ثابتة من الكتب والسنَّة ، يُقرُّ بها المسلمون جميعاً ، ولو ترك « المتصوِّفون » الإلحاح على منهاجٍ علمي خاص للوصول إلى هذه الغاية التي نعبِّر عنها بالتزكية ، أو الإحسان ، أو فقهَ

= الإيمان ، باب الإيمان ما هو ؟ . . . ، برقم (٩) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

الباطن ، فالمناهج تتغيَّرُ وتتطوَّرُ بحسب الزمان والمكان ، وطبائع الأجيال والظروف المحيطة بها ، وألَحُّوا على « الغاية » دون « الوسائل » لم يختلف في هذه القضية اثنان ، ولم ينتطح فيها عنزان ، وخضع الجميع وأقرُّوا بوجود شعبة من الدين وركن من أركان الإسلام يَحْسُنُ أن نعبُر عنه بالتزكية أو الإحسان أو فقه الباطن ، وأقرُّوا بأنه روح الشريعة ، ولبُّ لباب الدين وحاجة الحياة ، فلا كمالَ للدين ولا صلاحَ للحياة الإجتماعية ، ولا لذَّة ـ بالمعنى الحقيقي ـ في الحياة الفردية إلا بتحقيق هذه الشعبة في هذه الحياة .

ثم عُني أكثرُهم بالحسبة والعناية بواقع المجتمع الإسلامي إيمانياً وخُلْقياً ، انفرادياً واجتماعياً ، والدعوة إلى الإسلام والتوحيد الخالص في حماس وإخلاص ، وحكمة ولباقة ، حتى أسلَمَ على يد بعضهم ملايين من غير المسلمين ، ومئات آلاف في بعض البلاد ، وتاب على أيدي بعضهم ملايين ومئات ألوف من الشرك والبِدَع ، وحياة غير شرعية ، وكذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ، والحنين إلى الشهادة والشوق إلى إعلاء كلمة الله وتطبيق شريعته على المجتمع الإسلامي والبلاد الداخلة في حظيرة الإسلام بحماس ، قلَّما يوجد نظيرُه[1] .

لنقرِّر الحقيقة ، ونتحرَّر من القيود ، وننبذ العصبية :

ومِن هنا كانت جناية هذا المصطلح ، والعرف الشائع « التصوُّف » على هذه الحقيقة الدينية الناصعة عظيمة ، فقد حجبتها عن أنظار كثيرة ، وصَدَّتْ فريقاً كبيراً من الناس عن سبيلها ، والحرص على تحصيلها ، ولكن كان ذلك لأسباب تاريخية يطول ذكرُها ، والأمور تجري كثيراً على غير الأهواء والمصالح ، وليس لنا الآن إلا أن نقرِّرَ الحقيقة ، ونتحرَّرَ من القيود والمصطلحات ، ومن النزعات والتعصبات ، ولا نفر من حقيقة دينية يقررها الشرع ويدعو إليها الكتاب والسنة ، وتشتد إليها حاجة المجتمع والفرد لأجل مصطلحٍ مُحدَثٍ ، أو اسمٍ طارىءٍ دخيلٍ .

---

(١) اقرأ أمثال هؤلاء في كتاب العلاَّمة « ربَّانية لا رهبانية » عند الحديث عن بعض أعلام هذه الطائفة والتنويه بمآثرهم .

www.abulhasanalinadwi.org

جناية الدجَّالين والمحترفين ، وجناية المقلِّدين والمخلطين :

ثم جنى على هذه الحقيقة الدينية شيءٌ آخر ، وهو أنه دخل فيها دجَّالون ومحترفون ، وباطنيون ومُلحِدون ، اتخذوها وسيلةً لتحريف الدين ، وإضلال المسلمين ، وإفساد المجتمع ، ونشر الإباحية ، وتزعَّموا هذا الفنَّ ، وحملوا لواءَه ، فكان ذلك ضِغْثاً على إبَّالة ، وزهد فيه ونفر منه أهلُ الغيرة الدينية ، والمُحافظون على الشريعة الإسلامية ، وطائفةٌ أخرى من غير المحقِّقين لم يعرفوا روحَ هذه الشعبة وغايتها ، ولم يميِّزوا بين الغاية والوسائل فخلطوا بينها ، وألَحُّوا على الوسائل أحياناً ، وضيَّعوا الغاية ، أو أَدْخَلوا ما ليس من هذا الفنِّ في صميم هذا الفنِّ وصلبه ، وعَدُّوه من الكمالات ، ومن الغايات المطلوبة ، وعقَّدوا المسألةَ وطوَّلوها ، وجعلوا الشيءَ الذي يكلَّف به كلُّ مسلمٍ والذي هو لبُّ الدين وحاجة الحياة لُغْزاً وفلسفةً ورهبانيةً لا يجرؤ عليها ولا يطمع فيها إلا مَن نفض يده من أسباب الحياة ورفض الدنيا وما إليها ، ولا شكَّ أن أولئك قليلٌ من قليل في كل عصرٍ وجيلٍ ، وليسَتْ هذه دعوةُ الدين ولا أسوة الرسول ولا حكمة الخلق .

الراسخون في العلم والإيمان ، وبعض مواقفهم ومآثرهم :

ولكنَّ الله قيَّض للمسلمين في كلّ عصرٍ وجيلٍ ، مَن ينفون عن هذا الدين « تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »[1] ويدعون إلى التزكية الخالصة من شوائب البدعة وإلى « الإحسان » و« فقه الباطن » من غير تحريفٍ وانتحالٍ وتأويلٍ ، ويجدِّدون صلة القلوب بالله ، والأجسام بالأرواح ، والمجتمع بالأخلاق ، والعلماء بالربَّانية ، ويُوجدون في الجمهور قوَّة مقاومةِ الشهوات وفتنة المال والولد ، وزينة الحياة الدنيا ، وفي الخواص قوَّةَ مقاومةِ صلات الملك وسياطهم ووعدهم ووعيدهم ، والجرأة على الجهر بكلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ ، والاحتساب على الملوك والأمراء ، والاستهانة بالمظاهر والزخارف ، والقناعة باليسير ، فيستطيع أحدهم أن يقول ـ وقد طلب منه أن يقبِّل يدَ الملك ليرضى عنه ـ : « يا مسكين ! والله ما أرضاه أن يقبِّل يدي فضلاً عن أن أقبِّل يده ، يا قوم ! أنتم في وادٍ وأنا في واد ! »[2] .

---

(١) قد سبق تخريجه في صفحة (٤٩٨) .

(٢) قالها الشيخ عزُّ الدين بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) .

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول بعضُهم وقد عرض عليه ملكُ بلاده أن يقبَلَ شيئاً ممَّا أتاه الله من الخير الكثير : « إنَّ الله يصف هذه الدنيا بطولها وعرضها بالقلَّة والخسة ، فيقول : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٧٧] وقد رزقك الله جزءاً صغيراً من قطعتها الصغيرة ، فلا أرزؤك فيه »[1] .

ويمُدُّ أحدُهم رجلَه إلى أميرٍ جبَّارٍ ، ويُرسِل إليه هذا الأميرُ صُرَّةً من الذهب فيرفضها قائلاً : « إنَّ من يمُدُّ رجلَه لا يمد يدَه »[2] .

فضلهم في صيانة المجتمع الإسلامي من الانهيار الخلقي والروحي :

فلا شكَّ : أنه لولا هؤلاء ـ أصحابُ النفوس المُزَكَّاة ، الذين وصلوا إلى درجة الإحسان وفقه الباطن ـ لانهار المجتمع الإسلامي إيماناً وروحانيةً ، وابتلعت موجة « المادية » الطاغية العاتية البقية الباقية من إيمان الأمة وتماسكها ، وضعفت صلة القلوب بالله ، والحياة بالروح ، والمجتمع بالأخلاق ، وفقد الإخلاص والاحتساب ، وانتشرت الأمراض الباطنية ، واعتلَّت القلوب والنفوس ، وفُقد الطبيب ، وتكَالَبَ الناسُ على حطام الدنيا ، وتنافَسَ أهلُ العلم في الجاه والمال والمناصب ، وغلب عليه الطمعُ والطموح ، وتعطَّلَتْ شعبةٌ من أهم شعبَ النبوَّة ونيابتها ، وهي « تزكية النفوس ، والدعوة إلى الإحسان ، وفقه الباطن » وكذلك توقَّفتِ الدعوةُ إلى الإسلام والدين الخالص ، أو فترَتْ فترةً طويلة ، وانتشرت الأعمالُ الشركية ، والبدع ، والخلافات في المجتمع الإسلامي ، والبلاد التي دخلت في الإسلام حديثاً .

الأزمة الروحية والخلقية في بعض الأقطار الإسلامية ، سببها وعلاجها :

انظُرْ إلى بلادٍ ضعُفَتْ فيها الدعوةُ إلى الله والربانية وتزكية النفوس من زمان ،

---

(١) قالها الشيخ المِرزا مظهر الدِّهْلَوي ، أحد كبار الشيوخ النقشبندية في القرن الثاني عشر الهجري (المتوفى سنة ١٠٩٥هـ) انظر ترجمته الضافية في « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » للعلاَّمة عبد الحي الحسني (٢/ ٧٠٥ ـ ٧٠٧) .

(٢) هو عالم دمشق الشيخ سعيد الحلبي من رجال القرن الماضي ، إقرأ القصَّة التي حدثت معه في « مختارات من أدب العرب » للعلاَّمة الندوي (٢/ ١٨١) بعنوان « عالم » بقلم الشيخ علي الطنطاوي ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

وندَرَ فيها وجود الدعاة إلى الله ، وتجديد الصلة بالله ، وإصلاح الباطن بنفوذ الحضارة الغربية أو للقرب من مركزها أو بفعل عوامل أخرى ، إنَّك تشعر فيها بفراغ هائل لا يملؤه التبحُّرُ في العلم ولا التعمُّقُ في التفكير ، ولا فضلٌ من ذكاء ، ولا غنى من أدب ، ولا نسبٌ قريب بلغة الكتاب والسنَّة ، ولا نعمة من استقلال ، إنها أزمةٌ روحية ، وخلقية لا علاج له ، ومشكلةٌ من أدقِّ مشكلات المجتمع لا حلَّ لها .

فالدَّهماء والشعب فريسةُ المادية الرعناء ، ونهامة المال العمياء ، والأمراض الاجتماعية والخلقية ، والمثَّقفون ـ الثقافة الدينية أو المدنية ـ فريسة الحرص على الجاه والمنصب والأمراض الباطنية من حسدٍ ، وشحٍّ ، ورياء ، وكبرٍ ، وأنانيةٍ ، وحب للظهور ونفاقٍ ، ومداهنةٍ ، وخضوع للمادة والقوة .

والحركات الاجتماعية والسياسية يسود عليها الأغراضُ وعدم تربية النفوس ، وضعف القادة .

والمؤسَّسات ويفسدها الخلاف والشقاق وقلة الشعور بالمسؤولية ، والتفكير الزائد في المادة وزيادة الرواتب .

والعلماء يُضعِف سلطانهم اهتمامهم الزائد بالمظاهر وخوفهم الزائد من الفقر ، وسخط الخاصة والعامة ، واعتيادهم الزائد للحياة الرخية الناعمة .

ولا علاجَ لكل ذلك إلا في « التزكية النبوية » التي نطق بها القرآنُ وبُعِثَ لها الرسولُ ﷺ ، وفي « الربانية » التي طُولب بها العلماء ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

فراغ يجب أن يملأ :

إنَّني لا أُلِحُّ على منهاجٍ خاصٍّ من التزكية درج عليه جيل من أجيال المسلمين ، واشتهر في الزمن الأخير بالتصوف ـ من غير حاجة إلى ذلك ، فقد كان في كلمات الكتاب والسنَّة ومصطلحاتها غنى عنه ـ ولا أبرىء طائفة ممَّن تزعَّمَ هذه الدعوة واضطلع بها من نقص في العلم والتفكير ، أو خطأ في العمل والتطبيق ، ولا أعتقد عصمتها ، فكلٌّ يُخطِيء ويُصِيب ، ولكن لابدَّ أن نملأ هذا الفراغَ الواقع في حياتنا ومجتمعنا ، ونسُدَّ هذا المكان الذي كان يشغله الدعاة إلى الله والربانية ، والمشتغلون

www.abulhasanalinadwi.org

بتربية النفوس وتزكيتها وتجديد إيمانها ، وصلتها بالله ، والدعوة إلى إصلاح الباطن ، والعناية بالفرد قبل المجتمع ، وأقول للمتحمسين في نقد هؤلاء الدعاة والمنكرين عليهم ، بلسان الشاعر العربي « الحطيئة » :

أقلـــوا عليهـــم لا أبـــاً لأبيكـــم مِن اللَّوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سدُّوا[1]

* * *

(١) ربانية لا رهبانية : ص(٧ ـ ١٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الرّابع

العلّامة أبو الحسن النّدوي

رائد وعميد الأدب الإسلامي

الفصل الأول : تعريف الأدب الإسلامي .

الفصل الثاني : العلاَّمة الندوي أديباً إسلامياً .

الفصل الثالث : عطاء العلاَّمة النَّدويّ في جوانب عِدَّة من الأدب الإسلامي .

الفصل الرابع : عناية العلاَّمة النَّدويّ بأدب الأطفال .

www.abulhasanalinadwi.org

« نحن لسنا بأوَّلِ مَن دعا إلى إقامة مذهبٍ إسلاميٍّ في الأدب ، وإنَّما اقتَفَيْنا آثارَ طائفةٍ من أعلام المسلمين ، وأدبائهم الموهوبين ، وقد كان أوَّلُ مَن كتب في هذا الموضوعِ ، ونبَّهَ إليه فضيلةُ العالمِ العامِل : الشيخ أبي الحسن النَّدْوِي ، وذلك حين اختُيرَ عضواً في المجمع العِلميِّ العربيِّ في دمشق . حيث قدَّمَ بحثاً دعا فيه إلى إقامة أدبٍ إسلاميٍّ ، والعنايةِ به ، فكان أوَّلَ الدَّاعِين إلى ذلك ، وطليعة المُنبِّهِين إليه »[1] .

الكاتب الإسلامي الكبير

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

---

(١) في كتابه « نحو مذهبٍ إسلاميٍّ في الأدب والنقد » ص(١١٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

الفَصْل الأول

تعريف

الأدب الإسلامي

المبحث الأول : الأدب الإسلامي .

المبحث الثاني : أهمية الأدب في الدعوة إلى الله وشروطه .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abuhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

الأدب الإسلامي

لقد ظنَّ كثيرٌ من الناس أن الأدب إذا كان جاهلياً فاسقاً ؛ كان عريقاً في أدبيته ، وإذا كان دينياً ؛ لم يستحق أن يدعى أدباً ، لأنه خلا من المتعة واللهو . صحيحٌ أن الأدب قد يكون فاسقاً ولكن الفسق ليس من مقوِّمات الأدب ولا من خصائصه اللائقة ، مهما كثر ذلك في النصوص الأدبية ، ومهما اشتدَّ إقبال الناس عليه ، كما أن الأدب قد يغلب عليه طابع الدين ويصبغه بصبغته ، ولكن ذلك لا يفقده القوة والجمال .

أمَّا بالنسبة إلى الإسلام فالأدب قد يكون مغلوباً بالصبغة الدينية ، كما يكون في الابتهالات ، والدعاء ، والوعظ الديني ، وقد يكون في إطار الحياة العامة الملتزمة بالإسلام ، والحياة في الإسلام حياة واسعة تتسع مع تنوع الحاجات الإنسانية وأحوالها وشؤونها ، ولذلك لا يعجز الأدب في الإسلام عن تلبية حاجات الإنسان الطبيعية ولا عن التمثيل لصور الحياة الإنسانية المتنوعة الكثيرة .

ولا يشعر في الأدب الإسلامي بعجز أو قصور إلا الذين يتَّهمون الإسلام نفسه بالعجز والقصور مع أن الإسلام منه براء ، وخير مثل في ذلك حياة الرسول ﷺ ، فقد كانت حياة إنسانية حافلة شاملة ، وقد صوَّرها لنا أدبه ﷺ وأحسن تصويرها ، ولها نماذج متنوعة وكثيرة[1] .

الأدب الإسلامي وصلته بالحياة :

الأدب يمثِّل الحياة ويصوِّرها ، ويعرض على القارىء والسامع صُوراً تنعكس وتبدو من مجالات العيش المختلفة ، ويعرض عرضاً جميلاً ومؤثِّراً لشتى جوانبها وأشكالها ، فتبدو فيه ملامح الكون والحياة وأشكالها المتنوعة ، فعندما يفوتنا النظر

---

(١) الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، ص(٥ ـ ٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

إلى الحياة مباشرة ننظر إليها ونشاهدها في مرآة الأدب شريطة أن يجيد الأدب عمله وتصدق من صاحبه مقدرته وتحسن ملكته ، وبذلك يصبح الأدب سبباً لتخليد أحداث الحياة وصُورها ، فهي تلمس وتشاهد ولو بعد وقوعها بزمن بعيد إذا بقيت العبارة المصوِّرة لها ، وبقي التعبير الفنِّي الجميل عنها ، وبقيت معانيها وكلماتها مفهومة مثلما كانت مفهومة في أوانها .

فبالأدب يصل الإنسانُ إلى فهم ظواهر الحياة وتذوُّق كيفياتها ، وقد يكون هذا الفهم والتذوُّق أحسن وأقوى من فهمها وتذوقها مباشرة بغير واسطة الأدب ، ولو أن الظواهر الحقيقية هي أقرب منالاً ، ومن السهل أن تسير أغوارها بصورة مباشرة ، ولكن الأدب ينوب عن ذلك منابأ كبيراً وواسعاً إذا اختفت أو غابت الظواهر الحقيقية والوقائع العملية .

ويتسع الأدبُ باتساع الحياة ، وتتعدد جوانبه ونواحيه كما تتعدد جوانب الحياة ونواحيها ، ويستطيع به القارىء أو السامع أن يطلَّ على حياة البعيدين في المكان ، أو السالفين في الزمان مهما قدم تاريخهم أو بعدت أوطانهم .

صلة الأدب بالإسلام :

ومِن أغزر اللغات أدباً وأطولها عمراً هي اللغة العربية وآدابها ، فإنَّ امتدادها لا يقصر من خمسة عشر قرناً بالتواصل والتوالي ، لم تنقطع هذه اللغة ولا آدابها في هذا الامتداد مدَّةً ، ولم تنسحب عن المجال الأدبي غير أنه قد اعتورها في عهود مختلفة ضعفٌ واستكانةٌ لأسباب متغيرة وطارئة ، وكان الإسلامُ أقوى واردٍ على اللغة العربية وعلى آدابها ، ولقد تلقَّاه الأدب وحمله بل وتزعَّم به ، وأصبح لباساً مطابقاً له ، واحتمل مسؤولية عرضه وتقديمه ، فقد كان رسولُ هذا الدين محمد بن عبد الله ﷺ وهو الداعي الأعظم للإسلام من أكثر أهل هذه اللغة وآدابها قوةً وإجادةً ، لم يكن قائلاً للشعر ولكنه كان مجيداً لفهمه ومتذوِّقاً لمحاسنه ، أما النثر الأدبي فقد كان ﷺ أروع الناس جميعاً كلاماً فيه وفهماً له .

ثم إنَّ الدين الإسلامي لم يكن ديناً قاصراً محدوداً في العبادات وحدها حتى يقال عنه : إنه إذا سايره أدبٌ كان أدباً منحصراً في العبادات وحدها ، بل إنما الإسلام هو الدين الفريد الذي اتسع كاتساع الإنسان ، وامتد كامتداد حياته ، ولم يتعارض إلا مع

www.abulhasanalinadwi.org

ما يتعارض مع مصلحة الحياة الإنسانية ذاتها ومع ذوقها الجميل ، وإنه إذا تعارض ؛ فيتعارض مع عمليات الهدم والإخلال بصالح الإنسان وإنسانيته .

فلم يكن للعمل الأدبي أن يجد صعوبةً في منادمة الإسلام ومسايرته ، ولم يكن له عائقاً عن أن يجد تحقيقاً لأهدافه في تصوير جوانب الحياة المتلائمة مع الإسلام .

بين الأدب الإسلامي وغير الإسلامي :

فموضعُ الاختلاف بين الأدب الإسلامي وغيره من أجناس الأدب هو في رعاية مصلحة الحياة الإنسانية وعدم رعايتها ، حيث إن الأدب الإسلامي يرى مجالات العمل في الكون والحياة ، ويميِّز بين اللائق بإنسانية الإنسان وغير اللائق بها ، فهو أدب ملتزم في هذا المعنى ، ولكنه ملتزم بالمفيد الصالح لا بالجمود والتقليد .

أمَّا الأدبُ غير الإسلامي ؛ فهو لا يبالي بمجالات العمل في الكون والحياة ، يدخل في كل مكان مثل البهيمة الهاملة ترعى فيما تشاء ، ولا تفرِّق بين الصافي والعفن ، والطيب والخبيث ، ولا تبالي بالفرق بين المراعي الفائحة والقاذورات النتنة ، الأدب الإسلامي لا يحب هتك العورات ولا إثارة الشهوات ، فهو أدب هادف نافع .

أمَّا الأدب غير الإسلامي فلا يبالي أين وقع وماذا أفسد ، بل إنه حينما يجرِّد نفسه من الالتزام يرى أحب مجالات عمله كلَّ صورة مثيرة للعواطف ، وكلَّ معنى يغذِّي النزوات مهما أتى به في إثره من فساد وانهيار .

وهذا هو موضع الخلاف بين الأدب الإسلامي والأدب غير الإسلامي ، الأدب الإسلامي يتلقى روحه وهدايته من الإسلام ، ومن حياة نبيِّ الإسلام .

والأدب غير الإسلامي يتلقى روحه وإرشاده من هوى الإنسان ، وحياة كل هائم من الحيوان .

وليس صحيحاً أن الأدب بعد التزامه بالإسلام يصبح محدوداً وقاصراً ؛ لأننا حينما نشطب جانب الفساد والقبح من الحياة فالذي يبقى بعده في الأدب هو واسع وكثير ومتنوع الجوانب ومختلف الصور والأشكال ، ولن يشعر الممارس له والمستفيد به أيَّ قصور فيه لقضاء حاجته من الأدب ، بل إنما يجده يخدمه في كل ما يعنيه في حياته .

www.abulhasanalinadwi.org

سَعة الأدب الإسلامي :

فقد اشتمَلَ الأدب الإسلامي على الشعور بالألم والسرور ، وعلى السَّخط والرضا ، وعلى الغضب واللطف ، وعلى البكاء والضحك ، وعلى الكراهية والحب ، وعلى الجِدِّ والمزاح ، وعلى الشقاء واللذة ، وعلى العقل والوجدان ، وعلى الحكمة واللعب .

وهو يصوِّر سلوك الصديق مع الصديق ، وسلوك الرجل مع المرأة ، ويصوِّر انفعال الرجل في الأحداث وشعوره للعواطف ، وتأثره بكل مؤثِّر ، واستجابته لكل ظاهرة مسترعية للانتباه .

وهو يشتمل على التاريخ والسيرة ، وعلى القصة والرسالة ، وعلى الخطبة والحوار ، وعلى الوصف والتصوير ، وعلى التعبير المؤثِّر الجميل ، وهو نثرٌ سليسٌ ، وشعرٌ رائع ، وصُورٌ زاهيةٌ للأسلوب الأدبي ، وهو تقريع وعتاب ، وتطريب وإمتاع ، وبيان وإفهام ، إنه مرآة كلامية للحياة الإنسانية في أحوالها النفسية وأحوالها الكونية ، غير أنه يتجنب في كل ذلك القذارة والفساد ؛ وذلك لأن الإسلام ليس ديناً بالمعنى الذي راج وعَمَّت في الديانات الأخرى في العالم حيث لا يتسع الدين في نظرها اتساع الحياة ، ويدل على صحة ما قلت سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد عمت على جوانب الحياة كلها ، ففيها شؤون وشجون ذات اتصال بالأحوال الفردية ، وبعلاقة الرجل مع زوجه ، والصديق مع صديقه ، والمواطن بجاره المواطن ، وصلة الخصم بخصمه ، والعدوُّ مع عدوِّه ، وفيها الحديث عن النفس وعن المجتمع وعن الحياة .

وهذه كلُّها خامات الأدب الإنساني البليغ ، وحيث إنَّ الدين الإسلامي يشتمل على كل ذلك فالحديث البليغ عن كل ذلك يستحق أن يدعى أدباً بل وأدباً عظيماً ، وأن ينظر إليها بتقدير واستفادة ، وهو لكونه تعبيراً عن ظواهر الحياة الإسلامية ، أو مصطبغاً بالصبغة الإسلامية يستحق أن يسمَّى أدباً إسلامياً ؛ لأنه أدبٌ يمثِّل الحياة الإسلامية ، أو أدبٌ إسلاميٌّ يمثِّل الحياة[1] .

* * *

---

(١) الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : ص(١٧ ـ ٢٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

أهمية الأدب في الدعوة إلى الله وشروطه

قدَّمَ الباحث الإسلامي الكبير ، الداعية الشهيد الأستاذ سيِّد قطب تعريفاً للأدب ليجمع عناصره الأساسية بقوله : « هو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية » وشرح أجزاء التعريف بقوله : « فكلمة تعبير » تصوِّر لنا طبيعة العمل ، ونوعه ، و « تجربة شعورية » تبيِّن مادته وموضوعه ، و « صورة موحية » تحدِّد لنا شرطه وغايته[1] .

وعرَّفه الكاتب الإسلامي المعروف الأستاذ محمّد قطب بقوله : « هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصوُّر الإسلام لهذا الوجود »[2] .

وعرَّفه فقيد الأدب الإسلامي الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا تعريفاً أكثر توضيحاً وتفصيلاً بقوله : « هو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب ، تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق عزَّ وجلَّ ومخلوقاته ، ولا يجافي القيم الإسلامية »[3] .

المراد بفَنِّيَّة التعبير :

١ ـ جماله وروعته : ولا غروَ فإشراق العبارة وجمالها شرطان أساسيان لازمان لكلِّ أدب ولا سيّما إذا كان إسلامياً .

٢ ـ وشرطٌ آخر في التعريف السابق : وهو أن يكون هادفاً ؛ لأن أفعال المسلم وأقواله مصونة عن اللغو والعبث .

٣ ـ الالتزام الديني : إنه أدب ملتزم، ولكن ليس كالتزام الاشتراكيين والوجوديين،

---

(١) منهج الفن الإسلامي : ص(٨٧) .
(٢) المرجع السابق : ص ٨٧ .
(٣) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد : ص (١١٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

فهو التزام بالإسلام وقيمه وتصوُّراته ، وتقيد بمبادئه ومثله وغاياته[1] وهو أدب مسؤول ، والمسؤولية الإسلامية : التزام نابع من قلب المؤمن وقناعاته ، التزام تمتد أواصره إلى كتاب الله الّذي جاء (بلسان عربي مبين) ولا يصحّ أن ننخدع بالتزام الوجوديين وغيرهم[2] .

٤ ـ الالتزام الخُلقي : فهو أدب أخلاقي ملتزم بأخلاق الإسلام وآدابه لا يحيد عنهما ، والالتزام الديني والخلقي يميِّزه عن سائر الآداب ، وإلا كان اتباعاً للهوى وضلالاً مبيناً[3] .

٥ ـ الدعوة إلى وحدة الأمة والتغني بأمجادها : وكل أديب يعبِّر عن حال أمته ، والأديب المسلم أولى بأن يكون أدبه معبِّراً عن حال أمته الإسلامية ، وأن يبرز أمراضها ، ويصف لها الدواء من واقع دينها[4] .

هذه أهمُّ شروط وعناصر الأدب الإسلامي الأساسية ، إذا توفرت فيه هذه الشروط ؛ أصبح عملاً إسلامياً دعوياً هادفاً ، وكان وسيلة قوية مؤثِّرة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، والأدب الإسلامي لا ينحصر في الخطبة والقصة والدرس ، بل يشمل عليها وعلى التاريخ والسيرة والوصف والحوار ، والتصوير والتعبير المؤثِّر الجميل ، وهو نثر سلس وشعر رائع ، وهو تقريع وعتاب ، وتطريب وإمتاع ، وبيان وإفهام ، إنه مرآة كلامية صادقة للحياة الإنسانية في الأحوال النفسية والكونية[5] ، وإذا كان الأدب الآن يوجه وجهة غير إسلامية ، بل يوجه لنشر الفساد والإباحية ، وأكثر من ذلك يوجه لمحاربة الإسلام ، فإنه أولى بنا أن نستعمل السلاح نفسه لنشر الفضيلة ، والدعوة إلى الخير وإلى سبيل الله ، والدفاع عن الإسلام .

وهذا ما دفع العلامة أبا الحسن الندوي كداعية إلى الله تعالى إلى بيان ضرورة هذا

---

(١) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد : ص(١١٤) .
(٢) المرجع السابق : ص(١١٤) .
(٣) مدخل إلى الأدب الإسلامي : للأستاذ نجيب الكيلاني ص٣٢ .
(٤) انظر « بحث الأدب الإسلامي وعناصره المميزة » ضمن تقرير الندوة العالمية للأدب الإسلامي ـ ص (٥٧) .
(٥) الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : ص(٢٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

الجانب في الدعوة والإصلاح ، فاهتمّ واشتغل بالأدب الإسلامي اهتماماً بالغاً واشتغالاً كبيراً ، ودعا الدعاة والعلماء والأدباء والشعراء إلى تنميته وتطويره ، والاهتمام به كمنبر من منابر الدعوة ، ووسيلة قوية يرفع المصلحون من خلالها أصواتهم بالدعوة والإصلاح ، ورابطة يتجمَّع حولها أصحابُ التصور الصحيح ، والفكر السليم ، والعواطف المستقيمة يتذاكرون أحوال أمتهم وسبل علاجها .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

www.abuhasanalinadwi.org

الفَصْل الثّاني

العلّامة أبو الحَسَن النَّدْوِي

أديباً إسلامياً

www.abulhasanalinadwi.org

تمهيد

لقد عرف الناسُ العلامة أبا الحسن الندوي في مشارق الأرض ومغاربها داعيةً إلى الله ومجدِّداً كبيراً ؛ إذ جمع في شخصيته الفذَّة بين الإيمان الراسخ والعلم الغزير الوافر ، وعاش حياته آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر بهمة وعزيمة لا تعرف الخور أو الفتور ، ولا تعترف بلغة الأمتار والأميال فعلى مدى نصف قرن لمْ يزل في غُدوٍّ ورواح ـ رَغم كِبَر السن والمرض ـ ما بين الخافقين يخاطب المسلمين في قضاياهم الصعبة ، ويشخِّص الأدواء ، ويرسم الحلول .

ومثلما عَرفوه داعيةً إلى الله عرفوه مفكِّراً إسلامياً كبيراً ، همُّه وقضيته « الإسلام » يعيش به وله ، فلا يعرض للعالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه أيُّ حادثٍ إلّا ويصبُّ عليه اهتمامه ، فيتأمَّل ويحلِّل ، ويفند ويعالج ، ويرتىء الحل ، ويقترح الدواء المناسب ، تلمح فيه ـ على الدوام ـ الانشغال بالقضايا الكبيرة عن المسائل الصغيرة ، وشُغل بالحقائق عن الصُّور ، وتمسُّك باللباب ، وترفُّع عن القشور والجزئيات والخلافيات .

ولكنّ الناسَ لم يعرفوه حقَّ المعرفة ـ سِوى القليلين منهم ـ أديباً عملاقاً في العربية ، يبدع في كتاباته ومختاراته وأحاديثه ، ويحنو على التراث العربي في واحاته النائية ، وأديباً أتى في مجال الأدب الإسلامي والعربي بالعجائب والغرائب عَجَزَ عن مثلها نوابغ الأدباء المعاصرين ، وأديباً يكتب في أسلوبٍ أدبيٍّ رصينٍ في غاية الروعة والجمال ، جمع بين بلاغة الأولين وسهولة المتأخرين .

وكلُّ هذا يُحسُّ به من يقرأ كتاباته ، فيلمس فيها بلاغته العربية ، وقدرته البيانية ، في ألفاظه المنتقاة ، وعباراته الرشيقه ، بعيدةً عن الكُلَف ونقيةً من الكَلَف .

ويُحسُّ به من كان يسمع خطاباته المرتجلة في المؤتمرات ، وكلماته البليغة في المجالس لا يتحيَّف فيها بيانَه عجمةٌ ، ولا تعترض فيها لسانَه عُقدةٌ ، تخرج من قلبه

www.abulhasanalinadwi.org

وتحمل الفكرة بطريق مختصر ، وتدعمها بشواهد مناسبة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ونوادر الشعر ، وطَرائف الأقوال وأنفس الأمثال ، لتصبَّ في وجدان السامع فتُثير عواطفه ، وتملأ قلبه فتجيش خواطره .

ويُحسّ بملامح متميزة في شخصيته الأدبية مَنْ كان يحضر الندوات العالمية السنوية لرابطة الأدب الإسلامي ـ التي كان يترأَسُها ـ رحمه الله ـ منذ تأسيسها ـ ، ويبدو له فيها فهمه العميق المتميِّز للأدب ، ويسمع آراءه القيِّمة في طبيعة الأدب ووظيفته ، وتقويمه للأدب العربيِّ المعاصر ، وتستوقفه نظراته النافذة ، وتأمّلاته العميقة ، وإدراكه المرهف لدقائق المشكلات في الأدب الإسلامي والعربي .

يرى أدباء الهند ومفكِّروها أن العلامة أبي الحسن الندوي هو بحق خليفة أستاذه سيد سليمان الندوي نظراً للخدمات التي أدَّاها لحركة « ندوة العلماء » ، كما يرون أيضاً أنه امتداد لمدرسة العلاَّمة شبلي النعماني ، وسيد سليمان الندوي الأدبية ، العلامةُ الندوي يقول بالتضامن الإسلامي الشامل ، ويؤمن به بل يوجِّه أيضاً رسالة الإسلام الإنسانية إلى غير المسلمين ، فهو داعية يضع نصب عينيه النهضة الإيمانية ، ويؤمن بصلاحية الإسلام وأبديته ، ويؤمن بالانسجام التام بين الدين والسياسة وبين الدين والأدب ، بالإضافة إلى أنه يتبع منهجاً علمياً سليماً تزيِّنه العاطفة ، وهذا واضح من كتاباته في جميع الأنماط الأدبية .

كان يرى العلامة الندوي أن الأدب مثل الحياة تحت ظِلِّ الإسلام ، ولا يرى الأدب وسيلة للحصول على الثروة ، ولنيل السمعة أو التكسب أو التسلية ، بل هو رسالة ورسالة سامية ، وهكذا تمنى العلاَّمة أن يسود الأدبَ الإخلاصُ والصدق والقوة والحياة والعاطفة والوجدان والخلود ، وهكذا جاءت كتاباته سواء العربية أو الأردية فهو أديب اللغتين بلا منازع[1] . وإذا أردنا أن نقدم مثالاً على تفوقه في الأدبين معاً فلنقرأ ما كتبه بالأردية ، فقد صدر هذا الأدب من داخله ، صدر عن عاطفة وعن عقيدة وعن فكر واقتناع ، وما أروع العلامةَ حين كتب في مختاراته موضِّحاً هذه الفكرة :

« كان هؤلاء الكتَّاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرةٌ أو عقيدةٌ يكتبون لأنفسهم يكتبون إجابة لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين منبعثين ، فتشتعل مواهبهم وينبض

---

(١) الأدب الأردي الإسلامي : للأستاذ الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، ص(٦٥٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

خاطرهم ويتحرق قلبهم فتنهال عليهم المعاني ، وتطاوعهم الألفاظ ، وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها لأنها أخرجت من القلب فلا تستقر إلا في القلب . . .

أمَّا هؤلاء المتصنِّعون فإنهم في كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثِّلين قد يمثِّلون الملوك ، ويضعون أبهة الملك ومظاهره ، وقد يمثِّلون الصعلوك فيتظاهرون بالقوة ، وقد يمثِّلون السعيد ، وقد يمثِّلون الشقي من غير أن يذوقوا لهذه السعادة طعماً أو يكتووا بنار الشقاء . وعلى العكس من ذلك اقرأ ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الحافظ ابن قيِّم الجوزية في كتبهم ترى مثالاً رائعاً للكتابات الأدبية الرفيعة تتدفَّق قوَّة وحياة وتأثيراً ، ذلك هو الأدب الحي الخليق بالبقاء ، ولا سبب لذلك إلا أنه كتب عن عقيدة وعاطفة »[1] .

أثرى العلامةُ الندوي الأدبَ الأردي ، والأدب العربي الإسلامي على السواء بكتاباته التي ظهرت باللغتين ، وكما ذكرنا سابقاً بدأ العلامةُ ينشر إنتاجه الفكري باللغة العربية عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م حين أصدر كتابه : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » وبعدها عرفَهُ العالم العربي ، وبدأ العلاَّمةُ يلقي محاضراته هنا وهناك ، وعمل أستاذاً زائراً بجامعة دمشق والمدينة المنورة ، وعين عضواً في أكثر من مؤسسة ومنظمة إسلامية ، ومجمع لغوي . ومن هنا جاء إنتاجه الأدبي مكتوباً تارة بالعربية أولاً ثم بالأردية ، وتارة بالأردية ثم بالعربية ، وهذا يجعلنا نختصر الحديث ـ وإن مع اختصاره هو وسيعٌ ـ في هذا الباب ؛ لأن القارىء العربي يستطيع أن يتعرف على مؤلَّفات العلامة من خلال ما نشر بالعربية .

سيجد القارى في هذا الباب آراءه القيمة ، وأفكاره النفيسة ، وتوجيهاته السديدة التي وراءها اطلاعاته الوسيعة وتجاربه العميقة وفراسته العالية وجهوده الحثيثة في الأدب الإسلامي .

---

(١) مختارات من أدب العرب : للعلامة الندوي (١/ ١٧ ـ ١٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

مساهمات العلاَّمة الندوي
في خدمة الأدب الإسلامي وتأسيس رابطتِه

يهب اللهُ بعضَ الناس قدرات متميِّزة ، كالحسِّ المرهف ، والبيان العالي ، والشخصية النافذة وغير ذلك من المواهب ، يصبحون بها أصحابَ عطاءاتٍ لا تتأتَّى لغيرهم ، وعندما يوفَّق أحد هؤلاء الموهوبين إلى توظيف قدراته في الدعوة إلى الله وهداية الآخرين فسوف يكسب المجتمع داعية مبدعاً ، وبليغاً متفوِّقاً ، ورجلاً تتفتح له القلوب ، وتركن إليه النفوس . والعلاَّمة أبو الحسن الندوي كان واحداً من هؤلاء اجتمعت فيه قدرات كثيرة متنوِّعة ، فكرية وأدبية ودعوية ، أعطى من خلالها لأكثر من نصف قرن في ميادين الدعوة والفكر والأدب الإسلامي ، وسوف أعرض باختصارٍ في الفقرات التالية لعطائه في ميدان واحد منها هو ميدان الأدب الإسلامي . تتوزَّع عطاءات العلاَّمة الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ في ميدان الأدب الإسلامي في قسمَين كبيرَين هما : قسم عمليٌّ ، وسم إبداعيٌّ .

أمَّا القسمُ العملي فهو الجهود التي كان يقوم بها العلاَّمة الندوي في سبيل إظهار قضية الأدب الإسلامي ، ونشرها ، والارتقاء بها إلى مصاف العالمية ، وتتضمَّن هذه الجهود مؤتمرات الأدب الإسلامي التي كان يعقدها أو يوجِّه لعقدها ، أو يحضرها ، والندوات والمحاضرات والمقابلات الصحفية التي كان يعرض فيها قضيةَ الأدب الإسلامي ، وجهوده في قيام رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئاسته لها مدَّةَ ثلاثة وعشرين عاماً . وقد كان للعلاَّمة الندوي دورُ الريادة في عقد مؤتمرات الأدب الإسلامي ، وكان لهذه المؤتمرات أثرٌ كبيرٌ في نشر وتطوير قضية الأدب الإسلامي ، وفيما أعلم فإنَّ أول مؤتمرٍ دوليٍّ للأدب الإسلامي عقد بدعوته وتحت رعايته كان عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م في «ندوة العلماء» بمدينة لكهنؤ بالهند ، وهي الهيئة الإسلامية العريقة التي كان يديرها ، ويدير من خلالها جامعة إسلامية ضخمة ومجموعة من المدارس والمعاهد الإسلامية المنتشرة في الهند وباكستان وبنغلاديش وبلاد أخرى ، وقد تمكن بفضل صِلاته ومكانته الكبيرة أن يجمع في هذا المؤتمر وفوداً ومندوبين من

www.abulhasanalinadwi.org

مصر والسعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر وسورية والأردن والمغرب العربي يمثّلون جامعات وهيئات ثقافية فيها ، وبحثت فيه المحاور الأساسية لتنظير الأدب الإسلامي ، وصدرت توصيات للجامعات العربية والإسلامية لتدريس هذا الأدب (وكانت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض قد سبقت إلى تدريس مادة منهج الأدب الإسلامي) ودعمه بشتى السُّبل ، والإسهام في تنظيره .

وقد شجَّع هذا المؤتمرُ جهاتٍ أخرى على عقد مؤتمرات وندوات ولقاءات دولية وإقليمية ، فعقد في السنة الثانية (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٥م) الحوار حول الأدب الإسلامي وقضاياه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة ، وعقدت عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م الندوة العالمية للأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وتوالت بعدها مؤتمرات وندوات في مصر والمغرب العربي والأردن وباكستان وبنغلاديش وتركية وبريطانية ، وكان العلاَّمة الندوي يحرص على حضورها رغم ما يتكلفه من المشقة وعناء السفر ، كما كان يحرص على عقد مؤتمر أو ندوة دولية أو إقليمية مرَّةً على الأقل في كل سنة في إحدى مدن الهند ، وكان لحضوره زخمٌ كبيرٌ يستقطب المشاركين ، بل والمجتهدين في تقديم البحوث والاستماع إلى المناقشات ، وقد أحصيت من خلال ما نشر في مجلة « البعث الإسلامي » اثنين وعشرين مؤتمراً وندوة كان فيها راعياً ومشاركاً رئيسياً .

وكان يتصل بمحور المؤتمرات والندوات والخطب والمحاضرات واللقاءات مع الأفراد والمجموعات والإعلاميين الذين يسعون إليه في تلك المناسبات ، وكان يركِّز فيها دائماً على قيمة الأدب بعامة ، وقدراته الكبيرة في التأثير في الأفراد والمجتمعات ، والحاجة الملحة للأدب الإسلامي في عصرنا الحاضر بخاصة لمواجهة تيَّارات الهدم ومنابر التغريب والإلحاد الأدبية ، وإشباع الحاجة الفطرية إلى الجمال البياني ، وضرورة تعزيز الارتباط بين الأدب والدعوة إلى الله ، ووظيفة الأدب في البناء والإصلاح ، ويركِّز على التربية الذوقية التي يقدمها الأدب الإسلامي ، وأثرها الإيجابي الكبير في بناء شخصية المسلم ، وصلتها الوثيقة بالبلاغة القرآنية والبيان النبوي ، وهذه القضايا محاور أساسية في الأدب الإسلامي .

ومِن جهوده العملية في خدمة الأدب الإسلامي احتضانه ورعايته المتميزة لرابطة

www.abulhasanalinadwi.org

الأدب الإسلامي العالمية ، ففي أواخر العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري كانت مجموعة من المهتمّين بالأدب الإسلامي تبحث في إنشاء تجمُّع للأدباء الإسلاميين لتعزيز موقفهم في الساحة الثقافية ، وفتح منافذ لنشر إنتاجهم الذي كانوا يجدون صعوبةً في نشره ، فقد كان أصحابُ الاتجاه اليساري مسيطرين على قسم كبير من منافذ النشر في العالم العربي ، وخاصة المجلاَّت والملاحق والصفحات الأدبية في الدوريات العربية ، ولا سيَّما التي تملكها أو تؤثر عليها الحكومات .

وكان البحث يركِّز على ضرورة قيام تواصل وتناصر بين الأدباء الإسلاميين على البُعْد ، وفي لقاء ضمَّ عدداً من الأساتذة الجامعيين المتخصصين في الأدب والنقد احتفاءً بالدكتور عماد الدين خليل ولدت فكرة الهيئة التأسيسية لرابطة الأدب الإسلامي ، التي بدأت بمراسلة الأدباء والنقاد وأساتذة الأدب والنقد وبعض المفكِّرين الإسلاميين وطرح فكرة تأسيس رابطة للأدب الإسلامي ، واقتراح أهدافها وأساليب عملها . ولقيت هذه المقترحات ترحيباً شديداً ، وأرسلَ بعض المتحمِّسين لها مقترحات نيِّرة ، وكتب بعضهم عن تجارب ومحاولات بدؤوا بها قبل سنوات ثم حالت الظروف دون تنفيذها .

وعلى مدى خمس سنوات نضجت فكرة تأسيس الرابطة لدى أعضاء الهيئة التأسيسية ، ووضعت الملامح الرئيسية لنظامها الأساسي ، وصيغت بعض فقراته ، وبدأ البحث الجَّاد عن شخصية متميزة تتولَّى رئاسةَ الرابطة ، ومقرٌّ لمكتبها الرئيسي يمنحها الصفة القانونية ويعترف بشخصيتها الاعتبارية كاملةً كما يريدها المؤسِّسون ، ويمنحها حرية العمل دون تدخُّلٍ في شؤونها ، وكان هاجسٌ (التخوف من مصطلح الإسلامية) يقلق المؤسِّسين ، فالتطرُّف الذي انزلق إليه بعضهم ، والآثار السلبية لبعض الأعمال المسلحة التي ظهرت في أكثر من مكان في العالم العربي ، وعوامل أخرى مرتبطة بها ، جعلت المؤسِّسين يفتِّشون بحرصٍ شديدٍ عن الشخصية التي تتجاوز تلك التخوُّفات ، وتجتذب الثقة بالرابطة وأهدافها ، وكانتِ شخصية العلاَّمة الندوي القطب الذي أجمع المؤسِّسون وكل من استشيروا عليه ، فهي شخصيةٌ تمتلك صفات فريدة كأنَّها مفصلة تفصيلاً لهذه الرابطة . تمثِّل كل ما يحمله اسمها من (إسلامية) و (أدبية) و (عالمية) ، فالعلاَّمة الندوي مفكِّرٌ إسلاميٌّ عُرِف بتميُّز فكره منذ كتابه المبكر « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » ؛ وهو ذو موهبةٍ أدبيةٍ تشهد بتألُّقها

www.abulhasanalinadwi.org

كتابته عن محمد إقبال ومختاراته من الأدب العربي ، ثم إنَّ المزيج الذي يحمله في عروقه من الأصول العربية والهندية ، وانتشاره الواسع في العالم الإسلامي أبين مظهر لتجاوزه حدود المحلية إلى العالمية .

ونيابةً عن الهيئة التأسيسية سعى اثنان من أعضائها إلى العلاَّمة الندوي عندما جاء إلى مكة لحضور مؤتمر رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٠٤هـ وعرضا عليه همومَ التأسيس والحاجة إلى من يتولَّى المسؤولية واجتماع الرأي عليه ، فقبل ـ رحمه الله ـ دُون تردُّدٍ ، وتكفَّل بإنجاز الإجراءات القانونية لتسجيل الرابطة وإنشاء مكتبها الرئيسي في الهند ، ولم تمض مدَّةٌ طويلةٌ حتى جاء البشير بتحقق الآمال التي طالما تطلَّعَ إليها الكثيرون وولادة الشخصية القانونية الدولية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

وبعد شهور قليلة ، وبالتحديد في شهر رجب عام ١٤٠٥هـ الموافق لشهر إبريل نيسان عام ١٩٨٥م وفي جوٍّ عاطفيٍّ نادرٍ كان المؤتمرُ الأول للرابطة يعقد في إحدى قاعات « ندوة العلماء » بمدينة لكهنؤ بالهند برئاسة العلاَّمة الندوي ، ويحضره أعضاء مؤسِّسون من معظم الدول العربية والهند ، ليضع الصيغة المعتمدة لنظام الرابطة ومكاتبها الإقليمية ويختار أعضاء مجلس أمنائها ، وكان له الفضلُ الكبير في تحوُّلِ الحلم إلى حقيقة قائمة .

وعلى امتداد خمسة عشر عاماً بذل العلاَّمة من وقته وجهوده الشيء الكثير في إدارة الرابطة ، وحَضَر جميع مؤتمراتها ومجالس أمنائها في أماكن شتى ، السعودية والأردن وتركية ومصر والمغرب العربي وبريطانية ، رَغْم آلام المرض ومتاعب الشيخوخة ، وكان لتوجيهاته الحكيمة الفضل الكبير في نُمُوِّ الرابطة وتطورها وتجاوزها لكثير من المعوِّقات الداخلية والخارجية ، والتي كاد بعضها يعصف بها غير مرَّةٍ ، ولولا فضل الله سبحانه ثم حكمة العلاَّمة وصبره وتدخُّلِه لاستيعاب المشكلات الطارئة وحلِّها ؛ لكانت الرابطة واحدةً من التجارب الإسلامية القصيرة والمريرة في عصرنا الحاضر[1] ، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ الرجلَ الموفَّقَ الذي انتُظِر طويلاً ليتعزَّز به الأدبُ الإسلامي ، وليجد من يرعاه في عصر القوميَّات الضيِّقة ، ومحاولات فصل الدين عن الأدب

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي ، بحوث ودراسات : (من مقال الدكتور عبد الباسط بدر بتصرُّف) ص(٥٥٧ ـ ٥٦٠) ، طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

www.abulhasanalinadwi.org

والفكر ، والسياسة والاقتصار على وجوانب الحياة العلمية . . . فقد احتضن هذا الرجل ـ بحماسة المؤمن الصادق ـ أولَ تجمُّعٍ للأدباء الإسلاميين على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم ، وظهرت برعايته أول هيئةٍ أدبيةٍ إسلاميةٍ ، لا في العصر الحديث وحسب ، بل وفي تاريخ الشعوب الإسلامية كله . . فما أعرف في هذا التاريخ الطويل العريض تجمعاً للأدباء يلتقي فيه الهندي والعربي والتركي والأندنوسي على مفهومات واحدةٍ ومنهجٍ علميٍّ موحَّدٍ . . ولئن كانت الروابط والاتحادات والجمعيات الأدبية بدعة حديثة في العالم كله ، فإنها لم تعرف تجمعاً للأدباء الإسلاميين قبل أن يحتضن العلاَّمة الندوي رابطةَ الأدب الإسلامي ويرعاها[1] .

وقد بذلت الرابطة التي أسَّسها العلاَّمة الندوي في السنوات الماضية جهوداً عظيمةً في مجال العلم والأدب ، والفكر والدعوة ، واليوم تجاوز عددُ مندوبيها أكثر من مئتي مندوبٍ للجامعات ومراكز العلم والأدب الإسلامية المختلفة في البلدان العربية والإسلامية ، والفضل في كلِّ هذا راجعٌ إلى الله تبارك وتعالى ، ثم بتوفيقه إلى فقيد الأدب الإسلامي العلاَّمة أبي الحسن الندوي .

* * *

---

(١) نظرات في الأدب : ص(٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

الفَصْل الثّالث

عطاءُ
العلَّامة أبي الحَسَن النَّدْوِي
في جوانب عِدَّة من الأدب الإسلامي

المبحث الأول : نظراتٌ وتأمُّلاتٌ وآراءٌ للعلَّامة الندوي في الأدب الإسلامي .

المبحث الثاني : عناية العلَّامة الندوي بأدب الأطفال .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

نظراتُه وتأمُّلاته وآراءه في الأدب الإسلامي

يبدو عطاء العلاَّمة أبي الحسن الندوي في جوانب عدة من الأدب الإسلامي تتجاوز التوقُّعات التي يحدسها المرء في داعية فقيه ، فقد قدَّم أعمالاً أدبية إسلامية في الدراسات الأدبية والنقدية ، وفي أدب الرحلات ، وفي أدب التراجم والسِّيَر ، وفي قصص الأطفال ، وهذه ميادين إبداعية تكشف عن موهبة أدبية غنية متعدِّدة الجوانب .

فمن الدراسات الأدبية والنقدية التي نشرها كتاب « روائع إقبال » ، درَسَ فيه آفاق الإبداع عند الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال ، وحَلَّل نصوصاً رائعة ترجمها بنفسه من دواوينه الفارسية والأردية ، وطوَّف في الآفاق الفكرية والشعورية التي تضمنتها القصائد ، وأظهر من خلالها التصوُّرَ المتميِّزَ للشخصية المسلمة التي كانت تملأ نفس إقبال ومشاعره ، وعوامل القوَّة والاستمرار فيها ، وأسباب تفوُّقِها على النماذج البشرية الأخرى ، كما وقف على الأبعاد الفلسفية العميقة في تصوُّر إقبال لوظيفة الإنسان المسلم في الحياة ، والريادة التي وضعته فيها عقيدته ، ووظيفة الدعوة ، والهداية التي تشع عطاءً حنوناً للبشرية .

ومن كتابات العلاَّمة الندوي المهمَّة في الأدب الإسلامي كتابه « نظرات في الأدب » ، فهذا الكتاب عرضٌ نقديٌّ ، ودراسةٌ تنظيريةٌ لمفهومات أدبية كبرى ، يقرِّر مقاييس أساسية لمفهوم العمل الأدبي ، ويؤصِّل قواعد للأدب الإسلامي ، ويبيِّن طبيعته ، وعناصره المميزة له عن الآداب الأخرى ، ويحدد وظائفه ، وأهدافه ، والقِيَم المضمونية والشكلية فيه ، وهذه هي الموضوعات الرئيسية التي يتجادل فيها دُعاةُ الأدب الإسلامي وخصومه وهي التي تفصل في وجوده وغيبته .

نقدِّم في الصفحات القادمة بعض التأمُّلات والنظرات والآراء للعلاَّمة الندوي ، والتي توشك أن تكون بيان مبادىء للأدب الإسلامي ، أو لبعضه على الأقل ؛ ذلك أنَّ

www.abulhasanalinadwi.org

القارىء يخرج من الكتاب بعدد من القواعد والأحكام حول : مفهوم الأدب وطبيعته ، والموقف من فصوله المنسية ، وآفاق الأدب الإسلامي وبعض خصائصه . فلنمضِ في جولةٍ سريعةٍ نستعرض مباحث هذا الفصل وأقسامه .

يضمُّ هذا الفصلُ بين دفتيه ستة أقسام يجمعهما محوران ، هما : مقاييس للأدب ونقده ، وآفاق عالمية للأدب الإسلامي .

وأمَّا المحورُ الأول فيشغل أربعة أقسام المبحث الأول ، ويدلُّك عليه عنوان الفصل الأول ، وهو « نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي » . وهو كذلك بحق . فالعلاَّمة الندوي في هذا الفصل يرفض أن يكون الأدب « صناعة تقليدية » ، ويرفض أن يقتصر على حياكة المدَّاحين والمتملقين والمتحذلقين ، ويقرِّر أن الأدب كل تعبيرٍ جميلٍ صادقٍ عن أحداث هزَّت الوجدان . لذلك لا يصح أن نحتبس في دواوين الشعراء المعروفين وصفحات الكتاب المتفرغين ، وعلينا أن ننقب عن نصوصه الجميلة في كتابات أخرى لم تقصد تحبير الكلام وتنميقه ، إنما قصدت نقل حدث أو فكرة أو إحساس بصدق كامل . . وأي شيء يكون الأدب غير هذا ؟ .

ويقدِّم العلاَّمة دليله الحاسم : نصوصاً رائعة من كتب الحديث والسِّيرة والمغازي والتاريخ ، ويقف وقفات جمالية دقيقة على مقاطع منها ، تحس معها أنه يحصي نبض الكلمات ويلمس حرارةَ العبارة وينقلها إليك في أقوى صيغ التأثير .

وهذه ـ فيما أحسب ـ نظرةٌ جديدةٌ للأدب ، فتاريخ الأدب الذي درسناه ودرَّسناه يقتصر على إبداع الشعراء « الممتهنين » والكتاب « المحترفين » ، ولا يبلغ هذه الآفاق الواسعة ، ولا يصل إلى تلك المضمونات الإنسانية الحقيقية . وهذه النظرةُ تفتح الباب واسعاً لتاريخ جديد يعيد تقويم الأدب في كل عصر ، ويعيد صياغة الأحكام على رفعته وانحداره ، وقد يغير فيها الشيء الكثير . .

ويأتي القسم الثاني امتداداً لنظرة الفصل الأول وتطبيقاً لموازينه على نصوص كريمة عظيمة ، هي من أصدق الأدب روايةً وفائدةً ومتعةً ، فلئن اتفقت مذاهب الأدب على أن الأدب يقدِّم « شيئاً » للإنسان ، قد يكون فائدة ، وقد يكون متعة فنية . . فإنَّ نصوص الحديث النبوي تقدِّم « كل شيء » للإنسان ، تقدِّم البناء الفكري والسلوكي والذوقي ، وتقدم المتعة الجمالية في البيان الساحر ، لذلك عمد العلاَّمة الندوي إلى نصوص الحديث الشريف فبيَّن أبعادها الأدبية وعطاءاتها البلاغية وآثارها النفسية

www.abulhasanalinadwi.org

والاجتماعية ، ونبَّه إلى جوانب لا ينتبه إليها إلا متأمّلٌ ذوَّاقةٌ هدى الله بصيرته إلى دقائق الأمور .

ويأتي القسم الثالث والرابع والخامس مراجعة لفنون أدبية محددة هي : أدب التراجم والتقديمات والرحلات . وهي أيضاً مراجعة نقدية ، تعيد النظر في طبيعة هذه الفنون وصفاتها الرئيسة . وقد دأَبَ الدارسون على تقديم كلٍّ من هذه الفنون بتعريفاتٍ محددةٍ وعباراتٍ تبيِّن طبيعتها ووظيفتها ، فأدبُ التراجم ـ فيما قرأنا عنه ـ عرض لحياة أشخاص متميزين يهتم برصد الأحداث الكبيرة فيها وآثار المترجَم له ، غير أن العلاَّمة الندوي يضع شروطاً لمن يتجرَّد له ، يستنبطها من الصفات التي يريدها لهذا الفن . . . ففضلاً عن المعرفة الواعية الناقدة ، والقدرة على البيان ، والدقة والأمانة والشعور بالمسؤولية ، يشترط في كاتب التراجم وجود « الدافع النبيل » أي أنَّ فن التراجم لا بدَّ أن يرتبط بدافع نبيل ويصدر عنه . وينبِّه المترجمين إلى ضرورة أن يدركوا أن للكلمات « درجة حرارة وبرودة » وأن عليهم أن يحسوا بها ، ويحسنوا توظيفها . . . وهذه لمحات ذكية يدركها من عايش هذا الفن طويلاً وتعمق فيه ، وهذا جانب جديد في شخصية العلاَّمة الندوي وتراثه العائلي نكتشفه عندما نعرف أنه نشأ في بيئة هوايتها التراجم والتاريخ ، فوالده مؤلِّفُ أكبر موسوعة في ترجمة رجال الهند المسلمين ، وجدُّه سبق إلى وضع موسوعة بالفارسية كما تحدَّثنا في الباب الثاني .

وأمَّا أدب الرحلات فيضع العلاَّمة يده على سماتٍ مهمةٍ فيه ، فهو ينبِّه إلى أهمية النظرة الشاملة إلى المجتمع الذي يكتب عنه الرَّحَّالة ، وإلى ضرورة التسجيل المباشر للأحداث والمشاهدات لرصد المشاعر الحقيقية والانطباعات التي تلد فجأةً وتموت بعد حين ، والخواطر التي لا يعيدها التذكر ، ويقف عند قضية يخالف فيها كثيراً من كتَّاب الرحلات ومنظِّري هذا الفن الأدبي ، هي : ذات الأديب ومكانها في أدب الرحلات . فيرفض أن ينحِّي الأديب فكره ومشاعره وعقيدته ويتحوَّل إلى آلة تصوير « باردة » ، ويوجِّهه إلى أن يسكب ذاته في تعليقات ذكية وتحليلات صادقة تستحضر العاطفة وتملأ الوجدان . وقد طبَّق العلاَّمةُ ذلك في كتابه « مذكِّرات سائح في الشرق العربي » وأثبت أن تدخل الأديب بالتعليق والتحليل يحول العمل من الأداء الجامد إلى عرض يضج بالحياة والأحاسيس والأفكار .

ويأتي القسم السادس لتسليط أضواء على آفاق عالمية للأدب الإسلامي ، يؤكِّد فيه

www.abulhasanalinadwi.org

العلاَّمة الندوي أنَّ الأدب الإسلامي عالميٌّ ، يستمد عالميته من عالمية الإسلام فيستوعب آداب الشعوب الإسلامية كلها .

صحيحٌ أن اللغة العربية هي لغة الأدب الإسلامي الأولى ، وأنَّ الحِلْم الكبير لدعاته ـ بل ولكلِّ مؤمن ـ أن تكون لغة المسلمين جميعاً . ولكن ، ونحن على أعتاب الحلم لا يجوز أن نغفل عن الواقع ، فكثيرٌ من الشعوب الإسلامية تتكلَّم لغات محلية خاصة ، وتكتب بها ، وتعيش حياتها الثقافية بمفرداتها ، وتعبِّر عما يجيش في صدور أبنائها بألفاظها وعباراتها . ومن التجنِّي أن نتجاهل هذه الحقيقة أو نتجاوزها . وقد ظهر في هذه الأمم أدباء مبدعون امتلأت وجداناتهم بالإسلام ، وتفجَّرت قرائحهم بعطاءات مدهشة ، واستطاعت قصائدهم وقصصهم ومسرحياتهم أن تهزَّ شعوبهم ، بل إن بعض إبداعهم تجاوز خارطة بلادهم إلى آفاق عالمية ، فتُرجم إلى لغات عدة ، وحظي بإعجاب المتذوقين والدارسين ، وليس بعيداً عنا محمد إقبال وما كُتِبَ عنه بالإنجليزية والألمانية . .

وهكذا يفتح لنا العلاَّمة الندوي باباً آخر في الأدب الإسلامي ما زالت درويه بكراً وما زالت دراساته ميداناً واسعاً للدارسين ، ويقدِّم نماذج لما في ذلك الميدان ، فيعرض جانباً من أدب جلال الدين الرومي ، وهو جانبٌ تراثيٌّ ، وآخر على أبواب قرننا الميلادي هذا هو أدب محمد إقبال . وكلا العرضين متميز في ملامحه وأهدافه . فالأول يتتبع ملامح إنسانية دقيقة هي : الحُبُّ في تساميه نحو المطلق وتوجُّهه إلى مقرٍّ علويٍّ يلوذ به ، وعالم القلب الذي لا يسافر فيه إلا أصحاب القلوب الغنية ، وقيمة الإنسان ، هذه قضية كبيرة في الآداب بعامة وفي الأدب الإسلامي بخاصة . فالإنسان في الأدب الإسلاميِّ قيمةٌ لا تعلو عليها إلا قيمة جلال الخالق عزَّ وجلَّ ، وقد أبدع الروميُّ في عرض هذه القضايا بلغة القلب والعاطفة . . . وأبدع العلاَّمة الندوي بتقديم هذا الجانب من شعر جلال الدين الرومي .

وهكذا يتكامل المحوران لتعرض نظرات وتأمُّلات رائدٍ من روَّاد الأدب الإسلامي في قضايا إسلامية في الأدب والنقد هي : مفهوم الأدب وطبيعته وحدوده ، والآفاق العالمية للأدب الإسلامي .

ولا شكَّ أنَّ هذه « النظرات والتأملات » تنظير للأعراف والقواعد والمقاييس ، وريادة في دروب الأدب الإسلامي ونقده .

www.abulhasanalinadwi.org

ولا شكَّ أيضاً أنه ليس من شأن الريادة أن تكون عملاً تفصيلياً يقف عند كل جزئية ، ولا من شأنها أن تكون دراسة معمَّقة لا تترك شيئاً لمن بعدها . أبداً . . . فالريادة خطوة جريئة في أرض جديدة ، وسطر في صفحات لم تكتب بعد ، ووثبة تفتح الباب المغلق ليدخل منه الآخرون ، وهي قبل ذلك كله موهبة لا يحملها إلا من آتاه الله فراسة قوية ، وإدراكاً دقيقاً لطبيعة الأشياء ، وقبساً من نورٍ يضيء مجاهل الطريق . . وقد ملك العلاَّمة الندوي ذلك ، ففتح لنا في « نظراته وتأملاته » أبواباً لا باباً واحداً ـ وهذا من توفيق الله له ـ أملاً في أن ندخل منها ونعبِّد الطريق . . .

فقد أثبت العلاَّمة الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه النظرات والتأملات أنه رائدٌ في أكثر من ميدان : في العمل الدعوي المعاصر ، وفي رعاية أول رابطة للأدباء الإسلاميين ، وفي تنظير بعض قواعد الأدب الإسلامي ، وفي الكشف عن مناجم مهملة لأدبنا العربي[1] .

ولعلَّ آخر ما يخطر على بال من يدرس نتاج مفكِّرٍ فقيهٍ داعيةٍ أن يجد له إسهاماً في أدب الأطفال، لكن العلاَّمة الندوي الذي كان يحمل همَّ الدعوة وهموم المسلمين حيثما كانوا وجد في هذا الميدان ما غفل عنه الكثيرون قبل نصف قرن ، فالطفل هو البنية الواعدة ورجل المستقبل . والعناية به تأسيس للرجل الصالح ، والقصة بما تملكه من مشوِّقات ومؤثِّرات وسيلة تحفز في نفوس الأطفال أخاديدَ لا تُزدم ، ولقد لحظ العلاَّمة ذلك وأدرك خطورةَ هذا المنبر في إهماله وفي استخدامه، وبحث عن النصوص القصصية المناسبة فلم يجد الكثير ، وأراد أن يدعو الأدباءَ الإسلاميين إلى مَلْءِ الفراغ قبل أن يملأهُ غيرهم ، فجعل دعوته نظرية وتطبيقية ، واختار من حياة الأنبياء والرُّسُل مواقف وأحداثاً مهمة ، وأخرجها في مجموعة قصصية سماها (قصص الأنبياء) ، وصاغها بأسلوبٍ عذبٍ مبسَّطٍ يناسب الطفلَ في مرحلة تفتح الوعي التي تلامس مرحلة الفُتُوَّة ، وهي أخطر مرحلة في حياة الطفل ، تتأسس فيها مفهوماته ، وتتجذر قيمه .

وقد نبَّه العلاَّمة الندوي في مقدِّمة المجموعة إلى أهمية هذا اللون من الأدب ، وأثره في تنشئة الأجيال والشروط التي ينبغي أن تتوافر فيه ليكون ناجحاً يتغلغل إلى أعماق الناشئة ، ويزرع فيهم القِيَم الفاضلة .

---

(١) نظرات في الأدب : (من تقديم الدكتور عبد الباسط بدر بتصرف واختصار) .

www.abulhasanalinadwi.org

فيأتي المبحث الثاني من هذا الفصل ليتحدَّث عن ذلك التراث التاريخي الخالد الذي قدَّمه العلاَّمة الندوي لأدب الأطفال ، والذي أعاد بريقه ، ولمَّع جوانبه ، من خلال تلك الكتب التي ألفها للأطفال ، وتحدَّث فيها عن أمجاد أمتنا الإسلامية وسموِّ أخلاقها بأسلوب الداعية الصادق الذي تتدفَّق منه كلمات الدعوة ملتهبة ، تحمل صدق العاطفة وسموَّ الروح ، فيحمل هذا المبحثُ أهدافاً هي التعريف بفكر العلاَّمة الندوي الأدبي للطفل .

www.abulhasanalinadwi.org

نظرة جديدة له إلى تراث الأدب العربي

كتب العلامة الندوي بحثاً قيماً في سنة ١٩٥٧م تحت عنوان « نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي » عندما اختير عضواً بمجمع اللّغة العربية بدمشق ، قَدَّمَ فيه نظرةً جديدةً للتراث الأدبي العربي ، وكشف فيه عن ثروة دفينة للأدب تنتظر من يستخرج منها الدُّرر الكامنة المهجورة ، ودَعَا فيه أصحاب الاختصاص إلى البحث عن عناصر الأدب الإسلامي ، ونخل المكتبة الإسلامية واستعراضها ، وتوسيع دائرة الأدب العربي الإسلامي ، والخروج به عن النطاق الضيق الذي ضُرِب حوله واحتبس فيه ، من تسلّطِ أصحاب الصناعة الأدبية والمحترفين على هذا الأدب ، الذين يتخذونه حرفة وصناعة ويحتكرونه احتكاراً ، ويتنافسون في تنميقه وتحبيره حتى أصبح مقصوراً على الكلام المصنوع ، والأدب التقليدي الّذي لا روح فيه ولا قوة ، ولا جدَّة ولا طرافة .

يجدر بي أن أقدّم هنا هذا البحث القيم بكامله الذي كان هو نواةً لتأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، يقول ـ رحمه الله ـ :

« أُصيب الأدب العربي بمحنة تصيب كلَّ أدب ، محنة تكاد تكون طبيعية ومطردة في الآداب واللغات ، إلاّ أن آجالها تختلف من أدب إلى أدب . فقد يطول أجلها في أدب أمة من الأمم ، ويقصر في أدب أمة أخرى ، ويرجع ذلك إلى عوامل عدَّةٍ ، أهمها : الأحوال الاجتماعية والسياسية ، وحركات الإصلاح والتجديد ، والبعث الجديد . فإذا توافرت هذه العوامل في الأمة قصر أجل المحنة ، وإذا فقدت أو ضعفت طال أجل المحنة ، وطال شقاء الأدب والأمة كلها بها .

هذه المحنةُ هي : تسلُّط أصحاب التصنع والتكلف على الأدب ، الذين يتخذونه حرفة وصناعة ، ويتنافسون في تنميقه وتحبيره ، ليثبتوا براعتهم وتفوقهم ، وليصلوا به إلى أغراض شخصية محضة .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد يطول هذا الأمر ويستفحل ، حتى يصبح الأدب مقصوراً عليهم ، ومختصاً بهم ، ويأتي على الناس زمانٌ لا يفهمون فيه من كلمة « الأدب » إلا ما أثر عن هذه الطبقة من كلام مصنوع ، وأدب تقليدي ، لا قوَّة فيه ولا روح ، ولا جدَّة ، ولا متعة .

ويطغى هذه الأدب الصناعي التقليدي على كل ما يؤثر عن هذه الأمة ، وتحتويه عليه مكتبتها الغنية الزاخرة من أدب طبيعي وكلام مرسل ، وتعبير بليغ يحرِّك النفوس ، ويثير الإعجاب ، ويوسِّع آفاق الفكر ، ويغري بالتقليد ، ويبعث في النفس الثقة ، ولا عيب فيه إلا أنه صدر عن رجال لم ينقطعوا إلى الأدب والإنشاء ، ولم يتخذوه حرفة ومكسباً ، ولم يشتهروا بالصناعة الأدبية ، ولم يكن لهذا النتاج الأدبي الجميل الرائع عنوان أدبي ، ولم يكن في سياق أدبي ، وإنما جاء في بحث ديني ، أو كتاب علمي ، أو موضوع فلسفي أو اجتماعي ، فبقي مغموراً مطموراً في الأدب الديني ، أو الكتب العلمية ، ولم يشأ الأدب الصناعي ـ بكبريائه ـ أن يفسح له في مجلسه ، ولم ينتبه له مؤرِّخو الأدب ـ لضيق تفكيرهم وقصور نظرتهم ـ فينوِّهوا به ويعطوه مكانه اللائق به .

إنَّ هذا الأدب الطبيعي الجميل القوي كثيرٌ وقديمٌ في المكتبة العربية ، بل هو أكبر وأسبق زمناً من الأدب الصناعي ، فقد دُوِّن هذا الأدب في كتب الحديث والسيرة قبل أن يُدوَّن الأدب الصناعي في كتب الرسائل والمقامات ، ولكنه لم يحظ من دراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم ما حظي به الأدب الصناعي ، مع أنه هو الأدب الذي تجلت فيه عبقرية اللغة العربية وأسرارها ، وبراعة أهل اللغة ولباقتُهم ، وهو مدرسة الأدب الأصيلة الأولى .

ونأخذ كتبَ الحديث والسيرة ـ كمثال لهذا الأدب الطبيعي ـ

www.abulhasanalinadwi.org

أولاً فنقول : إنَّها اشتملت على معجزات بيانية وقطع أدبية ساحرة ، تخلو منها مكتبةُ الأدب العربي ـ على سعتها وغناها ـ وهو دليل على صحة هذه اللغة ومرونتها ، واقتدارها على التعبير الدقيق عن خواطر ومشاعر ، ووجدانات وكيفيات نفسية عميقة دقيقة ، ووصف بليغ مصوِّر للحوادث الصغيرة ، وهي الكتب التي حفظت لنا مناهجَ كلام العرب الأولين وأساليبَ بيانهم ، ولئن صح ما قاله الرَّقَاشِي[1] : « إنَّ ما تكلمت به العرب من جيِّد المنثور أكثر مما تكلمتْ به من جيد المنظوم ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره »[2] .

فكُتب الحديث النبوي تسدُّ هذا الفراغ الواقع في تاريخ الأدب العربي ، وتنقل إلينا هذا الذخر الأدبي الذي اعتُقِدَ أنه قد ضاع ، وتمتاز أنها قد اتصل سندها وصحت روايتها فهي أوثق مصدر للغة العربية البليغة التي كانت سائدةً في عهدها الذهبي الأول ، وللأدب العربي الذي كان منتشراً في جزيرة العرب .

إنَّ هذه الكتب تشتمل على روايات قصيرة وطويلة ، وكلها أمثلة جميلة لِلُغة العرب العَرْباء التي كانوا يتكلمون بها ويعبِّرون فيها عن ضمائرهم وخواطرهم ، ويجد دارس الأدب العربي فيها من البلاغة العربية ، والقدرة البيانية ، والوصف الدقيق ، والتعبير الرقيق ، وعدم التكلف والصناعة ما يقف أمامه خاشعاً معترفاً للرُّوَّاة بالبلاغة والتحرّي في صحة النقل والرواية ، وَلِلُّغة العربية بالسعة والجمال .

أمَّا الروايات الطويلة فهي ثروة أدبية ذات قيمة فنية عظيمة ، وهي التي تجلَّت فيها بلاغةُ الراوي العربي ، واقتداره على الوصف والتعبير والتصوير ، وهي التي يطول فيها نَفَسُهُ ،

---

(١) هو الفضل بن عبد الصَّمد بن النضل الرَّقَاشِي البصري ، شاعرٌ مجيدٌ ، من أهل البصرة فارسيُّ الأصل ، انتقل إلى بغداد ، ومدح الخلفاءَ ، مات نحو عام ٢٠٠هـ .

(٢) البيان والتبيين : للجاحظ (١/ ١٧٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

فيحكي حكاية يعبِّر فيها عن معان كثيرة ، وأحاسيس دقيقة ، ومناظر متنوعة، فلا يخذله اللسان، ولا يخونه البيان ، ولا يتخلف عنه مدد اللغة ، وكأنها لوحة فنية منسجمة متناسقة قد أبدع فيها الفنانُ ، أو صورة متناسبة قد أحسن فيها المصوِّرُ كلَّ الإحسان .

اقرأْ معي حديثَ كعب بن مالك عن تخلُّفه عن غزوة تبوك ، وهو موضوع دقيق مُحرِج ، يطلب منه الصراحة والاعتراف بالتقصير ، والشهادة على النفس ، ويطلب منه تصوير ذلك الجو الغائم العابس الذي عاش فيه خمسين ليلة ، ويطلب منه تصوير الخواطر التي كانت تجيش في صدره ، وتساور نفسه وهو يعيش في جفاء وعتاب ، ممن يحبهم وتربطه بهم العقيدة والعاطفة ، لا يجد لذة في فراقهم ، ولا يرى في الدنيا عوضاً عنهم ، وتصوير تلك الصلة الروحية والحب العميق الذي يربطه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ربطاً وثيقاً محكماً ، لا يحلُّه العتاب والعقاب ، ولا يضعفه إقبال الملوك عليه وتوددهم إليه ، وتصوير ذلك السرور الذي غمره على أثر قبول توبته .

ما أصعب هذا الموضوع ، وما أكثره تعقُّداً ودقَّةً ، ولكنه ببلاغته العربية يتغلب على هذه المشكلات النفسية والأدبية ، ويترك لنا ثروة نعتز بها .

اقرأْ معي هذه القطعة الصغيرة التي أقتبسُها من حديثه الطويل ، وهو يحكي ما أحاط بهذه الغزوة العظيمة من ظروف وأجواء ، ويصوِّر تلك الحالة النفسية التي تخلّفَ فيها عن هذه الغزوة ، وما انتابه من التردد ، ولم يكن التخلّف عن الغزوات من سيرته وعادته ، وتمتَّعْ بما احتوت عليه هذه القطعةُ من القوة والجمال ، وصدق التصوير وبراعة التعبير [يقول ـ رضي الله عنه ـ] :

« وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهَّزَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون معه ، فطفقتُ أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع

www.abulhasanalinadwi.org

ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه . فلم يزل يتمادى بي حتى اشتدّ الجدُّ ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ، ثم غدوتُ فرجعتُ ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممتُ أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ! فلم يُقَدَّرْ لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطفت فيهم ، أحزنني أنّي لا أرى إلاّ رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممَّن عذره الله من الضعفاء » .

ثم انظرْ كيف يصوّر حالته وقد هجره المسلمون ونُهُوا عن كلامه ، وكيف يعبِّر عن حالة المُحِبِّ الذي هجره الحبيبُ ـ عقوبة وتأنيباً ـ وهو يطمع في ودّه ويتسلى بنظراته ، والذي لم يزدْه هذا العتاب إلاّ رسوخاً في المحبة ولوعةً وجوىً ، دَعْه يقص قصته بلسانه البليغ :

« ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين مَنْ تخلَّفَ عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكَّرت في نفسي الأرضُ فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأمَّا صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشَبَّ القوم وأجْلَدَهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ، ولا يكلِّمني أحدٌ ، وآتي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرَّك شفتيه بردّ السلام أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس مشيتُ حتى تسوَّرتُ جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ ، فسلَّمت عليه فوالله ما ردّ عليَّ السلام ، فقلت :

www.abulhasanalinadwi.org

يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحِبُّ الله ورسوله؟ فسكت ، فعدتُ له فنشدتُه! فسكت ، فعدتُ له فنشدتُه فقال : الله ورسوله أعلم ! ففاضت عيناي ، وتوليتُ حتى تسوَّرت الجدارَ »[1] .

واقرأ معي كذلك حديث الإفك ، الذي ظهر فيه براعةُ السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها الأدبية ، وقوتها البيانية ، وحسن تصويرها ، ووصفها للعواطف والمشاعر النسوية اللطيفة الدقيقة ، وقد تجلَّت في هذه القطعةِ رقةُ عاطفة المرأة المحبة لزوجها ، مع إباء الحُرّة الواثقة بعفافها وطهارتها ، المؤمنة بربّها ، وقد أضفى هذه المزيج الغريب من الرقّة والشدَّة ، والعاطفة والعقل ـ زد على ذلك بيان عائشة التي تقلَّبت في أعطاف البلاغة العربية ، وانتقلت فيها من بيت إلى بيت ـ أضفى كلُّ ذلك على هذه الرواية من الجمال الفنّي ، ما يجعلها من القِطَع الأدبية الخالدة في الأدب .

انظر كيف تصف ما تقوّلُه الناسُ ، وتحدثوا به ، وما شعرت به من تغيُّرٍ في وجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، تذكر كل ذلك في حياء المرأة وأدبها من غير إبهامٍ أو عيٍّ :

قالت عائشة : (فقدمنا المدينة فاشتكيتُ حين قدمتُ شهراً والناس يفيضون في أصحاب الإفك ، لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللطفَ الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسلِّم ثم يقول : «كيف تِيْكم[2] ؟ » ثم ينصرف ، فذلك يريبني ، ولا أشعر بالشرِّ) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ، برقم (٤٤١٨) ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك ، برقم(٢٧٦٩) ، وأحمد في المسند (٣/ ٤٥٨) برقم (١٥٨٢٧) عن عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنهما .

(٢) تِيكم : يُشير ﷺ إلى عائشة رضي الله عنها وهو اسم إشارة إلى المؤنَّث بمنزلة « ذا » للمذكَّر .

www.abulhasanalinadwi.org

وتذكر توجُّعَها من الخبر المُشاع، فتقول : (فبكيتُ يومي ذلك كله ، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، قالت : وأصبح أبواي عندي ، وقد بكيت ليلتين ويوماً ، لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى إني لأظن أنَّ البكاء فالق كبدي)[1] .

وتتقدَّمُ في الحكاية وتذكر كيف يسألها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عما قيل عنها ، ويعزم عليها الصدق ، فلا تلبث أن تعتريها حميَّةُ المرأة العفيفة الفاضلة ، ويقلص دمعها حتى لا تحس منه بقطرة ، وترجو أباها وأمَّها أن يجيبا عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيمتنعان ويفضِّلان السكوت حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستحياءً من الدفاع عن قضية بنتهما ، وهو الدفاع عن النفس ، فتنبري للكلام القوي الصريح المبين ـ وهي البليغة الأديبة ـ وتتمثل بقول سيدنا يعقوب ، وتفوِّض أمرها إلى الله ، وتتنزَّل براءتها من السماء فتطلب منها أمها أن تشكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقوم إليه ، فتأبى ـ في دلال العفائف وأنفة المؤمن ـ أن تحمد إلاَّ الله الذي أنزل براءتها من فوق سبع سمٰوات ، وخلَّدَ طهارتها إلى آخر يوم يقرأ فيه القرآنُ ، ويؤمن به .

واقرأْ كذلك حكايتها للهجرة النبوية ، وذكرها لتفاصيلها ، وما وقع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه[2] رضي الله عنه في الطريق ، ووصولهما إلى المدينة ، وكيف تلقَّاهما الأنصار ، وفرحوا بقدوم رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ، باب تعديل النساء بعضهنَّ بعضاً ، برقم (٢٦٦١) ، وفي كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، برقم (٤١٤١) ، وفي كتاب التفسير ، باب ﴿ لولا إذا سمعتموه ظنّ المؤمنون ﴾ . . . برقم (٤٧٥٠) ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك ، برقم (٢٧٧٠) وغيرهما عن عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيَّب .

(٢) هو سيِّدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

وسلم ، وكل ذلك مثال رائع للوصف الدقيق البليغ ، والبيان القادر الوصاف .

وهنالك رواياتٌ أخرى طويلة النَّفَس ، ضافية البيان ، تشتمل على غُرر الكلام ، وبدائعه الحسان ، ومناهج العرب الأولين في كلامهم ، كحديث صُلْح الحديبية[1] ، وحديث الإيلاء[2] وغير ذلك ، كانت تستحق أن تكون في المكانة الأولى في دراستنا الأدبية ، ولكنها أفلتت من نظر المؤلفين والناقدين . لأنها لم تدخل في دواوين الأدب ، ولأنَّ تصوُّرَهم للأدب كان تصوراً محدوداً جامداً لا يعدو الصناعةَ .

ويلي الحديث كتبُ السيرة ، فقد حفظت لنا جزءاً كبيراً من كلام العرب الأقحاح ، ومثَّلت تلك اللغة البليغة التي كانت في عصور العربية الأولى وهذَّبها الإسلام ورقَّقها ، واشتملت على قِطَع أدبية لا يوجد لها نظيرٌ في المكتبة العربية المتأخرة .

اقرأْ في « سيرة ابن هشام » حديثَ حليمة ابنة أبي ذؤيب السعدية عن رضاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واقرأ فيها قصصَ الاضطهاد والتعذيب ، واقرأ فيها مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحروبه ، واقرأ في كتب الحديث والشمائل ، وفي كتب التاريخ والسير أحاديث الوصف والحلية ، تجد من القدرة الفائقة على الوصف والتعبير والبيان الساحر لدقائق الحياة وخوالج النفس ، وترى من اللغة النقية الصافية ، واللفظ الخفيف ، والتعبير الدقيق الرقيق ما يطربك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، برقم (٢٧٣١) ، وبلفظ أطول من لفظه في المغازي ، وأحمد في المسند (٤/ ٣٢٨ ـ ٣٣١) برقم (١٨٩٤٤) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء . . . برقم (١٤٧٩) ، وابن حبان في الصحيح (٩/ ٤٩٦) برقم (٤١٨٨) ، وأبو يعلى في المسند (١/ ١٥٠) برقم (١٩٥) وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

ويملؤك سروراً ولذة ، وثقة وإيماناً بعبقرية هذه اللغة ، ورغبةً في دراستها والتوسع فيها .

وهكذا صانَ الله هذه اللغة الكريمة الأمينة للقرآن من الضياع ، وانتقلت ثروتها من جيل إلى جيل ، ومن كتاب إلى كتاب ، حتى جاء دور التأليف والتاريخ في القرن الثالث والرابع ، وحفظ لنا المؤرِّخون أمثال : الطبري ، والمسعودي ، والأدباء أمثال : الجاحظ ، وابن قتيبة ، وأبي الفرج الأصبهاني ثروةً زاخرةً من الأدب في كتبهم ، وحفظوا لنا تلك اللغة العذبة البليغة التي كان العرب الصرحاء يتكلمون بها في بيوتهم وعلى موائدهم وفي مجالس انبساطهم ، وجاء منهم الشيء الكثير في « كتاب البخلاء » للجاحظ ، و « كتاب الإمامة والسياسة » لابن قتيبة ، و « كتاب الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ، (على ضآلة قيمة الكتابين الأخيرين التاريخية) ، و « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء » للبُسْتي ، وكتاب « الإمتاع والمؤانسة » لأبي حيَّان التوحيدي ، وهذه كتب التاريخ والأدب تمثِّل لنا العربية في جمالها الأول ، ونقائها الأصيل ، وسعتها النادرة .

ثم جاء دورُ المتكلِّمين المقلِّدين للعجم ، ونبغ في العواصم العربية أمثالُ أبي إسحاق الصَّابي ، وأبي الفضل بن العميد ، والصاحب بن عبَّاد ، وأبي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمذاني ، وأبي العلاء المعرِّي ، واخترعوا أسلوباً للكتابة والإنشاء هو بالصناعة اليدوية والوشي والتطريز ، أشبه منه بالبيان العربي السَّلسال ، وكلام العرب الأولين المُرسَل الجاري مع الطبع ، وغلب عليهم السجع والبديع ، وغلوا في ذلك غلواً أذهب بهاء اللغة ورواءها ، وقيَّدَ الأدب بسلاسل وأغلال أفقدته حرِّيتَه وانطلاقه وخفة روحه وجماله .

وتزعَّمَ هؤلاء الأدب العربي ، واحتكروه ، وخضع لهم

www.abulhasanalinadwi.org

العالم العربي والإسلامي لقوّة نفوذهم وعلو مكانتهم تارةً ، وللانحطاط الفكري والاجتماعي الذي كان يسود العالم الإسلامي تارةً أخرى ، وأصبح أسلوبهم في الكتابة هو الأسلوب الوحيد الذي يُحتَذَىٰ ويقلَّد في العالم الإسلامي .

وجاء أبو القاسم الحريري فألَّف « المقامات » ـ وهو أسلوب الكتابة المسجَّعة المختمر ـ وقد تهيأت العقولُ لقبولها ، فعكف عليها العالم الإسلامي دراسة وشرحاً وتقليداً وحفظاً ، وتغلغلت في مدارس الفكر والأدب ، وبقيت مسيطرةً على العقول والأقلام أطول مدة تمتع بها كتابٌ أدبيٌ ، وما ذلك لفضل الكتاب ، بل لأنه قد وافَقَ هوى النفس ، وصادف عصرَ الجمود والعقم الأدبي في العالم الإسلامي .

ثم جاء القاضي الفاضل ـ مجدِّد أسلوب الحريري وبالأصح مقلِّده ـ وهو وزير أعظم دولة إسلامية في عصرها ، وكاتب سِرّ أحبِّ سلطان في عهده ، صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين ومعيد مجد المسلمين ، فانتشر أسلوبه في العالم الإسلامي ، وحرص على تقليده الكُتَّابُ والمنشِئون في أنحاء المملكة الإسلامية .

وهكذا بقي أسلوبٌ وحيدٌ يتحكم في العالم الإسلامي ، ويسيطر في الأوساط الأدبية ، وأصبح ما خلَّفه هؤلاء الكتابُ المتصنعون من تراث أدبي هو المَعْنيّ بالأدب العربي ، وجاء المؤرِّخون للأدب فاعتبروهم أئمةَ البلاغة وأمراء البيان وأصحاب الأساليب ، وقدَّموا ما كتبوه وعرضوه للدارسين والباحثين ، وقلَّد بعضهم بعضاً وتناقلوه ، وأصبحت كتب التاريخ والأدب نسخة واحدة ، وأصبحت الكتابةُ صورة واحدة من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر ، لا يستثنى منها إلاَّ عبقريان اثنان ، أولهما : ابن خلدون ، وثانيهما : الإمام

www.abulhasanalinadwi.org

أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي[1] [المعروف بـ « شاه ولي الله »] (م ١١٦٧هـ) .

وتناسى هؤلاء ما كتب غيرهم ، وانصرف الناس ـ حتى الباحثين منهم ـ عن ذخائر الأدب العربي الثمينة ، ولم يفكر أحد في أن يبحث في التاريخ والسير والتراجم وفي مؤلفات العلماء عن قطع أدبية رائعة تتفوق ـ في قوتها وحيويتها ، وسلامستها وسلاستها ، وفي بلاغتها وجمال لغتها ـ على دواوين أدبية ومجاميع أكبَّ عليها الناس وافتتنوا بها .

هذا وقد بقيت طائفةٌ من العلماء ـ حتى في عصور الانحطاط الأدبي ـ غير خاضعين لأسلوب تقليدي في عصرهم ، متحرِّرين من السَّجع والبديع والصنائع والمحسنات اللفظية ، يكتبون ويؤلفون في لغة عربية نقية ، وفي أسلوب مطبوع يتدفَّق بالحياة ، إذا قرأه الإنسان ملكه الإعجاب ، وآمن بفكرتهم وخضع لعقيدتهم ولما يقرِّرونه ، وهذه القطع التي طُويت في أثناء كتب علمية أو دينية ، فجهلها الأدباء وزهد فيها تلاميذ الأدب هي من بقايا الأدب العربي الأصيل ، وهي التي عاشت بها العربية هذه السنين الطوال ، وهي التي يفزع إليها المتأدب المتذوق ، وهي رياض خضراء في صحراء العربية القاحل ، التي تمتد من عصر ابن العميد إلى عصر القاضي الفاضل إلى أنْ جاء ابن خلدون .

إنَّ ما كتبه هؤلاء العلماء ، غير معتقدين أنهم يكتبون للأدب ، ولا زاعمين أنهم في مكانة عالية من الإنشاء ، هو الذي يُسعد العربية ويشرّفها أكثر مما يسعدها ويشرفها كتابات

---

(١) اقرأ كتابه الفريد : «حجة الله البالغة» ، واقرأ ترجمة مؤلَّفه في « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » للعلاَّمة عبد الحي الحسني (٣/ ٧٤٧) ، والجزء الرابع لـ« رجال الفكر والدعوة في الإسلام » للعلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

الأدباء ورسائلهم وموضوعاتهم الأدبية ، وأخافُ لو أنهم قصدوا الأدب ، وتكلفوا الإنشاء ؛ لفسدت كتابتهم . وفقدت ذلك الرونق وتلك العذوبة التي تمتاز بها ، وخسرنا هذه القطع الجميلة المليئة بالحياة ، فقد التصقت بالأدب شروطٌ وصفات وتقاليد هي المفسدة له ، الطامسة لنوره ، فلا بدَّ فيه من السجع والصناعة ، ولا بدَّ فيه من البديع والمحسنات اللفظية ، ولا بدَّ من تقليد من يُعَدُّ في الطبقة الأولى من الأدباء ، وأما الكتابات العلمية التاريخية والدينية فليست فيها هذه الالتزامات وهذه الشروط القاسية ، لذلك تأتي أبلغَ وأجملَ .

ونرى الكاتبَ الواحدَ إذا تناول موضوعاً أدبياً وتكلَّف الإنشاء ؛ تدلَّى وأسفَّ ، وتعسَّف وتكلَّف ، ولم يأتِ بخير ، وإذا استرسل في الكلام وكتب في موضوع علمي أو ديني ؛ أحسن وأجاد ، هكذا نرى الزمخشري متكلِّفاً مقلِّداً في « أطواق الذهب » وكاتباً موفَّقاً بليغاً في مقدمة « المفصَّل » وفي مواضع من تفسيره « الكشَّاف » ، ونجد ابن الجوزي غير موفَّق في كتابه : « المُدهِش » وكاتباً مترسِّلاً بليغاً في كتابه : « صيد الخاطر » .

وظنيّ أنهما كانا يعتبران أثريهما الأدبيين « أطواق الذهب » و « المدهش » من أفضل كتاباتهما الأدبية التي يعتمدان عليها ويفتخران بها ، ولعلَّ عصرهما صفَّق لهذين الكتابين « الأطواق » و « المُدهش » أكثر مما صفَّق لكتابتهما العلمية والأدبية والدينية ، ولكن قاضي الزمان وحاكم الذوق قد حكما بالعدل ، فليس اليوم للكتابين الأولين قيمةٌ كبيرةٌ ، أما « صيد الخاطر » و « تلبيس إبليس » ، و « المفصَّل » و « الكشَّاف » فهي جديرة بالبقاء وجديرة بكل اعتناء .

ليس السِّرُّ في فضل هذه الكتابات العلمية والدينية ، وتأثيرها وقوتها وجمالها هو التحرُّرُ من السجع والبديع وترسُّلِها

www.abulhasanalinadwi.org

فحسب ؛ بل السبب الأكبر هو أن هذه الكتابات قد كُتبت عن عقيدة وعاطفة وعن فكرة واقتناع وعن حماسة وعزم ، أما الكتابات الأدبية فقد كان غالبها يُكتب بالاقتراح من ملك أو وزير أو صديق ، أو لإرضاء شهوة الأدب أو تحقيق رغبة المجتمع ، أو حبّاً للظهور والتفوق ، وهذه كلها دوافع سطحية لا تمنح الكتابة القوة والروح ، ولا تسبغ عليها لباس البقاء والخلود ، ولا تعطيها التأثير في النفوس والقلوب ، والفرق بينها وبين الكتابات المنبعثة من القلب والعقيدة كالفرق بين الصورة والإنسان ، وكالفرق بين النائحة والثكلى .

ويذكّرني هذا قصةً رُوِيناها في الصَّبا وهي : أنَّ كلباً قال لغزال : ما لي لا ألحقك وأنا مَن تعرف في العَدْوِ والقوَّة ؟ قال : لأنك تعدو لسيّدك ، وأنا أعدو لنفسي .

وقد كان هؤلاء الكُتّاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرةٌ أو عقيدةٌ أو يكتبون لأنفسهم ، يكتبون إجابةً لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين منبعثين ، فتشتعل مواهبهم ويفيض خاطرهم ويتحرق قلبهم ، فتنثال عليهم المعاني ، وتطاوعهم الألفاظ ، وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها ؛ لأنها خرجت من قلب فلا تستقر إلاّ في قلب .

أمَّا هؤلاء المتصنعون فإنهم في كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثِّلين ، قد يمثِّلون الملوك فيتصنّعون أبهة الملك ومظاهره ، وقد يمثِّلون الصعلوك فيتظاهرون بالفقر ، وقد يمثِّلون السعيد وقد يمثلون الشقي من غير أن يذوقوا لذةَ السعادة أو يكتووا بنار الشقاء ، وقد يُعزَّون من غير أن يشاركوا المفجوع في أحزانه ، وقد يهنّئون من غير أن يشاركوا السعيد في أفراحه .

بالعكس مِن ذلك اقرأ كتابات الغزالي في « الإحياء » وفي « المنقذ من الضلال » ، واقرأ خطب الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه) وما صحَّ منها ، واقرأ ما كتبه القاضي ابن شدَّاد

www.abulhasanalinadwi.org

عن صلاح الدين ، واقرأ ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الحافظ ابن قيِّم الجوزية في كتبهما ؛ تر مثالاً رائعاً للكتابة الأدبية العالية يتدفق قوةً وحياةً وتأثيراً ، وذلك هو الأدبُ الحيُّ الخليقُ بالبقاء ، ولا سبب لذلك إلاّ أنه كُتب عن عقيدة وعاطفة .

وهنالك شيءٌ آخرٌ وهو أن الإيمان ، وصفاء النفس ، والاشتغال بالله ، والعزوف عن الشهوات يمنح صاحبه صفاء حسناً ، ولطافة نفس ، وعذوبة روح ، ونفوذاً إلى المعاني الدقيقة ، واقتداراً على التعبير البليغ ، فتأتي كتابته كأنها قطعة من نفس صاحبها وصورة لروحه ، خفيفة على النفس ، مشرقة الديباجة ، لطيفة السبك ، بارعة في التصوير ، لذلك كان من الأدب الصوفي ومن كلام الصالحين العارفين قطع أدبية خالدة لم تفقد جمالها وقوتها على مرِّ العصور والأجيال ، وترى من ذلك نماذج في كلام السادة : الحسن البصري ، وابن السَّمَّاك ، والفُضيل بن عياض ، وابن عربي الطَّائي ، تُعدُّ من محاسن العربية ، واقرأ ـ على سبيل المثال ـ الحوار الذي دار بين ابن عربي ونفسه ، وسجّله في كتابه : « رسالة روح القدس » .

إنَّ هذه القِطَع الأدبية الدافقة بالحياة والقوة والجمال كثيرةٌ غير قليلة في المكتبة العربية ، إذا جُمعت ؛ تكوَّنت منها مكتبة ، لكنها منثورة مبعثرة ، مطوية مغمورة في أوراق كتب ومؤلفات ، لا تجدها في ركن الأدب والإنشاء في مكتباتنا العربية ، ولا يذكرها المؤرِّخون للأدب في كتبهم ، هذه القطع أصدق تمثيلاً للغة العربية وأدبها الرفيع ومحاسنه من كثير من الكتب المختصة بالأدب ، ومن كثير من المجاميع والرسائل والمقامات الأدبية التي تُعتَبر أساسَ الأدب وزهوَ العربية ومحصولَ العقول .

وهذه القِطَع هي التي تخدم اللغة والأدب أكثر مما تخدمها كتب اللغة والأدب ، وهي التي تفتق القريحة ، وتنشط الذهن ،

www.abulhasanalinadwi.org

وتقوّي الذوق السليم ، وتعلّم الكتابة الحقيقية .

إنَّ هذه القِطع والنصوص منثورة كما قلتُ في كتب الحديث والسيرة والتاريخ ، وكتب الطبقات والتراجم والرحلات ، وفي الكتب التي أُلّفت في الإصلاح والدين والأخلاق والاجتماع ، وفي بحوث علمية ودينية ، وفي كتب الوعظ والتصوف ، وفي الكتب التي سجَّل فيها المؤلفون خواطرهم وتجارب حياتهم ، وملاحظاتهم وانطباعاتهم ، ورووا فيها قصة حياتهم .

وهذه ثروةٌ أدبيةٌ زاخرةٌ تكاد تكون ضائعةً ، وقد جنى الإهمال على اللغة والأدب وعلى الكتابة والإنشاء ، وعلى التأليف والتصنيف وعلى التفكير ، فحرمه مادة غزيرة من التعبير وباعثاً قوياً للتفكير .

مُخطىء من يظن : أنَّ المكتبة العربية قد استُنفِدت وعُصِرت إلى آخر قطراتها ، إنها لا تزال مجهولة تحتاج إلى اكتشافات ومغامرات ، إنها لا تزال بكراً جديداً تعطي الجديد وتفجأ بالغريب المجهول ، إنها لا تزال فيها ثروةٌ تنتظر من يحفرها ويثيرها .

إنَّ مكتبة الأدب العربي في حاجة شديدة إلى استعراض جديد ، وإلى دراسة جديدة ، وإلى عرض جديد .

ولكنَّ هذه الدراسة وهذا الاستعراض يحتاجان إلى شيء كبير من الشجاعة ، وإلى شيء كبير من الصبر والاحتمال ، وإلى شيء كبير من رحابة الصدر وسعة النظر ، فالذي يخوض فيها ليُخرج على العالم بتحف أدبية جديدة وذخائر عربية جديدة ؛ ينبغي أن لا يكون ضيّقَ التفكير ، جامداً متعصباً في فهمه للأدب ، متعصباً لبلد أو لطبقة أو لعصر ، تهوله ضخامةُ العمل ، واتساع المكتبة العربية ، أو يوحشه عنوان ديني ، أو يمنعه ـ من الاختيار والدراسة ـ اسم قديم لا صلة له بالأدب والأدباء ، يجب أن يكون حرَّ التفكير ، واسع الأفقِ بعيد النظرِ

www.abulhasanalinadwi.org

متطلّعاً إلى الدراسة والتجربة ، واسع الاطلاع على الكنوز القديمة ، يفهم الأدب في أوسع معانيه ، ويعتقد أنه تعبير عن الحياة وعن الشعور والوجدان في أسلوب مُفهِم مؤثِّر لا غير .

إنَّني لا أزدري كتبَ الأدب القديمة ـ من رسائل ومقامات وغيرها ـ ولا أقلِّل من قيمتها اللغوية والفنية ، وأعتقد أنها مرحلة طبيعية في حياة اللغات والآداب ، ولكنني أعتقد أيضاً أنها ليست الأدبَ كله ، وأنها لا تحسن تمثيلَ أدبنا العالي الذي هو من أجمل آداب العالم وأوسعها ، وأنها جنت على القرائح والملكات الكتابية ، والمواهب والطاقات ، وعلى صلاحية اللغة العربية ، ومنعت من التوسع والانطلاق في آفاق الفكر ، والتعبير والتحليق في أجواء الحقيقة والخيال ، وتخلفت بهذه الأمة العظيمة ذات اللغة العبقرية والأدب الغنيّ فترة غير قصيرة . فخير لنا أن نعطيها حظَّها من العناية والدراسة ، ونضعها في مكانها الطبيعي في تاريخ الأدب وطبقات الأدباء ، وأن ننقِّب في المكتبة العربية من جديد ، ونعرض على ناشئتنا وعلى الجيل الجديد نماذجَ جديدة من الكتب القديمة للأدب ، حتى يتذوق جمالَ هذه اللغة على الإبانة والتعبير البليغ ، ويتعرّف على هذه المكتبة الواسعة ويستطيع أن يفيد منها »[1] .

وقد بدأ العلامةُ الندوي بنفسه فقدَّم للمكتبة الأدبية الإسلامية عدةَ دراسات جديدة ، وكتب قيمة في الأدب العربي الإسلامي ، مراعياً فيها هذا المنهج الذي أشار إليه[2] .

---

(١) نظرات في الأدب : للعلامة الندوي ، ص(٢١ ـ ٣٧) .

(٢) من أشهرها « مختارات من أدب العرب » و « روائع إقبال » و « الطريق إلى المدينة » و « نظرات في الأدب » و « إذا هبَّت ريح الإيمان » و « قصص النبيين للأطفال » و « قصص من التاريخ الإسلامي » و « القراءة الراشدة » .

www.abulhasanalinadwi.org

تأمُّلاتُه في الأدب النبويّ

لقد استعرض العلامةُ الندوي بعضَ الأحاديث المختارة مبيِّناً ما تشتمل عليه من الصدق والإخلاص ، والجمال والبلاغة ، والرِّقَّة والعذوبة ، وهي أسمى صفات الأدب الإسلامي ، وما فيها من إعجاز وبلاغة نبويّة لا يستطيعها إلّا مؤيَّد من الله بالوحي ، فضلاً عما تمتاز به هذه الأحاديث من اتصال السند وصحة الرواية ، وهي أوثق مصدر للغة العربية البليغة التي كانت سائدةً في عهدها الذهبي الأول ، وللأدب العربي الّذي كان منتشراً في جزيرة العرب .

وهذه بعضُ الجوانب المهمة التي عَالَجَها العلامةُ ، وعَرَضَها عرضاً جديداً في كتاباته ، ومؤلَّفاته ، ومحاضراته ، وإليك بعضٌ منها :

أدب المناجاة والابتهالات والأدعية المأثورة :

يقول فيه العلامة : « جعلت النبوَّة المحمدية (أرواحنا ونفوسنا فداها) المناجاة والابتهالات جزءاً مستقلاً وقسماً ثابتاً للدين الحنيف ، ونستطيع أن نقول ـ ويشهد لها تاريخُ الأديان والملل : ـ إنَّ هذه النبوة المحمدية جدّدت هذا القسم ، وأحيته ، وأثارته ومنحته من الرقة والرفعة ، وأعطته من الحياة والسعة والشمول ، والتأثير والانفعال ، والنضرة والجمال والحيوية والصلابة والجاذبية ، ما لا يوجد له مثيل من قبل ولا من بعد ، ولا ينتهي هنا تجديد النبوة المحمدية ، وعملية إكمالها ، بل إنها علَّمت أيضاً الطُّرقَ والأساليب التي تليق بالدعاء والمناجاة ، وملأت خزينة الإنسانية الشاغرة ، والأدب العالمي الإنساني بالجواهر واللآلىء من الأدعية والمناجاة التي لا يوجد لها نظيرٌ في لمعانها وضيائها بعد الصحف السماوية ، وزيّنت الأدعية بكلمات لا يقدر أي إنسان على أن يأتي بأحسن منها وأجمل ، وأروع منها وأبلغ ، وتعَدُّ الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ من معجزاته المستقلة ، والبراهين القاطعة النبوية ، ينبعث فيها نور نبوَّته ، ويوجد جزم رسالته ، وعجز عبوديته ، والاعتزاز بأنه محبوب لربّه ، فيها

www.abulhasanalinadwi.org

بساطة فطرته السليمة ، وسذاجة قلبه المتألّم ، وارتجال نفسه المضطربة ، وفيها اضطراب من يفزع ، وإلحاح من يفتقر ، وغبطة من يعرف منزلة ربّه ، وفيها جرح القلب والشعور بالألم ، والثقة بإغاثة المغيث ، وإظهار ألم القلب وإعلان هذه الأمر[1] .

نماذج من أدب المناجاة والابتهالات والأدعية المأثورة المروية :

ثم يضرب العلاَّمة مثلاً بموقف من مواقف المناجاة والابتهالات لرسول الله ﷺ ، يظهر فيه فقره إلى الله وحاجته ، في لفظ مُرسَل جميل : فيقول :

« تعالوا نلق نظرةً على الأدعية الّتي أُثِرت عن رسول الله ﷺ في دواوين الأحاديث وكتب التاريخ والسير ، ولننظر : هل يستطيع أحدنا ـ مهما بلغ تضلّعه من الأدب ، وبراعته في الفنون الأدبية والأساليب البيانية ـ أن يأتي ـ وهو يريد أن يبدي عجزَه وضعفَه ، ويصوِّر فقره واحتياجه ، ويستجلب رحمة ربِّه ، ويستمطر سحابة كرمه ـ بكلمات أشد منها تأثيراً ، وأدقّ منها دلالة على المعاني ، وأكثر منها قلّة في المباني ، وأحسن منها وقعاً في النفوس وجذباً للقلوب وسحراً للأذهان والعقول .

١ ـ الدُّعاء الذي دعاه النبيُّ ﷺ في الطَّائِف :

تصوَّرْ سفرَه ﷺ إلى الطائف ، وما يحفُّه ، وأَرسِل النظرَ إلى قلب المسافر المتكسِّر ، وقدميه المتضرِّجتين بالدَّم ، واقْرأ في هذه البيئة الظالمة الخانقة .

« اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وقِلَّة حِيلَتِي ، وهَوَانِي[2] على النَّاسِ ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن ! أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِيْن ! وأَنتَ ربِّي إلى مَن تَكِلُنِي ؟ إلى بَعِيْدٍ يَتَجَهَّمُنِي[3] ، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي ، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلاَ أُبَالِي ، ولكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِيْ ، أَعُوْذُ بِنُوْرِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ

---

(١) ملحق « الرائد » للأدب الإسلامي ، العدد (٤٩ ـ ٥٠) ص(٨) .
(٢) الهَوَان : الاستخفاف بالشيء والاستحقار .
(٣) التجَهُّم : الاستقبال بوجهٍ كريهٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

الدُّنْيَا وَالآخِرَة ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ العُتْبَى[1] حَتَّى تَرْضَى ، وَلاَ حَوْلَ ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ »[2] .

أفهَلْ تستطيع أن تأتي ـ وقد تكيَّفَتْ نفسُك بهذه الكيفية العجيبة ـ بكلمات أحسن منها وأوقع ؟!

أو هل تقدر مكتباتُ العالَم الأدبية الغنية على أن تُسعِفك بألفاظٍ أكثر منها رشاقةً ، وأحسن منها صياغةً ؟!

٢ ـ الدُّعاء الذي دَعَاه النبيُّ ﷺ في ميدان عرفات :

تصوَّرْ كذلك ميدانَ « عرفات » ، وما حواه من مئةٍ وعشرين ألفاً من الدَّاعين المُبْتَهِلين والخاشعين المُنصِتين ، وهو يُدوِّي بأصداء « اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ! اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ! » ويتجاوب مع أدعية الحجَّاج الكِرام ، وقد تجلَّت فيه صمديَّةُ الأحد الصَّمد ، وَعَظَمَتِه وجَبَرُوْتِه ، ترى في هذا الحشد العظيم الكريم « رَجُلاً » ، حاسراً عن رأسه ، لابساً إحرامَه ـ فِدَاه أبي وأمِّي ـ يحمل على عاتقه مسؤولية البَشَرِيَّة جَمْعَاء ، ويُشاهِد عظمةَ الإلٰه وكِبْرِيَائه أكثر من كلِّ مَن يستطيع هذه المشاهدةَ ، ويطَّلع على عجز الإنسان وضعفه وعيِّه أكبرَ مِن كلِّ من يقدر على هذا الاطِّلاع ، في هذا الجوِّ المَهِيب ، يُدوِّي بصوته الأرجاء ، فيسمعه السَّامِعُون :

« اللَّهُمَّ ! إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلاَمِي ، وتَرَى مَكَانِي ، وتَعْلَم سِرِّي وعَلاَنِيَتِي ، لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ، وأَنَا البَائِسُ الفَقِيْرُ ، المُسْتَغِيْثُ المُسْتَجِيْرُ ، الوَجِلُ المُشْفِقُ ، المُقِرُّ المُعْتَرِفُ بِذَنْبِي ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِيْنِ ، وأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذَّلِيْلِ ، وأَدْعُوْكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيْرِ ، فَاضَتْ لَكَ عِبْرَتُهُ ، وذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ ، ورَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ .

---

(١) العُتْبىٰ : الرجوع عن الذنب والإساءة .

(٢) جاء هذا الدعاء في تاريخ الطبري بهذه الألفاظ ، وقد أخرجه صاحب « كنز العمال » باختلافٍ يسيرٍ . انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام (٢/ ٢٦٨) ، وتاريخ الطبري (١/ ٥٥٤) ، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢١١) ، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٦٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

اللَّهُمَّ ! لاَ تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِيًّاً ، وَكُنْ رَؤُوْفاً رَحِيْماً ، يَا خَيْرَ الْمَسْؤُوْلِيْنَ ! وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِيْنَ ! »[1] .

أفهَلْ يستطيع الإنسانُ أن يجدَ ـ لكي يعبِّر عن كِبْرِياء الله وعظمته ، ويعترف بعجزه وضعفه ، وفقره واحتياجه وقلَّة حيلته وهَوانه ، ويُثير رحمة ربِّه ، ويستجلب كرمَه ـ كلماتٍ أكثر منها وقعاً ، وأغنى منها إخلاصاً ، وأشدَّ منها جذباً للنفوس ونُفوذاً في القلوب ؟! أو هل يستطيع أحدُنا أن يصوِّر كيفية قلبه ، وعجزه ومسكنته ، بأحسن من ذلك وأدقَّ منه ؟!

وايْم الله ! إنَّ هذه الكلمات لكفيلةٌ بإثارة سَحَابة كَرَم الكريم الحقيقيِّ ، وكلَّما تكرَّرها الأذهانُ ، ويجري بها اللسانُ تفيض العيونُ دموعاً، وتتراءى الرَّحمةُ الإلهيةُ مقبلةً ، فأَلْفُ ألف صلاةٍ وسلامٍ على مَن هو رحمةٌ للعالمين وسيد المعلِّمين ؛ إذ أنَّه علَّم أُمَّتَه هذه الأدعيةَ الرائعة ذات الأثر البالغ ، والصياغة الدَّقيقة ، وعرَّفنا كيف نقرع « باب الرحمة » .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى عِتْرَتِه بعَدَدِ كلِّ معلومٍ لكَ .

٣ ـ الاعتراف بعجزه وضعفه :

لكي يستميلَ الإنسانُ المَلِكَ المُقْتَدِرَ ، القَويَّ الغنِيَّ ، القادرَ المطلقَ ، السلطانَ العادلَ ، ويستجلب رحمتَه ، وعطفَه ، وحنانَه لا سبيلَ إلى ذلك إلاَّ بالاعتراف بعجزه وضعفه ، وعُبوديته ونقصه ، بأحسن ما يكون الاعترافُ بأنَّه عبدُ الملك كابِراً عن كابرٍ ، وجِيْلاً بعد جيلٍ ، فهو مملوكٌ ابن مملوك . . . إلخ ، وهو متسوِّل على باب السُّلطان القديم ، وربيب هذا النعيم العميم ، والسُّلطان يملك نفسَه وماله ، وكلُّ شيء بيده ، إذاً فمَن يرحم عبده ويُواسِيه من بعده ؟ ، فلننظرْ : هل يمكن لأحدٍ أن يأتي بهذه المقدمة « اللازمة » بأحسن ممَّا أَتى به محمدٌ رسول الله ﷺ ، يدعو ربَّه ، فيَفيض لسانُه بما يلي :

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٧٤) برقم (١١٤٠٥) ، وفي الصغير (٢/ ١٥) برقم (٦٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٥٢) : رواه الطبراني في الكبير والصغير ، وفيه يحيى بن صالح الإيلي ، قال العُقيليُّ : روى عنه يحيى بن بكير مناكير ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

www.abulhasanalinadwi.org

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ ، وابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِيْ بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ العَظِيْمَ رَبِيْعَ قَلْبِيْ ، ونُوْرَ بَصَرِي ، وجَلاَءَ حُزْنِي ، وذَهَابَ غَمِّي »[1] .

٤ ـ التمثيل الصادق الجامع للحوائج البشرية :

إنَّ حاجاتِ الإنسان لا يأتي عليها الحصرُ ، واختيارُها صعبٌ ، واستقصاؤها أشقُّ ، إذاً فأيُّ حاجةٍ يسألها ، وأيُّ حاجة يتركها شيءٌ في منتهى الصعوبة ، وغاية الحرج .

ولننظُرْ في حاجاتنا ، لو أُتيح لنا فرصةُ سُؤالها واستشباعها ، لتُواجِهنا الصعوبةُ ، ويعقبها التلهُّف والأسف ، فانظرْ كيف عبَّر النبيُّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن حاجيات الإنسان أدقَّ تعبيرٍ ، وكيف مَثَّلَ الإنسانية كلَّها تمثيلاً صادقاً جامعاً شاملاً ـ إذا كانت هذه الإنسانيةُ سليمةَ الطبع ، صحيحةَ الإدراك :

« لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الحَلِيْمُ الْكَرِيْمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ، أَسْأَلُكَ مُوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وعَزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ ، وَالْغَنِيْمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، لاَ تَدَعْ لِي ذَنْباً إِلاَّ غَفَرْتَهُ ، وَلاَ هَمّاً إِلاَّ فَرَّجْتَهُ، وَلاَ حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضاً إِلاَّ قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ! »[2].

ويقولُ في دعاءٍ آخَر :

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، وأحمد في المسند (١/ ٣٩١) ، برقم (٣٧١٢)و ، ص(٤٥٢) ، برقم (٤٣١٨) ، والهيثمي في المسند (٢/ ٩٥٧) ، برقم (١٠٥٧) ، والبزار في المسند (٥/ ٣٦٣) ، برقم (١٩٩٤) ، وأبو يعلى في المسند (٩/ ١٩٩) ، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٩٩) برقم (١٠٣٥٢) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٠) برقم (١٨٧٧) من حديث عبد الله.بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الحاجة ، برقم (٤٧٩) ، وابن ماجه في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الحاجة ، برقم (١٣٨٤) من حديث عبد الله بن أبي أَوفى ، رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

« اللَّهُمَّ ! أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيها مَعَادِي[1] ، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، واجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ »[2] .

٥ ـ الرَّاحة التي لا تنتهي ، والسُّرور الذي لا ينفَد :

ما أَحْرَصَ الإنسانَ على الرَّاحة واللَّذَّة ! غير أنه قصيرُ النظر ، فهو يطلب اللَّذةَ الفانيةَ ، ويسعى للمسرَّة الزائلة ، والنبيُّ ﷺ يُدرِك ذلك ، فيعلِّم أُمَّته مِن خلال أدعيته : أنَّ ما ينبغي أن يطلبه الإنسانُ هو اللَّذةُ الباقية ، والراحةُ الدائمة ، والمسرَّةُ في الحياة الآخرة ، ولذَّةُ النظر إلى وجه الله الكريم ، والشوقُ إلى لقائه ، فيقول :

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَسْأَلُكَ نَعِيْمَاً لاَ يَنْفَدُ ، وقُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ ، وأَسْأَلُكَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ ، وبَرْدِ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، ولَذَّةَ النَّظَرِ إِلى وَجْهِكَ ، والشَّوْقَ إِلى لِقَائِكَ »[3] .

٦ ـ الحقائقُ التاريخيةُ والدَّقائقُ النفسيَّةُ في الأدعية المأثورة :

إنَّ الخُلُقَ الحسنَ أَغْلى نعمةٍ بعد الإيمان ، والذي أخبر عن نفسه : « بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ »[4] ما كان ليتغافل عن أهمية الأخلاق الكريمة والصِّفات النبيلة ، ويتغاضى عن خُطورتها ودِقَّتِها ، ولذلكَ ترى : أنَّ مكارم الأخلاق والترغيب فيها ،

---

(١) مَعَادِي ، أي : ما يعودُ إليه يوم القيامة .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب في الأدعية ، برقم (٢٧٢٠) ، والطبراني في الأوسط (٧/ ١٩٨) برقم (٧٢٦١) ، وفي الصغير (٢/ ١٢٧) برقم (٩٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه النسائي في كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر ، برقم (١٣٠٦) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٥) برقم (١٩٢٣) ، وابن حبان في الصحيح (٥/ ٣٠٥) برقم (١٩٧١)، والبزار في المسند (٤/ ٢٢٩) برقم (١٣٢٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه .

(٤) أخرجه القُضَاعيُّ في مسند الشهاب (٢/ ١٩٢) برقم (١١٦٥) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ٢٥٤) ، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٤٤) ، برقم (٦٣٨) ، وص(٣٤٠) برقم (٩١٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

والتشجيع عليها ، تشغل جزءاً كبيراً من الأدعية المأثورة ، ويشتمل هذا الجزءُ على الحقائق الخلقية ، والخلجات النفسية الدقيقة التي تناولها علماءُ الأخلاق والنَّفس ـ فعلاً ـ دراسةً وتحليلاً .

فاقْرَأْ أوّلاً دعاءً له ﷺ جامعاً ، ثم اقرأ الأدعيةَ المأثورةَ الأخرى التي تتناولُ الجوانبَ المتنوِّعة للخلق البشري ، فيقول ﷺ في دعاءٍ له أثناء قيامه باللَّيل :

« اللَّهُمَّ ! اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَعْمَالِ ، وأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ ، لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ ، وَقِنِي سَيِّىءَ الأَعْمَالِ ، وَسَيِّىءَ الأَخْلاَقِ ، لاَ يَقِي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ »[1] .

حينما يُشاهِد الإنسانُ صُورتَه في المرآة ، يُدرِك اعتدالَ أعضائه ، واتِّزانَ جسمه ، وصِدقَ قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[2] ، فلم يَفُتِ النبيَّ ﷺ ، أن يُشعِر أُمَّته بهذه المناسبة كذلك بأهميَّة الخَلْق الحسن ، فعلَّمها أن تدعو الله لتحسين الباطن بجانب تحسين الظاهر ، فباجتماعهما يستحقُّ البشر أن يكون خليفة الله في الأرض ، فيقول ﷺ ، وهو يرى صورتَه في المَرآة :

« الحَمْدُ للهِ ! اللَّهُمَّ ! كَما حَسَّنْتَ خَلْقِي ؛ فَحَسِّنْ خُلُقِي »[3] .

إنَّ « الحياة الطيبة » تحتاج في تكامُلها إلى إيمانٍ ، وصحَّةٍ ، وخُلُقٍ حسنٍ ، فيقول ﷺ في دُعاءٍ له :

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيْمَانٍ ، وإِيْمَاناً فِي حُسْنِ خُلُقٍ »[4] .

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الصلاة ، باب نوع آخر من الدعاء بين التكبيرة والقراءة ، برقم (٨٩٧) ، والدارقطني في السنن (١/ ٢٩٨) برقم (٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٢) سورة التين ، الآية : ٤ .

(٣) أخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (١/ ١٣٨) برقم (١٦٣) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وابن حبان في الصحيح (٣/ ٢٣٩) برقم (٩٥٩) ، وأبو يعلى في المسند (٩/ ٩) برقم (٥٠٧٥) ، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣٦٤) برقم (٨٥٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٩) برقم (٩٨٤٩) و(٦/ ١٤٦) برقم (١٠٤٠٤) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٤) برقم (١٩١٩) ، والطبراني في الأوسط (٩/ ١٣٢) برقم (٩٣٣٣) وغيرهم من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

وفي دعاءٍ آخر :

« وأَسْأَلُكَ لِسَاناً صَادِقاً ، وَقَلْباً سَلِيْمَاً ، وخُلُقاً مُسْتَقِيْمَاً »[1] .

٧ ـ دقائِقٌ أخلاقيةٌ :

وقد دَعا النبيُّ ﷺ بجانب هذه الأدعية العامَّة المُجمَلة التي تتَّصل بمكارم الأخلاق، ومحاسِن الأوصاف لبعض المحاسِن الأخرى ـ وقد لفتَ بذلك انتباهَ الأمَّة للاهتمام بهذا الجانب العظيم ـ التي هي في غاية الدِّقة والخُطورة ، وهي بمنزلة المِقياس لتكامُل الأخلاق ، فممَّا يدلُّ على كمال الأخلاق والإنسانية ، والشرف والكرامة ، والوَرَعِ والتقوى أن يُرزق الإنسان حبَّ الفقراء والمساكين ، فقد كثر من يُجِلُّون الثروة وذويها ، ويُكرِمون الدنانير والدَّراهم وأهلها ، أما الذين يحبُّون الفقراء والمساكين، ويعطفون على ذَوي الحاجة ، فهم في قلَّةٍ وندرةٍ ، إلاَّ من وَفَّقه الله وهَداه إلى مسالك الخير ، يقول ﷺ في دُعائه :

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِيْنِ »[2] .

قد اعتادَ الإنسانُ أن يستكبِر نفسَه ، ويستصغِر غيرَه ، ولم يسلَم من هذا الدَّاء إلاَّ أولئك الأفذاذُ المخلصون ؛ الذين عصمهم ربُّك ، فتزكَّت نفوسهم ، وتنزَّهت قلوبهم ، والتأمُّل في ذلك يؤدِّي إلى أنه قد شذَّ من يسلمون من داء الاستكبار والإعجاب ، فإنَّ ذلك يتمكَّن من النفس من حيث لا يشعر بنو آدم ، وبألوانٍ وأشكالٍ لا يُدرِكها البشر ، ولكي يسلم منه الإنسان يحتاج إلى العناية البالغة ، والاهتمام المتواصل بالدُّعاء ، فإنَّ إدراكَ هذا الدَّاءِ وتشخيصه صَعْبَان ، والشفاء منه شيء غير يسيرٍ ، ولذلك فسيِّد المُخلِصين يدعو لنفسه ، ويعلِّم أمَّته أن تدعو لنفسها :

---

(١) أخرجه الترمذي عن شدَّاد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ ، في كتاب الدعوات ، باب منه « اللهم إني أسألك الثباتَ في الأمر . . . » برقم (٣٤٠٧) .

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، سورة (ص) ، برقم (٣٢٣٣) من حديث عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، ومالك في الموطأ في كتاب القرآن ، باب العمل في الدعاء ، برقم (٥١٧) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٤٣) برقم (٢٢١٦٢) ، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٩) برقم (٢١٦) من حديث معاذ بن جبل ، رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

« اللَّهُمَّ ! اجْعَلْنِي صَبُوْراً ، واجْعَلْنِي شَكُوْراً ، وَاجْعَلْنِي فِي عَيْنَيَّ صَغِيْراً ، وفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيْراً »[1] .

إنَّ اتحادَ الظاهر والباطن ، وصَلاحهما مِن نِعَمِ الله العُظمىٰ ، ومِن فضل الله الكبير ؛ الذي يحتاج الحصول عليه إلى العِناية الزائدة بالدُّعاء المخلص ، يقول معلِّمُ الأخلاق ﷺ :

« اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ سَرِيْرَتِيْ خَيْراً مِنْ عَلاَنِيَتِي ، وَاجْعَلْ عَلاَنِيَتِيْ صَالِحَةً »[2] .

ويفصِّل ﷺ ذلك في هذا الدُّعاء :

« اللَّهُمَّ ! طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ ، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ ، وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ ، وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُوْرُ »[3] .

٨ ـ التعبير عن القلب :

قد نابَ النَّبيُّ ﷺ في دعائه عن كلِّ إنسانٍ في كلِّ ما يحتاجُ إليه ، بأَكمَلِ ما تكونُ النِّيابةُ ، فسيجد كلُّ إنسانٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ إلى يوم يَرِثُ فيه الله الأرضَ ومَن عليها ، تعبيراً عن قلبه ، وتمثيلاً لعواطفه ومشاعره ، وأسباب ارتياحِ لقلبه ، وطلباً لحاجات قلَّما تخطرُ ببال عامَّة البشر ، اقْرَأْ هذا الدُّعاءَ[4] على سبيل المثال :

---

(١) أخرجه الدَّيلمي في الفردوس (١/ ٤٧٣) برقم (١٩٢٦) من حديث بُريدة الأسلمي رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٨١) : رواه البزَّار ، وفيه عقبة بن عبد الله الأصمّ وهو ضعيفٌ ، وحسَّنَ البزارُ حديثَه .

(٢) أخرجه الترمذي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، في كتاب الدعوات ، باب دعاء « اللَّهم اجعل سريرتي خيراً . . . » برقم (٣٥٨٦) وقال : هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وابن شيبة في المصنَّف (٦/ ١٠٤) ، برقم (٢٩٨٢٤) .

(٣) ذكره الديلمي في الفردوس (١/ ٤٧٨) برقم (١٩٥٣) ، عن أمّ معبد ،والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢١٩) برقم (٥٧٤) ، وأخرجه ابنُ أبي شيبة في المصنَّف بألفاظ زائدة ، انظر : (٦/ ٦٧) برقم (٢٩٥٢١) .

(٤) لم يروِ هذا الحديثَ أحدٌ بوجهٍ أكمل كما هو المذكور في المتن ، إنما هو مجموعُ أحاديثٍ بروايات مختلفة كما يظهر من هذا التخريج . =

www.abulhasanalinadwi.org

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ ، وَالأَعْمَالِ ، وَالأَهْوَاءِ ، والأَدْوَاءِ[1] ، نَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ[2] وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ ، فإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحوَّلُ[3] ، وغَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ[4] ، وَمِنَ الْجُوْعِ ، فإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيْعِ ، وَمِنَ الْخِيَانَةِ ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ[5] ، وأَنْ نَرْجِعَ عَلى أَعْقَابِنَا ، أَوْ نُفْتَنُ عَن دِيْنِنَا[6] ، وَمِنَ الْفِتَنِ ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَمِنْ يَوْمِ السُّوْءِ ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوْءِ ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوْءِ ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوْءِ »[7] .

٩ ـ طلب السِّعة في الرزق عند كِبر السِّن :

كلُّ واحدٍ منَّا يحتاجُ إلى الرزق ، غير أنَّه كَمْ مِنَّا مَن يُدرِكَ أنَّ السَّعة في الرزق ، والرَّغَادة في العيش ، يحتاج إليهما الإنسان ـ بأشدِّ ما يكون الاحتياجُ ـ حينما يجتاز آخرَ مرحلة مِن مراحل حياته ، فلا يقدِرُ على تحمُّلِ المشاق ومعالجة العُسر ، ويفقد القدرةَ على كسب المعاش ، وتعجز قُوَاه عن الكدِّ والاجتهاد ، فيروح حريصاً على الراحة ، وسعادةِ العيش ، وسَعةِ الرزق ، فانظُرْ كيف يدعو لذلك معلِّمُ الحكمة ﷺ :

---

(١) أخرجه الترمذي عن زيادة بن عِلاَقة عن عمِّه ، في كتاب الدعوات ، برقم (٣٥٩١) وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٢) جاءت هذه الفقرةُ نيابةً عَمَّن يدعو من الأمة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام . أخرجها الترمذي عن أبي أُمامة في كتاب الدعوات برقم (٣٥٢١) وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧١٤) برقم (١٩٥١) ، وابن حبان في الصحيح (٣/ ٣٠٧) برقم (١٠٣٣) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٦٠) برقم (٧٩٣٩) من حديث أبي هريرة .

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٤٥٦) برقم (٧٩٢٤) عن عمرو بن العاص .

(٥) أخرجه ابن حبان في الصحيح (٣/ ٣٠٤) برقم (١٠٢٩) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٥٢) برقم (٧٩٠٣)، وأبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، برقم (١٥٤٧) عن أبي هريرة.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، برقم (٦٥٩٣) ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ ، برقم (٢٢٩٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر .

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٩٤) برقم (٨١٠) من حديث عقبة بن عامر ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٠) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

www.abulhasanalinadwi.org

« اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّي ، وَانْقِطَاعِ عُمُرِيْ »[1] .

١٠ ـ طلب صَلاح آخر العمر ، وسعادته وفَلاحه :

لم يكتَفِ ﷺ بطلب السَّعة في الرزق في آخر العُمر ، بل دَعا أن يَسُوْدَ هذه المرحلةَ الباقيةَ مِن العمر خيرٌ من كلِّ جانبٍ ، وأن تكونَ آخرُ المراحل أسعدَها ، وأفلحَها ، وأصلحَها ، فيقول :

« واجْعَلْ خَيْرَ عُمُرِيْ آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِيْمَهُ ، وَخَيْرَ أَيَّامِيْ يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيْهِ »[2] .

١١ ـ طلب فجأة الخير ، وسؤال النَّجاة مِن فجأة الشَّر :

ما مِن شكٍّ في أنَّ الخيرَ والنعمةَ من مَلاكِ السُّرور والراحة ، إلَّا أنَّ الخير الذي يُصيبُ الإنسانَ فجأةً ، ويُساق إليه بغتةً ، يجلب سروراً يفوق الوصفَ ، ومِن هنالك فإذا كانت الشُّرورُ والفِتَنُ ممَّا تجب منه الاستعاذةُ والاستخلاصُ مرَّةً ، فالشرُّ الذي يفاجأُ به الإنسانُ ، وينوبه مصادفةً تجب الاستعاذةُ منه مئة مرَّةٍ ، والذين جابهوا ذلك وجرَّبوه يعرفونه جيِّداً ، فكَمْ مِنَّا من يتذكَّرُ خُطورةَ هذا الأمر وهَولَه ، فيستعيذ منه ، ولم يفُتِ النبيَّ ﷺ أن يذكُرَ ذلك في دُعائه :

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَجْأَةِ الْخَيْرِ ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ فَجْأَةِ الشَّرِّ »[3] .

١٢ ـ الاستعاذة من زَوال النِّعمة بعد حُصولها :

كذلك الفقرُ والاحتياجُ بعد العيش السَّعيد والرزق الرَّغيد ، والعُسْر بعد اليُسْر ،

---

(١) أخرجه، الحاكم في المستدرك عن عائشة ، رضي الله عنها (١/ ٧٢٦) برقم (١٩٨٧) وقال : هذا حديث حسن الإسناد والمتن ، غريب في الدعاء ، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسنٌ .

(٢) هذا جزءٌ من الحديث ؛ أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٧٢) برقم (٩٤٤٨) عن أنس ، رضي الله عنه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، (١٠/ ١٥٧) ، والديلمي في الفردوس (١/ ٤٨٠) برقم (١٩٦٢) ، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٥٤) برقم (١٦٦٣) .

(٣) أخرجه أبو يعلى في المسند (٦/ ١٠٦) برقم (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١١٥): رواه أبو يعلى، وفيه يوسف بن عطية وهو متروكٌ.

www.abulhasanalinadwi.org

ممَّا تجب الاستعاذةُ منه، فإنَّ ذلك ابتلاءٌ شديدٌ، ومحنةٌ خطيرةٌ، وقد دَعَا له ﷺ بكلِّ عنايةٍ :

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفَجْأَةِ نَقْمَتِكَ [وجَمِيْعِ سَخَطِكَ] »(١) .

١٣ ـ الاستعاذةُ مِن أَرْذَلِ العُمر :

إنَّ طُوْلَ العُمر ممَّا طلَبَه الإنسانُ دَوْماً مُنذ اليوم الأوَّل ، وقد جَرَتِ العادةُ أن يدعو البعضُ للبعض بطُول العمر ، والبركة في الحياة ، لكنَّ طولَ العمر الذي يفقد القُوَى ، ويجعل الإنسانَ عاجزاً عاطلاً كَلاًّ على غيره شيءٌ تجب الاستعاذةُ منه ، فيدعو النبيُّ ﷺ ربَّه .

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ ، وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ ، والْهَرَمِ ، ومِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ »(٢) .

١٤ ـ الاستعاذة من نفس حَريصة لا تَشبع ، ومن علم عقيم لا يَنفع :

الأموالُ يراها الإنسانُ كفايةٍ ، وأكبرَ شيءٍ في الحياة ، ولا يذكُرُ : أنَّ الكثرة الكاثِرة ، والكَمِّيَّة الكُبرى من الثروة لا تكفي لنفسٍ حريصةٍ ، والنفسُ التي لا تشبَعُ إنها لمصيبة للإنسان نفسه ، وللعالم كلِّه ، ولذلك استعاذَ منهما الحكيمُ الرَّباني ﷺ وأَوصانا بالاستعاذة ، كذلك العِلْمُ الذي لم يُكسب صاحبَه الخشيةَ والتقى ، ولم ينفع الناسَ . والقلب الجريء الذي حُرِمَ خشية الله ، وتجرَّدَ مِن خوف خالِقِه ، كلُّ ذلك تجب الاستعاذةُ منه ، والتحصُّنُ منه ، فقد جَنَى على الإنسانية ما لم يَجْنِ عليها الأعداءُ ، وقد حَوَى النبيُّ ﷺ كلَّ ذلك في دُعاءٍ واحدٍ :

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاة والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ، برقم (٢٧٠٦) ، والنسائي في كتاب الصلاة ، باب التهليل بعد التسليم ، برقم (١٣٤٧) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب في الاستعاذة ، برقم (١٥٤٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب التعوّذ من أرذل العمر ، برقم (٦٣٧١) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء . . . ، باب التعوّذ من العجز والكسل وغيره ، برقم (٦٨٧٣) من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِن قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ هٰؤُلاَءِ الأَرْبَعِ »[1] .

١٥ ـ بعض الحوائج الأساسية والجَذرية في الحياة :

إنَّ مِن الحوائج الجَذرية الواقعية التي لا مَعْدَى[2] للبشر عنها ـ لكي يحيا حياةً سعيدةً ـ هي الدَّارُ الواسعةُ مع الرزق الواسع ، إنها حاجة لم تقِلَّ أهميةً في أيِّ فترة من الزمان ، أمَّا في الحياة المعاصرة فقد أصبَحَتْ تُشَكِّلُ مشكلةً كبيرةً ، وأصبَحَتْ مِن أهمِّ متطَلَّبات الحياة ، غير أنه يجب أن لا يفوتنا أن نتذكَّرَ أنَّ سَعة الدار ليستْ كلَّ العلاج ، وإنما هو كِفايتها لأَهْلها ، وشُعورهم بسَعتها ، فلو عدم الشعور بسَعتها ، لما كفتْ أوسع دار لطبع طموح ، ونفس طمَّاعة ، وعدم هذا الشعور والطُّمأنينة والرِّضا ، هو السِّرُّ وراء مشكلات الحضارة الحاضرة ، ونُظُم الاقتصاد المعاصرة التي تستعصي على المعالجة ، ولذلك فالنبيُّ الحكيم ﷺ يسألُ ربَّه « السَّعة في الرزق » و « السَّعة في الدار » مكان « سَعة الرزق » و « سعة الدار » ، والفرق بينهما واضحٌ لكلِّ خبيرٍ :

« اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، ووَسِّعْ لِيْ فِي دَارِي ، وَبارِكْ لِي فِيما رَزَقْتَنِي رِزْقِي »[3] .

١٦ ـ التعبير عن حاجِيَّات المسافر ومشاعره :

السَّفَر من الحوائج التي لا بُدَّ منها للإنسان ، والمُسْلِم ـ بحكم المركز الذي يحتلُّه

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ، برقم (٥٤٤٤) ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، والنسائي في كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من قلب لا يخشع ، برقم (٥٤٢٦) من حديث عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما .

(٢) المَعْدَى : يُقال : مالي عنه مَعْدَى : تجاوُزٌ إلى غيره .

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات ، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ، برقم (٣٥٠٠) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ، وقال ؛ هذا حديثٌ غريبٌ ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٤) برقم (٩٩٠٨) ، وأحمد في المسند (٤/ ٣٩٩) برقم (١٩٥٨٩) ، وأبو يعلى في المسند (١٣/ ٢٥٧) برقم (٧٢٧٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري ـ رضي الله عنه ـ ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٠٩) : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح ، غير عباد بن عباد المازني وهو ثقةٌ .

www.abulhasanalinadwi.org

في الكون ـ يجب ألا تخلو أيُّ خُطوةٍ منه ، بل وأيُّ تحرُّك منه من الدُّعاء والاستخارة ، وطلب البرِّ والنجاح ، فالسفر الذي هو مِن أَهَمِّ الخطوات يجب أن يكون مشفوعاً بكميَّة كُبرى من الدُّعاء ، وطلب الخير ، وسُؤال الصَّلاح والفلاح ، فالمسافر يترُكُ دارَه ، وأهلَه ، ويُصادِفُ سفراً طويلاً ، وأمكِنةً جديدةً ، وأُناساً لاَ يَألَفُهم ، ويقضي مدَّةً في هجرةٍ مِن أهله ، وبُعْدٍ عن وطنه ، ويمُوجُ قلبه بخليط من الآلام والآمال ، ويُساوِرُه الحزنُ على ما تركه مِن ورائه من الوطن والأهل والمال ، وتخالِطُه الأماني فيما يستقبله ، ثم العناية بالسفر ، والتأهُّبُ له ، ومتاعبه ومشاقه ، وبُعْد المنزل ، والاهتمامُ بالأهداف ، والحنينُ إلى الغايات ، والتطلُّعُ إلى الأغراض ، كلُّ ذلك يُقلِق قلبَه ، ويشوِّشُ ذهنه ، وهو ـ لكي يفوز بالنجاح ـ يحتاج في كلِّ مرحلة من هذه المراحل إلى نصر الله ، ونجدته ، وعونه ، وعصمته .

فانظُرْ كيف جاءَ التعبيرُ جامعاً شاملاً عن كلِّ هذه الحوائج ، والأحاسيس في هذا الدُّعاء المُوجَز ، الذي سوف لا يُمكِن أحداً من البشر ـ مهما تمتَّعَ بذكاء وافر ، وأعمَلَ فكره العميق ـ أن يأتي بدعاءٍ أَشْمَلَ منه ، وأَكْمَلَ ، وأَجْمَلَ ، وأَدَلَّ :

« اللَّهُمَّ ! إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هٰذَا البِرَّ والتَّقْوى ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى ، اللَّهُمَّ ! هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا ، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ ، اللَّهُمَّ ! أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، والْخَلِيْفَةُ فِي الأَهْلِ ، اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ[1] السَّفَرِ ، وكآبَةِ[2] الْمَنْظَرِ ، وَسُوْءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الأَهْلِ والْمَالِ »[3] .

غير أنَّه ليس السفرُ هو الذي يستحِقُّ العنايةَ بالدُّعاء ، بل ينبغي للمسافر أن يطلب

---

(١) وعثاء السفر : أي شِدَّته ومشقَّته ، وأصله من الوَعْث ، وهو الرَّمْل ، والمشيُ فيه بشتَدُّ على صاحبه ويَشُقُّ (النهاية : ٥/٢٠٦) .

(٢) الكآبةُ : تغيُّر النفسِ بالانكسار من شدَّة الهمِّ والحُزْن ، والمعنى : أن يرجع من سَفَره بأمرٍ يُحزنه ، إمَّا أصابه في سفره ، وإمَّا قَدِمَ عليه ، مثل أن يعود غير مَقْضِي الحاجة ، أو أصابتْ مالَه آفةٌ ، أو يقدم على أهلِه فيجدهم مَرضى ، أو قد فُقِدَ بعضُهم . (النهاية : ٤/١٣٧) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته . . . ، برقم (٣٢٧٥) ، وأبو داود في كتاب الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا سافر ، برقم (٢٥٩٩) ، وابن حبان في الصحيح ، في ذكر الخبر المدحض قول مَن زعم أن الخبر . . . برقم (٢٦٧١) من حديث عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما .

www.abulhasanalinadwi.org

الخير والبركة كُلَّما أتى مكاناً جديداً، ودَخل مَثوىً جديداً ، فقد جاءَ في الحديث الشريف : أنَّ النبيَّ ﷺ كان يكرِّرُ ثلاثَ مرَّات ، كلَّما دخل قريةً : « اللَّهُمَّ ! بَارِكْ لَنَا فِيهَا » ثم يقول: « اللَّهُمَّ ! ارْزُقْنَا جَنَاهَا »[1] وكل مسافر بصورةٍ عامَّةٍ ، والمسافر الذي يحمِلُ دعوةً ورسالةً بصورةٍ أخصَّ ، يحتاج إلى أن يحرِزَ حبَّ أهل القرية التي نزل بها ، لكي يرتاحَ ضميرُه ، ويطمئنَّ قلبُه ، ثم لكي تتمكَّنَ رسالتُه من القلوب ، إلَّا أنَّ المُسْلِم تحتم عليه عقيدتُه ودينه ألا يقصد إلَّا حبَّ أهل الصَّلاح والفلاح ، والدِّين والتُّقى ، ولذلك يقولُ ﷺ في دُعائه :

« وحَبِّبْنَا إِلى أَهْلِهَا ، وحَبِّبْ صَالِحِي أَهْلِهَا إِلَيْنَا »[2] .

١٧ ـ الدُّعاء عند إقبال اللَّيل والنَّهار :

ليس السَّفرُ ، أو المنزِلُ هما اللَّذان يستحِقَّان من المؤمن العناية بالدُّعاء والاستخارة ، لا ، بل يجب أن يطلبَ المؤمنُ مِن ربِّه لدى إقبال كلِّ ليلٍ ، وإدبار كلِّ نهارٍ ، وبالعكس ما فيهما من الخير والنفع ، ويستعيذ به ممَّا فيهما من الشرِّ والفتنةِ ، ويشهد بأنه هو المَالِك الحقيقي المطلق ، سائلاً أن يجعل له الحظَّ الأوفر ، والنصيب اللَّائق ممَّا فيهما من الصَّلاح والبركة والنجاح ، وينبغي أن يستحضِرَ لدى كلِّ تطوُّرٍ وتغيُّر يمرُّ به هذه الحقيقة الكبرى ، فقد جاءَ في الحديث الشريف : أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو كلَّما كان يُمسِي :

« أَمْسَيْنَا ، وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، ولَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا ، رَبِّ ! أَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ ، وَسُوْءِ الْكِبَرِ ، رَبِّ ! أَعُوْذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ »[3] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٨٨) برقم (٤٧٥٥) عن ابن عمر ، وفيه أنه : كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فإذا رأى القريةَ يريد أن يدخلها قال : « اللهمَّ بَارِكْ لنا فيها » ثلاث مرَّات و« اللهمَّ ارزقنا جناها ، وحبِّبنا إلى أهْلِها ، وحبِّبْ صَالِحِي أَهْلِهَا إِلينا » .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٨٨) برقم (٤٧٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر . . . برقم (٦٩٠٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

ويدعو حينما يُصبح ، فيضع كلمةَ « أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ للهِ » مكان « أَمْسَيْنَا وأَمْسَى المُلْكُ للهِ » ، وجاء في حديثٍ آخر دعاءٌ بهذه الكلمات :

« أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ . اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذَا اليَوْمِ : فَتْحَهُ ، وَنَصْرَهُ ، وَنُوْرَهُ ، وَبَرَكَتَهُ ، وَهُدَاهُ ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيْهِ ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ »[1] .

١٨ ـ الاستعاذة من شرِّ النَّفس :

لا شكَّ في أنَّ أخْوَفَ ما يجب أن يخافه الإنسانُ ، وأجدَرَ ما يجب أن يستعيذ منه البشَرُ ، هو شرُّ نفسه ، بكلِّ ما شَهِدَه العالمُ من فظائع الدَّمار والهلاك ، ومظاهر الوحشيَّة والاستبداد ، ومن خسارة الدُّنيا والآخرة ، كلُّ ذلك يرجع إلى شرِّ النفس » ، ولذلك أكثَرَ الرَّسولُ ﷺ من الاستعاذة من هذا العدوِّ الألَدِّ ، فقد جاءَ في دُعائه عند الصَّباح :

« اللَّهُمَّ ! فَاطِرَ السَّمَواتِ والأَرْضِ ، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ ، أَنْتَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ، والمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُوْنَ أَنَّكَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ ، فَإِنَّا نَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا ، ومِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ وَشِرْكِهِ ، وَأَنْ نَقْتَرِفَ سُوْءاً [عَلَى أَنْفُسِنَا] ، أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِم »[2] .

وجاءَ في دعاءٍ آخر :

« اللَّهُمَّ ! قِنِيْ شَرَّ نَفْسِي ، واعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي »[3] .

وجاءَ في دعاءٍ آخر :

---

(١) أخرجه أبو داود عن أبي مالك رضي الله عنه ، في كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ، برقم (٥٠٨٤) .

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي مالك رضي الله عنه ، في كتاب الأدب ، باب ما يقولُ إذا أصبح . . . ، برقم (٥٠٨٣) .

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١/ ٣٨١) برقم (٥٧٠) ، والطبراني في الأوسط (٤/ ٤٣) ، برقم (٣٥٦٥) من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

« يَا حَيُّ يَا قَيُّوْم ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ ، أَصْلِحْ لِيْ شَأْنِيْ كُلَّهُ ، وَلاَ تَكِلْنِيْ إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ »[1] .

١٩ ـ طلب الخشية واليقين :

إنَّ ما يقِفُ سدّاً منيعاً ، وسياجاً حديديّاً بين العبد وشرِّ النفس والمعاصي ، هو خشيةُ الله ، والذي يهوِّنُ على العبد ضربة البلايا والرزايا ، ويخفِّفُ له أثرَ المآسي والمصائب ، هو اليقينُ ، فيقول ﷺ :

« اللَّهُمَّ ! اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُوْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَك ، وَمِنَ اليَقِيْنِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيْبَاتِ الدُّنْيَا »[2] .

٢٠ ـ مُنطَلق الشُّرور والمعاصي والاستعاذة منه :

إنَّ منطلقَ هذه الشُّرور والمَعاصي ، وأَنْشَطَ وَأَقْوَى عَاملٍ مِن عواملها ، هو حبُّ الدنيا ، إنَّه مَنْبَع الخطيئات كلِّها ، فقد جاء في الحديث الشريف : « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ »[3] . أمَّا طبيعة النبوَّة فهي : « اللَّهُمَّ ! لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَة »[4]

---

(١) أخرجه النَّسائي في السنن الكُبرى ، عن أنس رضي الله عنه ، (٦/ ١٤٧) برقم (١٠٤٠٥) ، والحاكم في المستدرك ، (١/ ٧٣٠) برقم (٢٠٠٠) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه ، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٧٧) ، برقم (٧٦١) ، وقال الهيثمي مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٠) : وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن طريق سلمة بن حرب بن زياد الكلابي ، عن أبي مدرك ، عن أنس ، وقد ذكر الذهبي سلمة في « الميزان » فقال مجهولٌ كشيخه .

(٢) هذا جزءٌ من الحديث انفرد به الترمذي ، وأخرجه عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما ، في كتاب الدعوات ، باب دعاء : « اللَّهمَّ اقسم لنا من خشيتك . . . »، برقم (٣٥٠٢) ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

(٣) حديث ضعيف ، انظر : « المقاصد الحسنة » ص(٣٨٤) ، و« كشف الخفاء » (١/ ٤١٢) ، برقم (١٠٩٩) .

(٤) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب البيعة في الحرب . . . ، برقم (٢٩٦١) ، وفي كتاب مناقب الأنصار ، باب دعاء النبي ﷺ : « أصلح الأنصار . . . » برقم (٣٧٩٦) ، وفي كتاب الرقاق ، باب الصحة والفراغ . . . ، برقم (٦٤١٣) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، =

www.abulhasanalinadwi.org

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] ، وقد جاءَ في دعائه ﷺ :

« وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلاَ غَايَةَ رَغْبَتِنَا ، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا »(١).

٢١ ـ حبُّ الله هو الدَّواء الوحيد لكلِّ داءٍ :

بالتأكيد ، إنّ الَّذي يسهِّل الدِّينَ ، ويحبِّبه إلى القلوب ، ويكرِّه إليها العصيان والفسوق ، ويستخرِج حبَّ الدنيا من أعماقها ـ فتُصبح كلُّ عظمةٍ في الدنيا شيئاً لا قيمةَ له ، وحينئذٍ يفقد كلُّ جميلٍ في الكَوْن جمالَه ، وكلُّ عظيمٍ عظمتَه ـ والذي يُثبِّت القلوبَ والأقدامَ لدى كلِّ ابتلاءٍ ومحنةٍ ، هو حبُّ الله الخالص من كلِّ شائبةٍ ! إلاَّ أنَّ القلب الذي تمكَّن مِن هذا الحبِّ ، وتغلَّب على هذا الهُيَام لم يَهَبْ ـ ولن يَهَابَ ـ أيَّ جلالٍ ، ولم يأخذه ـ ولن يأخذه ـ أيُّ جمالٍ ، وقد تغنَّى بذلك شاعرُ الإسلام الدكتور محمد إقبال في شعره الأُرْدُوي ، فقالَ : « حبُّ اللهِ عجبٌ في عجبٍ ، فإنَّه يجعل القلبَ يستغني عن العالمين بما فيهما » .

إنَّ العلاقةَ التي تقوم على أساسٍ من الحُدود والقُيود ، والطاعة التي تفرضها الأَوامر والنَّواهي لن تقوما مقام هذا الحبِّ ، ولن تقوما بالدَّور الَّذي تقوم به هذه العلاقةُ ، فإنَّ القوانين ربما تؤدِّي إلى اتِّخاذ « الباب السِّرِّيِّ » و « المدخل الخَلْفِي » ثم إنَّ القوانين تأتي بالتأويلات ، وتأخذ الكلمات فتحمِّلها ما لا تحتمل ، ثم إنَّها تملُّ ، فتضع السِّلاحَ ، أمَّا الحبُّ فلم يعرف التأويلَ والمَلَلَ ، وبعد عن الكلِّ ، وتعالى عن الاستكانة والاسترخاء ، فهو داءٌ ودواءٌ ، وإنَّ هؤلاء العُشَّاق ـ كما قال الشاعرُ الفارسيُّ ـ لا يبالون بوُعُورة الطريق ، بما أنَّ الحُبَّ هو طريقٌ ومنزلٌ معاً ، ولذلك فالنبيُّ ﷺ عُنِيَ بالدُّعاء لهذا الحُبِّ أَبْلَغَ العناية ، وأَكْمَلها :

= باب غزوة الأحزاب ، برقم (٤٦٧٢) و(٤٦٧٤) والترمذي في أبواب المناقب ، باب مناقب سهل بن سعد رضي الله عنه برقم (٣٨٥٦) ، والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٨٥) برقم (٨٣١٦) ، وغيرهم من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه .

(١) هذا بعض الحديث ، انفرد به الترمذي ، وأخرجه عن ابن عمر ، رضي الله عنهما في كتاب الدعوات ، باب دعاء : اللهم اقسم لنا . . . ، برقم (٣٥٠٢) ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

www.abulhasanalinadwi.org

« اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، وَأَهْلِي ، وَمِنَ المَاءِ البَارِدِ »[1] .

وجاءَ في دعاءٍ آخر :

« اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إِلَيَّ ، وَاجْعَلْ خَشْيَتَكَ أَخْوَفَ الأَشْيَاءِ عِنْدِي ، وَاقْطَعْ عَنِّي حَاجَاتِ الدُّنْيَا بِالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ ، وَإِذَا أَقْرَرْتَ عَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُمْ ، فَأَقْرِرْ عَيْنَيَّ مِنْ عِبَادَتِكَ »[2] .

وجاء في دعاءٍ آخر :

« اللَّهُمَّ ! ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ .

اللَّهُمَّ ! مَا رَزَقْتَنِيْ مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيْمَا تُحِبُّ .

اللَّهُمَّ ! وَمَا زَوَيْتَ[3] عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لِي فِيْمَا تُحِبُّ »[4] .

٢٢ ـ طلب نَصْر الله وعَوْنه وعَطْفه وكَرَمه :

بَيْدَ أنَّ هذا الحُبَّ ، وهذه الطاعةَ ، والتوفيقَ للعبادة ، والذكرَ والشكرَ ، كلُّ ذلك مَنُوْطٌ بعطف الله وكرمه ، ويتوقَّفُ على إعانته ونُصرته ، ولذلك أوصى حبيبُ ربِّ العالمين ﷺ أحدَ أصحابِه[5] بهذه الكلماتِ التي تتدفَّقُ بالحبِّ ، وتفيضُ بالحَنان .

« يَا مُعَاذُ ! وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، أُوْصِيْكَ يَا مُعَاذُ ! لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُوْلَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلىٰ ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »[6] .

---

(١) انفرد به الترمذي ، وأخرجه عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه في أبواب الدعوات ، باب دعاء داود : اللهم إني أسألك . . . ، برقم (٣٤٩٠) .

(٢) أخرجه الديلميُّ في الفردوس (١/ ٤٨١) ، برقم (١٩٦٥) عن أبي مالك ، رضي الله عنه .

(٣) زويتَ عنِّي : أي : صَرَفْتَه عني وقَبَضْتَه .

(٤) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخَطْمِيِّ الأنصاري ، رضي الله عنه ، في أبواب الدعوات ، باب دعاء اللهم ارزقني حبَّك . . . ، برقم (٣٤٩١) وقال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

(٥) هو معاذ بن جبل ، رضي الله عنه .

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار ، برقم (١٥٢٢) ، والنَّساتي في كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر ، برقم (١٣٠٤) ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٤٤) برقم (٢٢١٧٢) ، وغيرهم من حديث معاذ بن جبل ، رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

شهادة القلب السَّليم :

هذه هي الأدعيةُ المأثورةُ ـ التي ألقينا على نَذْرٍ منها نظرةً عابرةً ، يتجلَّى فيها كلَّ التجلِّي نورُ النبوَّة ، ويقينها ، وحِكمة الأنبياء ، وعِلْمهم ، وحبُّهم ، وعِرفانهم ، وهي مزيةُ الأنبياء كلِّهم عامة ، ومن سِمَات سيِّد الأنبياء ﷺ خاصَّةً .

وإنَّ القلبَ ـ إذا كان على فِطْرته الصحيحة التي فَطَرَه الله عليها ـ سيشهد كلَّما يمرُّ بهذه الأدعية بأنَّها مِن كلام النبيِّ المعصوم المَصُوْن ﷺ الذي لا ينطِقُ عن الهوى إنْ هو إلاَّ وَحْيٌ يُوْحىٰ ، كما شهد القلبُ السليم في صدر عبد الله بن سَلاَم[1] ـ رضي الله عنه ـ حينما وَقَعَ نظرُه على وجه النَّبيِّ ﷺ : « واللهِ ، هَذا لَيْسَ بوَجْهِ كَذَّابٍ »[2] .

وقد شَهِدَ بالأمرين كِليهما العارفُ الرُّوْمي ـ مولانا جلال الدِّين الرُّوْمِي[3] ـ في شعره الفارسيِّ :

« إنَّ أَلَم القلبِ وجُرْحه اللَّذين يُعانِيهما العُشَّاق لذةٌ في لذةٍ لمن يعرف حقيقة هذا الألم ، وإنَّ كلام النبيِّ ووجهه كِليهما معجزةٌ من المعجزات » .

---

(١) هو عبد الله بن سَلاَم بن الحارث للإسرائيلي ، أسلمَ عند قُدوم النبي ﷺ المدينة ، وكان اسمه « حصين » فسمَّاه النبيُّ ﷺ عبد الله » . شهد معه عمر فتح بيت المقدس والجابية ، أقام بالمدينة ، وتوفي بها عام ٤٣هـ .

(٢) انظر : « مصنف ابن أبي شيبة » (٥/ ٢١٧) ، برقم (٢٥٣٨٩) ، و« مسند الشِّهاب » (١/ ٤١٨) ، برقم (٧١٩) ، و« صفوة الصفوة » (١/ ٧١٩) .

(٣) هو محمد جلال الدين الملقَّب مولانا الرومي ، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان شاعراً صوفياً ، اختار التصوُّفَ سبيلاً في حياته العملية ، واختاره فلسفةً روحيةً لفكره وفنِّه الرفيع ، وقد امتزجت حياته الفكرية بحياته العملية بصورة جعلت تصوُّفه مزيجاً من الفلسفة والحكمة العملية .

لم يكن تصوُّفه من ذلك النوع السلبيِّ الذي يدع الحياةَ وما فيها ، ويدعو إلى هجرها والفناء عنها فناءً كاملاً ، بل هو تصوُّف بنَّاء ، يستمدُّ عناصره من الإنسان ، ويتعمَّق في بحث مشاكله الروحية والعملية ، ويُحاوِل أن يرسم له المُثل العليا في الفكر والعمل ، يُعنَى بالحياة التي يحياها البشرُ . وليس الروميُّ مبدع هذا الاتجاه في التصوُّف ، ولكنه أفصح الألسنة في التعبير عنه ، وألمع العقول في ابتداع فلسفته وابتكار أفكاره .

توفّي في مَسقط رأسه « قونية » عام ٦٧٢هـ . من آثاره « المثنويّ » والذي أجمع المفكِّرون والمحقِّقون على أنه يُعَدُّ في طليعة المأثورات الأدبية العالمية . .

www.abulhasanalinadwi.org

فلئنْ كانت أبوابُ السِّير ، والأعمال ، والأخلاق ، والعبادات ، قد دلَّتْ على كمال النبوَّة وفضلها ، وعلومها وحكمتها ، فإنَّ هذه الأدعية المأثورة دليلٌ مِن دلائل النبوَّة ، ومعجزةٌ مِن معجزاتها .

فما أَسْعَدَ الأمَّة التي وَرِثَتْ مِن نبيِّها ـ محمَّد رسول الله ﷺ ـ مفتاحَ الدين والدنيا ، ونعم الغيب وثروته ؟! وبالعكس ، ما أشقى تلك الأمَّة التي لم تتمتَّع بهذا المفتاح ، ولم تستخدم هذا السِّلاح ؟!

وأخيراً ، لا بُدَّ مِن إثبات حقيقةٍ كُبرى : إنَّ مِن شَقَاء المنكرين للسُّنَّة ـ بالإضافة إلى خسائرهم الأخرى الكثيرة الكبيرة ـ إنَّهم حُرِموا تلك الأدعية المأثورة ، والكلمات النبوية التي هي جزءٌ من الأحاديث ، فالشُّبهات التي تمكَّنَتْ من قلوبهم في صحة الأحاديث وثبوتها ، حالتْ ـ طبيعياً ومنطقياً ـ بينهم وبين التمتُّعِ بهذه الثروة الغيبية الغنية ، واتخاذها وسيلةً إلى التضرُّع والتعبير عمَّا في القلب ، وكَفىٰ به عِقاباً .

www.abulhasanalinadwi.org

أدب الرحلات

بالنسبة لأدب الأسفار والرحلات صدر للعلاَّمة الندوي « مذكِّرات سائح في الشرق العربي » كما صدر كتابه « من نهر كابُل إلى نهر اليرموك » .

وصدر للعلامة نوع يمكن أن نطلق عليه أدب الرسائل وإن كان يدخل ضمناً في أدب الرحلات ، ولنطالع كتابه : « كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية » و « خطابات صريحة إلى الرؤساء والأمراء » .

دأب العلامة الندوي على تنقيح كتاباته وتصحيحها وإضافة معلومات جديدة عليها ، ومعظم كتبه كانت مجرَّد فكرة نشرها في مقال ، فكانت الرحلة إلى هنا أو هناك دافعاً له لإعادة التفكير في الكتابة بالتفصيل عن الموضوع ذاته .

فكتابه الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية كان مقالاً كتبه في فبراير ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م بعنوان « موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية » وبعد سنوات وكما يقول المؤلف نفسه :

« أُتيح لي السفرُ إلى أوربة ، ورأيت مركز هذه الحضارة ، ومعقلها عن كثب ، واستفدت من هذه الرحلة في الاطلاع على بعض المصادر العلمية الحديثة ، فقدمت كتاباً جديداً ينشر الآن تحت عنوان « الصراع بين الفكرة . . . إلخ » .

إذا قلنا : إنَّ الرحلة في العلاَّمة الندوي هي الدافع لمعظم كتاباته فربما لا يجانبنا الصوابُ في هذا القول ، فهو عالم جليل ، عالم متبحر في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، حرص على أن يضيء مشعل الحضارة الإسلامية في الهند بنور التعليمات الإسلامية الأصيلة ، والمضي على درب سنة الرسول ﷺ ، ولهذا اهتم كثيراً ببيان هذا الهدف في رحلاته خارج البلاد ، وكان دائماً يضع نتائج رحلاته في كتاب يتضمن رحلته ، والأمثلة على ذلك كثيرة سنوردها فيما بعد .

فهو منذ بدء حياته العملية بل وقبلها يسافر داخل الهند إلى هنا وهناك طلباً للعلم ، ولقاء العلماء ، والتعرف على أحوال البلاد والعباد .

www.abulhasanalinadwi.org

من خلال قراءة ما كتب العلاَّمة يتضح : أنه عشق السفرَ ، لا للسياحة ؛ ذلك لأن الإسلام الدين الحنيف يدعو إلى السفر طلباً للمعرفة وطلباً للعلم ، ونشراً لدين الله الحنيف بين الناس ، وهكذا جعل الإسلام السفر تراثاً يتصل بالتاريخ الإسلامي لدى جميع الشعوب الإسلامية ، والتاريخ الإسلامي له مكانة خاصَّةً لدى العلاَّمة الندوي ، ومن هنا كان السفر والارتحال جزءاً أصيلاً من فكره ، وكان السفر والارتحال هو الدافع لمعظم كتاباته بلا مبالغة .

وإذا كانت كتبُ الرحلات تقدِّم قصصاً وحكايات قد يكون بعضها حقيقياً وبعضها من نسيج الخيال ، إلا أن الأمر يختلف عند العلامة الندوي ، فهو لا يقدم حكاية ولا قصة ، بل يقدم رسالة سامية ؛ تحمل هدفاً سامياً وهو الدعوة إلى الله ، ورفعة شأن المسلمين .

لقد تعدَّدت أسبابُ الرحلة وتنوَّعت ، وقسَّم البعضُ الرحلات إلى أقسام عديدة ، وصلت أحياناً إلى خمسة عشر قسماً[1] ، إلا أن أهم الرحلات كانت رحلات الحج ، ورحلات الدعوة والتبليغ ، ورحلات العمل خارج الوطن ، أو جمع تبرعات لأهداف دينية ، ورحلات علمية الهدف ، منها طلب العلم ، وهو سببٌ من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للرحلة .

وإذا كنا نبحث عن أسباب الرحلة لدى العلامة الندوي فإن طلب العلم كان من الأسباب الرئيسة التي دفعته للرحلة خارج وداخل شبه القارة ، كما كانت رحلة الحج رحلة تاق إليها قلبُه منذ صغره كما سيتضح لنا بعد ذلك ، وإذا كان قد ارتحل لأداء مهمة عمل بجامعة أو مؤسسة فإنه حول هذه المهمة إلى هدفه الأساسي وهو الدعوة إلى دين الله .

وهذا واضحٌ من خلال الكتب التي صدرت بعد فترة الرحلة التي كان هدفَها الظاهري عملٌ ما أو القيام بمهام علمية هنا أو هناك ، فلم تكن للرحلة الشخصية التي يقوم بها الشخص حباً منه في السفر والترحال ، ورغبة منه في التمتع بالحياة مجالٌ في حياة العلامة الندوي . فهو يسافر لهدف ويسافر لغاية وإلا فالأعمال في وطنه تحتاج إليه دائماً .

---

(١) أدب الرحلة : للدكتور حسين نصَّار، ص(١٩ ـ ٢٠)، مكتبة لبنان ـ بيروت.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان العلامة الندوي يتجول أحياناً عبر التاريخ ، يغمض عينيه تتراءى أمامه صُور الماضي ، عظمة الإسلام ، ويظل يطالع هذا التاريخ حتى ينتبه إلى الموقع ، وكان الشعور التاريخي لا يفارق العلامةَ أبداً وقد اعترف بهذا حين قال :

« عفا الله عن المؤرِّخين والمشتغلين بالتاريخ ، إنهم لا يفارقهم الشعور التاريخي والتفكير في أقدس مكانٍ وأفضل زمانٍ (يقصد المسجد النبوي) إنهم أينما كانوا يعيشون فيما درسوه ويصلون الحاضر بالماضي »[1] .

ويجول العلاَّمة في أعماق التاريخ رحلة في الخيال فيقول :

« حانت مني التفاتة فرأيت فريقاً يدخل من باب جبريل ـ وهو أقرب الأبواب إليّ ـ عليهم السكينة والوقار ، يعلوهم نور العلم وسيماء التفكير ، وقد ملؤوا الرحاب بين باب جبريل باليسار إلى باب الرحمة باليمين ، منعت كثرتُهم عن العد والتشخيص ، سألت البواب عنهم ، فقال : هؤلاء أعلام الأمة ، وأئمة العلم وعباقرة الإنسانية ، ونوابغ الوجود ، كل واحد منهم إمام أمة ومؤسس مكتبة . . وقد سمَّى منهم على عجل واحتشام : مالك بن أنس ، وأبا حنيفة النعمان ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وأبا عبد الله أحمد بن حنبل ، و . . . و . . . وتقي الدين بن تيمية . . وأحمد بن عبد الرحيم الدِّهلوي على تفاوتهم في الزمان والمكان وأصالة العلم وعلو الشأن .

رأيتهم بدؤوا بتحية المسجد ، وصلُّوا ركعتين في خشوع وقنوت . . ولم أكن قد قضيت لبانتي من هذه الجماعة حتى لفت نظري فريقٌ آخر يدخل من باب الرحمة ، عليهم سيما الصلاح والعبادة ، وفي وجوههم أثر التقشف والزهادة . . .

ولم أستوف كلماتهم الحكيمة حتى لفت نظري فريقٌ يدخل من باب النساء في حشمه وتستُّرٍ . . . »[2] .

ويظلُّ المؤلفُ ينظر ويشاهد جماعات وجماعات ويستمع إلى دعائهم ومناجاتهم حتى انتبه على صوت المؤذِّن يرتفع عالياً على منائر مسجد الرسول ﷺ : الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .

---

(١) الطريق إلى المدينة : للعلامة الندوي، ص(٣٨) ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .
(٢) المرجع السابق : ص (٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

« وأفقتُ من غفوتي ، وما كنت أسبح فيه من عالم الخيال والتاريخ ، وإذا بي أمام الواقع رجال في الصلاة ، ورجال في تلاوة القرآن ، وجموع من المسلمين ، ووفود من العالم الإسلامي ، وخليط من الأصوات والانطباعات والعواطف »[1] .

وهكذا كان يرتحل العلامة الندوي في التاريخ ويدوِّن مشاهداته لنا ، وقد دوَّن أيضاً مشاهدات إقبال في رحلته إلى جزيرة العرب ، وكان العلاَّمةُ حريصاً على ذلك أشد الحرص لأنه كان يشعر بنفسه مكان إقبال ، واتحدتْ مشاعر الأديبين معاً ، ولهذا حرص العلاَّمةُ على أن يحكي رحلة إقبال وهو قادم إلى مدينة رسول الله ﷺ وخاصة أن إقبالاً كان كلما ذُكرت المدينة فاضت عينه وانهمرت الدموع منها ، فلم يُقدَّر له الحج ، وزيارة مسجد الرسول لمرض ألمَّ به ، ولكنه رحل إلى الحجاز بخياله القوي[2] .

أمَّا عن لغة الرحلة فماذا نقول؟ إنَّه كان أديباً ، يشهد له الجميع إذا ما كتب بالأردية أو بالعربية ، ولهذا ساد الطابع الأدبي كتاباته ، وزخرت مادة رحلاته بالعناصر الأدبية ، مما يجعلنا نطلق هنا على كتاباته : أدب الرحلة ، فرحلاته صدرت على مستوى أدبي رفيع ، ضمنها الأشعار والأمثال والحكم ، وأدمج في سطورها آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، التي ربما احتاج إليها للتعليق على موقف ، أو الفصل في قضية ما .

وعادةً ما كانت المشاعر الفياضة تغلب على العلاَّمة فتفيض على أسلوبه ، فتأتي لغته العربية أو الأرديةُ رفيعة المستوى ، عظيمة التأثير والإبداع ، مما يجعل لرحلاته قيمة أدبية ، نظراً إلى روعة الأسلوب الذي يصل بها إلى مستوى الخيال الفني في معظم الأحيان[3] .

---

(١) الطريق إلى المدينة : ص(٤٩).

(٢) روائع إقبال : للعلامة الندوي ، ص (١٨٨) طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

(٣) الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردية : للدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، ص(٣ ـ ٥) طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض) .

www.abulhasanalinadwi.org

أدب التراجم

نحاول في هذا العرض توضيحَ العلاقة بين منهج الترجمة عند العلامة أبي الحسن الندوي ومعالم التجديد فيه ، وبين مناهج المترجمين والمصنفين القدماء ، منذ ظهور كتب الطبقات : طبقات الصحابة ، واللغويين ، والنُّحاة ، والأطباء ، ومنذ انتشار تراجم الرجال ، وطبقات الأدباء ، والشعراء ، والمتصوفة ، والفقهاء ، وسِيَر المصلحين والعلماء .

فقد نشأ العلامةُ الندوي في « بيئة كانت هوايتها التاريخ والتراجم والسير ، ووُلد في أسرة كان فيها مؤرِّخون ومؤلفون ، وكان أكثر اشتغالهم بالتأليف في تراجم الرجال »[1] فقرأ كتب التراجم ، وعرف أنواعها وضروبها ، وخبر مناهجها وأساليبها ، وعاين أهدافها ومراميها ، ثم عمل على إثراء هذا الفن وإغنائه وتجديده والإضافة إليه .

لذلك يمكن أن نتحدث عن مظاهر كثيرة للتجديد في أدب التراجم لدى العلاَّمة الندوي .

١ ـ إنَّ كتابة التراجم لدى العلاَّمة هو بعث جديد للأساليب الأصيلة لهذا الفن ، وقد كان الغرض من أدب التراجم هو المحافظة على موروث الأجيال السابقة من العلوم والآداب والفنون ، رغم اختلاف مناحي مصنفات التراجم ، واختلاف مفاهيمها ومدارسها منذ ظهور « يتيمة الثعالبي ، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ، مروراً بوفيات الأعيان لابن خلكان ، والمغرب لابن سعيد المغربي ، والذيل والتكملة لابن عبد الملك المرَّاكشي ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، وصولاً إلى ما كتب من التراجم في القرون الأخيرة ، والتي شكَّلت دائماً ميداناً قائماً بنفسه بعيداً عن الكتابة

---

(١) شخصيات وكتب : العلامة الندوي ، ص(٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

المعجمية المحضة ، أو الكتابة التاريخية الصرفة ، أو السيرة الذاتية ، أو فنّ الرحلة .

وكان المصنّفون والمترجمون يعتمدون أغلب عناصر الترجمة المكونة من اسم المترجم ونسبه ، وأصله ، وكنيته ، وذكر مشايخه ، وتلاميذه وكتبه ومؤلفاته ، ومنزلته العلمية ، ومركزه الاجتماعي ، وعناصر شخصيته ، وبعض أحداث عصره ، ومأثوراته الشعرية والنثرية ، وذكر تاريخ ميلاده ووفاته .

ويعتمد العلاَّمةُ الندوي بعض هذه العناصر ، ولكنه يركِّز على المنزلة العلمية للمترجَم ، ويبرز جوانب شخصيته المؤثرة ، ليجعل منه قدوة تُتَّبع ، ونبراساً يُحتذى . وبذلك ينقل هدف التراجم من تحقيق الهدف التعليمي ، والحفاظ على التراث التاريخي للأمة ـ كما هو عند المصنفين السابقين ـ إلى هدف آخر يتجلَّى في الجانب التربوي .

٢ ـ مِن هنا يظهر لنا أن ترجمة العلامة لعالم من العلماء ، أو رائد من روَّاد الأمة الإسلامية ومجدِّدي دعوتها في القديم والحديث ، لا يتم تقديمه كشخص يعرَّف به مجرد التعريف ، أو ينقل أخباره وآثاره فقط ، ولكن يقدمّه للقارىء كموضوع للمعرفة ، ومجال للتعلُّم ، ومدرسة لها تأثيرها في حركة الدعوة الإسلامية المتجدِّدة .

٣ ـ ومِن معالم التجديد أيضاً ؛ ربطُ تراجم الرجال بهذه الحركة التجديدية الإسلامية العامة ، والتي ما فتىء علماء المسلمين يدعون إليها ، لفهم الأُسس القويمة والقيم الصحيحة لبناء المجتمع الإسلامي المعاصر . فهو لا يعتمد في تراجمه على كل الفئات والطوائف من الكتَّاب والشعراء والفقهاء والمتصوفة المشهورين والمغمورين ، كما أَلِفنا ذلك في كتب التراجم ، ولكنه يختار من الرجال ذوي التأثير العلمي والأخلاقي والديني ، ولو تباعدت بينهم الحقب والعصور ، لأن الهدف الأساسي هو تكوين خلية متماسكة قوية يكون لها التأثير السحري للدفع بحركة الدعوة الإسلامية الجديدة إلى الأمام .

٤ ـ إنَّ أدب التراجم عند العلاَّمة الندوي يكتسي طابعاً شمولياً من حيث المساحة الزمانية والمساحة المكانية .

فهو يترجم لعُمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز ، كما يترجم للسيد قطب الذي استُشهِد عام ١٩٦٦م ، أو للمرحوم مصطفى السباعي المتوفى عام ١٩٦٤م دون التزام بالتسلسل التاريخي ؛ لأن الترجمة عنده تكتسي بُعْداً آخر أسمى وأجلُّ من ذكر تواريخ

www.abulhasanalinadwi.org

الرجال ، وتتعدى ذلك إلى جعل هذا الفن من الكتابة رافداً من الروافد المتعددة للدعوة إلى التجديد والإصلاح .

ومن حيث الحَيِّز المكاني ، فهو يشمل كلَّ العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وينقل إلى قراء العربية مآثر العلماء المسلمين في شبه القارة الهندية ، ناهيك عن الأقطار الإسلامية الأخرى .

٥ ـ مِن عناصر التجديد في كتابة التراجم جانب الأسلوب ، فهو أسلوب واضح رقيق ، سهل ممتع ، ينقل القارىء عبر المناطق والمدن والأماكن والأقطار في جولات سياحية لا تُمَلُّ ، ويحبِّب إليه صور الإيمان وصفاء الخلق والإباء ، وعلو الهمة ، ويجعله يعيش متعة روحية من خلال الشخوص التي يقدِّمها ويترجم لها بطريقة تنفذ إلى أعماق النفس الإنسانية . بعيداً عن أساليب السجع والتأنق اللفظي ، وبعيداً عن الأخبار والأحداث والأشخاص ممَّن لم يُشْغَفوا بحبِّ تعاليم الإسلام ، ونشر الدعوة الإسلامية .

٦ ـ إنَّ هذا النوع من كتابة التراجم عند العلاَّمةِ الندوي يجعلنا نطرح سؤالاً دقيقاً وحذراً في نفس الوقت ، مؤداه : هل يكفي أن نعتبر هذه المظاهر التجديدية في فنِّ التراجم أمراً طبيعياً يضاف إلى كتابة الترجمة كما عهدناه عند المصنِّفين القدامى ، أم لا بدَّ من البحث عن مصطلح آخر ينضاف إلى فنون الكتابة في هذا المضمار ؟[1] .

شروط جديدة لكتابة التراجم عند العلامة الندوي :

إنَّ كثيراً من الكتَّاب والأدباء ـ فضلاً عن الشاذِّين في اللغات ، والمتطفِّلين على الآداب ـ يعتبرون موضوع التعريف برجل من ذوي الشأن والخطر وترجمة حياته ووصفه من أسهل الأغراض الأدبية ، والمواد الكتابية ، فيكيلون لمن يترجمون له أو يعرِّفون به ألقاباً ونعوتاً بسخاء ، ويكون أكثرها كلماتُ مدحٍ وإطراء مشتركة ، يمكن أن تقال عن كل عالم وأديب أو عظيم ، أو جليل ، لا تفيد تحديد الشخصية وتعيينها ، ولا تصوير القسمات والمخايل ، ولا التجاعيد التي يمتاز بها وجهٌ عن وجهٍ ، وجسمٌ

---

(١) من مقال « الدكتور الحسين العربي رحمون بتصرُّف واختصار ، المنشور في مجلَّة « البعث الإسلامي » العدد (٤ ـ ٥ ـ ٦) المجلَّد (٤٥) السنة ١٤٢١هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

عن جسمٍ ، واللغة العربية مِن أغنى اللغات في كلمات الوصف والمدح ، والحلية والزينة ، ويكفي الكاتب أو الأديب أن يعتمد في ذلك على تلك الكتب القديمة والحديثة[1] التي كُتبت حول هذا الموضوع ، فيأخذ منها ما يشاء من كلمات الوصف والمدح فيجود بها على صاحبه، أو يرجع إلى كتب التراجم والسير ، فيختار منها جُمَلاً وكلمات ، ويصف بها المترجَم له أو الممدوح ومن يكتب عنه ، ولكنَّ وصف شخصية أو ترجمة إنسان ليست من السهولة والعموم بالدرجة التي يتصورها كثيرٌ من الناس ، فإن ذلك يحتاج إلى عدَّة مؤهِّلات .

كما يضع العلامة الندوي لهذا الفنّ شروطاً جديدةً لكتابة التراجم في كتابه « شخصيات وكتب »[2] ومنها ما يلي :

١ ـ أن يتوفَّرَ عند الكتابة وجود دافعٍ نبيلٍ ، ورغبةٍ مُلِحَّةٍ تنبع من القلب ، من تجاوبٍ مع فكرة ، أو استجابةٍ لنداء الضمير ، أو دفاعٍ عن كرامة مهضومة ، وحقٍّ سليب ، أو ردٍّ لاعتبارٍ أو وفاءٍ بفضلٍ ، أو إعجاب بجمال أو كمال ، فإن الكتابة إذا تجرَّدت عن هذه العوامل كانت أشبه برسم خشبي جامد .

٢ ـ المعرفة الشخصية الواعية الناقدة ، إذا كانت عن طريق المعاشرة والصحبة فهي مِن أقوى المؤهِّلات وإلا فعن الدراسة الأمينة وتتبع الأخبار ، وأن تقوم بينهما صلةٌ من الصلات التي تحثُّ على تتبُّعِ الأخبار ، والتعرف على الخصائص .

٣ ـ الاقتدارُ على البيان والتعبير ، وتملُّكِ ثروة لغوية ، وكلمات مميزة فاصلة .

٤ ـ الدقةُ والأمانة والشعور بالمسؤولية ، والقدرة على تفصيل اللباس على قدر قامة المترجَم له .

٥ ـ أن يعرف ـ المترجِم ـ أن للكلمات درجة حرارة وبرودة (Temperature) ، فلا توضع كلمةُ ذات حرارة متصاعدة مكانَ كلمة ذات حرارة منخفضة ، فضلاً عن أن توضع كلمةٌ ذات حرارة مكان كلمة ذات برودة ، ولا يسخى بكلمة تعطي صورة هائلة من العظمة والكمال ، أو النبوغ والذكاء ، أو الخلق الحسن ، والسيرة العالية ، أو

---

(١) مثلاً « فقه اللغة » للثعالبي و « الألفاظ الكتابية » للهمذاني ، و « نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد » لليازجي .

(٢) ص(٦ ـ ٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

العلم الغزير لشخصية لا تستحق إلا كلمات فيها التوسّط والاقتصاد ، ثم يضعه في طبقته ويحدِّد اختصاصه وتميزه في فنٍّ من الفنون أو موضوع من الموضوعات .

وبهذا يُشير العلامةُ الندوي إلى صعوبة الكتابة عن الشخصيات ودقتها ، وهذه حقيقة واضحة لمن جرَّب وعانى مشقاتها ، خاصة إذا كانت الشخصية المكتوب عنها ذات جهود كبيرة ، ومآثر جليلة في مجالات متنوعة نظرية وعملية .

www.abulhasanalinadwi.org

أدب التقديمات

يقول فيه العلامةُ الندوي : «إنَّ تقديم كتاب لمؤلف معاصر أو عالم كبير ، أو صديق عزيز ، ليس عملاً تقليدياً يقوم به الكاتبُ مجاملة أو تحقيقاً لرغبة المؤلف أو الناشر أو إرضائه ، إنه شهادة وتزكية ، ولهما أحكامهما وآدابهما ومسؤوليتهما ، وقد يتحول من شهادة بالحق وتقييم الكتاب تقييماً علمياً ، وبيان مكانته فيما كتب وألّف في موضوعه ، ومدى مجهود المؤلف في إخراج هذا الكتاب ونجاحه في عمله التأليفي أو التحقيقي ، إلى سمسرة تجارية ، أو قصيدة مدح وإطراء من شاعر من شعراء المديح ، فيفقد قيمته العلمية والأدبية ، ويتجرد من الحياة والروح ، وهو زيادة معلومات ، وإلقاء أضواء على موضوع الكتاب ومقاصده ، وعلى حياة المؤلف ومكانته بين العلماء المعاصرين ، في عصره ومصره ، وعلى تكوينه العقلي ونشوئه العلمي ، والدوافع التي دفعته إلى التأليف في هذا الموضوع رغم وجود مكتبة واسعة في موضوعه ، أو مجموعة من الكتب التي ألّفت في هذا الموضوع ، ولا يكون التقديم مجموع كلمات تقريظ ومدح يمكن أن يحلَّى به جِيدُ أي كتاب إذا غيّر اسمه واسم مؤلفه .

فلا بدَّ من أن تكون بين المقدِّم للكتاب وبين موضوعه صلةٌ علميةٌ أو ذوقيةٌ أو دراسةٌ وافيةٌ للموضوع وما ألّف فيه، وارتباطٌ وثيقٌ كذلك بينه وبين المؤلف، يمكّنه من الاطلاع على تركيبه العقلي والعلمي والعاطفي ـ إذا كان الكتاب في موضوع علمي أو أدبي أو فكري أو دعوي ـ وعلى مدى إخلاصه لموضوعه واختصاصه وتفانيه فيه ، وررسوخه في العلم والدين ، وأخذهما من أصحاب الاختصاص فيه المعترف بفضلهم ـ إذا كان الكتاب في موضوع ديني كالتفسير والحديث والفقه وما إلى ذلك ـ ويجب أن يكون هذا التقديم عن اندفاع وتجاوب، وتحقيقاً لرغبة نشأت في نفس المقدم بعد قراءة هذا الكتاب ، تحثُّه على كتابة هذا التقديم ، وتحبِّبها إليه وتيسرها له ، بحيث إذا امتنع عنها اعتبر نفسه مقصراً في أداء حقٍّ ، وإيداء مشاعر وانطباعات ، وحاجة في نفس يعقوب ما قضاها ، وذلك هو التقديم الطبيعي المنصف الذي له أثره وفائدته»[1][2] .

---

(١) نظرات في الأدب : ص(٦٠ ـ ٦١) .

(٢) قد جمعنا جميعَ مقدّمات العلّامة الندوي في كتابٍ متسقلٍ ، اقرأ تعريفه الوجيز في الباب الخامس ، صفحة (٨٢٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

نظراتُه النقدية التطبيقية في الشعر والنثر

إنَّ الكلمة لمن روح ـ القدس كما يقول المفكر الإسلامي الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله ـ ، فهي حين تدخل إلى سُويداء قلب الإنسان تحوّله إلى إنسان ذوي مبدأ ورسالة . وقد التزم العلاَّمةُ الندوي في حياته الحافلة في مجال الدعوة بقاعدة الجمع بين الإيمان والعمل والعلم ، وكان ينظر إلى الكلمة الطيبة ـ أو ما كان يسمِّيه بالأدب الحي ـ بوصف الروح الباعثة للحياة في جسم الأمة الإسلامية ، وكانت نظرتُه الحضارية الإسلامية العميقة في فكره وثقافته هي مقياس التقويم لديه في كل شأن من الشؤون التي تهم المسلمين في هذا العصر .

وقد تميَّز العلاَّمةُ الندوي بمواقف نقدية جريئة ، ونظرات جديدة إلى الأدب وخالَفَ كثيراً من النُّقَّاد والدارسين الذين اعتادوا أن لا ينظروا إلى الأدب إلا من زاوية الصناعة والفن ، ولا يعدونه ـ في غالب الأحوال ـ إلا أداة تسلية أو آلة طرب ، أو طريقة إظهار براعة ، أو وسيلة تحقيق مآرب[1] ، فالأدب عند العلاَّمةِ من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة ، والتأثير في النفس الإنسانية ، والإسهام في بناء الحضارة .

ومِن هذا المفهوم الإيجابي للأدب ، انطلق العلاَّمة الندوي في الدراسة والبحث عن هذا النوع من الأدب الحيِّ في تاريخنا القديم والحديث ، فعثر على نماذج رائعة في مجال النثر الفني كان يمكن أن تكون في المكانة الأولى في دراستنا الأدبية ، ولكنها أفلتت من نظر المؤلفين والناقدين ؛ لأنها لم تدخل في رحاب الأدب المصنوع .

---

(١) الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : للأستاذ محمد الرابع الحسيني الندوي ، ص(٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

أ ـ في الشعر

١ ـ مع مولانا جلال الدين الرُّومي

أمَّا في مجال الشعر فقدم لنا نموذجين أثّرا تأثيراً كبيراً في حياته كما يبدو . أمّا النّموذج الأول فهو شعر جلال الدين الرومي ، وهو يمثِّل الجانب التراثي ، وأما الثاني فهو شعر محمد إقبال ، وهو من الشعراء الذين عاصرهم وعرف الكثيرَ عنهم . وقد كان للعلاَّمةِ نظرات نقدية في دراسته لهذين النموذجين كشفت عن ملامح وأهداف إنسانية دقيقة لها قيمة كبيرة في الأدب[1] ، سنقف عند بعضها في هذا العرض ، نقدِّم هنا بعض نماذج شعر جلال الدين الرومي الذي ساغه العلاَّمة في أسلوبه :

أدب الحب والعاطفة واحترام الإنسان والإنسانية

في شعر مولانا جلال الدين الرومي :

إنَّ الحبّ في تساميه نحو المطلق وتوجهه إلى مقر علوي يلوذ به ، وعالم القلب الّذي لا يسافر فيه إلاّ أصحاب القلوب الغنية ، وقيمة الإنسان ، هذه قضية كبيرة في الآداب بعامة وفي الأدب الإسلامي بخاصة . فإنّ الإنسان في الأدب الإسلامي قيمة لا تعلو عليها إلاَّ قيمة جلال الخالق عزَّ وجلَّ ، وقد أبدع جلالُ الدين الرومي في عرض هذه القضايا بلغة القلب والعاطفة ، وأبدعَ العلاَّمةُ الندوي بتقديم هذا الجانب من جلال الدين الرومي . وفتح لنا فيه باباً في الأدب الإسلامي ما زالت دروبه بكراً ، وما زالت دراساته ميداناً واسعاً للدارسين والباحثين ، ويقدّم لنا العلاَّمةُ نماذجَ لما في ذلك الميدان .

---

(١) مجلة « ثقافة الهند » العدد الممتاز عن العلاَّمة الندوي ، من مقال الدكتور عبد القادر بن عيسى باطاهر ، ص : ٢٤٩ ، (العدد : ٤ ، المجلَّد : ٥٢ ، عام (٢٠٠م) .

www.abulhasanalinadwi.org

الدعوة إلى الحب :

لقد دعا الشيخُ ـ مولانا جلال الدين الرومي ـ إلى الحب والعاطفة دعوةً سافرة ، وذكر عجائبه وتصرفاته في بسطٍ وتفصيلٍ ، فقال :

« إنَّ الحُبَّ يحول المُرَّ حُلواً ، والتراب تبراً ، والكدر صفاءً ، والألم شفاءً ، والسجن روضةً ، والسقم نعمةً ، والقهر رحمةً ، وهو الذي يليّن الحديد ، ويُذيب الحجر ، ويبعث الميِّت ، وينفخ فيه الحياة ، ويُسوِّد العبد » .

« إنَّ هذا الحب هو الجناح الذي يطير به الإنسان المادي الثقيل في الأجواء ، ويصل من السمك إلى السِّماك ، ومن الثرى إلى الثريا » .

إذا سرى هذا الحبُّ في الجبال الراسيات ؛ ترنَّحت ورقصت طرباً :

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

ويذكر أن الحب غنيٌّ أبيٌّ ، لا يحتفل بالملك والسلطان ، من ذاقه مرةً لم يسغ شراباً ، يقول : (إنَّ الحب غني عن العالمين إن كان الشغف بالمحبوب ونفيُ ما سواه جنوناً فهو سيد المجانين » .

إنَّه ملك الملوك ، تخضع له أسرَّة الملوك وتيجانهم ، ويخدمه الملوك كالعبيد ، ويقول : « إنَّ الحب كامنٌ كالنار ، ولكن الحيرة بادية ، ومتواضع ، ولكن نفوس الملوك الذين يملكون النفوس له خاشعة » .

وإذا ذكر الروميُّ هذا الفقر الجسور والحب الغيور ، أخذته نشوة ، ونادى بأعلى صوته : « بارك الله لعبيد المادّة وعُبّاد الجسم في ملكهم وأموالهم ! لا ننازعهم في شيء ، أما نحن ، فأسارى دولة الحب ، التي لا تزول ولا تحول » .

« إنَّ جميع المرضى يتمنون البرءَ من سقمهم ، إلا أنَّ مرضى الحب يستزيدون المرض ، ويحبون أن يضاعف في ألمهم وحنينهم ، لم أر شراباً أحلى من هذا السم ، ولم أر صحةً أفضل من هذه العلة) .

« إنها علّة ، ولكنها علة تُخلِّص من كل عِلَّةٍ ، فإذا أصيب بها إنسان لم يصب بمرض قط ، إنها صحة الروح ، بل روح الصحة ، يتمنى أصحاب النعيم أن يشتروها بنعيمهم ورخائهم » ، وكأنَّه يعارض الشاعر العربي في قوله :

www.abulhasanalinadwi.org

ولـي كبـدٌ مقـروحـةٌ مَـنْ يبيعني بهـا كبـداً ليسـتْ بـذاتِ قُـروح
أباها عليَّ الناسُ ، لا يشترونها وَمَـنْ يشتـري ذا عِلَّـةٍ بصحيـح ؟

فلو عرف هذا الرجلُ الذي كان ينادي على كبده قيمةَ هذه الكبد المقروحة ، لما تنزَّل إلى بيعها والتخلي عنها ، ولو عرف الناس قيمتها لاشتروها بملك الدنيا وعافية الأجسام ، فما قيمةُ كبد لم تقرح ؟ إنها مضغةُ لحم وقطعةُ حجر ! .

(إنَّ هذا الحب البريء السامي يصل بالإنسان إلى حيث لا توصله إلاَّ الطاعات والمجاهدات ، لم أر طاعةً أفضل من هذا الإثم ، عند من يسميه إثماً ، إن الأعوام التي تنقضي بغيره لا تساوي ساعة من ساعات الحب .

إنَّ الدم الذي يسيل في سبيله لا يُشكُّ في طهارته ، إنَّ شهيد الحب لا يحتاج إلى الغسل « إنَّ دماء الشهداء أفضل من الماء الطهور ، ويا لها من خطيئة إن كانت خطيئة) !

ويقول : (إنَّ المحبين الذين بذلوا مُهَجَهم ، وأحرقوا قلوبهم ، لا تنفذ عليهم القوانين العامة ، ولا يخضعون للنظم السائدة) .

ويضرب الروميُّ لذلك مثلاً بليغاً ، فيقول : (إنَّ القرية التي خربت لا تفرض عليها الجبايات والضرائب) .

ويقارن بين الحب البريء ، والعقل الشاطر فيقول : (إن الحب تراث أبينا آدم ، أما الدهاء فهو بضاعة الشيطان ، إن الداهية الحكيم يعتمد على نفسه وعقله ، أما الحب فتفويض وتسليم ، إن العقل سباحة قد يصل بها الإنسان إلى الشاطىء ، وقد يغرق ، وإن الحب سفينة نوح لا خوف على رُكّابها من الغرق) .

هذا ، وبحر الحياة هائجٌ ليس السباحة فيه بالخطب اليسير ، فخيرٌ للإنسان أن يأوي إلى سفينة مأمونة من الغرق ، وهي سفينة الإيمان والحب ، يقول : « لقد رأينا كثيراً ممن يحسنون السباحة قد غرقوا في هذا البحر اللُجّي ، ولكنا ما رأينا سفينة الإيمان والحب تغرق » .

ثم إنَّه يفضِّل حيرة المحبين على حكمة الحكماء الباحثين ، ويحث على الحرص عليها والتنافس فيها ، لأن الحكمة ظنٌّ وقياسٌ ، والحيرة مشاهدةٌ وعرفانٌ .

إنَّه يقول : (ليس لكل أحد أن يكون محبوباً ، لأن المحبوب يحتاج إلى صفات

www.abulhasanalinadwi.org

وفضائل ، لا يُرزقها كل إنسان ، ولكن لكل أحد أن يأخذ نصيبه في الحب وينعم به . فإذا فاتك أيها القارىء العزيز أن تكون محبوباً ، فلا يفتك يا عزيزي أن تكون مُحباً ، إنْ لم يكن من حظِّك أن تكون يوسف ، فمن يمنعك من أن تكون يعقوب ؟ وما الذي يحول بينك وبين أن تكون صادق الحب ، دائم الحنين ؟) .

ويزيد الشيخُ على ذلك : (إنَّ لذة المحب لا تعدلها صولةٌ المحبوب ، فلو عرف المحبوبون ما ينعم به العشاق المُتيَّمون ، والمحبون المخلصون ؛ لتمنوا مكانهم ، وخرجوا من صف المحبوبين السعداء إلى صف المحبين البؤساء) .

إلى من يوجَّه هذا الحب ؟ :

ولكن إلى من يوجه هذا الحب ، الذي هو نور الحياة وقيمة الإنسان ؟

(إنَّ الحب خالدٌ لا يجدر إلاّ بالخالد ، إنه لا يجمل بمن كتب له الفناء والأفول إنه حق الحيّ الذي لا يموت ، الذي يفيض الحياة على كل موجود) .

ويستدل الرومي على ذلك بقصة سيدنا إبراهيم ، ويتمثل بقوله : ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] .

(إن هذا الحب يجري من صاحبه مجرى الدم ، إن وُضع في محله وصادق أهله ؛ فإنَّه شمس لا ينتابها الأفول ، وزهرة ناضرة لا يعتريها الذبول ، عليك بهذا الحب السُّرمديِّ الذي يبقى ، ويفنى كلُّ شيء ، الذي يدور بكؤوسه التي تروي ظمأك ! عليك بهذا الحب الذي ساد به الأنبياء وحكموا ؟!) .

لا داعي إلى اليأس :

ولكن ليس للمحب الطموح أن يشكو قصوره ويحتقر نفسه ، متعلِّلاً بسمو المحبوب ، وعلو مكانته ، وغناه عن العالمين ، فما للتراب ورب الأرباب ؟! .

إنَّ المحبوب الحقيقي هو الذي يحب أن يُحب ، ويجذب إليه من انجذب : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] ، يقول مشجعاً : (لا تقل : لا سبيل إلى ذلك الملك الجليل ، فأنا عبدٌ ذليلٌ ؛ لأن الملك كريم ، يدعو عبده ويسهل له السبيل) .

ويعود فيتغنى بهذا الحب ، ويقرظه في سرور ونشوة ، ويقول :

www.abulhasanalinadwi.org

(إنه فيما يبدو للناظر على علاجها عسيرٌ ، وصاحبها في تعب وعذاب ، ولكنه إذا احتملها وثابر عليها ، وصل إلى المعرفة الحقيقية الأبدية .

إنَّ الحب منشؤه انكسار القلب ، وجرح الفؤاد ، إنه علة لا تشبهها علة ، إن علة المحب تختلف عن كل علة ، إن الحب اصطرلابُ الأسرار الإلهية) .

ثم يذكر : أنَّ هذه العلة ، وإن كانت في ذات نفسها علة ، ولكنها شفاء للأسقام النفسانية والأمراض الخلقية .

إن الأمراض التي أعيت الأطباء ، وتعذر منها الشفاء ، وقطع منها المصلحون الرجاء ، تبرأ وتزول بلفتة من هذا الحب ، فإذا برىء منها السقيم الذي يئس من صحته ، هتف في سرور وطرب : « حيَّاك الله أيها الحب المضني ! يا طبيب علتي وسقمي ! يا دواء نخوتي وكبري ! يا طبيبي النطاسي ! يا مداوي الآسي !) .

هذا ؛ لأن الحب شعلةٌ إذا التهبت أحرقت كلَّ ما سواه ، فلا كبر ، ولا خيلاء ، ولا جبن ، ولا خوف ، ولا حزن ، ولا حسد ، ولا بخل ، ولا عيب من العيوب النفسية ، إن موجة الحب تجرف الحشيش ، وتسري في النفس سريان النار في الهشيم (إن الحب شعلة تحرق كل ما سوى المحبوب) .

(إن التوحيد سيف إذا سلَّه صاحبه قطع كل ما عدا الله ، فحيّاك الله ، وحياك أيها الحب الذي لا يحتمل الشرك !) .

ويمسك الشيخُ بعد هذا النفس الطويل في مدح الحب ووصفه ، ويقول :

(إن حكاية الحب لا تنتهي ، وتفنى الدنيا ولا تنقضي عجائبه ؛ لأن الدنيا لها نهاية وغاية ، الحب وصفُ من لا يفنى ولا يموت) .

عالم القلب :

ولكن لا سبيل إلى هذا الحب إلا بالقلب الحي الفائض بالحياة والحرارة ، وقد طغت الناحيةُ العقليةُ في عصره كما قدمنا ، وتخطت حدودها ، وتضخَّمت على حساب القلب والعاطفة ، فمهما استنارت العقولُ فقد بردت القلوب وفقدت حياتها وحرارتها ، وأصبحت المعدة قطباً تدور حوله رحى الحياة .

وقد أثار الروميُّ حديث القلب ، وما له من مكانة وكرامة في حياة الإنسان ، وما

www.abulhasanalinadwi.org

تحويه من عجائب وكنوز ، وذكر : أن الإنسان يحمل في جسمه روضة ، أُكُلها دائم وربيعها قائم ، وأنه يحمل في نفسه الصغيرة عالماً أوسع من هذا العالم المادّي ، لا يخاف عليه من عدوٌ ، ولا يطرقه لصٌّ .

(إنَّ القلب بلدٌ عامرٌ مأمونٌ ، وحصنٌ محكمٌ مصونٌ ، وروضةٌ مباركةٌ لا ينفد نعيمها ، ولا ينضب معينها ، تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها) .

وذكر : أنَّ حدائق العالم لا تطول حياتها ، ولا تأمن الآفات والعاهات ، ولكن نخلة القلب دائمة النضارة والثمار (إن الحدائق تبطىء في النماء وتسرع في الفناء ، أما القلب فسريع النمو ، بطيء الزوال) . (إن روضة الجسم لا تلبث أن تصبح صريماً هشيماً ، فينادي صاحبها : واحسرتاه ! أما روضة العقل ، فلا تزال مخضرَّة مثمرة ، فينادي صاحبها : وافرحتاه !) .

فالذي يحاول أن يحافظ على صحته وشبابه ، ويبقى شاباً قوياً لا تتحقق أمنيته ، والذي يعتني بقلبه ويحسن تربيته يبقى شاب الروح ، نشيط الجسم ، قرير العين ، ناعم البال ، جذلان مسروراً ، (عليك بالقلب حتى تدوم شاباً ، تتجلَّى في وجهك الأنوار فيشرق) .

(عليك بالقلب حتى تبقى زاخر الحيوية والنضارة مثل الصهباء ، متهلِّلاً كزهرة ناضرة ووردة باسمة) .

(ولكن لا تغرَّنك كلمة (القلب) ، فليس هذه القطعة التي تخفق في صدرك ، وتتجمع فيها الشهوات والمطامع ، ليس القلب هو الذي لم يذق طعم الحب ، ولم يعرف معنى اليقين ، ولم يملك شيئاً من الشوق ، الذي لا تتفتح زهرته ، ولا يشرق ليله ، فليس هو القلب ، إنما هو قطعة من حجر أو خشب .

إنَّه ضيق مظلم مثل قلب اليهود ، لا نصيب له من حب الملك الودود ، إنه لا يشرق ولا ينير ، ولا ينشرح ولا يتسع) .

إنَّه ليس بين هذا القلب الميت وبين القلوب الحية إلاّ الاشتراك في اللفظ ، والشَّبه في الجسم ، كما أن الماء الذي يجري في العيون الصافية والأنهار الجارية يسمَّى ماءً ، والذي يختلط بالطين والوحل ويرى في المستنقعات يسمى ماءً كذلك ، ولكن الأول يروي الظمأ وينقي الثوب ، والثاني تغسل منه اليد ، هذا هو الفرق بين القلب والقلب .

www.abulhasanalinadwi.org

إن قلوب الأنبياء والأولياء لتعلو على السماء ، أما قلوب أشباه بني آدم ، فهي قلوب أشباه القلوب ، وليست بقلوب ، فإذا قلت : (قلبي) فانظر ماذا تقول ! .

(تقول : قلبي ! قلبي ! فهل تعرف : أنَّ القلب من أمانات السماء ؟ إن الحمأ لا شكَّ يحمل ماءً ، ولكنك لا ترضى أن تغسل به يدك ، لأنه إذا كان ماءً فهو ماء يغلب عليه الطين والوحل ، فلا تُسمّ ما يخفق في صدرك : القلب ، إن القلب الذي هو أعلى من السمٰوات العلى ، هو قلبُ الأنبياء والأصفياء) .

ولكنه يسلِّي قارئه ولا يريد أن يكسر قلبه ويثبِّط همته ، فيقول :

(إنَّ سلعتك التي لا يرغب فيها مشترٍ قد اشتراها الكريم تكرُّماً وتفضُّلاً ، إنه لا يرفض قلباً من القلوب ، لأنه لا يقصد به الربح) .

ثم ينصح قارئه بالانطلاق من هذا القفص الذهبي الذي يسمَّى (المعدة) والطيران في أجواء القلب الفسيحة ، والاطلاع على عجائب خلق الله ، والتنعُّم بلذة الروح ، يقول : (إنَّ المعدة وعبادة المادة هو الحجاب الصفيق بينك وبين ربك ، فإذا رفعتَ هذا الستر لم يكن بينك وبين ربِّك حجاب ، تخطَّ حدود المعدة ، وتقدَّم إلى قلبك ؛ تأتك تحياتُ الرحمن من غير حجابٍ) .

كرامة الإنسان وشرفه :

لقد تواضعت الحكومات الشخصية المستبدة ، والفلسفات الخاطئة ، والأديان المحرَّفة على الاستهانة بقيمة الإنسان ، والحطّ من قدره وشرفه .

وقد نشأ ـ بتأثير الحروب الطاحنة التي كانت لا تكاد تنقطع ، وفساد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ـ مقتٌ شديدٌ في الناس للحياة ، وتبرم من امتدادها واستمرارها ، وقنوطٌ من المستقبل ، وشعورٌ عميقٌ بالمهانة ، أو ما يسمَّى اليوم « بمركّب النقص » وأصبح الإنسان حقيراً في عينه .

وجاء بعضُ المتصوّفين العجم ، فدعوا دعوة متحمِّسة إلى الفناء ، الذي تمثله الجملة المأثورة في الأدب الصوفي « موتوا قبل أن تموتوا » وغلوا في إنكار الذات ، حتى أصبح الاعتداد بالنفس وحب الذات الذي يتوقف عليه الكفاح والحركة والنشاط جريمةً خلقيةً ، وحجرَ عثرةٍ في سبيل الكمال الروحي .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد أسرف الدعاة والمؤلفون في الحث على اكتساب الصفات الملكية ، والانسلاخ من اللوازم البشرية ، حتى أصبح الإنسان يستنكف من إنسانيته ، وأصبح يعتقد أن رقيَّه في الثورة على الإنسانية ، لا في الاحتفاظ بإنسانيته ، وأنه كلما كان أبعد من الإنسانية ، وأشبه بالملائكة كان أقرب إلى السعادة والكمال .

ونشأ ـ بتأثير هذه الأفكار والفلسفات ، وانحلال المجتمع ، وجور الحكومات ـ أدبٌ متشائمٌ ، وشعرٌ متشائمٌ ، ينظر إلى العالم وإلى الحياة بالمنظار الأسود ، يدعو إلى القرار من الحياة ، والتشاؤم من الناس ، والنقمة على الآباء في جنايتهم على ذريتهم ، كما فعل « أبو العلاء المعري » في عصره ، وكانت نتيجة هذه العوامل القوية الطبيعية أن فقد الناسُ عامةً الثقةَ بنفوسهم ، والأملَ في مستقبلهم ، والرغبةَ في حياتهم .

وأصبح الإنسان في هذا المجتمع المتبرِّم الضجر كاسفَ البال ، منكسر الخاطر ، ضعيف الإرادة ، محطَّم الأعصاب ، قد يحسد الحيوانات في حريتها ، والجمادات في سلامتها وهدوئها ، لا يعرف لنفسه قيمةً ، ولا لإنسانيته شرفاً ، ولا يعرف ذلك الجوَّ الفسيح الذي هيأه الله لطيرانه وتحليقه ، ولا يعرف تلك الكنوز البديعة ، والقوى الجبارة ، والمواهب العظيمة التي أودعها الله في باطنه ، ولا يعرف أنَّه قد خُلق ليكون (خليفة رب العالمين في هذا العالم الفسيح) ، و (وصياً عليه) ، وأن الله أخضع له هذا الكون ، وما كان سجود الملائكة لأول بشر إلا إشارة لهذا الخضوع ، فإنهم هم الذين يتصرفون في هذا الكون بأمر الله ، ويبلِّغون رسالاته ، فإذا خضعوا فقد خضع له الكونُ بالأولى .

في هذا المجتمع الثائر على الإنسانية ، الذي كفر بالإنسان وقيمته ومركزه في هذا العالم ، قام مولانا جلال الدين الرومي يمثِّل الفكرة الإسلامية الصحيحة في شعره الرنَّان ، ويثير كرامة الإنسان المطمورة في أنقاض الأدب المتشائم ، والشعر المتراجع المنهزم ، وبدأ يتغنى بكرامة الإنسان وفضل الإنسانية ، في حماسةٍ وإيمانٍ وبلاغةٍ ، حتى دبَّ في المجتمع دبيبُ الحياة ، وأصبح الإنسان يعرف شرفه وكرامته ، وترنَّح بهذا الرجز والحداء القوي (الأدب الإسلامي) كله ، وردَّده الشعراء ، وضربوا على وتره ، وانطلقت في عالم التصوف موجةٌ جديدةٌ تستحق أن تسمَّى : (الاعتزاز بالإنسانية) .

www.abulhasanalinadwi.org

يذكِّر جلال الدين الرومي قرَّاءَ شعره وتلاميذه أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ قد خص الإنسان بأحسن تقويم ، فقد قال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] ، وأنَّ هذا اللباس الفضفاض قد فصَّل على قامة الإنسان ، فلا يطابق كائناً آخر .

ويحثُّ قارئه على دراسة سورة (التّين) والتدبّر في معانيها ، وأن يحسب لكلمة ﴿ أحسن تقويم ﴾ حساباً خاصاً ، فإنها ميزة للإنسان لا يشاركه فيها غيره .

ثم يزيد على ذلك ، ويرجع إلى سورة (الإسراء) ويذكِّر بقوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] ، ويقول للقارىء : (هل وجَّه هذا الخطاب الكريم وهذا الأسلوب من التكريم إلى السمٰوات والأرض أو الجبال ؟ إنه لم يوجَّه إلاّ إلى هذا الإنسان الذي يستهين بقيمته ، ويجهل مكانته ، إن الله قد توَّجك ـ أيها الغافل ـ بتاج الكرامة ، وخصَّك بقوله : ﴿ ولقد كرمنا ﴾ ، وحلّى جيدك بالمنحة الخالصة ، فقال : ﴿ أَعْطَيْنَٰكَ ﴾ [الكوثر : ١] كلمة لم يقلها لأحد) .

إنَّه يقول : إن الإنسان خلاصة هذا الكون ، ومجموع أوصاف العالم . (يتمثل في هذا الجسم الصغير ما شئتَ في العالم من خيرات وكنوز ، وبدائع وعجائب ، إنه ذرةٌ حقيرةٌ انعكست فيها الشمس ، فإذا طلعت لم يبدُ كوكب ، إنه قطرةٌ صغيرةٌ انصبَّ فيها بحر العلم ، وثلاثة أذرع من الجسم انطوى فيها العالم) .

يقول : (إنَّ الإنسان غاية هذا الخلق ؛ لأجله خلق العالم ، وهو القطب الذي يدور حوله رحى الكون تحسده الكائناتُ ، وقد فرض الله طاعته على جميع الموجودات . إن كل ما في هذا العالم من جمال وكمال إنما خُلق لأجلك ويطوف حولك ، أنت الذي يحسده المقرَّبون ، لستَ في حاجة إلى جمال مستعار ؛ فأنت جمال الدنيا ، وواسطة العقد ، وبيت القصيد ، الإنسان جوهرٌ ، والفلك عرضٌ ، كل ما عداك فرعٌ وظلٌّ ، أنت الغرض ، إن خدمتك مفروضةٌ على جميع الكائنات ، إن عاراً على الجوهر أن يخضع لعرض) .

ولا يقتصر الردُّ على ذلك ، بل يقول : (إن الإنسان مظهرٌ لصفات الله ، وهو المرآة الصادقة التي تجلّت فيها آياته) ، ويقول : (إن الذي يتراءى في الإنسان ـ من الكمالات والمحاسن ـ عكسٌ لصفات الله ، كعكس القمر المنير في الغدير الصافي ، إن الخلق كالماء النمير ، تتجلى فيه صفات الله ، وينعكس فيه علمه وعدله ولطفه ، كما ينعكس ضوء الكوكب الدري في الماء الجاري) .

www.abulhasanalinadwi.org

ولكنَّه يشعر بقصوره وعجزه في وصف الإنسان ، وضخامة المهمة ودقَّتها ، ويعلن بصراحة وشجاعة :

(إذا صرَّحتُ بقيمةِ هذا المُمْتَنِعْ[1] احترقتُ واحترقَ المُسْتَمِعُ) .

ثم يتساءل : هل يجرؤ أحدٌ أن يساوم هذا الإنسان الغالي ، ويمنِّي نفسه بشرائه ؟ هل يجوز لهذا الإنسان أن يبيع نفسه ـ مهما تضخَّم ثمنها ـ ؟ .

ثم يندفع مخاطباً الإنسان ، ويقول في تلهُّفٍ وتوجُّعٍ ، وفي شيء من العتاب والأنفة : (يا من من عبيدُه العقلُ والحكمةُ والمقدرةُ ، كيف تبيع نفسك رخيصة ؟) .

ثم يقول : لا محلَّ للمساومة ، فقد تمَّت الصفقةُ ، وتحقَّق البيعُ : (إنَّ الله اشترانا وخلَّصنا من المساومات والمقاولات إلى آخر الأبد ، فالشيءُ لا يباع مرَّتين) .

ثم يحثُّ الإنسان على أن يعرف قيمتَه ، ولا يرضى إلا بأكرم المشترين ، ويقول : (ابحثْ لك ـ إنْ كنتَ باحثاً ـ عن مشترٍ يطلبك ويبحث عنك ، والذي منه بدايتك وإليه نهايتك) .

ويلاحظ الشاعرُ أن من بني آدم من لا يستحق هذا الوصف (أشباه الرجال ولا رجال) ، الذين هم فريسة نفوسهم ، وقتلى شهواتهم ، لا يعرفون من الإنسانية إلاَّ ما يفوق فيه الحيوان ، من الشبع والري والشبق .

ويقول بكلِّ صراحةٍ : (إنَّ هؤلاء ليسوا رجالاً ، إنما هم صُور الرجال ، هؤلاء الذين يحكم عليهم الخبز ، وقتلت الشهواتُ فيهم الإنسانية) .

وقد ندر وجودُ الإنسان الحقيقي في عصره ، كما ندر في عصر غيره ، حتى أصبح في حكم عنقاء المغرب ، والكبريت الأحمر ، وحتى اضطرَّ الباحثون أن يبحثوا عنه بمصباح (ديوجينوس) ، وقد حكى الروميُّ حكاية لطيفة في هذا الموضوع في ديوان شعره ، فقال :

(رأيتُ البارحة شيخاً يدور حول المدينة ، وقد حمل مشعلاً ، كأنه يبحث عن شيء ! فقلتُ : يا سيدي! تبحث عن ماذا ؟

---

(١) يعني به الإنسان .

www.abulhasanalinadwi.org

قال : قد مللتُ معاشرة السباع والدواب ، وضقتُ بها ذرعاً ، وخرجتُ أبحث عن إنسان عملاق ، وأسد مغوار ، لقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالى والأقزام الذين أجدهم حولي .

فقلتُ له : إنَّ الذي تبحث عنه ليس يسيرَ المنال ، وقد بحثتُ عنه طويلاً فلم أجده .

فقال : إنني مغرمٌ بالبحث عمَّن لا يوجد بسهولة ، ولا يعثر عليه في الطرقات)[1] .

فهذه كانت بعضُ نماذج من شعر مولانا جلال الدين الرُّومي ، اختارها العلاَّمة الندوي من مثنويّته وعرضها في أسلوبٍ جميلٍ ، تترجم نظرته الإيجابية إلى الإنسان ، والذي يرى فيه خلاصة هذا الكون ، ومجموع أوصاف العالم ، وهو غاية هذا الخلق ، لأجله خُلق العالمُ ، وهو القطب الذي تدور حوله رَحى الكون ، تجسيده الكائنات ، وقد فرض الله طاعته على جميع الموجودات ، ودعاه إلى الاعتراف بقيمتِه ، والاعتزاز بوجوده ، وألا يبيع نفسَه رخيصةً إلاَّ لأكرم المشترين ، وهو الله تعالت قدرتُه .

إنَّ الأثر الإيجابي لهذه الأفكار في حياة الإنسان المؤمن بالله تمتَدُّ إلى آفاق عريضة ، فشعوره أولاً بذاته وقيمة نفسه ، ثم الاعتزاز بالانتساب إلى الله ، والارتباط بكل ما في الوجود ، يجعله يحيا عزيزَ النفس ، عالي الرأس ، أبيّاً للضَّيم ، عصيّاً على الذُّلِّ والهوان ، بعيداً عن الشعور بالتفاهة والعَدَم والفراغ ، يشعره بأثره ورسالته في الحياة ، وأنه يملك شيئاً ذا قيمةٍ يمكن أن يقدِّمه للآخرين .

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : للعلاَّمة الندوي (انظر المحاضرة السادسة عشر ، بعنوان « مولانا جلال الدين الرومي . . . » (١/ ٤٠٥ ـ ٤١٦) طبعة دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

٢ـ وقفة مع محمّد إقبال

كان شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال من أعظم رجال الفكر والدعوة والأدب في هذا العصر ، فقد جمع في شخصيته بين الفكر الثاقب ، والعلم الواسع ، والقلب الواعي ، والعقيدة القوية الصادقة ، والرؤية الحضارية العميقة[١] .

وقد لا يُوجد شاعر معاصر أثَّر تأثيراً كبيراً في العلاَّمةِ الندوي كما أثَّر إقبال ، بل إن العلامة نفسه يرى أنه ما من شاعر أو أديب أو كاتب في شبه القارة الهندية إلا وقد تأثر به في قليل أو كثير ، وليس لأحد أن يدعي أنه قد تحرر من هذا الأثر ، حتى الذين كان اتجاههم غير اتجاهه أو عكس اتجاهه تماماً ، فكلّهم قد خضعوا له من حيث يشعرون ، ومن حيث لا يشعرون[٢] .

وكان العلامة قد أعجب به وأحبَّه كثيراً ، وكان من دواعي إعجابه حب الدكتور وعشقه وصلته الوثيقة المتينة بتراث الرسول الكريم ﷺ ، وديوانه (أرمغان حجاز) (هدية الحجاز) ديوان شعر يشهد على هذا الحبِّ العظيم ، وكذلك كان من حبِّه لفكر الدكتور محمد إقبال وأفكاره وتغنِّيه بالإسلام ورسالته : أنَّ العلامة الندوي كان يستشهد بأقواله وأشعاره في معظم مؤلفاته ، ويستلهم فيما يكتب من فكره وروحه ، وحبِّه للإسلام ، والدعوة القوية المجلجلة إلى التمسُّك بالإسلام ، وبالإسلام وحده ، ليس غير[٣] .

يجدر بي أن أنقل كلمةً كتبها العلاَّمةُ ـ وإنْ كانت تكرَّرت في هذا الكتاب أكثر من مرَّةٍ سابقاً ـ يقول فيها : « إنَّ أعظم ما حملني على الإعجاب بشعره هو : الطموح ، والحبُّ ، والإيمان ، وقد تجلَّى هذا المزيج الجميل في شعره وفي رسالته أعظم ممَّا

---

(١) إقبال الشاعر الثائر : للأستاذ نجيب الكيلاني ، ص(٢١ ـ ٢٢) .
(٢) نظرات في الأدب : للعلاّمة الندوي، ص (١٠٨) .
(٣) أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم المربِّي الجليل : للدكتور محمد اجتباء الندوي ، ص(١٥٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

تجلَّى في شعر معاصر ، ورأيت نفسي قد طبعت على الطموح والحبِّ والإيمان ، وهي تندفع اندفاعاً قوياً إلى كل أدب ورسالة يبعثان الطموح وسموَّ النفس ، ويُعْد النظر والحرص على سيادة الإسلام وتسخير هذا الكون لصالحه ، والسيطرة على النفس والآفاق ، ويغذِّيان الحبَّ والعاطفة ، ويبعثان الإيمان بالله والإيمان بمحمد ﷺ ، وبعبقرية سيرته ، وخلود رسالته ، وعموم إمامته للأجيال البشرية كلها »[1] .

وكان يرى العلاَّمةُ : أنه ما نال شاعر أوربي في اللغات الحية مثل اللغة الإنجليزية ، والألمانية ، والفرنسية ، والفارسية ، والعربية مثل هذا الاهتمام سواء في سيرته أو شاعريته أو مدرسته الفكرية كما نال إقبال ، لا شكسبير (Shakespeare) ولا ميلتون (Milton) ، والسبب في ذلك راجع إلى قوَّة شخصيته أولاً ، وقوة العقيدة ثانياً ، وقوة العاطفة ثالثاً[2] .

ويحلِّل العلاَّمةُ الندوي هذه العناصر التي منحت القوة والجاذبية والجمال لأدب إقبال ، فيرى : أنها في قوة العقيدة عنده ، وهي إيمانه العميق بصلاحية الإسلام للخلود ، وأنَّه هو الرسالة الخاتمة المختارة التي تملك إنقاذ الإنسان من براثن الجاهلية ، وعبادة الإنسان ، وعبادة الشهوات والأوثان ، ثم في إعجابه القوي بشخصية الرسول ﷺ الفلسفية الواسعة العميقة من التعبير الوجداني المتلفِّق عن حبه ومبادئه وآماله .

● نظرة إقبال إلى الشعر والأدب :

كان إقبال يعتقد : أن الأدب لا يصل إلى حدِّ الإعجاز حتى يستمد حياته وقوَّته من أعماق القلب ، فغاية الأدب أن يبعث في الذات القوَّة ، ويثير فيها الجرأة والعشق والنزوع إلى عالم الروح ، ويفيض على المجتمع الحياةَ والحماسَ وقد قال : « لا خير في نشيد شاعر ، ولا في صوت مغن إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماس ، ولا خير في أدب ولا شعر إذا تجرَّدا عن تأثير عصا موسى »[3] .

---

(١) روائع إقبال : للعلامة الندوي ، ص(١٢ ـ ١٣) .
(٢) نظرات في الأدب : ص(١٠٨) .
(٣) روائع إقبال : ص(٦٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان إقبال ينفر بطبعه من الأدب والفن ؛ الذي تكون غايته الأولى المتعةُ والتسليةُ وقتلُ الوقت ، يقول[1] :

الـدِّيـنُ والفـنُّ والتـدبيـرُ والخطـبُ والشعـرُ والنثـرُ والتحـريـرُ والكتـبُ
إنْ تحفظ (الذات) هذي فالحياةُ بها أو لم تُطِقْ ذاك فهي السحرُ والكذبُ

وكان يعتقد اعتقاداً جازماً : أنَّ الفنَّ وسيلة لفهم حقائق الحياة ، وهو رسالة عظيمة في الحياة . يقول[2] :

الشعرُ فيه مِن الحياة رسالةٌ أبـديـةٌ لا تقبـل التبـديـلا
إنْ كان مِن جبريل فيه نغمةٌ أو كـان فيـه نفـح إسـرافيـلا

وكان يرى العلامةُ الندوي : أن نظرة إقبال هذه إلى الشعر والأدب كانت في الحقيقة ثورةً في تاريخ الأدب وفي تاريخ الشعر ، وذلك بما أحدثه من تأثير عميق في الأدب الحديث ، وبما قام به من تأثير في بلورة مدرسة جديدة في الشعر والأدب في شبه القارة الهندية[3] .

● الرؤية الحضارية في شعره :

كان إقبال ـ كما ذكر سابقاً ـ يؤمن إيماناً عميقاً بصلاحية الإسلام للخلود ، وبقدرته على حلِّ مشكلات الإنسانية ، وقد انعكست هذه الرؤيةُ الواضحةُ في شعره ، يقول[4] :

كـم أصـابَ الإنسـانُ فـي هـذه الأرض مِن إسكندر ومِن جَنْكِيْز
ويقـول التـاريـخُ فـي كـلِّ عصـرٍ خطـرٌ فـرطٌ قـوَّة لعـزيـز
وهي سَمٌّ بغير دين ، وبالدِّين دواءٌ لكـلِّ سَـمٌّ نجيـز

وعن هذه الرؤية الواضحة يقول العلاَّمةُ الندوي : « إنَّ محمد إقبال له فضلٌ كبيرٌ في أنه استخدم شاعريته الموهوبة السليقية لصالح الإنسانية ، واستخدمها لصالح

---

(١) إقبال الشاعر الثائر : ص(٧٩) .
(٢) المرجع السابق : ص(٨٣) .
(٣) نظرات في الأدب : ص(١٠٦) .
(٤) إقبال الشاعر الثائر : ص(١٢٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام ، إنه كان يستطيع أن يتصدَّر دست الأدباء والشعراء فيسلمون له الزعامة والرئاسة ، وقد نال ذلك كثيرٌ من إخوانه المعاصرين ، ولكنه أبى إلا أن يستخدم كلَّ شاعريته ، وكل مواهبه الشعرية والأدبية لخدمة الإسلام والإنسانية ، فأعاد بذلك الإيمان والثقة بالإسلام والحب للرسول ﷺ »[1] .

وكان إقبالُ يعتقد : أن البعث الإسلامي القادم سيكون على أيدي المسلمين المؤمنين بمبادئهم وقِيَمِهم ، العاملين في ميادين الحضارة والعلم والكفاح بهمة وعزم ونشاط .

ولقد كان إقبال كما يرى العلاَّمةُ الندوي النموذجَ الطيب لقيادة حركة البعث الإسلامي بشعره الإسلامي البليغ ، ورؤيته الحضارية الواضحة ، وهو النموذج الذي ينبغي أن يرزق العالم العربي بمثله للقيام بدور القيادة والثورة في عالم الأدب والشعر .

---

(١) نظرات في الأدب : ص(١١٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

ب ـ في النثر

تجلَّى الإبداعُ النقديُّ عند العلاّمة الندوي في اكتشافه لصفحات مشرقة رائعة من النثر في الإبداع العربي ، هذه الصفحات التي غفل عنها النقادُ ودارسو الأدب لقصور نظرتهم ، وضيق فهمهم ، وذلك بعنايتهم بالأدب الصناعي المنمق الموجود في دواوين الشعراء وكتب الرسائل والمقامات وغيرها من أنواع الأدب الذي يتخذ في الغالب صناعة وحرفة .

وقد استعرض العلامةُ مكتبةَ الأدب العربي من جديد ، فلاحظ : أنَّ هناك نوعاً من الأدب النثري الطبعي الجميل لم يحظ بدراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم مثل ما حظي به الأدب الصناعي ، مع أنه يملك خصائص كثيرة منها : الكثرة ، وفضل السبق ، وعبقرية اللغة العربية وأسرارها ، والبُعد عن الصناعة والتكلف[1] . ويتجسَّد هذا الأدب على وجه الخصوص في كتب الحديث والسيرة ، وفي بعض الكتب العلمية والدينية ، وفي كتب الطبقات والتراجم والرحلات .

وكان يرى العلامةُ : أن هذا الأدب ثورة أدبية زاخرة تكاد تكون ضائعة[2] ، وذلك بما يمتاز به هذا الأدب من خصائص فكرية وجمالية تفتق القريحة ، وتنشِّط الذهن ، وتقوِّي الذوق السليم ، وتعلِّم الكتابة الحقيقية .

والسِّرُّ في فضل هذه الكتابات العلمية والدينية وقوَّتها وجمالها ليس في التحرر من الصناعة والتكلف فحسب ، بل في كونها كُتبت عن التزام وإيمان بالعقيدة ، وعن عاطفة متدفِّقة بالحماس والعزم . لقد كان هؤلاء الكتَّاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرةٌ أو عقيدةٌ يكتبون لأنفسهم لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين منبعثين ، فتشتعل مواهبهم وتفيض خواطرهم وتتحرَّق قلوبهم ، فتنهال عليهم المعاني وتطاوعهم

---

(١) نظرات في الأدب : ص(١١٢) .
(٢) المرجع السابق : ص(٣٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

الألفاظُ ، وتؤثِّر كتاباتهم في نفوس قرائها ؛ لأنها خرجت من القلب فلا تستقر إلا في القلب[1] .

فقام العلامة الندوي بإخراج هذه النصوص المختارة من بطون المصادر الأدبية القديمة والحديثة ، واختار قطعاً أدبية بديعة ، وعبارات رائعة من الكتب والمؤلَّفات التي كان الكتَّاب والأدباء لا يلتفتون إليها ظنّاً منهم بأنها من أقلام المفكِّرين ، والمفسِّرين والمحدِّثين والدعاة والمصلحين ، وهم لا يعدُّون من الأدباء ، ولا يعتبرون من هذه الطبقة الأدبية الممتازة ، التي تحصر الشعر والأدب في عصبتها وفرقتها وطائفتها ، ولو كان أولئك أبلغ وأفصح وأكثر تأثيراً وروعة وجمالاً وسحراً بكتاباتهم وكلماتهم وأحاديثهم[2] ! .

وجاءت مختاراته هذه بعنوان « مختارات من أدب العرب » في مجلَّدين ، وعُدَّ الكتابُ من أجود الكتب المختارة ، والنصوص الأدبية المنتخبة للمقرَّرات الدراسية في العصر الحاضر .

وقد أشار إلى هذا الكتاب أديب العربية الكبير الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله ، فقال :

« ولقد كنتُ أتمنَّى من قديم أن نخرج بتلاميذنا من هذا السجن الضيق المظلم الذي حشرناهم فيه إلى فضاء الحرية ، وإلى ضياء النهار ، فلا نقتصر في الاختيار ، على (وصف الكتاب) للجاحظ، وهو جمل مترادفة لا تؤلِّف بينها فكرة جامعة، ولا يمدُّها روح ، ولا تخالطها حياة ، وعلى ألاعيب ابن العميد ، وغلاظات الصاحب ، وهندسات القاضي الفاضل ، فننفِّر التلاميذ من الأدب ، ونكرِّهه إليهم !! .

وكنا نقول لهم : إنَّ البيان الحق عند غير هؤلاء ، وإنَّ أبا حيَّان التوحيدي أكتب من الجاحظ، وإن كان الجاحظ أوسع رواية وأكثر علماً ، وأشد تصرفاً في فنون القول، وأكبر أستاذية ، وإنَّ الحسن البصري أبلغ منهما ، وإنَّ ابن السماك أبلغ من الحسن البصري ، وإنَّ النظر فيما كتب الغزالي في « الإحياء » ، وابن خلدون في « المقدِّمة » ، وابن الجوزي في « الصيد » ، وابن هشام في « السيرة » ، بل والشافعي في « الأم » ،

---

(١) نظرات في الأدب : ص(٣٢) .

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم ، المربي الجليل : ص(١٤٦ ـ ١٤٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

والسَّرَخْسِي في « المبسوط » أجدى على التلميذ وأنفع له في التأدُّب من قراءة حماقات الصاحب ومخرقات الحريري وابن الأثير .

وكتبتُ في ذلك مراراً ، فما التفت إلى ذلك أحد ، فيئست منه ، حتى وجدت كتاب أبي الحسن ، فإذا هو قد نفض كتب الأدب والتاريخ نفضاً وحرثها حرثاً ، فاستخرج جواهرها ، فأودعها كتابه »[1] .

فقدَّم العلاَّمة الندوي أدلة تطبيقية كثيرة على رأيه في كتابه « مختارات من أدب العرب » وغيره في كتب أخرى ، وذكر نصوصاً من كتب الحديث والسيرة والتاريخ والمعاجم ، ثم يقف منها وقفات نقدية دقيقة ؛ ليكشف عن أسرار الجمال والإبداع فيها في ميزان الرؤية الإسلامية في الأدب والفن[2] [3] .

وقد قام العلاَّمةُ بمراجعات نقدية رائعة لأدب التراجم والتقديمات وأدب الرحلات ـ كما مرَّ معنا في الصفحات السابقة ـ ، أضافت الكثير من العناصر التأصيلية إلى النقد الإسلامي ، الذي يسعى إلى بلورة نظرية متكاملة في النقد تقف في وجه النظريات الغربية الوافدة .

* * *

(١) المسلمون في الهند : للعلامة الندوي ، مقدمة الشيخ الطنطاوي ، ص(١٧ ـ ١٨) .

(٢) انظر هذه النصوص ، ووقفاته النقدية الدقيقة في هذا الباب ، بعنوان « نظرة جديدة إلى . . . . » ص(٥٧٩) .

(٣) مجلة « ثقافة الهند » (العدد الممتاز عن العلامة الندوي) من مقال الأستاذ عبد القادر بن عيسى باطاهر ، ص(٢٥٦ ـ ٢٥٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

عنايةُ العلاَّمة الندوي
بأدب الأطفال والناشئين

قدَّم العلامة أبو الحسن الندوي للطفل المسلم تراثاً تاريخياً عظيماً خالداً أعاد بريقه ، ولمَّع جوانبه ، تحدَّث فيه عن أمجاد أمَّتنا الإسلامية ، وسموّ أخلاقها بأسلوب الداعية الصادق الذي تتدفَّق منه كلمات الدعوة ملتهبةً تحمل صدق العاطفة وسموّ الروح ، والذي كان لسانه رطباً بالدعوة إلى الله ، وعزيمته صلبة متمسكة بعُرى الإيمان الوثقى .

التفت العلاَّمةُ الندوي إلى العناية بالطفولة والكتابة للأطفال والناشئين ، بوصفهم رجال الغد وصنَّاع تاريخ الأمم والملل ، وهو في عنفوان شبابه ، وكتب مجموعة من قصص النبيين للأطفال بلغتهم ، في أسلوب سلس فريد ، وطريقة شائقة مضمناً إياها ما يجب من المعاني والقيم ، ومن الدروس والعبر ، ومن العقائد والمثل ،حتى قال أحد كبار علماء الهند[1] : إنها (علم توحيد) جديد للأطفال ، وأثنى عليها أديبٌ كبيرٌ كسيِّد قطب ـ مارس هذا العملَ ـ أيضاً في تقديمه لـ (قصص النبيين) بهذه الألفاظ .

« لقد قرأتُ الكثير من كتب الأطفال ـ بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام ـ وشاركتُ في تاليف مجموعة : « القصص الديني للأطفال » في مصر ، مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم ، ولكني أشهد في غير مجاملة : أنَّ عمل السيد أبي الحسن في هذه القصص التي بين يدي جاء أكمل من هذا كله ، وذلك بما احتوى من توجيهات رقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها ، ومن تعليقات

---

(١) وهو الشيخ عبد الماجدالدَّرْيَابَادِي، كان من كبار علماء الهند وأدبائها العمالقة في الأردوية والإنكليزية، صاحب مؤلفات كثيرة في اللغتين (الأردوية والإنجليزية)، انظر ترجمته في الباب السادس ، الفصل الأول ، ص(٨٩١).

www.abulhasanalinadwi.org

داخلة في ثنايا القصة ، ولكنها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر ، حين تستقرّ في قلوب الصغار أو الكبار .

جزى الله السيد أبا الحسن خيراً ، وزاده توفيقاً ، وهدى به الأجيال الناشئة التي تحيط بها العواصفُ والأعاصيرُ ، وتنتشر في طريقها الأشواك ، وتدلهمُّ من حولها الظلمات ، وتحتاج إلى الهدى والنور والرعاية ، والإخلاص في حياطتها ورعايتها ، ومن الله التوفيق »[1] .

ثمَّ وفَّق الله العلامةَ الندوي لاختيار حكايات في عهد شبابه وأول عهده بتعليم الأطفال العربية في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، فاختار من حكايات الصحابة قصصاً صاغها في لغة سهلة وطريقة شائقة تكوَّن منها كتاب (قصص من التاريخ الإسلامي) للأطفال .

كَتَبَ العلاَّمةُ بحثاً قيّماً عن أهمية أدب الأطفال والحاجة إليها في مقدّمة هذا الكتاب ، والتي تجدر بالنقل هنا برمتها ، يقول ـ رحمه الله ـ :

« فقد اتفق علماءُ التربية وعلماء النفس على أنّ الحكايات الخفيفة الشائقة ، الموجَّهة الهادفة من أقوى وسائل التربية والصياغة الخلقية والمبدئية ، والدينية والإيمانية ؛ إذا كانتْ متّصلةً بأقطاب الإيمان واليقين ، والديانات والرسالات .

وإذا كانت هذه القصصُ والحكاياتُ على مستوى عقول الأحداث والأطفال ، وفي اللغة التي يفهمونها بسهولةٍ ، ويسيغونها ويتذوّقونها ؛ كانت مدرسةً للأطفال يتعلّمون فيها المبادىء والأخلاق الفاضلة ، والدوافع النبيلةَ ، والمشاعر الكريمة الرقيقة ، مِنْ غير أن تثقل عليهم ، ومن غير سآمةٍ ومَلَلٍ .

ولا أبلغ ولا أصدق من قول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . . . ﴾ [يوسف : ١١١] .

ويقول مخاطباً لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

ويقول في مفتتح سورة يوسف : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] .

---

(١) قصص النبيين : (انظر مقدمته) .

www.abulhasanalinadwi.org

لذلك عُنيت أكثرُ اللغات والآداب ، والديانات والبيئات ، والمعنيون بتربية الأطفال ، وإنشاء الجيل الجديد بالأخلاق الفاضلة ، وخلال المروءة ، والفتوّة ، والإيثار والتضحية ، والرّجولة والبطولة بجمع حكايات شائقة مُثيرة تلائم سنَّ الأطفال وعقليتهم ، ومدى قدرتهم على الوعي والتذوق ، حتى تكوَّنت من ذلك مكتبةٌ زاخرةٌ في كلّ لغة حيّة راقية ، وفي كل بيئة عاقلة واعية ، تعنى بتربية الأطفال ، وإنشاء الناشئة ، والجيل الجديد على حبّ أهدافها ومُثُلها ، وقِيَمها الّتي تحتاج إليها وتغار عليها ، قلَّما تستثنى من ذلك لغةٌ من لغات العالم المتمدّن ، وشعبٌ من الشعوب العاقلة المثقَّفة .

والناشئة الإسلامية ، والأطفال المسلمون أحوج من كلّ ناشئة وجيل في سنّ الحداثة إلى قصص وحكايات تغرسُ فيهم حبَّ الخير والفضيلة ، والبطولة والتضحية ، والجهاد والشهادة في سبيل الله ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، والعزوف على سفاسف الأمور وفضول الحياة ، والحبّ لله وللرسول ، ولأصحابه وأتباعه ، والذيـن بذلوا نفسَهم ونفيسَهم في سبيل الله ، وحموا الدين ودافعوا عن المسلمين ، لأنّ سعادة الدنيا ، وفلاح البشر يتوقّف على نشوئهم النشأة الصـالحة ، وتضلُّعهم بروح الدعوة إلى الله ، والكفاح في سبيل الله ، والتحلي بالحياة المثالية النموذجية .

والتاريخُ الإسلاميُّ من أغنى الثروات التاريخية والمكتبات العالمية في روائع إيمانية وخُلقية ومُثُل إنسانية رفيعة ، باعثة على الهمم العالية ، والاتجاهات والمطامح الخيرة النبيلة ، وكُتب التاريخ الموثوق بها مليئةٌ طافحةٌ بمثل هذه الحكايات والقصص ، والمُثُل والنماذج ، ولكن الأقلام المسلمة ، والمؤسَّسات التربوية ، ودور النشر في العالم الإسلامي ـ نقول هذا مع أسفٍ واعتذارٍ ـ لم تُعطِ هذا الجانبَ المهمَّ ، حقَّه من العناية والجمع والتأليف ، فلا يزال أطفال المسلمين ومَن كان في سنّ حداثةٍ ، يعيشون في قلَّةٍ ونُدرةٍ ، إذا لم نَقلْ في فقرٍ وعَوَزٍ ، من هذا الصنف ، من كتب صغيرة تستجمع هذه الحكايات والملتقطات من كتب التاريخ الضخمة ، وتكون مكتبةً للأطفال المسلمين ، تسهُلُ الاستفادة منها ، وتقوى الرغبةُ فيها ، ويدومُ أثرُها في نفوس الأطفال والنشء الحديث »[1] .

---

(١) قصص من التاريخ الإسلامي : للعلامة الندوي ، ص(٥ ـ ٩) طبعة دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

أهداف العلامة الندوي في كتبه للأطفال والنّاشئين

نتحدَّثُ في هذا القسم عن أهداف العلامة الندوي فيما كتبه للطفل المسلم وفكره الأدبي ، والذي يحتوي على ستة مباحث ، وهي : اللغة ، والدعوة ، والتربية الإسلامية ، والجانب الفكري والنفسي ، والثقافة الإسلامية ، والتي تُبرز عدَّة نواحٍ في الفكر واللغة والتربية ، وتهمّ أدب الطفل من خلال دراسة الباحث المتأنية لكتب العلاّمة الندوي فيها ، نتناول هنا كلاً من هذه الأهداف بشيء من التفصيل في ضوء مؤلفاته وكتبه ، فمنها أوّلاً :

١ ـ اللُّغة :

يظهر اهتمامُ العلاّمة الندوي في اللغة من خلال الأمور التالية :

١ ـ الدعوة إلى الاهتمام باللغة العربية عند الطفل المسلم : هذا واضحٌ في كل قصصه وحكاياته عن التاريخ الإسلامي تراهُ في جمله المتينة ، وألفاظه السهلة ، ومعانيه العذبة بما يتناسب وروح النص في سياق حديثه عن أي موضوع ؛ أمَّا الألفاظ فسهلة تراها بعيدةً كل البُعد عن الألفاظ الغريبة ، وأما المعاني فعذبة ، لأنها خصبةٌ بالروح الإسلامية ، وأما الجمل فمتينة وترابطها يدل على متانتها ، حتى تكاد أن تكون قصصه موسوعةَ طفلٍ غنيةً بمفردات اللغة العربية لمفردات (وفدٍ) و (دعوة) و (رؤيا) و(عناد) .

وهي سِمةٌ أصيلة في منهج العلامة الندوي .

٢ ـ البُعد عن الخيال الوهمي في أدبه مع الطفل : ولا شكَّ في هذا ؛ لأنه يروي تاريخاً ، لا سيما أن التاريخ الإسلامي هو حقائق ثابتة سجَّلها القرآن الكريم والسنة النبوية ، ودوّنتها انتصارات المسلمين الرائعة على مرِّ الأيام ، فقصص الأنبياء كقصة إبراهيم ، وموسى ، ومحمد ، عليهم الصلاة والسلام ، هي حقائق ثابتة ذكرها القرآن ، لا يمحوها زيف زائف أو عبث عابث ، فالأدب الذي يكتبه العلاَّمةُ الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

للطفل هو الأدب المسلم ، إذ يتَّسم بالحقيقة والثبات ، وهذه سمةٌ بارزةٌ في أدب العلامة الندوي .

٣ ـ **استخدامُ الأساليب اللغوية في أدبه مع الطفل** : فتراه يستخدم صيغ الاستفهام أسلوباً عندما يرغب في البرهنة على صحة كلامه أو عند تقرير أمرٍ ما ، وهذا الأسلوب يفيد عدةَ معانٍ ؛ منها الاستنكار ، كقوله : « وقال للأصنام : ألا تتكلمون؟ ألا تسمعون ؟ »[١] .

ومنها التقرير ، كقوله : « ألا يستحق أهلُ السجن الرحمة ؟ أليس أهلُ السجن عباد الله ؟ »[٢] .

ـ كما أنه يستخدم أسلوبَ الحوار حينما تكون الأحداث بحاجة ماسَّة إلى هذا الأسلوب ، فالحوار يضفي على النص روحاً وحماسة تستنشط همة القارىء ، وتدفعه إلى إتمام القراءة ، وتبيِّن طريقه للتعامل مع الناس في الكلام والمناقشة ، والحوار أسلوب هام في الدعوة ، وهذا ما أكده العلاَّمةُ الندوي ، نذكر منها موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام من المَلك .

والأسلوب التكراري للجمل والمفردات هو أيضاً من الأساليب التي استخدمها العلامةُ في أدب الأطفال ، فالتكرار يثبت في ذهن القارىء ، المعاني التي يريدها ويبين أهميتها ، فيوفي الفكرة حقها ، ويشبع جوانبها ، وخير مثال على ذلك ما يلي :

« وكان آزر له ولدٌ رشيدٌ ، رشيد جداً ، وكان اسم هذا الولد إبراهيم ، وكان إبراهيم يرى الناسَ يسجدون للأصنام ، ويرى الناسَ يعبدون الأصنام ، وكان إبراهيم يعرف أن الأصنام حجارة »[٣] .

٤ ـ **التركيزُ على الحدث الماضي** : لجأ العلاَّمة الندوي إلى الماضي ، وقدَّم قصصه بأسلوب عصري يتناسب مع الطفل المسلم ، ويبدأ العلاَّمةُ كل قصة من قصصه بالفعل الماضي ، ومن الأمثلة على ذلك :

---

(١) قصص النبيين : ص(١٢).
(٢) المرجع السابق : ص(٤٣).
(٣) المرجع السابق : ص(١٠).

www.abulhasanalinadwi.org

« كان يوسف ولداً صغيراً ، وكان له أحدَ عشرَ أخاً »[1] .

« وجاء على عرش مصر ملك جبار جداً »[2] .

فالأطفال عادةً يحبون سماع قصص الماضي لأنهم يجدون بها ذوقاً رفيعاً وحلاوةً عجيبةً ، لأن الحديث عن الوقائع في الزمان الماضي أسهل من الحديث عن الوقائع في الزمن الحاضر ، لأن هناك صعوباتٌ تحول دون الحديث عن الوقائع الحاضرة .

٢ ـ الدعوة :

كان يعتبر العلامةُ الندوي الدَّعوةَ عنده هدفاً رئيساً من أهداف أدب الأطفال ، ويبدو هذا من خلال استعراضه الفعلي لآداب وأساليب وأسرار الدعوة ، فيحسُّ الطفلُ وهو يقرأ بأن الأفكار والمعاني أحياءً تتحرَّك على الأرض ، ويكشف العلامةُ للطفل المسلم عن آداب الدعوة الإسلامية التي يحتاجها الداعيةُ في كل زمان ومكان وعصر ومصر ، ويظهر ذلك من خلال فهمه الرائع لمفردات القرآن ومعانيه ، وآياته المتناسقة ، فيؤكِّد : أن هذه الآداب هي سلعة الدعوة التي يهبها للنَّاس على اختلاف عقائدهم وتصوّراتهم عن الحياة ، وهذه الآداب التي يكشف عنها تتبيَّن من خلال النماذج العظيمة من دعوة الأنبياء الصالحين التي وردت في القرآن العظيم ، أو من خلال النماذج الكريمة من دعوة الصحابة والتابعين والفاتحين من أبطال المسلمين ، التي سطرتها صفحاتُ تاريخنا الإسلامي المجيد .

تتكشَّفُ آداب الدعوة عند العلامة الندوي من خلال النماذج الطاهرة من دعوة الأنبياء والصالحين التي وردت في القرآن الكريم ، نذكر منها :

أ ـ نموذج من دعوة إبراهيم عليه السلام :

يقول الله تعالى : « ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ ﴾ [مريم : ٤٢] ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ [مريم : ٤٤] إنَّ كلمة « يا أبت » فيها إثارة للحنان الأبَوِي[3] ، وهذا

---

(١) قصص النبيين : ص(٣٠) .

(٢) المرجع السابق : ص(١٤٣) .

(٣) روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة : للعلامة الندوي ، ص(٢٠) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

أدبٌ عظيمٌ مع الوالدين يعرضه العلاَّمةُ للأطفال ، فدعوة الوالدين تحتاج إلى إثارة العاطفة والشفقة والرأفة .

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ [مريم : ٤٤] وغضب والدُ إبراهيم وقال : أنا أضربك ، فاتركني ولا تقل شيئاً ، وكان إبراهيم حليماً » .

ب ـ نموذج من دعوة سيدنا يوسف عليه السلام :

يقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف : ٣٧ ـ ٣٩] . هذه الآياتُ تعرض نموذجاً من دعوة يوسف عليه السلام ، قام العلاَّمةُ الندوي بتجزئتها والتعليق عليها ، ، حيث أكَّد : أن الحكمة هي مفتاح الدعوة ، ومن الحكمة في الدعوة حسن افتتاح الحديث[1] فيطمئن سيدنا يوسف صاحبيه في السجن ليمهِّد بعد ذلك الجو المناسب للدعوة، فيقول لهما : ﴿ ذلكما مما علمني ربي ﴾ فجلسا واطمأنّا ثم قال لهما يوسف : (أنا عالمٌ بتأويل الرؤيا ، ذلك مما علمني ربي) ففرحا واطمأنا وهنا وجد يوسف الفرصةَ فبدأ موعظته » .

ثم يشرح لهما دعوته بعد أن اطمأنّ منهما وهيّأا قلوبهما :

﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف : ٣٩] أين ربُّ البر ، وربُّ البحر ، وربُّ الرزق ، وربُّ المطر ؟ »[2] .

وكذلك لو قدّم هذا قبل ذلك الكلام ، لكان ثقيلاً على آذانهما وعلى قلوبهما[3] . وهناك شَعَرَ سيدنا يوسف بأن الفراغ الذي وجد في قلوبهم قد مليء ، وليس من الحكمة الآن أن يطيل الكلام ، ويتوسَّع في الحديث عن التوحيد ، والطبيب النطاسي يعرف مقدار الوجبة من الدواء ، ومدى صلاحية المريض وحاجته ، فلا يزيد عليها ، إنها طريقة الداعي الملهم »[4] .

---

(١) روائع من أدب الدعوة : ص(٣٨) .
(٢) قصص النبيين : ص (٤٤ ـ ٤٥) .
(٣) روائع من أدب الدعوة : ص(٤٣) .
(٤) المرجع السابق : ص(٤٤ ـ ٤٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

« ولمَّا فرغ يوسف من موعظته أخبرهما بتأويل الرؤيا »[1] .

ج ـ نموذج من دعوة سيدنا محمد ﷺ :

يعرض العلاَّمةُ الندوي هذا النموذج في باب خاص تحت عنوان : « الدعوة جهاراً على جبل الصفا » ، فيوضح للطفل : أن النداء أسلوب من أساليب الحماسة في الدعوة ، يستثير همم الرجال ويستقطب أنظارهم وعقولهم ، ومثال ذلك ما أورده العلامةُ الندوي قائلاً : « فخرج ﷺ وصعد على جبل « الصفا » ونادى بأعلى صوته : « يا صباحاه ! » وكانت صيحة معروفة مألوفة ، كلما أحس إنسانٌ بخطر عدو ، يُغير على بلد ، أو على قبيلة ، على غفلة منها نادى « يا صباحاه ! » فلم تتأخر قريش في تلبية هذا النداء »[2] . كما يوضِّح للطفل : أن الصدق أساس الدعوة ، وأن الرجل الصادق هو الرجل الداعية ، يقول العلامةُ الندوي : « كان العرب واقعيِّين عمليِّين ، إنهم رأوا رجلاً جرَّبوا عليه الصدق والأمانة والنصيحة ، فهداهم ذكاؤهم وإنصافهم إلى تصديق هذا المُخبر الأمين الصادق »[3] .

إلى جانب ذلك يوضِّح العلامةُ الندوي للطفل المسلم : أنَّ الداعية سيجد المعارضة والمقاومة حتى من أقرب الناس إليه ، لأن دعوة الحق ثقيلةٌ على النفوس ، تعني الاستعلاء على كل ضغوط شهوات الحياة الدنيا ، وقد أكده النَّدوي بقوله : فسكت الناس ، ولكن أبا لهب قال : « تباً لك سائر اليوم ، أما دعوتنا إلاَّ لهذا ؟! »[4] .

وتتكشَّف نماذجُ الدعوة إلى الله في كُتب العلامة الندوي من خلال النماذج الذكية من دعوة الصحابة والتابعين والفاتحين المُسلمين التي سجَّلها تاريخنا الإسلامي ، نذكر منها بعضَ من تلك النماذج مقتبساً من كُتب العلامة :

أ ـ نموذج من دعوة جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة :

هذا النموذجُ لوحةٌ رائعةٌ بالغةٌ روعتها في دقة الوصف وحسن الجمال ، فالعلاَّمةُ الندوي يكتب كلامَ جعفر بن أبي طالب بالكامل ، ويضع لكلام جعفر أمام النجاشي

---

(١) قصص النبيين : ص(٤٧) .
(٢) سيرة خاتم النبيين : للعلامة الندوي ، ص (٥٢ ـ ٥٣) .
(٣) المرجع السابق : ص (٥٣ ـ ٥٤) .
(٤) المرجع السابق : ص(٥٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

عنواناً رائعاً يطلق عليه اسم : « تصوير جعفر بن أبي طالب للجاهلية وتعريفه بالإسلام » .

ثم يبيِّن مسعى الكافرين بقوله : « خيبة وفد قريش » فالعلامةُ الندوي في هذا النموذج يبيِّن كيفية الدعوة في بلاط الملوك والسلاطين قائلاً : « يقول أصحاب السِّير ، سمع النجاشي كل ذلك في هدوء ووقار ، ولعلَّ ما أبداه جعفر من الثقة بعدله ، وحُسن جواره كان عوناً على ذلك ، والملوك العقلاء يحرصون دائماً على حسن الصِّيت ، وطيب القالة ، وتحقيق حسن الظنِّ بهم »[1] .

ولعلَّ مقصد العلامةِ الندوي من إيراد هذا الخطاب كاملاً هو بيان ظلم الجاهلية ، ونظافة الإسلام ، وتقرير ذلك في نفس الطفل وقلبه وعقله ، وكأن لسان حال العلاَّمةِ يقول : تعالوا انظروا ! هذا ظلم الجاهلية ، وهذه عدالة الإسلام وطهارته .

كما يبيِّن العلاَّمة الندوي للطفل من هو عيسى ابن مريم الذي يؤلِّهه النصارى ويعبدونه ؟ يوضِّح ذلك من خلال كلام جعفر للنجاشي هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . ولا شكَّ أن هذا تمرينٌ للطفل المسلم ، صاحب العقيدة الصلبة ، والنبع الصافي ، يعلم فيه الطفل على كيفية الرد على النصرانية عقيدة الصليب والشرك والكفر والطغيان .

ب ـ نموذج من جواب ، كان السبب في إسلام مئات الألوف من الناس : هذه القصة تروي حكايةً لحوارٍ لطيفٍ بين الملك التتري تَغْلَقْ تَيْمُور وبين الشيخ جمال الدين الفارسي ، تمخَّض عن الحوار بينهما باقتناع الأمير بالإسلام ، وقد أسلم على يد هذا الملك ـ بعد تسليمه الحكم ـ الأمراءُ كلهم ، ودخل التتار المتوحِّشون في الإسلام ، واعتنقوه وأصبحوا قادة فتح إسلامي بعد أن كانوا دماراً للإسلام والمسلمين ، ويبيِّن العلامةُ في هذه القصة أسلوب الداعية للشيخ الفارسي ؛ في الحوار الذي كان سببَ إسلام الملك التتري[2] .

فاستعراض العلامة الندوي للنماذج الحيَّة من دعوة الأنبياء والصالحين ؛ هي دعوةٌ للأطفال المسلمين أن يصبحوا دعاة الله في الأرض ، ففي هذه النماذج من تلك

---

(١) روائع من أدب الدعوة : ص(١٠٩) .
(٢) قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال : للعلامة الندوي ، ص(٨٠ ـ ٨٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

الدعوات للمرحلة الإعدادية للطفل كداعية ؛ إذ تؤسَّس فيه عمل الدعوة ، وتحرِّك فيه دوافعها ، فالنماذج التي تحدَّث عنها الباحث من دعوة سيدنا إبراهيم ، ويوسف ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وجعفر ابن أبي طالب هي لوحاتٌ رائعةٌ للأطفال في حقل الدعوة ، ودعوةٌ فريدةٌ لأطفالنا المسلمين في الالتحاق بقافلة الدعاة إلى الله ، وكأنها صيحاتٌ تهمس في آذان أطفالنا أن يتمثلوا هذا النهجَ العظيم من الدعوة إلى الله ، ويسلكوا طريق الدعوة يرفعون رايةَ التوحيد عالياً : « لا إله إلا الله » .

٣ ـ التربية الإسلامية :

قدَّم العلامة الندوي في مستهلِّ كتابه الذائع الصيت « قصص النبيين » نصيحةً لابن أخيه « محمد الحسني »[١] مملوءةً بالحرص والوعي لمستقبله من جهة ، وبالندم والخجل من القصص العربية من جهة أخرى نصيحةً بدراسة قصص الأنبياء وتعلّم اللغة العربية ، قدَّم العلامة هذه النصيحة التربوية التي تحمل في ثناياها كلَّ الأسف والخجل من القصص العربية التي لا تتكلَّم إلاَّ عن الحيوانات والأساطير والخرافات ، فيقول :

« ابن أخي العزيز ! أراكَ حريصاً على القصص والحكايات ، ولكني أتأسَّف لأني لا أرى في يدك إلا حكايات السنانير والكلاب والأسد والذئاب والقِرَدة والذباب ، ولكني أخجل أنك لا تجد ما يوافق سِنَّك من القصص العربية ، إلا قصص الحيوانات ، والأساطير والخرافات ، فرأيتُ أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصصَ الأنبياء والمرسلين ـ عليهم صلاة الله وسلامه ـ بأسلوب يناسب سنَّك وذوقك ، ففعلتُ »[٢] .

ومع هذه النصيحة يقدّم العلامةُ كتابه « قصص النبيين » هديةً له ولأطفال المسلمين الناشئين الذين هم رجال الغد ، وصنَّاع تاريخ الأمم ، هذه المقدمة على الرغم من قصرها إلاّ أنها على جانبٍ عظيمٍ من التربية والتعليم لأطفال المسلمين ، يُوازيها شرف الداعية والمربِّي الحريص على مستقبل الطفل المسلم وغده المجهول ، إضافةً إلى ذلك فإن كتاب قصص النبيين القسم الثالث « سيرة خاتم النبيين » جاء ليجذر أصول التربية

---

(١) هو الكاتب الإسلامي المرموق ، والصحافي البارع : الأستاذ محمد الحسني ، انظر ترجمته الضافية في الباب السادس ، الفصل الثاني ، ص(٩٠١) .

(٢) قصص النبيين : ص(٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامية ، ويعمِّق قواعدها ، وقد أكَّد العلامة الندوي نفسه هذا المعنى في مقدمته لهذا الكتاب قائلاً :

« وقد جاءت فيه خلاصةُ السيرة ولبابها ، وروائع حكاياتها وأخبارها ، وتاريخ الدعوة الإسلامية الأولى وفتوحها وانتصاراتها ، وعجائب التربية النبوية ومعجزاتها ، فأصبح الكتابُ مدرسة كاملة ينشأ فيها الطالب بين إيمان وحنان ، ويتقلب بين رَوْحٍ وريحان »[1] .

نذكر هنا الأهداف التربوية التي يؤكِّد عليها العلامة الندوي في كتبه التي ألَّفها للناشئين ، فمنها :

١ ـ **التدرُّج في الأسلوب التربوي للناشئة حسب ما تقتضيه درجتهم العقلية** ، وأكد العلاَّمةُ هذا الهدف قائلاً : « ولم أتقيد في هذا الكتاب بالالتزامات التي التزمتها في الأجزاء الأولى من « قصص النبيين للأطفال » من محاكاة أسلوب الأطفال وطبيعتهم ، وتكرار الجمل ، وسهولة الألفاظ ، وبسط القصة ، فقد شبّ هؤلاء القرّاء الصغار عن طوقهم ، وقد تقدَّموا في ثقافتهم اللغوية ودرجتهم العقلية ، . . . ، وهكذا جاء الكتابُ ـ بحول الله تعالى ـ وسطاً بين الكتب التي أُلِّفت في السيرة للكبار البالغين ، والكتب التي ألفت للصغار الناهضين . . . »[2] .

وهنا لا بدَّ أن يشير الباحث إلى أن المربي الفاضل العلاَّمة الندوي كان بعيداً تمام البعد عن تناول الأحكام الشرعية الفقهية ، لأنها ليست موضوعاً للبحث في هذا المستوى من الناشئة .

٢ ـ **غرس مكارم الأخلاق الإسلامية في كيان الطفل ، ودعوته إلى التمسك بها** . هذه الغراس يقطف الطفل منها ثمار العقيدة الصحيحة المعافاة من العقد والأمراض ، فالدين الإسلامي دينُ أخلاقٍ . يقول الرسول الكريم ﷺ : « إنما بُعِثْتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق »[3] . فهو الدين الوحيد الذي ينظِّم أخلاقاً للحكم والخلافة والحروب حتى

---

(١) سيرة خاتم النبيين : ص(٥) .
(٢) المرجع السابق : ص(٥) .
(٣) أخرجه البيهقي في السنن (١٠/ ١٩١) برقم (٢٠٥٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وغيره أخرجه بلفظ « صالح الأخلاق » .

www.abulhasanalinadwi.org

(دخول الحمام ، وإماطة الأذى عن الطريق) ، ينظِّم لها أخلاقاً وسلوكاً ينبع من النهج الرباني والتصور الإسلامي للحياة والكون ، فمعظم قصص العلاَّمة الندوي تركز على الأخلاق حتى كتابه « قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال » يحكي في كل قصة خُلقاً إسلامياً عظيماً ، حتى يستطيع الباحث لو طلب منه ذلك أن يضع له عنواناً يطلق عليه اسماً جديداً هو « صور مجيدة من الأخلاق الإسلامية في التاريخ الإسلامي للأطفال » ؛ لأن الأخلاق أمجاد تاريخ عابق بالنفس الطيبة والروح الزكية .

وقد أعربَ العلامة الندوي عن هذه المعاني السامية في الأخلاق الكريمة ، نذكر هنا على ذلك بعضَ الشواهد :

أ ـ الصبر : يظهر هذا الخلق من خلال قصة صبر أيوب عليه السلام .

« فقد كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد مرضيين ، فابتلي في ذلك ، وذهب عن آخره ، ثم ابتلي في جسده لم يبقَ منه سليمٌ سوى قلبه ولسانه ، يذكر بهما الله عزَّ وجلَّ . . . ، وكان رغم ذلك صابراً شاكراً »[1] .

ب ـ التفاني في حب الرسول ﷺ : وله مظاهر كثيرة ، منها فداء الصحابة الكرام لرسول الله في غزوة أحد ؛ كأبي عبيدة ، وطلحة ، وأبي دجانة ، وسعد :

(نزع أبو عبيدة بن الجرَّاح إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيته ، ونزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى . . .

وترّس أبو دجانة بنفسه دون رسول الله ﷺ يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه . . .

ورمى سعد أبي وقاص دون رسول الله ويناوله رسول الله ﷺ النبل ، ويقول : « ارم فداك أبي وأمي . . . »

وجالدهم طلحة بن عبيد الله تَرّس عليه بيده يقي بها رسولَ الله ﷺ فأصيبت أنامله ، وشلّت يده)[2] .

ج ـ العزة بالإيمان : ويظهر هذا في رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس (وقال له رئيسُ القوم (المسيحيين) : أنت ملك العرب ، وهذه بلادٌ لا تصلح بها

---

(١) قصص النبيين : ص (٣٢٣ ـ ٣٢٤) .
(٢) سيرة خاتم النبيين : ص(١٦٣ ـ ١٦٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

الإبل ، فلو لبست شيئاً غير هذا ، وركبت برذوناً ؛ لكان ذلك أعظم في أعين الروم ، فقال : نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام ، فلا نطلب بغير الله بديلاً)[1] .

د ـ **الرحمة** : ويتجلّى هذا في فتح مكة : ثم قال رسول الله ﷺ : « يا معشر قريش! ما ترون أني فاعلٌ بكم ؟ » قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : «فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريبَ عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2] .

٣ ـ **الحثُّ على حبّ العلم وتعلّمه ودعوة الطفل إلى طلبه** : فالدين الإسلامي مؤسَّسةٌ علميةٌ ، فأول ما نزل من القرآن آيات تحثُّ على طلب العلم ، قال تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] والعلامة الندوي أَحَسَّ كعالمٍ وداعية إسلامي لا بدَّ له من أن يؤكّد على هذا المطلب ، ويظهر ذلك من خلال كتبه ، ومن الشواهد الدالة على ذلك :

أ ـ قصةُ سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ مع الخضر ، حيث أفرد لها العلاَّمةُ عنواناً خاصاً بها ؛ هو « في سبيل العلم » ، هذا العنوان يحمل في طيَّاته أدباً للعلم والتعلم ، ألا وهو : أن العلم لله ، وأن الله هو العليم ، ويجب أن يُرد العلم إليه . عن النبي ﷺ : أنه قال : « قام موسى خطيباً في بني إسرائيل ، فسئل : أيُّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ! فعتب الله عليه ؛ إذ لم يرد العلم إلى الله ، فأوحى الله إليه : أنَّ عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك »[3] .

ب ـ ومن الشواهد أيضاً على دعوة العلامة الندوي طفلنا المسلم إلى طلب العلم هو ما أكَّده تحت عنوان : (تعليم غلمان المسلمين فداء الأسرى) قائلاً : « وكان من الأسرى من لم يكن لهم فداء ، فجعل رسولُ الله ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة ، فيعلّم كلَّ واحد عشرةَ من المسلمين الكتابة ، وكان زيد بن ثابت ممَّن تعلَّم بهذا الطريق »[4] .

٤ ـ تحرير عقل الطفل وقلبه من الأساطير والخرافات ، وضغوط شهوات الحياة

---

(١) قصص من التاريخ الإسلامي : ص(٦٥ ـ ٦٦) .
(٢) سيرة خاتم النبيين : ص(٢٧٥) .
(٣) قصص النبيين : ص(٢٧٤ ـ ٢٧٥) .
(٤) سيرة خاتم النبيين : ص(١٥١ ـ ١٥٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

الدنيا وهذا التحرير لعقل الطفل هو تحرير من الجاهلية وكل تبعاتها ، وهذا الهدف يظهر من خلال الشواهد التالية التي أكَّد عليها العلاَّمة في قصصه يبدو منها ما يلي :

أ ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار : « وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، آخى بينهم على المواساة ، وكان الأنصار يتسابقون في مؤاخاة المهاجرين » . فالمؤاخاة مِن أعظم الأحداث التي سجَّلها التاريخ البشري على وجه الأرض منذ آدم حتى الآن ، وستبقى خالدة إلى يوم القيامة .

ب ـ تطهير الحرم من الأوثان والأصنام : « وَحَوْلَ البيتِ وَعَلَيْهِ ثلاثمئة وستون صنماً ، فجعل يطعنها بالقوس ويقول : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] ورأى في الكعبة الصور والتماثيل فكُسرت »[1] .

ج ـ زهد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي في الدنيا وشهواتها :

« يقول ابن شدَّاد : إنَّ السلطان لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية ، وجرماً واحداً ذهباً ، ولم يخلف ملكاً ، ولا داراً ، ولا عقاراً ، ولا بستاناً ، ولا مزرعة ، ولا شيئاً من أنواع الأملاك »[2] .

٥ ـ تنمية الروح الجهادية والنفس المطمئنة للطفل المسلم :

ففي كل قصص العلاَّمة الندوي عن الأنبياء وحكاياته عن التاريخ الإسلامي ، دعوة إلى الجهاد وحب الاستشهاد وترغيب الطفل في الشهادة في سبيل الله ، لأن الجهاد في سبيل الله هو المخزون الفعلي للطاقة الإسلامية من أشبال الإسلام الذين هم حرّاس العقيدة وحماة الديار ، فالشهادة في سبيل الله هي أمنية الأحرار المؤمنين الذين يشترون جنةً عرضها السموات والأرض ، ويقدِّمون أرواحهم الطاهرة ثمناً لها ، ففي الجهاد تعبئة روحية ونفسية لطفلنا المسلم أعظم من البحار ، وأثبت من الجبال . فالشهادة محرِّكة للطاقات ، شاحذة لهمم الرجال ، لأنهم بعقيدتهم الراسخة في قلوبهم ، يعتبرونها الجسر الذي يمرون عليه ؛ ليصلوا إلى برِّ الأمان ، يتنقلون عليها من الحياة الدنيا ليصلوا إلى بر الأمان ، يتنقلون عليها من الحياة الدنيا ليصلوا إلى وطنهم الخالد

---

(١) سيرة خاتم النبيين : ص(١٢٥) .
(٢) قصص من التاريخ الإسلامي : ص(٧٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

جنة الأتقياء والأنقياء المخلصين[1] . وقد أكَّد هذا المعنى السامي العلاَّمةُ الندوي تأكيداً واضحاً ومميزاً في معظم قصصه وحكاياته ، والأدلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها التالية :

أ ـ تنافس الغلمان في الجهاد والشهادة في غزوة بدر :

هذه لوحةٌ جميلةٌ تصوِّر التربيةَ الحلوةَ والطفولةَ الرفيعةَ بتسابق الأطفال وتنافسهم على الموت . نعم لقد غرس فيهم الإسلامُ مبدأً عظيماً ، ذلك هو الشهادة التي هي تذكرة لدخول الجنة ، وثمن لها ، هؤلاء الأطفال يُعلنون الحاكمية لله في الأرض ، تتوهَّج قلوبهم بعقيدة التوحيد ، هذه الصورة فيها دعوة واضحة إلى أطفالنا اليوم إلى حب الموت في سبيل الله ، ففي غزوة بدر خرج غلامٌ صغيرٌ في السادسة عشرة من عمره اسمه عمير بن أبي وقَّاص ، أخو الصحابي الجليل سعد ، وتوارى عن أنظار الرسول ﷺ خوفاً من أن يراه فيردَّه ، فلما رآه رسول الله ﷺ أراد أن يرده لأنه لم يبلغ مبلغَ الرجال ، فبكى عمير ، ورقَّ له قلب رسول الله ﷺ فأجازه ، واستشهد في هذه الغزوة[2] .

ب ـ مسابقة بين أتراب في غزوة أحد :

« وعرض على رسول الله سَمُرَةُ بن جُنْدُب وهو في سن رافع بن خَدِيج ، وردَه رسول الله ﷺ لصغره ، فقال سمرة : لقد أجزتَ رافعاً ورددتني ، ولو صارعته لصرعته ، ووقعت المصارعةُ بينهما ، فصرع سمرة رافعاً فأجيز ، وخرج وقاتل يومَ أحد »[3] .

ج ـ فداء علي بن أبي طالب للرسول ﷺ عندما نام في فراشه ليلة هجرته ﷺ ، فكان عليٌّ أول فدائي في الإسلام : « وأخبر اللهُ رسولَه ﷺ بهذه المؤامرة ، فأمر عليَّ بن أبي طالب أن ينام في فراشه متسجِّياً ببردته »[4] .

---

(١) قصص من التاريخ الإسلامي : ص(٧٩) .
(٢) سيرة خاتم النبيين : ص(١٣٨ ـ ١٣٩) .
(٣) المرجع السابق : ص(١٥٧) .
(٤) المرجع السابق : ص (١٠٩ ـ ١١٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

٤ ـ الثقافة الإسلامية :

قام العلامة الندوي بترسيخ بعض خصائص الثقافة الإسلامية في عقول الناشئين ، وذلك كالتالي :

١ ـ **الوعي الإسلامي** : هذا الوعي يمنع التبعية الثقافية للثقافة الغربية ، فالثقافة التي يعرضها العلاَّمةُ الندوي للأطفال هي ثقافة إسلامية بعيدة كل البعد عن شبهات المستشرقين ، فيركِّز على التاريخ الإسلامي ؛ لأنه ثقافةٌ واعيةٌ تفتح عيون الطفل وعقله على واقعنا المعاصر ، كما أن تاريخنا الإسلامي الذي ركَّز عليه العلاَّمةُ يضع الطفل على أول درجات الفهم للحياة ، وما تدور عليه من صراع بين الحق وأنصاره وبين الباطل وأعوانه ، فالتاريخ جذر لعلم السياسة ، وهو تغذيةٌ جيدة ورضاعةٌ كاملة لطفلنا المسلم تحتوي على كافة العناصر اللازمة لبناء الشخصية الإسلامية المثقفة ، لأنا قرآننا الكريم وسنَّتنا الطاهرة مصدرٌ غنيٌّ لتاريخنا الإسلامي ومناخه الذي يعطيه الحرارة والدفء والاتزان .

٢ ـ **النظرة الشمولية والتفسير الإسلامي للتاريخ** : البعد الثاقب للعلاَّمة الندوي ، والنظرة البعيدة له ، جعلته يكتب في التاريخ الإسلامي لأطفالنا المسلمين ، فالتاريخ الإسلامي هو التاريخ الممتد منذ خَلْق الله لآدم عليه السلام وحتى وقتنا الحالي وتستمر إلى يوم القيامة ؛ لأن الإسلام دين الأنبياء كلهم ، لأنهم جميعاً جاؤوا بدعوة واحدة ؛ هي دعوة التوحيد ، ودعوة الإسلام والاستسلام والانقياد لله تعالى .

يؤكِّد العلامة الندوي هذه النظرة الشمولية للتاريخ الإسلامي فيستعرض تاريخَ الأنبياء ، ثم يستعرض بشيء من التفصيل الممتع تاريخ سيرة محمد ﷺ ، ثم يحكي قصصاً مضيئةً من تاريخ المسلمين بعد رسول الله ﷺ ، هذه القصص تتناثر من هنا وهناك ، من زمن إلى زمن آخر ، إذاً لا بدَّ من القول: إن العلاَّمة الندوي قد وضع تفسيراً إسلامياً للتاريخ ، فتاريخ آدم ، وموسى ، وإبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هو تاريخنا نحن المسلمين .

٣ ـ **ربانية المصدر والغاية** : فالمصدر الرئيسي للثقافة الإسلامية هو القرآن الكريم ، وهذا واضح من خلال استخدام العلاَّمة الندوي للآيات الكريمة بشكلٍ واسعٍ وعريضٍ ، كما أن غاية الثقافة الإسلامية هو حبُّ الله تعالى ورضوانه ، وتعميق ، معنى

www.abulhasanalinadwi.org

العبودية في العقول والقلوب المسلمة ، فالثقافة الإسلامية ربانية لا يعتريها النقص والعيب ، بعكس الثقافة الغربية التي تتخللها الأمراضُ والعيوب كنتيجة حتمية ؛ لأنها من وضع العقل البشري .

٤ ـ **الإنسانية** : وقد أكَّد العلاَّمةُ الندوي هذه الخاصية ، فحتى تكون الثقافة إنسانيةً يجب أن تكون الثقافة شاملةً كاملةً للحياة ، وهذه الميّزة لا نجدها إلا في ثقافتها الإسلامية ، نعم لقد صنع الإسلام الإنسان ، ولم يصنعه أي نظام آخر وأي قوّةٍ على الأرض ؛ لأن الإسلام لا يصطدم أبداً مع الفطرة ؛ إذ يلي رغباتها وحاجاتها ، وهذا ما أكَّده العلاَّمةُ الندوي في معرض حديثه عن التتار قبل الإسلام وبعد الإسلام ، في قصته : « جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس »[1] .

٥ ـ **الثبات** : قرَّر العلاَّمة الندوي : أن هناك حقائق ثابتة لا تتغير يجب أن يتبناها فكر الطفل المسلم ؛ هي حقيقة العبودية لله وحده ثابتة لا تتغير وحقيقة : أن الناس من أصلٍ واحد متفاضلون بالتقوى ، وحقيقة : أن الدنيا دار امتحان ، كلها حقائق ثابتة لا تتغير ، فهذه الثوابت تكوِّن العقل المسلم للطفل ، ومع ذلك فهي روافدُ فكرية تغذي ثقافته الإسلامية ، وأساسياتٌ لتحديث العقل المسلم للطفل في كل زمان وفي كل مكان . تمنعه من الانحراف عن المسار الصحيح للإسلام .

ويؤكِّد العلاَّمةُ الندوي الثبات كميزة أساسية لثقافة الطفل المسلم ، فالإسلام دين توحيد ووحدة : وفتح رسول الله ﷺ باب الكعبة ، فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب »[2] [3].

فكانت هذه بعضُ ركائز وأهداف العلامة الندوي فيما كتبه للأطفال المسلمين .

---

(١) قصص من التاريخ الإسلامي : ص(٨٠) .

(٢) أخرجه الترمذي بمعناه في أبواب تفسير القرآن ، سورة الحجرات ، برقم (٣٢٧٠) عن ابن عمر ، رضي الله عنهما .

(٣) من بحث الأستاذ نصر عبد الله سلامة العتوم بتصرُّفٍ واختصارٍ ، والذي قدَّمه في حفلة تكريم العلاَّمة الندوي في استانبول عام ١٩٩٦م .

www.abulhasanalinadwi.org

وأدب الأطفال عنده هو أدبٌ إسلاميٌ بعكس الكثير من الّذين ألّفوا في هذا الأدب ، لأنَّه يتبنَّى الهمَّ الإسلامي ، ويتكلَّم بحرارة العاطفة ، ويكتب تاريخ الإسلام بأسلوب التربية والدعوة الصادقة ، وقد شهد لهذا الكاتبُ الإسلاميُّ الكبير الشهيد سيد قطب وأديب العربية الكبير العلاَّمة الشيخ علي الطنطاوي ، والداعية الفقيه الدكتور يوسف القرضاوي ، وأمثالهم كثيرون .

* * *

فكانت هذه محاولةً سريعةً في الحديث عن جهود العلاَّمة أبي الحسن الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ في خدمة الأدب الإسلامي ، والتي قام بها عملياً وإبداعياً . أمَّا العمليُّ فهو بإنشاء رابطةٍ للأدب الإسلامي ، وفروعها في العالم الإسلامي والعربي ، وأمَّا الإبداعي فهو بكتابة البحوث القيمة والمقالات النفيسة ، وتأليف الكتب ، وكان أحرى بأن يكون هذا الموضوع دراسة الباحثين والمهتمين بالأدب الإسلامي ، أو يكون رسالةً جامعيةً معمَّقةً ، أو كتاباً منهجياً كبيراً ، إني أردتُ في هذا الفصل استرعاء انتباه الباحثين والدارسين إلى الموضوع ، ومن حقِّ العلاَّمة الندوي على جميع دعاة الأدب الإسلامي ودارسيه أن يعكفوا على هذا الفصل المهم من تاريخ الأدب الإسلامي ومراحل تطوُّره ، فالعلاَّمة ـ رحمه الله ـ بعطاءاته الواسعة والمتميّزة قسمٌ من هذا التاريخ ومرحلة عظيمة التطوُّر ، كثيرة التغييرات ، غنية الأحداث لا يصح أن تغيب عن سِجل العطاء والتضحية والإبداع ، ليس في تاريخ الأدب الإسلامي وحده ، بل في تاريخ الأدب الإنساني كلِّه .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الخامس

العلّامة أبو الحسن النّدوي

والكتاب المؤلف

الفصل الأول : نبوغ العلاَّمة الندوي في العلوم ومساهمته فيها تصنيفاً وتأليفاً .

* خصائص مؤلَّفات العلاَّمة الندوي .

الفصل الثاني : مؤلَّفات العلاَّمة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الأول

العلّامة أبو الحسن النَّدْوِي

صاحب الكتاب والخطاب المؤمن

المبحث الأول : نبوغ العلاَّمة النَّدوي في علوم الشريعة واللغة ، ومساهمته فيها تصنيفاً وتأليفاً .

المبحث الثاني : خصائص مؤلَّفات العلاَّمة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

نبوغ العلامة الندوي في العلوم الشرعية التقليدية ومساهمته فيها كتابةً وتأليفاً

لقد درَسَ العلامة الندوي العلوم الشرعية التقليدية والعربية أيام طلبه للعلم على كبار الأساتذة والمشايخ في دار العلوم لندوة العلماء وفي دار العلوم ديوبند الإسلامية ـ كما تحدَّثنا عن ذلك كلِّه في الباب الثاني ـ[1] ، وشربها من رأس الينبوع، وقد يسَّر الله له أساتذة في كل علمٍ من العلوم ـ التي درسها عليهم ـ كان يُشار إليهم بالبنان فيها يومئذ ، وأتقن في سائر تلك العلوم كلَّ الإتقان ، والتي أهَّلته فيما بعد للتأليف والكتابة في كل منها .

ولكنَّه ـ رحمه الله ـ لم يَخُضْ في التأليف والكتابة في جميع هذه العلوم ، فقد كان عقله متَّجهاً إلى مجالات الدعوة والفكر ، وبيان حقائق الإسلام ، والردّ على أباطيل خصومه ، وتجلية الأمور الغامضة على الناس في التراث والتاريخ ، والعمل على كلِّ ما يزيح الضبابية عن حقيقة الدين ، ورسالة محمَّد ﷺ . وَسَلَك مسلكَ الحكمة والبصيرة ، مراعياً ظروف العصر ، ومستفيداً من إمكاناته الحديثة ، معتمداً على العلم والموضوعية في كلِّ ما يتناوله من قضايا ثقافيّة مستجدّة ، ومسائل فكريّة نافعة ، وهذا يعود إلى أنَّ هيكل تفكيره قد تكوَّن في وسطٍ خاصٍّ ملتزمٍ بأحكام الإسلام ، وفي ضوء دراسة خاصَّة ، تقوم على الأدلّة الشرعيَّة ، ومراعاة مقاصد الإسلام وكليّاته ، والعمل على استجلاب المصالح ودرء المفاسد ، الأمر الذي دفعه إلى البحث العلمي ، والاجتهاد الفكري ، والنقد الهادف ، ممَّا ساهَمَ في تكوين نظرة دقيقة في تقييم المواقف والشخصيات ، والموازنة بينها ، وفي استلهام الدروس والعِبَر ، واستجلاء الواقع ، والتحسُّب للمستقبل .

وأرى ـ قبل أن أتحدَّث عن أسلوب ومنهج العلاَّمة الندوي في الكتابة والتأليف ،

---

(١) انظر الفصل الثاني ، الصفحات من (١٥١) إلى (١٨٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

وقبل أن أعرض تعريف أهم مؤلَفاته وكتبه أن أَقِف وقفةً على نبوغ العلاَّمة في العلوم ليعرف القراء في أيِّ مجال كانت تأليفاته بعدُ ، وإلى أيِّ حدٍّ أسهم في التأليف في العلوم التي قرأها ؟

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة الندوي والقرآن الكريم

كان العلامة الندوي أحد أكبر وأبرز تلاميذ مدرسة القرآن الإيمانية والعلمية ، والدعوية ، والإصلاحية ، درس في أيام طلبه للعلم أمّات كتب تفسير القرآن الكريم وعلومه على كبار العُلماء المختصين فيها ، واستفاد من كبار الأساتذة المشتغلين بهذا الموضوع في عصره ، واطَّلع على أكثر ما نشر من بحوث وتعليقات ، وكُتب عصرية فيه ، فعيِّن مدرِّساً في عنفوان شبابه لمادة التفسير في دار العلوم ندوة العلماء في أوائل الثلاثينيات من الميلاد ، واستمرَّ على ذلك زهاء عشر سنين ، درَّس خلالها متن القرآن في فصول مختلفة ، وكَتب فترةً من الزمن مقالات وبحوثاً في دراسات القرآن الكريم في كبرى المجلات العربية يومئذٍ ، ثم كتب كتابات مستقلَّة في هذا الموضوع ، ويلمس القارىء في مقالاته وكتاباته : أنه من المتذوِّقين الكبار لكتاب الله عز وجل ، الذين يُحسنون الاستشهاد به ، وخصوصاً في النواحي الإيمانية والاجتماعية . والأمثلة على ذلك كثيرة ومنتشرة فيما كتب وحاضر .

أسلوب العلامة الندوي في الدراسات القرآنية :

لقد كتب أحدُ تلاميذ العلامة النجباء : الأستاذ الدكتور ضياء الحسن الندوي[1] بحثاً حول أسلوب العلامة للدراسات القرآنية ، فلا أرى بأساً هنا في نقله باختصار وتصرُّف يسير ؛ لنقوم بجولة قصيرة مع العلاَّمة في كتاباته النفيسة ودراساته القيمة حول القرآن الكريم ، فيقول الأستاذ ضياء الحسن[2] :

---

(١) رئيس قسم اللغات الشرقية سابقاً بجامعية الملية الإسلامية في دهلي الجديدة (الهند) ، توفّي ـ رحمه الله ـ عن (٥٦) عاماً من عمره عام ١٤٢٣هـ (٢٠٠٣م) كان من أنشط أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ أن أُنشِئتْ ، وله آثارٌ علمية وأدبية وبحوث ومقالات قيمة منشورة كلها في المجلاَّت والجرائد .

(٢) لعلَّه قدَّم هذا البحث في حفلة تكريم العلامة الندوي المنعقدة في استانبول عام ١٤١٧هـ (٩٩٦م) .

www.abulhasanalinadwi.org

« يتأمل العلامة الندوي في جمال سورة الفاتحة وجامعيتها وتأثيرها في الحياة فيقول هي الدُّرّة الفريدة في المعجزات السماوية وقطعة رائعة من القطع القرآنية البيانية ، وقد افتتحت بالحمد وهي الكلمة الجامعة بين الشكر والثناء ، ومن الكلمات البليغة المعجزة التي لا يمكن ترجمتها إلى لسان آخر ، ثم يقرر المصلي : أن الرب الذي يحمده ويستعين به ويعبده ، هو ليس ربُّ قبيلة أو شعب أو أسرة أو فصيلة أو بلد أو وطن إنماهو رب العالمين ، وهذه عقيدة غريبة وثائرة ، ثارت على جميع التقسيمات الزائفة المزوَّرة التي جنت على الإنسان أكبر جناية .

هكذا يُعلن المسلم وحدتين وهما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام ، وعليهما قام الإسلام في كل زمان ومكان وهما وحدة الربوبية ، والوحدة البشرية ، وحدة نسل بني آدم من غير فرق بين بلد ووطن ، أو لون أو دم . فالإنسان أخو الإنسان من جهتين والإنسان أخو الإنسان مرتين ؛ مرة ـ وهي الأساس ـ لأن الرب واحد ، وثانية لأن الأب واحد ، ثم يذكر المصلي من صفات الرب الكريمة ، الكثيرة . . صفة الرحمة التي هي أليق الصفات بموقف المسلم وهو عابد خاشع داعٍ مبتهل ، محتاج تائب آيبٌ ، والمقام مقام الرجاء لا اليأس ، ومقام التفاؤل لا التشاؤم .

ثم يذكر ويتذكر يوم الدين ، يوم الجزاء والعقاب الذي يتجلى فيه ملك الله وملكوته في أروع مظهر لا ينازعه فيه ملك زائف ، ثم يُعلن بكل تأكيد عرفته لغة العرب ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] وما الحياة إلا عبادة واستعانة . ثم يدعوه للهداية للصراط المستقيم التي هي أعظم حاجاته وأعزُّ مطالبه ، وهي التي بعثت لها الأنبياء وأنزلت لها الصحف ، وقامت عليها سوق الجنة ، وهي التي لا قيمة لشيء إذا فقدت ، ولها نقص في الحياة والسعادة إذا وجدت .

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة ٦ ـ ٧] .

فيقول العلامة : « هنا يتجلى إعجاز القرآن » ثم يفيض العلاَّمةُ في بيان هذا الإعجاز القرآني بتفصيل كما ذكر في كتابه « تأملات في القرآن الكريم » :

« إن الكلمة الواحدة التي جاءت في القرآن الكريم تصف أبناء المسيحية تكفي سبباً في إيمان دارس منصف بالقرآن وإعجازه. ما أروع الحقيقة التاريخية التي نطق بها القرآن على لسان نبيِّه الأُمي ! وُلد في الصحراء وعاش فيها والتي يصدقها التاريخ في

www.abulhasanalinadwi.org

أدب جمٌّ ، ويدهش المؤرِّخون عندما يفكِّرون في مدى صدق هذا التعبير : كلمة « الضلالة » كيف أجرى الله على لسانه الحقيقةَ الكبرى الصادقة حيث قال بالنسبة لليهود : « المغضوب عليهم » بينما قال بالنسبة للمسيحيين « الضالين » إن سبحانه أراد فرقاً واضحاً بينهم وبين اليهود ؛ إذ أطلق على اليهود المغضوبية فمن قرأ تاريخهم شهد على صِدق هذا التعبير .

ولندرس المحنة العظيمة والتوبة الكريمة في ابتلاء كَعْب بن مالك حيث أمره رسول الله ﷺ أن يعتزل امرأته فيفعل ويلحقها بأهلها « وفي هذه اللحظات العسيرة يدعوه ملك غسان الكبير ليُواسيه ويكرمه وكان أشد محنة امتحن بها محب يجفو الحبيب القريب وينبذه المجتمع وتقصيه البيئة ، خلال هذه الضائقة والجفوة يطالبه ملك ويرسل إليه كتاباً بأخبار برِّه ورفده وعطاياه الواسعة فيرفض ذلك في إباء وكراهية وتحقير ، إنها معجزة كبيرة للإيمان والتربية وسلطان العقيدة » .

ثم تاب الله عليهم توبة كريمة ، شرف بها قدرهم وغسل عنهم عارهم وخلَّد ذكرهم وبيَّض وُجوههم بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ [التوبة : ١١٨] »[1] .

وهكذا نشاهد جلياً في دراسة سورة إبراهيم الواعية الرشيدة للعلامة كما شهدنا معه قيام الليل وعناية كبار العلماء والأئمة به في سورة المزمِّل ، ومراحل الإيمان والهداية والدعوة والثبات في سورة الكهف . والنور الإلهي المُشرق في السموات والأرض وقصور عقلاء العرب في سورة النمل وحكمة لقمان وموعظته لإبنه في سورة لقمان على نبيِّنا وعليه السلام .

إذا درسنا سورة إبراهيم وجدنا دعاء والد لولده ، أو جدٌّ وسيد أسرة لذريته وفصيلته شيئاً طبيعياً جرت عليه العادة ، ولكن دعاء إبراهيم الخليل أسلوب من الدعاء لا نظير له في التاريخ ولا مثيل له في مجموعات الأدب .

كما أنَّ إبراهيم طِراز خاص من البشر وأمة وحده . ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] كانت حياة إبراهيم تحدياً للمادية المسرفة الشائعة في عصره ، وعبادة الأصنام واتخاذها أرباباً من دون الله ،

---

(١) دراسات قرآنية : للعلاَّمة الندوي ، ص(١٢٧ ـ ١٣١) . طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

ومثالاً للإيمان بالله وقدرته المطلقة[1] .

وإن إرادته فوق كل شيء وهكذا كانت سنَّة الله معه ، يخضع له الأسباب ويخلق له ما تحار فيه العيون والألباب ، وكُفران النعمة وحب العسير الشاق لدى الطبائع المعوجة المريضة في سورة سبأ[2] .

وحكم الله ونعمته على رسوله العظيم في فترة الوحي من خلال سورة الضحى[3] ، والخلاصة الوافية والعرض الجميل للسيرة النبوية الطاهرة في سورة الانشراح حيث شرح صدره ووضع عنه وِزْرَه الذي أنقض ظهره ورفع له ذكره ﷺ من جانب الخالق سبحانه وتعالى[4] .

كما نشهد بسمو الإنسان وانتكاسه في ضوء سورة التين . وكنود الإنسان وسببه ، وعبرةً من الحيوان الأعجم إذا تأملنا في سورة العاديات التي اشتملت على بيان المرض وهو قوله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] وعلى علته ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات : ٨] وعلى علاجه ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ [العاديات : ٩ ـ ١١] فإن الإيمان بالآخرة وتذكر الموت يكشف الغطاء عن العين ويفيقه من سكرة الدنيا ، قال النبي ﷺ : « وأكثروا ذكرَ هاذم اللذَّات »[5] [6] .

دعنا نشهد الصراع بين الإيمان والمادية بتأمُّلنا في سورة الكهف التي نشأ العلاَّمة الندوي على قراءتها وتلاوتها كل يوم جمعة ؛ لأن ذلك يعصم من الدجَّال فقد استعاذ من فتنته النبيُّ ﷺ كثيراً ، وحثَّ أمته على الاستعاذة منها حثاً شديداً والتي هي الفتنة الكبرى الأخيرة التي قال عنها : « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من

---

(١) دراسات قرآنية : ص(٢٧٩ ـ ٢٨٢) .
(٢) المرجع السابق : ص(١٤١ ـ ١٤٧) .
(٣) المرجع السابق : ص(٢٢٨ ـ ٢٣٣) .
(٤) المرجع السابق : ص(٢٣٤ ـ ٢٤٧) .
(٥) المرجع السابق : ص(٢٤٨ ـ ٢٥١) .
(٦) أخرجه الترمذي في أبواب الزهد ، باب ما جاء في ذكر الموت ، برقم (٢٣٠٧) ، والنسائي في كتاب الجنائز ، باب الدعاء بالموت ، برقم (١٨٢٤) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

الدجّال »[1] ما هي الصلة المعنوية بين هذه السورة وبين هذه العصمة التي أخبر بها الرسول ﷺ ؟

يقول العلاَّمة الندوي رداً على هذا السؤال :

« اقتنعتُ إجمالاً بأن هذه السورة هي السورة القرآنية الفريدة التي تحتوي على أكبر مادة وأغزرها فيما يتصل بفتن العهد الأخير التي يتزعمها الدجّالُ ويتولّى كبرها ويحمل رايتها ، وتحتوي على أكبر مقدار من الترياق الذي يدفع سموم الدجال ويبرىء منها . . وإن في هذه السورة الكريمة من التوجيهات والإرشادات والأمثال والحكايات ما يبيِّن الدجال ويشخصه في كل زمانٍ ومكانٍ وما يوضح الأساس الذي تقوم عليه فتنته ، ودعوته ، وتهيِّىء العقول والنفوس لمحاربة هذه الفتنة ومقاومتها » .

إن هذه السورة خاضعة لموضوع واحد وهو كما يعينه العلامةُ الندوي « بين الإيمان والمادية » أو « بين القوة المصرّفة لهذا الكون (هو الله) وبين الطبيعة أو الأسباب » وإن لهذه السورة اتصالاً وثيقاً بالمسيحية واليهودية فقد تعرضت للعقيدة المسيحية في بدايتها ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٤ ـ ٥] .

وإن هذه السورة تشدِّد الإنكار والتشنيع على عباد الحياة الدنيا ومنكري الآخرة أو الغافلين عنها : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤] .

ففي سورة الكهف قصة الصراع بين الإيمان والمادية وبين النظريتين والعقيدتين ، وتحذير من اتخاذ النظرة الأولى التي تؤمن بالمادة والظاهر وتكفر بالله والغيب ، وأخذ العلاَّمةُ يتأمل سورة الكهف التي تضمنت أربع قصص ، وهي :

أولاً : قصة أصحاب الكهف والرقيم ، وهي قصة الإيمان والفُتوة والثبات والتضحية والجهاد ، التي تتكرر في تاريخ الإنسانية ، وفي تاريخ الحق والعقيدة ودليل على أن الأسباب كلها خاضعة للإرادة الإلهية ، وهي دعوة سورة الكهف ودعوة الإيمان والقرآن : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ، باب في بقية من أحاديث الدجّال ، برقم (٢٩٤٦) ، وأحمد في المسند (٤/ ١٩) برقم (١٦٢٩٨) من حديث عمران بن حصين .

www.abulhasanalinadwi.org

﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] تدور سورة الكهف حول هذه النقطة وتُشير إليها بكل مناسبة .

ثانياً : قصة صاحب الجنَّتين ، وهي أكثر وقوعاً في الحياة اليومية والحياة العادية من القصة الأولى ، فإذا تمثَّلت قصة أصحاب الكهف في عقود من السنين فقصة صاحب الجنتين تتمثَّل في كلِّ مكان وحين . وإنها قصة رجل توفَّرت له أسباب السعادة والهناء والرخاء وله جنتان من أعناب بينها الزُّروع الكريمة ، وهي غاية السعادة والغبطة في الحياة المتوسطة . اقترف الرجل ذنباً لا يغتفر ونسب سعادته إلى عِلمه وجهوده وذكائه كما فعل قارون من قبل فقال : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص : ٧٨] قال الرجل وهو يناحر صديقَه الذي لا يساويه في هذا الرخاء والغنى ، قال في صراحة بل وقاحة : ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف : ٣٤] وأعلن بعدها ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف : ٣٥ ـ ٣٦] .

ثالثاً : قصة موسى والخضر ، هذه قصة حياتنا اليومية التي تثبت في صورة واضحة صريحة رائعة أن وراء المعلومات والمكشوفات في هذا العالم وفي هذه الحياة مجهولات كثيرة ، وأن ما يجهله الإنسان ـ أعظم إنسان في عصره موسى عليه السلام ـ أكثر بكثير مما يعلمه . هذه القصة تتحدى التفكير المادي الذي يصر على أنَّ الحياة هي التي فهمها الإنسانُ ، وعلى أن هذا الكون هو الذي أحاط به علماً ، وأن ليست الحقيقة إلا ما تتراءى للعيون ، وأن الظواهر هي التي يصح عليها الحكم .

القصة الرابعة : قصة ذي القرنين ، وهي الأخيرة ، قصة رجل جَمَعَ بين الإيمان والصلاح والقوة الفائقة ، وتسخير القوى والكائنات والطاقات الموجودة الميسورة للإنسان ، واستخدام كافة الوسائل الموجودة في عصره ، فاستخدم كل ذلك ـ بعكس الطغاة المفسدين والفاتحين الظالمين ـ في صالح الإنسان ، وفي خدمة البشرية ، وبناء المدنية الصالحة[1] .

ونهج العلامةُ في دعوته القرآنية بهذا المنهج الرائع بعرض نماذج بديعة من دعوة الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الذين ذكرت آثارهم الدعوية في القرآن

---

(١) دراسات قرآنية : ص(١٤٨ ـ ٢٢١) .

www.abulhasanalinadwi.org

الكريم للعظة والاعتبار ، وهما يشكّلان لبنة أساسية في دعوة الإسلام التي يدعو إليها العلاَّمةُ في دراساته القرآنية وفي دعوته إلى الإسلام والقرآن للناس جميعاً ، وهذه هي الميزة المميزة لأسلوب العلامة قلَّ أن يوجد نظيره في الدعوة والدراسات الإسلامية المعاصرة .

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة النَّدوي والحديث النبويّ الشريف

لقد عكف العلامة الندوي على دراسة الحديث زمناً غير قصير ، وقد اطلعتُ على إجازة رواية الحديث ، وسمعتُ منه غير مرة أنه تتلمذ في الحديث النبوي الشريف على شيخه العلامة حيدر حسن بن المرحوم أحمد حسن الطُّونكي[1] الذي كان تلميذاً لشيخه العلامة رأس المحدِّثين ، شيخ الإسلام حسين بن محسن الأنصاري اليماني الخزرجي السعدي[2] ، وهو أخذ علم الحديث عن الشريف الإمام محمد بن ناصر الحسيني الحازمي والقاضي العلامة أحمد الشوكاني ، كلاهما عن والد الثاني القاضي محمد بن علي الشوكاني الصنعاني صاحب « نيل الأوطار » ، كما كنا نعرف أنه تتلمذ على شيخ الإسلام في الهند العلامة الشيخ حسين أحمد المدني شيخ أساتذة الحديث الشريف في دار العوم ديوبند ، مما يُضاف إلى ذلك إلى أن سماحته أجازه في الحديث والرواية العلامةُ الشيخ عبد الرحمن المباركفوري صاحب « تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي » .

وزِدْ على هذا فإن القرآن والحديث كانا شعاراً ودثاراً لآباء العلاَّمة الندوي وأجداده ، وهم الذين قاموا بالدعوة إلى التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى ، وكافحوا وجاهدوا ضدَّ البدع الفاشية في المجتمع الاسلامي الهندي في عُصورهم ، وتصلبهم في اتباع السنة ونبذهم وإنكارهم على البدع والخرافات أمر يعرفون به ، وأصبحت عقيدة التوحيد والتمسك بالسنة شعاراً مميزاً لأفراد هذه الأسرة ـ ومواقف الإمام المجاهد السيد أحمد بن عرفان الشهيد ـ رحمه الله ـ في رد المنكرات ونبذ الخرافات ، والدعوة إلى اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجهاده لإعلاء كلمة الله وإقامة الحق أمر إن لم يعرفه أحد فإنه لم يطلع على شيء من تاريخ الإسلام في الهند ـ .

---

(١) قد سبقت ترجمته في صفحة (١٧٠) في الباب الثاني .

(٢) نسبةً إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة ، رئيس الخزرج صاحب رسول الله ﷺ .

www.abulhasanalinadwi.org

ومِن لُطف الله بعلماء هذه الأسرة الكريمة : أنه مهما كان اختصاص أحدهم في فرع من فروع العلوم ولكنه لا ينسى واجبه نحو الدعوة إلى الله وإصلاح المجتمع ، ويعرف كل مثقَّف بالثقافة الإسلامية : أن اختصاص والد العلاَّمة الندوي ، العلامة الشريف عبد الحي الحسني ـ رحمه الله ـ كان التاريخَ الإسلامي في الهند ، وكتابه الشهير « نزهة الخواطر » في ثمانية أجزاء وكتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » و « الهند في العهد الإسلامي » تشهد بأن صاحبها كان مؤرِّخاً إسلامياً ، ولكن كتابه « تهذيب الأخلاق » وهو مجموعة الأحاديث النبوية في العقيدة والسلوك ينبىء عما جبل عليه من حبِّ السنَّة المطهرة ، وكان ـ رحمه الله ـ مضطلعاً بعلم الحديث ، وهو من تلاميذ الشيخ العلامة حسين بن محسن الأنصاري اليماني ـ رحمه الله ـ الممتازين ، وأجازه في الحديث العلامة المحدِّث الشيخ السيد نذير حسين الدهلوي إجازة خاصة[1] .

وقد دبَّجت يراعة العلامة الندوي عدة مقالات وبحوث وكتب في هذا الموضوع الشريف ، ومنها الجدير بالذكر كتابه « المدخل في دراسات الحديث النبوي الشريف » الذي لا يختلف في الميزة التأليفية للعلامة ، إلاَّ أنه ملأ فراغاً في الدراسات للحديث الشريف ، حيث من المشاهد أنه من يُقبل على هذه الدراسات يُفاجأ بشيء لم تسبق له معرفته ، فإنه إمَّا يدرس الحديثَ المقرر في المنهج التعليمي المدروس على سبيل التقليد من دون معرفة لبُعد مراميه ، وعُمق معناه ، وأهمية مكانة السنة في التشريع الإسلامي ، وصمود الأئمة من السلف الصالح ، وإمَّا مَن يدرس وفي نفسه تطلعات إلى معرفة حقيقة الحديث ، ولا يُستبعد أن تعتمل الشكوك في صدره عن مصدر الحديث ، وتدوينه ، وسبب التأخير في جمعه ، وقد أثار الحاقدون وعلى رأسهم المستشرقون أنواعاً من الشكوك حول حجِّية الحديث ، ونبغ في كل بلد إسلامي من ضعاف النفوس من يردّد أصداء المعاندين ، تتحد مواقفهم وتختلف لهجاتهم ولغاتهم ، فكان من الضروري أن يقدم للطالب دراسةً مستفيضةً تحوي أهمَّ ما يجب أن يعلمه قبل البدء في دراسة الحديث الشريف . وقد سدَّ كتاب العلامة الندوي هذا فراغاً كبيراً في ذلك .

---

(١) انظر مقدمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله عباس الندوي لكتاب « المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف » طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

ميزات أسلوب العلامة الندوي في كتاباته وبحوثه الحديثية :

يتجلَّى في أسلوب العلامة الندوي في كتابته في الحديث النبوي الشريف بعض ميزات ، أذكر من أهمِّها هنا :

أولًا : تدفُّقٌ طبيعيٌّ حماسيٌّ في بيان أهمية الحديث وتشخيص مكانته في الشريعة .

ثانياً : تعبيرات رائعة ، لم يسبق لي الاطلاع عليها خاصةً في كتابه « المدخل إلى دراسات في الحديث النبوي الشريف » مثل وصفه للإحسان « الطب النبوي » وهذا الوصف يزيل عن وجه الإحسان غبار الشبهات لمن هدى الله قلبه إلى الحق ، وتعريف الأمة التي لا تحتفظ بالأسوة « محرومة الإرث ، محذوفة الصور ، مقطوعة الأصل » ووصف الحديث أنه « صورة حية لذلك العهد (عهد النبي ﷺ) وتذكرة ناطقة » للحياة النبوية تزخر بكيفيات العهد النبوي وتتعطر بأريجه وتفوح بِرَيَّاه .

ثالثاً : إعطاؤه حق كل مؤلف ما يستحقه من الإعجاب والإشادة من دون أي بخس ونقصان ، فذكر أصحاب المراجع بما يستحقونه من الإعظام والإجلال .

رابعاً : لم يمنعه خلافات فقهية من إشادة أعمال قام بها الذين يتبعون الفقه المغاير لما يتبعه المؤلف .

خامساً : حرصُه الشديد على أن يناشد قادة العلم والفكر أن لا يجعلوا الخلافات الفقهية مبعث نزاع وفساد بإبرار حماسهم الزائد في إنكار أمور استقر عليها رأي الجهات المختلفة ورضوا عن الأخذ بما عندهم من الاتجاه الفقهي والالتزام به .

وللعلامة دراسة أخرى حول الحديث بعنوان : « دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته » .

وغير هذا له مقدِّماتٌ ضافيةٌ لبعض كُتب المؤلفين المعاصرين في الحديث ، يتجلَّى منها له باعٌ في هذا الفن الشريف ، أذكر هنا تلك الكتب الحديثية التي قدَّم لها العلامةُ . فمنها على سبيل المثال :

١ ـ **أوجز المسالك شرح موطأ الإمام مالك** : للمحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي ـ رحمه الله ـ .

www.abulhasanalinadwi.org

٢ ـ **تكملة فتح الملهم في شرح صحيح مسلم** : للعلامة الفقيه الشيخ محمد تقي العثماني ـ حفظه الله وأمتع به ـ .

٤ ـ **الأبواب والتراجم للبخاري** : للمحدّث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

٥ ـ **لامعُ الدُّراري على جامع البُخاري** : للمحدِّث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

٦ ـ **الكوكب الدُّرِّي على جامع الترمذي** : للمحدِّث رشيد أحمد الكَنْكُوهِي ـ رحمه الله ـ .

٧ ـ **بذل المجهود في حل سُنن أبي داود** : للعلامة المحدِّث الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوْرِي ـ رحمه الله ـ .

٨ ـ **تهذيب الأخلاق** : للعلامة الشريف عبد الحي الحسني ـ رحمه الله ـ .

٩ ـ **الرَّوائع والبدائع في البيان النبوي** : لفضيلة أستاذنا الشيخ محمد نعمان الدين الندوي ـ حفظه الله وأمتع به ـ .

وقد جمع حفيدُه أستاذنا الشيخ بلال عبد الحي الحسني الندوي ـ حفظه الله ومدَّ في عمره ـ جميعَ هذه المقدمات إضافةً إليها بعض مقالات العلامة المتَّصلة بالحديث في كتابٍ مستقلٍّ سمَّاه « نظرات في الحديث وفي الصحاح الستة ونبذة من تاريخ تدوين الحديث »[1] جزاه الله عنَّا وعن المهتمِّين بهذا الموضوع خير جزاء .

---

(١) وقد صدر عن دار ابن كثير بدمشق عام ١٩٩٩م .
وقد قام المؤلِّفُ بجمع جميع مقدِّمات العلاَّمة الندوي التي كتبها للكتب ذات موضوعاتٍ مختلفةٍ ـ والتي ستصدر من دار ابن كثير ـ وأضفنا إليها بعضَ مقدّماته لكتب الحديث ، والتي لم ترد في كتاب «نظرات في الحديث . . ».

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة الندوي والفقه

لم يُصنِّف العلامة الندوي في الفقه كتاباً مستقلاً فضلاً عن بعض البحوث والمقالات التي كتبها فيه[1] ، والإشراف فيه على بعض الكتب التي أُعِدَّت لمقررات المعهد الثانوي الشرعي التابع لدار العلوم ـ ندوة العلماء ، رغم أنه درس الفقه فيما درس من علوم الشرع المتوازنة ، حتى إن كتابَه « الأركان الأربعة » الذي تحدَّث فيه عن الصلاة والزكاة والصيام والحج ، لكنه لم يُعْنَ فيه بالناحية الفقهية ، بل هو يبحث في مكانتها وخصائصها وأسرارها وآثارها في النفس والمجتمع والحياة ، فقد كتبه بلغة الدَّاعية والمربِّي ، لا بلغة الفقيه .

وسِرُّ ذلك فيما يبدو لي ـ كما يقول العلامة يوسف القرضاوي حفظه الله وأمتع به[2] ـ جملة أمُور :

أولها : أنَّه لم يتبحَّر في الفقه ، كما تبحَّر في التاريخ والأدب مثلاً .

والثاني : أنَّ ذوقه العقلي كان أميلَ إلى كلِّيات الدعوة والفكر منه إلى جزئيات أحكام الفقه .

والثالث : أنَّ ورعه الشديد ، جعله يبتعد عن تحمُّل تبعةَ إفتاء الناس في الحلال والحرام ، فرأى السلامةَ في البُعد عن هذا المجال .

والذي يبدو لي من نهج الشيخ في كتاباته : أنَّه لم يكن يُعنى بالاجتهاد الفقهي كثيراً ، ووكله إلى المتبحرين فيه ، والمؤَهَّلين للاجتهاد بشروطه وضوابطه . وحسب

---

(١) ككتاب « الفقه الميسَّر » الذي ألَّفه الشيخ شفيق الرحمن الندوي ـ رحمه الله ـ بإشراف وتوجيهات العلامة الندوي ، والكتاب نادر المثال في بسط الأسلوب وحُسن التفهيم للمبتدئين في الفقه الحنفي وقد صدر بعناية المؤلِّف من دار ابن كثير بدمشق .

(٢) في كتابه الذي ألَّفه إثر وفاة العلامة الندوي ـ رحمه الله ـ بعنوان « الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته » ، طبع في دار القلم بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

عوام الناس أن يسيروا وِفْقَ مذاهبهم التي نشؤوا عليها ، وتلقوها من علماء بلدانهم .

ولذا أجِدُ فارقاً بينه وبين الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ، فقد كان داعية من الطراز الأول ، وكانت الدعوة لحمتَه وسداه ، ولكنَّه دخل في الفقه من باب الدعوة ، وأثار قضايا فقهية ، جلبت عليه سخط كثيرين ممَّن لا يرون رأيه ، وما أكثرهم ! كما رأينا ذلك في رؤيته لعدد من القضايا ، مثل قضايا المرأة (دية المرأة مثلاً) وقضايا الدولة (الجهاد هل هو هجومي أو دفاعي) . (الشورى أهي مُعْلِمة أم مُلْزِمة ؟) . . . إلخ . وقضايا المجتمع مثل الغناء والموسيقى . . . إلخ .

وقد أدخلت هذه النظراتُ الفقهيّة الداعيةَ الكبير الشيخ محمد الغزاليّ في معارك مع مخالفيه كما حدث بعد كتابه « السنَّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث »[1] .

والعلاَّمة الندوي ـ والله أعلم ـ لا يريدُ أن يدخل في معارك من هذا النوع ، بل هو يريدُ أن يجمعَ القلوب أولاً على صدق الإيمان ، وإخلاص العبادة ، واستقامة الأخلاق ، وحُسن التعامل مع الله والناس .

ومشربُه هنا قريبٌ من مشرب الإمام الشهيد حسن البنَّا ، فقد كان حريصاً أن يجمعَ ولا يفرِّق ، وأن يبني ولا يهدم . وقال في أحد أصوله العشرين الشهيرة : « لكلّ مسلم لم يبلغ درجة النظر في الأحكام الشرعية أن يتَّبعَ إماماً من أئمة الدين ، ويحسنُ به أن يتعرّفَ على أدلَّةِ إمامه ما استطاع ، وأن يتقبَّل كلَّ إرشادٍ مصحوب بالدليل ، متى صحَّ عنده صلاحُ مَنْ أرشده وكفايته ، وأن يستكملَ نقصَه العلميَّ إن كان مِنْ أهل العلم ، حتى يبلغَ درجة النظر » .

---

(١) وقد كُتبت دراساتٌ نقديةٌ وعلميةٌ عديدةٌ حوله ، ومنها « الغزالي والسُّنَّة النبوية . . . نظرات وملاحظات » للدكتور منذر أبو شعر ، طُبع في دار البشائر ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة الندوي والتاريخ

إنَّ التاريخ هو ذاكرةُ البشرية ، وسجِلُّ أحداثها ، وديوان عِبَرها ، والشاهد العدل لها أو عليها ، ويهمُّنا في ذلك تاريخ الإسلام ، والأمة الإسلامية خاصةً ، وتاريخ الإنسانية بصفة عامة ، أعني المواقف الحاسمة منه ، والملامح الرئيسية فيه ، وكان العلامة الندوي من كبار الغوَّاصين في أعماق التاريخ ، المطَّلعين على بواطنه وآفاقه ، العارفين بنقاط القوة ونُقاط الضعف فيه ، وقد وظَّفه في خدمة فكرته في إيقاظ الأمة ، وتنبيهها على قيمتها بين الأمم ، ورسالتها في العالمين .

وكان يرى العلاَّمةُ : أن التاريخ مرآة الأمم وخزانة العِبَر المبرزة لأسباب النهوض والهبوط في حياتها ، فليس ثمة من سقوط أو نهوض يحدث عفواً أو اتفاقاً ، وإنما هي سُنن وقوانين مرتبطة بتصرفات الأمم وأعمالها ، فعلى هذه التصرُّفات والأعمال تتوقَّف مصائرها في سيرة التاريخ ، وعلم القرآن والحديث هو الدليل الهادي إلى أسرار هذه السُّنن الإلهية وعملها في حياة البشر ، والتمكّن من علم الأدب أداة لا معدىٰ عنها لإبراز هذه الحقائق على أفضل وجهٍ ، كما يعتقد العلامةُ : أنه كلّما عرف العاملون للدعوة الإسلامية كيف يغتنمون الفرصة بتوجيه قواهم للكشف عن مساوىء نظم الحكم غير الإسلامية المستمدَّة من الحضارة الغربية وما تُقاسيه الشعوب في ظلِّها ؛ كلَّما أحرزوا نجاحاً جديداً لدعوتهم .

وقد تجلَّت عند العلامة المعرفة بالتاريخ منذ كتابه الأول المشهور في الآفاق « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » الذي قدَّمه إلى المسلمين في العالم العربي والإسلامي .

ورث العلامةُ الذوقَ بالتاريخ والشغف بكتبه من والده : مؤرِّخ الهند الأكبر العلامة الشريف عبد الحي الحسني الذي استحق بجدارة لقب ابن خلّكان الهند لمؤلَّفه القيم « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » ، فنشأ العلامة الندوي في هذا المُناخ ، أو في هذا البيت الذي كان يُعنى بالتاريخ والتراجم وسِيَر العظماء والمصلحين ، فثارت في

www.abulhasanalinadwi.org

نفسه ملكة الإعجاب بمواضع العظمة والنبالة ومكارم الأخلاق وعلوّ الهمّة وسموّ النفس ! كما قال هو عن نفسه في معرض حديثه عن النشأة والتربية :

« لقد وُلدتُ في بيتٍ كان موضوعُه الحبيب ، بل هوايته التأليف في سير الرجال وطبقاتهم ، وتراجم العلماء وأهل الفضل ، وخاصة الذين أنجبتهم أرضُ الهند ، ونبغوا في شبه القارة الهندية منذ دخول الإسلام في هذه البلاد إلى هذا القرن .

ونشأتُ في بيئة كان الحديث الدائر المتكرر في أوساطها ومجالسها ، وتُكْأَة المتحدِّثين فيها : الإشادة بالمُثُل والقيم الإنسانية والعلمية ، والتنويه بسمات العلماء الكبار ، ومجالات اختصاصهم وتبريزهم ، والشعارات الغالبة عليهم ، والتغني بنبوغ أصحاب النبوغ ، وعبقرية أصحاب العبقريات في مختلف العصور والأمصار في إكبار وإعظام ، بل في شيء من الهيام !

« فثارت في نفسي ملكةُ الإعجاب بمواضع العظمة ، والنبالة ، ومكارم الأخلاق ، وعلوُّ الهمّة ، وسموُّ النفس من بين أفراد البشر في سنٍّ مبكِّرة لا تنبعث فيها هذه الملكة في غالب الأحيان ؛ والملكاتُ البشرية المودعة في طبائع الأطفال قد يثيرها باعثٌ خاصٌّ من بيئة وتربية وحوادث مخصوصة ، فتنقدِحُ وتتفتَّق قبل أدائها الطبعي المعتاد »[1] .

هذا البيت الذي عاش فيه العلامة أو نشأ في ظلِّه ، رسخ في طبعه ووجدانه ، حتى صدر عنه ، أو كان حافزه لمتابعة الكتابة والتأليف في هذا الباب : حتى صار الأمر ـ أو كاد ـ وراثة تاريخية في هذه الأسرة الكريمة ، أو أحد تقاليدها العلمية .

ولهذا لا عجبَ أن يبدأ العلامةُ الندوي بعد حياته العلمية ، أو حياته كمؤلِّف وكاتب بمؤلَّفه الجامع : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟!) بل أن يكون هذا الكتابُ قطبَ الرحى بين كتبه ومؤلفاته . وأن يكتب ثلاثة أجزاء بعد الجزء الأول من سلسلة أو كتاب : (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) . وأن يكتب كذلك في (السيرة النبوية) ، وفي سيرة أمير المؤمنين سيِّدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) انظر تقديمه لكتاب « الأمير سيد حسن بن حسن خان حياته وآثاره » للدكتور محمد اجتباء الندوي ، ص(٥ ـ ٦) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

كتاب (المرتضى) بالإضافة إلى كتابه القديم : (المسلمون في الهند)[1] ، ونودّ في هذا السياق ـ وتأكيداً لهذا الحسّ التاريخي أو الوراثة التاريخية ـ أن نشير إلى أن الفصول الأولى ـ التاريخية ـ تعدّ أبرز مزايا كتاب العلامة في السيرة النبوية . وأن نُنوِّه كذلك بالإيجاز الدعوي الموثق في كتابه (المرتضى) وبأهدافه التربوية والتعليمية ، إلى جانب عناية المؤلِّف الظاهرة بتحليلات وآراء الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد .

---

(١) سنتحدث عن جميع هذه الكتب في الفصل الثاني لهذا الباب .

www.abulhasanalinadwi.org

العلاّمة الندوي والأدب

كان الأدبُ واحداً من تلك الموضوعات الأثيرة التي وُلِعَ بها العلاَّمةُ الندوي ولعاً شديداً ، وأقبل عليه إقبال الكبار منذ نعومة أظفاره ، وأكبَّ على قراءة أمَّات كتب الأدب واللغة حتى غربَلَ مكتبهما ، يشهد بذلك تصنيفه « مختارات من أدب العرب » والذي يدلُّ على سَعَة اطلاعه على الأدب العربي ، فحصلت بذلك عنده ملكةٌ موهوبةٌ ، وقدرةٌ قويةٌ ، وحِسٌّ مرهفٌ في الأدب واللغة ، ساعده ذلك بَعْدُ على التدبُّرِ لمعاني القرآن الكريم ، والاستخراج منه اللآلىء والجواهر ، والوقوف على نقاطٍ بلاغيةٍ في الحديث النبوي الشريف ، والذي لا يتأتّى ذلك كلُّه لأحدٍ إلاَّ بالتعمُّق في دراسة كُتب الأدب ، والخوض في أسرار اللغة .

وقد آتاه الله البيان الناصع ، والأدبَ الرفيعَ ، كما يشهد بذلك كلُّ من قرأ كتبه ورسائله ، وكان يمتاز بتمكُّنٍ عجيبٍ من اللغة العربية وآدابها ، وتذوقٍ رفيعٍ لهما ، شهد بذلك كبار علماء وأدباء العرب أمثال أديب العربية الكبير الشيخ علي الطنطاوي ، وعلاَّمة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار ، والداعية الشهيد الأستاذ سيد قطب وغيرهم ، وقد ذكرتُ ما قال هؤلاء في أسلوب العلامة الندوي وإلمامه باللغة العربية في القسم الثاني لهذا الفصل .

يحسن بي أن أعرض هنا على القرّاء بعضَ أساليبه الأدبية اختياراً من ثلاثة من كتبه، وهي : « روائع إقبال » و « إذا هبَّتْ ريحُ الإيمان » و « ماذا خسر العالم . . . ؟ » أمَّا اختيار هذه الكتب بالذات من بين عشرات كتبه ومؤلَّفاته فهو لتميُّزها الخاص بالتنوُّع في الموضوع ، والتوحُّد في الأسلوب ، والذي يعجز عن الجمع بينهما كثيرٌ من الكتَّاب والأدباء ، وبذلك يتجلَّى قدرة الكاتب وبراعة المؤلِّف في كتبه ومؤلَّفاته .

« عندما يريد أحدٌ أن يكتب شيئاً عن شخصيةٍ علميةٍ وأساليبَ كتابته . يحتارُ ويستصعب ذلك ، إذا كانت آثارُه العلمية قليلةً جداً ، غير أن الأمر يزداد صعوبةً واستعصاء إذا كانت مؤلَّفاته كثيرةً ومتنوّعةً . وهذه هي المشكلة التي واجهتني لدى

www.abulhasanalinadwi.org

اعتزامي كتابة هذه السطور . فمِن حقِّ أيّ مفكّرٍ مؤلّفٍ غزيرِ الإنتاج مثل العلاَّمة الندوي أن لا يَكْتُب عن أساليبه الأدبية إلاَّ مَن درس مؤلّفاته دراسةً فاحصةً تُمكّن المتتبِّعَ من الاستنتاج والتعقيب والاستشهاد ، على نحو أفضل وأمثل حين قيامه بالكتابة .

بعض نماذج الأساليب الأدبية للعلاَّمة الندوي مِن كتبه :

١ ـ من« روائع إقبال » :

وقرأتُ فعلاً كتاب العلامة : « روائع إقبال » فأُعْجِبْتُ بأسلوبه الأدبي الرائع إعجاباً كبيراً . وإنَّ أيَّ شخصٍ أوتي نصيباً من الفكر والذوق للأدب العربيِّ لن يتردَّدَ في القول بأنه لم يكن من الممكن تفسير كلام شاعر الدكتور محمد إقبال ونقله إلى العربية بأسلوبٍ أروع وأقوى ، وعلى نحوٍ أبلغ وأرقى ممَّا نقله به العلاَّمةُ نقلاً أميناً مقروناً بالشرح والإيضاح .

فقد وَصَف إقبالَ ، الذي كان شديدَ الانتقاد لنظام التعليم الحديث ، الجيل الذي نهل من مناهل هذا النظام ، ونقله إلى العربية شيخنا الأديب الأريب الندوي ، فجاء تصويرُه على النحو التالي :

« إنَّ الشباب المثقَّف فارغُ الأكواب ، ظَمْآنُ الشَّفتين ، مصقولُ الوجه ، مظلمُ الرُّوح ، مستنيرُ العقل ، كليلُ البصر ، ضعيفُ اليقين ، كثيرُ اليأس ، لم يُشاهِد في هذا العالم شيئاً . هؤلاء الشبان أشباهُ الرجال ، ولا رجالَ ، يُنكِرون نفوسَهم ويؤمنون بغيرهم ، يبنى الأجانب من تُرابهم الإسلامي كنائسَ وأديراً ، شبابٌ ناعمٌ ، رخوٌ رقيقٌ في الشباب كالحرير ، يموت الأملُ في مهده في صدورهم ، ولا يستطيعون أن يفكِّروا في الحرية »[1] .

ولا يخفى ما في هذه العبارة المسبوكة بجُمَلٍ وتراكيب متساوقة متناسقة ، مِن روعة البيان وقُوَّة التأثير . ويمضى شيخنا الأديب الندوي في نقل كلام شاعر الإسلام فيقول :

« إنَّ الأفرنج قد قَتَلوه (أي الشباب المثقَّف بالثقافة العصرية) من غير حربٍ وضربٍ ، عقول وقحة ، وقلوب قاسية ، وعيون لا تَعِفُّ عن المحارم ، قلوب

---

(١) روائع إقبال : ص (٦٣ ـ ٦٤) طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

لا تذوب بالقوارع . كلُّ ما عندهم من علمٍ وفنٍّ ، ودينٍ وسياسةٍ ، وعقلٍ وقلبٍ يطوف حول المادِّيَّات ، قلوبهم لا تتلقَّى الخواطرَ المتجدِّدة ، وأفكارهم لا تساوي شيئاً ، حياتهم جامدةٌ ، واقفةٌ متعطِّلةٌ »[1] .

يتبيَّن لمتأمِّلٍ في العبارة : أنَّ الكلمات التي ينتقيها العلاَّمةُ الندوي هي مِن أحسن ما يمكن انتقاؤه للتعبير عن مثل هذا المعنى ، وعندما يستخدمها في صياغة العبارة يضعها في مواضعها وَضْعَ صائغٍ ماهرٍ مصفوفةً متراصةً ، إذا أدخل عليها تعديل ، أو تصرَّفَ فيها متصرِّفٌ ؛ فقدت ترابطها وتلاشَتْ فصاحتُها .

وفيما يلي نموذجٌ آخر مِن النثر الأدبي الرائع للعلاَّمة ، يعبِّر فيه عن فكر إقبال قائلاً :

« يتمنَّى الدكتورُ محمد إقبال للإسلام جِيْلاً جديداً ، شبابُه طاهرٌ نقيٌّ ، وضربه مُوجِعٌ قويٌّ .

إذا كانت الحربُ فهو في صولته كأسدِ الشَّرى ، وإنْ كان الصُّلْحُ فهو في وداعته كغزال الحمى .

يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحَنْظَلِ ، هذا مع الأعداء وذاك مع الأولياء .

إذا تكلَّمَ كان رقيقاً رفيقاً . وإذا جَدَّ في الطلب كان شديداً حفيّاً . وكان في حالتي الحرب والصُّلْح عفيفاً نزيهاً .

آماله قليلةٌ . ومقاصده جليلةٌ ، غنيُّ القلب في الفقر ، فقيرُ الجسم والبيت في الغنى ، غيورٌ في العُسْر ، رؤوفٌ كريمٌ عند اليُسْر .

يظمأ إن أبدى له الماءُ مِنَّةً . ويموت جوعاً إنْ رأى في الرِّزق ذِلَّةً .

إذا كان بين الأصدقاء كان حريراً في النُّعُوْمَة . وإن كان بين الأعداء كان حديداً في الصَّلاَبة .

كان طَلاًّ ونَدى ، تتفتَّحُ به الأزهارُ ، وتَرِفُّ به الأشجارُ .

وكان طوفاناً تصطرع به الأمواجُ وترتعد له البحارُ ، إذا عارض في سيره صخوراً

---

(١) روائع إقبال : ص(٦٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

وجبالاً ؛ كان شَلاَّلاً . وإنْ مَرَّ في طريقه بحدائق ؛ كان ماءً سَلْسَالاً »[1] .

تتميَّزُ هذه العبارةُ بأسلوبٍ أدبيٍّ قويٍّ حيث أفرغت فيها المعاني الجَزْلة في قالب مِن جُمَلٍ وتراكيب تُناسبها ضخامة وجلجلة وفصاحة ، كما أنَّ المعاني الرقيقة المستملحة قد أفرغت في قالب من ألفاظ تُلائمها رَقَّةً وعُذُوبةً وسَلاَسَةً .

فإنَّ جُمَلاً وتراكيب مثل : « كان طوفاناً تصطرع به الأمواجُ ، وترتعد له البحارُ » ومثل : « وإذا عارَضَ في سَيْرِه صخوراً وجبالاً كان شَلاَّلاً » تنطوي على كلماتٍ لها رنينٌ وطنينٌ .

أمَّا التراكيبُ مثل « كان طَلاًّ ونَدَى تتفتَّحُ به الأزهارُ ، وتَرِفُّ به الأشجارُ » و« ماءٌ سَلْسَالٌ » و« حريرٌ في النُّعُوْمَة » و« غَزَالٌ في الوَدَاعة » و« حلاوة العسل » كلها تراكيبٌ وألفاظٌ تفيض روعة وسكينة وحلاوة تلائم المعاني المستملحة اللطيفة .

وإليكَ ممَّا جاء في هذا الكتاب الماتع الممتع تحت عنوان « حديث الربيع » يقول فيه :

« خَيَّم سلطانُ الربيع . وانتشرت جنوده في رحاب الصحراء وأودية الجبال ، وقامت دولة الزهور والرياحين ، ودَبَّت الحياةُ إلى الصَّخرات والحجارة ، حتى كادت تنطق وتنطلق ، وغشيت العالَمَ سحابةٌ من المَرح والسُّرور ، حتى أبت الطُّيورُ أن تستقرَّ في أوكارها مرحاً ، وانطلقت عيونُ الجبال تَمِيس وتنساب كالحَيَّات في الصعيد ، تَدُبُّ أحياناً ، وتجري برفقٍ وهدوءٍ ، وتتدفَّقُ أخرى وتجري بقوَّةٍ وسرعةٍ ، وإذا حَبَسها حابسٌ ؛ فلقت الصخورَ والهَضَبات ، وشَقَّت طريقَها إلى الأمام ، وإنها لحريرها الدائم تُغَنِّي نشيدَ الحياة وتردِّدُ حقائقها »[2] .

تمثِّلُ هذه الفقرةُ أيضاً الأسلوبَ الأدبيَّ البارعَ القويَّ للعلاَّمة الندوي ، فهي تحتوي على جُمَلٍ وتراكيب في غايةٍ من الرَّوعةِ والبراعة وقوة التأثير ؛ إذا أنها تصوِّر منظراً طبيعياً واقعياً جميلاً ساحراً فيتجاوب مع نغمات الطُّيور التي أبت أن تستقرَّ في أوكارها مرحاً ، ويتفاعل مع نَشْوة الزهور والرياحين ، وتَدُبُّ الحياةُ في كل ما حوله من صحراء

---

(١) روائع إقبال : ص(٧٣) .
(٢) المرجع السابق : ص(١٦٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

وأودية وجبال وصخور وهضبات ونجاد ووهاد ، وعيون تتدفق منها المياه فتتحول شلالاً في أماكن ، وتنساب انسياباً هادئاً في أماكن أخرى ، ويتمتع القارىء الذي يشعر وكأنَّه المشاهد للمنظر ويسري النشاط في أحشائه ، وتجيش عاطفته وتخطر على باله خواطر ، وتفيض قريحته إذا كان كاتباً ، وتهيج شاعريته إذا كان شاعراً .

إنَّ أيَّ كاتبٍ يملك قدرةً هائلةً على استخدام تعبيرات قوية متنوعة بحكم غزارة مادَّته من العلم والفكر واللغة التي تطيعه تعبيراتها وكلماتها وتأتيه تترى متدفِّقةً من معجم ذاكرته للمفردات ، مثل العلاَّمة الندوي . لا يستريح لقيود تحد من حريته مثل قيود تفرضها الأمانة في الترجمة ، والدِّقَّةُ في نقل الكلام من لغةِ صاحبه إلى لغةٍ أخرى ، لذلك يلاحظ قارىء كتاب « روائع إقبال » أنَّ ما كتبه العلاَّمةُ ـ وهو يغطي جزءاً كبيراً من الكتاب ـ للتعريف بالشاعر والتمهيد لشعره أو التعقيب عليه لشرحه وتفسيره لا يُعادل أسلوبه الأدبي القوي المؤثِّر فيما نقله من كلام الشاعر إلى القالب العربي فحسب ، بل يفوقه أحياناً بما فيه من تعبيراتٍ وتراكيب أروع وأقوى استخدمها وهو طليق حر غير مصفد بقيود لا تتمشىٰ مع فيضان قريحته وهو يكتب عن فكر شاعرٍ أَحَبَّه ؛ لأنه رآه يُوافِق هواه ، ويعبِّر عن ضميره وخواطره وينسجم مع عقيدته وتفكيره ويتناغم مع عواطفه ومشاعره . فيقول العلامة مثلاً : (وقد لا أكون موفَّقاً) . في الاختيار بحيث يمكن اختيار ما هو الأروع إذا أُعيدت قراءة الكتاب) .

إنَّ إقبال تخرج من مدرستين : مدرسة الثقافة العصرية والدراسات الغربية ، ومدرسة القلب والوجدان ، ويتحدَّث عن هذه المدرسة قائلاً :

« إنَّها مدرسةٌ ما خاب من تعلَّمَ فيها ، وما ضاع من تخرَّجَ منها ، إنَّها مدرسةٌ لم تخرِّج إلا أئمةَ الفن المجتهدين ، وواضعي العلوم المبتكرين ، وقادة الفكر والإصلاح المجددين ، الذين يشغلون المدارس ورجالها بتفهم ما قالوا ، ودراسة ما كتبوا ، وشرح ما خلَّفوا ، وتعليل ما ألَّفوا ، وتأييد ما أثْبتوا ، وتفصيل ما أجملوا ، فيتكوَّن من كلمتهم كتاب، ومن كتابهم مكتبة . . . إنَّها مدرسةٌ ما تُعلِّم التاريخَ بل تَلِد التاريخ، وما تشرح الفكرة ، وما تنتخب الآثار بل تنتج الآثار ، إنَّها مدرسةٌ توجد في كل زمان . . . إنَّها مدرسةٌ داخليةٌ تولد مع الإنسان ، ويحملها الإنسان معه في كل مكان ،

www.abulhasanalinadwi.org

هي مدرسة القلب والوجدان ، هي مدرسةٌ تشرف عليها التربية الإلٰهية وتَمُدُّها القُوَّةُ الروحية »[1] .

ويقول العلامة وهو يتحدث عن عواملَ ساهمت في تكوين سيرة إقبال وعقليته وشخصيته :

« . . . وقد كانت هذه المعرفةُ من كبار أنصار شخصيته ورسالته ، وممَّا انتفع به الإسلامُ انتفاعاً عظيماً ، وقد عصمت الشاعر من التَّيْهِ الفكريّ والهُيَامِ الأدبيّ ، اللذين يصاب بهما أدباؤنا وشعراؤنا وكتَّابنا وعلماؤنا ! فينتجعون كلَّ كلأ ، ويهيمون في كل وادٍ ، ويكتبون في كل موضوع وافق عقيدتهم أم لا ، ويمدحون كل شخص »[2] .

ويقول العلاَّمةُ في مقدِّمة الكتابَ :

« وجدته شاعر الطموح والحب والإيمان[3] . . . كلما قرأت شعره جاش خاطري وثارت عواطفي ، وشعرت بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسي وبحركة للحماسة الإسلامية في عروقي »[4] .

ويمر القارىء بتجربة غريبة أثناء قراءة هذا الكتاب فهو بتأثر منذ البداية بالمكانة الفكرية والأدبية لشخصيتين معاً . . شخصية الشاعر وشخصية المترجم ، والشارح لشعره وكلما يتقدم في القراءة كلما يزداد هذا الشعور بالتأثر ، ويخيَّل إليه وكأنهما يتجاوبانه ويحاول كل منهما أن يفرض عليه سلطانه ويستأثر بإعجابه ، عن غير عمدٍ في صراعٍ غير متعمّدٍ ، منشود محمود ، غريب من نوعه .

وما أصدق ما قاله فضيلةُ الشيخ محمد رابع الحسني الندوي عن هذا الأثر الأدبيِّ في كلمته التي تتصدَّرُ الكتاب من « أن العلاَّمة يَعرِض فكرَ شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبا خيرَ عرضٍ وأصدقه ، كما أنَّه يقدِّم نماذج شعره منقولة إلى العربية نثراً بأدقِّ ترجمةٍ وأروعها ، يتبينها المُطَّلِع على اللغة العربية واللغة التي عبَّر فيها الشاعر عن تأملاته وأفكاره ، فإنه سيرى فيها الدِّقة ، والقدرة على النقل الأمين ، والروعة البيانية ، وذلك

---

(١) روائع إقبال : ص(٤٠ ـ ٤١) .
(٢) المرجع السابق : ص(٥٤ ـ ٥٥) .
(٣) المرجع السابق : ص(١٣) .
(٤) المرجع السابق : ص(٢٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

لأنَّ المؤلِّف كان يقرأ الشعرَ أولاً بإمعانٍ وينفعل معه انفعالاً فكرياً وأدبياً ثم كان يصوغه بقالب مشابه لأصله دقةً وبياناً ، فأصبح الكتابُ بذلك نموذجاً رائعاً جدّاً للتعريب . . . لم يعد به الكتابُ استعراضاً لفكر الشاعر وحده ؛ بل صار نقلاً لبيانه الشعري أيضاً ، ونصوصاً أدبية بذاتها في اللغة العربية »[1] .

وإنَّني إذ أُؤكِّد هذا الرأي الذي يتوافق مع رأيي وانطباعاتي عن « روائع إقبال » أقول إن هذا الكتاب إذا كان يحتوي على روائع شعر إقبال المعبِّر عمَّا جبل عليه المؤلِّف من « الطموح والحب والإيمان » فإن يحتوي في الوقت نفسه على روائع أدبية (وفكرية كذلك) للعلامة أبي الحسن الندوي ، غير أنَّ روائعه الأدبية والفكرية ليست مقصورةً على هذا الكتاب ـ وينطبق ذلك أيضاً على روائع الشاعر ـ فحسب ؛ بل أنَّها منبثةٌ في مؤلَّفاته الكثيرة القيِّمة .

إنَّ كلَّ موضوع يتقضي أن يعالج بأسلوب خاصٍّ به ، وليس بإمكان كل كاتب أن يراعي هذا الأمر فيصنف موضوعاً يختاره وافياً بمتطلباته ، أمَّا الكاتب القدير مطاعُ اللفظ والأسلوب فإنه يتبع في كلِّ موضوعٍ ما يلائمه من أسلوب من بين أساليب أدبية متنوّعة تختلف حسبَ اختلاف ما للمعانى من العُمق والقُوَّة والجزالة او اللُّطف والجمال والاستملاح . ولا يتأتَّى أيُّ أسلوبٍ للكتابة إلا من خلال ما يستعمله الكاتب من تعبيرات وتراكيب فهي قِوَامُ كلِّ أسلوب ، ومن ذلك نجد من الأساليب ما هو أسلوبٌ أدبيٌّ ساحر يفتن القارىء ويبعث النفس على النشاط والسرور ، ويحرِّك العواطف والخواطر ، ويمثِّل كتاب « روائع إقبال » أحد النماذج الرفيعة المستوى لهذا الأسلوب .

٢ ـ من « إذا هَبَّتْ ريح الإيمان » :

ومن الأساليب ما هو رصينٌ رزينٌ يغلب عليه طابع التاريخ إذا كان الموضوع المعالج به ممَّا يتصل بالأحداث والوقائع التاريخية ، وهو ما نجد مثاله ؛ بل خيرُ مثالٍ لذلك ، في كتاب العلامة الندوي : « إذا هَبَّت ريحُ الإيمان » فقد انتهج ـ رحمه الله ـ فيه أسلوباً رفيعاً يختلف عن أسلوبه في « روائع إقبال » . فيلاحظ القارىء أنَّ هذا الأسلوب يتميَّز بغاية من الرصانة والرزانة فتندر فيه تراكيب مؤلفة من كلمات لها جلجلةٌ وفخفخةٌ ، ويوجد في معظمه من الاتزان والهدوء والتسلسل ما يتلاءم مع الموضوع

---

(١) روائع إقبال : ص(٥ ـ ٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

الذي يعالج تاريخَ الدعوة والجهاد في الهند في القرن الثالث عشر الهجريَ ، وقد ألقى فيه المؤلِّف الكبير أضواء على حياة قائد هذه الدعوة والجهاد والإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد ، وسيرة أصحابه ورفاقه في أمانةٍ تاريخيةٍ .

غير أن الأسلوب المتبع في هذا الكتاب ليس أسلوباً جافّاً خشبياً نجده في كتب التاريخ ؛ لأنه ليس كتابُ تاريخٍ عامٍّ وإنما هو كتابُ تاريخٍ للحركة والدعوة والجهاد في سبيل الإسلام (والوطن) ، ولذلك قلتُ : إنه أسلوبُ كتابة التاريخ بيْد أنه في الوقت نفسه أسلوبٌ يختلف نوعاً يقتضيه تاريخ الدعوة والجهاد وما ينطوي عليه هذا التاريخ من أمجاد وبطولات وتضحيات . . . وهي ممَّا ينفعل معه المؤلِّف انفعالاً إيمانياً دعوياً ، فإنَّ نفسه كانت مطبوعةً ـ باعترافٍ منه ـ على « الطموح والحب والإيمان » تندفع اندفاعاً قوياً إلى كل ما من شأنه سيادةُ الإسلام وتسخير هذا الكون لصالحه ، ومن هنا فإننا نلاحظ أن أسلوب العلامة الندوي في هذا الكتاب رغم تميُّزه بالرصانة أو الصبغة التاريخية تتجلّى فيه أيضاً مسحاتٌ من قوَّة البيان وحماسة الإيمان ، ولا أستطيع أن استشهد على ذلك بإيراد مقتطفات من الكتاب لا يتسع لها المكانُ فاكتفي بالإشارات إلى قبساتٍ قصيرةٍ .

من المعلوم أنَّ كل موضوعٍ له تشعُّباتٌ وبعضها بمثابة ثنايا طريق من الطُّرُق بالنسبة لصلب الموضوع ، ويغيِّر الكاتب القدير أسلوبه عندما يعالج تشعُّباً من هذه التشعُّبات ، فإذا احتاج إلى وصف مكانٍ وموقعه وما في طريقه من وعورةٍ ووعثاءٍ ؛ استخدم أسلوباً يلائمه ، وتظهر هذه البراعةُ في كل ما كتبه العلامة وممَّا يدلُّ عليه قوله مثلاً :

« ويمرون بشعوب وقبائل لا يفهمون لغتها ولا تفهم لغتهم ، وقد لا يجدون إلا آباراً قد غار ماؤُها ومَلُح ملوحةً شديدةً لا يجدون غيره يبلُّون به غِلَّتَهم ، ويَسقونه ما شيتهم ، وقد يُضطرُّون إلى حفر آبارٍ وحفر في أنهار مالحة يفيض ماؤها بسرعة ، ويمرُّون في طريقهم الطويل الذي يمتد على مئات من الأميال برمال وعثاء وأرض تكثر فيها الوهَادُ والنِجَادُ ، وتِلَالٌ من الرَمْل يتعب الإنسانُ فيها إذا مشى خطواتٍ قليلة[1] .

وعندما نقرأ مثل هذه العبارات يُخيَّل إلينا وكأنَّنا نقرأ كتاباً من أجود كتب الجغرافيا وضعها كتَّابٌ من ذوي الخبرة والتخصُّص في الموضوع .

---

(١) إذا هبت ريح الإيمان : ص(٧٢) ، طبع دار ابن كثير ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

٣ ـ من « ماذا خسر العالمُ بانحطاط المسلمين ؟! » :

أمَّا أسلوب العلامة الندوي في كتابه : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟!»، باكورة مؤلَّفاته فإنَّه أيضاً يتميَّز ويتكيَّف بالمباحث فيتغيَّر ، لأن موضوع الكتاب هو تاريخٌ وتفكيرٌ وتحليلٌ واستنتاجٌ ، وتنعكس هذه العناصرُ على الأسلوب مجتمعة تارةً ، وعلى انفراد تارة اخرى ، وفوق ذلك كلِّه هناك عنصرٌ هامٌّ آخر يُكسب هذا الأسلوب صفة متميّزة ؛ وذلك العنصر يتمثَّل في حرص المؤلِّف على سيادة الإسلام والإيمان بخلود رسالته . فهو يدرس التاريخ دراسةً موضوعيةً ثم يحلِّل حَصَادَ دراسته تحليلَ باحثٍ إسلاميٍّ ويستنتج من زاوية نظره الإسلامية النزيهة بأسلوبٍ علميٍّ متميّزٍ لا تحامُلَ فيه ولا تعصُّب .

ولا حاجة بنا إلى أن نستشهد على ذلك بإيراد مقتطفاتٍ من هذا الكتاب الشهير فهو غنيٌّ عن التعريف به ، كما لا يسعه المقامُ ، لذلك أرى الاكتفاء بنقل جزء من مقتطفاتٍ أوردها الداعيةُ الشهيد الأستاذ سيد قطب في « ظلال القرآن » ضمن تفسير لسورة العصر قبسها من الكتاب في البحث قائلاً :

« يقول الأستاذُ أبو الحسن الندوي في كتابه القيِّم : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » . . . عن هذه القيادة الخيرة الفَذَّة في التاريخ كلِّه ، وتحت عنوان « عهد القيادة الإسلامية » : الأئمَّة المسلمون وخصائصهم : (ظهر المسلمون وتزعَّموا العالمَ ، وعزلوا الأممَ المريضةَ من زعامة الإنسانية التي استغلَّتْها وأساءتْ عملَها ، وساروا بالإنسانية سيراً حثيثاً مُتَّزِناً عادلاً ، وقد توفَّرت فيهم الصفاتُ التي تُؤَهِّلهم لقيادة الأُمَم وتضمن سعادتها وفلاحها في ظِلِّهم وتحت قيادتهم . .

وأحذف جزءاً طويلاً ممَّا نقله الأستاذُ سيد قطب مكتفياً بالجزء الأخير منه :

« إنَّ الإنسان جسمٌ وروحٌ ، وهو ذو قلبٍ وعقلٍ وعواطف وجوارح ، لا يسعد ولا يفلح ولا يرقى رقياً مُتَّزِناً عادلاً حتى تنمو فيه هذه القُوَى كلُّها نُمُوّاً متناسباً لائقاً بها ، ويتغذَّى بها غذاءً صالحاً ، ولا يمكن أن تُوجَد المدنيَّة الصالحة البَتَّةُ إلا إذا ساد وسطٌ دينيٌّ خُلُقِيٌّ عقليٌّ جسديٌّ يمكن فيه للإنسان بسهولة أن يبلغ كماله الإنساني ، وقد أثبتت التجربةُ أنه لا يكون ذلك إلاَّ إذا كانت قيادةُ الحياة وإدارة دَفَّة المدينة بيد الذين يؤمنون بالرُّوح والمادة ، ويكونون أمثلةً كاملةً في الحياة الدينية والخُلُقِيَّة ،

www.abulhasanalinadwi.org

وأصحاب عقول سليمة راجحة ، وعلوم صحيحة نافعة » (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)[1] .

صحيحٌ : أن الكتابة حول أي موضوعٍ تتطلَّب اتباع أسلوبٍ خاصٍّ به ، ولا يتسنَّى مراعاة ذلك إلا لكاتبٍ قديرٍ مثل العلاَّمة النَدويّ . فقد تميَّزَتْ أساليبُه عن بعضها البعض من كتابٍ إلى آخر حسب موضوعه ، ولكنها ليست متباينةً وإنما هي متميزةٌ بعضها عن بعض تميُّزاً يمتشَّىٰ مع الموضوع ، ولا بُدَّ من أن يؤخذ بعين الاعتبار أنَّ هناك رُوحاً جوهريةً تلازم هذه الأساليبَ ولا تُفارِقها ، وإذا فارقَتْها فلا يطول فراقُها . . ولعلَّ هذه الرُّوْحَ الجوهرية تتمثَّل فيما تفيض به مؤلَّفاته وكتبه من حيويَّةٍ وحماسةٍ للإسلام ؛ لأنَّه يكتب ـ كما أشار إليه الأستاذُ فاروق حماده في التنويه بأساليب العلامة ـ بمداد الفؤاد ونور اليقين الذي ملأ أقطار قلبه .

ويقول الدكتور شكري فيصل (عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، وأستاذ جامعة دمشق والمدينة المنوَّرة سابقاً) بصدد حديثه عن مميّزات كتاب « ماذا خسر العالم . . . » : « إنَّ سماحته يستثمر التراكيب القرآنية والعربية استثماراً واسعاً ، ويختار العناوين ، ويلوِّنها اختياراً وتلويناً طريفين » واعتقد : أنَّ هذه ملاحظةٌ هامَّةٌ تعبِّر عن ظاهرةٍ ليست مقصورةً على هذا الكتاب وإنما هي ظاهرةٌ عامَّةٌ من أسلوب العلامة سواء أكانت في الكتب الأدبية أو غيرها .

ومن المعلوم : أنَّ كُتب العلاَّمة الندوي كثيرةٌ ومتنوِّعةٌ وهي على كثيرتِها وتنوعها إسلاميةٌ علميةٌ فهي تمثِّل ركناً هامّاً من المكتبة الإسلامية ، ومن حقِّه ـ كما قلتُ في البداية ـ أن لا يكتب عن أساليب الأدبية إلاّ من اطَّلع على جميع مؤلَّفاته ، وسبر غورها »[2] .

* * *

(١) في ظلال القرآن : انظر تفسير سورة العصر . وماذا خسر العالم . . . ؟! » ص(١٨٣ ـ ١٨٦).
(٢) من مقال الأستاذ عميد الزمان الكيرانوي المنشور في مجلَّة « ثقافة الهند » العدد الخاص بالعلاَّمة الندوي ، المجلد (٥٢) ، عام ٢٠٠١م .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

خصائص مؤلّفات العلاّمة الندوي

يعدُّ العلاَّمة أبو الحسن النَّدوي ـ رحمه الله ـ في طليعة أولئك العلماء والمفكِّرين القلائل الذين أسهموا بكتاباتهم العلمية المبدعة ، وجهودهم الدعوية القوية في النهضة الإسلامية الواعية منذ نصف قرن ، وسدوا الثغرات العلمية والأدبية الهامة ، وملؤوا الفراغ الفكري في تفهُّم أسرار الشريعة ، وفي تحليل الوقائع والأحداث ، بالدقة العلمية والغوص العميق ، وتشخيص الأمراض ، واتخاذ الوسائل والأساليب لمعالجتها ، مع المميِّزات الروحية المشرقة ، وأخلاق علماء السلف الكريمة .

إلى تلك الخصائص البارزة والجهود المباركة أشار ـ قبل أربعين سنة ـ الأستاذُ الجليل الداعية الكبير الدكتور مصطفى السباعي في تقديم كتاب : « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » بقوله :

« في العالم الإسلامي حركةٌ قويةٌ ترمي إلى الرجوع للإسلام كشريعة تنظِّم شؤون الحياة ، وتقيم الموازين القسط بين الناس ، وتحقِّق للمسلمين تحرير ديارهم من الاستعمار ، وتحرير عقولهم من الجهالة والخرافة ، وتحرير مجتمعهم من الظلم والفقر والفوضى ، وترى هذه الحركة : أنَّ الإسلام ـ في ينابيعه الصافية وتراثه السليم من عهد السلف الصالح ـ زعيم بتحقيق هذه الأهداف في أتمِّ وجهٍ وأكمله ، كما أنه هو الطريق الذي لا بدَّ منه لنهوض العالم الإسلامي من كبوته وسباته ، وهذه الحركة قائمة في كل قطر من أقطار العرب والمسلمين ، تجدها في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان ، ومكة المكرمة والكويت ، وغيرها من الأقطار العربية كما تجدها في باكستان والهند ، وإندونيسيا وغيرها من بلاد الإسلام ، ولها في كل بلد قادة تميزوا بها بالصدق في عزائمهم للنهوض إلى هذه الغاية ، والوضوح والصراحة في إعلان مبادئها والتبشير بها بين جماهير أمتهم .

ومِن أعلام هذه الحركة المباركة الأستاذ أبو الحسن الندوي ـ مؤلِّف هذا

www.abulhasanalinadwi.org

الكتاب ـ ، فهو عالم مصلح وداعية مخلص ، دأبَ منذ آتاه الله العلم على الدعوة إلى الله بقلمه ولسانه وبرحلاته الدعوية إلى أقطار العروبة والإسلام ، وبجولاته الموفَّقة في ميادين الدعوة ، حتى إنه اليوم ليعدُّ من أبرز أعلام الإسلام والمصلحين ، وله كتبه ومؤلفاته التي تتميز بالدقة العلمية ، وبالغرض العميق في تفهم أسرار الشريعة وبالتحليل الدقيق لمشاكل العالم الإسلامي ، ووسائل معالجتها ، عدا عما يمتاز به من روحٍ مشرقة وخلق نبويّ كريم ، ومعيشة تذكرك بعلماء السلف الصالح في زهده وتقشفه وعبادته وكرامة نفسه »[1] .

إذا قمنا باستعراض مؤلفات العلاَّمة الندوي وتقييم جهوده المباركة ، فإننا نرى : أنَّ هذه المؤلفات تحتَلُّ مكانةً بارزة في مجال الدعوة والتربية الإسلامية ، وتمتد هذه الجهود على مدى نصف قرن كامل في كتاباته ومحاضراته ، ورسائله وجولاته الميدانية ، وأعماله التعليمية والتربوية والاجتماعية في الشرق والغرب .

أثمرت جهود العلاَّمة الندوي المخلصة ، وسدّت كُتبه الإصلاحية والفكرية والدعوية والتربوية والأدبية فراغاً هائلاً في المكتبات العربية ، وتناولها كبارُ كتَّاب ومفكِّري العالم الإسلامي بحفاوةٍ بالغةٍ ـ فضلاً عن غيرهم ـ وعلّقوا عليها تعليقات طيبة ، وأشادوا بها إشادات وافية .

أبرزُ سمات مؤلَّفاتِه :

أولاً ـ سهولةُ الأسلوب والصياغة الأدبية الرفيعة : امتلكَ العلاَّمةُ الندوي قلماً سيّالاً ، كتب به عدداً من المؤلَّفات والمقالات ، وأسلوباً سهلاً بحيث لا يجد القارىءُ صعوبةً في فهمه ، وقدرةً في العرض تظهر في حُسْن اختيار الكلمات الفصيحة والشواهد الشعرية وبراعة الاستدلال والاستنتاج ، وفي صياغة تتسم بحُسْن السَّبْك ، وجمال العبارة ، وإبداعٍ في الصُّوَر البيانية ، ومع أنَّ غالب مؤلَّفاته فكريّةٌ ، إلا أنها صيغت في هذا القالب الرائع الذي يدلُّ على ملكةٍ أدبيّةٍ دفَّاقةٍ ، وقدرةٍ لغويّةٍ ظاهرةٍ ؛ مكَّنَتاه من جمال العرض وقوَّة التعبير ، وأكسبتا موضوعاته الفكرية التي تناولها قلمُه جاذبيةً ووضوحاً .

---

(١) من تقديم كتاب « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » (١/ ٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

ثانياً ـ سلامةُ المنهج : تتميَّزُ كتاباتُ العلاَّمة الندوي بسلامة المنهج التي تظهَرُ في التزامه بالكتاب والسُّنَّة ، وعرضه لمضامينها ، وتقيُّدِه بقواعد الشريعة ومقاصدها العامة ، استمَدَّها من روافد كثيرة ؛ في مقدمتها بيئته العلمية التي نشأ فيها ، وارتضع منها لبانه الثقافي منذ نعومة أظفاره ، فقد كانت بيئتُه محافظةً على العقائد الصحيحة رغم ما انتشر في الهند من أديان ونحل منحرفة .

ودرج العلاَّمةُ على إتمامِ زادِهِ العلميِّ في صباه ثم شبابه ينهل من معين « ندوة العلماء » التي تُعَدُّ رافده الثاني في بناء شخصيته الفكرية ، يقول عنها الشيخُ على الطنطاوي[1] : « سَلَكَتْ طريقاً وسطاً بين الأزهر بعدما شاخ وتخلَّفَ شيئاً قليلاً عن الركب . . . وبين جامعةِ عليكراه التي أنشأها السَّر سيِّد أحمد خان ؛ لتساير الزمان ، فلم تجمد الندوةُ جمودَ الأزهر القديم ولم تَمِعْ ميعانَ (عليكراه) ، بل أخَذَتْ من طرفي الأمور بأحسنها ، وكانت تجربةً كتب الله لها النجاح » .

وقد وهبته السنونُ المليئة بالممارسات العلمية والدعوية والرحلات والتجارب والخبرات رسوخاً في الفكر ، ووضوحاً في الرؤية ، وسداداً في الرأي ، وصلابة في الحقِّ ، كان من ثمرتها النضجُ العلمي ، والمقدرةُ على تأصيل الفكر الإسلامي وإبرازه على أنه نسيج وَحْده ، مستقلٌّ عن غيره من الآراء والاتجاهات الفكرية ، والعودة به إلى مصادره الصحيحة ، وتناوَلَ ذلك في ذاتية وشمول وموضوعية .

ثالثاً ـ نظرةُ الاستقراء للتاريخ : قلَّ أن يخلو كتابٌ من كُتبِه ، أو مقالٌ من مقالاتِه ، أو محاضرةٌ من محاضراتِهِ من سردِ واقعةٍ، أو استنتاجِ عبرةٍ، أو استشهادِ بسيرةٍ ، أو منادمةِ طللٍ ، مما يدُلُّ على قراءة متأنية للتاريخ ، وسَعَةِ اطلاعٍ لمصادره المتنوِّعة ، مما مكَّنه من الاستفادة من دروسه ، واستلهام مُثُله ، وتوظيف مواعظه في استنهاض الهِمَم ، وبناء المستقبل ، وربطه بالماضي ، ووهبه نظرةً شاملةً لم تقتصر على تاريخ الإسلام مع عنايته به، واهتمامه بتاريخ سيرة الرسول ﷺ وأصحابه وخلفائه خاصّة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ بل امتدَّتْ لتشمل كذلك التاريخ الأوروبي والشرقي ، وهي ثقافة تاريخية تمتزج بها كتابات العلاَّمة قَلَّ أن يتمتَّعَ بها غيرُه من مُعاصِريه ، منحته قدرةً فاحصةً على الموازنة بين الأمور والمواقف والأحداث المستجدة ، وتقييمها ،

---

(١) في تقديمة لـ « في مسيرة الحياة » (١/ ١١ ـ ١٢) للعلاَّمة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

ودراسة المجتمعات وتطوراتها ، ومعرفة حقائق الوقائع ، وإدراك آثارها .

رابعاً ـ **الدعوةُ إلى الإسلام** : يدعو العلاَّمةُ الندوي إلى الإسلام في كُتبهِ في أسلوبٍ معتدلٍ بين الأصالة والمعاصرة ، في ضوء الدراسات الكثيرة والتجارب العميقة ، والممارسات الطويلة ، والأفكار النيِّرة الصافية الشَفَّافة ، وشعارُ دعوتهِ فيما كَتَب وأَلَّف « إلى الإسلام من جديدٍ » فيُخاطِبَ عقولَ الرجال والنساء والأطفال ، ويشحن قلوبَهم بنُور العقيدةَ وجذوة الإيمان ، ويُلقي أضواءً ساطعة على العقيدة والعبادة والسُّلوك ، والتاريخ والأدب ، ويأتي ببراهين من الكتاب ، والسُّنَّة المشرفة ، والسِّيْرة النبوية ، وحياة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ويُقدِّم نماذجَ علمية رائعة من دعوة أعلام ورجال الفكر والدعوة في الإسلام . ومنهج الدعوة في كُتبه مقتبَسٌ من القرآن الكريم ، ثم من الحديث الشريف ومن السيرة النبوية .

خامساً ـ **العنايةُ بالعرب وهمومهم ومشكلاتهم** : يُبدي العلاَّمةُ اهتماماً كبيراً في مؤلَّفاتِه وكتاباتهِ بالعرب وبمشكلاتهم المختلفة ، وبنهضتهم ، وهو يهتمُّ ، باعتبارهم عصبة الإسلام ، وأهل الرسول الكريم ﷺ ، وأحفاد الصحابة الميامين ، والمفروض فيهم أن يقودوا الركبَ الإسلامي ، وأن يأخذوا بزمام القافلة الإسلامية ، فقد كان لقضية فلسطين في كتاباته جزءٌ كبيرٌ من تفكيره وشعوره ، والاهتمام بهذه القضية قديمٌ ظاهرٌ وبارزٌ في تراث العلاَّمة كلِّه ، وكان من رأيه : أنها تحتاجُ إلى شخصيةٍ قياديةٍ إيمانيةٍ تنفُخُ في الأمَّةِ من رُوحِها ؛ مثلما فعل صلاحُ الدِّين الأيُّوبي .

سادساً ـ **الغيرةُ على قضايا المسلمين ومستقبلهم** : استولت قضايا المسلمين على اهتمام العلاَّمة الندوي ، وتركَّزَتْ دراساتُه على واقع المجتمعات الإسلامية ومستقبلها ، وتحرَّقَ على أوضاعها المؤلِمة ، وقد امتزَجَتْ غيرتُه عليها بأملٍ يطرد اليأسَ على رغم ما أصاب الأمةَ الإسلامية من أدواء مُهلِكةٍ أفقدتها القيادة العالمية التي كانت تمسك بزمامها قروناً من الزمن . فإنَّ شعوبها (لا تزال تحمل العاطفةَ الفيَّاضة الجيَّاشة من الإيمان والحنان والتضحية والإيثار والطاعة والانقياد والحبِّ والإخلاص ؛ التي لا تُوجَد في أية أمةٍ ماديةٍ على ظهر الأرض ، إنَّ جماهير البلاد الإسلامية على رغم جهلها المؤسف ، وتأخرها المُؤلِم ـ خاماتٌ بشرية ممتازة يصنع منها نماذج إنسانية جميلة ، وطراز رفيع من البشر ، إنَّ أكبر قُوَّتها الإيمان والإخلاص والبساطة والحماس ، وهذه القوَّة لعبت دوراً خطيراً في التاريخ ، وصنعت

www.abulhasanalinadwi.org

العجائبَ ، وأتت ببطولات وخوارق تدهش لها العقول . . فيجب ـ بناءً على حبّ الواقعية والحقيقة ـ أن نقدر هذه القوّة الكبرى حقَّ قدرها ، ونعتبرها أضخم رصيدٍ ، وأمضى سلاحٍ ، وأقوى وسيلةٍ للمحافظة على سلامة البلاد ، وأداء أي واجب كبير وخطير على مسرح العالم ، ولكن هذه القوة الشعبية الإيمانية نفسها بدأت تتضعضَعُ تحت تأثير التجديد والتغريب ، وبدأ في هذه الشعوب سرطان خلقي لا ينفع فيه الدواء والعلاج)[1] .

لقد نعى العلاَّمةُ الندوي ما يتعرَّضُ له العالمُ الإسلامي من غارةٍ واسعةٍ استطاعت أن تذوِّبَ شخصيتَه ، وأن تُغرِّبَ مجتمعاته ، وأن تستعبد أبناءه ، وقد دفعته إلى صراعٍ صامتٍ مقنَّعٍ ، هذا الصراع معركة (بين فكرتين : الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية بأوسع معانيهما وآفاقهما وأبعادهما ، هي معركةٌ نستطيع أن نلخِّصها في قولنا : هل يبقى هذا الشعبُ وهذه البلادُ الإسلامية بكلّ معاني الكلمة تنظر إلى الدِّين الإسلامي على أنه يكفل سعادة البشر في جميع مجالات الحياة . . . أم هو دين عقيدة وإيمان فحسب ، وقضية شخصيّة لا شأنَ لها بالمدنيّة وتخطيط الحياة وسياسة التربية والتعليم ، وصياغة الأجيال وِفْق عقائده وقِيَمه ومُثُله ، وتشريع القوانين وحقِّ التدخّل في الحياة ؟ وقد أبدى أسفه الشديد على أن غالب الأقطار الإسلامية اختارت فيما يظهر المسلك الثاني ، حتى أصبحت نسخةً ناقصةً من المدنية الغربية ، وصورةً شاحبةً لها ، لا تسترعي اهتمام الغربيين ، ولا تحرِّك فيهم مشاعر الإجلال والاحترام)[2] .

وأسهَمَ العلاَّمة الندوي في بناء الوعي الفكري تِجَاه الدسائس الغربية ، والدعوات الهدَّامة ، والمخطَّطات المغرضة التي تحاك ضدَّ الأمة الإسلامية ، مؤكِّداً على وجوب أخذ الحذر منها ، ومواجهتها بكلِّ الإمكانات المتوفِّرة في مُقوِّمات شخصية الأمة وجوهر رسالتها ومركزها في العالم ، فيقول مخاطباً إخوانه في الجزيرة العربية : « أنتم تعيشون في قطعةٍ قد رَكَّز الأعداء كلَّ جهودِهم ، وكلَّ ذكائهم ، وكل مخطَّطاتهم على إزالتها عن رسالتها ، وعن شخصيتها الإسلامية العربية ، عن قيادتها للعالم الإسلامي ، هذه مؤامرةٌ من أخطر المؤامرات التي عُرِفتْ في التاريخ ، إنَّ الشعوب

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية : ٢١٧ .
(٢) أسبوعان في المغرب الأقصى : ص(١٤٦ ـ ١٥١) .

www.abulhasanalinadwi.org

على الرغم مما عندها من نظرياتٍ مختلفةٍ ـ قد تكون متناقضةً ـ تلتقي على نقطةٍ واحدةٍ ، وهي القضاء على مكانة الجزيرة العربية ، وقطع صلتها عن الإسلام . . إنَّه ليس العالم الخارجي والشعوب والحكومات البعيدة عن هذه الجزيرة هي التي تشكِّل الخطر فحسب . . ، بل إنكم محاطون بدعوات مناهضة للإسلام ، ومعسكرات تقوم على فلسفات تتناقض مع الإسلام ، فأنتم لا يسوغ لكم أبداً أن تَخلُدوا إلى الراحة ، وأن تعيشوا عيشة المنعمين المترفين ، أقول لكم بصراحة : الترف هو العامل الأكبر لهدم الحكومات ، وانقراض المدنيات ، وسقوط المجتمعات ، وهو الذي ذمَّه القرآنُ ، فيقول : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء : ١٦][1] .

أسلوب العلاَّمة الندوي في مؤلَّفاته وكتاباته :

أمَّا أساليب العلاَّمة الندوي العلمية والأدبية ، والخصائص البارزة لأفكاره وآرائه ، فنكتفي هنا بنقل بعض الانطباعات التي أبداها كبارُ العلماء والقادة والمربُّون والمفكرون في العالمَين الإسلامي والعربي ، ثم نقدِّم تعريفاً موجزاً عن أهم مؤلفات العلاَّمة الندوي وميزاتها وخصائصها والجوانب الهامة التي تعرَّضت لها هذه الكتب ، وملأت الفراغ الواقع في مجال الدعوة والفكر الإسلامي .

يقول الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ عن ميزة مؤلَّفات العلاَّمة الندوي :

« كتبه ومؤلفاته تتميز بالدقة العلمية ، وبالغوص العميق في تفهُّم أسرار الشريعة ، وبالتحليل الدقيق لمشاكل العالم الإسلامي ووسائل معالجتها »[2] .

يقول فقيد الفكر الإسلامي ، الكاتب الموسوعي الكبير : الأستاذ أنور الجندي :

« أسلوبُ العلاَّمة الندوي في غاية الروعة والجمال ، وله قدرة عالية في البيان ، وعُمْق الفهم للإسلام ، يركز العلاَّمة الندوي دعوته على العرب ، ودورهم الممثل في اليقظة الإسلامية وآماله وتطلعاته إلى النهضة الجديدة التي تحمل لواءَ المفهوم الصحيح للإسلام دينياً ودولياً ، ونظام مجتمع ومنهج حياة » .

---

(١) نفحات الإيمان بين صنعاء وعمَّان : ٣٨ .

(٢) في تقديمه لـ « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » (١/ ٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

يستغرب الناس ويندهشون حينما يرون تنوع مؤلفات العلاَّمة الندوي ، تتميز كلها بالإبداع ، والدقة العلمية والأسلوب القوي ، فيتساءلون عن منابع القوة والتأثير والحيوية والسحْر الحلال »[1] .

وإلى تلك الخصائص البارزة والمنابع الدافقة يشير الأستاذ محمد المجذوب :

« والمتتبِّع لما يكتب العلامةُ الندوي ، يشعر بأن لعباراته الأدبية سحراً لا يتوفر في العادة إلا في العِلْيَة من أصحاب المواهب الذين تعمَّقُوا في سرَّ الكلمة وتفاعلوا بها ، وكان لقلوبهم أكبرُ الأثر فيما يصوغون ، وتلك هي الخاصة الرئيسية التي يمتاز بها أبداً أولو الأذواق الروحية من المتخرِّجين في مدرسة القرآن ، وبهذه الخاصة يتناول العلامةُ الأحداث التاريخية ، فإذا هي مائجة بالحياة والعِبرَ ، وقلَّما نقرأ له بحثاً أو قصةً أو حديثاً لا تُلمَسُ أثناءه هذه الصورة الناطقة بالحكمة »[2] .

يؤيِّد الباحث المحقِّق الأستاذ فاروق حمادة تحليل الأستاذ محمد المجذوب ، ويشير إلى أساليب العلاَّمة الندوي وميزاتها البارزة بين المعاصرين ، ويضغط على ذلك بقوله :

« تمتاز كتاباتُ العلامة الندوي كلها بعذوبة ورقة ، قلَّما نجد لها نظيراً بين كتابات المعاصرين ، وتفيض مؤلفاته وكتبه عاطفةً وحيوية ، وحماساً ، وهذا ما يجعل القارىء يعيش الفكرة التي يتحدث عنها العلامةُ الندوي بأحاسيسه وبفؤاده ، وبعقله وفكره ، وأنه يكتب بمداد الفؤاد ونور اليقين الذي ملأ أقطارَ قلبه ، إنه لرائد جيل في هذا الميدان ، ومؤسِّس مدرسة منفردة »[3] .

يقول المحدِّثُ المحقِّق فضيلة أستاذنا الشيخ نور الدين عِتْر ـ حفظه الله وأمتع به ـ عن خصائص مؤلَّفات العلاَّمة الندوي :

« . . . وقد رأيتُني لمَّا وقفتُ على مؤلَّفات هذا الداعية المجدِّد رأيتُني أرتاحُ لما يقول ، وأَطمئِنُّ لما يقررُ ، لا يخافُ قارئُه منه في معالجة القضايا تزيُّداً على الحقيقة ولا انتقاصاً منها ، ولا مجاراةً لغير الحقيقة الإسلامية ، لقد أُوتي الفقيدُ ـ رحمه الله ، ورضي

---

(١) أعلام القرن الرابع عشر الهجري : ص(٤١٩) .
(٢) علماء ومفكِّرون عرفتهم : (١/ ١٤٩) .
(٣) مصادر السيرة النبوية وتقويمها : ص(١١٣ ـ ١١٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

عنه ـ علماً بدقائق الإسلام ، وعُمْقاً في تحقيق القضايا ، وحجَّةً نَيِّرةً فيما يدعو إليه ، توَّج ذلك كلُّه قلمٌ بارعٌ قويٌّ فصيح الأداء ، سَلِس الأسلوب . . . » .

« . . . ونسجِّل لمولانا أبي الحسن نزعتَه المعتدلة في دراساته لأعلام من رجال الفكر المؤثر في الإسلام، إنه عندما يُترجِم لبعض مَنْ له آراءٌ شاذَّةٌ تلحظه ينوِّه بالجوانب القيِّمة في القضايا المتَّفق عليها ، ويكتفي بإشارةٍ عابرةٍ لتلك الآراء . وذلك مسلكٌ حكيمٌ يفتح للأمة طريقها أن تأخذ من الرجال الأعلام ما تجمع كلمتها ، وتعذرهم فيما انفردوا به عن جمهور أمة الإسلام . وهذا درسٌ للجميع ولإخواننا مثيري الجدل في الفروع، لهم الأسوة الحسنة بالشيخ التي هي اقتداء بالسَّلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ، بل امتثالٌ لأمر الله ورسوله في رعاية حرمة المؤمن، وحرمة اجتماع كلمة المؤمنين[1] » .

هذه هي الاعترافات البليغة لهؤلاء العلماء الأعلام بكتب العلاَّمة الندوي من حيث التأثير القوي في النفوس والروحانية .

وأمَّا لغةُ العلاَّمة الندوي وأسلوبه في كتبه فهذا ممَّا يقوله في ذلك بعضُ رجال الفكر والدعوة والأدب .

يقول الداعية الكبير العلاَّمة يوسف القرضاوي :

« . . واللغة التي يكتب بها الشيخُ الندوي أو يخطب بها : لغةٌ أدبيةٌ راقيةٌ ، سواء قرأتَ له مؤلفاً ، أو استمعتَ إليه محاضراً ، وأعني اللغة العربية ، فأنتَ لا تحسُّ بأن صاحب هذا الكتاب أو الرسالة أعجميُ المولدِ والنشأةِ، وإنْ كان عربيَّ النسبِ والأصلِ.

ولقد سمعتُ من تلاميذ الشيخ من الهنود : أنّه يعتبر من الأدباء المعدودين في الأرديُة ، وهذا ليس بغريبٍ ، ولكنّ الغريب حقاً أن يكون كذلك من أدباء العربية الذين يؤثِّرون في الفكر والشعور بكلماتهم الحية والجميلة وعباراتهم الناصعة والأخَّاذة »[2] .

ولقد شهد له بذلك مَن شهد من كبار الأدباء ، وحسبنا منهم الأديب الكبير الأستاذ على الطنطاوي ، والذي يقول :

« . . . قد يشتغل غيرُ العربيِّ بعلوم العربية حتى يكون إماماً فيها ، في اللغة

---

(١) يحدِّثونك عن أبي الحسن الندوي : ص(٣٦٤ ـ ٣٦٥) .
(٢) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : ص(١٥٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

والنحو، والصرف والاشتقاق ، وفي سَعة الرواية ، بل إنّ أكثر علماء العربية كانوا (في الواقع) من غير العرب ، ولكنْ من النادر أن يكونَ فيهم مَن له هذا الذوق الأدبي الذي نعرفه لأبي الحسن، فلو لم تثبت عربيَّتُه بصحَّة النسب؛ لثبتت بأصالة الأدب . . . »[1].

أُوتي العلامة الندوي الحمية الدينية ، والحماسة الدعوية الجليلة ، والقوة الكتابية الخطابية إلى جانب الإدراك العقلي ، وجمال الأسلوب اللفظي ، والذوق المصفَّى ، والحسِّ المرهف ، والذهن الخصب ، هذه السِّمات هي التي تميزه بين العلماء والدعاة والمفكرين وتجعله جامعاً بين بلاغة الأولين وسهولة المتأخرين .

إلى هذه الميزات المبدعة يشير الأستاذ أحمد محمد طحَّان معلِّقاً على كتاب العلامة الندوي « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » بقوله :

« عندما أتحدَّث عن السيد أبي الحسن الندوي فإني أتحدَّث عن كاتبٍ إسلامي عظيم من طبقة العلماء القلائل الذين جمعوا بين العرض الموضوعي العلمي الدقيق ، وبين المقارنة الواسعة والحلِّ المناسب ضِمن أسلوبٍ أدبيٍّ رصينٍ ، جمع بين بلاغة الأولين وسهولة المتأخرين »[2] .

أختتم هذا المبحثَ بسوق كلماتٍ قيمةٍ هنا للكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ نور عالم خليل الأميني ، جاء فيها وصفٌ صادقٌ دقيقٌ بكتب العلاَّمة الندوي ، فيقول ـ حفظه الله تعالى ـ :

« ثمَّ إنَّ كتابات وخطابات المُعاصِرين من الكتَّاب والدعاة والمفكِّرين رغم خصائصها الكثيرة ومزاياها الجَمَّة لا تتمتَّعُ بالإشراقة الروحانيَّة العجيبة التي لا يسعها التعبيرُ والتي تمتاز بها خطابات وكتابات العلامة الندوي ، فكأنَّ كلَّ حرفٍ من حروفها ، وكلَّ نقطةٍ من نقاطها ، بل وكلَّ نبرةٍ من نبراتها مغسولةٌ بصدق الإيمان ، مصقولةٌ بالحبِّ والحنان ، مضمَّخةٌ بريّا الثقة واليقين ، متَّقدةٌ بحرارة القلب وحرقة الداخل ، وكأن سنا الإخلاص ونور البركة والبرهان ، وبركة الاستنارة بالحديث والقرآن يرقصان بين السطور ، وينبلجان من خلال الكلمات ، وكأنَّ جيوش الصِّدق

---

(١) في تقديمه لـ « المسلمون في الهند » ص(١٦ ـ ١٧) .
(٢) الأستاذ أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكِّراً في ضوء مؤلَّفاته وكتاباته : للأستاذ نذر الحفيظ الندوي ، ص(١٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

والحقُّ تكاد تبرز من بين الحرف والصوت لتغزو كلَّ وكرٍ من أوكار الجاهليّة ، وكلَّ مخبأ من مخابىء الإلحاد والاستهتار .

أشهدُ الله ربِّي : أنِّي لم أجد هذه اللذَّةَ الإيمانيّة الفريدة في كتابات وخطابات أحدٍ من المفكِّرين أو الكتّاب أو الدعاة الإسلاميين ـ رغم تقديري للجميع واحترامي لهم ـ المعروفِين بالجمع بين العلم والأدب ، والمعترف لهم بجلالة الشأن ورفعة المكان عبر العالم الإسلاميّ ، والمشار إليهم بالبَنَان وباللِّسان ، ودَعْ ذكر الخاملين منهم أو المحدودين في المناطق المحليّة الضَّيقة .

ليس الأمرُ مقصوراً على « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » الذي كأنَّه كله شهابٌ ثاقبٌ على أوكار الجاهليّة ، وهزَّةُ حبٍّ لكل مسلم غافل ، وكأنَّه كلّه « وصفة إخلاص » ـ إذا صحّ التعبير ـ أقولُ : ليس الأمرُ مقصوراً على هذا الكتاب الفريد الذي كان ولا يزال شامّاً بين مؤلَّفاتِه كلها ، وإنما جاءت كتاباتُه وخطاباته كلُّها موقّعةً على وتر الإخلاص وملحَّنة على عود الإشراقة الإيمانيَّة ، وقد شهد بذلك كلُّ من قرأه أو استمع له أو اجتمع بشخصه .

كثيراً ما حدثَ : أنِّي قرأتُ صفحاتٍ من مؤلَّفاته ورسائله ، أو استمعتُ لإحدى محاضراته وخطاباته ، ففارت في نفسي عواطف جارفة ، شعرتُ كأنَّ صدري لا يسعها بل ينشَقُّ إنْ حاول ضبطها والسيطرة عليها ، فكنتُ أتجوَّلُ إذا كنتُ واقفاً وكنتُ أقوم إذا كنتُ جالساً ، لأخفِّفَ مِن غلوائها وأتخلَّصَ مِن ضغطها الشديد وكبتها العنيف »[1] .

والآن سأقدِّمُ في الفصل القادم تعريفاً وجيزاً لأهمِّ مؤلَّفاته الفكرية والدعوية والأدبية ، وأعرض قائمة جميع مؤلَّفاته ورسائله في المبحث الثالث للفصل .

* * *

(١) انظر مجلَّة « الصحوة الإسلامية » العدد الخاص بالعلاَّمة الندوي ، العدد (٣٦) ، ص(١٣٥ ـ ١٣٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثاني

مؤلَّفات
العلَّامة أبي الحسن النَّدْوِي

المبحث الأول : تعريف مؤلَّفات العلَّامة الندوي (حسب الموضوعات) .

المبحث الثاني : مجموعات مقالات ومحاضرات العلَّامة الندوي .

المبحث الثالث : جهود العلَّامة الندوي في الترجمة .

المبحث الرابع : الكتب التي حقَّقها .

المبحث الخامس : قائمة مؤلَّفات ورسائل العلَّامة الندوي (مرتَّبة وفق حرف الهجاء) .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

تعريف مؤلَّفات العلاَّمة الندوي[1]

(حسب الموضوعات)

دراسات قرآنية :

١ ـ المدخل إلى الدراسات القرآنية .
٢ ـ الصراع بين الإيمان والمادية وتأملات في سورة الكهف .
٣ ـ النبوَّة والأنبياء في ضوء القرآن .
٤ ـ (دراسات قرآنية) .

الحديث النبوي الشريف :

٥ ـ المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف .
٦ ـ (نظرات في الحديث) .

العقيدة والشريعة :

٧ ـ العقيدة والعبادة والسلوك (في ضوء القرآن والسنة والسيرة النبوية) .
٨ ـ الأركان الأربعة (الصلاة ـ الزكاة ـ الصوم ـ الحج) .

السيرة النبوية :

٩ ـ السيرة النبوية (دراسة مستفيضة) .
١٠ ـ الطريق إلى المدينة .

---

(١) الكتبُ المذكورة بين القوسين هي ليست من مؤلَّفات العلاَّمة الندوي ، إنما هي مجموعات من مقالاته ومحاضراته وبحوثه ، جمعها فأخرجها المؤلِّف في سلسلة « تراث العلاَّمة الندوي » من دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

١١ ـ سيرة خاتم النبيين (للأطفال) .
١٢ ـ (مقالات حول السيرة النبوية) .

فقه الدعوة :

١٣ ـ روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة .
١٤ ـ (في رحاب الدعوة) .
١٥ ـ (مقالات إسلامية في الفكر والدعوة) .
١٦ ـ (محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة) .

الفرق والمذاهب :

١٧ ـ القادياني والقاديانية : دراسة وتحليل .
١٨ ـ صورتان متضادتان بين أهل السنة والشيعة الإمامية .

التاريخ الإسلامي والواقع المعاصر :

١٩ ـ المرتضى (سيرة أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه) .
٢٠ ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام .
٢١ ـ الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله .
٢٢ ـ (من أعلام المسلمين ومشاهيرهم) .
٢٣ ـ إذا هبت ريح الإيمان .
٢٤ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .
٢٥ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية .
٢٦ ـ المسلمون في الهند .
٢٧ ـ مذكِّرات سائح في الشرق العربي .
٢٨ ـ من نهر كابل إلى نهر اليرموك .
٢٩ ـ أسبوعان في المغرب الأقصى .
٣٠ ـ في مسيرة الحياة .
٣١ ـ (رحلات العلاَّمة أبي الحسن علي الحسني الندوي) .

التصوُّف الإسلامي :

٣٢ ـ ربانية لا رهبانية .

www.abulhasanalinadwi.org

الأدب :

٣٣ ـ مختارات من أدب العرب .
٣٤ ـ (نظرات في الأدب النبوي) .
٣٥ ـ نظرات في الأدب .
٣٦ ـ روائع إقبال .
٣٧ ـ شخصيات وكتب .

دراسات عامة في الفكر الإسلامي :

٣٨ ـ إلى الإسلام من جديد .
٣٩ ـ الإسلام : أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية .
٤٠ ـ العرب والإسلام .
٤١ ـ أحاديث صريحة مع إخواننا العرب .
٤٢ ـ المسلمون وقضية فلسطين .
٤٣ ـ نفحات الإيمان .
٤٤ ـ أحاديث صريحة فى أمريكة .
٤٥ ـ حديث مع الغرب .
٤٦ ـ التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب .
٤٧ ـ (خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤوساء) .
٤٨ ـ (إسمعيات) .
٤٩ ـ (بحوث في الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية) .
٥٠ ـ (مكانة المرأة في الإسلام) .

التربية والتعليم :

٥١ ـ التربية الإسلامية الحرّة .
٥٢ ـ قصص النبيّين (للأطفال) .
٥٣ ـ القراءة الراشدة (للأطفال) .
٥٤ ـ قصص من التاريخ الإسلامي (للأطفال) .

www.abulhasanalinadwi.org

دراسات قرآنية :

المدخل إلى الدراسات القرآنية

يشتمل هذا الكتابُ على مجموعة لطيفةٍ من المحاضرات التي ألقاها العلامةُ الندوي أمام جمعٍ حاشدٍ من طلبة دار العلوم ـ ندوة العلماء في أواخر الثلاثينات بعد تعيينه أستاذاً فيها لمادتي التفسير والأدب .

شعَر العلامةُ في أول احتكاكه مع الطلبة بأنَّه لا بدَّ قبل تدريس متن القرآن وشرحه من إلقاء الأضواء الكاشفة حول خصائص القرآن ومزاياه وعلومه ونبوءاته ، ووجوه إعجازه ، ومجالاته الواسعة .

ولا بدَّ كذلك من إجابة بعض الأسئلة الأساسية للوصول إلى بعض آفاق القرآن وأعماقه ، فما هو موضوع القرآن أولاً وأساساً ؟ .

وعن ماذا يبحث هذا الكتاب ويعتني به ؟ ما دور القرآن في إخراج الجيل البشري من الظلمات إلى النور ، وربط المخلوق بالخالق ؟ .

وما هي مكانته الفريدة بين جميع الكتب السماوية السابقة في البقاء على أصالته والبعد عن التحريف ، والتأثير والسيطرة على المجتمع الإنساني وتشكيله وتكوينه ؟

وكيف صمدت علومُه أمام الكشوف الجديدة ، وتحققت نبوءاته ؟ ثم ما هي الشروط الأساسية للاستفادة من القرآن والانتفاع به ؟

وما هي الموانع من الانتفاع به ؟

وهل لا بدَّ من الاتصال المباشر بالقرآن والتذوق به بدون أيِّ حاجز ؟ .

ركّز العلامة في هذا الكتاب تركيزاً خاصاً على إحدى النبوءات القرآنية الهامة التي تحقَّقت كغيرها من النبوءات الأخرى ، وهي نبوءة غلبة الروم التي تعتبر لغزاً من ألغاز التاريخ عند المؤرِّخين الغربيين .

ولكنَّ العلامة حلَّ هذا اللغزَ في ضوء مشكاة القرآن مع تحليل الأوضاع السياسية

www.abulhasanalinadwi.org

والعسكرية ، والعوامل الاجتماعية والخلقية والدينية وراء الهزيمة والانتصار في القرن السادس المسيحي .

أوْرَدَ العلاَّمةُ في هذا الكتاب كثيراً من اللفتات والمعاني والإيضاحات التي يستطيع من خلالها المحققون والدارسون للقرآن الكريم أن يستفيدوا من دراسته ، وينهلوا ويرتووا من نبعه الصافي .

www.abulhasanalinadwi.org

الصراع بين الإيمان والمادية

(تأملات في سورة الكهف)

هذا الكتابُ نتيجة تأمُّلات عميقة ، وعصارة دراسة واعية ظهرَتْ في صفحات مجلة « المسلمون » الصادرة من جنيف تباعاً عام ١٣٧٨ ـ ١٣٨٨هـ ، وحظيت بالعناية والإعجاب في الأوساط الدينية والعلمية ، بل كانت باعثة لكثيرين من القراء على دراسة هذه السورة الكريمة (سورة الكهف) والتأمل فيها من جديدٍ ، والاقتناع بأن بينها وبين فتنة هذا العصر ، والقدرة على مقاومتها صلةً قويةً عميقة .

استعرض العلامةُ الندوي سورة الكهف استعراضاً شاملاً مع قصصها الأربعة ، التي هي عالم هذه السورة وعمدها وأقطابها الأربعة التي تدور حولها حِكَمُهَا ، وتعاليمها ومواعظها .

إنَّ هذه القصص ـ وإنْ تنوعت أساليبها وسياقها ـ اتحدت في الغرض والغاية ، والروح التي تجمع بينها ، وتربطها ربطاً معنوياً ، عميقاً وثيقاً ، وهي أن هذه السورة قصة الصراع بين النظرتين والعقيدتين والنفسيَّتين ، صراع بين الإيمان بالمادة وما يتبعها ، وبين الإيمان بالغيب ، والإيمان بالله ، وشرح لما يتبع كل نظرة من العقيدة ، والعمل الخَلاَّق ، والنتائج والآثار ، وتحذيرٌ من اتخاذ النظرة الأولى التي تؤمن بالمادة وتكفر بالله والغيب .

وفي هذا الكتاب تحليلٌ دقيقٌ وصورةٌ صادقةٌ ناطقةٌ عن طبيعة هذه الحضارة الداجلة التي تولَّدت في القرن السابع عشر ، واختمرت في القرن العشرين ، دراسة عميقة عن سمات الحضارة الغربية وخصائصها ، وتأثيرها وسحرها غير العادي على الحياة والتفكير الإنساني .

www.abulhasanalinadwi.org

النبوّة والأنبياء في ضوء القرآن

هذا الكتاب يحتوي على تلك المجموعة من المحاضرات التي ألقاها العلامة الندوي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٨١هـ ، عندما كان أستاذاً زائراً فيها .

هذا الموضوع لم يكن موضوعاً مرتجلاً ولا من سوانح الآراء والأفكار ، بل كان يجول منذ زمن طويل في خاطر سماحة الشيخ الندوي بسبب تجاربه الطويلة والعميقة في مجال الدعوة والإرشاد ، واطلاعه الواسع على عقلية الطبقة المثقفة ، فرأى معالجته والحديث عنه من أهم البحوث والدراسات التي تشتد حاجة الطبقة المثقفة إليها ؛ لأنها أقوى سبب لانحراف الطبقات المثقفة والحائدة عن الجادة ، ولتخليها عن روح الإسلام الصحيحة ، وخضوعها الكبير للمفاهيم والقيم المادية المنافية لروح الديانات السماوية ، وتمسكها بالأساليب الصناعية ، والمناهج الفكرية الغربية ، حتى في تفسير الإسلام ، وفي مجال الدعوة والإصلاح العام .

الأسئلة الأساسية التي تطرح على مائدة البحث تتعلق بمصدر المعرفة الصحيحة والوسيلة الوحيدة للهداية الكاملة ، وسمات النبوة وخصائص دعوة الأنبياء وشخصيتهم ، والفروق الأساسية بين الأنبياء والمرسلين ، والحكماء المصلحين ، وعن مركزة النبوة والأنبياء ، ووضع رسالاتهم ومهماتهم بين مراكز الطوائف البشرية ، ورسالاتها ومهماتها ، والأساليب المميزة لدعوة الأنبياء والأساليب الصناعية ، وهل كان فهم الصحابة والعرب الأولين لكلمات القرآن ومصطلحاته فهماً صحيحاً ؟ هل ننظر إلى هذه الأسئلة ونجيب عليها في ضوء المصطلحات الحديثة ، ونقيس مهمة النبوة ومركز الأنبياء بالمقاييس العصرية ؟ .

استعرض العلامة هذه الأسئلة كلها في ضوء القرآن ونَظَرَ إليها بمنظار القرآن ، فأبرز سمات النبوة وخصائص دعوة الأنبياء من المصلحين والقادة السياسيين ، وحاول

www.abulhasanalinadwi.org

الوصول إلى آفاق النبوة الواسعة وأعماقها الغائرة وجذورها العميقة ، وأوضح كيف تؤثر دعوة الأنبياء في الحياة الإنسانية ، وتسيطر على العقول والنفوس ، والأخلاق والميول ، وتكوّن السير ، وتشكل المجتمعات ، وتقود المدنيات ، بل تؤسس حضارة خاصة متميزة في كل شيء ، موازية للجاهلية مقابلة لها على طول الخط .

تميزت هذه الصحائف بإشراقة روح الكاتب ووضوح موضوعاته وأفكاره وروعة أسلوبه ، وجمال عباراته ، وجاءت بسبب جلالة موضوعها ، وفخامة مضمونها في قمة ما كتب سماحة الشيخ الندوي لأمته .

يبين هذا الكتاب فضل الأنبياء ومنّتهم على الإنسانية ، ويعيد الثقة والإيمان بالنبوة المحمدية .

هذا الكتاب قائدٌ ونبراسٌ في حلِّ المعضلات والمشاكل الراهنة ، ومحاولةٌ جادةٌ ومخلصةٌ لإحياء الفكر الإسلامي الأصيل .

www.abulhasanalinadwi.org

في الحديث النبوي الشريف :

المدخل إلى دراسات الحديث النبوي

لا يختلفُ هذا الكتاب عن كتبه التي انتشرت في العالم الإسلامي ، والأمر الجامع لكل ما كتبه ويكتبه العلاَّمة الندوي هو ـ إلى حدٍّ علمي ومعرفتي ـ « الابتكار والإبداع » إنَّه لم يأت بشيء جديد من عند نفسه ، ولم يحدث فلسفةً ، ولم يوجد فكرة شاذة في التاريخ والاجتماع ، ولكنه قدَّم كل ما يسَّر الله له أن يقدِّم في لباس مبتكر لم تسبق إليه الأذهان ، ولا يختلف هذا الكتابُ في الميزة التأليفية لسماحة المؤلِّف ، إلا أنه ملأ فراغاً كبيراً في الدراسات للحديث الشريف ، حيث من المشاهد : أنه من يُقبل على هذه الدراسات يفاجأ بشيء لم تسبق له معرفته ، فإنه إمَّا يدرس الحديث المقرَّر في المنهج التعليمي المدروس ، على سبيل التقليد من دون معرفة لبُعْد مراميه ، وعُمْق معناه ، وأهمية مكانة السنة في التشريع الإسلامي ، وجهود الأئمة من السَّلف الصالح ، وإمَّا من يدرس وفي نفسه تطلُّعات إلى معرفة حقيقة الحديث ولا يستبعد أن تعتمل الشكوك في صدره عن مصدر الحديث ، وتدوينه ، وسبب التأخير في جمعه ، وقد أثار الحاقدون ـ وعلى رأسهم المستشرقون ـ أنواعاً من الشكوك حول حجية الحديث ، ونبغ في كل بلد إسلامي من ضعاف النفوس من يردد أصداء المعاندين ، تتحد مواقفهم وتختلف لهجاتهم ولغاتهم ، فكان من الضروري أن يقدم للطالب دراسة مستفيضة تحوي أهم ما يجب أن يعلمه قبل البدء في دراسة الحديث الشريف[1] ، فجاء هذا الكتابُ في صِغر حجمه نافعاً ومفيداً لكل مبتدىء متطلع إلى معرفة علم الحديث .

---

(١) من مقدمة الدكتور عبد الله عباس الندوي للكتاب بتصرُّفٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

في العقيدة والشريعة :

العقيدة والعبادة والسلوك

في ضوء الكتاب والسنّة والسيرة النبوية

حينما اتسعت حياةُ المسلم وتشعَّبتْ ، وتنوَّع المجتمعُ الإسلامي ، تنوَّعت حاجاته ، وعِلَله وأمراضه ، ومطالبه ومقتضياته ، وتكاثرت بطبيعة الحال الكتب والمؤلفات في مقاصد الشريعة الإسلامية وأحكام الدين ، وبدأت المكتبة الإسلامية تتسع وتمتد وتتضخم ، حتى ألّفت الكتب الخاصة في مجالات العبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، والعادات في كل عصر وبيئةٍ ، حسب المقتضيات والحاجات ، روعي فيها مستوى فهم الجيل المعاصر ونفسيته وعقليته وذوقه مثل « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي ، « غنية الطالبين » للإمام عبد القادر الجيلاني ، و « سفر السعادة » للعلاّمة مجدِّد الدين الفيروز آبادي ، و « وزاد المعاد » للإمام ابن القيم الجوزية ، و « شرعة الإسلام إلى دار السلام » لمحمّد بن أبي بكر السَّمرقندي ، و « ما لا بدَّ منه » للعلاّمة المحدِّث ثناء الله العثماني الباني بَتِي .

فكانت هذه الكتبُ مرشدة ودليلة للمسلم في العبادات والمعاملات ، والأخلاق والعادات ، وقانوناً ودستوراً للحياة .

ولكنَّ العصر الّذي نعيش فيه يتسم بحبِّ الاختصار والاقتصار على الضروري المفيد والشعور البالغ بقيمة الوقت وسرعة مضيِّه .

لأجل ذلك كان بعض الإخوان المخلصين للعلامة الندوي ألحُّوا واقترحوا عليه منذ زمان أن يرفع قلمَه البليغ والسيّال لبحث هذا الموضوع في أسلوبٍ عصري فريد ، ينتفع به رجالُ هذا الجيل ويتخذونه دستوراً ودليلاً لحياتهم ، كما انتفع رجال الأجيال القديمة من كتب عُلَمَاء معاصريهم في كل عصر .

ولكن العلاَّمة بقي مدةً يتهيَّب من إدلاء دلوه في هذا الموضوع الخطير ، ويتردَّد في

www.abulhasanalinadwi.org

تحقيق هذه الغاية ، إلاّ أن دراسته الشخصية وتجاربه الخاصة واطلاعه المباشر ، على ما يعانيه المخلصون الطالبون للهداية والنصيحة القابلون للحقِّ متى وُجد ، أشعرته بوجود هذا الفراغ ، والحاجة إلى سدِّ هذه الثغرة ، فوفَّقه الله أخيراً لتأليف هذا الكتاب الذي قدّم فيه العلاَّمةُ عصارة دراسته وخلاصة تجاربه في مجال الدعوة والتربية ، ومعرفته بطبقات الأمة المختلفة معرفة عملية .

يصلُح هذا الكتاب لأن يكون دليلاً إلى الاعتقاد السليم المطلوب ، والسلوك الإسلامي الجامع ، ودستور حياة للمسلم الطالب للحق ، الباحث عن الأسوة النبوية في الأعمال والأخلاق .

www.abulhasanalinadwi.org

الأركان الأربعة

في ضوء الكتاب والسنَّة ، مقارنة مع الديانات الأخرى

وكان ممَّا حفز العلامةَ الندوي على هذا التأليف ما كان يشعر به منذ مدة طويلة من اضطراب الآراء ، والأفكار ، والكتابات في تفسير هذه الأركان العملية الجليلة : (الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج) وشرح مقاصدها وغاياتها وفوائدها ومصالحها في هذا العصر ، وإخضاعها في جرأة كبيرة وتوسع وسخاء للفلسفات العصرية ، والمذاهب الاقتصادية والسياسية ، ومصطلحاتها وتعبيراتها المحدودة ، حتى كادت هذه الأركانُ في عقول من آمَنَ بهذا التفسير ، وخَضَعَ لهذا الغرض تفقد حقيقتها وقوتها وتضيع مقاصدها التي شُرعت لأجلها .

وكاد معنى « الإيمان والاحتساب » يضيع من بين هذه التعبيرات المادية ، والتفسيرات العصرية .

وكاد التفكير المادي يطغَى على روح العبادة والإخلاص ، فكان ذلك خطراً كبيراً على الأمة ، وطليعة تحريف كبير في فهم المعاني الدينية ، والمقاصد الشرعية .

وهكذا استولى هذا الموضوعُ على تفكير العلاَّمة وأعصابه ، بحيث لم يكن يفارقه في غير أوقات التأليف والدراسة ، وقد أصبحت هذه عادته وطبيعته في جميع مؤلفاته ، لا يستطيع الفكاك منها ، ولا التخلِّي عنها ، فكأنه يكون في شبه « اعتكاف تأليفي » لا يتمكن من الخروج منه إلاَّ إذا بدا هلالُ عيد الكتاب .

لقد فرغ العلاَّمةُ من تأليف هذا الكتاب في الثاني من ذي القعدة عام ١٣٨٦هـ ، وقد التزم فيه مع ذكر مقاصد هذه الأركان وأسرارها وحِكَمها وآثارها في الإسلام ، واستعراض هذه العبادات في الديانات الأخرى ، والدراسة المقارنة بين أوضاعها وهيئاتها وأركانها ، وبين أوضاع العبادات الإسلامية وطريقتها ومنهجها وتأثيرها في الحياة .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كانت هذه الدراسة المقارنة بهذا الشكل جديدة في اللغة العربية ، وذلك كله في أسلوبٍ علمي أدبي عصري ، جامعٍ بين القديم والجديد ، فأصبح الكتاب يمثِّل المكتبة الإسلامية الزاخرة في هذا الموضوع ويعرضها عرضاً جديداً للجيل الإسلامي ، الّذي كادت صلته تنقطع عن كتب المتقدِّمين وأساليبهم ، وأصبحت غذاءً للعقل والعاطفة ، ودليلاً ساطعاً على حيوية الإسلام ومطابقته للنظرة ومسايرته لكل عصرٍ ، وقدرته على حلِّ المشاكل والأزمات .

تقول الكاتبةُ الأمريكية المهتدية السيِّدة مريم جميلة في انطباعاتها عن هذا الكتاب في رسالة وجَّهتها إلى العلاَّمة :

« هو أجود وأكمل كتاب ـ فيما أعتقد ـ بين جميع الكتب الّتي ظهرت في هذا الموضوع إلى الآن باللغة الإنجليزية .

واسمحوا لي أنَّ أقول بكل صراحة : أن معظم الكتب الّتي ألَّفَها الكتَّاب المسلمون في هذا الموضوع ، لم يُعجِبني ؛ إذ أن أسلوب بعض الكتَّاب ركيك للغاية ، لا يعدو الخطَّ القانوني والرسمي ، كما أن أكثر علماء المسلمين يعرضون الموضوع بلهجة سلبية جارحة ، ويحاولون أن يضطرّوا المسلمين الغافلين عن هذه العبادات إلى تأديتها بتخويفهم من عذاب الآخرة الأليم ، وتوجيه إنذارات تملأ قلوبَهم وحشة وخوفاً ، فيُقبلوا عليها خائفين لا مقتنعين ، ومَن الّذي ينكر عذابَ الآخرة ؟ ألا أنَّ هذا الأسلوب السلبي يسيء الظنَّ بالإسلام لدى العقول الجديدة ، ويمهِّد لها الطريق إلى الإلحاد والمادية ظناً منها : أنَّ الإسلام « تعبير عن القيود الظالمة والإجبارات القاهرة . . . » إنكم موفَّقون كل التوفيق في نقل أفكار الغزالي والإمام الدهلوي إلى الجيل المعاصر بلغة العصر وأسلوبه ، وزدتم عليها المقارنةَ بين عبادات الديانات كالهندوسية والبوذية ، واليهودية ، والنصرانية .

هنالك ميزةٌ أخرى لكتاباتكم ، وهي أنني قرأتُ بعض كتب الكتَّاب المسلمين في باكستان فوجدتها لابأس بها ، ولكنها تتمُّ بالأسلوب الجدلي ، واللهجة الضعيفة الركيكة ، والتعابير الفلسفية ؛ وهي عيوب تخلو منها كتبُكم تماماً ، ولا شك فإن ذلك خطوة موفقة نحو النجاح الحقيقي »[1] .

---

(١) مريم جميلة في رسالتها المنشورة في مجلّة « البعث الإسلامي » الصادرة في ندوة العلماء =

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الكتاب يُعتبر من أهم مؤلفات العلاَّمة الندوي ، مثل : «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» ، و «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» ، وغيرهما قد صدرت له عدةُ طبعات في العربية ، والإنكليزية ، والأردية .

= لكهنؤ الهند ١٣٩٥هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

السّيرة النبويّة

كان يشعر العلاَّمة الندوي بالحاجة الماسة إلى كتاب يُكتَب بأسلوب عصري علـمي ، ويستفاد فيه من خير ما كُتب في القديم والحديث ، مؤسَّساً على مصادر السيرة الأولى الأصلية ، مطابقاً لما جاء في القرآن والسنَّة ، خلافاً لما كُتب في الأسلوب الموسوعي الحاشد للمعلومات في غير نقد أو تمحيص ، هذا الأسلوب الذي كان مثارَ كثير من التساؤلات التي برأ الله السيرة النبوية منها وأغنى المسلمين عنها قد نالته يد التنقيح والتحقيق من غير تقليد للاتجاهات العصرية أو خضوع لكتابات المستشرقين وأقوال المشكِّكين ، تمشياً مع المقرَّرات الدينية التي تُفهم في ضوئها الكتب السماوية وسير الأنبياء والمعجزات ، والأخبار الغيبية ، على مبدأ أنها سيرةٌ نبي من الأنبياء ، مبعوث من الله ، مؤيَّد منه ، لا سيرة عظيم من العظماء ، أو عبقري من العباقرة[1] .

وقد كتب أستاذُنا الباحث المحقِّق الشيخ رياض عبد الحميد مُراد[2] دِراسةً يُبرز فيها أهمَّ ميزات هذا الكتاب ، يقول فيها :

« السيرة التي كتبها العلاَّمة أبو الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله رحمة واسعةً وأجزل له الثواب ـ امتازتْ عن غيرها من السِّيَر بسردها سرداً مستمراً دون انقطاع من ولادته إلى وفاته ﷺ مستعرضة كل ما مرَّ به من أحداث جليلة غيَّرت تاريخ أمتنا ومستقبلها .

فقد اعتدنا عند ابن هشام على هذه الاستطرادات الشعرية أحياناً ، واللغوية في أحيانٍ أخرى ، والقصص في أحيانٍ ثالثة بما يقطع خطَّ السرد المستمر في السيرة .

---

(١) انظر مقدّمة « السيرة النبوية » ص (٤٥ ـ ٤٦) طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) الباحث في مركز البحوث والتحقيق في معهد الفتح الإسلامي بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

أمَّا عند أبي الحسن فإن الحوادث تستمر دون انقطاع ، ولا تتوقف إلى وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ مما يُتيح للقارىء فرصة متابعة الأحداث وربطها ربطاً فكرياً عميقاً .

أول هذه التعليلات : لماذا اختار الله العرب وجزيرتهم لنزول الدين الجديد ؟

وهو لذلك يستعرض الأممَ التي حولهم ، متحدثاً عن الفرس والروم والهنود وأوروبا ليصل بالنتيجة أن هؤلاء جميعاً يعيشون في ظلامٍ مطبق ، وفترةٍ حالكة مؤيسة .

أمَّا العرب فإنَّ (ألواح قلوبهم كانت صافيةً ، لم تُكتب عليها كتابات دقيقة عميقة يصعب محوها وإزالتها شأن الروم والفرس وأهل الهند الذين كانوا يتيهون ويزهون بعلومهم وآدابهم الراقية ومدنياتهم الزاهية وبفلسفاتهم الواسعة ، أما العرب فلم تكن على ألواح قلوبهم إلا كتابات بسيطة خطَّتها يد الجهل والبداوة ، ومن السهل الميسور محوها وغسلها ورسم نقوش جديدة مكانها ، وبالتعبير العلمي المتأخر : كانوا أصحاب ـ الجهل البسيط ـ الذي تسهل مداواته ، بينما كانت الأمم المتمدنة الراقية في هذا العصر مصابة بالجهل المركب الذي تصعب مداواته وإزالته)[1] .

وعلى الرغم من أن القدماء اعتادوا أن يقدِّموا عرضاً تاريخياً للأمم السابقة قبل الإسلام كالفرس والأحباش ، كما عند ابن هشام ، مما يمتُّ بالصلة إلى العرب ، وبعض هؤلاء الكتَّاب كان يذهب أبعد من ذلك فيتحدث عن بدء الخلق وعن الأنبياء جميعاً ، وعن أقوامهم ليصل إلى الحديث عن العرب وعن نبيِّهم محمد ﷺ ، وذلك كما فعل ابن كثير في « بدايته ونهايته »[2] ، والديار البكري في « تاريخ الخميس »[3] ، وبعضهم الآخر بدأ في السيرة النبوية فوراً مقدماً مقدمة بسيطة عمن ألَّف في التاريخ النبوي ـ أي السيرة النبوية ـ كما فعل العامري في « بهجة المحافل »[4] .

أمَّا مؤلفنا أبو الحسن ـ رحمه الله ـ فقد بدأ بمقدمة عن الوضع الديني في القرن السادس المسيحي عند الرومان والفرس والهند والعرب وأوربا ، وتجتمع الخيوط في

---

(١) انظر الصفحة (٨٧) .

(٢) انظر الجزأين ١ + ٢ .

(٣) انظر الجزء الأول .

(٤) انظر الجزء الأول منه .

www.abulhasanalinadwi.org

بحثه لتصل إلى نقطة واحدة وهو الظلام الحالك والفترة المؤيسة والحاجة إلى نبيٍّ مرسل[1] .

ثم يتسلسلُ معه البحث ليعلِّل سبب اختيار الجزيرة العربية والأمة العربية لنزول الرسالة العربية ، وينقل لنا صورة عن مكة قبل البعثة وبعدها ، بعدئذٍ يبدأ بالسيرة الكريمة ليتهي بأزواجه عليه السلام ، وأخلاقه وشمائله ويختم بحثه بفصلٍ يبيِّن فيه فضل البعثة المحمدية على الإنسانية .

وأنت تُطالِع هذه السيرة المباركة يأخذك المؤلفُ بتعليلاته الذكية التي تدل على سعة أفقٍ ، وذكاء فؤادٍ.

ومن ذلك حملة أبرهة الأشرم على مكة والسبب الداعي لذلك ، فإن المصادر التاريخية تقول : إنَّ أبرهة بنى في صنعاء كنيسةً عظيمة سمَّاها (القُلَّيْس) وأراد أن يصرف إليها حج العرب ، فأحدث كنانيٌّ في هذه الكنيسة ، فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمه .

ويعتقد مؤلِّفنا أبو الحسن ـ رحمه الله ـ أن السبب في حملة أبرهة أهمُّ وأوسعُ من حادثٍ أريد به تنجيس معبدٍ ، وإنما قُصد من فتح مكة ربط اليمن ببلاد الشام ، وتوسيع حكم النصرانية ونفوذها في جزيرة العرب ؛ وكان ذلك في صالح الروم والحبش ، وهم نصارى على السواء ، وقد يكون الروم هم المحرضين لأبرهة على ذلك لمآربهم السياسية ، ومنها إضعاف نفوذ الفرس المنافس الوحيد للنفوذ الرومي على بلاد العرب[2] .

وله تعليلاتٌ أخرى من مثل ما ورد في صفحة ٢٣٤ هامش (٤) عن خسارة المسلمين في أحد ، وفي صفحة (٢٤٩) هامش (١) عن تعليل سبب حفر الخندق .

ولئن كان أكثر هذه التعليلات معروفاً ومتداولاً ، إلا أنها حين تكون في موقعها من سيرة متكاملةٍ وبناء منظَّمٍ يكون لها وقعٌ عظيمٌ ومقنعٌ .

وقد زيَّن كتابَهَ بخرائط وصورٍ أعطت موضوعَ السيرة حداثةً وواقعية حين نقلت

---

(١) انظر : ١/ ٦٢ .

(٢) انظر صفحة (١٢٩) وهامش (١) .

www.abulhasanalinadwi.org

القارىء من الخيال التام إلى الواقع المنظور ، وهي سبع خرائط [ثم أَضيفت إليها ثلاث وثلاثون خريطةٍ في طبعة دار ابن كثير الثالثة ، التي اعتنى بها المؤلِّف تحقيقاً وتعليقاً] .

وأوَّل ما يلفت نظرَك وأنت تقرأ هذا الكتابَ ثقافة الكتاب وسعة اطلاعه ، ويكفيك نظرةً تلقيها على مصادر البحث لتجد نفسَك أمام عددٍ كبيرٍ من المصادر يُمكِنك أن تسلكها في ثلاثة محاور .

الأول : مصادره في اللغة العربية .

الثاني : مصادره في اللغة الإنكليزية .

الثالث : مصادره في لغته القومية [أي الأردية] .

بل ويشدُّ انتباهنا ونحن نقرأ أن المؤلف مطَّلعٌ على آخر ما كتب في السيرة النبوية في عصره .

ـ من ذلك مثلاً ما أورده في صفحة ٥٤ هامش ٢ من أنَّ الدكتور حسين كمال الدين أعلن أنه توصَّلَ إلى ما يشبه النظرية الجغرافية التي تؤكِّد أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في الكرة الأرضية .

ـ من ذلك ما نقله عن كتاب (الأبطال) لكرلايل عن اجتماع الراهب بَحيرى بالنبي ﷺ ، حيث يقول : (إنِّي لست أدري ماذا أقول عن ذلك الراهب سرجياس بَحيرى الذي يزعم أن أبا طالب ومحمداً سكنا معه في الدار ، ولا ماذا عساه أن يتعلمه غلامٌ في مثل هذه السن الصغيرة من أيِّ راهبٍ ما)[1] .

ـ مِن ذلك ما أورده عن كاتب غربي معاصر عن تعدد الزوجات في صفحة ٤١٥ هامش ١ ، وما كتبه العالم الهندي القاضي محمد سليمان المنصور فوزي في كتابه (رحمة للعالمين) ، وما كتبه عباس محمود العقاد في كتابه (عبقرية محمد) .

ـ ومِن ذلك ما أورده في الخطوات الدفاعية والإجراءات العسكرية التي اتخذها الرسول ﷺ في معركة بدر ، في كتاب « حديث الدفاع » للواء محمد أكبر خان الباكستاني في الأردية ، و« الرسول القائد » للواء الركن المتقاعد محمود شيت خطاب .

---

(١) صفحة (١٦٩) ، هامش (٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

هذا غيضٌ من فيض بما ورد في هذه السيرة النافعة ، ولو تتبعنا ذلك لجمعنا الكثير الكثير الذي يجعل المرء يعجب بهذا الكَمِّ الهائل من الكتب والمصادر التي عاد إليها المؤلف ـ رحمه الله ـ .

* * *

تحديد السنوات بالنسبة للحوادث الهامة أمر أولاه المؤلفُ عنايته ، ووجه إليه انتباهه . ففي الغزوات الهامة كبدر وأحد والخندق نجده يسارع في الهامش لمناقشة سنة وقوع هذا الحادث ، وإيراد الروايات المختلفة وترجيح الأصح منها ، وهذا أمرٌ هام يعطي البحثَ صفته الزمنية ، ويربط كل حادث بتاريخ وقوعه ، ليأخذ مكانه التسلسلي في السيرة الشريفة .

ويلفت النظرَ أخيراً الفصل الأخير من الكتاب والمُعَنْون بـ (فضل البعثة المحمدية على الإنسانية) (٤٥٣ ـ ٤٨٦) فقد لخَّص المؤلف في هذا الفصل أهمَّ ميزات هذه الدعوة الإسلامية ومآثرها :

١ ـ مأثرته الأولى ﷺ : أنه منح الإنسانية عقيدة التوحيد الصافية الغالية، فهي عقيدة ثائرة معجزة، متدفقةٌ بالقوة والحياة ، مقلِّبة للأوضاع ، مدمِّرة للآلهة الباطلة ، لم تنل ولن تنال الإنسانية مثلها إلى يوم القيامة .

٢ ـ ومأثرته الثانية العظيمة : هي تصور الوحدة الإنسانية : (إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب) هذا الإعلان يتضمَّن إعلانين هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام ، وهما وحدة الربوبية ، والوحدة البشرية .

٣ ـ ومأثرته الثالثة العظيمة : هي إعلان كرامة الإنسان وسموّه ، وشرف الإنسانية وعلوّ قدرها .

٤ ـ ومأثرته الرابعة : أن أكثر أفراد النوع الإنساني كانوا مصابين باليأس من رحمة الله وبسوء الظن بالفطرة الإنسانية السليمة ، لذلك أعلن النبيُّ ﷺ محاربة اليأس والتشاؤم ، وبعث الأمل والرجاء ، والثقة والاعتزاز في نفس الإنسان .

٥ ـ ومأثرته الخامسة : الجمع بين الدين والدنيا .

www.abulhasanalinadwi.org

٦ ـ ومأثرته السادسة : تعيين الأهداف والغايات وميادين العمل والكفاح[1] .

نوَّه كثيرون بقيمة هذا الكتاب وبجهد مؤلفه ، وتم اختياره من كتب عديدة لتقديمه للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بمناسبة المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية .

والكتاب يحتل موقعاً بارزاً بين الكتابات الحديثة عن مسيرة الرسول الكريم ﷺ ، ويشبه بصورة كبيرة كتاب : « فقه السيرة » ـ للشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ ، وكتاب : « الرحيق المختوم » للشيخ صفي الرحمن المباركفوري الذي ألِّف أخيراً .

ولكنَّه يختلف في أهدافه ومنهجه عن تجارب كتابية حديثة أخرى تناولت سيرة الرسول الكريم ﷺ ، وشخصيته الكريمة ، وجعلتها موضوعاً لأقلامها ، تاريخاً ، وتحليلاً ، وتعليلاً ؛ من مثل كتاب الدكتور طه حسين في كتابه : « على هامش السيرة » ، وعباس محمود العقاد في كتابه : « عبقرية محمد » .

فطه حسين ، كان يهدف من كتابه الترفيه والاستراحة ، والمتعة الأدبية ، ولم يقصد أن يكتب سيرةً محققَّة ، والعقاد كذلك ، ليس كتابه كتاب : « سيرة نبوية » ، وإنما هو كما بيَّن المؤلف : « تقدير » لعبقرية محمد ، بالمقدار الذي يدين به كل إنسان . . . .

إنَّ هذا الكتابَ هديةٌ قيمةٌ لقارىء السيرة النبوية ، ويستطيع المسلمون تقديمها إلى أصدقاءهم من غير المسلمين ، قد تُرجم هذا الكتاب ـ حتى الآن ـ تقريباً إلى جميع لغات العالم الراقية .

---

(١) من دراسة الأستاذ رياض عبد الحميد مراد للسيرة النبوية بتصرُّفٍ واختصارٍ ، نُشِرتْ في طبعتها الأولى والثانية .

www.abulhasanalinadwi.org

سيرة خاتم النبيّين ﷺ

هذا الكتاب من أهمِّ ما كتبه العلاَّمة في موضوع السِّيرة ، وإن كان تأليف هذا الكتاب للصغار ، ولكن لا يستغني عنه الكبار أيضاً .

وقد اعتمد العلاَّمة المؤلِّف في تأليف هذا الكتاب على تلخيص « السيرة النبوية » لابن هشام ـ الذي هو من أقدم كُتب السيرةِ الموجودةِ الآنَ مطبوعةً متداولة وأكثرها تأثيراً في النفوس والقلوب ـ مستنداً في ذلك إلى بعض المراجع القديمة وكُتب الصِّحاح ـ ولم ير المؤلِّف ضرورةَ إحالة القارىء إلى هذه المراجع بقيد الصفحات والطبعات ؛ لأنَّ الكتاب قد أُلِّف للصغارِ الناهضينَ لا للباحثين والمحقِّقين ـ مقتصراً على النصوص والروايات ، لم يمزجها بالبحوث العلمية ، والتعليلات الفلسفية والشهادات الأجنبية ؛ لأن ذلك يشغل القارىء عن التشبع بروح السيرة والتذوُّق بجمالها ؛ ولأن موضعَ هذه المباحث للكتاب الكبير الموسَّع في موضوع السيرة ؛ الذي كُتب للمتوسعينَ في الثقافة ، المتقدمين في مداركهم العقلية والعلمية ، المواجهين للتساؤلات العصرية والكلامية ، والدراسات المقارنة .

ولم يتقيَّدْ المؤلِّف في هذا الكتاب بالالتزامات التي التزمتها في الأجزاء الأولى من « قصص النبيين للأطفال » من محاكاة أسلوب الأطفال ، وطبيعتهم وتكرارِ الكلماتِ والجُمَلِ ، وسهولةِ الألفاظ ، وبسطِ القصة ، فقد شبَّ هؤلاء القرَّاء الصغار عن طَوْقهم ، وتقدَّموا في ثقافتهم اللغوية . . . ودرجتهم العقلية ، فأصبحوا قادرين على إساغة هذا الغذاء العلمي العقلي ، والتذوق لهذه القصة الرائعة لحياة أكبر إنسان وأشرف نبي .

وهكذا جاء الكتابُ وسطاً بين الكتب التي أُلِّفت في السيرة للكبار النابغين ، والكتب التي أُلِّفت للصغار الناهضين ، فهو جديرٌ بأن يدرسه الصغارُ المراهقون في مدارسهم ، ويقرأَه الكبار المتوسطون في مكتباتهم ومنازلهم ، ويقدَّمَ كذلك إلى غير المسلمين ، أو يُنقلَ إلى لغات أجنبية وقد جاءت فيه خلاصةُ السيرة ولبابُها ، وروائعُ

www.abulhasanalinadwi.org

حكاياتها وأخبارها ، وتاريخُ الدعوةِ الإسلامية الأولى وفتوحها وانتصاراتها ، وعجائبُ التربيةِ النبويةِ ومعجزاتُها ، فأصبح الكتابُ مدرسةً كاملةً ينشأ فيها الطالبُ بين إيمانٍ وحنان ، ويتقلَّب بين روح وريحان ، ويخرج منها وقد حمل معه الزادَ الذي يسايره في حياته ، والنورَ الذي يسير في ضوئه ، والسلاحَ الذي يدافع به عن نفسه وإيمانه ، والرسالةَ التي يحملها للعالم والأمم[1] .

(١) من مقدمة المؤلف باختصار وتصرف .

www.abulhasanalinadwi.org

الطريق إلى المدينة

لقد شعر العلامة الندوي ـ في رحلاته وجولاته الدعوية والدينية المتكررة إلى البلدان العربية ، ومطالعته للجرائد والمجلات والكتابات الصادرة منها ، واجتماعه بكثير من الإخوة العرب ـ : أن الطبقة المثقفة في هذه البلاد قد ضعفت صلتها ـ وهي تزداد ضعفاً على ضعف ـ بشخصية الرسول الأعظم ﷺ الّتي هي مصدر كل سعادة لهم وفلاح ، والّتي نالوا بها العزَّ والكرامة والمكانة ، وإذا وُجدت هذه الصلة عند القليل فإنها لا تعدو صلة قانونية رتيبة مجردة عن عواطف الحب الدافق وحرارة الحياة الدافئة .

وقد تمالأت عواملُ كثيرة ودعوات عديدة على تجفيف منابع هذا الحب أو إضعافه على الأقل ، وقد غزت جيوشُ الفلسفات المادية والعلوم الغربية العربَ ـ فضلاً عن العجم ـ في عقر دارهم : الحرمين الشريفين ، والجزيرة العربية ، وبلاد العرب ، فضلاً عن الأقطار والبلاد الإسلامية البعيدة النائية عن مهبط الوحي .

فرأى العلامةُ لسدِّ هذه الحاجة وإشعال هذه الجمرة ـ التي هي كشرارة كامنة في قلب كل مسلم ـ أن يُجهَّز جيشٌ من بلاد الحبّ والعاطفة ، وتُعَدَّ المقالات القويّة المؤثِّرة ، والخطابات الجذابة التي تتدفق بمعاني الحب والحنان ، تنفخ الحياة والحرارة في قلوب الشباب العرب ، وأصحاب الأقلام ورجال التفكير والبحث فيهم ، فيشعروا بالغيرة من العجم في حبِّهم لرسولهم ﷺ ولذّتهم بذكره ، حتى يستطيع أن يقول قائلٌ في تعبير الدكتور محمد إقبال :

« لقد عزمتُ على أن أجهِّز جيشاً جديداً من بلاد الحب والعاطفة ، فقد بدت في مركز الإسلام طلائع ثورة يقودها العقل الفلسفي » .

إنَّ هذا الكتاب كتابُ وفاء وحنان وعاطفة ووجدان ، يُثير كامنَ الحب ، يجد القارىء في هذا الكتاب صحائف رائعة تشعل جمرة الحب في قلب المسلم تجاه نبيِّه

www.abulhasanalinadwi.org

ﷺ ، وتؤجّج العواطف الكريمة تجاه هذه الشخصية الحبيبة الّتي أرسلها الله رحمة للعالمين .

تُلُقِّيَ هذا الكتاب بقبول غير عادي بعد ما ظهَرَ أول مرة ، وأبدى كبارُ أهل القلم ورجال الفكر والأدب إعجابَهم بهذا الكتاب ، وتأثرهم العميق ، وأثنوا عليه بالتعليق في الجرائد والمجلّات .

وحَسْبُ القارىء ما قاله أديبُ العربية الكبير العلاّمة علي الطنطاوي في تقديمه لهذا الكتاب ، يقول :

« . . . وإذا كان الرجل يشتهي أن يرى الدارَ الّتي وُلدَ فيها الأديب ، والبلد الّذي عَاشَ فيه الشاعر ، فيشدّ الرحال وينفق الأموال ليصل إليه ، فيستحلي في سبيل الوصول مرارةَ التعب ، ويستهين بمشقات السفر ، فكيف لا يذوب قلب المسلم شوقاً إلى البلد الّذي وطىء أرضَه ، محمّدٌ ﷺ حبيب كل مسلم ، ونشق هواءَه ، وشرب ماءه ، يمشي من حيث مشى الحبيب ، ويصلّي حيث صلّى ، يدخل من حيث دخل يوم هاجر من مكّة ، ويخرج من حيث خرَجَ يوم ذهب إلى أحد ، يشهد مكان المعركة ، ويقف على أجداث الشهداء ، ثم يعود إلى الروضة الّتي حلّت في هذه الأرض وهي قطعةٌ من جنة الخلد ، ثم يقف على الغرفة الّتي احتوت جسدَه حياً ، ثم أُغلِقت عليه ميّتاً ، فلا تفتح إلى يوم القيامة ، فيقول : « السّلام عليك يا سيّدي يا رسول الله » .

إنّي لستُ أنسى ما شعرت به لَمّا وقفت هذا الموقف أول مرة ، فمالي الآن لا أحسُّ مثل ذلك الشوق ، ولا أشعر بمثل تلك الفرحة ؟! .

ما لي أقرأُ هذه الأشعار الحجازيات التي كانت تهزُّ قلبي مثل هزّ الفلاّح الشجرة المثمرة ، فتساقط من القلب والعواطف والخواطر العلوية كالثمار الناضجة .

ما لي أقرأها اليومَ فلا تهُزّ من القلب إلاّ غصوناً قد جرّدها من رزقها شتاءُ العمر ، فعادت حطباً ؟! .

أمِن طول المقام ، أم من غفلة القلب ، أم لقد أفسدتْني الأيامُ ؟ ، أم لأننا كنا نأتي في البرِّ نمضي على « طريق المدينة » الأسابيع الطوال ، تحدونا الأشواق ويجذبنا الحنين ، وتموج في نفوسنا آلافُ الخواطر ، فصرنا نأتيها في ساعتين أو ثلاث

www.abulhasanalinadwi.org

ساعات ، نَصعد سلمَ الطيارة في الشام أو مصر ، فلا نكاد نفرغ من الطعام ونستريح ساعة إلى المنام ، حتى ننزل من الطيارة في جدّة .

ربحنا الوقتَ وخسرنا العواطف والتأمُّلات . . . .

لقد كدتُ أفقد ثقتي بنفسي ، ولكني لما قرأتُ كتابك يا أخي أبا الحسن « الطريق إلى المدينة » أحسستُ بالشوق يعود فيعتلج بنفسي ، فعلمتُ : أن قلبي ما خلا من جوهر الحب ، ولكن هموم العيش وطول الألفة قد غطَّيا جوهرَه بالغبار ، فأزاح كتابُك عن جوهره الغبار . . . »[1] .

(١) من مقدّمة الشيخ الطنطاوي للكتاب ، ص(١٢ ـ ١٤) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

روائع من أدب الدّعوة في القرآن والسّيرة

لمَّا تحقَّق حلمُ دار العلوم ندوة العلماء القديم في صورة افتتاح المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي عام ١٤٠٠هـ ، كان من نجاح هذه السَّنة الدراسية : أنها ازدانت بسلسلة بمحاضرات العلامة الندوي . وقد تركزت موضوعاتها على أسلوب الدعوة في القرآن والسيرة ، وكان العلاَّمةُ الندوي أجدر الناس وأحراهم بتدريس هذا الموضوع الدقيق ، ذلك أولاً ؛ لأنه درس اللغة العربية دراسة عملية دقيقة ، وتفهَّم روحها البلاغية ، ومارس الكتابة والكلام فيها بأسلوب بليغ ، حاز من أهل اللغة التقدير والإعجاب ، وثانياً : أنه تخصَّص في علوم القرآن وتفسيره ، ورسمها بصورة عميقة أيضاً ، ثم انخرط في تدريسه مدة طويلة .

ومَن اطَّلع على كتاباته ومؤلفاته عرف : أنها تعتمد على القرآن قبل أن تعتمد على غيره ، وتستمدّ منه الروحَ والقوة والإيمان ، وذلك سرُّ قوتها وتأثيرها ، فكان خير من يدخل في موضوعٍ قرآنيٍّ مهمٍّ ، ويبحث فيه عن جدارة وكفاءة .

ولقد كان أول ما بدأ به العلامةُ في مجال خدمة الدعوة الإسلامية هو إلقاء الخطب العامة والمحاضرات التوجيهية في عامّة المسلمين ، وإلقاء دروس مستقاة من نصوص القرآن الكريم أمام الطبقة المثقفة ، وقد حاز هذان العملان التقديرَ والإعجاب من السامعين ، وعُرف العلاَّمةُ بمهارة وبراعة العرض والشرح وبلاغة القول في ذلك ، كما خدم القرآن بما يكتب فيه من مقالات ، ويلقي عنه من محاضرات علمية وأدبية أيضاً ، وكانت تُنِيرُ جوانب البلاغة والحكمة من كتاب الله تعالى .

وهذا كتابٌ جديد من السلسلة القرآنية يشرح للقارىء قصصَ القرآن وأساليب دعوة الأنبياء شرحاً مبدعاً مثيراً ، يُنير جوانب عديدة من دعوة الأنبياء وأسلوب حوارهم مع أممهم ومواجهتهم لردِّها عليهم ، وهي تفتح آفاقاً جديدة لعلوم القرآن ومعانيه أمام الدعاة وباحثي ودارسي القرآن .

www.abulhasanalinadwi.org

القادياني والقاديانية

دراسة وتحليل

انعقدَتْ بمدينة (لاهُوْر) في أواخر ديسمبر وأوائل يناير عام ١٩٥٨ م ندوةٌ علميةٌ عالميةٌ ، حضرتها وفودٌ من العالم العربي لا سيما العلماء الكبار من الشرق العربي .

وقد تساءل المشتركون في هذه الندوة من علماء مصر والشام والعراق ، وقادة الفكر فيها عن القاديانية ، وسألوا علماء الهند عن كتابٍ بالعربية في هذا الموضوع حتى يتعرفوا على تاريخها وحقيقتها ، فلم يجد هؤلاء العلماء ما يقدِّمونه إليهم من كتاب بالعربية أُلِّف بأسلوب عصري سهل يتفق مع العقلية الجديدة ، وقد عَلِمَ هذا الشيخُ عبد القادر الرأي فُوري[1] ، وتأَسَّفَ .

فأصَرَّ على العلاّمة الندوي وأكّد الأمر بتأليف كتاب في هذا الموضوع ، لأنه كان أجدر الناس وأحراهم بأن يرفع القلم ليبحث هذا الموضوع الدقيق ، وقد كانت ـ إلى ذاك الوقت ـ صدرت من قلمه عدة مقالات في هذا الموضوع ، أشهرها « القاديانية ثورة على النبوّة المحمدية » .

صدر هذا الكتاب من قلم العلاّمة السيَّال عام ١٩٥٨م ، وأصبح سّداً منيعاً أمام القاديانية المارقة عن الإسلام وحركاتها وأنشطتها الضالّة في تبليغها .

هذا الكتاب يُعالِج هذه الفتنة معالجةَ علمية ، ويحلِّلها تحليلاً محايداً في أسلوبٍ عصري نزيه ، اعترف به القاديانيُّون أنفسهم .

وقد أسَّس العلاَّمةُ هذا الكتاب على الموضوعية التاريخية بدلاً من الحماس الجدلي ، وعلى الشهادات الداخلية والاستدلال القوي ، بدلاً من الطعن والتجريح

---

(١) قد سبقت ترجمته في الباب الثاني ، الفصل السابع ، ص(٣٧٨ـ٣٧٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

والاستهزاء ، وقد كتبت جريدة « الفضل » الرسمية للقاديانيين معلقة عليه : « ولا بدَّ من الاعتراف بأن هذا الكتاب بخلاف الكتب الأخرى في هذا الموضوع ، أُلِّفَ في أسلوب جادٍّ نزيهٍ ، إلا أن عنوان الكتاب مثيرٌ ، يستحق الانتقاد والاعتراض » .

وقد راعى العلاّمةُ أيضاً: أنَّ ما يريده هو من إبداء كراهته وغضبه بقلمه، يدع المواد العلمية التاريخية في الكتاب تُحدِث هذه الكراهية والنفور بنفسها في قلوب القراء، ولذلك قال أحدُ كبار العلماء والكتاب الإسلاميين في مجلة معلِّقاً على الكتاب:

« أستغربُ من المؤلف : أنه لم يغضب حيث يوجد ما يدعو إلى الغضب ويدفع إليه » .

يتناولُ هذا الكتاب شخصية رئيس الديانةِ القاديانية بالدراسة والتحليل العلمي النزيه ، ويلقي الأضواءَ الكاشفة حول الظروف والملابسات والأرضية التي كانت وراء القاديانية ، كما يكشف النقاب عن وجه الاستعمار الغربي الحقيقيِّ ، ويضع هذه الحركة ، والديانة المستقلّة في ميزان العلم والدين ، ويثبت : أنَّ القاديانية ثورةٌ على النبوة المحمّدية ، وأنها أمة وديانة إزاء ديانة .

قد صدرت لهذا الكتاب عدةُ طبعات من الهند وباكستان والبلدان العربية بإذن العلاَّمة المؤلِّف ، وتُرجِم تقريباً إلى جميع اللّغات العالمية[1] .

---

(١) وقد أخرجنا هذا الكتابَ مع مقالات الشيخ أبي الأعلى المودودي والأستاذ إحسان إلٰهي ظهير بعنوان « القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض علمي » وقد طُبع في دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

صورتان متضادتان

لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية

الحقيقة الناصعة التي لا غبارَ عليها : أنَّ الأسوة الحسنة هي التي تحرِّك الهِممَ ، وتنقِّح الروح ، وتبعث الأمل ، وتُنير السبل ، وتحث الناس عل الخير ، ولا سيما الدعاة ، فإنهم دائماً ينشدون الحقَّ والصواب ، ويتزوَّدون الوقود بالقدوة الحسنة ، ويشحِّنون بطارية قلوبهم بالمثل الأعلى ، فيمثِّلون أصدق تمثيل في التضحية والفداء ، فلولا الإخلاص والإيثار والتضحية والفداء ، ولولا الأسوة الحسنة والمعاملة الطيبة ، والخلق العظيم ، ولولا العدالة والأمانة ، والقسطاس المستقيم ، ولولا الصدق والصبر ؛ لما انتشر الإسلام في ثلث الكرة الأرضية في نصف قرن ، وأذهل العالم كلَّه ، ولما أقبل الناس على الإسلام ودخلوا في دين الله أفواجاً .

أمكَنَ كل ذلك بفضل رسول الله ﷺ المؤيد من الله ؛ لأن رسول الله ﷺ أبرز برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله ، الخائف من عقاب الله ، الخاشع الأمين المُؤْثِر للآخرة عل الدنيا ، المستهين بالمادة ، المتغلب عليها بإيمانه وقوته الروحية ، يؤمن بأن الدنيا خُلقت له ، وأنه خلق للآخرة ، فإذا كان هذا الفرد تاجراً فهو التاجر الأمين ، وإذا كان فقيراً فهو الرجل الشريف الكادح ، وإذا كان عاملاً فهو العامل المجتهد الناصح ، وإذا كان غنياً فهو الغنى السخي المواسي ، وإذا كان قاضياً فهو القاضي العادل الفهم ، وإذا كان والياً فهو الوالي المخلص ، وإذا كان سيداً فهو الرئيس المتواضع الرحيم ، وإذا كان أميناً للأموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم .

وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الإسلامي ، وتأسَّست الحكومة الإسلامية بدورها ، ولم يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال إلا صورة مكبرة لأخلاق الأفراد

www.abulhasanalinadwi.org

ونفسيتهم ، فكان المجتمع مجتمعاً صالحاً أميناً ، مُؤْثِراً للآخرة على الدنيا ، متغلباً على المادة غير محكوم لها ، وكان كل فرد من أفراد هذا المجتمع معجزة مستقلة ، وآية من آيات النبوَّة ، ومأثرة من مآثرها الخالدة ، وبرهان ساطع على أشرفية النوع الإنساني ، إن مصوِّراً لم يصور بريشته البارعة ، ومخيلته السخية صورةً أجمل وأبدع مما كان عليه هؤلاء الأفراد (الصحابة) في عالم الحقيقة والواقع ، وفي شهادة التاريخ .

إلاَّ أن هناك فرقة تشوِّه هذه الصورة الجميلة ، وتحاول بكتاباتها ودعاياتهاطمساً لمعالم الإنسانية النبيلة ، وتُسيء الظن إلى أشرفية النوع الإنساني ، وصلاحيته للقيادة البشرية ، وتحليها بالمكرمات ، والأخلاق النبيلة ، وترى : أنَّ المجهودات التي بذلها محمدُ ﷺ ثلاثة وعشرين عاماً لم تنتج إلا ثلاثة أو أربعة أشخاص ، ظلُّوا متمسِّكين بالإسلام إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ .

أمَّا غيرهم فقد قطعوا صلتهم فور وفاته ﷺ (العياذ بالله) . وأثبتوا أن صحبة النبي ﷺ وتربيته أخفقت في مهمته التي توخَّاها ، ولم يكن هَمُّ الصحابة إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن ، واتخذوا القرآن ذريعةً لتحقيق نواياهم الفاسدة ، وتقيس هذ الفرقة الصحابة الكرام ـ الذين تربوا في مدرسة النبوَّة ـ على مؤسِّسي الحكومات والمجازفين وعباد الجاه والملك ، وطماعي المال والثراء[1] .

وتعتقد هذه الطائفةُ أنَّ أئمتها الإثني عشرية معصومون ، وهم مفترضوا الطاعة ، وأنَّ منزلتهم تساوي منزلة رسول الله ﷺ ، وتفوق منزلة الأنبياء الآخرين . . . وأنَّ هؤلاء الأئمة يملكون الدنيا والآخرة ، والموت يكون في سلطتهم ـ ومن ناحية أخرى تصوِّر هذه الفرقةُ أئمة أهل البيت (وهي تدعي حبَّهم) بأنهم كانوا فاقدي الشجاعة والجرأة في إظهار الحق (بما فيهم أسد الله ورسوله سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) وكانوا يعيشون في خوف من المخاوف والأخطار ويتبعون سياسة المصالح وإخفاء الحق ، ويعتمدون عل سلاح « التقية » لا كوسيلة مؤقَّتة ، وسلاح شخصي ، بل باعتبارها عبادةٌ ، وذريعةٌ للتقرب إلى الله .

فيا ترى أية صورة من هاتين الصورتين (المتضادتين طبعاً) تليق بدعاة الإسلام

---

(١) إشارة إلى دعوة ـ الإمام الخُميني وأنصاره ـ وأشياعه في إيران وخارجها .

www.abulhasanalinadwi.org

في مجال الدعوة والإصلاح ، وأيُّ سيرة وخلق تجدر بالتأسي للحياة ؟ وأيهما أقرب إلى الفطرة السليمة ، والعقل العام ، والذوق الصحيح ؟ وأيهما أحَثُّ على العمل والأمل ، والطاعة والانقياد ، والتضحية والإيثار ، والصدق والصبر ؟ وأيهما أقوى وأشد تأثيراً في النفوس ، وسحراً في القلوب ؟ ولأي منهما كُتب النصر المؤزر والفتح المبين ؟ ولأي من هاتين الصورتين كان دور رائع على مدى أربعة عشر قرناً في إنقاذ الإنسانية من الدمار والهلاك ؟ ولأي منهما كان النجاح حليفاً والانتصار والغلبة رفيقين ؟ .

هذه التساؤلاتُ ليست وهماً من الأوهام ، ولا من المفروضات المتخَّيلة ، بل هي الآن معروضة على بساط البحث والمناقشة ، وليس في وُسع أحد أن يتهرب من الإجابات على هذه الأسئلة ويعيش معزولاً عنها ؛ لأن الردَّ عليها له صلةٌ عميقة ومباشرة بعقيدة الإنسان وعبادته ، وتكوين سيرته ، وسلوكه ، ولأن العقيدة على الخطِّ الفاصل بين دعوات الأنبياء ومقاصد مجهوداتهم ، وعواملها ، وبين دعوات غيرهم ومقاصدهم وجهودهم ، ومقياس الرد والقبول ، والاستحسان والاستهجان ، وشرط الفصل والوصل عند الأنبياء وخلفائهم (في ضوء الكتاب والسنَّة) هو العقيدة ، ولا يرضون بالمساومة أو التفاهم عليها بأكبر ثمنٍ .

هذه التساؤلاتُ هي التي يناقشها العلاَّمةُ الندوي في هذا الكتاب مناقشةً علميةً هادئةً بعد ما وضع هاتين الصورتين في إطاريهما ، وترك الحكم للعقل السليم والذوق الصحيح ، وترك حرية الاختيار في التصوير والتعبير ، الذي يليق بشأن نبيٍّ يعتبر أعظم هادٍ ومصلح في تاريخ الإنسانية ، وأنجح نبيٍّ بنص القرآن .

هذا الكتابُ محاولةٌ مخلصة لتوضيح الفرق الأساسي بين الموقف الذي يتخذه منشئو الحكومات ، ودعاة الانقلاب نحو أسرهم وعائلاتهم ، وما اتخذه رسول الله ﷺ نحو أسرته وعائلته وأهل بيته[1] .

في هذا الكتابِ أضواءٌ كاشفة عن أهمية « وحدة النبي » و « خاتمته » التي أجمعت عليها الأمة ، حاول العلاَّمةُ الندوي ـ كما هو العهد به ـ أن ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويضع النقاط فوق الحروف ،

---

(١) الأستاذ أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً : ص(١٠٠ ـ ١٠٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

والأصابع على الأخطاء والعثرات أو التطرف والمغالاة ، ولم تمنعه من المحاسبة الدقيقة شهرةُ رجلٍ وسطوته واستبداده ، ولم يرعبه ادعاءُ إقامة حكومة مطلقة بـ « اسم الإسلام » أو التحدي السافر إلى معسكرٍ غربيٍّ واستعماريٍّ بل كان رائده مجرَّد الإخلاص ، والاحتساب ، والكتاب والسنَّة .

www.abulhasanalinadwi.org

المُرتضى

سيرة أمير المؤمنين سيدنا أبي الحسن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّم وجهه

في الواقع من الشَّخصيات المظلومة ، أو المهضومة شخصيةُ سيِّدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، التي تراكمت عليها حجبٌ كثيفة على مَدى القرون والأجيال لأسباب مذهبية طائفية ونفسيّة ، ولم يُنْصَفْ حقَّ الإنصاف ، ولم تُعْرَضْ للدارسين والباحثين وحتى للمحبِّين المجلّين في صورتها الحقيقية وإطارها الواسع الشامل ، أو في استعراض أمين دقيق محايد للعصر الّذي نبغت فيه ، والأحداث التي عاشتها ، والمجتمع ورجاله وقادته الّذين عاصرتهم وتعاونت معهم ، والمعضلات والمصاعب الّتي واجهتها ، والقِيَم والمُثل الّتي تمسّكت بها أشدَّ التمسّك ، والخطة السياسية والإدارية الّتي آثرتها ، ولم يبحث عن أسبابها ونتائجها وعواملها ، ولم تقارن بنقيضها وضدِّها ونتائجه لو فَضَّلَه وسار عليه .

بدأ العلامةُ الندوي يشعر بشدّةٍ فراغَ مثير للاستغراب والدهشة في المكتبة الإسلامية العالمية فيما يختص بموضوع سيرة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، سيرة موسّعة مؤسّسة على دراسة تاريخية جديدة محايدة ، يتخطّى فيها المؤلف الحدود المرسومة الّتي قيّد فيها المؤلفون كتاباتهم ، ولا يكون عيالاً على ما كُتِبَ وأُلِّفَ ، ولا على مصادر التاريخ المعدودة العرفيّة المعيّنة التي يستقي منها المؤلفون معلوماتهم في الغالب ، ولا تسمو همتهم إلى دراسة واسعة متنوّعة ، وتعريف الشخصية العملاقة التي كَثُرَ فيها التنازع وعَظُمَ فيها الإفراط والتفريط ، ونَظَرَ إليها كل فريق من زاوية خاصّة ، وكثيراً ما أخضعوا التعريف به لنظرياتهم وأهوائهم ، حتى صاروا أفراداً معدودين ، وأشخاصاً خياليّين باسمٍ واحد ، واحتجب الشيء الكثير من أسرار عظمته ومظاهر عبقريته عن العيون .

بدأ العلامةُ رحلته الشاقة العسيرة متوكلاً على الله محتسباً ، وملكتهُ هذه الفكرةُ ، واستولت على أعصابه ومشاعره حتى ما تركت له مجالاً للكتابة والتفكير في موضوعٍ آخر ، فبدأ يدرس المصادرَ التاريخية من جديد ، ويقتبس منها مقتطفاتٍ ونقولاً ،

www.abulhasanalinadwi.org

وبذلك جاء الكتاب استعراضاً تاريخياً طويلَ المدى واسع الأرجاء ، ومساهمةً متواضعةً في عرض لسيرة رجلٍ كبيرٍ من كبار الجيل الإنساني ، وخرّيجي مدرسة النبوّة المنجبة النجباء .

ومِن معطيات هذا الكتاب الخاصّة ، إلقاء الضوء على حكمة الله تعالى وتقديره في الترتيب الزماني للخلفاء الراشدين ، وتوالي بعضهم إثر بعض .

والسرُّ : ما قدّره الله وحَقَّقَهُ من إبعاد دعوة الرّسول ﷺ ومجهوده من تهمة التمهيد للحكم العائلي الوراثي التي لصقت بالدعوات ، والحركات الإصلاحية ، والأسر الحاكمة في الماضي كثيراً ، والتي عيل منها صبراً أهل الشعور والضمير الحيّ قديماً .

ثم سرد الدلائل البديهية القطعية على تعاون سيّدنا علي ـ رضي الله عنه ـ الجادّ المخلص مع مَن سبقه في تولي الخلافة لصالح الإسلام والمسلمين ، وهي كالنتائج الرياضية القطعية التي لا تقبل جدلاً ولا تشكيكاً .

ثم بيَّن جهود عظماء ذرّيته في قيادة المسلمين ، وفي نشر الإسلام في بلاد مختلفة والدعوة إلى الله وتزكية النفوس ، ودورهم الرائع البطولي في قيادة الحركات الجهادية والتحريرية في مختلف الأمكنة والأزمنة .

وذلك كله ما ينفرد به هذا الكتاب بهذا التفصيل ، والاعتماد على الوثائق التاريخية ، ذلك مع تقرير لسياسة سيّدنا علي في خلافته ومواقفه ، وأنها هي اللائقة به وبتربيته ومكانته ، وتبرير مواقف نَجْلَيْهِ الكريمين سيّدنا الحسن بن علي وسيّدنا الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ من خصومه ، وصحّة ما قرّراه من تنازلٍ وحَرب ، واستنكار وقعةِ كربلاء ، وذكر آراء أئمةِ الإسلام في ذمّ يزيد والإنكار عليه .

قد نال هذا الكتاب قبولاً عاماً في وقتٍ قصير وترجم في كثير من لغات العالم (كالأردية والفارسية ، والإنكليزية ، والتركية ، والأندونيسية ، وغيرها)[1] .

---

(١) من مقدّمة مؤلّف الكتاب بزيادة واختصار .

www.abulhasanalinadwi.org

رجال الفكر والدّعوة في الإسلام

حرص الدكتورُ مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ بعد افتتاح كلية الشريعة في الجامعة السورية في العام الدراسي ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م على أن يفيد طلبةَ الكلية من « علم العلاَّمة الندويّ ، وفهمه العميق للإسلام ورسالته » فكتب إليه يرجوه الموافقة على التعاقد للتدريس في الكلية لمدة عام أو عامين ـ كما يرغب العلاَّمةُ بدءاً من العام الدراسي ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م لأنّ الرسالة مؤرَّخة في ٢٢ شوال ١٣٧٤هـ الموافق ١٢ حزيران ـ يونيه ١٩٥٥م ، ولكنّ العلاَّمة اعتذر عن عدم تمكنه من تلبية هذه الدعوة ، فكتب إليه مرة أخرى يرجوه الموافقة على إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة في مدرَّج الجامعة الكبير ، يحضرها ويفيد منها طلبة الكلية وسواهم من طلبة الجامعة إلى جانب العلماء وجمهور المثقفين ، فوافق العلاَّمةُ ، وحضر إلى دمشق في آخر شعبان ١٣٧٥هـ ، وألقى إلى آخر شهر شوال ١٣٧٥هـ[1] ثماني محاضرات تناولت « الإصلاح والتجديد والتعريف بكبار رجال الدعوة والعزيمة والجهاد في تاريخ الإسلام » .

وقد تركتْ هذه المحاضراتُ أطيبَ الأثر في الجمهور الذي سعد بالاستماع إليها ؛ قال الأستاذ السباعي : « وإنّي ـ وإن لم يسعدني الحظُّ بالاستماع إلى هذه المحاضرات حين ألقاها الأستاذ الندوي في المدرج الكبير للجامعة السورية بدمشق ، إذ كنتُ في رحلة علمية إلى جامعات أوروبة ـ قد لمستُ آثارها العميقة في نفوس الذين استمعوها من أعلام الفكر وطلاب كلية الشريعة وغيرهم من طلبة الجامعة ، كما سمعتُ الثناء الكبير عنها في الأوساط العلمية والإصلاحية . . » .

وأضاف أستاذنا السباعي قائلاً : « ثم أتيح لي أن أقرأها قبل تقديمها إلى

---

(١) ألقى أول محاضرة في ٤ نيسان ـ أبريل ١٩٥٦م ، وآخر محاضرة في ٣٠ أيار ـ مايو ١٩٥٦م ، وكانت الثامنة ، وموضوعها : (حجة الإسلام الغزالي مصلحاً اجتماعياً) .

www.abulhasanalinadwi.org

المطبعة ، فاستفدتُ منها كثيراً ، وسألتُ الله أن يمدَّ في عمر الأستاذ الندويّ لإكمال هذا البحث القيّم الذي بدأه ، حتى يصلَ بنا إلى الحديث عن زعماء الإصلاح في العصر الحاضر ، وخاصة في الهند التي لا نعلمُ عن تاريخ مُصلِحيها الإسلاميين إلا النزر اليسير ، وإنَّها لأمانة لا ينهض بعبئها إلا مثل الأستاذ الندوي في نفاذ بصيرته ، وإشراق روحه ، وواسع علمه ، وجميل مثابرته » .

وكان أصلُ هذه المحاضرات الثَّمانيةُ عَشْرَ محاضرات ، فأعادها العلاَّمةُ الندوي إلى سابق عهدها ، وأضاف إليها خمساً أخرى عن الإمام عبد القادر الجيلاني ، ومولانا جلال الدين الرومي .

وهكذا طُبع الجزء الأول من هذه السلسلة يتضمن خمس عشرة محاضرة[1] ، تناول فيه العلاَّمةُ حياةَ سبعةِ رجالٍ من رجال الفكر والدعوة ، وجهودهم في الإصلاح والتجديد . بعد بيان (الحاجة إلى الإصلاح والتجديد والبعث الجديد واتصالهما في تاريخ الإسلام) في المحاضرة الأولى .

وقد استهلَّ الحديثَ عن أولئك الرجال بالحديث عن سيدنا عمر بن عبد العزيز الذي مثّل تلك الجهود في القرن الأول ، ثم تناول كلاًّ من : الحسن البصريّ ، وأحمد بن حنبل ، وأبي الحسن الأشعريّ ، وأبي حامد الغزاليّ ، وعبد القادر الجيلانيّ ، وجلال الدين الروميّ ، وخصَّ بعضَ هؤلاء بأكثر من محاضرة أو موضوع .

ثمَّ أتبع العلاَّمةُ هذا الجزء بجزء ثانٍ خاص بحياة شيخ الإسلام ابن تيمية[2] .

أمَّا ما ندب الأستاذ السباعي العلاَّمةَ الندوي له ، وسأل الله تعالى أن يمدَّ في عمره حتى يقوم به ، فقد تمثَّلَ في الجزئين الثالث والرابع[3] من هذه السلسلة الذهبية ،

---

(١) وأضاف المؤلف في الطبعة الثالثة محاضرة جديدة فصار المجموع ست عشرة محاضرة .

(٢) كتب العلاّمة الأجزاء الثلاثة الباقية باللغة الأردية ، ثم تُرجمت إلى العربية ، أما هذا الجزء الخاص بالإمام ابن تيمية فنقلها إلى العربية فضيلة الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ـ حفظه الله وأمتع به ـ .

(٣) نقل هذين الجزئين إلى العربية فضيلة أستاذنا الشيخ سلمان الحُسيني الندوي ـ حفظه الله ومدَّ في عمره ـ .

www.abulhasanalinadwi.org

لأنهما تناولا اثنين من أئمة الإصلاح والتجديد والبعث الإسلامي في الهند ، وهما : الإمام السَّرهندي (٩٧١ ـ ١٠٣٤هـ) والإمام الدَّهلويّ (١١١٤ ـ ١١٧٦هـ) ، وما في هذين الجزأين أو الكتابين من غزارة المادة ، وقوّة الربط والتحليل ، ومعرفة دقيقة بأحوال العصر السياسية والاجتماعية والثقافية ، في الهند وسواها ، إلى جانب المزايا المعهودة في كتب العلاَّمةِ من الموضوعية والاتزان ، وصدق اللهجة ، وقوة الروح ، وعمق التأثير . أقول : ما في هذين الكتابين من هذا كله ، يجعل منهما إنجازاً علمياً مهماً يصعب على غير العلاَّمة الندوي القيام به ، مع شدّة الحاجة إليه . . كما يتبيَّن للناظر في هذين الجزأين[1] .

يقول الداعية الأستاذ الجليل الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ عن هذا الكتاب :

« هذا الكتاب صورةٌ واضحة لأفكار الأستاذ الندوي وميوله الإصلاحية ، وتفهّمه العميق للتاريخ الإسلامي ولروح الإسلام الصافية المشرقة ، وما علق بها ـ في العصور الأخيرة ـ من غبار وما أصابها من انحراف ، وبذلك يسدُّ هذا الكتاب ثغرة في دراسة التاريخ الإسلامي ، كنّا وما نزال نشعر بالحاجة إليها ؛ إذ نتحدّث عن تاريخ الإصلاح في حياة المسلمين السياسية والدينية والاجتماعية في فترات من تاريخ الإسلام في الماضي ، كما يعرض لنا صوراً واضحةً لأبرز زعماء الإصلاح الإسلامي منذ العصر الأموي .

وكتب عنه العالمُ المربيّ فضيلة أستاذنا العلاّمة الدكتور الشيخ مصطفى سعيد الخن ـ مدَّ الله في عمره ـ في مقدَّمته له ، يقول :

« إنَّ الكتاب الذي نقدِّمه اليوم لقراء الشيخ ، فيه عرض لصفات تحلّى بها أربابُ الفكر والدعوة إلى الله تعالى في هذا العالم الإسلامي ، الذي أكرمه الله بوجود هؤلاء الأفذاذ الذين يحاول أعداءُ الله أن يطمسوا معالمَ حياتهم .

ومِن المؤكَّد : أنَّ أبا الحسن ـ رحمه الله ـ لم يتحدَّث عن أولئك الأعلام من ناحيتهم التاريخية ، ولكنه أراد أن يُبرز جوانب القدوة فيهم . ويجسِّد صفات الداعية إلى الله تعالى ، ويبينَّ : أن الله جلَّ جلاله قد وفى بما وعد به من حفظ الدين ، وليكون

---

(١) من مقدمة الدكتور عدنان زرزور ، (١/ ٣١ ـ ٣٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

هؤلاء منارات يهتدي بهم مَنْ بعدهم من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » .

وقالت السيدة الفاضلة الإمريكية الإسرائيلية المهتدية والمؤلفة الإسلامية الكبيرة مريم جميلة في رسالة موجهة إلى مؤلف هذا الكتاب :

« تسلّمتُ مؤلّفكم المحترم القيم « رجال الفكر والدعوة » الجزء الأول في يوليو ١٩٧٠م من وزارة الأوقاف للكويت ، فتأثرتُ به تأثراً زائداً ؛ لأن هذا الكتاب زاد في معلوماتي حول التاريخ الإسلامي زيادة لائقة محترمة ، ففي رأيي الحقير أنه أفضل مؤلفاتكم القيمة ، فإنه قد بلغ شأواً بعيداً في السمو والمستوى العلمي بالنسبة إلى كتابات ومؤلفات بعض المعاصرين الأفاضل التي تقدم وجهة النظر الخلافية لمزايا المجددين الإسلاميين وخصائصهم ، وأما كتابكم فهو كاملٌ ومحتوٍ على الموضوع مع رشاقة القلم وإمتاع الأسلوب ، وخاصة بحثكم حول الهجوم التتري على العالم الإسلامي فهو شيقٌ وممتع جداً .

فالحقيقة : أن تأليفكم هذا مؤثرٌ وممتلىء بالحماس ، ويشعل بالثقافة ويصوِّر التاريخ الإسلامي والأفكار الصحيحة تصويراً دقيقاً ، ويعرضها عرضاً صادقاً »[1] .

---

(١) الأستاذ أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكّراً . . : للأستاذ نذر الحفيظ الندوي ، ص(٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوِيّ ودعوَتُه إلى الله

يتحدَّث هذا الكتابُ عن حياة الداعية الكبير ، والمجدِّد العظيم ، الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوِي ، وعن منهج دعوته إلى الله ، وهو أوَّل كتابٍ أُلِّف فيما نعلم ـ في هذا الموضوع سواء أكان بالأردية أو العربية ، وقدَّم له الداعيةُ الكبير الشيخ محمد منظور النعماني[1] ، يذكر في مقدِّمته دوافع تأليفه ، فيقول ـ رحمه الله تعالى ـ .

« . . . قد كنَّا نتردَّدُ برهةً من الدهر في تأليف كتابٍ عن حياة الشيخ محمَّد إلياس ـ رحمه الله ـ فقد كان الشيخ يُوصينا ويؤكِّد علينا بأن لا نربط بين شخصيته ودعوته وحركته ، ولم يكن يسمح ـ إطلاقاً ـ بأن تكون الدعوة إلى شخصيته ، حتى إنَّه كان في آخر أيام حياته لم يكن يرضى بأنِ يذكر اسمه في التعريف بحركته ، كان ذلك مؤسّساً ـ عدا إخلاصه وتواضعه وإيثاره وتحفظه الشديد ـ على مصالح دعوية بعيدة المَدَى ، ولكنَّنا وأهل الدعوة والعاملين في هذه الحركة لم ننجح في ذلك ، ولم نستطع الالتزام به ، فكثيراً ما كانت مصالح الدعوة تقتضي أن يذكر مؤسِّسها حتى يهتم بها من كان يعرف شخصية المؤسِّس وإخلاصه وربَّانيته وتزداد بها ثقته ، ويحسن بها ظَنَّه ، كما كان يلزم أحياناً لشرح أصول الدعوة وقواعدها وما ظهرَتْ من نتائج باهرة في تطبيقها ، ذكر تجارب الداعي الأول مؤسِّس الحركة الشخصية ومراحل الدعوة وتطوراتها التي مرَّتْ بها في أيام مؤسِّسها ، ولم يكن بُدٌّ حينئذ من ذكر اسم الشيخ وجهوده الجليلة ، وكان ذلك في أكثر الأحيان في مصلحة الدعوة وفائدتها .

لقد شعرتُ من خلال تلك التجارب والمصالح الدينية المتعددة بضرورة التأليف في سيرة الشيخ وتاريخ دعوته وحركته أثناء مرضه الشديد الذي لم يكن يرجى البرء منه ، وكان فضيلة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي نازلاً بالمركز [أي مركز جماعة الدعوة في دلهي الجديدة ، المعروف بـ « مركز نظام الدين »] في آخر أيام مرض الشيخ ، فلما أبديتُ له مكنون ضميري ألفيته يحمل هذا الهمَّ ويفكِّر هذا

---

(١) قد سبقت ترجمته في الباب الأول في حاشية صفحة (١٢٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

التفكير ، بل قد بدأ يسجِّل بعضَ المواد المهمة ، ثم ما لبث الشيخ أن ارتحل إلى رحمة الله الواسعة ، وقوي هذا الاقتراحُ ، وأصبح أمراً مبرماً .

وكان في آخر أيام حياة الشيخ ـ رحمه الله ـ قد اجتمع لخدمته وزيارته الأخيرة جميعُ العاملين والزملاء القدامى في هذه الحركة وأقاربُ الشيخ وذوو رحمه ، وكاد هذا العِقد الفريد أن ينفرط ، وأوشك الجمعُ على التفرُّق ، ولم يكن بوسع أحد أن يقول : إن هذه المجرة سوف يزدان بها الفضاء مرة ثانية ، فاستفاد الشيخ أبو الحسن من تلك الفرصة السانحة أيما إفادة ، وجمع المعلومات المهمَّة ـ التي لا يمكن بدونها تأليف كتاب عن حياة أيِّ شخص ـ عن الشيخ من ذوي قرابته وأصحابه القدامى ، وسألهم أسئلةً مهمّةً جمع عن طريقها موادَّ قيمة ، وجزئيات وتفاصيل كثيرة ، واستفسرهم عن السِّنين ، وضبط مراحل الدعوة وتطورات الحركة .

وقد حَمَل معه من مركز الدعوة بنظام الدين بـ « دلهي » مجموعةً قيمةً من الرسائل التي كتبها الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى كثير من أصحابه والتي ملأ بها بعضاً من الفراغ في سيرته ، وكانت أكبر مجموعة من الرسائل وأفضلها فيما يتعلَّق ببيان مبادىء الدعوة وأصولها عند الشيخ نفسه ، فقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ قد وَجَّه أهم رسائله وأكثرها توضيحاً وتفصيلاً في شرح دعوته وبيان حركته ـ في حدود علمي ـ إلى المؤلِّف نفسه ، وقد استفاد منها المؤلِّفُ كلَّ الإفادة ، وكما بعث إليه كثير من الأحباب والأصدقاء ـ بعد علمهم باشتغاله بتأليف عن حياة الشيخ ـ بجملة رسائل الشيخ عندهم ، وقد أفادت وأضافت مادة قيمة .

والمؤلِّف كان من أَجْدَرِ الناس وأقدرهم على تأليف كتاب في حياة الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس ـ رحمه الله ـ فقد كان موضعَ ثقته وعطفه الخاص ، لوجود روابط دينية ودعوية بين أسرة الشيخ وأسرة الشيخ أبي الحسن، وكان يقوم في كثير من الأحيان بدور المُترجِم والمُعبِّر عن فكرته ودعوته بالخطابة في الجماهير، والحديث إلى العلماء ورجال التعليم الديني ، والمثقَّفين بالثقافة العصرية ، وقد جمع رسائله في كتاب مفرد واطَّلع الشيخ على ما كتبه الشيخ أبو الحسن في التعريف بمبادئه وأُسُس دعوته فارتضاه، ولذلك جاء هذا الكتاب في مكانه وأوانه وصدر عن قلم خبير ، وكاتب بصير[1] .

---

(١) من مقدمة الكتاب باختصارٍ وتصرُّفٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

إذا هَبَّت ريحُ الإيمان

يقدِّم هذا الكتابُ مقتطفات من تاريخ الدعوة والجهاد في القرن الثالث عشر الهجري ، ويُلقي أضواءً على حياة قائد هذه الحركة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وسيرة أصحابه ورفاقه وأخلاقهم في أمانةٍ تاريخيةٍ .

ويقدِّم صفحات رائعة من البطولات الإسلامية ، وقصةً جديدةً لم يشاهد فصولها العالم العربي ، أُزيحَ فيها الستارُ عن أروع محاولة لإعادة الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي في هذه البلاد في القرون الأخيرة ، تمثَّلت فيها روائع من الصدق والإخلاص ، والتضحية والإيثار ، والبطولة النادرة ، والهمة العالية ، والخضوع لحكم الله ورسوله ، يتجمَّل بها تاريخ الإسلام العام ، ويعتز بها الشعب المسلم في هذه البلاد .

يجدُرُ مطالعة هذا الكتاب لكل شابٍّ مسلمٍ يتمنى عودة الإسلام ومجده ويبحث في شروطه وصفاته ومناهجه ووسائله ، فلا يجد إليها سبيلاً ، فإذا قرأه وجد لذَّةَ الجهاد والحنين إلى الشهادة والاستماتة في سبيلها ، تدبُّ في عروقه ، وتسري في جسمه ، ويشعر بلذَّة الإيمان ولذَّة الأدب والأسلوب القصصي في بيانٍ عربيٍّ ، كتبه العلاّمة الندوي في أسلوب روايات أدبية وتاريخية ، كان سائداً في العصر العباسي الأول .

نال هذا الكتابُ قبولاً بالغاً في الأوساط الدينية والأدبية في البلاد العربية ، وقرّر في منهج بعض الجامعات العربية في الهند .

www.abulhasanalinadwi.org

ماذا خسر العالمُ بانحطاط المسلمين ؟![1]

يُعَدُّ هذا الكتابُ العظيم القيِّم من بأكورة وأشهر مؤلَّفات العلامة الندوي ، وأوسعها انتشاراً في العالم الإسلامي ، وأسرعها نقلاً إلى اللغات الشرقية والغربية ، وأكثرها صدوراً من مكتبات العالم في الخافقَين ، وقد صدر له حتى الآن ـ وِفق إحصاء المحقِّق ـ أكثر من ستِّين طبعةً رسميَّةً بالعربية .

وقد عَدَّه كبارُ رجال الفكر والدَّعوة ، وأساطينُ العلم والأدب من أفضل وأنفس مؤلَّفات القرن العشرين .

كانت أواخرُ القرن التاسع عشر فترة حاسمة في تاريخ البشرية ، فقد استولت أوربةُ على العالم كله ، وبدأت تنهار القوى الإسلامية التي كانت تشكل سدّاً منيعاً أمام القوى الأوربية الزاحفة مدةً طويلةً ، بعد أن خابت جميعُ مطامعها للتوغل في الحصن الإسلامي ، ثم كان سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية الَّذي كان بمثابة تصدع سدٍّ مأرب ، فتفرَّقت كلمةُ المسلمين ، وسقطت آخرُ قلاعهم ، واستطاعت أوربة كنتيجة لتفكك هذه القوَّة الَّتي كانت تُدافِع عن القوة الباقية للمسلمين أن تصل إلى مصر والشام والعراق التي خرجت منها الجيوشُ الإسلامية الغازية ، ووجدت مواقعَ التأثير والنفوذ السياسي في الجزيرة العربية ؛ التي خرجت منها أفواج الدعاة ومؤسِّسو الحكومات الإسلامية .

وقد كانت هذه المأساةُ التي دكَّت قلاعَ المسلمين ، وسقطت الدولُ الإسلامية فيها كحبَّات السُّبحة ، وتأسَّد فيها أعداءُ الإسلام مأساحةً انقلبت فيها الموازينُ ، واضطربت لها النفوسُ ، وثارت قرائحُ الشعراء ، وفاضت بالرثاء على مجد الإسلام والمسلمين السالف ، ونبهت للخطر الداهم ؛ خطر الغزو الأوربي الفكري والعسكري ، وهدم ما بَنَاه الإسلامُ من حضارة إنسانية عالمية متناسقة الأجزاء .

---

(١) هذه الدراسةُ كتبها المؤلِّفُ لطبعة دار ابن كثير ، والتي قد طُبعت بعنايته ، ينقلها هنا برُمَّتِها .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان الانطباعُ من هذا التعبير عن اندثار قوَّة المسلمين ، وغلبة الأعداء ، الشعورُ بعظمة الغزاة ، وتقدُّمهم في العلم ، والحضارة ، وقد كانت الكتب الإصلاحية الَّتي أُلِّفت في ذلك العصر ، تعطي أيضاً هذا الانطباعَ الَّذي يتجلَّى فيه منهج الكتَّاب الذين تناولوا الموضوع فوصفوه بعصر تخلُّف المسلمين وتقدُّم غيرهم ، وكان العلاج الَّذي يصفونه يقتضي عدم تقليد المسلمين غيرهم ، واتخاذ الوسائل والذرائع النافعة للتقدّم .

كان هذا العلاجُ علاجاً طبيعياً ، لكنه لم يكن يقوم على أساس طبيعي يليقُ بطبيعة الإسلام والمسلمين .

نشأ مؤلِّفُ هذا الكتاب في هذه الظروف ، ظروف غلبة أوربة ، وانكسار شوكة المسلمين ، وتعرَّفَ على ما قدم فيها الفكر المعاصر من أسباب ومعالجات ، وكانت عُصارة هذه المعالجات : أنَّ المسلمين تخلَّفوا عن ركب الحياة ؛ لأنهم لم يتخذوا تلك الوسائل التي اتخذها غيرهم ، فخسروا مكانتهم في العالم ، ودانَ العالمُ لغيرهم ، ولا يمكن للمسلمين أن يستعيدوا مجدهم إلا باتباع هذه الوسائل الحديثة .

وكان الكتَّاب والمفكِّرون يمجِّدون الحضارةَ الأوربية ، ويفخِّمون مكاسبها ؛ لأنهم كانوا يكتبون في عهد غلبتها وسيطرتها ، وقد شعر المؤلِّف ـ لنشأته الخاصة ، وطبيعته الخاصة ، ودراسته من زاوية مختلفة ، بعيداً عن تأثير الفكر الغربي ـ بأن هذا الاستنتاج لا يليق بطبيعة الحال ، وأحسَّ بدراسته الحرَّة للحضارة الأوربية ونَوَاياها ، واتجاهاتها ، ومنطلقاتها ، وملابساتها : أنها لا تحمل صلاحيةً لتقليدٍ ، لأنها ليست حضارةَ البناء وإسعاد البشرية ، وقد تجرَّع العالمُ ثمرتها للمرة الأولى في شكل الحرب العالمية الأولى ، الَّتي غيَّرت خريطةَ العالم بين (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) ولم تخمد النارُ ، بل ظلَّت متوقِّدةً تهدِّد مصيرَ الإنسانية ، وازدادت هذه المخاوف في الأربعينات ، فاندلعت نيرانُ الحرب من جديد ووقعت مأساة إنسانية ثانية في (١٩٤١ ـ ١٩٤٥م) وهي الحرب العالمية الثانية .

وإذا تتبَّعنا سنيّ نشأة الفكرة والعاطفة للمؤلِّف والتأليف في الموضوع ؛ وجدناها تتعلَّق بفترة ما بين العشرينيات والأربعينيات[1] .

---

(١) العلامة المؤلِّف من مواليد عام (١٩١٤) ، وتأليف الكتاب كان في عام (١٩٤٤م) .

www.abulhasanalinadwi.org

لقد كان كثيرٌ من المؤلِّفين والكتَّاب في الموضوع يُلاحِظون ويجرِّبون ما يُعانِيه العالمُ الإسلامي في هذه الحضارة المادية الجامحة ؛ الَّتي تفترس الإنسانية بعد انحسار الحضارة الإسلامية الإنسانية ، لكنهم كانوا مبهورين ببريق الحضارة الغربية ، مقهورين بالقُوى المستبدة الطاغية ، فلم يتجرَّأ أحدٌ أن يقولَ : لقد خسر العالمُ بغلبة هذه العناصر الَّتي خلفت القيادة الإسلامية ، وأنَّ الإنسانية سعدت لأول مرَّةٍ في ظلِّ الإسلام ، وأنه لا تفلح الإنسانية إلا بعودة الإسلام .

كان هذا الشعورُ المزدوج ـ أنَّ الخسارة ليست بخسارة المسلمين وحدهم ، وأنَّ الحضارة الغربية ليست بحضارة جديرة بالتقليد والتمجيد ، وأنَّها حضارة زائلة ، وأن الحلَّ ليس في تقليدها بل في عودة المسلمين إلى حقيقتهم ، وذاتيتهم ، وهو موضوع الكتاب ـ ، كان حقيقةً اكتشفها المؤلِّفُ ، وكان ذلك اكتشافاً حارت له العقولُ ، ولا يزال العنوان يُثير تساؤلاتٍ في النفوس ، وخاصةً في نفوس الَّذين نشؤوا نشأةً غربيةً ، وآمنوا بأوربة وحضارتها ، واعتبروها معلِّمَ الإنسانية ومربِّيها ، وعدُّوا حضارتَها حضارةَ الرفاهية والسعادة للإنسانية ، وكان هذا الاكتشاف أعظم وأكثر تأثيراً عندما صدر الكتاب في أوائل الستينيات ؛ لأن أوربة كانت أقوى وأعظم في ذلك العصر ، ففوجىء الناسُ بالعنوان ، وموضوع الكتاب .

وبعد هذه المفاجأة ، فإنَّ كلَّ من يقرأ هذا الكتابَ يجد نفسَه منساقةً إلى الاعتراف بهذه الحقيقة ؛ لأنَّ المؤلِّف يجمع في أسلوبه الروح العلمي والدعوي المفهم معاً ، فهو أديبٌ ، ومؤرِّخٌ ، وباحثٌ ، ومعلِّمٌ ، وواقِعيٌّ ، فيؤثِّر في نفوس جميع طبقات الناس والعقول في آنٍ واحدٍ ، وإلى هذا الجمع الغريب يُشير الباحثُ الإسلامي الكبير الشهيد سيِّد قطب في تقديمه لهذا الكتاب :

« لا يعتمد على مجرَّد الاستثارة الوجدانية الدينية ، بل يتخذ الحقائقَ الموضوعية أداته ، فيعرضها على النظر والحس والعقل والوجدان جميعاً ، ويعرض الوقائع التاريخية والملابسات الحاضرة عرضاً عادلاً مستنيراً ، ويتحاكم في القضية الَّتي يعرضها كاملةً إلى الحقِّ والواقع والمنطق والضمير ، فتبدو كأنَّها متساندة في صفِّه ، وفي صف قضيته بلا تمحّل ولا اعتساف في مقدمة أو نتيجة ، وتلك مزية الكتاب[1] .

---

(١) انظر : صفحة (٣٦) طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان هذا الكتابُ باكورة مؤلَّفات العلامة الندوي ، وتسابَقَ كبارُالكتَّاب والأدباء في العالم العربي إلى تقديم الكتاب والتعريف بمؤلِّفه بعد طبعته الأولى من لجنة الترجمة والنشر بالقاهرة ، وهذا كان أكبر دليلٍ على تأثير موضوع الكتاب وصلاحيته للقبول ، ثم توالت طبعاتُه رسمية وغير رسمية ؛ إلى أن تجاوز عددها ستِّين طبعةً ، ونُقِل الكتابُ إلى جميع لغات العالم الراقية الكبرى ، وأقبل عليه الأساتذة في الجامعات العربية والغربية ، وعلَّقوا عليه .

ويقول الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى[1] أستاذ كلية أصول الدين في جامعة الأزهر ، في تصديره للكتاب :

« أشهد لقد قرأتُ الكتابَ حين ظهرت طبعته الأولى في أقلَّ من يوم ، وأُغرِمتُ به غراماً شديداً ، حتى لقد كتبتُ في آخر النسخة ، وقد فرغتُ منه : إنَّ قراءة هذا الكتاب فرضٌ على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام »[2] .

يكتب الدكتور شكري فيصل[3] مقالاً في مجلة « الثقافة » المصرية المشهورة[4] ، على إثر ظهور الكتاب ، ننقل هنا شيئاً منه في السطور التالية :

« إنَّ ما يمتاز به المؤلَّفُ ، ويرتفع به إلى مصاف كبار المفكِّرين المسلمين . . هي نظرته الشاملة العالية إلى تطوُّر الحياة الإنسانية . . إنَّ الأبواب الخمسة التي يحتوي عليها الكتاب لتدلُّ على هذا الأفق العالي الّذي يجتذب التاريخ الإسلامي والتاريخ العام ويركزه فيه ، فمن خلال صفحات الكتاب تستطيع أن تستصفي تاريخ الدولة الإسلامية ، والدول الأوربية من حيث الحياة الاجتماعية الدينية على السواء . . ، وأنْ

---

(١) أحد كبار علماء الفلسفة في العهد الأخير ، كان وطيدَ الصِّلات بجميع العلماء والمفكِّرين الكبار في العالم الإسلامي والعربي ، درَّس في الأزهر مدَّةً ، توفِّي ١٩٦٣م . وله مؤلَّفاتٌ قيمة في الفلسفة والأخلاق والفكر .

(٢) انظر : صفحة (٤٢) .

(٣) هو العالمُ الأديب البحَّاثة ، وُلد في دمشق ، مارس التدريس في كبرى الجامعات الإسلامية والعربية ، واختير عضواً في عدد من المجامع اللغوية والعلمية ، كان شخصية محبَّبة ، دمثَ الأخلاق ، قويَّ الحجة ، واسعَ العلم ، توفِّي عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) . وله كتبٌ قيمة في الأدب والتاريخ .

(٤) في عددها لديسمبر (١٩٥٠م) .

www.abulhasanalinadwi.org

تُلم بالخطوط العريضة للحركات الدينية ، وتلاقي هذه بالخطوط وتوازيها واقتراب بعضها من بعض ، وبعد بعضها من بعض ، وبالاتجاهات العامة للحركات الخلقية ، وما كان من انحدارها أو ارتفاعها ، من إشراقها وأفولها .

والواقعُ : أنَّ من مميّزات هذا الكتاب أسلوبه الواضح ، ولعلَّ وضوحه أثر عن انعكاس ووضوح الفكرة والإيمان بها وفيضها عن ذات المؤلِّف العميقة ، على أنه من نحو آخر قوي ، قويم ، يملك قدرة واضحة على الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف في صفحات كثيرة ، والشعر واستثمار التراكيب القرآنية والعربية استثماراً واسعاً ، واختيار العناوين وتلوينها اختياراً وتلويناً طريفين ، ووضع الشاهد في مكانه الّذي يجب أن يكون فيه ، حتى لكأنَّه قطعةٌ من النص ، وكل هذه سمات أسلوب مكين واضح » .

وقد كتب الدكتور بكنكهام رئيس قسم الشرق الأوسط بجامعة لندن :

« إنَّ هذا الكتاب أفضل نموذج ، ووثيقة تاريخية لأفضل مجهود للنشأة الثانية للمسلمين » .

وكتب البروفيسر سارجنت من جامعة كمبردج في إحدى المجلَّات الإنكليزية :

« لو كان في بريطانيا قانونٌ للحظر على المؤلَّفات لكنتُ اقترحت أن يفرض الحظر على هذا الكتاب ؛ لأنَّه يدين الحضارة الغربية » .

ومَن يقرأ هذا الكتابَ يشعر بالحسرة والألم ، وفي الوقت نفسه يشعر بأنه في حاجة إلى قراءته مرَّاتٍ ومرَّات ؛ رغم السنوات العديدة التي مرَّت على طباعته ، وذلك لأن المؤلِّف قد وضع النقاط على الحروف ، وقد بيَّن الداء والدواء للحالة التي مَرَّ عليها العالم عبر التاريخ بحضارته المختلفة .

نقدِّم هنا فَذْلَكةَ فصولِ هذا الكتاب القيِّم :

انحلت العقدة الكبرى :

انحلَّت العقدةُ الكبرى ـ عقدة الشرك والكفر ـ فانحلَّت العُقَدُ كلها ، وجاهدهم الرسولُ ﷺ الجهاد الأول ، فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي ، وانتصر الإسلامُ على الجاهلية في المعركة الأولى ، فكان النصر حليفه في كل معركة ، وقد دخلوا في السِّلم كافةً بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة ، لا يشاقُّون الرسولَ من

www.abulhasanalinadwi.org

بعدما تبيَّن لهم الهدى ، ولا يجدون في أنفسهم حرجاً ممَّا قضى ، ولا يكون له الخيرة من بعد ما أمر ونهى ، حدَّثوا الرسول عما اختانوا أنفسهم ، وعرضوا أجسادهم للعقاب الشديد إذا صدرت منهم زلة استوجبت الحد ، نزل تحريم الخمر والكؤوس المتدفِّقة على راحاتهم ، فحال أمر الله بينها وبين الشفاه المتلمظة ، والأكباد المتقدة ، وكسرت دِنان الخمر ، فسالت في سكك المدينة .

حتى إذا خرج حظُّ الشيطان من نفوسهم ـ بل خرج حَظُّ نفوسهم من نفوسهم ـ وأنصفوا من أنفسهم إنصافَهم من غيرهم ، وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة ، وفي اليوم رجال الغد ، لا تجزعهم مصيبةٌ ، ولا تبطرهم نعمةٌ ، ولا يشغلهم فقرٌ ، ولا يطغيهم غنى ، ولا تُلهيهم تجارةٌ ، ولا تستخفهم قوَّةٌ ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم قوَّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم ، أو الوالدين والأقربين ، وطّأ لهم أكناف الأرض ، وأصبحوا عصمة للبشرية ، ووقاية للعالم ، ودعاة إلى دين الله ، واستخلفهم رسول الله ﷺ في عمله ، ولحق بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته .

أغرب انقلاب وقع في تاريخ البشرية :

يقولُ العلاَّمة المؤلِّف عن هذا الانقلاب الَّذي حدَثَ في المجتمع الَّذي قام به الرسولُ ﷺ : إنَّ هذا الانقلاب كان غريباً في كل شيء ، كان غريباً في سرعته ، وكان غريباً في عُمْقه ، وكان غريباً في سَعَته وشموله ، وكان غريباً في سرعة وضوحه وقربه إلى الفهم ، وبيَّن تأثير الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول ، وضرب أمثلة لوخز الضمير الَّذي يوضح أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق ، وعلم النفس عن الزلات الخلقية ، والسقطات البشرية ، فقد جاءت الغَامِديَّةُ[1] إلى رسول الله ﷺ ، وجاء مَاعِز[2] أيضاً إلى رسول الله ﷺ معترفَيْن بما جنى كلٌّ منهما ، وكلٌّ منهما يطالب بإقامة الحدِّ عليه ؛ ليتطهَّر بالحدِّ .

---

(١) الغَامِدِيةُ : امرأةٌ من قبيلة غَامِد ، وهي بطن من جُهينة ، وتُقيم هذه القبيلةُ جنوبي المملكة العربية السعودية ، ومركز قراها وبلداتها الباحة (إعلام الأنام شرح بلوغ المرام : للأستاذ الدكتور نور الدين عتر : ٢/ ٢١٦) .

(٢) صحابيٌّ ، معدودٌ في المدنيين ، روى عنه ابنُه عبد الله حديثاً واحداً (الإصابة : ٣/ ٣٣٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

ثم تحدَّث المؤلِّفُ عن الثبات أمام المطامع والشهوات ، وعن الأنفة وكبر النفس ، وعن الاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء ، وعن الشجاعة النادرة والاستهانة بالحياة ، وكيف تحوَّل هذا المجتمع عن الأنانية إلى العبودية[1] .

المجتمع الإسلامي :

ثم يتحدَّثُ عن المجتمع الإسلامي الَّذي ربَّاه النبيُّ ﷺ ، وكيف أقام عوجَ الحياة فيه فأصبح الناس أسرةً واحدةً أبوهم آدم ـ وآدم من تراب ـ لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ ولا لعجميٍّ على عربيٍّ إلا بالتقوى ، وأصبح من المبادىء المعروفة في المجتمع الإسلامي : أنه ليس منا من مات على عصبية ، وأن كل فرد في المجتمع الإسلامي راع ومسؤول عن رعيته وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق حتى ولو كان الحاكم ، وأصبحت الأموالُ والخزائن ـ الَّتي كانت طعمةً للملوك والأمراء ، ودولةً بين الأغنياء ـ مال الله الَّذي لا ينفق إلا في وجهه المشروع ، وقد حلَّ الرسول ﷺ محلَّ الروح والنفس من المجتمع . وبيَّنَ المؤلِّف نوادر الحب والتفاني وعجائب الانقياد والطاعة ، وكيف حوَّل الرسول ﷺ خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية[2] .

عهد القيادة الإسلامية :

ثم يتحدَّثُ عن عهد القيادة الإسلامية ، وعن خصائص الأئمة المسلمين ، ومنها : أنهم أصحاب كُتب منزَّلة وشريعة إلهية ، وأنهم لم يكونوا خدمةَ جنس ، أو رسل شعبٍ ووطن ليسعون لرفاهيته ومصلحته وحده ، وفي ظلِّ هؤلاء الأئمة وتحت حكمهم استطاعت الأمم والشعوب كلها أن تنال نصيبها من الدين والعلم والتهذيب والحكومة ، ويقول : «إنَّ الإنسان جسمٌ وروح ، وهو ذو عقل وقلب وعواطف وجوارح ، لا يسعد ولا يفلح ولا يرقى رقياً متزناً عادلاً حتى تنمو هذه القوى كلها نمواً متناسباً لائقاً بها ، ولا يمكن أن توجد الحضارة الصالحة إلا إذا ساد وسطٌ دينيٌّ خلقيٌّ عقليٌّ جسديٌّ ، يمكن للإنسان فيه بسهولة أن يبلغ كماله الإنساني .

كما يتكلَّم عن دور الخلافة الراشدة ، وعن تأثير الإمامة الإسلامية في الحياة

---

(١) انظر : الباب الثاني ، الفصل الثاني ، صفحة (١٥٤) .
(٢) انظر : الباب الثاني ، الفصل الثالث ، صفحة (١٦٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

العامة ، وعن الحضارة الإسلامية وتأثيرها الواضح في الاتجاهات البشرية ، وقد صارت طباع الناس وعقولهم تتغيَّر وتتأثَّر بالإسلام من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ، وبدأت مبادىء الإسلام وحقائقه تتسرَّب إلى أعماق النفوس ، وتتغلغل في الأحشاء ، وبدأت قيمة الأشياء تتغيَّر في عيون الناس ، والموازينُ القديمة تتحوَّل وتخلفها الموازين الجديدة »[1] .

الانحطاط في الحياة الإسلامية :

ثم يتحدَّثُ عن الانحطاط في الحياة الإسلامية ، ومن أسباب ذلك التحريفات الَّتي حدثت في الحياة الإسلامية ، ومنها فصلُ الدين عن السياسة ، والنزعات السياسية في رجال الحكومة ، وعن سوء تمثيل الحكَّام للإسلام وعن قلَّة الاحتفال بالعلوم العملية المفيدة وعن الضَّلالات والبِدَع والخُرافات التي سادتْ وشاعتْ في المجتمع ، ثم عن إنكار الدين على المسلمين ، وعن حُسن بلاء العالم الإسلامي في القرن السادس الهجري ، وعن فقر القيادة في العالم الإسلامي بعد صلاح الدين الأيُّوبي ، وعن انهيار صرح القوَّة الإسلامية[2] .

دور القيادة العُثمانية :

ثم يتحدَّث عن دور القيادة العثمانية في الحياة الإسلامية ، وهنا نُلاحِظ أن الاستعمار طمس معالمَ الخلافة العثمانية ، وجعل المسلمين ـ والعرب بخاصة ـ يظنُّون أن الخلافة العثمانية ما هي إلا استعمارٌ كالاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي ، وأخذوا يتحدَّثون عن ظلم العثمانيين للعرب ، مع أن العثمانيين كانوا يحملون لواءَ الخلافة الإسلامية ، وقد دافعوا عن الإسلام والمسلمين فترات طويلة ، وإذا كان بعض الحكَّام في الفترة الأخيرة كانوا ظالمين ، فإنَّ الظلم كان يشمل الأتراك كما كان يشمل العرب وغيرهم ، ولكن العلامة المؤلِّف أنصفهم إنصافاً واضحاً حين تحدّث عن دور القيادة العثمانية في الحياة الإسلامية ، وعن تفوُّق محمَّد الفاتح في فنِّ الحرب ، وعن مزايا الشعب التركي ، الَّتي تتلخَّص في :

---

(١) انظر : الباب الثالث ، الفصل الأول ، صفحة (١٨٣) .
(٢) انظر : الباب الثالث ، الفصل الثاني ، صفحة (٢٠١) .

www.abulhasanalinadwi.org

أنَّه كان شعباً ناهضاً متحمِّساً فيه روح الجهاد ، وكان سليماً من الأدواء الخلقية والاجتماعية الَّتي أصابت الأممَ الإسلامية في الشرق والغرب .

أنَّه كان متوافراً لديه القوَّة الحربية الَّتي يقدر بها على فرض سيطرة الإسلام المادية والروحية .

أنَّه كان في أحسن مركز للقيادة العالمية ، كانوا يُشرفون على آسيا وأوربة ، لقد أنصفهم العلامةُ المؤلِّف إنصافاً واضحاً ، وأعاد حقيقتَهم بالنسبة للعالم الإسلامي كله ، ثم بيَّن بعد هذه الفترة انحطاط الأتراك في الأخلاق وجمودهم في العلم وصناعة الحرب ، وعن الجمود العلمي وعن الانحطاط الفكري والعلمي العام في تركيا ، وعن تخلُّف المسلمين في صناعة الحرب وفي مرافق الحياة[1] .

طبيعة الحضارة الغربية وتاريخها :

ثم يتحدَّثُ عن طبيعة الحضارة الغربية وتاريخها ، وعن خصائص الحضارة الإغْريقية والحضارة الرُّومانية ، وعن الانحطاط الخُلُقي في الإمبراطورية الرُّومية ، وعن نصر الرُّوم وخسارة النصرانية في دولتها ، وعن الرهبانية العاتية ، وعن عجائب الرُّهبان ، وعن تأثير الرهبانية في أخلاق الأوربيِّين ، وعن عجزها في تعديل المادية الجامحة ، وعن الفساد في المراكز الدينية ، وعن تنافس البَابَويَّة والامبراطورية ، وعن شقاء أوربة برجال الدين ، وعن جناية رجال الدين على الكتب الدينية ، وعن اضطهاد الكنيسة للعلم ورجاله ، وعن اتجاه الغرب إلى المادية وفضيحة المادية في الدور الأخير ومظاهر الطبيعة المادية في أوربة ، وعن الغايات المادية للحركات الروحية العلمية ، وعن نظرية دَارْوِنْ وتأثيرها في الأفكار والحضارة ، وعن القومية والوطنية في أوربة .

ويقول : « إنَّ انكسار الكنيسة اللاتينية كان سبباً لقوَّة العصبية والقومية والوطنية » .

ثم يتحدَّث عن عدوى القومية في الأقطار الإسلامية ، ويوضِّح الحلَّ الإسلامي لمعضلة الحرب والمناقشات الشعوبية .

---

(١) انظر : الباب الثالث ، الفصل الثالث ، صفحة (٢١٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

ثم يتحدَّث عن مطامع الدول الغربية في العالم الإسلامي ، ويقول : إنَّ أوربة تسير إلى الانتحار . نعم لقد عرفتْ أوربةُ الاكتشافات والاختراعات ، ولكن كان هناك تخليط بين الوسائل والغايات وعدم تعادُل للقوَّة والأخلاق في أوربة ، لقد أصبح للأوربيين قوَّة الآلهة وعقل الأطفال ، وأصبحوا يتعلَّمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم ، وبيَّن مساوىء القنبلة الذرية وفظائعها ، وقال : إنَّ الَّذي خَبُثَ لا يخرج إلا نَكِداً[1] .

رزايا الاستعمار الأوربي على الإنسانية المعنوية :

ثم يبيِّنُ رزايا الاستعمار الأوربيِّ على الإنسانية المعنوية ، وقد نتج عن ذلك بطلان الحماسة الدينية عند المسلمين وزوال العاطفة الدينية وطغيان المادية والمعدة والتدهور في الأخلاق والمجتمع ، ويقول : إنَّ المجتمع العصري لازال يستغني عن الروابط المنزلية والأرحام الدموية والشرائع الخلقية بتنظيمات اجتماعية شعبية على الخطوط السياسية والصناعية والاقتصادية ، ولا يهمُّ المجتمع الآن كيف يعامل الولدُ والده أو الزوجةُ زوجها ، إذا كان هؤلاء الأفراد لا يزالون في الدائرة المدنية الَّتي اختطها المجتمع حول أفراده[2] .

قيادة الإسلام للعالم :

إنَّ العالم كلَّه في العصر الحاضر يتَّجه إلى الجاهلية وذلك لأسباب طبيعية قاسرة ؛ لأنَّ أوربة النصرانية تحوَّلتْ إلى الجاهلية المادية ، وتجرَّدت من كل التعاليم الروحية والفضائل الخلقية والمبادىء الإنسانية ، وأصبحتْ لا تؤمن إلا باللَّذَّة والمنفعة المادية ثم القوَّة والغلبة في الحياة السياسية وفي الحياة الاجتماعية ، لا تؤمن إلا بالوطنية المعتدية والقومية الغاشمة ، وأصحبت بقوَّتها المادية وحدها فيلاً هائجاً يدوس الضعيفَ ويهلك الحرثَ والنسل ، وبانسحاب المسلمين من ميدان الحياة وتنازلهم عن قيادة العالم وإمامة الأمم وبتفريطهم في الدين والدنيا أخذت أوربة بناصية الأمم ، وخلفتهم في قيادة العالم ، وبذلك أصبح العالم كله قطاراً سريعاً تسير به قاطرةُ الجاهلية المادية إلى غايتها ، وأصبح المسلمون كغيرهم

---

(١) انظر : الباب الرابع ، الفصل الأول ، صفحة (٢٣٥) .
(٢) انظر : الباب الرابع ، الفصل الرابع ، صفحة (٣١٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

ركَّاباً لا يملكون من أمرهم شيئاً ، وقد تمَّ استيلاء الفلسفة الأوربية على العالم كلِّه[1] .

ترى ما الحلُّ لهذه الأزمة العالمية ؟

سؤالٌ أجاب عنه العلامة المؤلِّف في هذا الكتاب فقال :

إنَّ الحلَّ الوحيد هو تحوُّل القيادة العالمية ، وانتقال دفة الحياة من اليد الأثيمة الخرقاء الَّتي أساءت استعمالَها إلى يد أخرى بريئة حاذقة ، والمسلمون ـ على عِلاتهم ـ هم موئل الإنسانية وأمة المستقبل الَّتي يعزم عليها دينها أن تراقب سيرَ العالم ، وتحاسب الأمم على أخلاقها وأعمالها ونزعاتها ، وأنْ تقودها إلى الفضيلة والتقوى وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، وتحول بينها وبين جهنَّم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً[2] .

والعالمُ الإسلاميُّ لا ينهض إلا برسالته الَّتي وَكَلها إليه مؤسِّسُه ﷺ وبالإيمان بها والاستماتة في سبيلها ، وهي رسالة قوية واضحة مشرقة ، لم يعرف العالمُ كلُّه رسالةً أعدلَ منا ولا أفضلَ ولا أيمنَ للبشرية ، ورسالة العالم الإسلامي هي الدعوة إلى الله ورسوله والإيمان باليوم الآخر ، ولا بدَّ من الاستعداد الروحي الكامل ، فقوَّة المؤمن سرُّ انتصاره بالإيمان ، والاستهانة بالحياة ، والعزوف عن الشهوات ، والشوق إلى الشهادة ، والحنين إلى الجنة[3] .

والقرآن الكريم وسيرة محمَّد ﷺ قوَّتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نارَ الحماسة والإيمان ، وتُحدِثا في كلِّ وقتٍ ثورةً عظيمةً على العصر الجاهلي ، وتجعلا من الأمة الإسلامية المستسلمة أمَّةً فتيةً ملتهبةً حماسةً وغيرةً حنقاً على الجاهلية وسخطاً على الأنظمة الجائرة[4] .

وعلى العالم الإسلامي أن يتفوَّق في الاستعداد الصناعي والحربيِّ حتى يتبوَّأ الزعامة في العالم ويحقِّق رسالته في العالم التائه ، ولابدَّ من تنظيمٍ علميٍّ جديدٍ بما

---

(١) انظر : الباب الخامس ، الفصل الأول ، صفحة (٣٥١) .
(٢) انظر : الباب الخامس ، الفصل الأول صفحة (٣٥٥) .
(٣) انظر : الباب الخامس ، الفصل الأول صفحة (٣٦٠) .
(٤) انظر : الباب الخامس ، الفصل الثاني ، صفحة (٣٩٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

يوافق رسالةَ الإسلام ، ولابدَّ من الاستقلال التعليمي ، ومن الملاحَظ : أن المسلمين غير العرب يُنادون العربَ دائماً بأن يعودوا لأداء دورهم في حياة المسلمين وقيادتهم إلى الطريق المستقيم .

ويقول العلاَّمة المؤلِّف :

« إنَّ العالم العربي له أهميةٌ كبيرةٌ في خريطة العالم السياسة ؛ وذلك لأنه وطنُ أمم لعبتْ أكبرَ دور في التاريخ الإنساني ، ثم إنَّ محمّداً ﷺ هو روح العالم العربي ، والإيمان هو قوَّة العالم العربي ، وتضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية ، ولا بدَّ من محاربة التبذير والفرق الهائل بين الغني والفقير والتخلص من أنواع الأثَرة ، ولا بدَّ من إيقاظ الوعي في الأمة الإسلامية كلها ، والعالم العربي بمواهبه وخصائصه وحسن موقعه الجغرافي وأهميته السياسية ليستطيع أن يتقلَّد زعامة العالم الإسلامي » .

إلى قمَّة القيادة العالمية :

وأخيراً يقول العلاَّمةُ المؤلِّف في ختام هذا الكتاب : « هذه هي القيادةُ العالمية الَّتي هيَّأتها البعثةُ المحمدية ، ويجب أن يحرص عليها العربُ أشدَّ الحرص ، ولا يجوز أن يتخلَّوا عنها في أيّ حالٍ ، وهي قيادة تسيطر على القلوب والأرواح أكثر من سيطرتها على الأجسام ، وذلك يحتاج إلى الإخلاص للدعوة الإسلامية واحتضانها وتبنيها والتفاني في سبيلها ، وتفضيل منهج الإسلام على جميع مناهج الحياة ، مع الاقتناع الكامل بأنه منهج الله الَّذي لا يعرف التغيُّرَ أو التبدُّلَ ، ولا يجد الضعف والانحلال إليه سبيلاً ، مهما تطوَّر العلمُ ، وتقدَّم الزمانُ .

www.abulhasanalinadwi.org

الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية
في الأقطار الإسلامية والعربية

إنَّ هذا الكتاب المُبدِع المُثير يبحث عن أحدث وأهمّ القضايا ومشاكل العالم الإسلامي الغابرة (في القرن الحاضر) والراهنة ، ويُحلِّل الوقائع والأحداث تحليلاً علمياً موضوعياً يتَّسم بالصدق والصراحة .

استعرض فيه العلامة الندوي تلك المعركة الّتي توجد بين الأفكار والقيم الإسلامية ، وبين الأفكار والقيم الغربية ، ونتيجة هذه المعركة مستقرُّ ومصير العالم الإسلامي ، ذلك لأن تاريخ الأفكار الإسلامية قديم ، وحب الشعوب الإسلامية للإسلام وصلتها به قوية عميقة ، والإسلام هو الّذي قاتل دونه المقاتلون وتيسر به الظفر بالحرية والمحافظة عليها ، ولذلك فإن كل هذه الحقائق منذ القدم تُثبِتْ أن هذه الأرض الّتي نشبت عليها المعركةُ لا مكان فيها إلا للأفكار والقيم الإسلامية ولا يسمح فيها إلا لمنهج ونظام دعا إليه الإسلام .

لكن ترى أين المشكلة ؟ سؤال يُجيب عليه العلامةُ المؤلف في هذا الكتاب ، فيقول :

« إن الطبقة الّتي تملك زمام الدول الإسلامية تربَّت على القيم والأفكار الغربية والانبهار بالغرب وبكل ما يأتي به ، وهم لذلك يتبعون مناهج الدول الغربية وأفكارها شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، ويعملون على تغيير كل شيء في الدول التي يحكمونها ، وذلك بتغيير المفاهيم الدينية الإسلامية وتحويلها إلى المفاهيم الغربية ، وتحويل الشريعة الإسلامية إلى القوانين الغربية أو تطويرها شيئاً فشيئاً للوصول إلى الغاية الّتي ينشدونها ، وبذلك تصهر هذه البلاد الإسلامية بتؤدة وأناة ، ولكن بوعيٍ وإلحاح في بوتقة الحضارة الغربية ، وبذلك يصل الغرب إلى الهدف الّذي ينشده » .

ويقول العلامة : « ومن هذه الأقطار ما قد قطع أشواطاً بعيدة في هذه الرحلة

www.abulhasanalinadwi.org

ووصل إلى هدفه المنشود أو كاد ، ومنها ما وقف حائراً على مفترق الطرق ولكن يبدو : أن موعده قريب » .

ويقول : « إنَّ أضخم مشكلة في الدول الإسلامية تكمن في ضعف الأقطار الإسلامية الداخلي واستيلاء الغرب على الأقطار الإسلامية كلها ، ولا تستطيع أن تتقدم خطوة واحدة بدون أن تجيب عليها إجابة حاسمة .

وإنَّ الجواب : وهو أنه أي موقف تتخذه هذه البلاد نحو هذه الحضارة ، وأي منهج تسير عليه لتوفيق مجتمعها بالحياة العصرية وتحقيق مطالب العصر الحديث ، وإلى أيّ مدى تثبت ذكاءها وشجاعتها الخلقية لمواجهة هذه المعضلة ؟ .

إنَّ الجواب على هذه الأسئلة هو الذي يحدِّد مكانة هذه الشعوب في خريطة العالم ، ويُعرف به مستقبل الإسلام في هذه البلاد ومدى وفائها لرسالة الإسلام الخالدة » .

يقول الأستاذ جهاد عادل ، معلِّقاً على هذا الكتاب في صحيفة « البلاغ » الكويتية :

« السيد أبو الحسن ارتحل بنا في هذا الكتاب على شبكة من الخطوط الفكرية أقامها مرة في العمق التاريخي ، وأخرى فوق أرضية التاريخ الإسلامي السياسية والفكرية . . . يتناول الكتاب كثيراً من « التيارات » بل و « الشخصيات » و « الثورة » والجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي ، والتساؤل يتم بـ :

ما هو موقف العالم الإسلامي من الضربات التي تسلَّلت إلى أعماقه ؟، وما هي السلبية ؟، وما نتائجها ؟، وما السبب الذي أدَّى إلى الثغرات في العالم الإسلامي ؟، وما هي القضية الشائكة اليوم ؟، هل العالم الإسلامي فقد الثقة بنفسه ، ويشعر بفزع هائل ؟، هل يفزع أو يهرب من الميدان ؟، وهل تستطيع الطبقة المثقفة الجديدة ملءَ الفراغ الإسلامي ، وأن تتولى مهمة خلق الفروسية في القرن العشرين ؟، وهل تستطيع هذه الطبقة عبر كل مواقعها في البناء الاجتماعي والاقتصادي السياسي والعسكري ، وعبر الحدود المصطنعة أن تجيب على هذا التساؤل ؟

وأن تتعالى وتنبذ عالم الهتاف والمناصب الرفيعة والحياة الناعمة ، والإغراءات المادية والجنسية ، وتستبدل به عالماً تستروح فيه الأمنَ والعدالة والسلام والقوة في ظلٍّ من ظلال القرآن ؟ .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ الكاتب قد جمع بين مزايا عديدة جعلته مِن أقدر الباحثين المعاصرين على معالجة الأمور الإسلامية ضمن عقلية دقيقة وإيمان هادىء »[1] .

إنَّ هذا الكتاب من أهمّ مؤلفات العلامة الندوي ، ويعتبر أنه حلقةٌ ثانية من كتابه المشهور « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » .

يتناول الكتاب كثيراً من « التيارات » و « الشخصيات » و « الثورات » و « الجماعات الإسلامية » في العالم الإسلامي ، ويدعو الطبقة المثقفة الذكية في العالم الإسلامي للتأمُّل والتفكير ، وهو جديرٌ بالدراسة والمطالعة لكلّ من يهتمّ بالقضايا الإسلامية ، فقد صدرت له عدةُ طبعات بالعربية ، وصدرت ترجمته في معظم اللغات الراقية في العالم »[2] .

---

(١) من عرض الكتاب بقلم الأستاذ أحمد محمد طحان في مجلّة « المجتمع » الكويتية .

(٢) ستصدر له طبعةٌ أنيقةٌ من دار القلم بدمشق ، بدراسة وتقديم الدكتور عدنان زرزور .

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون في الهند

لمَّا قام العلاَّمةُ الندوي في جولته للشرق الأوسط في بداية الخمسينات ، كان يُفاجَأ دائماً بمثل هذه الأسئلة :

ما عددُ المسلمين في الهند ؟ ، هل هناك معاهد دينية ؟ ، هل عندكم علماء ؟ ، هل هناك مساجد ؟ ، هل يوجد عندكم من يُحسِن قراءة القرآن ؟ .

هذه الأسئلة هنا تدلُّ على أن معرفة إخواننا العرب عن مسلمي الهند ضئيلةٌ جدّاً .

هنا شعر العلامة بمسيس الحاجة إلى كتاب يكتب عن المسلمين في الهند ، فحرَّكت هذه الأسئلة قلمَه ، فجرى جريَ فرس السباق إلى الغاية ؛ لأنه كان أدرى بها ، وأجدرَ مَنْ يرفعُ القلمَ في هذا الموضوع .

فجمَعَ المعلوماتِ المنثورة بين آلاف الصفحات ، وجعَلَها من الفنِّ البارع الأصيل ، فجاء كتابُه هذا كمجموعة العطور ، منسجماً مع ذوق الجيل الجديد ، وموجزاً حسب مقتضيات العصر الحديث .

تُنير هذه المعلوماتُ جوانبَ دينية وعلمية وحضارية من حياة المسلمين في هذه الربوع الواسعة البعيدة عن مهد الإسلام ، والتي حكمها المسلمون سبعة قرون قبل تسلُّطِ الاستعمار الإنجليزي عليها .

سبعة قرون لم تكن مدةً قصيرة حتى تمر بدون أن تترك على صفحات هذه الأرض آثاراً عظيمة باقية في مجالات مختلفة من حياتها .

لقد امتازت الأمةُ الإسلامية في الهند بميزَتَيْن بارزتين .

أُولاهما : أنها حافظتْ على الشخصية الدينية الأساسية التي نشأتْ عليها بتأثير التعاليم الإسلامية التي غذتها بها مدارسها الدينية المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، وبتأثير الدعوة الدينية التي كان يقوم بها رجالُ العزيمة والعاطفة الإسلامية المشرقة عبر التاريخ السابق .

www.abulhasanalinadwi.org

وأُخراهما : أنها ساهمتْ في بناء البلاد وترقيتها اجتماعياً وأدبياً ومدنياً ، وشاركت في زيادة الثروة الفكرية والأدبية فيها .

وبذلك كله أصبحت صورةُ الهند صورةً مزدانةً بنماذج رائعة من الامتزاج الثقافي والعقلي ، وظهور الصورة الإسلامية الممتازة فيها ، ونشأت للمسلمين من خلال ذلك شخصيةٌ إسلامية متميزة ، فيها القوة والأصالة والغيرة والاعتزاز .

يتحدَّث هذا الكتاب عن الهند وعن مسلميها قديماً وحديثاً ، ويتناول نواحيَ شتى في الحياة العلمية والاجتماعية والدينية ، ويعطي للقارىء المعلومات عما أضافه المسلمون إلى ثروة الهند منذ دخولها ، وأدخلوا عليها من إصلاحات وتجديدات في مختلف نواحي الحياة . وعمَّا أنتجه المسلمون في الهند من العلوم الإسلامية ، وما زاد إلى تراثها .

ويتحدّث عن نوابغ وعماليق الهند من العلماء الكبار والمؤلِّفين العظام ، وعن مظاهر نشاط المسلمين العلمي والديني ، ومراكزه الكبيرة في العصر الحاضر .

اختار العلامةُ المؤلِّف منها صوراً يعرضها في هذا الكتاب ، وهو بذلك هديةٌ ممتعةٌ من مسلمي الهند إلى غيرهم فيها صورتهم الواقعية .

الكتاب مزيَّنٌ بمقدمة قيمة وافية لأديب العربية الكبير العلاَّمة على الطنطاوي ـ رحمه الله ـ .

www.abulhasanalinadwi.org

مذكّرات سائح في الشرق العربي

خَرَجَ العلاّمةُ الندوي في بداية ١٩٥١م في رحلة إلى عواصم الشرق العربي ليدرس وضع هذه الأقطار الديني والعلمي والاجتماعي ، وليتعرف على رجالاتها وقادة الفكر فيها ، ويتذاكر معهم في الشؤون الدينية والعلمية ، والقضايا الإسلامية ، والمناهج الإصلاحية ، والمشاريع التعليمية ، ويعرّفهم ببلاده الهند ، ويُخبرهم بتجارب دعوة الإصلاح وأنشطتها الّتي مرّت بها الهندُ الإسلامية في عهدها الأخير .

التزم العلاّمةُ في هذه الرحلة كلها أن يسجِّل كل حديثٍ وكل انطباع في يومه غالباً ، وأن يتحرى الدقة في النقل والصحة ، والصراحة بتسجيل الحديث في لفظ المتحدث ولغته بقدر الإمكان ، فجاءت في هذا الكتاب صورة من الأساليب والآداب المحلية يستفيد بها مؤرِّخُ الأدب فيما بعد ، ويتمثَّل القارىء لهذا الكتاب شخصيةُ المتحدِّث وسماته الحقيقية ، ويتمثل البيئة التي دوِّنت فيها هذه المذكرات ، وما كان يجيش فيها من صراعٍ نفسي واصطراع فكري ، واضطراب اجتماعي ، وقلق وتذمّر وثورة ، وما كان يتمخّض به هذا المجتمع من حوادث لم تقع ، فجاءت هذه المذكرات مجموع صُور ناطقة ، يستطيع القارىءُ أن يعيش بها في هذه الفترة التي لا تعود أبداً .

وميزةُ هذا الكتاب : أنه وصفٌ وتصويرٌ من إنسان يحمل القلبَ والعاطفة والعقيدة ، ويؤمن بمبادىء وقِيَمٍ ومُثلٍ ، ويحب هذه البلادَ الّتي يزورها ، ويرتبط بماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ويعتبر نفسَه عضواً من أعضاء هذه البلاد ، ويشاركها في آمالها وآلامها ، ويشاطرها في شقائها وسعادتها .

وأمَّا أسلوب الكاتب فهو يتميّز في هذه المذكِّرات بوضوح العبارة وسلامة الألفاظ ، ودقَّة المعاني ، فالكاتبُ كما يظهر يُحِب الاسترسالَ مع البُعْد عن التكلُّف مما أكسب كتابه أسلوباً يجمع بين الفائدة والمتعة ، وجاء الكتابُ كأنه قطعةٌ من مؤلفه فالأسلوب هو الرجل كما قرَّر النقاد ، ويكفيك هذا الكتاب لتعرف جوانب كثيرة من شخصية كاتبه ، ومنهجه في الكتابة الأدبية .

www.abulhasanalinadwi.org

مِن نهر كابُل إلى نهر اليرموك

هذا الكتابُ الثانى من سلسلة رحلات وجولات العلاَّمة الندوي الدعوية والدينية الّذي صدر بقلمه البليغ ، وأسلوبه الأدبي الفريد الممتع ، وقد كانت الجولةُ التي يتحدَّث عنها هذا الكتابُ في فترةٍ ما بين ٤/من حزيران ١٩٧٣م و٢٠/من آب ١٩٧٣م ، وتشتمل الجولةُ على بلاد الشرق الأوسط مثل : أفغانستان ، وإيران ، ولبنان ، وسورية ، والأردن ، والعراق .

وَصَف العلاَّمةُ الندوي في هذا الكتاب أوضاعَ هذه البلاد ومؤسَّساتها الثقافية ، ومراكزها الدينية ، وعلماءها ودعاتها وقادتها ، وتأثيرَ الحضارة الغربية وثقافتها فيها ، وما أحدثت من نتائج سلبية ، وما تركت من آثار سيئة مدمِّرة في الجيل الجديد[1] ، وما تواجِهه من قضايا ومشكلاتٍ ، وما تعانيه من صراعٍ فكريٍّ وحضاريٍّ ونفسيٍّ ، وما تحتاج إليه من إرشادٍ أو إسنادٍ ، حتى يكون القارئُ والمعنيُّ بمصير هذه البلاد على بيِّنةٍ من أمرها ، ووعيٍ لطبيعة الأمور والأوضاع في هذه البلاد .

---

(١) ضَمَّه المؤلِّفُ إلى كتاب « رحلات العلامة أبي الحسن الندوي » الذي سنتحدَّث عنه في صفحة (٨٢١) .

www.abulhasanalinadwi.org

أسبوعان في المغرب الأقصى

قام العلاَّمة الندوي برحلةٍ إلى المغرب الأقصى سنة ١٩٧٦م لحضور مؤتمر حول الجامعات الإسلامية ، وكان أن قضى أياماً زار خلالها هذا البلد الجميل ، واطلع على آثاره ومكتباته ، وتعرَّف على شعبه وعلمائه ، وكتب هذه المذكِّرات التي عبَّر فيها عن مشاعره وانطباعاته بأسلوبٍ جميلٍ بليغٍ .

يغلب على هذه المذكِّرات الطابع التاريخي ، غير أنَّ كاتبها حرص أيضاً على تسجيل انطباعاته عند كلِّ مشهد أو موقف يتعرَّض له ، فجاء الكتابُ مصوِّراً لجوانب من الحياة بمستوياتها المختلفة في هذا البلد الإسلامي ، ومعبِّراً عن شخصية الكاتب الذي ينطلق دائماً من فكره وعقيدته وعاطفته حين يتعامل مع الأشخاص أو الأفكار أو الأشياء .

إنَّ كاتب هذه المذكّرات رجلٌ يحمل فكرةً إسلاميةً ، يدعو إليها ويدافع عنها ، فهو يرى أنَّ أكبر ما يعانيه العالم الإسلامي من الفراغ والعوز وأشد ما يقاسيه من أزمات هو الضعف الإيماني والفساد الخلقي والتزعزع العقائدي ، يقول : « ألق نظرةً على العالم الإسلامي وانظُرْ ماذا يعوزه إنَّه غنيٌّ بكلِّ شيء ، بعدد أفراده ، وبوسائله وبثرواته ، وبثقافته وبذكائه ، ولكنَّه رغم ذلك كله لا يملك ثقلاً في الميزان العالمي ، ولا دوراً مؤثِّراً في اتجاهات العالم وأوضاعه وحوادثه ، والأزمة الإيمانية هي سبب هذا التراجع الحضاري .

ويدعو العلاَّمة في هذه المذكّرات إلى ضرورة التمسُّك بقِيَم الحضارة الإسلامية ، وطابع الأمة الخاصّ ، والاستفادة من الحضارة الغربية في مجالاتها الإيجابية وتجاربها المفيدة التي تتفق مع تعاليم الإسلام ، حتى يعود للأمة عِزّها ومكانتها في العالم ، وقد كُتِبت هذه المذكّرات بأسلوبٍ جميلٍ مؤثِّرٍ ، على الرغم من ترجمتها من الأردية إلى العربية ، وتحتوي على توجيهاتٍ قيمة قدَّمها العلاَّمة إلى ولاة الأمور ، وقادة الفكر والتربية ، والشباب المسلم[1] .

---

(١) ضَمَّنه المؤلِّفُ إلى كتاب « رحلات العلامة أبي الحسن الندوي » اقرأه فيه .

www.abulhasanalinadwi.org

في مسيرة الحياة

هذا الكتابُ سيرةٌ ذاتيةٌ للعلامة الندوي ، تحدَّث فيه عن أصله وأسرته ، وبيئته الّتي نشأ فيها ، وذكريات طفولته ، وأحداث حياته ، والوقائع الّتي عاصرها ، وأساتذته الّذين تعلَّم منهم ، والمشايخ الّذين تتلمذ عليهم واستفاد من صحبتهم ومجالسهم ، والعلماء والدعاة والأدباء والمفكِّرين الّذين قابلهم ، والمراكز والجمعيّات والمنظَّمات والمؤسَّسات الّتي أنشأها أو شارك في تأسيسها أو حَضَرَ مناسباتها .

والكتاب كما يقول أديبُ العربية الكبير العلامة على الطنطاوي في تقديمه له :

« ليس سرداً لأحداث حياته ، ولكنه كتابُ تاريخٍ ، وكتاب أدبٍ ، فيه وصف للأمكنة كأنك تراها ، وكتاب علم فيه ذكر العلماء ومجالس العلم ، وسِجلٌ اجتماعي فيه وصف عادات الناس وأوضاعهم في الهند »[1] .

يقول فيه الأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر :

« ومن الميادين التي كتب الشيخ الندوي وتعمق فيها السيرة الذاتية ، وهذا اللون من الأدب إبداع يقدِّم فيه صاحبُه تجربته المتميّزة للآخرين ليقفوا على تعامل صاحبها مع الأحداث ، ويروا العثرات التي مَرَّ بها ، والنتائج التي حقَّقها ، فهي إبداعٌ هادفٌ وممتعٌ في آنٍ واحدٍ ، ينقل مع تجربة صاحبها تصوراته وفكره ، وقد كتب العلاَّمة الندوي تجربته الطويلة والغنية في هذا الكتاب ، كان فيها شاهداً على أحداث عصره ، وما عانت منه الأمةُ الإسلامية في بِقاع شتى ، لذلك نجد في هذه السيرة نماذج لعائلات وأفراد عانوا آلام عصر الهبوط ، ونجد مواجهات قوية لأزمات الفقر والجهل والمرض والخوف والاستعمار ، ونجد النجاحَ والإخفاق ، ونجد النماذج البشرية العالية والهابطة ، ونجد بعد الرؤية وقوة الأحداث ، ونستمتع بسلاسة العبارة وعذوبة الأسلوب »[2] .

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ٩) .

(٢) في ختام مجموعة المقالات والبحوث حول العلاَّمة الندوي والتي طُبعت في مؤسسة الرسالة ـ بيروت بعنوان « الشيخ أبي الحسن الندوي . . . » ص(٥٦٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

طُبع الجزء الأول سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، وهو يحتوي ٤٦٣ صفحة ، يتحدَّث العلاَّمة فيه عن أسرته وميلاده ونشأته ، ودراسته وأهمّ الأحداث إلى عام ١٩٨٣م .

والجزء الثاني طُبع سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، وهو يحتوي على ١٩٩ صفحة ، يتناول فيه العلاَّمةُ أهمَّ الأحداث والوقائع من عام ١٩٨٤م إلى ١٩٨٨م .

والجزء الثالث طُبع سنة ١٩٩٨م ١٤١٩هـ، يتناول فيه العلاَّمةُ أهمَّ الأحداث من ١٩٨٩م إلى ١٩٩٦م.

وقد ظهر الكتاب بالأردوية في عشرة مجلَّداتٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

في التصوّف الإسلامي :

ربّانية لا رهبانية

هذا الكتاب يقدِّم إلى الدعاة والقادة والموجِّهين مناهجَ الدعوة والتربية التي اختارها العلماءُ الرّبانيون في مصدرهم ، فلتكن الربانية في شعار المؤمن الدائم ووصفه الدقيق العميق في كل زمانٍ ومكانٍ ، الربانية هي دعوة وجهاد ، وحب وعاطفة ودين ودولة ، ومصحف وسيف .

الربّانية لا تدعو إلى التواكل والتكاسل والجمود ، بل إنها تحوِّل التراب تبراً والحصى جوهراً ، والجماد حيّاً نامياً ، إنها سند الحركات الإسلامية ، وجوهر الجهود الإصلاحية ، وروح السعي الدؤوب ، والعمل المتواصل ، والسير وراء التضحية والفداء ، والثبات على المبدأ حين البأساء والضرّاء ، والشدة والرخاء .

يقول الداعيةُ الكبير الشيخ يوسف القرضاوي عن هذا الكتاب :

« وهو كتابٌ يتحدَّث عن الجانب الروحي أو السلوكي في الإسلام ، وليس حديثَ الصوفي المتأثر بفلسفة الحلول أو الإلحاد ، ولا بالطرقية المرتزقة ، بل حديث المسلم الملتزم بالكتاب والسنَّة ، العارف الذائق الذي خاض التجربة الروحية ، فلم يغرق في بحر القوم ، بل خرج بلآلىء وجواهر انتفع بها ، ولم يحجبه فيها المصطلحات التي قد تنفِّر ولا تبشِّر ، فالعبرة بالمسمّيات لا بالأسماء ، وبالمضامين لا بالعناوين »[1] .

هذا الكتاب يقصُّ قصةَ هذه الربانية التي اتهموها تارةً بالرجعية وتارة بالرهبانية ، ويصوِّرها في صورتها الأصلية المشرقة الجدلية ، ويكذِّب كثيراً من الإشاعات والأوهام التي علقت بها ، وشوَّهت سمعتها ، وحالت دون الانتفاع بها وفهمها على حقيقتها ، والاطلاع على أهميتها ودورها في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله .

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : ص(٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

مختارات من أدب العرب

لمَّا رأى العلاَّمةُ الندوي فراغاً في مجال الأدب الإسلامي ، ورأى جموداً وتقليداً سائدين في هذا المجال ، قام باستعراض الأدب العربي والتنقيب عن كنوزه وتراثه من جديد ، من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري ، فخرج منها بلآلىء ، وجواهر نفيسة تمثِّل الأدبَ الرفيع الذي يمنح القارىء التوسُّع والانطلاق في آفاق الفكر والتعبير والتحليق في أجواء الحقيقة والخيال ، ويُثير فيه التذوق بجمال اللغة العربية .

وقد حلّى العلاَّمةُ هذا الكتاب ـ سوى روايات الأحاديث والسيرة النبوية الّتي هي الأمثلة العليا في عذوبة اللغة والبيان المتسلسل ـ بكتابات تلك الشخصيات الّتي لا يظنّ في الأوساط الأدبية التقليدية بأنها من الأدباء والكتَّاب من أصحاب البيان ، ويعتقد أنهـا تهمةٌ عليهم ، أو حسن ظن زائد بهم ، مثل : سيدنا الحسن البصري ، وابن السَّمَّـاك ، والغـزالـي ، والمسعـودي ، وابـن الجـوزي ، والبُسْتـي ، وأبـو حيّـان التوحيدي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والعلامة ابن خلدون ، والإمام ولي الله الدهلوي ، وغيرهم .

إنَّ كتاب العلاَّمة الندوي « مختارات من أدب العرب » ومقدمته المبدعة ، تعتبر ثروة في التفكير وتحدياً غير عادي في مجال الأدب ، واعترف كبار الأدباء العرب بفضل هذا الكتاب في فتح كوة جديدة على آفاق الأدب الإسلامي الواسعة ، وأنه قلبَ الموازين الأدبية وتخطى الحدود المرسومة التي رسمها الأدباء التقليديون واحتكروها منذ قرون ، وأصبح هذا الكتاب فيما بعد نواةً جديدة وقاعدةً محكمةً لتأسيس نظرية الأدب الإسلامي الصحيحة .

يقول أديبُ العربية الكبير العلاّمة علي الطنطاوي في هذا الكتاب :

www.abulhasanalinadwi.org

« وإنْ كان الدليلُ على ذوق الأديب اختيارُه ، فحسب القرّاء أن يعلموا أنّنا عرضنا من أمدٍ قريبٍ كتبَ المختارات الأدبية ، لنتخير واحداً منها نضعه بين أيدي تلاميذ الثانويات الشرعية في الشام ، وذهب كلٌّ واحدٍ من أعضاء اللجنة ، ـ وكلُّهم من الأدباء ـ ، يبحث ويفتّش ، فعُدْنا جميعاً وقد وجدنا أنَّ أجود كتب المختارات المدرسية ، وأجمعها لفنون القول وألوان البيان ، مختارات أبي الحسن .

وقد كنتُ أتمنَّى من قديمٍ أن نخرج بتلاميذنا من هذا السجن الضيق المُظلِم الذي حشرناهم فيه ، إلى فضاء الحرية ، وإلى ضياء النهار ، فلا نقتصر في الاختيار ، على (وصف الكتاب) للجاحظ ، وهو جُمَلٌ مترادِفةٌ ، لا تؤلِّف بينها فكرةٌ جامعةٌ ، ولا يمدّها روحٌ ، ولا تُخالِطها حياةٌ ، وعلى أَلاعيب ابنِ العميد ، وغلاظاتِ الصاحب ، وهندسات القاضي الفاضل ، فنُنَفِّر التلاميذ من الأدب ، ونكرّهه إليهم ، وكنا نقول لهم : إنَّ البيان الحق عند غير هؤلاء ، وأنَّ أبا حيان التوحيدي أَكْتبُ من الجاحظ ، وإنْ كان الجاحظ أوْسَعَ روايةً ، وأكثر علماً ، وأشدَّ تصرفاً في فنون القول ، وأكبر أستاذية ، وأنَّ الحسن البصري أبلغ منهما ، وأنَّ ابن السَّمَّاك أبلغ من الحسن البصري[1] .

وإنَّ النظر فيما كَتب الغزالي في الإحياء ، وابن خلدون في المقدمة ، وابن الجوزي في الصَّيد ، وابن هشام في السيرة ، بل والشافعي في الأُمّ ، والسَّرَخْسِي في المبسوط ، أَجْدَى على التلميذ وأنفع له في التأدب ، من قراءة حماقات الصاحب ، ومَخرَقات الحريري ، وابن الأثير .

وكتبتُ في ذلك مراراً ، فما التفتَ إلى ذلك أحدٌ ، فيئستُ منه ، حتى وجدتُ كتابَ أبي الحسن ، فإذا هو قد نفض كتب الأدب والتاريخ نفضاً ، وحرثها حرثاً ، فاستخرج جواهَرها ، فأودعها كتابه .

ولستُ أقول أنِّي أنا صاحب الفكرة ، أو أنَّه أخذها منِّي . . لا ، ولعلَّه (وهذا ما أرجحه) ما قرأ شيئاً ممَّا كتبتُ أنا ولا غيري في هذا الموضوع ، ولكنَّه الذوق

---

(١) قد تبدو هذه الأحكام غريبة على من ألف التقليد في الأدب وعكف عليه ، ولكنها حقٌّ ، كما أن من الحق أن أبا تمام أشعر من المتنبي وأعظم (الشيخ الطنطاوي) .

www.abulhasanalinadwi.org

الأدبي المرهف ، والطبع العربي الأصيل »[1] .

لقد نال هذا الكتابُ قبولاً كبيراً في مدة قليلة ، وأكثر ما كان قبوله كمقرَّرٍ للغة العربية في الأوساط الحديثة ، وفي أقسام اللغة العربية في معظم الجامعات الكبرى في الأقطار العربية .

---

(١) في مقدمته لـ « المسلمون في الهند » للعلامة الندوي ، صفحة (١٧ ـ ١٨) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

نظراتٌ في الأدب

هذا الكتابُ من أهمِّ تلك الكتب التي كتبها العلاَّمة الندوي في الأدب ، وهو يتميَّزُ بميزتين نادرتين :

الأولى : أنه نتاج قلم يحمل في تكوينه ثلاث سمات متكاملة متداخلة : الأدب ، والفكر ، والدعوة إلى الله .

الثانية : أنه في مجمله كتاب تنظير وتقعيد ، أقرب إلى أن يكون بيان مبادىء للأدب الإسلامي ، يؤصِّل بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشر مجموعة من الأعراف الأدبية والنقدية .

وأمَّا الميزة الأولى : فهي نادرةٌ في عصرنا هذا بالذات . صحيح أن كثيرين يجمعون بين الأدب والفكر ـ فمِن خصائص عصرنا تداخل الأدب والفكر إلى حد التلاحم ـ ، وكثيرين يجمعون بين الأدب والدعوة إلى الله ، فلا يخلو بلدٌ إسلاميٌّ من أدباء إسلاميين ، وغير قليلين من معاصرينا يجمعون بين الفكر والدعوة إلى الله . . . ولكن الذين يمسكون الخيوط الذهبية الثلاثة : الأدب والفكر والدعوة ، في آنٍ واحدٍ قليلون جداً في عصرنا هذا ، منهم محمد إقبال ، وسيد قطب ، وصاحب هذا الكتاب .

وأمَّا الميزة الثانية للكتاب فهي أنه ـ في مجمله ـ كتاب تنظير وتقعيد . وهي ـ ولا شكَّ ـ نادرةٌ أيضاً ـ فكتب التنظير والتقعيد قليلةٌ في عصرنا وفي كل عصر ؛ لأنها تقتضي قدرات خاصة وجهوداً عالية .

إنَّ « نظرات » العلاَّمة الندوي توشك أن تكون بيان مبادىء للأدب الإسلامي ، أو لبعضه على الأقل . ذلك : أن القارىء يخرج من الكتاب بعدد من القواعد والأحكام حول : مفهوم الأدب وطبيعته ، والموقف من فصوله المنسية ، وآفاق الأدب الإسلامي وبعض خصائصه[1] .

---

(١) نظرات في الأدب : ص(٥ ـ ١١) انظر مقدمة الأستاذ عبد الباسط بدر .

www.abulhasanalinadwi.org

روائــع إقبــال

يكفي لإبراز قيمة هذا الكتاب ما قاله الدكتور جاويد إقبال[1] ما نصُّه : « لقد عرض مؤلِّفُ هذا الكتاب جوانب مختلفة من فكر محمّد إقبال في أسلوبٍ أكبر ظنّي أنه يوافق شعورَ محمّد إقبال نفسه ، أو كان يؤثره لشرح أفكاره » .

إنَّ هذا الاعتراف وهذه الشهادة يدلاّن على انسجام أفكار العلاّمة الندوي مع محمّد إقبال ، ورسالته التي تمتاز بمعاني الحب والطموح والإيمان ، وكشاعر عقيدة ودعوة ورسالة وكأعظم ثائرٍ على الحضارة الغربية المادية ، وأعظم ناقدٍ لها وحاقدٍ عليها ، وكداعيةٍ إلى المجد الإسلامي وسيادة المسلم ، ومن أكبر المحاربين للوطنية والقومية الضيقتين ، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية والجامعة الإسلامية .

يَجْدُرُ بنا هنا أن ننْقُلَ بعض السطور من هذا الكتاب الّتي كَتَبَها العلاّمة في تعليل إعجابه بأفكار محمد إقبال وتفسيرها ، يقول :

« إنَّ أسباب الإعجاب بشعر محمّد إقبال كثيرة ، وللمُعجَبين به أن يتحدّثوا عن أسباب إعجابهم ، وهي ترجع في الغالب إلى الهوى ، والتعبير عن النفس ، فالإنسان إنما يحب نفسه ويطوف حولها ، ويعيش فيها ، ويحب كل ما وافق نفسه ، وترجم عن ضميره ، ولا أبرّىء نفسي ، فربما أحببتُ شعر محمّد إقبال ، لأني رأيتُه يوافق هواي ، ويعبِّر عن ضميري وخواطري ، وينسجم مع عقيدتي وتفكيري ، ويتناغم مع عاطفتي ومشاعري .

إنَّ أعظم ما حملني على الإعجاب بشعره هو : الطموح والحب والإيمان ، وقد تجلّى هذا المزيج الجميل في شعره وفي رسالته أعظم مما تجلّى في شعرٍ معاصرٍ ،

---

(١) هو نجل الدكتور محمد إقبال ، الّذي أسمى ديوانَه المهم « جاويد نامه » باسمه (وأهل البيت أدرى بما فيه) .

www.abulhasanalinadwi.org

ورأيتُ نفسي قد طُبِعَت على الطموح والحب والإيمان ، وهي تندفع اندفاعاً قوياً إلى كل أدب ورسالة يبعثان الطموح ، وسمو النفس ، وبعد النظر ، والحرص على سيادة الإسلام ، وتسخير هذا الكون لصالحه ، والسيطرة على النفس والآفاق ، ويغذِّيان الحب والعاطفة ، ويبعثان على الإيمان بالله تعالى والإيمان بمحمَّد ﷺ ، وبعبقرية سيرته ، وخلود رسالته ، وعموم إمامته للأجيال البشرية كلِّها .

إنَّني أحببتُه وشُغِلْتُ به كشاعر « الطموح والحب والإيمان » وكشاعر له عقيدة ودعوة ورسالة ، وكأعظم ثائر على هذه الحضارة الغربية المادية . . . . . » .

قد تُلُقِّيَ هذا الكتاب بقبول عظيم وإعجاب شديد منذ يوم ظهوره ، وكان مِن كُتب الشباب المسلمين المثقَّفين الحبيبة ، الأثيرة المفضَّلة ، فكثرت قراءتهم له وعنايتهم به ، حتى وعته ذاكرتهم وعرَّفت به ألسنتهم وأقلامهم ، وحفظ كثير منهم قطعاً وصفحات من الكتاب ، وكثر اقتباسهم منه ، واستشهادهم به في أحاديثهم ومقالاتهم .

www.abulhasanalinadwi.org

شخصياتٌ وكتبٌ

هذا كتابٌ جديدٌ ، مؤثِّرٌ وقويٌّ ، جمع فيه العلامة الندوي أجملَ باقة من الزهور المتنوعة ، التي تنشر عبيرها في أنحاء العالم الإسلامي عامة وفي الهند خاصة ، وذكر في نهاية الكتاب الكتبَ الأثيرة المؤثِّرة الّتي عاش فيها ، وتكونت بها شخصيتُه العلمية والأدبية .

لم يكتب العلامةُ هذا الكتاب تسلية للخواطر بل الهدف الرئيسي وراء تأليف هذا الكتاب تقديم نموذجٍ إنساني قوي مؤثِّر يكون أسوة حسنة أمام الجيل الجديد الّذي يتأرجح بين التطرُّف والتزمُّت ، ويعيش في مستنقعٍ مظلم ليس من ينجده أو يسعفه ويخرجه من الظلمات إلى النور .

مقدّمة هذا الكتاب كشفٌ جديدٌ من خصائص الألفاظ وإيحاءاتها وظلالها وموسيقاها ، وهي تنير الطريقَ أمام الأدباء والكتاب عن كيفية استعمال الألفاظ في فنِّ التراجم والوصف .

تتجلّى موهبة العلاّمة الأدبية في رسم الشخصيات وإبراز ملامحها وسماتها وقسماتها ، وتصويرها وتجسيدها ، ووضعها في الإطار الصحيح والمناسب .

يعطي هذا الكتابُ صُوراً ناطقة للبيئة والثقافة والحضارة التي عاشها العلاَّمةُ الندوي وتربّى فيها .

خلع الكاتب الحياة على هذه الشخصيات فأصبحت الترجمةُ عملاً أدبياً رائعاً ، حيث ينسجم القارىء مع الشخصيات وينفعل بها ، لأن هناك تناسقاً في التعبير مع الشعور ، وتطابقاً في الانفعال مع شَجَنات الألفاظ .

والجزء الأخير لهذا الكتاب يقصُّ على الجيل الجديد قصة البحث والدراسة وكيفية طُرق الاستفادة واختبار الكتب اللائقة وتأثيرها ودورها في تكوين الأفكار ، وتهذيب الأخلاق والسِّيرة .

www.abulhasanalinadwi.org

دراسات عامة في الفكر الإسلامي :

إلى الإسلام من جديد

هذه مجموعةٌ نفيسة من محاضرات العلامة الندوي ، الّتي ألقاها في المؤتمرات الإسلامية والندوات الدينية في فترات متقطعة ومناسبات مختلفة ، تختلف في الزمان والمكان ، والعنوان والألوان ، ولكن يجمعها اسمٌ واحد وغرضٌ واحد ، وهو النداء « إلى الإسلام من جديد » فيه النصيحة للأمة الإسلامية وأجيالها القادمة ، والغيرة عليها ، والرغبةُ في أن تعود لأخذ مكانها كأمة معلِّمة مرشدة ، تؤمن بالله واليوم الآخر وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، في عالم مُثْخَن بالجراح والآلام جرَّاء كفره بالله ودينه الّذي بعث به الرسول ، وجراء بعده عن هدي الأنبياء وإيغاله في ميدان التنافس على حطام الدنيا والترامي على الشهوات والموبقات .

وقد وجِّهتْ هذه المحاضراتُ والمقالات إلى الأمة الإسلامية بصفة عامة ؛ إذ هي الأمّة الأخيرة التي أُخرِجت للنّاس ، وصاحبة الرسالة الأخيرة التي وجِّهت إلى الناس ، وعُنيت بها الأمة العربية بصفة خاصة ، فمِن أفقها طلعت شمس الإسلام في العصر الأول ، وأسفر الصبح الصادق .

وقد أسكنها الله في خير مركز في العالم ؛ لتوجيه الدعوة الإسلامية ، وإزجاء الرسالة الإسلامية إلى الأمم المتحضرة والعالم المتمدّن وَتَبَوَّؤ مكان القيادة العالمية .

يقدِّم هذا الكتاب تحليلاً وافياً حول أوضاع العالم الإسلامي الراهنة ، مقارنةً مع أحوال القرون الأولى ، وبحثاً عن الأسباب الكامنة وراء تخلف المسلمين في ضوء القرآن والتاريخ .

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام : أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية

هذا الكتابُ يحتلُّ مكانةً ممتازةً بين جميع مؤلفات العلامة الندوي الدعوية والأدبية والعلمية في متانة الأسلوب وقوَّته وحجَّته ، واعتماده على المصادر العربية والأجنبية القديمة والحديثة الأحدث منها .

يقدِّم هذا الكتابُ تحليلاً علمياً محايداً لمِنَن الإسلام على الحضارة الإنسانية ، ويتَّسم بالطابع العلميّ والدعويّ القويّ ، والعاطفة الدينية ، والتفكير العميق والدراسة ، والمقارنة العلمية ، وذلك بالأسلوب الأدبيّ الممتع القويّ الذي يؤثِّر في القلب .

يدور هذا الكتابُ حول عشرة معطيات رئيسية ، ومِنَحٍ أساسية هامة من الإسلام ، وهي :

(١) ـ عقيدة التوحيدة النقية الواضحة .

(٢) ـ الوحدة العقائدية الحضارية العالمية .

(٣) ـ مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية .

(٤) ـ ردُّ الاعتبار إلى المرأة ومنحها حقوقها وحظوظها .

(٥) ـ إعلان كرامة الإنسان وسموِّه .

(٦) ـ الجمع بين الدين والدنيا ، وتوحيد الصفوف المتنافرة ، والمعسكرات المتحاربة .

(٧) ـ محاربة اليأس والتشاؤم ، وبعث الأمل والرجاء والثقة والاعتزاز في نفس الإنسان .

(٨) ـ استخدام العلم والعقل والانتفاع بهما ، حتى في القضايا الدينية ، والحثُّ على النظر في الأنفس والآفاق .

www.abulhasanalinadwi.org

(٩) ـ إيجاد الرباط المقدَّس الدائم بين الدين والعلم ، وربط مصير أحدهما بالآخر ، وتفخيم شأن العلم والحثِّ عليه .

(١٠) ـ وجود أمّة تضطلع بمسؤولية الوصاية في العالم ، والحسبة على الأخلاق ، وسلوك الأفراد والأمم .

نال هذا الكتابُ قبولاً عظيماً وإعجاباً شديداً بعد صدوره ، وصدرت منه حتى الآن طبعاتٌ عديدة وقد نُقِلَ الكتاب إلى الأردية ، والإنجليزية .

www.abulhasanalinadwi.org

العرب ... والإسلام

هذا الكتابُ ينضم إلى مجموعة من المقالات والمحاضرات التي كتبها وألقاها العلاَّمةُ الندوي في مناسباتٍ مختلفة وفي أمكنة وأزمنة مختلفة ، الَّتي تجمع بينها وحدة معنوية ، وغاية مشتركة تتغلب على اختلاف الزمان والمكان ، وتنوع أساليب البيان ، وهي إثارة الشعور الإسلامي وإيقاظ الروح الإسلامية في نفوس العرب .

وهو إثارةُ كريم عريق في الكرم ، وتحريك أريحيته للمكارم والبطولات .

وهو إيقاظُ أسد غلبه النعاسُ أخيراً ؛ ليحتلّ مكانه الطبيعي في الغابة ، وحاشا أن يكون تعليم جاهل وإقناع جاحد .

يدعو هذا الكتاب العربَ لاستعادة مكانهم الطبيعي في القيادة البشرية والحضارة الإنسانية .

والعلامةُ الندوي في توجهه إلى العرب إنما يتوجه باعتباره عربيَّ الأصل ، وباعتباره من الأسرة الكريمة أسرة الإسلام ، فهو لا يجاملهم ، بل يعتبر المجاملة جريمة خلقية وخيانة عظيمة في حقِّ هذه الأمة التي يدين لها في الدين والأخلاق والإنسانية .

يقول العلاَّمةُ : « إنني لا أقلُّ عن أكبر عربيٍّ يعيش في العواصم العربية في عربيَّتي ونسبي الصريح ، وحبي للعرب وتضلعي من ثقافتهم وعلومهم وآدابهم ولغتهم .

وليس أحدُ إخواني العرب الأفحاح أولى بالاعتزاز بالعربية مني وأوفر نصيباً مني ، ولكن الإسلام أفضل من كل نسبٍ وأقوى من كل عصبيةٍ »[1] .

هذه الحقيقة ناصعةٌ ، تدلّ على ذلك كتابات العلاَّمة الندوي منذالثلاثينات ، وحرصه الشديد على استعادة العرب مكانتهم الأولى في القيادة العالمية .

نال هذا الكتابُ إقبالاً عظيماً في وقت قصير في جميع البلدان العربية ، وقد صدرت منه عدة طبقات من مختلف المكتبات الإسلامية .

---

(١) من مقدِّمة العلاَّمة الندوي للكتاب .

www.abulhasanalinadwi.org

أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين

زار العلاَّمةُ الندوي دولَ الخليج العربي عام ١٩٨٣م ، وقضى فيها أسبوعَين ، وخلال إقامته بها ألقى هذه المحاضرات التي تتسم بالقوّة والوضوح ، والصراحة والواقعية ، وتحدَّث عن واقع العالم الإسلامي ، وأزمة المسلمين الحقيقية اليوم ، وما تمرُّ به هذه المنطقة من مرحلة دقيقة عصيبة ، وما يحتاج ذلك إلى وعي إسلامي صحيح ، واستعداد معنوي خلقي ، وإصلاح عميق شامل في منهج الحياة ، ووجهات النظر .

هذه المحاضراتُ كلُّها تدور حول وضع العرب والمسلمين الراهن في بُعدهم عن الجدّ والصرامة ، أو وقوعهم فريسة التغافل والتخاذل ، وحول ضرورة العودة إلى الصفات العالية للأنفة العربية ، والغيرة الإسلامية ، والإيمان العميق الّذي يدير دفة الحياة ، ويسيطر على التفكير والتصرفات ، وسيرة العرب والمسلمين في خطاباته .

هذا الكتاب صيحةُ داعيةٍ مخلصٍ ، وصرخةُ ضميرٍ واعٍ ، ونداءُ كبدٍ مقروحةٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون وقضية فلسطين

لقد بدا للعلاّمة الندوي بعد أن كتب وألقى وحاضر كثيراً في قضية فلسطين أن يجمع ما كتب ، ويُخرجِه للناس في كتاب ، فقام بجمع هذه المقالات والمحاضرات والخطب التي سبق الحديث عنها[1] ، وقدّم لها بمقدمة رائعة عميقة ، بيَّن فيها : أنَّ النكبات والكوارث العظيمة التي تصاب بها الأمم ليست مفاجآت أو مجرد مصادفات ، بل هي نتيجة عوامل كثيرة ، وأكثرها داخلية نفسية ، كانت تتفاعل وتعمل عملها الطبيعي في حياة الأمة والمجتمع منذ زمن طويل ، ولم يفطن لها في أوانها إلا القليلُ النادر ، الذين رزقهم الله الفطنةَ الدقيقة ، والفراسة الصادقة ، وهم الذين قال الله عنهم : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] .

ثم أتبَعَ المقدمةَ بكلمة تحليلية واعية(عن التربية والأخلاق التي مهدت للتخاذل في فلسطين) وأتى فيها بشيء معجب .

وختم العلاَّمةُ كتابه بكلمة قيمة ، عجيبة في نظراتها العميقة ، يحكمها العقل والمنطق ، هذه الكلمة هي (العاقبة للعرب والمسلمين) وقد برهن فيها المؤلف أن اليهود لا مستقبلَ لهم في فلسطين ، فهم ليسوا حملة رسالة نافعة للناس ، والعرب ـ الذين اعتُدِي عليهم هم أصحابُ الرسالة الإسلامية الخالدة ـ لن يبقوا هكذا في هذا الضياع والتلاشي والضعة بل سيعودون إلى رسالتهم الإسلامية من جديد ، وحينئذٍ سوف لن يكون لكيان إسرائيل أثرٌ في ربوعهم وسوف ينتصرون من جديد على كل أعداء الإنسانية والحياة الكريمة .

« ولا بدَّ لي أخيراً من التأكيد على أمور سادت جميعَ فصول الكتاب ، وسوف يلحظها القارىء الحصيف الواعي .

الأمر الأول : هو ذلك العمق الذي يتجلى في نظرات المؤلّف وتعليلاته ، وما يصفه من دواء لهذه العلة الكبرى ، فنكبة فلسطين ليست نتيجةَ عوامل جدّت في الأمة

---

(١) في الباب الثالث ، الفصل الثاني ، ص(٤٨٣ ـ ٤٨٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

في القرن الرابع عشر الهجري فحسب ، واقتلاع إسرائيل والانتصار عليها لا يكون بالسلاح فقط ، بل بالإيمان قبل السلاح ، واليهود قد بنوا دولتَهم على أساسين من العقيدة والقوة ، وهدمُها لا يكون إلا بنفس السلاح ، عقيدة أقوى ، وقوة أقوى ، ولا يفلّ الحديدَ إلا الحديدُ .

الأمر الثاني : تأكيد المؤلف الكبير على أسباب الفساد المنتشرة في العالم العربي ، وفي البلاد المحيطة بإسرائيل على وجه الخصوص ، تلك الأسباب التي جعلت الناس يتهالكون على الشهوات ، والملاهي ، وسَفْسَافِ الأمور ، ويهربون من الموت ، ويقدِّسون الحياة على أي وجه كانت !! .

الأمر الثالث : حبُّ المؤلف العميق للعرب ، وتألُّمه الكبير لما أصابهم ، وغَيرتُه الشديدة على قضاياهم وشؤونهم .

ولقد تجلَّت عاطفةُ المؤلف نحو إخوانه العرب كثيراً في كلامه في هذا الكتاب ، وفتح لهم قلبَه الكبير ، وخاطبهم برفق ، وقال لهم : « أنتم سادة المسلمين ، فانهضوا نهضة مؤمنةً ، ونحن من ورائكم وجندٌ لكم ، نأتمِرُ بأمركم ونطيعكم » .

والحقُّ أني لم أقرأ لكاتبٍ مسلم كلاماً في حُبِّ العرب والرفع من شأنهم ، وإظهارهم كسادة للمسلمين ، كما قرأتُ لهذا المؤلف الفاضل .

الأمر الرابع : تفاؤل المؤلف الكبير بعودة العرب من جديد لقيادة المسليمن ، وبعودتهم للمركز الذي يليق بهم ، كحملة لرسالةٍ إلهية عظيمة ، فيها الخير لهم ولشعوب الأرض ، وهم وغيرهم أحوج ما يكونون إليها .

ويبدو تفاؤله أكثر ما يبدو في كلمته الأخيرة : (العاقبة للعرب المسلمين) .

والمؤلِّف الكريم لم يؤكِّد في كتابه على ناحية القوة والإعداد المادي كثيراً ، فوجوب إعداد القوة الرادعة عنده وعند كلّ مسلم يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، أمر مفروغ منه ، وهو يرى : أنَّ العربَ يمتلكون مع ذلك من القوى الرادعة ما يكافىء ما عند العدو ، ولكنَّ الأمرَ الذي خسروه تماماً هو قوة الإيمان وحب الشهادة ، لذا أكَّد على هذه الناحية ، وحصر جُلّ اهتمامه بها[1] .

---

(١) من كلمة الناشر بتصرف واختصار ، طبع المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ (الهند) .

www.abulhasanalinadwi.org

نفحات الإيمـان
بين الصّنعاء وعَمّان

هذا الكتابُ ينضوي تحت مجموعةٍ من المحاضرات التي ألقاها العلاّمةُ الندوي في صنعاء وعمّان في مناسبات مختلفة ، واحتفالات كبيرة خلال إقامته بهما .

أمّا المحاضرات والأحاديث التي ألقاها العلامةُ في اليمن الميمون الذي زاره بناء على دعوة اتحاد الطلاب والهيئة العليا للمجامع العلمية عام ١٩٨٤م . فقد التقت فيها الحكمةُ اليمانية والفقه اليماني ، ومع الأسلوب الهندي في منهج الدعوة إلى الله ، وجاء فيها التركيز على وصول الإيمان إلى الحكام ، وتبنيهم لقضية الإسلام ، بدل التركيز على وصول جماعة مؤمنة إلى كراسي الحكم .

أثار العلامةُ في هذه المحاضرات والأحاديث غيرةَ مسلمي اليمن الدينية وأعاد إلى ذاكرتهم ، ارتباطهم بالإيمان ، وكان التركيز على هذه النقطة « الإيمان يمان والحكمة يمانية » فليكن اليمن إيمانياً .

وقُوبلت كلماتُ العلامة كأنها كانت في الضمير فوجدت التقدير ، خاصة لتعبير « شلال اليمن الإيماني » كان له دويٌّ في الأوساط العلمية والسياسية والشعبية .

وأمّا المحاضرات والخطابات التي ألقاها العلامةُ في الأردن المرابطة والقريبة من مسرى الرسول الأعظم في مناسبة الإسراء والمعراج ، ففاضت في هذه المحاضرات طبيعةُ العلاّمة ، وتأثرت من الواقع المرير ، فتحدّث بكلمات كانت حديث القلب الجريح ، تُثير الهممَ ، وتحيي القلوبَ من غفوتها ، فحرّكت هذه الكلمات أوتارَ القلوب ؛ لأنها كانت تفيض من قلبٍ اجتمع فيه شجا المكان والزمان والاعتزاز بالماضي المجيد ، والتألم بالواقع المرير .

هذه المحاضراتُ والأحاديث قويةٌ مؤثرة ، صدرت عن قلبٍ مؤمن فياض ، ونفحةٍ من نفحات الداعي إلى الله بروحه وقلبه ، ودعوةٍ صريحة إلى الرباط الدائم والسهر على مصالح الأمة الإسلامية ، ونداءٍ إلى صلاح الدين الجديد ، ودعوةٍ إلى تجديد معركة حطين أو شبه حطين مرة أخرى ، ودعوة إلى توليد طاقة إيمانية من شلال إيماني لإحياء القلوب والنفوس ، وملء الفراغ في المجتمع الإسلامي .

www.abulhasanalinadwi.org

أحاديث صريحة في أمريكة

زار العلاّمةُ الندوي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا عام ١٩٧٧م بدعوةٍ من الطلاب المسلمين المقيمين فيها .

فألقى هذه المحاضرات في حفلاتهم وجلساتهم ، ذكر فيها :

ماذا يكون موقفُ المسلم المقيم في ديار الغرب .

وما هي نظرة المسلم الواعي إلى الحضارة الغربية ، كيف يحافظ على كيانه الإسلامي ويعيش بخصائصه الحضارية المتميزة في عقر دار الغرب ؟

وما هي المسؤوليات الخطيرة التي تقع على هؤلاء المسلمين المغتربين إزاء جيرانهم غير المسلمين .

وكيف يمثّلون شخصيةَ المسلم القوي الواعي أمام التيارات الغربية ، وفلسفاتها المادية الملحدة ؟ .

تناول العلامةُ هذه الجوانب كلها بالنقد والتحليل ، والصراحة والصدق ، وتحدَّث عن الحضارة الغربية والمدنية الأمريكية من مستوى عال ، وهي القمَّة التي يسمو إليها الإسلامُ والقرآن والحديث بأتباعه الناشدين للحق والمخلصين من طلاب العلم والدين ، القمّة الّتي يتراءى العالم القديم والحديث كلاهما أمام الناظر كسرابٍ خادع ، وتبدو الزخارف كلُّها والنضارة والبهاء بأجمعها كلمعان الفصوص الزائفة المزورة .

يُعِيد هذا الكتاب ثقةَ المسلم برسالة الإسلام الخالدة ومسايرته لكل عصرٍ ومصر ، وصلاحيته للقيادة البشرية ، والحضارة الإنسانية ، وبالتالي فشل الحضارة الغربية ونظمها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لحل المشاكل الراهنة .

ويعطي هذا الكتاب للقارىء مصباحاً منيراً ، يضيء طريقَه الحق ، ويداً بيضاء تخرجه من ظلام الغرب الدامس .

www.abulhasanalinadwi.org

حديث مع الغرب

وقف العلامةُ الندوي في هذا الكتاب موقفَ الداعية الإسلامي ، يدعو الغربَ إلى الإسلام من غير تأويلٍ أو خجل أو استحياء ، ويحثّه أن يلعب دورَه الخطير الهام في قيادة الإنسانية ، ولم يكتف بهذا القدر من الدعوة ، بل لفت أنظارَ أهل الغرب إلى هذه الأنفة والكبرياء التي سدَّت عليهم منافذ النور ، وحالت دون قبول الحق ، وذلك كله في أسلوبٍ فريد حكيم لبق ، ينمُّ عن فقهٍ وحكمة ، وحب وإخلاص ، وتوجع وإشفاق .

وجَّه فيه العلامةُ حديثه إلى الشباب المسلم المثقَّف المقيم في ديار الغرب ، محذِّراً لهم من أن تسحرهم هذه الحضارة الخادعة ، ويدعوهم إلى أن يعيشوا في الغرب كالدعاة والقادة ، لا كالمقلِّدين والتلاميذ ، ويفتحوا قناةً جديدة بين الغرب والشرق على أساس النفع المتبادل ، ويرجعوا إلى أوْطانهم وبلادهم ، وهم أشدُّ إيماناً بخلود الإسلام ، واعتزازاً به ، وأكثر إشفاقاً على الغرب وعلى الإنسانية التي كادت تهوي في الهاوية .

طُبِعَ هذا الكتاب مرّات باهتمامٍ كبير ، وتُرجِم إلى كثيرٍ من اللغات العالمية .

www.abulhasanalinadwi.org

التفسير السياسي للإسلام

في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد القطب

هناك حقيقةٌ ساطعةٌ ، هي أنَّ عقائد الإسلام وحقائقه مقرَّرة لا تتغيَّر ، وشرائعه وقوانينه مستوفاة لا تقبل النسخ أو التعديل ، وأن هذا الدين دين الله الأخير يتكفَّل بهداية البشرية ، وعليه تتوقَّف نجاتها وفلاحها ، حتى الحضارة الإسلامية حضارة خالدة مستقلة بذاتها ، وتقوم على الحقائق الأبدية .

وهناك حقيقةٌ أخرى ، هي أن هذه الحياة متحرِّكة ، متطوِّرة ، مستمرَّة النمو ، تنتقل من طور إلى طور ، ومن لون إلى لون ، كل شيء في الحياة يتغير ، تتغير اللغات واللهجات ، وتتغير أساليب البيان والتعبير ، ومناهج البحث والتفكير ، وتتغير الأسباب التي تُثير القلقَ النفسي ، والاضطراب الداخلي ، وتتغير الوسائل التي تقاوم هذا القلق والاضطراب ، وتتغير أوضاع التساؤلات التي تثور في النفوس البشرية ، كما تتغير أوضاع الإجابات عليها .

إذا استعرضنا تجديدَ التاريخ الإسلامي في ضوء هذه الحقائق ، نجد أبناء الإسلام البررة ، والمخلصين وأنصاره وحماته ، والعلماء والمصلحين (كل في عصره) يقومون بعرض الإسلام ومحاسنه وتعاليمه ، بأسلوبٍ يقوِّي إيمان أبناء عصورهم ـ من جديد ـ بهذا الدين الخالد ، وحقائقه الثابتة ، ويُعيدون إلى نفوسهم الثقة بفضلها ، وحاجة البشرية والمدنية إليها .

بعد دراسة مستفيضة لهذ الجهود عبر التاريخ الإسلامي نخرج بنتائج وحقائق عديدة منها :

إنَّ عرض الإسلام وتقديمه في الأسلوب العصري يتطلب الحيطة والدقة ـ على طول الطريق ـ حتى لا يتكوَّن لدى الجيل الجديد الذي يراد تعريفه بحقائق الإسلام ، وترسيخ عقائده في قلبه ، « ذوق ديني » مختلف عن الذوق الديني الذي كان يتسم به الجيل الإسلامي الأول وتوارثته الأجيال المتلاحقة بعده .

www.abulhasanalinadwi.org

لم تفقد هذه الأمة ـ التي هي حاملة الرسالة الخالدة الأخيرة ـ الصلة الفكرية والعقلية بحقائق الإسلام الأولية وتصوراته الأساسية ، بل بقيت حاملةً لها ـ على تفاوت المستويات والطبقات ـ محتفظة بها .

بجانب ذلك لم يخل عصرٌ من العصور الإسلامية من العلماء الراسخين في العلم ، المتذوّقين للشريعة الإسلامية ، والمطّلعين اطلاعاً دقيقاً على عقلية الجيل الجديد ، والاتجاهات والملابسات التي يعيشها ، الذين راقبوا هذا العرضَ الجديد للإسلام مراقبة أمينة ، حتى لا يواكب انحراف عن الصراط المستقيم ، وعدول عن الجادة التي وضع عليها سيدُنا محمد ﷺ هذه الأمة ـ ومن ثم حاسب الراسخون في العلم هذه المحاولة محاسبةً دقيقة مع الاعتراف بقيمتها الجزئية ، وأبوا أن تقبل الأمة الإسلامية كلها هذا الفهم الديني الذي تنشئه بعضُ الكتابات بأسلوبها الهجومي ، ونقدها اللاذع كـ « حركة التقدُّمية » و « والتجدد » و « فكرة القومية المتطرِّفة » كما طرق الأستاذ أبو الأعلى المودودي موضوعاتٍ وقضايا في صميم الشريعة الإسلامية والقوانين الإسلامية ، فسطر قلمه حول هذه المباحث والقضايا مقالات قوية مؤثِّرة ، أمثال الرِّبا ، والحجاب ، والرق ، والجهاد ، والأضحية ، وحجية الكتاب والسنة ، وقانون الأحوال الشخصية ، ممَّا لا شكَّ فيه : أن هذه المقالات أعادت الثقة إلى الشباب ، المثقف بالثقافة العربية ، بالإسلام وبقيمه ، وتصوراته ، وخلصتها من مركب النقص ، ونفسية الهزيمة الداخلية حيال الإسلام وتعاليمه ، وكان العلامة الندوي متعاوناً ومنسجماً مع الأستاذ المودودي في هذا المجال .

هذا الكتابُ محاولة مخلصة ترمي إلى الإعراب عن « خواطر » و« خلجات » كانت تساور نفسَ العلاَّمة الندوي من مدة طويلة ، وعمل بالوصية النبوية « الدين النصيحة »[1] .

هذا الكتاب محاسبةٌ علمية مخلصة نزيهة ، هذا الكتاب نبراسٌ للذين ينشدون الحقَّ والصواب ، ويحرصون على تصحيح « الفهم الديني » وتصعيده وإكماله ، والحق هو المقياس الوحيد لديهم أولاً وأخيراً ، لا جماعة من الجماعات ، مهما كان

---

(١) أخرجه البخاري معلَّقاً في كتاب الإيمان ، برقم (٥٧) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، برقم (٥٥) وغيرها عن تميمٍ الداري ، رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

وثيق الصلة بها ، أو فرد من الأفراد ، مهماً كان عظيماً عنده ، تقييم حرٌّ وبعيدٍ عن كل عصبية جماعية ، وأحكام تقليدية ، هذا الكتاب محاولةٌ متواضعة للبحث عن الأصلح الأنفع ، وعرض حصيلة الدراسات وعصارة التفكير للمؤلِّف[1] .

---

(١) الأستاذ أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً : ص(٨٥ ـ ٨٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

في التربية والتعليم :

التربية الإسلامية الحُرَّة

تمثِّل التربيةُ والتعليم الجانبَ الأكبر من كتابات العلامة الندوي ، حيث ينحصر جلُّ تفكيره فيها ، فهي السبيل الأمثل إلى تكوين الأجيال الصالحة لقيادة المجتمع الإسلامي ، وهي الطريق لبناء تربية إسلامية من عقول وأدمغة أجنبية والّتي تحمل الأفكار والمبادىء الدخيلة على الإسلام والتي تناهض تقدُّمَه .

لقد كان هذا الموضوع يشغل بالَ العلاَّمةِ ، وقد ألقى في هذا الموضوع خطباً ومحاضرات ، وكتب مقالات في فترات متقطعة ومناسبات مختلفة ، حيث كان يعتقد العلاَّمةُ أن أهمّ الأسباب للثورات السياسية والعسكرية في البلاد الإسلامية هو الفجوة الواسعة بين الشعوب المسلمة وحكّامها ، واضطرابهم وقلقهم ، إن معتقدات هذه الأمة وعواطفها ومشاعرها وحاجتها في وادٍ ، وهذه الأنظمة التعليمية الغربية التي استوردتها الحكومات من الخارج في وادٍ آخر ، وليس أن هذه الأنظمة التعليمية لا صلةَ لها ولا علاقة بعقائد هذه الأمة وعواطفها فحسب ، بل إنها تحاول اقتلاع هذه المعتقدات والقضاء على هذه العواطف الدينية ، وإقامة بناء جديد على أنقاضها ، فأصبحت البلاد الإسلامية لأجل ذلك كمركبٍ يسوقه فَرَسَان من جهتين متقابلتين أو كقطار تقوده قاطرتان من جانبين مختلفين .

يدعو هذا الكتاب إلى التأمل والإقدام بِجرَاءةٍ وصراحة في مجال التربية والتعليم ، ويقدِّم تحليلاً وافياً عن الوضع العلميّ في البلاد الإسلامية ، وحلولاً جذرية ناجحة للمشكلات الراهنة .

www.abulhasanalinadwi.org

قصص النبيين

للأطفال

حينما كان يشعر العالمُ الإسلامي بمسيس الحاجة إلى الكُتب الدراسية التي تهتمُّ بتعليم أطفال المسلمين عقائدَ الإسلام الأساسية ، وتعتني بالناحية التربوية ، وتركِّز على تعليم اللغة العربية بصورة رئيسية ، تجلَّت هذه الجهود في تأليف كتب دراسية للأطفال الناشئين والشباب المسلم ، حيث قام العلامة الندوي بتأليف سلسلةٍ بكاملها لغرس العقائد الإسلامية في أذهان الناشئة ، وتحبيبها إلى نفوسهم البريئة ، في أسلوبٍ فريدٍ ممتعٍ ، فظهر كتابُه يحمل الاسم « القصص النبيين للأطفال » .

هنا يكفي شهادة لنجاح العلاّمة في تحقيق الأهداف التربوية والدعوية والفنيّة والموضوعية ما قاله الأديب الكبير ، والداعية الشهيد الأستاذ سيد قطب في تقديمه لهذا الكتاب .

« ولقد قرأتُ الكثير من كتب الأطفال ـ بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام ـ وشاركتُ في تأليف مجموعة : « القصص الديني للأطفال » في مصر ، مأخوذة كذلك من القرآن الكريم ، ولكنّي أشهَدُ في غير مجاملةٍ : أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصَّة الّتي بين يدي ، جاء أكمل من ذلك كله ، وذلك بما احتوى من توجيهاتٍ دقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها ، ومن تعليقاتٍ داخلة في ثنايا القصّة ، ولكنّها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر ، حين تستقر في قلوب الصغار والكبار »[1] .

وقد التزم العلاَّمةُ خلال التأليف هذه الأمورَ ، منها :

١ ـ أن تكون ثروةُ الألفاظ فيه أقلَّ قليلاً ، ولكنّها تُنقَش في ذهن الطالب بكثرة التكرار والإعادة .

---

(١) من تقديمه لكتاب « قصص النبيين » الجزء الثالث .

www.abulhasanalinadwi.org

٢ ـ أن يكون الكتابُ في لغة القرآن ، وتُوضع الآيات الكريمة في محلها كالفصّ في الخاتم .

٣ ـ أن يشتملَ على تعليم العقائد الأساسية (التوحيد ، والرسالة ، والمعاد) ، وتلقينها للطالب بطريقة عفوية .

٤ ـ أن يبسُط القصص ويزوِّد الأطفال بما يكرّه إليهم الكفر والشرك والمعاصي ، ويحبِّب إليهم الإيمان والعقيدة ، ويرسِّخ فيهم الاعتقاد بعظمة الأنبياء وجلالة مكانتهم ، وكل ذلك بطريق لا يشعر الطالب بثقله ، وأنه يُلقىٰ عليه ، بل يتلقَّاه ضمناً وعفواً وينسجم معه .

قد صدر لهذا الكتاب أكثر من خمسين طبعة من مصر وبيروت والسعودية بإذن العلاَّمةِ المؤلِّف ، وقرِّر في كثير من المدارس الإسلامية في العالم العربي والإسلامي .

www.abulhasanalinadwi.org

القراءة الراشدة

رأى العلاَّمةُ الندوي كُتباً صغيرة لبعض أدباء مصر في حكايات الأسد والذِّئاب ، والقردة والذباب ، حتى الخنازير والكلاب ، فصيحة العبارة قليلة المغزى ، عربية الوضع إفرنجية الروح ، إسلامية اللغة جاهلية السبك ، فيها صُوَر الحيوانات في اللباس الغربي ، فساءه كلُّ هذا أن لا يقرأ أبناء المسلمين في العربية أيضاً إلاّ قصصَ الحيوانات والأساطير والخرافات ، فكَتَبَ لهم قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، بأسلوبٍ سهلٍ يحاكي أسلوبَ الأطفال وطبيعتهم من تكرار الكلمات والجُمل ، وسهولة الألفاظ وبسط القصّة ، وزَيَّنَ الكتاب بصُور مناظر الطبيعة والأبنية المقدَّسة .

ثمّ رأى العلاَّمة أنّ كل ذلك لا يسدُّ مسدَّ سلسلة القراءة الّتي تحتوي على موادٍ في اللّغة والأدب متنوِّعة بأسلوبٍ تدريجيّ ملائم لذوق الناشئة المسلمة الهندية خاصَّة ، ونشء البلاد الإسلامية عامَّةً .

فوضعها في أجزاء ، واجتهد في :

(١) أن تكون اللغةُ أدبيةً دينية عليها مسحة من جمال أدب الكتاب والسنَّة .

(٢) استعمالِ الكلمات المستحدثة التي لها أصلٌ عربيّ واشتقاق صحيح لموضوعات عصرية ، قد عول المؤلف فيها في الغالب على قرارات مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، حتى لا يلجأ الطالب في استعمال الكلمات العجمية أو الدخيلة ، أو يكون له لسانٌ أخرس في المناسبات العصرية .

(٣) تكرارِ المفردات العربية حتى يتمرّن عليها الطالب .

(٤) تنوُّع الموضوعات والمواد لينشط الطالب وينتقل فيها من فائدةٍ علمية إلى حديثٍ ممتع وحوارٍ لذيذ ، ومن درسٍ علميّ إلى حكاية تاريخية ، ومن نثرٍ إلى شعر أو نشيد .

www.abulhasanalinadwi.org

(٥) نقل الحكايات الواردة في الحديث إلى لغةٍ تشتمل على أسلوبِ الحكايات الموضوعة للأطفال .

(٦) دروس خلقية تهذيبية تعلِّم الآداب الإسلامية في مختلف نواحي الحياة .

(٧) تضمين الدروس الأدعية المأثورة والآداب الدينية بحيث لا يشعر الطالب بأنها تُلقى عليه إلقاءً بل يحفظها ، عفواً في ثنايا الدروس والحكايات .

(٨) الروحُ الدينية السارية في الكتاب ، بحيث لا يمكن تجريد الكتاب عنها ، ويعمّ ذلك الدروس الدينية ودروس المعلومات الكونية والطبيعية والحيوانية والنباتية والاختراعات الحديثة .

يتكوّن هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء .

وما لا ريب فيه أنه هديةٌ قيّمةٌ لأبناء المسلمين الناشئين .

نال هذا الكتابُ قبولاً بالغاً ورواجاً عاماً منذ أول يومه ، وقررته كثيرٌ من الهيئات التعليمية والمعاهد الدينية في الهند وباكستان وأمريكا وإنكلترا .

www.abulhasanalinadwi.org

قصصٌ من التاريخ الإسلامي

إنَّ الناشئة الإسلامية والأطفال المسلمون أحوج من كلِّ ناشئة وجيل في سِنِّ الحداثة إلى قِصَص وحكايات تغرسُ فيهم حُبَّ الخير ، والفضيلة ، والبطولة ، والتضحية ، والجهاد ، والشهادة في سبيل الله ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، والعزوف عن سَفْسَافِ الأمور ، وفضول الحياة ، والحُبّ لله وللرسول ، ولأصحابه وأتباعه ، والذين بذلوا نفسهم ونفيسهم في سبيل الله ، وحموا الدين ، ودافعوا عن المسلمين ؛ لأنَّ سعادة الدنيا ، وفلاح البشر يتوقَّف على نشوئهم النشوء الصالح ، وتضلُّعهم بروح الدعوة إلى الله ، والكفاح في سبيل الله ، والتحلِّي بالحياة المثالية النموذجية .

والتاريخُ الإسلاميُّ مِنْ أغنى الثروات التاريخية ، والمكتبات العالمية ، في روائع إيمانية وخلقية ، ومثل إنسانية رفيعة ، باعثة على الهِمَم العالية ، والاتجاهات ، والمطامح الخيرة النبيلة ، وكُتب التاريخ الموثوق بها مليئةٌ طافحةٌ بمثل هذه الحكايات ، والقصص ، والمُثُل ، والنماذج ، ولكنَّ الأقلام المسلمة ، والمؤسَّسات التربوية ، ودُور النشر في العالم الإسلامي ـ نقول هذا مع أسفٍ واعتذار ـ لم تُعْطِ هذا الجانب المهم حقَّه من العناية ، والجمع ، والتأليف ، فلا يزال أطفالُ المسلمين ، ومن كان في سنِّ حديثة ، يعيشون في قلَّةٍ ونُدْرَةٍ ، إذا لم نَقُلْ في فقر وعوز ، من هذا الصِّنف من كتبٍ صغيرةٍ تجمع هذه الحكايات والملتقطات من كتب التاريخ الضخمة ، وتكون مكتبة للأطفال المسلمين تسهلُ الاستفادة منها ، وتقوي الرغبة فيها ، ويدوم أثرها في نفوس الأطفال ، والنشء الحديث .

وقد شرح اللهُ صدرَ العلامة الندوي لالتقاط حكايات خفيفة شائقة ، مثيرة مفيدة ، من كتب السيرة وتاريخ الإسلام ، والسير والتراجم ، فاختار موادّ جديدة من كُتُب التاريخ ، وصاغها في لغةٍ سهلة ، وأسلوب مُبسَّط لائق بالأطفال ، والذين حصل لهم إلمامٌ باللغة العربية ، وبدؤوا يفهمون اللغة السهلة الميسرة ، فتكوَّنَتْ بذلك رسالة ، أو كتابٌ صغيرٌ يحتوي على ثماني عشرة حكاية[1] .

---

(١) من مقدمة المؤلف للكتاب باختصار وتصرُّف .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

مجموعات مقالات ومحاضرات العلاّمة الندوي

١ ـ دراسات قرآنية .
٢ ـ مقالات حول السيرة النبوية .
٣ ـ نظرات في الحديث .
٤ ـ نظرات في الأدب النبوي .
٥ ـ مصدر الفقه : الكتاب والسنَّة .
٦ ـ محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة .
٧ ـ مقالات إسلامية في الفكر والدعوة .
٨ ـ إسمعيات .
٩ ـ مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين .
١٠ ـ مكانة المرأة في الإسلام .
١١ ـ خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤوساء .
١٢ ـ بحوث في الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية .
١٣ ـ أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية .
١٤ ـ مقدّمات الإمام أبي الحسن الندوي .
١٥ ـ رحلات العلاّمة أبي الحسن علي الحسني الندوي .
١٦ ـ من أعلام المسلمين ومشاهيرهم .

www.abulhasanalinadwi.org

دِراساتٌ قُرآنيَّةٌ

إنَّ عودة المسلمين في عصرنا الحاضر إلى كتاب ربِّهم أصبحت حقيقةً واقعةً ، والإقبال على الدراسات القرآنية أصبحت ظاهرةً لافتة للنظر ، والدراسات القرآنية تظلُّ إسهاماً جاداً في سبيل خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى ، وبيان آياته للناس من قبل العلماء والمختصين . . . وعالَمنا الإسلامي لم يزل ولا يزال زاخراً بعديد من كبار العلماء الّذين اشتغلوا بتفسير القرآن الكريم وبيان إعجازه في كل مجالات الإعجاز ، في اللغة ، وفي التشريع ، وفي البيان والوضوح ، وفي آيات إعجازه في الكون والخلق .

ومن هؤلاء العلماء المشتغلين بدراسات القرآن الكريم العلامة الندوي ، الّذي كان مِن أنبغ وأكبر تلاميذ مدرسة القرآن الإيمانية والعلمية ، والدعوية والإصلاحية .

درس في أيام طلبه للعلم أُمّات كتب التفسير على كبار العلماء المختصين فيها ، واستفاد من كبار الأساتذة المشتغلين بالموضوع في عصره ، واطَّلع على أكثر ما نُشر من بحوث وتعليقات ، وكتب عصرية في هذا الموضوع ، فعيَّن مدرِّساً في عنفوان شبابه للتفسير في دار العلوم لندوة العلماء في أوائل الثلاثينات من الميلاد ، واستمرَّ على ذلك زهاء عشر سنين ، درَّس خلالها متن القرآن في فصول مختلفة ، فشعر العلامة في أول احتكاكه مع الطلبة بأنه لا بدَّ قبل تدريس متن القرآن الكريم وشرحه من إلقاء الأضواء الكاشفة حول خصائص القرآن ومزاياه وعلومه ونبوءاته ، ووجود إعجازه ، ومجالاته الواسعة ، فأملى عليهم مقالاتٍ هامَّة في القرآن من جميع نواحيه ، تُهيّىء العقولَ والأذهان لدراسة القرآن العميقة والإيمان بإعجازه وخلوده ، ثم نُشرت معظم تلك المقالات في مجلة « الضياء » ومجلة « الندوة » العربية التي كانت تصدر يومئذ عن دار العلوم ندوة العلماء ، وفي مجلة « المسلمون » الغرّاء التي كانت تصدر في جنيف برئاسة تحرير الدكتور سعيد رمضان ، وفي مجلة « البعث الإسلامي » التي تصدر عن دار العلوم ندوة العلماء (الهند) .

www.abulhasanalinadwi.org

وغير هذه المقالات كانت للعلامة محاضراتٌ وأحاديث قيمة في هذا الموضوع ، لكنها كانت مشتتةً مبعثرة في المجلات والجرائد والأشرطة ، معرَّضة للضياع ، فاطلعتُ عليها خلال عملي في تأليف هذا الكتاب ، ورأيتُ أن هذه المقالات والأحاديث في حاجةٍ إلى الجمع في كتابٍ مستقلٍّ حتى يستفيد منها كلُّ من يهتم بهذا الموضوع ، ويسهل الاطلاع عليها .

www.abulhasanalinadwi.org

مقالات حول السّيرة النبويّة

كان العلاّمة الندوي يعتبر السيرةَ النبوية الدوحة الأولى له ، وقد دخلها في سنٍّ مبكرة ، لا يدخل فيها الأطفال في عامة الأحوال ، ويرجع فيه الفضل إلى أخيه الأكبر[1] ، والّذي كان موفّقاً كلَّ التوفيق في اختيار الكتب التي كان يجب أن يطالعها في صغره ، فقد قدَّم إليه أفضلَ ما كُتِبَ في السيرة بالأردوية ـ وهي أغنى لغات العالم الإسلامي بعد اللغة العربية في موضوع السيرة ـ وكان حريصاً على أن يُكثِر من مطالعة كتب السيرة ؛ لأنها المؤثِّر الأكبر في تكوين السيرة والعقيدة والخلق وغرس الإيمان .

فلما صَارَ العلاَّمة الندوي يشدو باللغة العربية عكف على أمَّات كتب السيرة النبوية كـ « السيرة النبوية » لابن هشام ، و « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن القيم ، وكذلك الكتب الأخرى ، عاش فيها زمناً طويلاً يذوق بها حلاوةَ الإيمان ، ويغذي بما جاء فيها من القصص والأخبار عاطفة الحب والحنان ، ثم ألَّف وكتب في هذا الموضوع الجليل عشرات من المقالات ، وعدة من الكتب في أسلوبٍ عصريٍّ علميٍّ مستعيناً بما كُتِبَ في هذا الموضوع قديماً وحديثاً ، وبالمراجع الأجنبية التي توضِّح الكثير من السيرة ، والتاريخ المعاصر ، وحاول خلال تأليف الكتب وكتابة المقالات فيها أن يجمع بين الجانب العلمي والجانب التربوي البلاغي ، بحيث لا يطغى أحدُهما على الآخر .

وهذا الكتاب هو مجموعة من المقالات التي جاد بها قلمُ العلامة الندوي في هذا الموضوع بين الفترة والفترة في مجلاَّت مختلفة ، فوددتُ أن أفرزها من طيَّات تلك المجلاَّت في كتابٍ مستقلٍّ ليسهل الاطلاع عليها لمن أراد ، ولتعمّ بها الفائدةُ .

---

(١) انظر ترجمته في الباب الثاني ، الفصل الأول ، ص(١٤٤) ، والباب السادس ، الفصل الأول ص (٨٧٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

نظراتٌ في الحديث

وفي الصحاح الستَّة ونبذة من تاريخ تدوين الحديث

ممَّا تقرَّر عند المشتغلين بصناعة العلوم : أن علم الحديث النبوي الشريف مِن أهمها ، وأشرفها وأقدمها مدى عبر القرون والأجيال ، وقد عُنيت به الأمةُ بكل ما تيسَّر لها من الجهاد في سبيل حفظه وتدوينه ونقله ونشره ، والتهالك على تلقيه وجمعه ، والتنافس في ضبطه وإتقانه ، والاهتمام بكل ما يتصل به من علوم وفنون ، وكان لعلماء الهند مساهمةٌ كبيرة في هذا المجال ، لا سيما في هذه القرون المتأخرة .

فهذا الكتابُ حلقةٌ من الحلقات ، وهو في الحقيقة مقالاتٌ للعلامة الندوي ، كتبها كتقديمات على معظم كتب الحديث للعلامة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ـ رحمه الله ـ الذي كان خاتم المحدِّثين ، ونموذجاً للعلماء الربانيِّين في عصره ، وقد كتب العلامة هذه المقدمات تلبية لطلب الشيخ الكَانْدَهْلَوِي فأجاد وأتم في الموضوع ، وهذه ست مقدمات : خمسة منها : على كتب الشيخ الكاندهلوي الأولى منها : على « الأبواب والتراجم للبخاري » ، والثانية : على « لامع الدُّراري » ، والثالثة : على « بذل المجهود » ، وهو تأليف شيخه العلامة خليل أحمد السَّهَارَنْفُوْرِي ، والرابعة : على « الكوكب الدُّرِّي » ، والخامسة على « أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك » ، وفيه : مقدمةٌ ضافية على تكملة « فتح الملهم » ، للشيخ الفقيه المحدِّث القاضي محمد تقي العثماني ـ حفظه الله ـ .

فهذا جمعٌ لطيف قام به وعلَّقَ عليه حفيدُ العلاَّمة الندوي فضيلة أستاذنا الشيخ بلال عبد الحي الحسني الندوي ـ حفظه الله وأمتع به ـ .

www.abulhasanalinadwi.org

نظراتٌ في الأدب النبوي

بدَأَ العلامةُ الندوي يكتب في الأدب الإسلامي منذ أول الخمسينيات في كبرى المجلَّات العربية التي كانت تصدر من مصر ودمشق والهند ، وأولُ مقالٍ كتبه فيه هو بعنوان « الأدب النبوي » في العدد الأول لمجلة « الضياء » التي كانت تصدر من « ندوة العلماء » ، والتي ترأَّس تحريرَها أيضاً فترةً من الزمن . فلمَّا اختاره مجمعُ اللغة العربية بدمشق عضواً له عام ١٩٥٧م ، كتب على طلبٍ منه مقالاً بعنوان « نظرة جديدة إلى التراث الأدب العربي » ، بيَّنَ فيه الحاجةَ إلى استعراض الأدب العربي وتاريخه استعراضاً جديداً ، واسترعى انتباهَ المَعْنِيِّين بالأدب إلى استخراج تلك الجواهر واللآلي منه التي لم تزل مغمورةً مطمورةً تحت الركام ، ولفَتَ الأنظار في هذا الصدد إلى تبنِّي الأفق الواسع ، والنظرة الواسعة إلى الأدب ، والخروج من حدوده التقليدية المرسومة ، ورفَضَ أن يقتصر الأدب على حياكة المدَّاحين والمتملِّقين والمتحذلِقين ، وقرَّرَ : أن الأدب كلُّ تعبيرٍ جميلٍ صادقٍ عن أحداثٍ هزَّتْ الوِجْدانَ . فقدَّمَ العلامةُ الندويُّ في هذا المقالِ دليلَه الحاسم نصوصاً رائعةً من كتبِ الحديث والسيرة والمغازي والتاريخ ، ووقفَ فيها وقفاتٍ جماليةٍ دقيقةٍ على مقاطع منها ، تحسُّ معها أنَّه يحصي نبضَ الكلمات ، ويلمس حرارةَ العبارة ، وينقلها إليك في أقوى صيغِ التأثير ، وقد نقلنا إلى الكتاب من هذا المقال بعضَ نصوصٍ سيجد القارئُ فيه ماأشرنا إليه آنفاً .

ثم كتَبَ العلامةُ الندوي بحثاً قيماً بعنوان « دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية » امتداداً لنظرة المقال الآنف الذكر ، وتطبيقاً لموازينه على نصوصٍ كريمةٍ عظيمةٍ ، هي مِن أصدق الأدب روايةً وفائدةً ومتعةً ، تناوَلَ فيه العَّلامةُ جانباً من جوانب السيرة النبوية المحمَّدية بالتأمُّلِ والدراسة ، والتحليلِ والاستعراضِ ، وله اتصالٌ وثيقٌ بالسيرة ، قد فاتت كثيراً من المؤلِّفين في موضوع السيرة العنايةُ به ، والتوسُّعُ فيه ، وإفرادُ البحث عنه ، فعَمَدَ العلامةُ في هذا البحثِ إلى نصوص الحديث الشريف ، وبيَّنَ أبعادها الأدبية ، وعطاءاتها البلاغية ، وآثارها النفسية والاجتماعية ،

www.abulhasanalinadwi.org

ونبَّهَ كذلك إلى جوانب كثيرة لا ينتبه إليها إلا متأمِّلٌ ذوَّاقةٌ هدى الله بصيرتَه إلى دقائق الأمور ، وقد نُشِر هذا البحثُ في مجلَّة « الأزهر » و « البعث الإسلامي » ، ثم نُشِر في رسالةٍ مفردةٍ أعيدَ طبعُها مراراً في مصر والهند .

لقد اطَّلعتُ على ذلك المقال الماتع الممتع ، وهذا البحث القيِّم النفيس خلال العمل في جمع وإعداد مقالات ومحاضرات العلاَّمة الندوي ، فوجدتُهما جديرَين بالإخراج ونشرهما ككتابٍ مستقلٍّ بعنوانٍ مناسبٍ له ، وقمتُ ـ ما وسعني ـ بخدمة هذا الكتاب بالتصحيح والتنقيح وتخريج جميع أحاديثه ، وذِكر تراجم أعلامه مع تعليقات مفيدة في الحواشي ، وكذلك قدَّمتُ في الفصل الأول لهذا الكتاب الشهاداتِ بسموِّ البيانِ النبويِّ ، وعلوِّ فصاحته ، وإبداعه من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، ومن أقوال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، وأئمة اللغة والأدب .

www.abulhasanalinadwi.org

مصدر الفقه : الكتاب والسُّنّة

لم يتصدَّ العلامة الندوي كثيراً للكتابة والتأليف في الفقه وما يتعلَّق به رغم سعة مطالعته فيه ؛ لأنَّ ذوقه العقلي كان ميَّالاً إلى كليات الدعوة والفكر ، ثم ورعه الشديد جعله مبتعداً عن تحمُّل تبعة الناس في مسائل الحرام والحلال ، فرأى السلامةَ في البُعْد عن هذا المجال ، ولكنَّه عن جدارة غزارة علمه ، وسعة اطلاعه ، وعُلُوّ كعبه في جميع العلوم الشرعية التقليدية استحق بالعضوية في عِدَّة المجامع الفقهية في العالم الإسلامي[1] .

وكان يُشارك في مؤتمرات وندوات تلك المجامع مشاركة الحضور في أغلب الأحيان ، والمشاركة بالبحث والمناقشة في بعض الأحيان ، وقد قدَّم العلامة في بعض الندوات الفقهية مقالاتٍ وبحوثاً ، اطلعتُ منها على اثنين ، وجدتُهما جديرَين بالنشر و يحتويان على إرشادات قيمة وآراء سديدةٍ له في التركيز على مكانة الكتاب والسنة في الفقه ، وأنهما مصدران أساسيان في الفقه ، وعلى أهمية التقليد الشرعي في الإسلام في الأمور الفقهية التي لا بدَّ منها .

---

(١) منها الجدير بالذكر : المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرَّمة ، ومجمع الفقه الإسلامي في الهند .

www.abulhasanalinadwi.org

محاضرات إسلامية في الفكر والدَّعوة

لقد عمل العلاَّمةُ الندوي منذ شبابه الباكر على تناول كلِّ ما يتصل بقضايا الفكر الإسلامي ومعضلاته ، وكل ما يتصل بالشبهات المثارة ، عارضاً ذلك باللغة العربية الفصحى ، متحدِّثاً بها من فوق منابر مكة والقاهرة ودمشق ولبنان وبغداد خلال رحلاته في الدعوة إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وبالكلمة المسموعة والمقروءة .

وقد وُفِّق أن يتشرَّف أولاً وهو في بداية العقد الثلاثين مِن عمره بزيارة الحجاز ؛ الّذي هو مهدُ الإسلام ، ومهبط الوحي ، وأرض اليقين والإيمان ، ومهوى أفئدة المسلمين ، ومرمى أبصارهم في أرجاء المعمورة ، فألقى فيه عدةَ محاضرات أثناء إقامته بها ، ومنها ما اشتهر ونال قبولاً حسناً وتلقياً عظيماً ، ومنها : « بين العالم وجزيرة العرب » أذاعتها الإذاعةُ السعودية .

وقد أصبح ـ العلامة الندوي ـ بعد إلقاء هذه المحاضرة معروفاً في الأوساط الدينية والعلمية والأدبية بالحجاز ، وقد أبْدَى في هذه المحاضرة آراءَه وانطباعاته بأسلوبٍ أدبي رصين ، وعبَّر عن قلبه وضميره على لسان العالم ، ثم ردَّ عليه بلسان جزيرة العرب ، الّذي يفتح فيه العالم الإنساني ـ بعد أداء حقوق الشكر والتقدير على تلك المِنَن والهدايا الكريمة الّتي قدَّمتها إليه جزيرةُ العرب عن طريق سيدنا محمد ﷺ ، والتي أعادت الحياة من جديد ـ صفحات الشكوى ، ويعرض جروحَ قلبه ، وفزع نفسه ، على أنه لماذا تخلَّت الجزيرة العربية ـ التي كانت قد طلعت من أفقها الوضَّاء شمسُ الإسلام الساطعة ـ عن قيادته وإمامته ، وخَاطَبها في صراحة ووضوح : إنَّنا لسنا في حاجة إلى زيتك الّذي تسير به العجلاتُ والماكينات ، إنما في حاجة إلى ذلك الإيمان وتلك الحرارة والنور الّذي اختصَّك الله به ، وتستضيء به العقولُ والقلوب .

ثم رَدَّ على العالم من جزيرة العرب ، ردّاً فيه اعترافٌ بالقصور ، واعتذار ومواعيد ، تُلُقِّيَ هذا الحديثُ باستحسان وقبول ، واستُمع إليه في رغبة وشوق .

www.abulhasanalinadwi.org

ثم قيَّض الله له الزيارة لمصر عام ١٩٥١م ، وشعر خلال إقامته فيها بضرورة أن يخاطب مصر خطاباً يذكِّرها برسالتها ودورها ومكانتهِ ، أشاد فيه أولاً ـ برحابة صدر وسخاء ـ بدور مصر الديني والعلمي القيادي الرائع ، ومآثرها العظيمة في النشر والتوزيع ، وفتوحه الأدبية والعلمية ، وتاريخ الأزهر الزاهر ، ومآثرها القيمة في خدمة العلم والدين ، ثم صارحها فقال : « يا مصر ، إنَّ لكِ يدين ، فخذي بأحدهما الأشياء النافعة المفيدة وأعطي بالأخرى الروح والحياة ، وقدِّمي إلى الغرب تكاتف الإيمان والإسلام ، ولا تنسي هذه الحكمة النبوية : « إنَّ اليد العليا خير من اليد السفلى »[1] .

نال هذا الخطابُ قبولاً بالغاً في مصر ، وتلقَّفه الناسُ ، وتلقوه بشوق ، ورغبة واستحسان ، فنُشِر بعد مدَّةٍ قليلة في صورة رسالة مستقلة .

ثم سافَرَ إلى سورية ، فألقى الحديثَ على رغبةٍ من بعض أصدقائه الأجلاَّء بعنوان : « اسمعي يا سورية » وباح إليها بما يجيش في قلبه من أحزان وآلام وآمال وأمانٍ ، وقال أخيراً : « إنَّ نعمةَ الإسلام التي حُظِيت به الهندُ على يد محمد بن قاسم الثقفي ، الّذي كان أحدَ القادة الدعاة في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، وكانت دمشق هذه هي عاصمة الوليد ، إنَّ هذا النداء والاعتراف إنما هو نوعٌ من المكافأة والشكر على ذلك الإحسان والمنّة العظيمة ، وإنَّما هي ضريبة الحب والوفاء والإخلاص .

وكذلك زار الكويت ، فخاطبها بعنوان « اسمعي يا زهرة الصحراء » وحلب لها شطري الحقائق : الحلو والمرّ ، وزار إيران ففاتحها بعنوان : « اسمعي يا إيران » ، وزار المغربَ الأقصى ، فخاطب أهلَه الفضلاء وأبناءه البررة بعنوان : « نحن الآن في المغرب » ، وزار أوربة ، فتحدَّث إليها من المستوى العالي ، والقمة الشامخة ، شأنَ المؤمن الواعي المُدرِك للحقيقة ـ بعنوان « حديثٌ مع العرب » ، وزار أمريكة ، فناداها بعنوان : « أحاديثٌ صريحة في أمريكة » ودلَّ على الأخطار التي تهدِّد النوع البشري ، وذكر الجاليات الإسلامية ، وأبناء الإسلام الّذين يعيشون في أمريكة أو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب لا صدقة إلاَّ عن ظهر غِنىً ، برقم (١٤٢٧) ، عن حكيم بن خزام ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب بيان أنَّ اليد العليا . . . ، برقم (١٠٣٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

www.abulhasanalinadwi.org

يقيمون فيها لتحصيل العلوم والثقافة ، أو لتحصيل ذات اليد ، ودورهم الأصيل ، ومسؤوليتهم الأساسية ، ورسالتهم المشرّفة ، لكنه ظلَّ يشكو بلسان الحال على لسان الشاعر الفارسي : « ما بحتُ إليكم إلاّ بشيءٍ قليلٍ من أشجاني وآلامي ، ورغم ذلك أخافُ أن يسوءكم قولي ، ويُؤذِيكم شكواي ، وإلاّ فإنّ الحديث ذو شجون وفنون » . ثم زار باكستان ، ونادى من خلال محاضراته التي ألقاها فيها بعنوان : « حديثٌ مع باكستان » يُخاطِب كلَّ مسلمٍ واعٍ مخلص معنيّ بقضايا الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم ، أن يعمل ـ جهده ـ على تمهيد الطريق للانتفاضة الإسلامية بكل إخلاصٍ وعزيمة وجهد دائب ، وشعورٍ صائب ، فقد تراكمتْ على هذه الطريق أنقاضٌ لا يعلمها إلاّ الله بفعل إهمالنا وتقصيرنا ، وثورتنا على أحكام الله ، بل وبمؤامراتنا المتواصلة ، وعملياتنا الهدّامة المتتابعة ، وإزالة هذه الأنقاض تحتاج إلى ثورةٍ عارمة شاملة في المجتمعات الإسلامية المتغرّبة ، وهذه الثورة وحدها في القاعدة الصلبة المتينة الّتي يمكنُ عليها تشييد صرح الانقلاب الإسلامي اليوم .

وكذلك قيّض الله له السفر إلى أوربا ، وزار خلال هذه الزيارة عواصمَها الكبرى ، وألقى عدةَ محاضرات ، طُبعت بعد فترة بعنوان : « حديث مع الغرب » وقف في تلك المحاضرات موقفَ الداعية الإسلامي ، يدعو الغربَ إلى الإسلام من غير تأويلٍ أو خجل أو استحياء ، ويحثّه أن يلعب دورَه الخطير الهام في قيادة الإنسانية ، ووجّه في تلك المحاضرات حديثه إلى الشباب المسلم المثقّف المقيم في ديار الغرب ، محذراً لهم أن تسحرهم هذه الحضارةُ الخادعة ، ويدعوهم إلى أن يعيشوا في الغرب كالدعاة والقادة ، لا كالمقلّدين والتلاميذ ، ويفتحوا قناةً جديدة بين الغرب والشرق على أساس النفع المتبادل ، ويرجعوا إلى أوطانهم وبلادهم ، وهم أشدُّ إيماناً بخلود الإسلام ، واعزازاً به ، وأكثر إشفاقاً على الغرب وعلى الإنسانية الّتي كادت تهوي في الهاوية .

وكذلك أُتيح له السفر إلى إلى اليمن والأردن ، وألقى خلالَ إقامته فيهما محاضراتٍ وأحاديث في مناسبات مختلفة ، أثار في تلك المحاضرات والأحاديث غيرةَ مسلمي اليمن الدينية ، وأعاد إلى ذاكرتهم ارتباطهم بالإيمان ، وكان التركيز على هذه النقطة « الإيمان يمان ، والحكمة يمانية » فليكن اليمن إيماناً ، فقُوبل جميعُ ما ألقاه العلامة الندوي في اليمن بالترحاب ، وصار له دويٌّ في الأوساط العلمية والسياسية والشعبية ، وألقى بعض محاضرات وخطابات في الأردن ، وهي بمناسبة الإسراء

www.abulhasanalinadwi.org

والمعراج ، ففاضت في تلك المحاضرات والخطابات طبيعةُ العلاّمة ، وتأثرت من الواقع المرير ، فتحدَّث بكلماتٍ كانت حديثَ القلب الجريح ، تُثير الهممَ ، وتُحيي القلوبَ من غفوتها ، فحرَّكت هذه الكلمات أوتار القلوب ، لأنها كانت تفيض من قلبٍ اجتمع فيه شجا المكان والزمان ، والاعتزاز بالماضي المجيد ، والتألُّم بالواقع المرير .

فهذه بضعُ محاضرات وخطابات وأحاديث مشهورة ألقاها العلامةُ الندوي خلال رحلاته إلى الشرق والغرب ، ونالت كلُّها إقبالاً كبيراً ، واستحساناً عظيماً بين المستمعين حيثما ألقاها ، وصدرت بعد مدة في صورة رسائل وكتيِّبات صغيرة في لغات مختلفة ، فتكرَّرت طبعاتها بشكل متتالٍ ، يستحيل إحصاؤه .

لكنَّ هناك عدا هذه المحاضرات والخطابات والأحاديث القلائل ، كان له عددٌ كبيرٌ من المحاضرات والخطابات والأحاديث المهمَّة والمفيدة ، وبعضها مسجَّلٌ في الأشرطة ، وبعضها منثورٌ في طيَّات الجرائد والمجلاَّت ، وبعضها الآخر مطبوعٌ في صورة كتيبات ، وحين نفدت طبعاتها ، لم تُستأنَف طباعتُها حتى صارت كلها شيئاً منسياً .

وكانت كلّ هذه المحاضرات والخطابات في حاجةٍ إلى الجمع ثم التحقيق والتعليق ، وشعرتُ بهذه الحاجة . فتهيأتُ لجمع جميع تلك المحاضرات والخطابات والأحاديث ، باذلاً ما وسعني من الجهد ، وما ساعدني فيه القدر ، ناقلاً تلك المحاضرات التي كانت مسجَّلةً في الأشرطة ، ومصوِّراً تلك المحاضرات الّتي كانت منثورةً في الجرائد والمجلات ، ومطبوعةً في صورة الكتيبات ، منذ كنتُ طالباً في مدرسة ضياء العلوم الإسلامية ـ الواقعة في مقرّ العلامة الندوي ـ حتى يسَّر الله إتمامَه في غُرّة رمضان المبارك سنة ١٤١٩هـ .

إنَّ هذه المحاضرات والأحاديث قويةٌ مؤثِّرةٌ ، صدرت عن قلبٍ مؤمن فيّاض ، ونفحة من نفحات الداعي إلى الله بروحه وقلبه ، ودعوة صريحة إلى الرباط الدائم ، والسهر على مصالح الأمة الإسلامية ، ونداء إلى صلاح الدين الجديد ، تضرب على الوتر الحساس ، وتحرِّك القلوبَ ، وتنير العقولَ ، وترسل الضوءَ على الطريق ، وتبعث على التفكير من جديد في قضايا الإسلام والمسلمين .

وهي تدورُ حولَ وضع العرب والمسلمين الراهن في بعدهم عن الجدّ والصَّرامة ،

www.abulhasanalinadwi.org

أو وقوعهم فريسة التغافل والتخاذل ، وحول ضرورة العودة إلى الصفات العالية للأنفة العربية ، والغيرة الإسلامية ، والإيمان العميق الّذي يدير دفة الحياة ، ويسيطر على التفكير والتصرفات ، وسيرة العرب والمسلمين في خطاباته .

ولا شكَّ : أن هذه المحاضرات هديةٌ ثمينة إلى جميع أبناء الإسلام ورجال الدعوة ، وقادة الفكر ، وساسة البلاد ، ورجال التربية والتوجيه ، وزعماء الأحزاب والحركات في كل الدول والمجتمعات الإسلامية والعربية .

www.abulhasanalinadwi.org

مقالات إسلامية في الفكر والدّعوة

يحتوي هذا الكتاب في الجزأين تلك المقالات التي دبَّجتها يراعةُ العلامة الندوي في مجلاَّت عربية مختلفة ، في موضوع الفكر والدعوة والإصلاح . . . ، بدءاً بمجلَّة « الضياء » (والتي كانت تصدر من ندوة العلماء في الخمسينيات) ، ثم في المجلاَّت العربية الكبرى كـ« حضارة الإسلام » (لمنشئها الدكتور مصطفى السباعي) و « المسلمون » (لمؤسسها الدكتور سعيد رمضان المصري) ، و« البعث الإسلامي » ، وجميع ما كتب العلامة من المقالات في تلكم المجلاَّت خلال خمسين سنةٍ ، كانت منحصرة في طياتها ، ومتعرضة للضياع ، فقمنا بتوفيق الله تبارك وتعالى بجمعها فإخراجها في جزأين كبيرين ، تبُثُّ مجموعةُ مقالاتِ هذا الكتاب الوعيَ الفكريَّ ، وتبني الذاتيةَ في النظرة ، وتقوِّي الشخصيةَ الإسلاميَّة ، وتذكِّر الأمةَ برسالتها التي أكرمها الله بها ، والعمل على صياغة الحضارة من جديد ، وفق أُسُسٍ مستمدّة من مصادر الإسلام الصحيحة .

وتُوقِظ حسَّ المسلمين تجاه مكتسباتهم الفكرية عن طريق تأصيل الفكر وفق مدلولات القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة ؛ لتجلية القضايا الملتبسة ، وبلورة التصور الصحيح ، وإظهار استقلال الفكر الإسلامي عن غيره .

وتذكِّر المسلمين بواجبهم نحو أمتهم ، وإعادة ثقتهم في معطيات دينهم الحضاريَّة ، وتحذيرهم من التبعيَّة للغرب ، والانخداع ببريق حضارته ، وأنَّ هذا لا يمنع من الاستفادة من نتاجها العلمي والمادِّي بعد تحرٍّ وتمييز .

وتشخِّص أدواءَ الأمة التي أدَّت إلى ضعفها وغيابها في الساحة العالميَّة ؛ لوضع الأيدي على مواضع العِلَل الخطيرة التي صنعت الداء ، ومن أشدِّها ضرراً داء الرِّدة الفكرية ، ومعالجتها بما يحسم الداء ، وتكشف حقيقةَ بعض المِلَل الفاسدة والحركات المنحرفة التي لها تأثير ، والتصدِّي لها ، وبعث الأمة من جديد لممارسة دورها القيادي ، والاضطلاع بمسؤوليتها في الوصاية على العالم ، والحسبة على سلوك أفراده ، والعمل على إسعاد مجتمعاته .

www.abulhasanalinadwi.org

إسْمَعِيّات

هذه مجموعةٌ قيِّمةٌ من أحاديث وخطابات العلامة الندوي التي وجّهها إلى البلاد العربية ـ عن طريق إذاعاتها ـ خلال زياراته المختلفة لها ، وهي ، أولاً : في زياراته الثانية للحجاز عام ١٩٥١م بعنوان « بين العالم وجزيرة العرب » . وفي زيارته الأولى لمصر عام ١٩٥١م بعنوان « اسمعي يا مصر ! » وفي زيارته لسورية عام ١٩٥٦م بعنوان « اسمعي يا سورية ! » ، وكذلك في زيارته للكويت عام ١٩٦٢م ، بعنوان « اسمعي يا زهرة الصحراء ! » وزيارته لإيران عام ١٩٧٣م بعنوان « اسمعي يا إيران ! » وكذلك أحاديث وخطابات أخرى ألقاها في زيارات مختلفة في فترات متقطِّعة .

فنالت جميعُ هذه الأحاديث قبولاً حسناً ، وتركت أثراً بالغاً عند المستمعين حيثما أُلقِيتْ ، ونُشرت بعد ذلك في مجلّات مختلفة في البلاد العربية وفي الهند ، وطُبعت كذلك في البلاد العربية في صورة رسائل صغيرة ، لكن كلها كانت منتشرةً ومبعثرةً يصعب الاطلاع والحصول عليها إذا أرادها أحدٌ ، فلذا أحببتُ أن أجمعها في كتابٍ مستقلٍ مع التعريف بجميع الأحاديث والخطابات ، فعكفتُ على هذا العمل أثناء زيارتي لدار العلوم ندوة العلماء وإقامتي عند العلامة الندوي ـ وهي قبل خمسة عشر يوماً من وفاته ـ رحمه الله ـ وبعدما فرغتُ من جمعِ هذه الأحاديث قدَّمتُ مجموعتها إلى العلامة ، فسُرَّ بها وسَمَّاها بـ « إسمعيَّات » .

www.abulhasanalinadwi.org

مقالات وبحوث
حول الاستشراق والمستشرقين

عُقد مؤتمرُ « الإسلام والمستشرقون » بمجمع الهند الإسلامي الكبير « دار المصنِّفين » في مدينة أعظم كَرَهْ (الهند) على النطاق العالمي في الفترة ما بين ٢٦ ـ ٢٨ ربيع الآخر ١٤٠٢هـ و ٢١ ـ ٢٣ فبراير ١٩٨٢م بإشراف رئيس هذا المجمع الكبير العلامة الندوي ، وكان أول مؤتمرٍ علمي عُقد حول هذا الموضوع .

وقد قدَّم فيه العلامةُ الندوي بحثاً قيماً في موضوع « الإسلام والمستشرقون » ، وقد اعترف فيه ـ إلى الحدِّ الضروري المناسب وفق التعاليم الإسلامية الخلقية ـ بجهود المستشرقين وإنتاجهم ، ثمَّ انتقد عادةَ تَلَمُّسِهم للنقص والمعايب حسب نظرهم ، وتصيُّدهم لمواضع الضعف والنقد ، وصَرَّح بمنهجهم الاستشراقي الخطير ، والنتائج الخطيرة للاعتماد الزائد في الأوساط العلمية على كتب المستشرقين والثقة الزائدة بهم .

وبعد إلقاء الأضواء على أعمال المستشرقين ومنهجهم في البحث والعرض استعرض العلامةُ جهودَ العالم الإسلامي في الموضوعات الإسلامية ، وذكر فيه ضخامة الإنتاج الإسلامي في العالم العربي والإسلامي باللغات الغربية ، وتفوُّق الهند وميزتها ، وإنتاج علمائها وكتَّابها لمكتبة إسلامية قوية في اللغة الإنكليزية .

ولعلَّ هذا أولُ بحث بالعربية استعرض فيه العلامة الندوي جهودَ العلماء والمؤلفين الفضلاء في البحث والتحقيق والدراسة في الهند ، وما امتاز به علماء المدارس القديمة من تفانٍ في الهدف ، وشغفٍ بالموضوع ، وجهد وإخلاص ، وفضل ورجحان ، ثم استعرض أعمالَ البحث والدراسة في العالم العربي والإسلامي .

ونوَّه أخيراً بأنَّ من أكبر أنواع الجهاد في عصرنا الحاضر ومسؤوليته اللازمة ، هي مقاومة تلك الرِّدَّة العقلية والحضارية التي نشرتها كتاباتُ المستشرقين الغربيين أو « بحوثهم ودراساتهم » في العالم الإسلامي .

يلمس القارىء الكريم في هذا البحث دقةَ نظر العلاَّمةِ في كتابات المستشرقين وبحوثهم .

www.abulhasanalinadwi.org

مكانة المرأة في الإسلام

لم يكتب العلاَّمةُ الندوي كتاباً مستقلاً يتعلَّق أو ينفرد بموضوع المرأة باللغة العربية والأردية ، لكنَّه كتَبَ وألقى في هذا الموضوع عدداً من المقالات والمحاضرات بين الحين والحين ، فهكذا حَظِيت المرأة المسلمة بطائفة من المقالات والمحاضرات بيراع العلاَّمة باعتبارها نصف المجتمع العربي الإسلامي ، وعماد الأسرة ، وعمودها الفقري ، ولها حقوق كثيرة ، وعليها واجبات عديدة ، ولا يقوم المجتمع الصالح إلاَّ بصلاح المرأة ، والاحتفاظ بخصائصها ومزاياها ، ومعرفة مهمتها ، والمسؤولية الملقاة على كاهلها .

وقد نُشِرت هذه المقالات والمحاضرات في مختلف المجلاَّت والجرائد العربية ، فجمعتُها في كتابٍ مستقلٌ بعنوان « مكانة المرأة في الإسلام » وهو في صفحاته القليلة كتابٌ مفيدٌ جداً .

www.abulhasanalinadwi.org

خطاباتٌ صريحةٌ إلى الأمراء والرُّؤساء

الدّاعي الّذي يشغل نفسَه بالدعوة إلى الله ، ويَعيْش للإسلام وبه ،، ويحمل في جنبه قلباً متألّماً ، يرتفع عن جميع الأغراض الدنيويَّة والمصالح الشخصيَّة ، ويكون صاحبَ فكرٍ نيِّرٍ ، ويسعَى في رفع شأن المسلمين وإعادة مجدهم ، وإصلاح أحوالهم خطابةً وكتابةً في ضوء ما جاء في الكتاب والسنة ، وبتوجيهٍ من الشريعة السماوية ، ويريد الامتثال بما أمر الله به في تبيانه قائلاً : ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] لا يستطيع أن يركِّز جهودَه الدعوية والإصلاحية على البلد الذي وُلِدَ فيه ، والمجتمع الّذي عاش فيه ، ويقصر مساعيه على تلك البيئة المحدودة ضيقة الإطار .

بناءً على ذلك شعر العلامة الندوي بالحاجة الماسَّة إلى توجيه رسائل دعوية مُخلِصة إيجابية إلى بعض أمراء البلاد الإسلامية العربية يلفتُ فيها أنظارَهم إلى ضرورة التمسُّك بحبل الله ، والتثبت بنبوَّة محمد ﷺ ، والاستِنارة بسِيَر الخلفاء الراشدين ، وإصلاح بلادهم ، وإيجاد مجتمعٍ مثالي فيه إلى أفضل حدٍّ ممكن ، وسدِّ الثغرات التي تحول دون تأييد الله ونصره ، وإلى الإنابة إليه ، والاستغفار منه ، فكتب إليهم بين الحين والحين هذه الرسائلَ التي تليق بمقامهم الجليل .

وضِمن هذه الرسائل بعضُ رسائله الموجَّهة إلى رُؤساءِ ووزراء الهند ، قدَّم فيها إليهم نصائحَه المخلصة ، وعالج قضايا مسلمي الهند المهمة ، والتي لها أهمية بالغةٌ ، وفائدةٌ كبيرةٌ ، وهي تستحِقُّ أن يقرأها قادة البلاد ورؤساءُ الحكومات والمسؤولون الإداريون والمثقَّفون المعاصرون .

www.abulhasanalinadwi.org

بحوث في الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

كان من لطف الله بصاحب هذه المقالات والبحوث ، ومن حكمته تعالى : أنَّه نشأَ في بيئةٍ تمرَّدت على الحضارة الغربية وإغراءاتها ، واستقامت على الفكرة الإسلامية النقية البعيدة عن الإفراط والتفريط . ونشأ في عصرٍ بدأ فيه سحرُ الحضارة الغربية يضعف ويزول ـ بتأثير حركاتٍ تحريريةٍ، وثوراتٍ سياسيةٍ في البلاد.

ونشأ في حضانة أخيه الأكبر ومربِّيه الدكتور سيِّد عبد العلي الحسني الذي أخذ من الثقافتين القديمة والحديثة رحيقهما واحتفظ بأفضَل ما عندهما ، ونبذَ القُشورَ والفُضولَ ، وكان من كبار النَّاقدين المُنصِفين لهذه الحضارة وزعمائها .

ثم قرأ في صِغْره الدواوينَ الشعرية لشاعر الإسلام ، ونابغة الدهر الدكتور محمَّد إقبال ، الَّذي آمَنَ بخلود الرسالة المحمَّدية ، وقيادة صاحبها لكلِّ زمانٍ وفي كل مكانٍ ، وكفر بالحضارة الغربية وتحدّى زعماءها ، والذي كان أعظمَ ثائرٍ على هذه الحضارة المادية الزائفة ، وأكبرَ ناقدٍ لها وحاقدٍ عليها .

ثم ظلَّ يُطالِع كُتبَ المعاصرين في ريعان شبابه ، ككُتبِ الأستاذ محمَّد أسد ، والشيخ أبي الأعلى المودودي باللغة الإنجليزية والأردية في نقد الحضارة الغربية وأُسُسِها ، واللَّذان كانا يتناولان الحضارةَ الغربية كقضيةٍ علميَّةٍ تصلح للنقاش والبحث ، ويتكلَّمان في القضايا العلمية والاجتماعية والحضارية ، وفي الدراسات المقارنة بين الحضارات والديانات والنظريَّات والفلسفات ، عن ثقةٍ واعتمادٍ ، وبقوَّةٍ واعتزازٍ .

وقرأ من الكُتَّاب العرب خاصةً ما كتبه الكاتبُ الإسلامي الكبير ، والداعية الشهيد الأستاذ سيِّد قطب في هذا الموضوع ، والذي عرَفَ هذه الحضارةَ عن كثبٍ لا عن كُتبٍ ، وعن تحقيقٍ لا عن تقليدٍ ، وعن تجربةٍ لا عن سماعٍ ، وتوسَّعَ في دراسة

www.abulhasanalinadwi.org

النصرانية والحضارة اليونانية والرومانية ، واستطاعَ تحليلَ الحضارة الغربية وتجربتها ، وتعمَّق في دراسة النظم الاقتصادية والاجتماعية .

ثم كتَبَ في هذا الموضوع مقالاتٍ كثيرة ، وأبحاثاً عديدة في أمَّات المجلَّات العربية الإسلامية في ضوء دراسته الواسعة بنقدٍ علميٍّ عميقٍ ، وتشريحٍ جريءٍ دقيقٍ ، وتهكُّمٍ لاذعٍ رشيقٍ ، كلُّ ذلك على حسب أسلوبه الخاص ، وظروفه الخاصة ، مقارناً ذلك مع الحضارة الإسلامية .

وهذا الكتاب يشتمل على تلك المقالات والبحوث التي دبَّجتها يراع العلاَّمة الندوي بين الآونة والأخرى في هذا الموضوع .

www.abulhasanalinadwi.org

أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية

« إنَّ التربية لا تقلُّ أهمية عن التعليم ، وإذا خلا التعليمُ عن التربية أصبح بلا نتيجة في أكثر الأحيان ، ونقصاً في ناحية التربية ليس بأقلَّ من نقصنا وفقرنا في ناحية التعليم ومنهاج دراسته ، وموضوع التربية موضوع واسع ، طويل الذيل ، وكثير الشُّعَبِ والنواحي »[1] .

وإنَّ العناية بالتربية الإسلامية الحرّة المستقلّة التي لا تستمدُّ فلسفتها وأهدافها من الغرب ولا من الشرق ، وإنما تستمدُّ فلسفتها من الإسلام : عقيدةً وشريعةً ، وقيماً وأخلاقاً ؛ في حين تقتبس وسائلها وآلياتها من حيث شاءت في إطار أصولها المرعية ، فالحكمةُ ضالَّةُ المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ الناسِ بها . وهو ينكر على التعليم القديم طرائِقَه في العناية بالألفاظ والجدليات ، كما ينكِرُ على التعليم الحديث إغفاله للروح وأهداف الحياة ، وينقل عن إقبال قوله : « إنَّ التعليم الحديثَ لا يعلِّم عينَ الطالب الدموع ، ولا قلبه الخشوع ! » .

ولقد أولى العلاَّمة الندوي جانبَ التربية اهتماماً بالغاً . لأنَّها هي التي تصنَعُ أجيال المستقبل ، والتهاونُ فيها تهاونٌ في الثروة البشرية للأمة ، وكتب في هذا الموضوع عدَّةَ مقالاتٍ وبحوثٍ ، وألقى عديداً من محاضراتٍ وخطاباتٍ في الهند وخارجها ، وقد جمعتُها في هذا الكتاب شعوراً بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى مثل هذا الكتابِ اليوم .

---

(١) نحو التربية الإسلامية الحرّة : للعلامة الندوي : ص(١٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

مِن أعلام المسلمين ومشاهيرهم

يشمل هذا الكتابُ مقالاتٍ للعلاَّمة الندوي حول أعلام المسلمين ومشاهيرهم ، كتبها في مناسباتٍ مختلفةٍ ، وفتراتٍ متقطّعةٍ ، في أسلوبٍ واضحٍ رقيقٍ ، بعيداً عن أساليب السَّجع والتأنُّق اللفظي ، يركِّز فيها على المنزلة الدينية والدعوية والعلمية والأدبية للمُتَرْجَم ، ويُبرِز جوانبَ شخصيته المؤثِّرة ليجعل منه قدوةً تُتْبَع ، ونِبْراساً يُحتذى .

تنقسم مقالات الكتاب حول هؤلاء الأعلام والعلماء في قسمين : القسم الأوّل يحتوي على مقالاتٍ كتبها في مجلاَّتٍ إسلاميةٍ ، أو بحوثٍ قدَّمها في مناسباتٍ علمية حول بعض رجال الفكر والدعوة ، وأعلام الإصلاح والتجديد ، والحكَّام والقادة من المتقدِّمين ، أمثال : الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني ، والإمام المجدِّد عبد الأحد السَّرْهِنْدي ، وحكيم الإسلام الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدِّهْلَوي ، والسلطان صلاح الدين الأيوبي ، والملك العادل السلطان محي الدين أَوْرَنْغَ زَيْب عَالَمْكِير وغيرهم وبعض من هذه المقالات قدَّمها كبحوثٍ في الندوات العلمية المنعقدة في الهند وخارجها في بلاد العالم الإسلامي .

والقسم الثاني يحتوي على مقالاتٍ كتبها في بعض المجلات الإسلامية إثر وفاة علَمٍ من أعلام الفكر والدعوة والأدب وعالِمٍ من علماء الدين .

فمِن العلماء : المحدِّث الشيخ حسين أحمد المَدَني ، والعالم الربَّاني الشيخ عبد القادر الرَّائيفُوري ، والمحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي .

ومن أعلام الفكر والدعوة والأدب : الداعية المجدِّد الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهَلوي ، والإمام الشهيد حسن البنَّا ، والداعية الشهيد سيد قطب ، والمفكِّر الإسلامي الكبير الشيخ أبي الأعلى المَوْدُودي ، والمفتي الأكبر الشيخ أمين الحسيني (مفتى فلسطين) ، والداعية المجاهد الدكتور مصطفى السباعي ، والعالم المفسِّر ،

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ أبو الكلام آزادْ ، والمحقِّق الضليع ، العالم اللُّغَوي العلاَّمة عبد العزيز المَيْمَني الرَّاجْكُوتي ، والصحافي الإسلامي الكبير الأستاذ محمد الحسني وغيرهم .

وكذلك يشتمل الكتابُ على مقالات وبحوث دَبَّجها يراعُه حول بعض العلماء الأعلام المعاصرين فمنهم : شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال ، ومؤرِّخ الهند الأكبر العلاَّمة عبد الحي الحسني ، والداعية الفقيه الشيخ يوسف القرضاوي[1] وأمثالهم .

---

(١) مقال العلاَّمة الندوي عن الشيخ القرضاوي هو عبارةٌ عن كلماتٍ تمهيدية قدَّمها ـ رحمه الله تعالىٰ ـ حين زارها « ندوةَ العلماء » كأستاذٍ زائرٍ عام ١٩٩٦م .

www.abulhasanalinadwi.org

مقدّمات

العلّامة أبي الحسن النّدوي

امتاز العلاَّمةُ الندوي بمقدّماته الضافية لكتب ومؤلّفات كبار العلماء والمحدّثين المعاصرين ، أمثال : المحدّث الفقيه الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوْري ، والمحدّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي ، والعالم الجليل الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة ، والقاضي محمد تقي العثماني وغيرهم ، ولكتب الدعاة والمفكّرين أمثال : الإمام حسن البنا الشهيد ، والداعية الكبير الشيخ محمد يوسف الكَانْدَهْلَوي ، والكاتب المفكّر الأستاذ محمد الحسني وغيرهم .

يجد القارىء في هذه المقدّمات أنواع المعارف ، وفرائد الفوائد ، من القرآن والحديث ، ومن التاريخ ، والتراجم ، والأدب ، وإرشاداتٍ وتوجيهاتٍ في الدعوة إلى الله ، وفي التعليم والتربية الإسلامية ، من داعيةٍ حكيم ، ومفكّرٍ كبير ، ومربٍّ جليلٍ .

وكذلك هذه المقدّمات مفيدةٌ للغاية من يريد الاطلاعَ على أساليب التقديم في علوم مختلفة ، وموضوعات متنوّعة .

وتُطلِع هذه المقدّماتُ القارىءَ على كتبٍ ومؤلّفاتٍ قيمةٍ ـ قد يتعسَّر الاطلاع عليها وعلى خصائصها وميزاتها بواسطةٍ أخرى ـ وتحملهم على قراءتها ومطالعتها .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلات
العلَّامة أبي الحَسَن النَّدْوِي
مشاهداته ـ محاضراته ـ لقاءاته ـ انطباعاته

لقد قضى العلاَّمة الندوي حياةً حافلةً بجلائل الأعمال في مجالات مختلفة للفكر والتربية ، وذلك بالتأليف والكتابة ومخاطبة الجماهير من الناس ، وكان يجمع بين مخاطبة المسلمين وغير المسلمين جميعاً ، وذلك بلفت نظرهم إلى ضرورة الصلاح في السلوك ، والأخلاق إذا كان المخاطَبون من غير المسلمين ، وضرورة الصلاح الديني والفكر الإسلامي ، والسلوك الديني إذا كان المخاطَبون مسلمين ، كان يتحرَّق في الشعور بحاجة المجتمع إلى التكوين الإنساني الفاضل ، وكان يدعو المسلمين إلى التمسك القوي بمقوِّمات دينهم ، والالتزام الكامل بواجبهم الإسلامي اتباعاً لما ورد في الكتاب والسنَّة من توجيهاتٍ ودراساتٍ وتعليماتٍ ، وبذلك كسَبَ محبةَ الجميع ، كما أنه أثَّر بدعوته وخُلُقه على جميع الناس ، ونال منهم التقدير والاعتراف .

قضى بذلك حياةً أصبحت مثالاً ونموذجاً لكل من يريد إصلاح نفسه ، وصياغة خلقه وفكره وعمله في المصاغ الإسلامي الجميل .

وقد قام بكلِّ هذه النشاطات المفيدة في رحلات كثيرة داخل الهند وخارجها ، ألقى فيها محاضراتٍ وخطباً وكلمات كان أكثرها رائعاً وقيماً ومفيداً[1] .

فإنَّ هذه الوقائع الّتي سجَّلها العلامةُ الندوي خلالَ رحلاته المختلفة كانت منتشرةً ومبعثرةً بين دفتي سيرته الذاتية « في مسيرة الحياة » وفي طيَّات مختلف المجلات والجرائد ـ الّتي نُشرت بين الحين والحين في أعدادها بالأقساط ، والكتيبات المطبوعة الّتي لم تستأنف طباعتها بعد الطبعة الأولى ـ والصحف المخطوطة ، معرَّضة للضياع ،

---

(١) من تقديم الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي لهذا الكتاب ، صفحة (٥ ـ ٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

فخيِّل إليّ خلال عملي في تأليف هذا الكتاب أن أُفرِد كتاباً خاصاً برحلاته نظراً إلى فوائدها القيمة لكل مَن يسلكُ في مجال الفكر والدعوة من العلماء والدعاة والطلاب .

وهكذا سهل الآن على القارىء الاطلاعُ على هذه الرحلات ـ الّتي هي في الواقع وثيقةٌ تاريخيةٌ قيمةٌ ـ في كتاب واحدٍ .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثالث :

مساهمة العلاَّمة الندوي
في تحقيق التراث الإسلامي

كان يمتلك العلاَّمة أبو الحسن الندوي جميع تلك الأدوات التي ينبغي أن يتسلَّح بها كلُّ من يتصدَّى للتحقيق ، من الضلاعة من كافة العلوم الشرعية ، والمتانة من اللغة والأدب ، والإلمام بالتاريخ دراسةً وتحليلاً ، ولكن . . . رغم ذلك لم يخض ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في هذا المجال ، ولم يتصدَّ له ، وهو نشأَ ودرسَ ، ثم درَّس وترأَّس أكبر جامعةٍ في الهند ـ أي : « ندوة العلماء » ـ تمتلك مكتبتها العامَّة نوادر المخطوطات النفيسة ـ فضلاً عن مكتبات مدينة لكهنؤ ومكتبات مُدُن الهند الزاخرة بالمخطوطات النادرة القيمة في علومٍ مختلفةٍ وفنونٍ متنوِّعةٍ ؛ لأنَّه قوسَه كان موتورةً ، وفرسُه كانت مُسَرَّجةً في حَلْبَة الكتابة والتأليف ، ومِضْمار العمل الإسلامي ، فلذلك لم يلتفت إليه ، ولكن أُتيح له بتحقيق ومراجعة بعض مؤلَّفات والده الجليل المؤرِّخ العلاَّمة عبد الحي الحسني[1] التي خلفها في الحديث ، والتاريخ ، والفقه ، والأدب بالعربية والأردية ، والتي كانت في حاجةٍ إلى إكمالٍ وزياداتٍ ؛ لأنه ـ أي : مؤلِّفها ـ كان مشغولاً بتسويدها وتحريرها ففاجأته المنيةُ ، ولم يُمْهَل لإكمالها .

فقام نجلُه البارُّ النابغة ـ أي : العلاَّمة أبو الحسن الندوي ـ بتحقيق ومراجعة تلكم الكتب ، وإكمالِ ما يحتاج إلى زياداتٍ ، والتعليقِ ما تدعو إليه الحاجةُ ، واستدراكِ ما فات من المؤلِّف من معلوماتٍ في المعقوفتين ؛ لأن في هذا العملِ كانت خدمةٌ للدين والعلم، والأمَّة والبلد، وفوق ذلك كلِّه برٌّ بالوالد ، ووفاءٌ بحقِّه ، وأداءٌ لأمانتِه .

أختار هنا بعضَ كُتب ومؤلَّفات العلاَّمة عبد الحي الحسني التي قام بتحقيقها ومراجعتِها والتعليق عليها نجلُه العلاَّمة أبو الحسن الندوي ، والذي بَذَل في إخراجها

---

(١) قد سبقت ترجمته المستوفاة في الباب الثاني ، انظر صفحات (١٤٠ ـ ١٤٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

مُهْجَتَه وصَرف فيه قُوَاه ـ خاصة في كتاب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » والذي طُبع أخيراً باسم « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » ، فأذكر من تلك الكتب أولاً :

١ ـ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام :

هذا الكتابُ إلى ساعتنا هذه مصدراً وحيداً ومنهلاً ثرّاً في تراجم أعلام الهند وأعيانها منذ القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري . وقد تحدَّثتُ عن الكتاب وعن بعض خصائصه في الباب الثاني فليرجع إليه[1] .

استخرج العلاَّمةُ الندوي هذا الكتابَ من تراث والده التاريخي وأتحفه إلى الباحثين والدارسين المهتمّين بالتاريخ والتراجم في العالم الإسلامي ، وذلك في عام وسجَّل العلاَّمة ـ أثناء تحقيقه ومراجعته للكتاب ـ ما وقع بعد وفاة المؤلِّف في حياة المُترجَم ، وأطواره وآثاره ، ومؤلَّفاته ، معتمداً في ذلك على أثبت المراجع وأوثق المصادر ، وما كتبه هو نفسُه ، أو أخَصُّ أصحابِه ، أو ما كان مشاهدةَ عيانٍ ، ومعرفةً شخصيةً . وحَرَص على أن يميِّز كل ما يزيده ، مثلاً : ما كان في متن الكتاب فجعل الزيادات والملحقات كلَّها بين المعقوفتين ، حتى لا يلتبس الأصلُ بالزيادة ، وبذل مجهودَه في أن يكتب بقلمه ، ويطبِّقَ مقاييسه وموازينه في الحكم على الشخصيات ، ونقدها وتقريظها ، وحاول أن يعيش في أدبه وأسلوبه وتفكيره زمنَ إكمال هذا الكتاب ، ويقلِّده بقدر ما يمكن لشخصٍ أكثَر من قراءة هذا الكتاب ، وتشرَّب أسلوبَه وفكرته .

عانى العلاَّمةُ صعوباتٍ قاسيةً في تقييد سِنِي وفيات المترجمين ؛ إذ لم يجد إلى كثيرٍ منها سبيلاً ـ فيما عنده من المطبوعات والمراجع ـ اضطُرَّ إلى مراسلة من يتصل بهؤلاء المترجَمين بسببٍ ، أو يلتقي بهم في زمالةٍ أو نسبٍ ، وقد جرَّ ذلك في بعض الأحيان إلى زيارة القبور ، وقراءة الألواح ، والاتصال بأبناء المترجَمين وأحفادهم وأسباطهم ، وقد جرَّ هذا البحثُ في بعض الأحيان إلى مراجعة الأوراق والوثائق في البلدية ، لتحقيق اسم الوالد ، أو سنة ولادته ، فاجتمعتْ بذلك عنده مجموعةٌ كبيرةٌ من الوفيات والمعلومات وأسماء المؤلَّفات ، وإن لم يهتد إلى سِنِي وفياتهم فأشار إلى ذلك في الهوامش .

---

(١) انظر صفحة (١٤٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

وبهذا العمل الدؤوب ، والجهد المضني للعلاَّمة ازداد هذا الكتابُ قوَّةً وأهميةً ، وأصبح رجوعُ الباحثين إليه وتعويلهم عليه في تراجم أعلام وأعيان بلاد شبه القارة الهندية عبر القرون ، وقد طُبع هذا الكتابُ لأول مرَّةٍ في دائرة المعارف ، بحَيْدَرْآباد (الدَّكَنْ) ، بعنوان « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » ثم في دار عرفات برائي بَرِيْلي ، في الهند في ثماني مجلَّدات ، ونشرته أخيراً دارُ ابن حزم ببيروت ، في ثلاث مجلَّداتٍ ضخام .

٢ ـ الهند في العهد الإسلامي :

وهذا من مؤلَّفات العلاَّمة عبد الحي القيمة في تاريخ الهند في العهد الإسلامي ، قد سبق تعريفه المختصر في الباب الثاني[1] ، وقد تعرَّضت مخطوطةُ هذا الكتاب للتلف أكثر من مَرَّةٍ ، مرَّةً وصلت إليه الأرضةُ وخَرَمَتْه ، ثم نسخ من جديدٍ ، فهاجم عليه السُّوْسُ وتلفت بعضَ صفحاته ، فجاهد العلاَّمةُ الندوي وبحث عن النُسَخ الأخرى فوجد نسخةً له ، فأكمل به الناقص وصحَّح به الغلطَ ، وراجعه مراجعةً دقيقةً ثم صدر الكتابُ من « دائرة المعارف العثمانية » بحيدرآباد (الدَّكَنْ) الهند عام ١٣٩٦هـ ، ونُقل بالإنكليزية والأردية ، وكان المؤلِّفُ أسماه « جنة المشرق ومطلع النور المشرق » فوضع له العلاَّمة الندوي هذا الإسم « الهند في العهد الإسلامي » ؛ لأنه أدَلُّ على موضوعه ومحتواه .

٣ ـ الثقافة الإسلامية في الهند :

هذا كتابٌ جليلٌ غزير المادَّة في الموضوع ، ولا مثيلَ له في عرض الثقافة الإسلامية الهندية وتسجيل آثار علماء الهند وشيوخها وأدبائها وشعرائها في العهود الإسلامية الزاهرة ، وهو خلاصةُ دراساتٍ طويلةٍ ، واسعةٍ دقيقةٍ ، ولم يسبق أحدٌ العلاَّمةَ عبد الحي الحسني في تقييد المآثر العلمية الهندية ، فهو أوَّل من بحث هذا الموضوع ، وتناول الآثارَ العلمية في الهند ، واستخرج من الذخائر العلمية ومستودعات الكتب ما تشتدُّ إليه الحاجةُ وتسهل به مهمَّةُ الباحثين ، فأصبح الكتابُ أساساً ونِبْراساً للباحثين والدارسين في الثقافة الإسلامية الهندية ، ومرشداً لهم في الرحلة العلمية .

كان الكتابُ مغموراً ومجهولاً من الباحثين والدارسين فترةً طويلةً بعد وفاة مؤلِّفه ، رغم قيمته العلمية الكبيرة ، وكان في حاجةٍ أيضاً لذيلٍ وإكمالٍ له لما جَدَّ بعد وفاة

---

(١) انظر صفحة (١٤٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

المؤلِّف، ثم قام بهذا العمل نجلُه الفاضل (العلاَّمة الندوي) ، ووضع له ذيلاً ، واستعرض الحركةَ التأليفية في خلال أربعين سنة ، فنشره مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٥٨م .

٤ ـ تهذيب الأخلاق :

هو كتابٌ نفيسٌ في الحديث النبوي الشريف على غرار « رياض الصالحين » للإمام النَّووي ، جمع فيه مؤلِّفه العلاَّمة عبد الحي الحسني الأحاديث بحذف الأسانيد الواردة في الكتب الستة ، انتخبها من بطون تلكم الكتب خاصةً لتهذيب الأخلاق وتزكية النفس ، وفضائل الأعمال والأخلاق ، سمَّاه المؤلِّف « تلخيص الأخبار » لكنَّه طُبع بعد مراجعة العلاَّمة الندوي له باسم « تهذيب الأخلاق » ؛ لأنه أَدَلُّ على موضوعه وما احتوى عليه .

وهذا الكتاب أيضاً من جملة تلك الكتب التي كانت مغمورةً في مكتبة العلاَّمة عبد الحي الحسني ، ولم يطلع عليه أحدٌ إلاَّ بعد مدَّةٍ من وفاة المؤلِّف ، استخرجه العلاَّمة الندوي هذا الكتاب من بين تلكم الكتب عام ١٣٩٠هـ ، وراجعها مراجعةً دقيقةً ، وقدَّم لها مقدمةً ضافيةً ، وطُبع على نفقة حكومة قطر بإشارة من فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (ت ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م) ، ثم توالت طبعاتُه في الهند ، والقاهرة ، وبيروت ، وطُبع أخيراً بعنايتنا في دار الفارابي بدمشق .

فكان هذا استعراضٌ شاملٌ وتعريفٌ وجيزٌ لتلكم الكتب التي حقَّقها وراجعها العلاَّمة أبو الحسن الندوي ، وإن كانت هي قليلة العدد ، ولكنَّها كبيرة الحجم وصعبة الموضوع ، دونك كتاب « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » في ثمانية مجلَّدات ! .

فكانت هذه الآثار العلمية أمانةً عند ورثة صاحبها ، وأفراد أسرته ، وأمانة الأفراد عند الأفراد ، والمخطوطاتُ عُرْضةٌ للحوادث والإهمال والتلف ، يشهد بذلك تاريخُ المكتبات الفردية والذخائر العلمية التي خلَّفها الآباء للأبناء ، ولذلك عَزَم العلاَّمة أبو الحسن الندوي على أن يتخلَّى عن مسؤوليته في أقرب زمانٍ فتكون هذه الآثار مطبوعةً ومتداولة بين أيدي الباحثين والدارسين ، وتكون مِلْكاً للأمَّة التي كُتب لها ، وزينةً لمكتبات العالم .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الرابع :

جهود العلاَّمة الندوي في الترجُمة

إنَّ هناك ميزةً أخرى كان يَتميَّز بها العلاَّمةُ أبو الحسن الندوي ، وهي أنه كان يتقِنُ ثلاثَ لغاتٍ أساسية هي العربية ، والأردية ، والإنجليزية ، وكان يفهم كذلك الفارسية ، وهذه ولا شكَّ ميزةٌ لا تتوفَّرُ لكثيرٍ من الدعاة أن يُحسِن لغةً أجنبيةً مع العربية فضلاً عن أن يجمع عدَّةَ لغاتٍ ، وقد ساعده ذلك على أن يطلع على المراجع الأجنبية ، وآراء الغربيين والمستشرقين ، النافع منها استئناساً لا أساساً ، ويرُدُّ غيره .

كما ساعده هذا التمكُّنُ من عددٍ من اللغات في معرفة أسرارِها والعوامل المشتركة بينها ، وأن يتحقَّقَ أصلَ الكلمة ونسبها .

وأهمُّ من ذلك ـ وهو ما يعنينا هنا ـ هو الترجمة ، فقد قام العلامةُ الندوي بترجمةِ بعض كتبه إلى لغاتٍ أخرى مثل كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » ، فقد ترجمهُ العلاَّمةُ بنفسِه إلى الأردية بعد كتابته بالعربية .

ومثلُ كتاب : « القاديانية » ، فقد ترجمه إلى الأردية بعد كتابته بالعربية ، كما ترجم رسائلَ الإمام السَّرْهندي ، و « رسالة التوحيد » لمحمد إسماعيل الشهيد[1] إلى العربية ، وقد وَفَّق الله العلاَّمةَ الندوي كذلك إلى نقل بعض دواوين الشاعر العظيم محمد إقبال من الأردية إلى العربية في أسلوبٍ أدبيٍّ قويٍّ ، حاز إعجابَ الأدباء والمفكِّرين في كتابه القيم « روائع إقبال »[2] .

هذه إشارةٌ إلى جهود العلاَّمة الندوي في الترجمة ، ولا شكَّ أن جهوده فيها قد كان أوسع من ذلك وأشمل ، ولكن ذلك ما توصلت إليه في حدود استطاعتي ، وهذا جانبٌ مغمورٌ من جهوده قَلَّ فيه التفصيلُ ، سواء في مذكِّراته عن نفسه ، أم فيما كُتِب

---

(١) وقد طُبع بعناية المؤلِّف محققاً ومنقَّحاً لأول مرةٍ في دار وحي القلم بدمشق عام ١٤٢٤هـ .

(٢) وقد تحدَّثنا عنه في الباب الثاني ، الفصل الثاني ص (١٨٢ ـ ١٨٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

عنه وفيما عدا ذلك ، فقد ترجم نفرٌ من الأفاضل كتابات العلامة الندوي إلى لغاتٍ شتى من لغات العالم الأساسية كالإنجليزية والأردية والأندونيسية والماليزية والتركية ، ونقل ما كتب منها في الأوردية إلى العربية ، وأخَصُّ منهم بالذكر والتقدير لجهودهم العظيمة : الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي ، والأستاذ محمد الحسني « رحمه الله » ، والشيخ سلمان الحسيني الندوي ، والأستاذ الشيخ نور عالم خليل الأميني والدكتور ظفر إسحاق الأنصاري وغيرهم ، والذين نقلوا بعض مؤلَّفات العلامة من العربية إلى الأردية ، ومن الأردية إلى العربية ، وكذلك نقل كثيراً منها الأستاذُ محيي الدين من الأردية إلى الإنكليزية ، والأستاذ يوسف خرَّاجه إلى التركية ، جزاهم الله عن هذه الخدمة خير الجزاء .

www.abulhasanalinadwi.org

رسالة التوحيد

هذا أوَّلُ كتابٍ ـ فيما أعلم ـ ترجمه العلاَّمة الندوي بالعربية ـ ما عدا بعض المقالات وأدبيات محمد إقبال التي نشرها في « روائع إقبال » وغيره من الكتب ـ ألخِّص هنا ما كتبه في مقدمته للكتاب عن خصائصه ، يقول ـ رحمه الله تعالىٰ ـ .

« قد كُنَّا نشعر بمسيس الحاجة منذ زمنٍ طويلٍ إلى نشر كتابٍ واضح المنهج ، صريح العبارة ، مشرق الديباجة ، سهل المتناول ، ينمُّ عن إخلاص مؤلِّفه ، وصدق لهجته ، وتوجّع قلبه مما يرى الناس عليه في عصره من الجهل لغاية الخلق ، والخوف والرجاء منه ، والاستغاثة به والتضرُّع إليه ، ولما كان يرى من انتشار العقائد والعادات ، التي جاءت الأديان السماوية لمَحْوها ، وأنزلت الكتب وبعثت الرسل لمحاربتها والتخلص منها ، حتى أصبح الناس من ذلك في جاهلية جهلاء ، وفتنة عمياء ، واحتاجوا إلى دعوة صارخة سافرة إلى الدين الخالص ، والحنفية السمحة .

وقد شرح الله صدرَ الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي[1] في مدينة الرسول ﷺ (في شهر ذي الحجة ١٣٩٣هـ) لنقل كتاب « تقوية الإيمان » للإمام المجاهد ، الداعي إلى الله ، الشهيد في سبيل الله ، الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن أحمد وَلِيّ الله بن عبد الرحيم العُمَري الدِّهْلَوِي (ش ١٢٤٦هـ) ، فإنَّه كتابٌ أصبح شعاراً وعلماً للدعوة إلى التوحيد ، وبيان الحقِّ الصريح ، وقد نفع الله به خلائق في شبه القارة الهندية لا يحصيهم إلاَّ من أحصى رمل عالج وحصى البطحاء .

وقد صدر هذا الكتابُ عن قلبٍ جريحٍ متقطّعٍ بمشاهدة ما كان عليه المسلمون من بُعْدٍ عن التعاليم الإسلامية ، وخضوع للوثنية الهندية ، وتمسُّك بالعادات الجاهلية ، وقد زاد في تأثيره وقبوله دموعُ عينٍ باكيةٍ على الإسلام ، ودَمٌ زكيٌّ أُرِيْقَ في سبيل إحياء هذا الدين ، وتنقيته من الجاهلية ، وتأسيس حكومة شرعية تقوم على منهاج الكتاب والسُّنَّة ، ويكون الدين كله لله .

---

(١) قد سبقت ترجمته في الباب الأول ، في حاشية صفحة (١١٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد قرن ـ رحمه الله ـ الدعاء بالدعوة ، والجهد بالجهاد ، والشهادة للحق بالشهادة في الحق وذلك لباب التوحيد ، وغاية الإخلاص ، وكمال الصِّدق ، وتمام الوفاء ، وصدق الله العظيم : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، فكان لكتابه من القبول والتأثير ، والذيوع والانتشار ، ما لا يكون إلا لكتابات كبار المخلصين ، والعلماء العاملين والدعاة المجدِّدين .

وسِرُّ قوَّة الكتاب في صراحته وتشخيصه للأدواء ، ومظاهر الشرك ، ومواضع الانزلاق وأنه يضرب على الوتر الحساس ، ويصيب ضعف الاعتقاد ، وما فُتِن به المسلمون في العهد الأخير ، من الغُلُوِّ والتقديس والتعظيم ، وتقليد الأمم الوثنية ، والعادات الجاهلية في صميمه ، وقد اعتاد الناس أن لا يفزغوا للمواعظ والخُطَب التي تُلْقى على المنابر ، أو البحوث العلمية التي تتناول موضوع التوحيد والشرك بصفة إجمالية عامة ، إذا لم تتعرض للأمراض التي يعانونها ، والأخطاء التي يرتكبونها ، والعادات التي لا يُمكنهم الفطام عنها للأشخاص والأماكن والشعائر التي يكونون فيها ، فيتجاهلون كل ذلك ، ويتظاهرون بأن الواعظ أو الكاتب لا يعنيهم وإنما يعني المشركين القُدامى ، وعباد الأوثان في الجاهلية الأولى ، أما إذا تعرض هذا الكاتب أو الواعظ لواقع حياتهم ، ووضع يده على عِلَلهم وأسقامهم ، وحدد مواضع فتنتهم ، لم يسعهم أن يتغافلوا عنه ، فأعلنوا الحرب عليه ، ونادوا بعدائه وهذا شأن الداعي المخلص الذي ملكتْه الفكرة ، واستحوذَ عليه الشعور ، وتذوُّق القرآن ، ومنهج الأنبياء في دعوتهم تذوقاً حقيقياً ، فإنه لا يُبالي أرضيَ الناس أم سخطوا ، إن همَّه الوحيد أن يبلِّغ رسالة القرآن ، ويرضي ربه ، ويريح ضميره ، ويبرىء ذمته .

لذلك كلُّه وقع اختيارنا على نقل معاني هذا الكتاب ، ومحتوياته إلى لغة الضَّاد في أسلوب عصري رشيق ، وتعبير سهل سائغ . . . [1] .

* * *

(١) قد صدرت للكتاب طبعات عديدة من الهند وباكستان ، ومن مختلف البلاد العربية ، وقد طُبع أخيراً بعناية المؤلِّف محقَّقاً ومنقَّحاً في دار وحي القلم بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الخامس :

قائمة كتب ورسائل العلاَّمة الندوي[1]

مرتبة وفق أحرف الهجاء

ـ أ ـ

١ ـ **أبحاث في التعليم والتربية الإسلامية .**
إعداد المؤلف .
الناشر : دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت .

٢ ـ **الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية .**
الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ ندوة العلماء ، لكهنؤ (الهند) .

٣ ـ **أحاديث صريحة في أمريكا .**
الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٤ ـ **أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين .**
الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر والتوزيع ، ـ راي بريلي ـ الهند .

٥ ـ **إذا هبَّت ريح الإيمان .**
الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، دار القلم ـ الكويت ـ دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

٦ ـ **ارتباط مسير الإنسانية ومصيرها بقيام المسلمين بواجبهم ، ودورهم في تكوين وحدة وتوجيه دعوة .**
الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ لكهنؤ (الهند) .

٧ ـ **الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة .**
الناشر : دار القلم ـ الكويت ـ ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

٨ ـ **أريد أن أتحدث إلى الإخوان .**
الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٩ ـ **إزالة أسباب الخذلان أهم من إزالة آثار العدوان .**
الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) .

١٠ ـ **أزمة إيمان وأخلاق .**
محاضرة ألقيت في مركز جمعية إنقاذ فلسطين ببغداد ، وقد ضمَّت إلى كتاب : « إلى الإسلام من جديد » .

١١ ـ **أسبوعان في المغرب الأقصى .**
الناشر : مطبعة الرسالة ـ الرباط (المغرب)، ومؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٢ ـ **الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية .**

---

(١) استفاد المؤلِّف في إعداد هذه القائمة من القائمة التي أعدَّها الأخ محمد طارق زبير الندوي بعنوان « مؤلفات سماحة الإمام الداعية الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي » طبع مكتبة حراء ـ لكهنؤ (الهند) .

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند ، ودار الصحوة بالقاهرة ، ودار المنارة بجدة - دار ابن كثير ، بدمشق وبيروت .

١٣ - الإسلام فوق القوميات والعصبيات .

مقال قدّم في الجلسة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة . .

الناشر : مكتبة الرأي بجدة .

١٤ - الإسلام في عالم متغير .

الناشر : مؤسسة الكتاب - بيروت .

١٥ - الإسلام في عالم متغير - بحوث إسلامية قيمة .

الناشر : دار مكتبة الحياة - بيروت .

١٦ - الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي - أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين .

الناشر : دار عرفات ، رائي بريلي - الهند .

١٧ - الإسلام والحكم .

الناشر : دار المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، ص . ب ١٧٠٧ - القاهرة .

١٨ - الإسلام والعرب .

الناشر المجمع الإسلامي العلمي - الهند .

١٩ - الإسلام والمستشرقون .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند ، وطبعته مؤسسة الرسالة - بيروت بعنوان : الإسلاميات .

٢٠ - اسمعوها مني صريحة أيها العرب .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند .

٢١ - اسمعي يا إيران !

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر - راي بريلي (الهند) .

٢٢ - اسمعي يا زهرة الصحراء !

الناشر مكتبة المنار - الكويت .

٢٣ - اسمعي يا سورية !

الناشر : مطبعة الجامعة الإسلامية بحلب .

٢٤ - اسمعي يا مصر !

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند .

٢٥ - إسمعيات .

إعداد المؤلّف .

الناشر : ابن كثير ، دمشق وبيروت .

٢٦ - أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية ، ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند ، ودورها ونجاحها في إصلاح العقيدة ، ومحاربة الجاهلية والخرافة ، والدعوة إلى الدين الحنيف الخالص ، والانتفاضة الإسلامية .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند ، ودار ابن كثير بدمشق .

٢٧ - أكبر خطر على العالم العربي - المؤامرات والمخططات الدقيقة العميقة لقطع العرب عن الإسلام (استعراض تاريخي تنبيه وإنذار) .

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر - راي بريلي (الهند) ، ودار السلام - القاهرة .

٢٨ - إلى الإسلام من جديد .

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : دار القلم ـ دمشق ، والمجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٢٩ ـ إلى الراية المحمدية أيها العرب !

الناشر : أبو الحسن علي (الندوي) ـ لكهنؤ (الهند) .

٣٠ ـ إلى شاطىء النجاة .

طبع بمطبعة بيداري ـ ماليكاؤن (ناسك ـ الهند) .

٣١ ـ إلى قمة القيادة العالمية

مقتبسٌ من كتاب : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! » .

الناشر : دار القلم ـ دمشق .

٣٢ ـ إلى ممثّلي البلاد الإسلامية :

الناشر : مكتبة الإسلام ـ لكهنؤ (الهند) .

٣٣ ـ الإمام الحسن البصري

مستخرج من كتاب « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » .

الناشر : دار المختار الإسلامي ـ القاهرة .

٣٤ ـ الإمام عبد القادر الجيلاني

مستخرج من كتاب : رجال الفكر والدعوة في الإسلام .

٣٥ ـ الإمام الذي لم يوفَّ حقَّه من الإنصاف والاعتراف به (أحمد بن عرفان الشهيد)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٣٦ ـ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وكتابه صحيح البخاري :

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) .

٣٧ ـ الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل

الناشر : دار الصحوة ـ القاهرة .

٣٨ ـ أمريكا وأوربا وإسرائيل :

(كشفٌ حقيقة صارخة وتنبيه على خطر داهم) .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٣٩ ـ إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ

الناشر : حسين بن محمد بومباي (الهند) .

٤٠ ـ أهمية الحضارة في تاريخ الديانات وحياة أصحابها :

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) ومكتبة الدار ـ المدينة المنورة .

٤١ ـ أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية وأثره البعيد في اتجاهاتها وقيادتها

الناشر : مكتبة الأمانة العامة لندوة العلماء ـ لكهنؤ ـ (الهند) .

(ب)

٤٢ ـ بحوث في الحضارة الإسلامية والغربية :

إعداد المؤلّف .

الناشر : دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت .

٤٣ ـ بين الإنسانية وأصدقائها :

الناشر : بمطبعة بيداري ـ ماليكاؤن (ناسك ـ الهند) .

٤٤ ـ بين الجباية والهداية

الناشر : مكتبة الإسلام ـ لكهنؤ (الهند) .

٤٥ ـ بين الدين والمدنية

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٤٦ ـ بين الصورة والحقيقة

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٤٧ ـ بين العالم وجزيرة العرب

حديثان أذيعا من الإذاعة السعودية بجدة عام ١٩٥٠م ونُشرا في رسالة مستقلة بمصر عام ١٩٥١م .

٤٨ ـ بين نظرتين

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

(ت)

٤٩ ـ تأملات في القرآن الكريم

الناشر : دار القلم ـ دمشق .

تأملات في سورة الكهف = الصراع بين الإيمان والمادية .

٥٠ ـ التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية :

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ودار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ، ودار المختار الإسلامي بالقاهرة .

٥١ ـ ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد :

الناشر : مطبعة المنار بمصر عام ١٣٥٠هـ .

٥٢ ـ ترشيد الصحوة الإسلامية

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) ـ دار السلام بالقاهرة بالعنوان نفسه مع ثلاث محاضرات أخرى ، هي :

أ ـ منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء .

ب ـ الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر .

ج ـ النبي الخاتم والدين الكامل .

٥٣ ـ تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) .

٥٤ ـ تعالوا نحاسب نفوسنا وقادتنا

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) .

٥٥ ـ التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي وسيد قطب

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ودار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت ، ودار القلم ـ الكويت ، ومؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ودار آفاق الغد ـ القاهرة .

٥٦ ـ ثورة في التفكير

وقد ضمَّ إلى كتاب : «إلى الإسلام من جديد» .

(ج)

٥٧ ـ جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردوية

الناشر : دار الصحوة ـ القاهرة .

(ح)

٥٨ ـ حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي

www.abulhasanalinadwi.org

يتضمن أربع محاضرات :

أ ـ النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة .

ب ـ مطالبة القرآن الانقياد التام والاستسلام الكامل .

ج ـ المجتمع الإسلامي المعاصر .

د ـ حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل .

الناشر : دار الصحوة ـ القاهرة ـ دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت .

٥٩ ـ حاجة العالم إلى الدعوة الإسلامية

نُشر أيضاً ضمن مجموعة بعنوان : « الإسلام والحياة » ، من مكتبة الحياة بالكويت .

٦٠ ـ حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٦١ ـ الحاجة إلى التركيز على جانب حاسم

الناشر : المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ـ ندوة العلماء ، (الهند) .

٦٢ ـ حديث مع العرب

الناشر : دار الإرشاد والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ودار المختار الإسلامي ـ القاهرة .

٦٣ ـ الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقَّف كما يراه شاعر الهند الكبير لسان العصر السيد أكبر حسين الإله آبادي

الناشر : رابطة الأدب الإسلامي العالمية ـ مكتب شبه القارة الهندية ـ لكهنؤ (الهند) ، ودار الصحوة ـ القاهرة ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

٦٤ ـ حكمة الدعوة وصفة الدعاة

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

ونشرته دار البشائر الإسلامية ـ بيروت مع كلمة : « لا بدَّ من أولي بقية ينهون عن الفساد في الأرض » ألقاها العلَّامةُ بالشارقة .

(خ)

٦٥ ـ خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء

إعداد المؤلِّف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

٦٦ ـ خليج بين الإسلام والمسلمين

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٦٧ ـ خواطر وفصول .

الناشر : مكتبة الإسلام ، لكهنو ـ الهند .

(د)

٦٨ ـ الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله

الناشر : المركز العربي للكتاب ، الشارقة ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

٦٩ ـ دراسة السيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية

الناشر : دار المختار الإسلامي ـ القاهرة ، والمجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٧٠ ـ درسٌ من الحوادث

وقد ضمَّ إلى كتاب : أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين .

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٧١ ـ دعوة وتاريخ

الناشر : الحاج محمد عمران خان الندوي ، عميد دار العلوم لندوة العلماء ـ لكهنؤ (الهند) .

٧٢ ـ الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر جبهاتها الحاسمة ومجالاتها الرئيسية

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٧٣ ـ الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٧٤ ـ الدعوة إلى الله حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٧٥ ـ الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ

يتضمن ثلاثة محاضرات .

أ ـ الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر . . . .

ب ـ كيف انتشر الإسلام في الهند (المنشورة مفردة بعنوان : الدعوة الإسلامية في الهند .

ج ـ دور الجامعات الإسلامية المطلوب في إعداد الدعاة .

الناشر : رابطة العالم الإسلامي ـ بمكة المكرمة .

٧٦ ـ دور الإسلام الإصلاحي في مجال العلوم الإنسانية

الناشر : دار الصحوة ـ القاهرة ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

٧٧ ـ دور الإسلام في تقدُّم البلاد التي دخلها

مقدمة المؤلف على كتاب : الثقافة الإسلامية في الهند (لوالده العلامة المؤرخ عبد الحي الحسني رحمه الله) المنشور من مجمع اللغة العربية بدمشق .

٧٨ ـ دور الإسلام في نهضة الشعوب

محاضرة ألقيت في ثانوية طيبة بالمدينة المنورة .

٧٩ ـ دور الأمة الإسلامية في إنقاذ البشرية وإسعادها

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٨٠ ـ دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٨١ ـ دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

٨٢ ـ دور المسلمين القيادي والاجتهادي في الهند

الناشر : الأمانة العامة لندوة العماء ، لكهنؤ ـ الهند .

(ر)

٨٣ ـ ربانية لا رهبانية

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند ، ودار الشروق - بيروت ، ودار القلم ، دمشق ، ودار الفتح للطباعة والنشر - بيروت ، ودار ابن كثير - دمشق وبيروت .

٨٤ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام (أربعة أجزاء)

(الطبعة الأولى من مطبعة جامعة دمشق) .

الناشر : دار القلم - الكويت ، ودار ابن كثير - دمشق وبيروت ، ودار القلم - دمشق .

٨٥ - ردةٌ ولا أبا بكر لها

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند ، ودار المختار الإسلامي - القاهرة ، ودار المطبوعات الحديثة - الجدة .

٨٦ - رسائل الأعلام

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند ، دار الصحوة - القاهرة (وطبعت أخيراً بتحقيق المؤلف في دار ابن كثير بدمشق) .

٨٧ - رسالة التوحيد

الناشر : مؤسسة الصحافة والنشر في ندوة العلماء - الهند ، والمجمع الإسلامي العلمي - الهند ، وطُبع في دار وحي القلم بدمشق مع مقالات العلاَّمة الندوي في التوحيد بتحقيق المؤلف .

٨٨ - رسالة سيرة النبي الأمين إلى إنسان القرن العشرين

الناشر : دار حراء للكتاب ، المحلة الكبرى - القاهرة .

٨٩ - روائع إقبال

الناشر : دار القلم - الكويت ، والمجمع الإسلامي العلمي - الهند ، ودار ابن كثير - دمشق وبيروت ، ومجلس نشريات إسلام - كراتشي (باكستان) .

ودار القلم - دمشق .

٩٠ - روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة

الناشر : كلية اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء - لكهنؤ ، ودار القلم - الكويت ، ودار ابن كثير - دمشق وبيروت .

(س)

٩١ - سياسة التربية والتعليم السليمة

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند .

٩٢ - سيرة خاتم النبيين (للأطفال) وهو الجزء الخامس من سلسلة : قصص النبيين للأطفال

الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت ، ومؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء - الهند ، ومجلس نشريات إسلام - كراتشي .

٩٣ - السيرة النبوية

الناشر : دار الشروق - جدة ، ودار القلم ، دمشق ، وظهرت الطبعة الأخيرة للكتاب بتحقيق وتعليق المؤلف من دار ابن كثير بدمشق ، وهي أفضل طبعة من حيث التحقيق والمراجعة الدقيقة .

(ش)

٩٤ - شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال

www.abulhasanalinadwi.org

يتضمَّن محاضرتين حول إقبال ، وقد ضُمَّنا إلى كتاب : « روائع إقبال » .

الناشر : مطبعة دار الكتاب العربي ـ عام ١٩٥١م ، ودار القلم ـ دمشق .

٩٥ ـ شخصيات وكتب

الناشر دار القلم ـ دمشق ، وكلية اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء ـ الهند ، ودار الصحوة ـ القاهرة .

(ص)

٩٦ ـ الصراع بين الإيمان والمادية

الناشر : دار القلم ـ الكويت ، ودار القلم ـ دمشق ، وطبعته دار المختار الإسلامي بعنوان : « تأملات في سورة الكهف » ودار ابن كثير ـ دمشق ، بيروت .

٩٧ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية

الناشر : دار القلم ـ الكويت ، الدار الشامية ـ بيروت .

٩٨ ـ صلاح الدين الأيوبي

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) .

٩٩ ـ صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ودار الصحوة ـ القاهرة ، ومطبعة الكلمة بالجيزة ، ودار البشير بجدة ، وإدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر .

(ط)

١٠٠ ـ الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

١٠١ ـ الطريق إلى المدينة المنورة

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، والمكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ، ودار القلم ـ دمشق ، والمختار الإسلامي ـ القاهرة ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

(ع)

١٠٢ ـ عاصفة يواجهها العالمُ الإسلامي والعربي

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٠٣ ـ العرب والإسلام

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، والمكتب الإسلامي ـ بيروت ، ودار المنارة ـ مكة المكرمة .

١٠٤ ـ العرب يكتشفون أنفسهم

الناشر : المجمع الإسلامي العمي ـ الهند .

١٠٥ ـ العقيدة والعبادة والسلوك

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت ، وطبعته دار البشير بالقاهرة بعنوان : « منهاج الصالحين » .

١٠٦ ـ على الخشبة

الناشر : إدارة تعليمات الإسلام ـ لكهنؤ (الهند) .

١٠٧ ـ العوامل الأساسية في كارثة فلسطين

www.abulhasanalinadwi.org

ضـمَّ إلـى كتـاب : « المسلمـون وقضيـة فلسطين » .

(غ)

١٠٨ ـ غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام

الناشر : دار المختار الإسلامي ـ القاهرة .

(ف)

١٠٩ ـ فاستخف قومه فأطاعوه

الناشر : مطبعة ندوة العلماء ـ الهند .

١١٠ ـ الفتح للعرب المسلمين

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، وطبعته دار المختار الإسلامي بالقاهرة بعنوان : « العاقبة للمتقين » .

١١١ ـ فضل البعثة المحمدية على الإنسانية

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١١٢ ـ في ظلال البعثة المحمدية على الإنسانية

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١١٤ ـ في مسير الحياة (ثلاثة أجزاء)

الناشر : دار القلم ـ دمشق .

(ق)

١١٥ ـ القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام

الناشر : رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة (ضمن مجموعة المقالات حول القاديانية) .

١١٦ ـ القاديانية مؤامرة خطيرة وثورة على النبوة المحمدية

الناشر : مكتب المؤتمرات الإسلامية بدار العلوم لندوة العلماء ـ الهند .

١١٧ ـ القادياني والقاديانية

الناشر : الدار السعودية للنشر ـ جدة ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١١٨ ـ قارنوا بين الربح والخسارة

الناشر المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ ـ الهند .

١١٩ ـ القراءة الراشدة للأطفال (ثلاثة أجزاء) .

الناشر : مؤسسة الصحافة والنشر بدار العلوم لندوة العلماء ـ الهند ، ومجلس نشريات إسلام ـ كراتشي (باكستان) ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٢٠ ـ القرن الخامس عشر الهجري الجديدفي ضوء التاريخ والواقع

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ومطابع الرشيد ـ المدينة المنورة .

١٢١ ـ قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال

ندوة العلماء بالهند ، والطبعة الثانية : من مكتب البلدان العربية للرابطة بالتعاون مع مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، والطبعة الثالثة بالتعاون مع دار البشير ـ عمان (الأردن) ، والطبعة الرابعة في دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٢٣ ـ قصص النبيين للأطفال

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ومؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ـ الهند ، ومجلس نشريات

www.abulhasanalinadwi.org

إسلام ـ كراتشي .

١٢٤ ـ قصة دراستي القرآنية

تعريب : محمد نعمان الدين الندوي ، وتعليق المؤلف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

١٢٥ ـ قصة كتاب يحكيها مؤلفُه

قصة تأليف كتابه الرائع : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وقد ضمَّ إلى الكتاب في الطبعة الأخيرة الصادرة من دار القلم ـ الكويت .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٢٦ ـ قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم

الناشر : دار الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر .

(ك)

١٢٧ ـ كارثة التعصب اللغوي والثقافي

الناشر : مؤسسة الكتاب ـ بيروت .

١٢٨ ـ كارثة العالم العربي الحقيقية وأسبابها

وقد ضُمَّ إلى كتاب « المسلمون وقضية فلسطين » .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٢٩ ـ كلمة عن أدب التراجم والحديث عن الكتب ، ضمّت إلى كتاب : نظرات في الأدب

الناشر : كلية اللغة العربية ـ دار العلوم لندوة العلماء ـ الهند .

١٣٠ ـ كيف توجَّه المعارف في الأقطار الإسلامية

الناشر : دار العلوم لندوة العلماء ـ الهند ، ورئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض .

١٣١ ـ كيف دخل العرب التاريخ

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٣٢ ـ كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم وكيف يحافظون عليها

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) .

١٣٣ ـ كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية

الناشر : دار الاعتصام ـ القاهرة ، والمجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

(م)

١٣٤ ـ المأساة الأخيرة في العالم العربي ودراستها من الناحية الدينية والخلقية والمبدئية والدعوية ، وتحليل أسبابها وانعكاساتها

كلمة العلاَّمة إثر عدوان العراق على الكويت عام ١٩٩٠م .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٣٥ ـ المأساة الفلسطينية في بيروت

بيان العلاَّمة حول المجزرة ضدَّ الفلسطينيين عام : ١٩٨٢م .

الناشر : ندوة العلماء ـ الهند .

١٣٦ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟!

الطبعة الأولى من لجنة التأليف والترجمة

www.abulhasanalinadwi.org

والنشر بالقاهرة عام : ١٩٥١م ، والطبعة الثانية من جماعة الأزهر للنشر والتأليف (مطبعة دار الكتاب العربي) عام ١٩٥١م ، ثم ظهرت للكتاب طبعات متكرّرة من دور نشر مختلفة ، منها :

دار العروبة ـ القاهرة ، ودار الكتاب العربي ـ بيروت ، ودار عمر بن الخطاب ـ الإسكندرية ، ومكتبة المعارف ـ القاهرة ، ومكتبة السنة ـ القاهرة ، ومكتبة الإيمان ـ المنصورة ، ودار الأنصار ـ القاهرة ، ودار الجيل ـ بيروت ، ومكتبة نزار مصطفى الباز ـ الرياض ، والاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ـ الكويت ، وإدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ، وطبعة أخرى من قطر على نفقة أمير دولة قطر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، ومجلس نشريات إسلام كراتشي ـ (باكستان) ، وطبعات متعددة من دار القلم ـ الكويت ، ودار القلم ـ دمشق ، وصدرت له الطبعة الأخيرة بعناية المؤلّف مع إضافات العلاّمة الندوي الأخيرة ، من دار ابن كثير بدمشق عام ١٤٢٤هـ .

١٣٧ ـ المجتمع الإسلامي المعاصر فضله وقيمته ، حاجته ومتطلباته ، وطريق الانتفاع به

(نداء لولاة الأمور ، وقادة البلاد ، ورجال الإصلاح والتربية في الأقطار الإسلامية) .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٣٨ ـ محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة

(ثلاث مجلدات)

إعداد المؤلف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٣٩ ـ محمّد رسول الله ﷺ الرسول الأعظم وصاحب المنة الكبرى على العالم ، مسؤولية العالم المتمدّن المنصف الأدبية والخلقية نحوه

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) ، دار الصحوة ـ القاهرة ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٤٠ ـ مختارات من أدب العرب ١ ـ ٢

الناشر : دار الشروق ـ جدة ، ومؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء ـ الهند ، ومجلس نشريات إسلام ـ كراتشي ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٤١ ـ المدخل إلى دراسات الحديث

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٤٢ ـ المدخل إلى الدراسات القرآنية

الناشر : المجمع الإسلامي ـ الهند ، ودار الصحوة ـ القاهرة ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٤٣ ـ المد والجزر في تاريخ الإسلام

ضمّ إلى كتاب : « إلى الإسلام من جديد » .

ونشره الشيخ عبد الله بن صالح بن محمود ـ أحد علماء نجد ـ ضمن مجموعة سماها « المجموعة المحمودية » .

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٤٤ ـ مذكّرات سائح في الشرق العربي

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٤٥ ـ المرتضى (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

الناشر : دار القلم ـ دمشق ، والمجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٤٦ ـ مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج

الناشر : المجمع الإسلامي العربي ـ الهند .

وطبعته ـ أيضاً ـ دارُ السلام ـ القاهرة بالعنوان نفسه مع رسالة أخرى : أكبر خطر على العالم العربي المؤامرات والمخططات الدقيقة . . (المذكورة برقم : ٢٧) .

١٤٧ ـ المسلمون تجاه الحضارة الغربية

الناشر : دار المجتمع للنشر والتوزيع ـ جدة .

١٤٨ ـ المسلمون في الهند

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ودار الفتح ـ دمشق ، ودار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٤٩ ـ المسلمون ودورهم

الناشر : مكتبة الأمل ـ الكويت .

١٥٠ ـ المسلمون وقضية فلسطين

الناشر : الدار الكويتية للطباعة والنشر ـ الكويت ، والمجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٥١ ـ مصادر العلوم الإسلامية

نشر أيضاً ضمن مجموعة بعنوان : « الإسلام في عالم متغير » من : دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

الناشر : مؤسسة الكتاب ـ بيروت .

١٥٢ ـ مطالبة القرآن الانقياد التام والاستسلام الكامل

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٥٣ ـ مع الإسلام .

يتضمن مقالين :

أ ـ معقل الإنسانية .

ب ـ المد والجزر في تاريخ الإسلام .

وقد ضما إلى كتاب : « إلى الإسلام من جديد » .

١٥٤ ـ معقل الإنسانية .

١٥٥ ـ المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامية

دليل المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي في دار العلوم لندوة العلماء .

الناشر : المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي بدار العلوم لندوة العلماء ـ الهند .

١٥٦ ـ مقالات إسلامية في الفكر والدعوة (جزآن)

إعداد المؤلف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٥٧ ـ مقالات حول السيرة النبوية

إعداد المؤلف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

www.abulhasanalinadwi.org

١٥٨ ـ مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين

إعداد المؤلِّف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٥٩ ـ مقدِّمات الداعية المفكِّر الأديب العلاَّمة أبي الحسن الندوي :

إعداد المؤلِّف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٦٠ ـ مكانة المرأة في الإسلام

إعداد المؤلِّف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٦١ ـ ملَّة إبراهيم وحضارة الإسلام يجب أن ندعو إليها على بصيرة وثقة

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٦٢ ـ مِن أعلام المسلمين ومشاهيرهم

إعداد المؤلِّف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٦٣ ـ من الجاهلية إلى الإسلام

مستخرَج من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » .

الناشر : مكتبة الإسلام ـ لكهنؤ (الهند) ، وجماعة أنصار السنة المحمدية ـ القاهرة ، والمركز الإسلامي بجنيف .

١٦٤ ـ من دون أحد

الناشر : إدارة تعليمات الإسلام ـ لكهنؤ (الهند) .

١٦٥ ـ من غار حراء

الناشر : مكتبة المنار ـ الكويت .

١٦٦ ـ من مؤلَّفات الشيخ

تتضمن :

أ ـ صلاح الدين الأيوبي .

ب ـ نفحات الإيمان بين صنعاء وعَمَّان .

ج ـ رسائل الأعلام .

د ـ دور الإسلام الجذري في مجال العلوم الإنسانية .

الناشر : دار الصحوة ـ القاهرة .

١٦٧ ـ من النجوم إلى الأرض (للأطفال)

إعداد المؤلِّف .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت .

١٦٨ ـ من نفحات القرن الأول

الناشر : مكتبة الإسلام ـ لكهنؤ (الهند) .

١٦٩ ـ من نهر كابل إلى نهر اليرموك

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

١٧٠ ـ منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٧١ ـ مواساة أم مساواة

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٧٢ ـ موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٧٣ ـ موقف المسلم إزاء أسلافه الجاهليين .

(ن)

١٧٤ ـ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن

الناشر : دار القلم ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

١٧٥ ـ النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة

نشر ـ أيضاً ـ ضمن مجموعة بعنوان : « حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة » .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٧٦ ـ النبي الخاتم

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ودار المختار الإسلامي ـ القاهرة .

١٧٧ ـ النبي الخاتم والدين الكامل وما لهما من أهمية في تاريخ الأديان والملل

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٧٨ ـ نحن الآن في المغرب

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٧٩ ـ نحو تكوين مجتمع إسلامي جديد

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٨٠ ـ ندوة العلماء ـ تاريخها ورسالتها

١٨١ ـ ندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة

طبع معه مقال للأستاذ واضح رشيد الندوي بعنوان : « ندوة العلماء حركة ثقافية توجيهية » ، مجموع الصفحات للمقالين : (٢٦) صفحة .

الناشر : الأمانة العامة لندوة العلماء ـ الهند .

١٨٢ ـ نظامان إلهيان للغلبة والانتصار

ضمَّ إلى كتاب : المسلمون وقضية فلسطين .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٨٣ ـ نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية وأثره البعيد في اتجاهاتها وقياداتها

يتضمن محاضرتين حول التربية :

أ ـ أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية .

ب ـ حياة الشباب المسلم مسؤولية نظام التعليم والتربية (كلمة ألقيت في عمان الأردن في ١٨/ ٨/ ٧٣م) وقد ضُمتا إلى كتاب : « التربية الإسلامية الحرة » .

الناشر : شعبة التعمير والترقي ـ ندوة العلماء (الهند) .

١٨٤ ـ نظرات في الأدب

من منشورات رابطة الأدب الإسلامية العالمية .

الناشر : رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالتعاون مع دار القلم ـ دمشق ، والطبعة الثانية بالتعاون مع دار البشير ـ عمان (الأردن) .

١٨٥ ـ نظرات على الجامع الصحيح للإمام البخاري وميزات أبوابه وتراجمه

الناشر : مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية ، ـ تكية كلان ـ راي بريلي (الهند) .

١٨٦ ـ نظرات في الأدب النبوي

تحقيق وتعليق المؤلف .

الناشر : دار البشائر الإسلامية ـ بيروت .

www.abulhasanalinadwi.org

١٨٧ ـ نظرات في الحديث

إعداد : بلال عبد الحي الحسني الندوي .

الناشر : دار ابن كثير ، دمشق وبيروت .

١٨٨ ـ نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي

ضمّ إلى كتاب : « نظرات في الأدب » .

الناشر : الندوة العالمية للأدب الإسلامي ـ دار العلوم لندوة العلماء ـ الهند .

١٨٩ ـ نظرة مؤمن واعٍ إلى المدنيات المعاصرة الزائفة

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) ، والمجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٩٠ ـ نفحات الإيمان بين صنعاء وعَمّان

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ودار الصحوة ـ القاهرة ، ومؤسسة الرسالة ـ بيروت .

(هـ)

١٩١ ـ هلال رمضان يتكلم

الناشر : مكتبة الإسلام ـ لكهنؤ (الهند) .

(و)

١٩٢ ـ وأذّن في الناس بالحج

مستخرَجٌ من كتاب « الأركان الأربعة » .

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند .

١٩٣ ـ واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ـ راي بريلي (الهند) .

١٩٤ ـ وامعتصماه ! :

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي ـ الهند ، ودار السلام ـ القاهرة .

www.abulhasanalinadwi.org

الباب السادس

دار العلوم - نَدْوَة العلماء

مُدَرِّسَة

العَلَّامة أبي الحَسَن النَّدْوِي

لِلدَّعْوَة والفِكْرِيَّة والأَدَبِيَّة

الفصل الأول : تعريف « ندوة العلماء » .

الفصل الثاني : العلامة الندوي مفخر « ندوة العلماء » .

www.abulhasanalinadwi.org

« تأسَّسَتْ « ندوةُ العلماء » ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسُّطِ والاعتدالِ ، والجمعِ بين القديمِ الصالحِ والجديدِ النافع ، وبين الدِّين الخالد الذي لا يتغيَّرُ ، والعلمِ الذي يتغَيَّرُ ويتطَوَّرُ ويتقدَّمُ ، وبين طوائفِ أهل السنَّة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص ، وقامَتْ منذ أول يومِها على الإيمان بأنَّ العلوم الإسلامية حيَّةٌ ناميةٌ ، وأنَّ منهاجَ الدراسةِ خاضعٌ لناموس التغيُّرِ والتجدُّدِ ، فيجب أن يتناوله الإصلاحُ والتجديد في كلِّ عصرٍ ومصرٍ ، وأن يُزاد فيه ، ويُحذَف منه بحسب تطوُّرات العصر ، وحاجات المسلمين وأحوالهم » .

العلّامة أبو الحسن الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

كلمات فيّاضة في « نَدْوَةُ العُلَمَاءِ »

لأديب الفقهاء ، وفقيهِ الأدباء

العلامة الشيخ علي الطنطاوي

. . . كنتُ أشتهي على الله أن يُريني قبلَ أنْ أموتَ معهداً لا يجمُدُ جمودَ « الأزهر » القديم وما على أثره من المعاهد ، ولا يسيل سيلانَ المعاهد الجديدة ، معهداً فيه العلمُ والتُّقى ، وفيه القديمُ والجديدُ ، وفيه الدنيا والآخرةُ ، وأنا أحمد اللهَ أنْ كافأني على رحلتي هذه[1] ، فأرانيه هنا في قلب الهند .

وأمَّا أن أقولَ إنَّ هذا معهدُ خيرٍ ، وإنَّهُ خيرُ معهدٍ ، فهذا من تحصيل الحاصل ، ولكنِّي أقولُ كلمةً عن نفسي ، والأدباء ـ مع الأسف ـ ما تكلَّموا عن شيءٍ إلا جعلوا الكلامَ عن أنفسِهم .

ولقد عِشتُ حتى قاربتُ الخمسين ، ورأيتُ دنيا الإسلام قاصيها ودانيها ، وجرَّبْتُ الحياةَ حلوَّها ومُرَّها ، وأوتيتُ بحمد الله مالاً وذكراً ومنصباً ، ونلتُ ما يتمنَّى أكثرُ الناس أن ينالوه ، ومع هذا فإنِّي أحلف أنِّي ما زرتُ هذا المعهدَ حتى اختصَرَتُ أمانيَّ نفسي كلَّها في أمنيةٍ واحدةٍ ، وهي أنْ أعودَ طِفلاً ـ لو كان

---

(١) قام الشيخُ الطنطاوي مع العلامة أمجد الزهاوي برحلة إلى بلاد شرق وجنوب آسيا عام ١٣٧٣هـ ، ١٩٥٤م وكتب هذه الكلمة إثر زيارة ندوة العلماء في لكهنؤ ، كما هو تحدَّثَ عن هذه الرحلة أيضاً في كتابه « ذكريات » وفي مقدِّمة : « المسلمون في الهند » للعلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

إلى العَود سبيلٌ ـ حتى أنشأ في هذا المعهد فأجمعَ الدينَ والدنيا ، وأمتع النفسَ بجمال السُّكون فيه ، والقلب بتوجيهِ مدرِّسيه والعقل بما فيه من علمٍ وما في مكتبته من الكتب .

وقد قطعتُ الأرض من دمشق إلى أقصى جاوا فما دخلتُ مكاناً ، تمنَّيْتُ أن أُقِيم فيه إلا هذا المكان . عِشْتُ في النَّدوة أياماً ، ذُقتُ مُتعةَ النظر ، بمَنظَر نَهرهَا وبَسَاتينهَا ، ورَاحَةَ الأَعصَابِ بهُدُوئها وسُكُونهَا ، ولَذَّةَ التفكير ، بالرُّجُوعِ إلى مَكتَبَتِهَا ، وَعَبَبْتُ السَّعَادَةَ عبّاً بصُحْبَة هؤلاءِ الإخوَة الكِرَام ، المُسلِمِينَ حقّاً الطَّيِّبينَ المُخلصينَ ، الَّذينَ أَحْسَسْتُ وأنا مَعَهُمْ كَأَنِّي رَجَعْتُ إلى التَّاريخ ، فَعشْتُ مَعَ المُسلِمِينَ في الصَّدر الأول : أسَاتذَة الدَّار وطُلاّبها .

وقلتُ : هاهُنا المَقِيلُ ، فياليتني أَحَطّ هاهُنا الرِّحال ، وياليتني أعيش هُنا ، وماذا أبتغِي فوقَ ما أجِدُ فيها ؟ وهل بعدَ هذا المنظرِ الجميلِ ، وهذهِ المكتبةِ الحافلةِ ، وهؤلاء الصَّحْبِ الأخيارِ مُتْعةٌ تُبْتغىٰ ، أو نعمةٌ تُطلبُ ؟

إنَّهُم يأْخُذُونَ بالنَّافعِ من ثقافةِ الغَرْب ، مع الحفاظ على ثقافةِ الإسلام ، كالدَّارِ القائمةِ على السَّفح ، تترَفَّعُ عن وخامةِ السَّهل ، وتَنْزلُ عن وُعُورةِ الجبل ، وخيرُ الأمور الوَسطُ[1] .

---

(١) مجلَّة « البعث الإسلامي » العدد الخاص بندوة العلماء ، شوال ، عام ١٣٩٥هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الأول

تعريف

دار العلوم - نَدْوَة العلماء

التمهيد .

المبحث الأول : حركة «ندوة العلماء» فكرتها، وتأسيسها، ومنهجها ، واتصالها بالعالم العربي .

المبحث الثاني : « ندوة العلماء » كما يراها كبارُ علماء العرب وأدبائهم .

المبحث الثالث : أعلام « ندوة العلماء » وخدماتهم الجليلة في مجال الفكر والدعوة ، وفي ميادين العلم والأدب .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abubasanalinadw.org

تمهيد

« ندوة العلماء » هي تلك الجامعة التي نشأ وتَرْعَرَعَ ، ودرس ودرَّسَ فيها العلامةُ أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ وكان يدين لها بالفضل الأكبر في تكوين شخصيته الدعوية والفكرية والأدبية ـ إلى جانب ما يدين بالفضل لأسرته التي أبصر فيه النورَ وبيئتها التي نشأ وتربَّى فيها ـ إذاً هي ـ ندوة العلماء ـ مدرستُه الأولى والأخيرة في الفكر والدعوة والأدب ، وإنْ كان نهل أيضاً من ينابيع دينيةٍ وعلميةٍ أخرى ، وتأثَّرَ بها روحياً كما ذكرناها سابقاً .

لقد حقَّقتْ هذه الجامعةُ العظيمةُ إنجازات كبيرة في مجالات التعليم ، والثقافة ، والتوجيه الفكري ، والدور القيادي الذي مثَّلته في مكافحة حملات التضليل الفكري ، والتيارات الضالة التي اكتسحت العالمَ الإسلامي ، والعالم العربي حيناً بعد حين ، وأنجبت رجالات وقفوا في وجه كل حركةٍ هدَّامةٍ ، أو مؤامرةٍ مناوئةٍ للإسلام ، يتحقق المتتبع للأحداث فراسةَ شاعر الإسلام وفيلسوف الشرق الدكتور محمد إقبال ، وبُعْد نظره وألمعيَّته ، حيث إنه قال قبل حوالي ثمانين سنة :

« إنِّي لا أزالُ أعتقد منذ مدَّةٍ : أنَّ المسلمين في الهند الذين لا يستطيعون أن يمدُّوا يدَ المعونة إلى الدول الإسلامية الأخرى من الناحية السياسية ، يستطيعون أن يقدِّموا مساعدةً كبيرةً من الناحية العقلية والفكرية ، وليس مِن الغريب أن تكون « ندوة العلماء » أنفع وأجدى من جامعة « علي كَرَهْ »[1] الإسلامية في عيون الأجيال القادمة للهند الإسلامية في هذه الناحية[2] .

قد شعرتُ بتوسُّعٍ في الحديث عن « ندوة العلماء » في هذا الباب ، لمَّا رأيتُ كثيراً

---

(١) قد عرَّفنا بهذه الجامعة في الباب الأول ، انظر صفحة (١١٤) .

(٢) ندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة . . . : للعلامة الندوي ، ص(٢٥ ـ ٢٦) نقلاً عن « إقبال نامه » (١/ ١٠٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

من الناس ـ خاصة في بعض البلاد العربية التي فيها حصارٌ حكوميٌّ على إعلام الفكر الإسلامي ـ لا يعرفون عن هذه الجامعة العظيمة سوى أنَّها جامعة كسائر الجامعات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي ، تقوم بمهمَّةِ التعليم والتربية على غِرار الجامعات الإسلامية التي تأسَّستْ فيها في مختلف الأزمنة والأمكنة ، إنَّ فكرة ـ ندوة العلماء ـ الأصيلة تكون مختفيةً وراء حجبٍ من الظنون وعدم الإطلاع ، وهو لا يمتُّ إلى الواقع بصلةٍ ، وقد حال دون الاطلاع على أهداف « ندوة العلماء » وأهمية دورها الفكري والتربوي بعضُ العوامل المحلِّية والأنظار المحدودة التي لا تسمح بالنظر إلى الأفق البعيد .

لذا أداءً لهذا الواجب ، وشعوراً بحقِّ الوفاء قمتُ في هذا الباب بتعريف « ندوة العلماء » نشأةً ومنهجاً ، عقيدةً وفكراً ، وكذلك بذِكْر عن سِيَر وتراجم بعض أعلامها ، ثم الحديث عن دور العلامة أبي الحسن الندوي في تَقَدَّم هذه الجامعة في مختلف المراحل في مجالات كثيرة ، وتخريج فوجٍ من تلاميذه الذين أصبحوا قدوةً يحتذي بها الأجيالُ القادمة ، ومناراً للعلم يسترشد به الطلابُ فيما بعد .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأوّل :

حركة « نَدْوَةُ العُلَمَاءِ » وفكرتها

إنَّ القرن التاسع عشر الميلادي كان قرنَ ازدهار الغرب وانحطاط الشرق ، وقرنَ الاستيلاء المادّي والغلبة الصناعية ، فحاول الغربُ أن يخضع الشرق له ويرغمه على قبول حضارته المادية ، وفي هذا القرن قد واجهت الأممُ الإسلامية صراعاً عنيفاً بين الشرق والغرب .

أمَّا المسلمون فإنَّهم لما كانوا يتمتعون بالعزة والحكومة ، والعلم والفن والحضارة والتجارة ؛ كان القدح المعلى في الدين والدنيا ، ولكنهم لمَّا انحطوا ؛ أحاط بهم الشقاءُ من كل جانبٍ ، واستولى على جميع ممتلكاتهم وخصائصهم أعداؤهم ، وانعزل العلماء عن ميدان الحياة مشتغلين بالنزاعات الفرعية الفقهية ، وكأنَّي بهم ، لم يبق لهم من عملٍ في هذه الحياة الدنيا إلا الجدال والنقاش في مسائل فقهية وكلامية ليست ذات خطرٍ كبيرٍ وأهميةٍ بالغةٍ ، وكانت المناظرةُ بين الحنفية وأهل الحديث ، والجدال بين الدِّيُوْبَنْدِيَّة[1] والبَرِيْلَوِيَّةِ[2] شغل العلماءِ والمؤلِّفين الشاغل ، وحديثَ النوادي والمحافل في أكثر الأحيان .

---

(١) الديوبندية : وهي جماعة المتخرِّجين من « دار العلوم ديوبند الإسلامية » وهم أصحابُ العقيدة السنيَّة الصحيحة في التوحيد ، واتباع السنة ، والاجتناب عن البدع ، وقد تحدَّثنا عنها في الباب الأول ، ص(١٠٩ ـ ١١٠) .

(٢) البريلوية : وهي جماعة المنتمين إلى الشيخ أحمد رضا خان البَرِيْلَوِي ، (م١٣٤٠) حاملُ لواء التكفير في شبه القارة الهندية ، وأشهر داعٍ إلى التمسُّك بالتقاليد البدعية والخرافية المنتشرة في الهند حول الأعراس والضرائح والأعياد والمواسم ، وإثبات علم الغيب للنبي ﷺ ، والتصرُّف العام للأولياء والمشايخ ، وهو الذي أذاع لقب « الوهابي » في القارة الهندية . وقد تحدَّثنا عن هذه الجماعة في حاشية تقريظ الشيخ القرضاوي ، انظر صفحة : (٢١ ـ ٢٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

وانغمَسَ الأغنياءُ في الترف والبذخ ، وكان عامة الناس يقلِّدونهم وينظرون إليهم كالمثل الكامل ، وبلغوا من الذلة والمسكنة مبلغاً رثى لهم فيه كلُّ شخصٍ حتى أعداؤهم ، وكان لا يمكن أن يعود إليهم حالهم الأول المزدهر إلا أن ينقلب الوضع ، ويعقد كلُّ فردٍ العزمَ على التخلص من هذا العار ، وأن تكون جماعة من علماء الإسلام عارفين بأحوال الدنيا وأحداثها ، وأحوال المسلمين الدنيوية وضروراتهم ، وعلاقتهم بالحكومة التي يعيشون فيها ، وماهي التأثيرات التي يخلِّفها تغيّر الحكومة عليهم .

هذا ، والمتخرِّجون من المدارس الدينية كانوا لا يستطيعون الدفاعَ عن الإسلام ، والردَّ على الشبهات التي أثارتها الفلسفةُ الغربية وجماعات المُلحِدين .

أدرَكَ العالمُ المصلح والمربِّي الجليل الشيخ محمد علي المُوْنَكِيْرِي في ذلك الوقت : أنَّ مستقبل دين الإسلام والمسلمين في خطرٍ عظيمٍ من الفكرة المادية التي سيطرت على عقول الناس ، ويكاد يحتجب الهدف الحقيقي عن أعينهم وبحيث أنَّ كل فريقٍ مذبذبٍ بين الدين واللادينية ، وبين العلم والإيمان ، يقف المسلمون في حيرة وضياع لسبب خلافاتهم ، وقصر نظرهم وقلة معلوماتهم ، ورأى : أنَّ أكبرَ مصدرٍ للفساد الذي يتسرَّبُ إلى صفوف المسلمين ومجتمعاتهم ، إنما هو نظام التعليم السائد في المدارس والكليات والجامعات المدنية في جانبٍ ، والنظام القديم المُطبَّق حرفيّاً في المدارس الدينية القديمة ، فلا بدَّ من وضع نظامٍ شاملٍ متزَّنٍ للتربية والتعليم يجمع بين أصالة العلوم الإسلامية ، وإفادة العلوم التطبيقية ، وبين حلاوة الإيمان وقوَّة العلم .

www.abulhasanalinadwi.org

تاريخ نشأة « نَدْوَةُ الْعُلَمَاءِ » وتوسُّعها

نقدِّم هنا إلى القارىء مُوجَز فكرة ندوة العلماء وتاريخ نشوئها وتوسُّعها ، بقلم مؤرِّخٍ أمينٍ وكاتبٍ خبيرٍ ، قد عَرَفها عن كثبٍ لا عن كتبٍ ، ونشأ في أحضانها ، ورضع بلبانها ، يقول العلامة أبو الحسن الندوي :

« كان المسلمون في الهند بين طائفتَين ؛ طائفة قد آمنَتْ بالعلوم الغربية بالغيب ، وآمنَتْ بعصمة الغربيين في علومهم وبسيادتهم وإمامتهم في كل شيء ودعَتْ إلى قبول نظامهم في التعليم على علاته .

وطائفة قد آمنَتْ بعصمة العلماء المتأخِّرين في منهاج درسهم وترتيبهم للكتب ، لا يرون عنه بدلاً ولا يجدون عنه محيصاً ، ويرون العدولَ عنه في شيء ، ضرباً من التحريف ونوعاً من البدع ، فكاد الدين وكاد العلم يضيع بين جاحدٍ وجامدٍ .

أدرَكَ هذا الخطرَ رجالٌ من أهل الدين المتين والعلم الراسخ والنظر الثاقب ، في مقدِّمتهم : العالم الكبير والشيخ الصالح مولانا السيد محمد علي المونكيري رحمة الله عليه ، وكثيرٌ من أصحاب الشيخ الكبير أمثال مولانا فضل الرحمن الكَنْجَ مُرَادْ آبادي قدَّس الله سِرَّه ، وتلاميذ الأستاذ الكبير مولانا لُطف الله العَلِيْكَرْهِي ، ينتهي نسبهم العلمي إلى بيت الشيخ ولي الله الدِّهلوي[1] .

وأراد هؤلاء أن يتداركوا هذا الأمرَ قبل أن يتفاقم الخطب ويتسع الخرق على الراقع ، فشمَّروا أذيالهم لسدِّ هذه الثلمة الشنيعة ورتقِ هذا الفتق العظيم الذي ظهر في المجتمع الإسلامي الهندي ، واجتمع هؤلاء العلماء وأولو الرأي في حفلة « مدرسة فيض عام »[2] في مدينة كَانْفُوْر .

---

(١) القراءة الراشدة : للعلامة الندوي ، عنوان « ندوة العلماء » (٣/ ١٦١ ـ ٢٦٢) .
(٢) أسَّسها المفتي عنايت أحمد (المتوفَّى ١٢٧٩م) .

www.abulhasanalinadwi.org

ويحثوا في مسائل التعليم الديني ومستقبل المدارس العربية وشؤون المسلمين الاجتماعية والخلقية ، وصحَّتْ عزيمتهم على تأسيس جمعيةٍ دينيةٍ علميةٍ تُعنى بمسألة التعليم الديني ، وإصلاح المسلمين الاجتماعي والخلقي ، والجمع بين طبقات المسلمين عامة وطبقات العلماء وأحزابهم خاصة .

فأسَّسوا جمعيةً باسم « ندوة العلماء » وعقدوا حفلتَها الأولى في كَانْفُوْر سنة ١٣١١هـ ـ ١٨٩٣م تحت رئاسة الأستاذ الأكبر الشيخ لطف الله العليكرهي ، وأرسلوا دعوتهم إلى جمع كلمة العلماء ورفع الشقاق والنزاع من بينهم ، وإصلاح المدارس القديمة ، والتغيير اللائق في منهاج المدارس .

اجتهَدَ أعضاءُ الندوة في ذلك واجتمعوا وتشاوروا ، وكاتبوا وراسلوا ، وخطبوا وكتبوا في هذا الموضوع ، ولكن علموا بعد الاختبار : أنَّ ذلك لا يتم إلا إذا أسَّسوا مدرسةً خاصةً تكون مثلاً عملياً للمدارس الأخرى ، فأسَّسوا دار العلومَ التابعة لندوة العلماء كمدرسةٍ نموذجيةٍ سنة ١٣١٦هـ ـ ١٨٩٨م في مدينة لكهنؤ[1] ، وفتحوا أبوابَها لكلِّ من يريد المشاركةَ فيها من المؤمنين بالله ورسوله من غير فرق بين طائفة وطائفة وجعلوا من أهمِّ مقاصدها ؛ إصلاح مناهج التعليم في المعاهد الدينية حتى تكون جامعة بين علوم الكتاب والسنَّة والعلوم العصرية ، تتخرَّجُ فيها جماعةٌ مثقَّفة بالثقافتين الجديدة والقديمة ، وتتقدَّم إلى ميدان العمل حاملة بيمينها لواء الكتاب العزيز والسنَّة النبوية ، وآخذةً مصباح العلوم الحديثة والمعارف الجديدة بشمالها ، فتدافع عن حوزة الملَّة الحنيفيَّة دفاع المجاهدين المتنوِّرين ، وكانت غايتهم القصوى مِن تأسيس الجمعية ودار علومها التابعة لها ألا تتسع شقةُ الخلاف بين الطائفتين المتجدِّدة والجامدة ، ولا يتعذَّر اتفاقهما على كلمة واحدة في الأعمال والمشاريع التي تتعلَّقُ بصالح المسلمين العام .

وهذه الفكرة ، وإنْ كانت بدعاً عند العلماء والمجدِّدين قبل خمسين سنة ، ولذلك خالَفَها مَنْ خالَفَها من المجدِّدين ، وكفَّرَ القائمين بها من كفَّرَهم من الجامدين[2] ، إلا أنها أصبحتْ فيما بعد فكرةً سائدةً ورأياً محكماً مستولياً على قلوب

---

(١) القراة الراشدة : (٣/ ١٦١ ، ١٦٧) .

(٢) المرادُ بهم جماعةُ « البَرِيلَوِيِّين » متكرِّرة الذكر في هذا الكتاب ، والمنسوبة إلى العالِم المبتدعِ=

www.abulhasanalinadwi.org

الأمة وزعمائها ، آخذاً بمجامع قلوب العلماء والمتعلِّمين الجُدُد[1] .

فهكذا تأسَّسَتْ دار العلوم ندوة العلماء على مبدأ التغيير والإصلاح في نظام التعليم الديني وفي منهاج الدرس العربي ، فحَذَفَتْ وزادت ، وغيَّرَتْ وأصْلَحَتْ في منهاج التعليم .

حذفتِ المقدارَ الزائدِ من كُتب المنطق والفلسفة اليونانية التي ضعفت الحاجةُ إليها في هذا العصر ، وأعطت القرآنَ حقَّه من العناية ، فقرَّرَتْ درسَ متنه الشريف حرفاً حرفاً ، لغةً ونحواً ، وأدباً واجتماعاً ، وفقهاً وكلاماً ، هذا عدا التفاسير المقرَّرة في الصفوف العالية ، وألزمتْ تدريسَ القرآن والحديث بالتدريج في سنيها التعليمية .

زادتْ مقدارَ دراسة اللغة العربية وآدابها ؛ لأنَّ اللغة العربية والأدب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنَّة والرابطة الأدبية في الشعوب الإسلامية ، ووجَّهت عنايتَها إلى تعليم اللغة العربية كلغةٍ من لغات البشر ، وكلغةٍ حيةٍ يُكْتَب بها ويُخْطَب ، لا كلغةٍ أثريةٍ عتيقةٍ ميتةٍ ، وألَّفت لذلك كتباً تُساعِد على ذلك ، وقد أقرَّ الناسُ بفضل الندوة في هذه الناحية .

قرَّرَتْ تدريسَ اللغة وبعض العلوم العصرية كالجغرافية والتاريخ والعلوم الرياضية والسياسية وعلم الاقتصاد ، ليطلع العلماءُ على مقتضيات العصر ، ويتسلَّحوا بالأسلحة الجديدة للدفاع عن الدين .

أنْسَتْ ما كان بين أهل المذاهب والطوائف الفقهية كالحنفية والشافعية وأهل الحديث مِن المشاجرات ودواعي العصبية ، ونجَحَتْ في ذلك نجاحاً تاماً ، فلا تشمُّ

= القبوريُّ الخرافيُّ المعروف : الشيخ أحمد رضا خان البَرِيْلَوِي ، والذي كان مِن ألَدِّ أعداء « ندوة العلماء » وأشدِّ الحاقدين على علمائها ، حارب « ندوة العلماء » لمَّا رأى أهدافها تتصادم مع آرائه وأفكاره البدعية والخرافية ، فكفَّرَ جميعَ علماء الندوة كتكفيره لعلماء دِيُوْبَنْدَ وغيرها ، وأصدَرَ صحيفةً أسماها « التحفة الحنفية لمعارضة ندوة العلماء » وألَّفَ نحو مئة رسالةٍ وكتابٍ في الردِّ عليها ، وما زالَ أتباعُه المبتدعون الخرافيون القبوريون الجهلاء يُحارِبون « ندوةَ العلماء » ويكفِّرون علماءها ، لكن رغم ذلك كلِّه هم لا يستغنون عن مؤلَّفات العلماء الندويين ، يدرِّسونها في مدارسهم ، خاصةً منها ما يتعلَّقُ بتعليم اللغة العربية وآدابها ، ويأخذون من « ندوة العلماء » الأساليبَ الحديثة لتعليم اللغة والأدب .

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند : للأستاذ مسعود عالم الندوي ، ص(١٩٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

في دارها رائحةَ الخلاف والحِقْدَ المذهبي ، وترى الطلبةَ من كل مذهبٍ إخواناً متقابلين في قاعدة درسهم ودار إقامتهم جنباً بجنبٍ .

مبدأُ الندوة وشعارها أن تخرِّجَ من مدرستها رجالاً مبشِّرين بالدين القديم لأهل العصر الجديد ، شارحين الشريعة الإسلامية بلغةٍ يفهمها أهل العصر ، وبأسلوبٍ يستهوي القلوب ، أمّةً وسطاً بين الجامدين والجاحدين[1] .

---

(١) القراءة الراشدة : (٣/ ١٦١ ـ ١٦٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

منهج « نَدوَةُ العُلَمَاءِ »

نُضيف إلى ذلك هنا ما كتبه العلامةُ الندوي عن منهج ندوة العلماء في ضوء كتابات المؤسِّسين لندوة العلماء المخطِّطين لها ، وكأنها خلاصة مئات من الصفحات ، وصورة مصغَّرة لمؤسَّسةٍ كبيرةٍ . يقول ـ رحمه الله تعالى ـ :

« تقوم فكرةُ ندوة العلماء ودعوتها في الدين والعقيدة على الدين الخالص ، النقي من الشوائب ، البعيد عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وعلى العودة ـ في تلقّيه وفي فهمه ، وتفسيره ـ إلى منابعه الصافية الأولى ، ومصادره الصحيحة الأصيلة ، وفي العمل والسلوك ، على التمسُّكِ بلُباب الدين ، والعمل بأحكامه ، والتحلِّي بحقيقته وروحه ، والربانية المشرقة الصافية .

وفي تصوُّرها للتاريخ على أنَّ خير العصور هو العصر الذي ظهر فيه الإسلام ، والجيل المثالي هو الجيل الذي نشأ في أحضان النبوَّة ، وتخرَّجَ في مدرسة القرآن والإيمان الأولى ، وأنَّ السعادة كلَّ السعادة في الرجوع إليه والاقتداء به .

وفي نظرتها العلمية ، وفلسفتها التعليمية ، على أنَّ العلم وحدةٌ لا ينقسم إلى قديمٍ وحديثٍ ، وشرقيٍّ وغربيٍّ ، وإنْ انقسم ؛ فإنما ينقسم إلى صوابٍ وخطإٍ ، ونافعٍ وضارٍّ ، وأصولٍ وفضولٍ ، وغاياتٍ ووسائلٍ .

وفي موقفها من الأخذ والترك ، والانتفاع والاقتباس ، على التعليم النبوي الحكيم : « الحكمة ضالَّةُ المؤمن فحيثُ وَجَدَها فهو أحَقُّ بها »[1] ، وعلى المبدأ القديم الحكيم : (خُذْ ما صفا ودَعْ ما كَدُرَ) .

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، برقم (٢٦٨٧) ، وقال : هذا حديث غريب . وابن ماجه في أبواب الزهد ، باب الحكمة ، برقم (٤١٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

وفي مجال الدفاع عن الإسلام ومواجهة تحدِّيات العصر ، على الإرشاد الرباني : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وفي أسلوب الدعوة إلى الله ، وعرض محاسن الإسلام ، وإقناع العقول ، على الوصية الحكيمة المأثورة : (كلِّموا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله)[1] .

وفيما اختلف فيه السَّلفُ من مذاهب وآراء ، على التحقيق والتطبيق ، وإحسان الظنِّ لهم ، والتماس العذر لهم ، وترجيح ما هو أوفق بالكتاب والسنَّة ، وأقرب إلى جمع الشمل ، وأبعد عن الفرقة والتنافر ، وأقرب إلى مصلحة الإسلام الاجتماعية . .

وبالجملة فالندوة أقرب إلى مدرسة حكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدِّهْلوي (م١١٧٦هـ) العلمية والفكرية ، والكلامية والفقهية .

وبذلك فهي مدرسةٌ فكريةٌ شاملةٌ ، أكثر من مركزٍ تعليمي يقتصر على تعليم الكتب ، أو العلوم أو اللغات ، ونقل بضاعة العلم من جيلٍ إلى جيلٍ ، ومن طبقةٍ إلى طبقةٍ[2] .

---

(١) كلمة مأثورة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) صحيفة « الرائد » الهند ، ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٠١هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

اتصال « نَدْوَةُ الْعُلَمَاءِ » وعنايتها بالعالم العربي المسلم

كان مِن توفيق الله تعالى ونتيجة اتصال المتخرِّجين من دار العلوم التابعة لندوة العلماء الوثيق القريب بالأقطار العربية الإسلامية ، وما يصدر من أقلام كُتَّابها وقادَتها السياسيِّين ، والثقافيِّين ، والأدباء والمثقَّفين من كتبٍ ورسائل تدُلُّ على وجودِ مركّب النقص فيما يتصل بصلاحية الإسلام وتعاليمه لقيادة هذا العصر المتقدِّم في العلوم والفنون ، والصناعة والإبداع ، وما طرأ على الشعوب والمجتمع من تطوُّراتٍ وثوراتٍ ، ومقاومة ما ظهر في كتاباتهم من كون « العلمانية » هو الملجأ الوحيد والطريق السديد لقيادة الشعوب والبلاد ، وكون كثير من القادة والكتَّاب العرب فريسة « القومية العربية » التي تدعو إلى اللجوء إلى العهد الجاهلي الذي لم يكن فيه فصلٌ بين الأديان ، وبين الكفر والإيمان .

ووفَّقَ الله مجموعةً من المتخرِّجين منها والمُنتمين إليها ، إلى الدعوة الإسلامية الصريحة الواضحة ، والفكرة الإسلامية الأصيلة الصحيحة في العربية ، وصدر من قلم أبنائها المتخرِّجين رسائلٌ وكتبٌ صريحةٌ قويةٌ ، نالت كلَّها إعجابَ القرَّاء العرب ، واعترافهم ، نذكر بعضها على سبيل المثال الذي فيه خطابٌ صريحٌ بليغٌ إلى القادة والمثَّقفين العرب ، وهي :

١ ـ إلى الراية المحمَّدية أيها العرب !

٢ ـ اسمعوها منِّي صريحةً أيها العرب !

٣ ـ أحاديثٌ صريحةٌ مع إخواننا العرب والمسلمين .

٤ ـ كارثةُ العالم العربي وأسبابها الحقيقية .

٥ ـ اسمعي يا مصر !

www.abulhasanalinadwi.org

٦ ـ اسمعي يا سورية !

٧ ـ اسمعي يا زهرة الصحراء !

٨ ـ العرب والإسلام .

٩ ـ إلى الإسلام من جديدٍ .

١٠ ـ أجاهلية بعد الإسلام أيها العرب ؟!

١١ ـ كيف يستعيد العربُ مكانتَهم اللائقة بهم !

١٢ ـ كيف دخل العربُ التاريخ ؟

وهذه الرسائل والكتب كلُّها للعلامة أبي الحسن الندوي[1] .

١٣ ـ الإسلام الممتحن .

١٤ ـ المنهج الإسلامي السليم .

١٥ ـ تَنَاقُضٌ تحار فيه العيونُ وتَطابُقٌ يُسَرُّ به المؤمنون .

١٦ ـ إلى القيادة العالمية .

١٧ ـ أضواء على الطريق .

١٨ ـ مع الحقيقة .

وهذه الرسائل والكتب كلُّها للمرحوم الأستاذ محمد الحسني مُنشِيء مجلة « البعث الإسلامي » .

ومن توفيق الله تعالى للمتخرِّجين من هذه المؤسسة والمسؤولين أيضاً ، وضعَ

---

(١) وقد بلغ عددُ هذه الرسائل الدعوية والفكرية والإصلاحية باللغة العربية أكثر من (١٠٠) رسالة ، والبعضُ منها مقالاته والبعض محاضراته ، وقد جمعها المؤلِّفُ في كتبٍ مستقلةٍ مصحَّحاً و منقحاً ، وقد صدرت بعنايته مجموعةُ مقالاته ورسائله بعنوان « مقالات إسلامية في االفكر والدعوة » في جزأين ، ومجموعة محاضراته بعنوان « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (في ثلاثة أجزاء ضخمة) من دار ابن كثير بدمشق .
وقد جمع المؤلِّفُ هذه الرسائل التي خاطب فيها العلامةُ الندوي القادة المثقفين العرب في كتاب سمَّاه « اسمعوها مني صريحة أيها العرب ! (وهو عنوان لإحدى رسائل العلامة نفسها في الكتاب المذكور) وقد صدر من دار ابن كثير بدمشق في سلسلته « من تراث العلامة الندوي » .

www.abulhasanalinadwi.org

منهجٍ دراسيٍّ للغة العربية ، والأدب العربي ، يجمع بين الدين والأدب ، يغرس العقيدةَ الإسلامية وتحسينها[1] ، والإعجاب بها في نفوس الأحداث والناشئة الإسلامية من حيث أنها لا تشعر بثقلها ، لذلك قال بعضُ كبار الأدباء والكتَّاب الإسلاميِّين : إنَّه « علم الكلام للأطفال »[2] واعترف بإبداع هذا الأسلوب وطرافته بعضُ كبار أدباء العرب ، ومؤلِّفيهم ، كالكاتب الإسلامي الشهير سيِّد قطب ، وأديب العربية الكبير العلامة الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمهما الله ـ[3] .

عناية « ندوة العلماء » بالصحافة الإسلامية العربية :

أمَّا الصحافةُ الإسلامية العربية فقد أولتها ندوةُ العلماء قسطاً كبيراً من العناية والاهتمام ، وأصدرتْ أولَ مجلَّة عربيةٍ راقيةٍ في هذه البلاد ، تضارع المجلَّات العربية الصادرة في العواصم العربية الكبرى ، بل وقد تفوقها من بعض الاعتبارات ، وهي مجلَّة « الضياء » ، وبعدها أَصدرتْ مجلَّاتٍ وجرائد أخرى أيضاً ومنها والجديرُ بالذكر :

١ ـ مجلَّةُ « الضياء » الشهرية التي صدرت بإرادة أدباء « ندوة العلماء » الكبار ، والتي كانت مجلَّةً فكريةً وأدبيةً قيمةً ، حازتْ الثقةَ والتقديرَ من أوساط الأدب الإسلامي في مصر والشام ، ومن شخصياتها الإسلامية الكبيرة ، واستمرَّتْ لمدَّة سنواتٍ ثم انقطع صدورها لأسباب قاسرة ، وكان مُنشئها ورئيس تحريرها الأستاذ محمد مسعود الندوي[4] ، وكان شاركه في رئاسة التحرير العلامةُ الندوي أيضاً .

٢ ـ ومجلَّةُ « البعث الإسلامي » : وهي مجلَّةٌ علميةٌ عربيةٌ إسلاميةٌ تصدر من دار

---

(١) كسلسلة « قصص النبيين » للأطفال ، و « القراءة الراشدة » و « قصص من التاريخ الإسلامي » للعلامة الندوي ، و « منثورات من أدب العرب » و « مختار الشعر العربي » و « الأدب العربي بين عرض ونقد » وتاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) » للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي و « تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) » للأستاذ محمد واضح رشيد الندوي .

(٢) الأديب الأردني الكبير ، والفيلسوف الشهير الشيخ عبد الماجد الدريابادي ، انظر ترجمته في الفصل الثاني لهذا الباب ، ص (٨٩١) .

(٣) أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية . . . في الهند : للعلامة الندوي ، ص(٤٨ ـ ٤٩) .

(٤) انظر ترجمته في الفصل الثاني لهذه الباب ، ص(٨٨٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

العلوم شهرياً ، وتتحلّى بمقالات كبار رجال الفكر والدعوة ، وأساطين العلم والأدب في العالم العربي والإسلامي ، هدفُها الوحيد تنشئة جيلٍ مسلمٍ جديدٍ لا يمتُّ إلى الحركات الجاهلية المعاصرة والشعارات المُضِلَّة بأيِّ صلةٍ ، ولا يؤمِن إلا بالإسلام وحده ، أنشأها ورأسَ تحريرَها فقيدُ الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني[1] ، ثم رأسَ تحريرَها وإدارتها سعادة الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي »[2] ، ويُشاركه الصحافيُّ الإسلامي الكبير الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي[3] ، والمجلّة اليوم في عامِها التاسع والأربعين .

٣ ـ صحيفةُ « الرَّائدُ » : وهي أولُ صحيفةٍ عربيةٍ صدَرَتْ من الهند ، تُعْنَىٰ بأخبار المسلمين عامةً ومسلمين الهند خاصةً ، وتقدِّم أبحاثاً قيمةً في لغةٍ أدبيةٍ سهلةٍ ، تصدُرُ مرّتين في الشهر من مؤسَّسة الصحافة والنشر في دار العلوم . وقد حُظيت هذه الصحيفةُ في عمرها القصير بقبولٍ حسنٍ ، في الأوساط العربية والإسلامية ، أنشأها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي[4] ، ويُشرِف على إدارتها وتحريرها الدكتورُ سعيد الأعظمي الندوي ، والأستاذ محمد واضح رشيد الندوي ، والشيخ عبد الله الحسني الندوي[5] ، وهي اليوم في عامها الخامس والأربعين .

* * *

(١) انظر ترجمته في الفصل الثالث لهذه الباب ، ص(٩٠١) .
(٢) انظر ترجمته في الفصل الثالث لهذه الباب ، ص(٩٠٥) .
(٣) انظر ترجمته في الفصل الثالث لهذا الباب ، ص(٩٠٤) .
(٤) انظر ترجمته في الفصل الثالث لهذا الباب ، ص(٨٩٩) .
(٥) انظر ترجمته في الفصل الثالث لهذا الباب ، ص(٩١١) .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

دار العلوم - ندوة العلماء

كما يراها كبارُ علماء العرب وأدبائهم

لقد أشادَ بحركة « ندوة العلماء » ودار علومها عددٌ وجيهٌ من رجال الفكر والدعوة ، وأساطين العلم والأدب في البلاد العربية والإسلامية ، وقد أحسن منهم أديبُ العربية الكبير العلامة الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ في وصفه لـ« ندوة العلماء » ودار علومها بقوله :

« . . . والندوةُ مثل الشاب الناشىء في طاعة الله ، مالها قِدَم الأزهر ، ولا لها مثل أمجادها ، ولكنها أسِّسَتْ من أول يومٍ على التقوى ، رُسِمَ لها الطريق السَّوي فمشَتْ فيه ، لا الطريق انحرَفَتْ بها عن الغاية ، ولا هي تنكَّبَتْ الطريقَ ، كان طريقاً وسطاً بين « الأزهر » بعدما شاخ وتخلَّفَ شيئاً قليلاً عن الركب ، ومعهد « دِيُوْبَنْدِ » في الهند الذي أُقِيم على غِرَاره ، ومشى يتبعه في مساره ، وبين جامعة « عَلِيْكَرَاه » التي أنشأها السَّرْ سيِّد أحمد خان لتساير الزمان ، فلم تجمُدُ الندوةُ جمودَ « ديوبند » و« الأزهر القديم » ، ولم تسل وتمع ميعانَ عليكراه ، بل أخذَتْ مِن طرفي الأمور أحْسَنها ، وكانت تجربةً كتب الله لها النجاح »[1] .

وأفاض الداعيةُ الصبور ، العالمُ الموسوعي ، الفقيهُ المُعاصِر : الدكتور يوسف القرضاوي بقوله في « ندوة العلماء » :

« . . . إنَّها الندوةُ التي اتخَذَتْ شعارَها : الاستفادة من كلِّ قديمٍ نافعٍ ، والترحيب بكلِّ جديدٍ صالح ، والجمعُ بين الإيمان الراسخ والعلم الواسع ، والثبات على الأهداف والغاياتِ ، والتطوُّرُ في الفروع والآلات ، والأخذ ممَّا صفا من التراث ، وترك ما كدر منه .

---

(١) في مقدَّمته لـ« في مسيرة الحياة » للعلامة الندوي (١/ ١١ ـ ١٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

لقد كانت مشكلةُ التعليم الأساسية في العالم الإسلامي : أنَّه يقوم على نوعَين متناقضين من المؤسَّسات .

إحداهما : تمثِّلُ القديمَ الموروث ولا تعرف العصرَ ، ولا تُحسِن التعاملَ معه .

والأخرى : تمثِّلُ العصرَ بتيَّاراته ومعارفه وتوجُّهاته المادية والعلمانية ، ولا تعرف التراثَ وقِيَمَه وعقائده ومُثُله .

كان هناك (التراثيون) الماضيُّون الذين يقولون : ما ترك الأوَّلُ للآخر شيئاً ، وليس في الإمكان أبدَعَ ممَّا كان ! فلا اجتهادَ في الفقه ، ولا إبداعَ في الأدب ، ولا ابتكارَ في العلم ، ولا اختراعَ في الصناعة ، ولا تجديدَ في الدين ولا في الحياة .

ويُقابِلهم (العصريُّون) الذين يريدون أن يجدِّدوا كلَّ شيءٍ ، وهم الذين قال لهم محمَّد إقبال : « إنَّ الكعبة لا تجدَّدُ » ، وقال عنهم الرافعي : « إنَّهم يريدون أن يجدِّدوا الدينَ واللغةَ والشمسَ والقمرَ ! » .

وهنا كان الدورُ المبارك لندوة العلماء ؛ لتقوم بدور التوفيق بين الجانبين ، وتطعيم كلِّ واحدٍ منهما بعناصر من الآخر ؛ فقامت الندوةُ فحلَّتْ عقدةَ الصراع بين القديم والجديد ، بين الموروث والوافد ، بين الماضي والحاضر ، وجمَعَتْ بين التراث والعصر ـ أو بين الأصالة والمعاصرة ، كما يقال اليوم ـ ورفعت شعاراتِ الجمع والتوفيق والوسطية التي أشرنا إليها »[1] .

وصوَّرَ العالِمُ الأديب الشاعر ، وفقيد الأدب الإسلامي : الشيخ محمَّد مجذوب ، ما تقوم به دار العلوم ـ ندوة العلماء ، والذي زارها أكثرَ من مرَّةٍ وتعرَّفَ على شؤونها وطلابها ، فيقول :

« . . . إنَّها لتجربةٌ رائدةٌ ، نهضت بها تلك المؤسَّسةُ فقدَّمَتْ للعالم الإسلامي أنموذجاً للتربية والتعليم يستحِقُّ الدراسةَ ، ويُمكنه أن يُقيم لدعاة الإصلاح معالمَ على الطريق ذاتَ دلالاتٍ لا تُنكَر .

ولقد حفلت مناهجُ النَّدوة بكلِّ جديدٍ مفيدٍ من العلوم العصرية إلى جانب المقرَّرات الإسلامية الضابطة ، مع مراعاة الاحتمالات النفسية لطالب العلم ، ألا إنَّ

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : ص(٢٥ ـ ٢٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

عامل التفوُّق في عملها هو دستورها التربوي الذي جمع بين التعليم والتطبيق على أفضل الوجوه ، وأنَّ في خِرّيجيها الذين تسنَّموا أرفعَ المنازل بين أساطين العلم في العالم الإسلامي كلِّه لأبرز الأدلَّةَ على أنَّنا منها تلقاءَ واحدٍ من أنجح المشروعات التعليمية في هذا العصر »[1] .

وكذلك أجادَ المفكِّرُ الإسلامي الكبير ، والكاتبُ الموسوعي النابه : الأستاذ أنور الجندي وصفَ « ندوةِ العلماء » ودارِ علومها يُبرِزُ فيه اهتمامها البالغ بتعليم اللغة العربية وآدابها ، فيقول :

« . . . لندوة العلماء خصوصيةٌ وتميُّزٌ مِن بين غيرها من المدارس والجامعات التي تأسَّسَت بأيدي فطاحل العلماء ، وأولي العلم والرأي ممَّن أحسُّوا بالخطر الداهم والشرِّ المتفاقم ، من انتشار الثقافتين المتناقضتين ، وشعروا بالحاجة الماسَّة إلى منهاجٍ معتدلٍ من التعاليم والثقافة ، يُنشيء الشبيبة المسلمة على الأخلاق والآداب الإسلامية المرضية ، ويكون جيلاً متضلِّعاً في علوم الكتاب والسنَّة ، يأخذ بنصيبٍ من العلوم العصرية ، واللغة الإنكليزية ، حتى يكون أهلاً لتأدية الواجب الديني والعلمي على أحسن ما يُرجى من الشابِّ المسلم في هذا العصر ، ومِن أجل هذا الهدف أسَّسَت الندوة ؛ جامعة دار العلوم تحت إشرافها .

ومن خصائص دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ الَّتي لا تُنازِعها فيها مدرسةٌ ولا كليةٌ ولا جامعةٌ في طول البلاد وعرضها : أنها ـ لأول مرة في تاريخ الهند الإسلامية ـ اهتَمَّتْ بتدريس اللغة العربية كلغةٍ حيةٍ إنشاءً ونطقاً ، وكان مِن نتيجة ذلك أنْ ظهَرَتْ في الأمةِ طبقةٌ من العلماء قادرةٌ على الإعراب عمَّا في ضمائرها بلغةِ الضَّاد نطقاً وكتابةً ، ولا تزال دار العلوم التابعة لندوة العلماء حاملةَ بيدها لواء لغة القرآن ، باذلةَ الجهد المستطاع في خدمة هذه اللغة الكريمة[2] » .

فهذه ندوةُ العلماء بدار علومها ، وحقيقةُ دورها في التعليم والدعوة والإصلاح بشهادة العلماء المتابعين لسَيرها ، المطَّلِعين على أعمالها وحركتها ، يشهدون لها بالنجاح والتوفيق ، وهي المؤسَّسة العلمية الكبرى الَّتي قام على إشرافها وتوجيهها

---

(١) رجال ومفكِّرون عرفتهم : (١/ ١٢٥) .
(٢) العلامة أبو الحسن الندوي في مرآة كتاباته ومحاضراته : (٥ ـ ٦ ـ ٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة أبو الحسن الندوي منذ ما يقرب من أربعين عاماً ، وتلامذته بعده ، مُحتسبين الأجرَ والمثوبة عند الله تعالى ، ضارِبين المثلَ الأعلى لعزيمة الدعاة والمعلِّمين في العصر الحديث .

ولم يكن تأسيسُ دار العلوم التابعة لندوة العلماء بعد تأسيس « ندوة العلماء » بخمس سنواتٍ إلاَّ خطوة عملية نحو تحقيق إنجازاتها العلمية والأدبية والدعوية والفكرية ، وقد اتسع نطاقُها على مرِّ الأيام . . . وتشعَّبَتْ فروعها[1] ، وتنوَّعَتْ أغراضُها حتى تحوَّلَتْ إلى جامعةٍ علمية وتربويةٍ كبيرةٍ .

* * *

(١) وهي تزيد عن أكثر من مئة وخمسين في داخل الهند ، وأمَّا خارجها فهي عشرة أو أكثر من ذلك .

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثالث :

أعلامُ « نَدوةُ العُلَمَاءِ »

لقد نشأتْ من متخرِّجي دار العلوم التابعة لندوة العلماء جماعةٌ مختارةٌ فنهلت من الينبوعين ، وتضلَّعَتْ من الموردين القديم والجديد ، وقامت بأعمال مشكورة وخدمات جليلة معروفة في عرض الإسلام بأسلوبٍ حسنٍ ، وإبراز محاسنه بطُرقٍ تُوافِق روحَ العصر ، حتى أصبَحَ لها مقامٌ مرموقٌ في الأدب الإسلامي الهندي ، وقد ذاعَتْ واشْتَهَرت مؤلَّفاتُ الندوِّيين ونالت حظوةً لدى المتعلِّمين الجُدُدِ بوجهٍ خاصٍّ ؛ وذلك أنَّ المشايخ الجامدين لا يزالون متمسِّكين بنصوص الفقهاء المتأخِّرين ، غير عارفين بأحوال العصر ومقتضياته ، فلا يلتفت الناشئةُ الجديدة إلى ما يكتبون ويقرِّرون في دروسِهم .

أمَّا المُنتسبون إلى ندوة العلماء المتشبِّعون بهذه الفكرة الندويَّة المعتدلة ، فجعلوا الكتابَ العزيز والسنَّة النبوية أصلاً لهم وسنداً ، يرجعون إليهما في حلِّ المعضلات وفتح أبواب المشكلات ، وفي جانبٍ آخر لا ترعبهم حذلقةُ المتجدِّدين وتعويلهم على النظريات الغربية في كتبهم ومقالاتهم ، فإنَّهم تذرَّعوا بتلك الأسلحة الجديدة حتى زاحموهم فيها ، فجاءت مؤلَّفاتُهم ثابتةً على أساس الكتاب والسنَّة ، رافلةً في حلل الأساليب الحديثة العصرية . وذلك سِرُّ نجاح مصنَّفاتِهم وتلقِّي المتعلِّمين لدعوتهم بالقبول[1] .

ويشهد التاريخُ : أنَّ علماء الندوة صمدوا في وجه كل تيارٍ فكري ، وتصدّوا لكل حركةٍ هدَّامةٍ تنسف الفكر الإسلامي ، وقاوموها بما كان في وسعهم ، باللسان والقلم ، فخلَّدوا آثاراً لا تُمحى في تاريخ الكفاح الإسلامي ، وأضافوا ثروةً غنيةً إلى المكتبة الإسلامية ، ومثَّلت «ندوة العلماء» دوراً فعّالاً لمواجهة نسف التضامن الإسلامي إثر الحرب العالمية الأخيرة ، وفتنة القاديانية والمسيحية ، وإنكار الحديث الشريف ، والتنافر بين رجال المذاهب الفقهية ، وتفشي البدع والأوهام ، وأخيراً

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند : الأستاذ مسعود الندوي ، ص(١٩٨ ـ ١٩٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

تعديل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند ، وغير ذلك من مسائل حيوية ، سواء أكانت علاقتها بالعلم أو الاجتماع ، فكانت كل مسألة من هذه المسائل تنال الأرجحية من علماء ندوة العلماء وخرّيجيها .

وقام السَّلفُ مِن رُوَّاد حركة الندوة بأعمال جدية لا تقل جهودهم عن جهود أكاديميات علمية ، فتحمَّلوا هذا العبءَ الجسيم بأنفسهم ، فكانت أعمالهم بمثابة معالم في الطريق ، سار عليها خَلَفُهم[1] .

كتب الداعيةُ الكبير الشيخ يوسف القرضاوي في موضعٍ يتحدَّث عن « ندوة العلماء » وأعلامها ، فيقولُ :

« ومِن حُسن حظِّ الندوة : أنَّ الله تعالى هيَّأ لها ـ منذ تأسيسها ـ رجالاً كباراً ، أقاموها على قواعدَ مكينةٍ ، وأُسُس متية ، لا تنهار بسهولة ، وقد كانوا كباراً في العلم ، كباراً في الفكر ، كباراً في الدِّين ، كباراً في الخُلُق ، كباراً في العزيمة والطموح ، ابتداءً من العلامة شبلي النعماني ، والعلامة عبد الحي الحسني ، والعلامة سليمان الندوي ، والعلامة عبد العلي الحسني ، إلى العلامة أبي الحسن الندوي ـ رحمهم الله جميعاً ـ ، وكلُّهم قِمَمٌ شامخة .

هؤلاء الكبار كوَّنوا تلاميذَ لهم أشربوا روحَهم ، واقتبسوا من ضوئهم ، وتخلَّقوا بأخلاقهم ، فساروا على نهجهم ، فأنشأ الله تعالى بهم مناخاً علمياً إيمانياً منفرداً في الندوة ، لا تجده في أيِّ مدرسةٍ أو جامعةٍ أخرى ، كما أوجدت المعلِّمَ المؤمن برسالته ، المحبَّ لمهنته ، المتجاوبَ مع طلبته . . . »[2] .

فيجدرُ بي أنْ أتحدَّث في هذا المبحث عن أبْرَزِ وأشهر من أنجبته دارُ العلوم ـ ندوة العلماء ـ من العلماء الفطاحل ثقافةً وعلماً ، وحركةً وجهاداً دائباً في سبيل إعلاء كلمة الله ، وإعادة المسلمين إلى مكانتهم بين الأمم بالقيادة والتوجيه من خلال الكتابة والخطابة والتأليف والتصنيف ، والذين لهم فضلٌ كبيرٌ للأمة الإسلامية بما قدَّموه لها من انتاجاتهم العظيمة ، فأكتفي هنا بذكر البعض منهم أعرِّفُ بهم في تراجمهم المختصرة . وأبرزُ خدماتهم الجليلة في الميادين المختلفة .

---

(١) ندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة : للعلامة الندوي ، ص(١٢ ـ ١٣) .
(٢) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : ص(٢٦ ـ ٢٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

١ ـ العلامة الشيخ محمَّد علي المُوْنكِيْرِيّ :

هو العالمُ الربَّاني ، والمُصلِح الكبير : العلامة السيِّد محمد علي بن عبد العلي الحسني ، كان مِن كبار المُخلِصين ، والعلماء الربَّانيِّين الذين شعروا بتغيُّر الأحوال والأوضاع في العالم الإسلامي ، ونهضوا للتجديد في مناهج التعليم الديني[١] .

وهو الذي أسَّسَ ندوةَ العلماء في سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٣م) ، وأنشأَ دار العلوم التابعة لها في عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) .

وكان له منذ أيام الطلبة والتدريس إلمامٌ بما يجري حوله من الحوادث وتيَّارات ، وكان يتبَعها بعقلٍ واعٍ ونفسٍ حسَّاسة ، ورأى نشاطَ القُسُوس المسيحيين ، ودعاة « التبشير » في نشر النصرانية ، وتشكيك المسلمين في عقيدتهم ودينهم ، ورأى خطرَ ذلك على الشباب وأبناء المسلمين ، فأقبل على دراسة النصرانية ومراجعها وحُجَجها ، وشمَّر عن ساق الجدِّ للردِّ على القسوس والمبشِّرين[٢] .

وكان قد اطَّلَع ـ في أثناء ردِّه على المسيحية ومناظراته مع القسوس والمبشِّرين ـ على مواضع الضعف في صفوف العلماء ، والذين تقع عليهم مسؤوليةُ الدفاع عن الإسلام ، وعلى مداخل الفساد والزيغ والإطار بانتشار التعليم الجديد في البلاد ، وكانت فتنةُ التكفير[٣] وخصومات العلماء المذهبية ، وتنازع الطوائف الإسلامية قد بلغت أوجَها في هذه الفترة ، وقد أصبحت المدارسُ والمساجدُ مركزَ حروب داخلية ، وازدحمت المحاكمُ بالقضايا الخلافية ، التي يرفعها المسلمون ، ويحكم فيها القُضاة المسيحيون والحكَّام الوثنيون ، ورأى وجودَ العلماء على المنهج الدراسي القديم الذي يسمَّي في شبه القارة الهندية بالدرس النِّظامي[٤] ، وعضَّهم عليه بالنواجد مع شدَّة

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية . . . : للعلامة الندوي ، ص(٨٤) ، هامش .

(٢) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : (٣/ ١٣٦٨) .

(٣) حملَ لواءَها في شبه القارة الهندية المُبتدِعُ القبوريُّ المعروف أحمد رضا خان البَرِيْلَوِي ، وقد تحدَّثنا عنه وعن أتباعه في هامش تقريظ الدكتور القرضاوي ، ص(٢١ ـ ٢٢) ، وفي هذا الباب ص(٨٥٣) ، ص(٨٥٦) اقرأه لزاماً لتكون على علمٍ بفتنة هذه الجماعة التي تزداد نشراً يوماً فيوماً في العالم الإسلامي .

(٤) وهو منهجٌ ينتمي إلى العلامة نظام الدين الأنصاري الفِرَنْكِي مَحِلِّي (المتوفى سنة ١١٦١هـ) ، =

www.abulhasanalinadwi.org

حاجة العصر إلى تطويره وتنقيحه ، فحمله كلُّ ذلك على تأسيس ندوةٍ للعلماء لتبادل الفكر والرأي ، وتنسيق الجهود في إصلاح التعليم والمسلمين ، ووهب نفسَه وعقلَه ، وعنايتَه لهذه الحركة ومركزها ، وأصبحتْ له الشغلَ الشاغل ، اشتغل بإدارة ندوة العلماء وتحقيق مشاريعها وأهدافها إلى أن استقال عام ١٣٢١هـ بسبب الأمراض التي لجَّتْ به ، والضعف الذي اعتراه .

قاوم الشيخ المونكيري حركة « القاديانية » في ولاية « بِهَار » وألَّفَ الرسائلَ والكتب في الردِّ عليها ، ووقعت مناظراتٌ بين علماء القاديانية وبين علماء أهلِ السنَّة في سنة ١٣٣٠هـ ، واهتمَّ لها الشيخُ اهتماماً كبيراً ، ولقيت القاديانيةُ في هذه المناظراتِ هزيمةً منكرةً .

توفِّي ـ رحمه الله ـ عام ١٣٤٦هـ . له مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ بالأردية[1] .

٢ ـ العلامة شبلي النعماني :

هو المحقِّقُ الباحث الأديب ، الشاعر المنشيء ، الكاتب القدير ، الخطيب البارع ، المؤرِّخ الكبير ، المتكلِّم ، المفكِّر ، المصلح ، السياسيُّ المحنَّك ، الأخصائي المعروف في التعليم ، الثوري تجاه كثيرٍ من متطلبات ومقتضيات العصر الراهن ، كان يشبه السلفَ في العلم ، وجودة التأليف ، وحسن التنسيق[2] .

تخرَّج على يديه أفذاذٌ من الفضلاء ، منهم الجدير بالذكر : مولانا أبو الكلام آزاد ، والعلاَّمة السيِّد سليمان الندوي ، والشيخ عبد الماجد الدَّرْيَابادي ، والأستاذ عبد الباري الندوي ، والأوَّلان شهيران في العالم الإسلامي ، ولكنّ الآخرين قد باهى بهما مَن كتبوا عن الرجل ، فهما إذاً كبيران جليلان ، وفَضْلُ هذه الندوة قد امتدَّ بعد رحيل العلامة ؛ إذْ أنجبَتْ مِن الفضلاء مَن تردَّدَ ذكرُهم في محافل العلم ، ومنهم

= يلتزم تدريسَ الفلسفة والمنطق ، وأصول الفقه وعلم الكلام ، ويُعنى به عنايةً خاصةً ، ويُلتزَم اليومَ معه أيضاً بتدريس الحديث الشريف وعلومه دراسةً مقارنةً ، ومحاكمةً استدلاليةً ، مع إثبات المذهب الحنفي وترجيحه .

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : (٣/ ١٣٦٩ ـ ١٣٦٧) بزيادةٍ تصرُّفٍ يسيرٍ .

(٢) شبلي النعماني علامة الهند الأديب ، والمؤرِّخ الناقد الأريب : للأستاذ محمد أكرم الندوي ، ص(٨٦) بتصرُّفٍ وزيادة .

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة أبو الحسن الندوي ، والأستاذ مسعود عالم الندوي ، والأستاذ أبو اللَّيث الندوي ، وغيرهم .

وللعلامة النعماني خدماتٌ جليلة مشكورة في سبيل إنهاض المسلمين مِن كبوتهم ، وتثقيف عقول الناشئة ونشر معارف الإسلام ، والدفاع عن حظيرة الدين . هو الذي تعهَّدَ دار العلومَ التابعة لندوة العلماء من أوَّلِ يومها ، ونشَّأها أحَسَن تنشئةٍ ، وغذَّاها بعلمه وقلمه ولسانه ، وهو الذي بثَّ فكرة الاعتدال والجمع بين القديم والجديد وعمَّمَها بمجلَّة « الندوة » الشهيرة التي كان يحرِّرها بنفسه[1] .

وقد أكَّدَ العلامةُ النعماني بعد تولِّي عمادة ـ دار العلوم ـ ندوة العلماء سنة ١٩٠٣م على تعليم اللغة العربية الحديثة فيها ، التي لا تختلف في جوهرها عن اللغة القديمة ، وإنَّما هي امتدادٌ لها ، والواقع : أنه لا فرقَ بين اللغتين القديمة والحديثة إلا في بعض الأساليب التي فرضها واقعُ التطوُّر والحياة المتجدِّدة . وبدأ العلامةُ تدريسَ اللغة العربية في دار العلوم كلغةٍ حيَّةٍ ، يتدرَّبُ الطلابُ على النطق والكتابة بها ، ولكنَّه لم يحرز في ذلك نجاحاً كبيراً ، وإنَّما أمكَنَ دار العلوم بعده تحقيق حلمه ، حتى أصبحتْ في عهد العلامة أبي الحسن الندوي أحدَ مراكز اللغة العربية وآدابها ، لا في الهند وحدها ، بل وفي العالم الإسلامي بأسره ، وتعتزُّ دار العلوم : أنَّ أول اجتماعٍ لرابطة الأدب الإسلامي العالمية عُقِدَ في رحابها ، ودام أمينَها العام العلامة أبو الحسن الندوي ورئيساً للرابطة طولَ حياته[2] .

توفِّي العلامة النعماني ببلدة (أعظم كَرَهْ) عن سبع وخمسين سنةً من عمره عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) ، هزَّتْ وفاتُه الهند كلَّها مِن أقصاها إلى أقصاها .

للعلامة النُّعماني آثارٌ هامةٌ في السيرة ، والتاريخ ، والأدب ، وكانت مؤلَّفاتُه التاريخية قد بلغَتْ حدَّ الروعة ؛ لأنها جمعتْ بين الاتجاه السلفي في تتبُّعِ الروايات الصحيحة والاتجاه المعاصر في نقْد كلّ ما يروى نقداً علمياً ينتهي إلى حقائقَ تُعْتَبر بعد تمحيصها الدقيق من قبل المسلَّمات[3] .

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند : ص(٢٠٦) .
(٢) شبلي النعماني علامة الهند الأديب . . : ص(١٤٣) .
(٣) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين : (٤/ ١١٤ ـ ١١٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

ومِن أعظم مآثر العلامة العلمية ؛ تأليفه « السيرة النبوية » هو آخر كتابٍ تشَرَّف بتأليفه ، كان ينوي أن يُتمَّه في عدَّة أجزاء حتى يستقصي الموضوعَ من جميع نواحيه ، ولكنَّه لم يؤلِّف إلا جزأين حتى وافاه الأجل ، ثم قام بعده تلميذُه العلامة السيِّد سليمان الندوي بإتمام الكتاب في سبعة مجلَّدات كبار . ألَفَّ العلامةُ النعماني هذا الكتابَ العظيم ردّاً على الكُتب التي ألَّفها المستشرقون المسيحيون الحاقدون على الإسلام ، والناقمون على نبيِّه ، والتي أثاروا فيها شبهاتٍ واهية حول حياة النبيِّ ﷺ تنمُّ عمَّا تكنُّ صدورهم[1] وقد نُقِل هذا الكتاب إلى اللغة الإنكليزية والتركية ، وياحبَّذا لو نُقل إلى العربية .

وحين كتَبَ المؤرِّخ النصراني جُرْجِي زيدان خمسةَ مجلَّداتٍ بعنوان « تاريخ التمدُّن الإسلامي » وكان في ظاهر كتاباته مع الإسلام إلا أنَّ كتاباته تضمَّنَتْ سموماً نفثها ضدَّ الإسلام ، وتُرجِم كتابه إلى الإنجليزية والأردية ، قام العلامةُ النعماني فكتَبَ رسالةً بالعربية ، نقد فيها هذا الكتابَ باسم « الانتقاد على التمدُّن الإسلامي » وقد تُرجِمَتْ الرسالةُ فيما بعد إلى الأردية .

٣ ـ العلامة الشيخ عبد الحي الحسني :

هو علاَّمة الهند ، ومؤرِّخها الأكبرُ : الشيخ عبد الحي الحسني ، والدُ العلامة أبي الحسن الندوي ، وقد أفضنا الحديث عنه في الباب الثاني حين تحدَّثنا عن أسرة العلامة الندوي ، فالحديث هنا عنه يكون بمناسبة موضوع الباب فقط .

إنَّ صفحاتِ تاريخ « ندوة العلماء » صفحاتٌ مشرقةٌ في عهد الشيخ عبد الحي الحسني ، وقد استطاع بحول الله أن يطوِّرها في جميع المجالات التعليمية ، ويوسِّع إطارَها أكثر مما كان قبل ، عُني بجلب الأساتذة الماهرين الحاذقين في علومهم وفنونهم ، وكانت الصلةُ بينه وبين علماء الدين الراسخين المتعمِّقين ، والأساتذة البارعين المشهورين وطيدةٌ ، وهي من خلال مؤلَّفاته التاريخية المشهورة ، وسمعتهِ الطائرة في أرجاء الهند والأوساط الدينية والعلمية .

ارتبط الشيخُ عبد الحي بندوة العلماء منذ نشأتها ، وبذل جهوده لرقيها ، مساعداً

---

(١) شبلي النعماني علامة الهند ، الأديب . . : ص(٢٠٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

أو نائباً للأمين العام حتى اختير الأمين العام ، إنَّ ولوعه بالندوة وشؤونها قد بلغ أقصى حدٍّ ، فكان يخصِّصُ معظمَ أوقاته لتدبير شؤونها وبثِّ الوعي الثقافي في الطلبة ، وسعىٰ بكلِّ ما توفَّرَ لديه من إمكانياتٍ لتسهيل أمور الطلبة والأساتذة[1] .

على أنَّ جهود الشيخ في الندوة لم تقف عند حدودٍ ، على الرغم من أنها ـ ولاسيّما في المرحلة التي عاصرها الشيخُ الحسني ـ كانت أهلاً لأن تستنزف وقته كله . . لكنَّه ـ جزاه الله خيراً ـ كان يحسُّ بمسؤولية عامة تجاه المسلمين ، ونحو مسلمي الهند بصورة خاصة .

وكان يعتقد : أنَّ حياة المسلم لا بدَّ أن تكون حياةً حافلة ثرة خصبة متنوعةَ العطاء ، ممتدةَ الجذور والأغصان ، ضاربةً في أكثر مناحي الإصلاح .

وكان له ـ في ذلك ـ من رسول الله ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة ، فالرسول علَّمنا ـ بأقواله وأفعاله ـ أن تكون حياتنا كلها ـ ليلها ونهارها ـ موجَّهة لخدمة الحق ، لا انفصامَ بينها ، ولا تناقُضَ بين جوانبها .

ومِن هنا اتَّجه الشيخُ إلى خدمة العلم ، وذلك في الوقت نفسه الذي كان فيه يعمل في المجتمع المسلم بكل ما يستطيع .

فكَّرَ ـ أول مرَّةٍ ـ في اللغة التي سيكتب بها كتابه القيِّم « نزهة الخواطر . . . » في أعلام الهند ومشاهيرها العظام ، فكَّرَ في الفارسية ، وفكَّرَ في الأردية ، وفكَّرَ في الإنجليزية . . ثم رأى ـ في ضوء فراسته الإيمانية والعلمية ـ أنَّ اللغة العربية هي اللغة التي كتب الله لها الخلود والانتشار والبقاء على أصالتها وصياغتها العربية الفصحى على مرِّ العصور بفضل القرآن الذي نزل بها[2] .

. . . لقد كدَّ خلال فترة تأليف هذا الكتاب ـ هو ما يقرب ثلاثين عاماً ـ وسهر الليالي ، ووضع فيها تراجم لأكثر من أربعة آلاف وخمسمائة عالم من العلماء والمؤلِّفين ؛ إذ جمع فيه (٤٥٠٠) ونيف ترجمة .

---

(١) العلامة السيد عبد الحي الحسني مؤرِّخ الهند الأكبر : للدكتورة قدرة الله الحسني ، ص(١٦٩) .

(٢) انظر مقدِّمة الدكتور عبد الحليم عويس لـ« العلامة السيد عبد الحي الحسني . . . » ص(١٢ـ١٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

وللشيخ غير هذا المؤلَّف العظيم كُتُبٌ في تاريخ الهند وثقافتها ، وفي الحديث والأدب وفي موضوعات مختلفة ، وتحدَّثنا عن كلٍّ واحدٍ منها في الباب الثاني[1] بعرض تعريفٍ وجيزٍ ، والبعض منها قد طُبع في مجمع اللغة العربية بدمشق .

توفِّي ـ رحمه الله ـ بمدينة لكهنؤ عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) .

٤ ـ الدكتور عبد العلي الحسني :

لقد كان مثالاً نادراً لما تخيَّله المُصلِحون في الشرق وما تمنَّوه ، وما قامت به دعوةُ ندوة العلماء من الجمع بين القديم والجديد ، والدين والدنيا ، ورسوخٍ في العقيدة واستقامة في الدين ، وتضلُّعٍ من العلوم القديمة والحديثة ، وسعةِ آفاق العلم والثقافة ، وتصلُّبٍ في المبادىء والغايات ، وتوسُّع في الوسائل والآلات ، واقتباسِ العلوم النافعة ، وأخذٍ بالحديث الأحدث من المعلومات والاكتشافات .

انتخب الدكتور عبد العلي عضواً في لجنة ندوة العلماء التنفيذية عام (١٩٢٣م) ، وانتخب نائب المدير عام (١٩٢٨م) ، وقد قطَعَتْ ندوةُ العلماء ودارُ العلوم أشواطاً بعيدة زمنَ إدارته وإشرافه ، وفاق عصرُه جميعَ العصور ، وأضحت مؤسَّسةً عالمية لها شهرتها ومكانتها في العالم الإسلامي .

وكان كبيرَ الاعتناء وعظيمَ التقدير للحديث النبوي الشريف ، يرى : أنه يملأ فراغاً في الحياة الدينية لا يملؤه غيره ، وأن من عاش بعيداً عنه عاش في إفراط وتفريط ، وأخطأ فهمَ الدين .

وكان شديدَ العناية باللغة العربية ونشرها وتعليمها في الهند ، وكان له سعيٌ مشكورٌ في تغيير منهاج دراستها في دار العلوم ، والاستفادة من الأساتذة العرب وتشجيعهم في تعليمهم اللغة العربية على الطريقة الصحيحة الموافقة للطبيعة .

وكان يتمتَّعُ بثقة واسعة واحترام عام، وكانت شخصيتُه غير مُنازعٍ فيها ، فإذا انعقدت حفلةٌ ذات خطر ، وأراد القائمون عليها أن يتفادوا الخلاف اختاروه رئيساً لها ، ووافق على ذلك الحاضرون من غير اختلافٍ .

---

(١) انظر صفحة (١٤٢ ـ ١٤٣) ، وصفحة (٨٢٤ ـ ٨٢٦) في الباب الخامس .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان من أبرز مزاياه وسماته ؛ حميَّتَه الإسلامية والاهتمام بأموال المسلمين وشدَّة التعلُّق بالعالم الإسلامي ، كأنَّه كان عاملاً بالحديث النبوي المعروف : « مَن لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم »[1] ، وكان شديد العطف على قضايا العالم الإسلامي ، مقدِّراً للجهاد أينما كان ، حريصاً على المساهمة فيه ، شارك في جهاد فلسطين بتبرعات أسرتِه ، وكذلك في جهاد الجزائر ، فقد جمع التبرعات من أعضاء أسرته وأولاده وأرسلها إلى ممثِّل حكومتها المؤقَّتة في الهند .

ولم يزل على ذلك حتى انحرفت صحتُه في الزمن الأخير وأصيب بضغط الدم وأمراض القلب حتى وافاه الأجلُ المحتوم في ٢١ من ذي القعدة ١٣٨٠هـ (١٧ من مايو ١٩٦١م) ، وخلَّف وراءه ولدَه الوحيد الأستاذ محمد الحسني منشيء مجلة « البعث الإسلامي »[2] وخمس بنات ، وأخاً أصغر هو العلامة أبا الحسن الندوي ، وصلَّى عليه جمعٌ حاشدٌ يبلغ عدده الآلاف[3] [4] .

٥ ـ العلامة السيِّد سليمان الندوي :

لم يبرزُ بَعْدَ العلامة شبلي النعماني أحد مثلهَ في أعلام الندوة وعلمائها بل في أعلام الهند غير العلامة السيِّد سليمان الندوي ، والذي كان تلميذُه النابغ الألمعي ، والذي كان يُشبه أستاذَه تشابُهَ ابن تيمية وصاحبه ابن القيِّم .

والذي قال فيه محدِّثُ العصر الإمام أنور شاه الكشميري ـ رحمه الله ـ : « إذا جُمِع عِلمُ الغزالي والرَّازي إلى ورعِ الجُنَيد والشِّبْلي تكوَّنَ منه سليمان الندوي » .

وأشاد بمكانتِه العلمية المرموقة شاعرُ الإسلام محمد إقبال قائلاً :

« يتبوَّأ السيد سليمان الندوي اليومَ أعلى مدارج حياتنا العلمية ، إنَّه ليس مجرَّدَ عالمٍ ، بل هو أمير للعلماء ، وليس بكاتبٍ فحسب ، بل إنَّه إمام الكتَّاب والمؤلِّفين ،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٧٠) برقم (٧٤٧٢) ، وفي الصغير (٢/ ١٣١) برقم (٩٠٧) من حديث حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

(٢) انظر ترجمته في هذا الباب ، الفصل الثالث ، ص(٩٠١) .

(٣) شخصيات وكتب : للعلامة الندوي : ص(٦٤ ـ ٧١) ، بتصرُّف واختصار .

(٤) قد سبقت ترجمته المفصَّلة في الباب الثاني ، في صفحة (١٤٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ شخصه بحرٌ للعلوم والمحاسن تخرُج منه مئاتٌ من الأنهار ، وتستقي منه ألوفٌ من المزارع اليابسة »[1] .

يقول فيه تلميذه العلامة أبو الحسن الندوي :

« كان العلامة سليمان في مقدِّمة المتخرِّجين مِن دار العلوم لندوة العلماء وفي طليعتهم . وعلى رأسهم والذي كان من كبار علماء العالم الإسلامي في عهده على الإطلاق ، ومن كبار قادة الفكر الإسلامي ، ومن النوابغ والأدباء والكتَّاب ، ومن قادة حركة التحرير .

وكان راسخاً في العلوم العربية وآدابها ، عاليَ الكعب ، دقيقَ النظر في علوم القرآن وعلم التوحيد والكلام ، واسعَ الاطلاع ، غزيرَ المادة في التاريخ وعلم الاجتماع والمدنية ، منشأ صاحب أسلوب أدبي في اللغة الأردية ، كاتباً مترسِّلاً في اللغة العربية ، شاعراً مقلاً في اللغتين ، مع إحسان وإجادة ، حليماً صابراً يقهر النفسَ ، ويتسامح مع الأعداء والمعارضين ، ضعيفَ المقاومة في شؤونه الشخصية ، يتحمَّلَ ما يرهقه ويشقُّ عليه .

كان مِن كبار المؤلِّفين في هذا العصر ، ومِن المُكثرين من الكتابة والتأليف مع سعة علم ، ودِقَّة بحثٍ وتنوعِ مقاصدٍ ، رأسَ مجمعَ دار المصنِّفين بأعظم كَرَه زمناً طويلاً »[2] .

ولم يكن العلامةُ السيد سليمان من كبار المؤلِّفين في « السيرة النبوية » لعصره فحسب ، بل كان من أبرزِ المؤلِّفين في السِّيَر والتاريخ الإسلامي بكامِله ، وقد كان من مزاياه ، أنَّه وسَّعَ نطاقَ السيرة من سَرْدِ الأحداثِ وبيانِ الشمائل ووصفِ العادات إلى الرسالة المحمَّدية والتعليمات النبوية والشريعة الإسلامية ، وبحث شعبها المختلفة ، وبهذا المنهج المنفرد الموسَّع الذي سلكه أستاذُه العلامة شبلي النعماني في المجلَّدين الأوَّلين السيرة النبوية ، وسلكه العلامةُ السيدُ سليمان في المجلَّدات الخمسة الباقية ،

---

(١) السيِّد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره ، وشيخ النَّدْوِيِّين : للدكتور محمد أكرم الندوي ، ص(١١٣ ـ ١١٤) .

(٢) الأضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية . . . في الهند : للعلامة الندوي ، ص(٤٣ ـ ٤٤) ، بتصرفٍ يسيرٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

أصبح الكتابُ موسوعةً للسيرة لا يوجَد لها نظيرٌ في أيِّ لغةٍ من لغات المسلمين في العالم من أقصاه إلى أقصاه[1] .

وقد انتقل في آخر حياته ـ قبل انتقاله نهائياً إلى باكستان ـ إلى إمارة بُوْفَال ، وشَغَل مناصب رئيس القضاة والمستشار للشؤون الدينية ، ومكث هناك أربع سنوات ، ثم اشترك في إعداد الدستور لجمهورية باكستان الإسلامية ، وقام بإرشاد هذا البلد الفتي دينياً[2] .

توفِّي بكراتشي عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) وشيِّعت جنازتُه بجمعٍ حافلٍ من العلماء والأعيان .

له كتبٌ قلَّما يُوجَد لها نظيرٌ في لغة من اللغات ، وكتاب « خطبات مَدْرَاسْ » (ترجمتها العربية « الرسالة المحمدية »[3]) و « سيرة عائشة »[4] و « حياة مالك »[5] و « أرض القرآن »[6] و « صلات الهند ببلاد العرب » وغيرها من الكتب والرسائل ، و « الرسالة المحمَّدية » قلَّما يُوجَد لها نظيرٌ في القوَّة والتأثير وفي جمالِ التعبير ، وبثِّ حلاوة الإيمان ، وتوثيق الصلة بذات النبي ﷺ ، وهو عُصارةٌ لمكتبةٍ كاملةٍ في السيرة النبوية[7] .

٦ ـ العَّلامة عبد السَّلام الندوي :

هو العالم ، الثبت ، الثقة ، الشيخ الفاضل : عبد السلام بن دين محمد البَتْوِي الأعظمي الندوي ، أحد الأفاضل المشهورين ، درس في « ندوة العلماء » على كبار أساتذتها ، ثم قام بالتدريس فيها فترةً من الزمن . كان من الكتَّاب المرسَّلين في

---

(١) شخصيات وكتب : للعلامة الندوي ، ص(٥٥) .
(٢) المرجع السابق : ص(٥٧) .
(٣) وقد طُبع في دار ابن كثير بدمشق عام ٢٠٠٢م بعناية المؤلِّف .
(٤) نقلها إلى العربية الأستاذ محمد رحمة الله الندوي ، ونشرته دارُ القلم بدمشق عام ٢٠٠٣م .
(٥) ما زال بالأردية ، نرجو أن يقوم أحدٌ من الفضلاء الندويين بنقله إلى العربية .
(٦) نقله إلى العربية الدكتور محمد أكرم الندوي ، وسصدر من دار القلم بدمشق .
(٧) للاستزادة من الاطلاع على حياته العلمية يرجع إلى كتاب « السيِّد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره ، وشيخ الندوِّيين » للدكتور محمد أكرم الندوي ، طبع دار القلم بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

الأردية ، وجيز العبارة في رصانة ورشاقة ، يكتب عن طبع وسليقة ، وكان من تلاميذ العلاَّمة شبلي النعماني ، ومن اللذين قلَّدوا أسلوبَه في البحوث العلمية فنجحوا ، وكان يكتب في مجلة « الندوة » مقالاتٍ علمية قيمة نالت إعجابَ أهل العلم وحاز بها ثقةَ العلاَّمة شبلي النعماني ورضاه ، وناب في تحريرها عنه عدَّة شهور . كان عضواً نشيطاً لـ« دار المصنِّفين » في أعظم كَرَهْ (الهند) . توفي عام ١٣٧٦هـ .

ومن مؤلفاته القيمة بالأردية : « سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي » و « سيرة النبي ﷺ » و « انقلاب الأمم » (وهو ترجمة « سِرّ تطوّر الأمم ») و « أسوة الصحابة » و « شعر الهند » و « الإمام الرازي » .

٧ ـ الأستاذ مسعود علي الندوي :

كان عالماً كبيراً ، ومهندساً ماهراً ، وإدارياً خبيراً ، وكان معروفاً في الأوساط العلمية بذوقه الأدبي المرهف ، والظرافة في النفس ، والأناقة في الملبس ، وكان له صلاتٌ وطيدةٌ وصداقةٌ قويةٌ بكبار العلماء والزعماء والساسة أمثال مولانا أبي الكلام آزاد ، وجواهر لال نَهْرُو (رئيس وزراء الهند الأول) ، والدكتور ذاكر حسين (رئيس الجمهورية الأسبق) وغيرهم .

استفاد أيَّام دراسته في دار العلوم من العلاَّمة شبلي النعماني ، ولازمه طول حياته ، أقام في رحاب دار العلوم فترةً يُفيد ويستفيد ، ثم تولَّى إدارة « مجمع دار المصنِّفين » في أعظم كَرَهْ ، وظلَّ على هذا المنصب إلى أن استأثرت به رحمةُ الله عليه عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) .

لم يؤلِّف الأستاذ مسعود الندوي كتاباً ، ولكنَّه كان عوناً للمؤلِّفين والكتَّاب ، وسنداً لرُوَّاد البحث العلمي ، وله نصيبٌ كبيرٌ في كلِّ ما أنتجه أعضاء دار المصنِّفين ، وهو كبيرٌ وكثيرٌ .

٨ ـ الأستاذ معين الدين الندوي :

هو العلامة الكبير ، أديبُ اللغة الأردية ومنشئها ، ومؤرِّخ الإسلام : الشاه معين الدين أحمد الندوي المعروف بشرفه ، وتفوُّقه في الأدب والنقد ، واضطلاعه بتاريخ

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام ، وتواضعه الجمّ ، وغنى النفس ، وزهده المثالي ، وإصلاحه للبدع والمنكرات .

قد كانت حياتُه تاريخاً يزخر بألوانٍ عديدة من خدمة العلم والدين والأدب ، ويتصل باليقظة العلمية والدينية التي ظهرَتْ في القرن الهجري ، على يد نخبةٍ مباركةٍ من علماء ربَّانيِّين ، الغيارى على دينهم وتراثهم العلمي والحضاري ، أولئك الذين تَمَّ على يدهم تأسيس « ندوة العلماء » أداء لأمانة العلم والدين التي كانت تفرضها عليهم الظروف في ذلك الحين ، وتطلب منهم أن يبذلوا في سبيل ذلك كلّ ما يملكونه من وسائل وإمكانيات ، وكان في مقدّمتهم وعلى رأسهم : العالمُ الربّاني الكبير الشيخ محمد علي المُوْنكِيْرِي (والذي تحدَّثنا عنه في مستهلِّ هذا المبحث) الذي تولّى هذا العبءَ العظيم ، وساعده في ذلك العلاَّمةُ شبلي النعماني الذي حُظيت به « ندوةُ العلماء » في مجال العلم والأدب والتربية .

خلَف الشيخُ معين الدين الندوي العلاَّمةَ سليمان الندوي في إدارة « مجمع دار المصنِّفين » وفي التأليف والتدوين ، واستطاع أن يملأ ذلك الفراغَ الذي كان قد حدث بوفاة العلاَّمة سليمان ، استطاع أن يملأه بغاية من البراعة والكفاءة والدِّقة ، وأن يشغل منصب رئيس تحرير مجلة « معارف » بعده بجدارة ، وأن يُحافظ على مستواها العلمي والأدبي .

له مِن الآثار العلمية والأدبية ما تتجمَّلُ به المكتبةُ الإسلامية الأردية في بلاد شبه القارة الهندية ، منها : « المهاجرون » و« التابعون » و« دين الرحمة » و« حياة سليمان » و« تاريخ الإسلام » وغيرها من المؤلَّفات .

أمَّا مقالاتُه الافتتاحية التي كان يستهِلُّ بها كلُّ عددٍ من مجلَّة « معارف » فهي ذات قيمةٍ كبيرةٍ ، وأهميةٍ بالغةٍ ، أسلوبه يتسِمُ بالرُّوَاء والرَّشَاقة ، وقصر الجُمَلِ ، ونَصَاعة البيان ، وكتاباتُه تحمل مواد غزيرة من العلم والتاريخ والدين والأدب ، نُقِل كثيرٌ منها إلى لغاتٍ كثيرةٍ .

توفِّي الشيخُ عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) ، رحمه الله تعالىٰ .

٩ ـ الأستاذ عبد الباري الندوي :

كان مِنْ طليعة المتخرِّجين في دار العلوم ، ومن روَّاد الفلسفة الحديثة ، وكبار

www.abulhasanalinadwi.org

مُترجِميها في الهند ، ومن علماء بيان مقاصد الإسلام ومناهجه في الاقتصاد والعلوم الاجتماعية في هذا العصر .

كان متوقِّدَ الذكاء وذا بصيرةٍ نافذةٍ ، وتوليدٍ للأفكار والمعاني من كلِّ ما يقع تحت سمعه وبصره ، يعرف الدينَ والدنيا ، ويُجيد الفهمَ ، ويجيد القولَ ، ويجيد الكتابةَ ، وإنْ لم تَخْلُ كتاباتُه عن التفلسف بعض الحين لاشتغاله بالموضوع زمناً طويلاً .

قرأ الكتبَ الدراسية الدينية ، وقرأ كذلك إلى جانبها التاريخ والعلوم الحديثة والقديمة على العلامة شبلي النعماني ، واستفاد منه استفادةً تامةً وتأثَّر به تأثراً كبيراً ، ولازمه إلى آخر عمره ، وكذلك استفاد خلال دراسته في الجامعة من العلامة السيد سليمان الندوي .

ثم بدأ سلسلة الدراسة الواسعة للعلوم والفلسفة الحديثة حتى بلغ فيها مبلغاً عظيماً ، وخلال دراسة الفلسفة أُعجِب بشخصية بركلي ونقل كتابه : Principle of Human Knowledge. « مبادىء العلم الإنساني » إلى اللغة الأردية ، وألَّف كتاباً في شخصية بركلي ، علَّقَ فيه على أفكاره ، وأبرَزَ بعضَ النواحي الفلسفية .

مارَسَ الأستاذ عبد الباري في مجال التدريس في عدة جامعات هندية ومنها أولاً في كلية « بُوْنة » حيث درَّسَ بضعة شهور ، ثم في كلية أحمد آباد ، درَّسَ فيها اللغة الإنكليزية عدة سنوات ، وألقى خلال إقامته في هذه الكلية محاضرةً قيمةً باللغة الأردية بعنوان « الدين والعلوم العقلية »[1] التي نالت إقبالاً عظيماً لدى الأوساط العلمية ، وبذلك طارت شهرته ولمع اسمُه وسما نجمُه حتى وجِّهت إليه الدعوةُ من الجامعة العثمانية بحيدر آباد (التي كانت كبرى الجامعات في الهند يومئذ) أن يتولَّى تدريسَ الفلسفة الحديثة فيها ، فعكفَ الأستاذ على تدريس الفلسفة فيها عشرين سنة ، وبعد ذلك أحيل إلى المعاش ، وتفرَّغ للتأليف .

بعد التقاعد في الجامعة اتصل بالمُصلِح الكبير ، المربِّي الجليل الشيخ أشرف علي التَّهَانَوِي[2] ، وتأثَّر به روحياً ، ولم تزده الأيامُ والتجارب إلا إعجاباً بشخصيته ،

---

(١) نقلها إلى العربية الأستاذُ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، ونشرته دار وحي القلم بدمشق .

(٢) هو شيخ الهند ، العالم الفقيه ، المربِّي الجليل ، المصلح الكبير : الشيخ أشرف علي بن عبد =

www.abulhasanalinadwi.org

ولازمه إلى أنْ توفِّي ـ رحمه الله ـ ثم عكَفَ على تلخيص مؤلَّفاته ، والاقتباس منها ، ونظمها في أسلوبٍ كتابيٍّ عصريٍّ ، ومن أنفع تلك المؤلَّفات وأشهرها : « بين التصوف والحياة »[1] والذي نقله إلى العربية الشيخُ محمد الرابع الندوي .

توفِّي ـ رحمه الله ـ عن خمسة وثمانين من عمره الحافل بالأعمال العلمية سنة ١٣٩٦هـ بلكهنؤ ، وصلَّى عليه العلامة أبو الحسن الندوي بجمعٍ عظيمٍ من المسلمين .

وللأستاذ الندوي مؤلَّفاتٌ نفيسةٌ ، وقد نالت كلُّها قبولاً بالغاً واستحساناً كبيراً لدى الأوساط الدينية والعلمية في الهند وخارجها في العالم الإسلامي والعربي .

١٠ ـ الشيخ محمد أويس الندوي :

هو العالمُ الكبير ، المفسِّر الشهير ، محمد أويس النَّجْرَامي الندوي ، درَسَ في دار العلوم لندوة العلماء ، ولازم العلامة سيد سليمان الندوي واختصَّ به ، واستفاد منه في القرآن الكريم وعلومه استفادة خاصة ، وأخذ منه علماً جمّاً ومعلومات نادرة ، ثم قام بالتدريس في دار العلوم لندوة العلماء ، حيث ظلَّ فيها أستاذاً للتفسير نحو أربعين سنةً ، وتخرَّجت عليه جماعةٌ من الندويِّين الفضلاء .

كان الشيخ محمد أويس من كبار علماء الهند عرفه العالمُ العربي بكتابه القيِّم « التفسير القيِّم » ، الذي جمع فيه ما تفرَّق من تفسير القرآن للإمام ابن قيِّم الجوزية في مؤلَّفاته وكتبه المختلفة ، وعكف الشيخُ على دراسة القرآن والتأمل فيه يستخرج حقائقه ودُرَرَه ، كما كان شغوفاً بشيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية وتلميذه النابغة ابن القيِّم ،

= الحق التَّهَانوي العُمري ، المعروف في شبه القارة الهندية بـ« حكيم الأمّة » ، أحد كبار علماء هذه الأمة ، في إصلاح النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وإرشاد الناس إلى الدين الحنيف وتربيتهم تربيةً دينيةً محضة ، ودحض البدع والتقاليد الوثنية ، وتأليف الكتب الدينية النفيسة ، وإلقاء المواعظ ، لو تقدَّمت ولادته قُروناً لعُدَّ في صَفِّ أعلام هذه الأمّة أمثال ابن الجوزي ، والسيوطي وابن قيِّم الجوزيه وغيرهم . قد زادت تآليفه على آلف مؤلَّف ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . كان لمواعظه تأثيرٌ كبيرٌ لا يوجد له نظير في العصر الأخير ، في إصلاح النفس ، وتقويم الأفكار ، ومقاومة البدع والخرافات . توفي عام ١٣٦٢هـ عن (٨١) سنة ، رحمه الله رحمةً واسعة .

(١) وقد طُبع في دار الفارابي بدمشق بعناية المؤلِّف .

www.abulhasanalinadwi.org

يشرح ما أودعا في مؤلَّفاتهما من أسرار ودقائق لتلاميذه ويُحَبِّبُ إليهم دراسة آثارهما .

خلَّف الشيخُ كتباً مهمةً في المكتبة الإسلامية منها « التفسير القيِّم » و« العقيدة السنية » في عقيدة التوحيد ، شرح العقيدة الحسنة ، وكانت عنده ملكة في البحوث والمقالات العلمية ، وتحقيق المسائل واستخراج الحقائق .

وكانت له نيةٌ في إفراد تفاسير ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ولكن وافته المنية عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) قبل أن تتحقق هذه الأمنية .

١١ ـ الأستاذ مسعود عالم الندوي :

هو رائدُ الصحافة العربية ، وزعيمها في شبه القارة الهندية ، والكاتب الأديب المؤرِّخ الصحافي الإسلامي ، وكان من الرعيل الأول من روَّاد الأدب العربي في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، زاملَ العلاَّمة أبا الحسن الندوي في الدراسة والسكن في دار العلوم .

كان وسيعَ الاطلاع ، وشديدَ الحماسة ، وقد بلغت حماستُه للقضايا الإسلامية ، والآداب العربية إلى درجة الحميَّة .

اختَصَّ أيام دراسته في دار العلوم بالعلاَّمة السيِّد سليمان الندوي ، والشيخ تقي الدين الهلالي المُرَّاكشي ، وتخرَّج عليهما ، استفاد من الآخر في اللغة العربية وآدابها ، فاغترف من بحر علمه، ونهل وعَلَّ من معينه الصافي ، ثم درَّسَ في دار العلوم فترةً ، ثم غادر إلى باكستان تلبيةً على دعوة « دار العروبة » في لاهور ، والتي كانت تابعةً للجماعة الإسلامية ، وقام هناك بترجمة عديدٍ من كتب الشيخ أبي الأعلى المودودي بالعربية ، وله فضلٌ كبيرٌ في تعريفه كُتبه في البلاد العربية .

توفِّي بلاهور عام ١٣٧٣هـ عن عمر يناهز أربع وأربعين .

كان ـ رحمه الله تعالى ـ سلفياً في الأصول والفروع ، محبّاً لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ومدافعاً عن الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب ـ رحمهما الله ـ ، وكارهاً للاستعمار البريطاني أشدَّ الكراهية ، وحريصاً على إعادة الخلافة الإسلامية ، والحكم الإسلامي ، وعاملاً له ، ومجاهداً في سبيله ، وكان كثير الإعجاب بالأمير شكيب أرسلان ، والعلاَّمة رشيد رضا المصري .

www.abulhasanalinadwi.org

له كتبٌ قيمةٌ بالعربية ، منها « الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب شخصية مفترى عليه » و « تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند » ومئاتُ المقالات المبعثرة في كبرى مجلاَّت وجرائد العالم العربي والإسلامي ، كـ« الرسالة » لحسن الزيات ، و « الثقافة » لأحمد أمين ، و « حضارة الإسلام » للدكتور مصطفى السباعي ، و « الضياء » والتي كان يحرِّرها، ليتها تُجمع في كتابٍ مستقلٌ يستفيد منها المهتمُّون بالصحافة العربية الإسلامية .

١٢ ـ الشيخ عبد السَّلام القُدْوَائي النَّدوي :

هو العالمُ المربِّي ، وأحد كبار أهل العلم والأدب في الهند ، وكانت له بصيرةٌ بالأمور والحقائق ، واطلاعٌ على الأصول والأحداث ، وكان مِن أنجب تلاميذ العلاَّمة السيد سليمان الندوي ، وزميلَ العلاَّمة أبي الحسن الندوي في الدراسة ، وكان على عُمْقَ نظره ، وسلامة تفكيره ، وغزارة مادته كان ذا أخلاق عالية ، وفضائل إنسانية .

تخرَّج الشيخُ عبد السلام في « ندوة العلماء » ، ثم قام فيها بالتدريس فترةً ، وتولَّى كذلك إدارةَ شؤون التعليم لها ، وكان مستشاراً علمياً ل « دار المصنِّفين » بأَعْظَمْ كَرَهْ ، انتدبته الجامعةُ المِلِّيَّةُ الإسلامية (في دِلْهِي) كرئيسٍ للقسم الديني والدراسات الإسلامية في الجامعة نظراً إلى مكانته العلمية والدينية ، وخدماته الجليلة في مجال التعليم والتربية ، فشغل هذا المنصبَ الديني والتربوي حتى أيام تقاعده .

توفِّي الشيخُ عام ١٣٩٩هـ عن حياةٍ حافلةٍ بأعمالٍ جليلةٍ وخدماتٍ مشكورةٍ في مجال العلم والتربية ، رحمه الله تعالى .

ومن آثاره العلمية التاريخية القيمة باللغة الأردية : « العالم قبل الإسلام وبعده » و« مختصر تاريخ الهند » ، و« كيف كان حُكمنا » .

وكان بدأ تلخيصَ الجزء الأول من « سيرة النبي » للعلاَّمة شبلي النعماني ولكن لم تُمهِله المنيةُ أن يتم هذا العمل .

١٣ ـ الشيخ السيِّد محمد الثاني الحسني :

هو الداعية الكبير ، والعالم المُخلِص ، والمؤرِّخ البصير ، والمؤلِّف الحاذق ،

www.abulhasanalinadwi.org

والشاعر المطبوع (بالأردية) حافل القريحة (يسهل عليه النظم في مقاصد إسلامية وأغراض دينية ، أكثر شعره في الحمد والدعاء والمناجاة ومدح الرسول ﷺ ، وهو صاحب نشيد ندوة العلماء الذي يُنشَد في الاحتفالات والمؤتمرات[1]) وابن أخت العلامة الندوي الكبرى ، وكان يمتاز بكثير من خصائص أسرته وسماتها ومميِّزاتها .

وكان تلميذَ العلامة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي ـ رحمه الله ـ وخليفته في التسليك ، وكان الشيخُ عطوفاً عليه ، مَعنيّاً به ، وكان يمتاز بعاطفته الدعوية الإصلاحية الجيَّاشة ، والاهتمام بالتبليغ ، وقد استفاد أيام دراسته من مدرسة مظاهر العلوم ودار العلوم ندوة العلماء ، وكان يجمع بين محاسن المنهجين والمدرستين ، وقد رافق الداعيةَ الكبير الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (أمير جماعة الدعوة والتبليغ) طويلاً في أسفاره وجولاته ، وظعنه وإقامته ، وكان موضعَ ثقته ، مهتماً بعمل الدعوة والتبليغ[2] .

وقد رافق العلامةَ الندوي في معظم أسفاره أكثر من غيره من أفراد الأسرة .

توفِّي ـ رحمه الله ـ عام ١٩٨٢م ، فكانت حادثةُ وفاته حسب تعبير العلامةُ الندوي : هدَّت كيانَه وهزَّت قلبَه وعقلَه[3] .

ومن مؤلَّفاته بالأردية : « حياة الداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي » و« حياة المحدِّث خليل أحمد السهَارَنْفُوري » .

١٤ ـ الأستاذ أبو العرفان الندوي :

أحدُ كبار علماء الهندُ ، وأحدُ أساتذة ندوة العلماء الكبار ، كان مِن خير مَن يمثِّل الثقافةَ الندويَّة ـ التي تجمع بين التاريخ والأدب ، والعقيدة والكلام ، ومعرفة طبقات الرجال ، وتمتاز بالسَّعَة والمرونة والاعتدال والإنصاف ، والخبرة بواقِع الحياة ـ وكان في مقدَّمة من يمثِّل الندوةَ في الملتقيات العلمية ، التي تعقدها الجامعاتُ والمجامع

---

(١) العلامة السيد عبد الحي الحسني . . . : للدكتور قدرة الله الحسني ، ص(١٩٠) .
(٢) في مسير الحياة : للعلامة الندوي (١/ ٤١١) .
(٣) انظر « في مسير الحياة » (١/ ٤١١) .

www.abulhasanalinadwi.org

العلمية، فيترك أثراً حسناً عند أهل العلم، ويرسم صورةً لائقةً لعالمٍ عصريٍّ واسع الثقافة[1].

وكان له شغفٌ بدراسة تراث الإمام ابن تيمية والشيخ ولي الله الدهلوي ، وتاريخ الإسلام في الهند ، والتاريخ الإسلامي العام ، وكان عميقَ النظر في المناهج الدراسية في الهند الإسلامية ، والتطوُّرات التي مرَّتْ بها ، وكان يدعىٰ إلى الندوات العلمية العالمية والملتقيات الفكرية في كبرى الجامعات العصرية والمراكز الثقافية .

توفي ـ رحمه الله ـ عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م) . من مؤلفاته : « الأئمة الأربعة » و« علم الكلام » و« الثقافة الإسلامية في الهند » للعلامة عبد الحي الحسني (ترجمه من العربية إلى الأردية) .

١٥ ـ الأستاذ أبو الليث الندوي :

هو أميرُ الجماعة الإسلامية الأسبق في الهند ، وكان من أكثر رجال الدعوة الإسلامية عطاء .

درَسَ في «ندوة العلماء» ، وتخرَّجَ فيها ، ولازم الشيخَ تقي الدين الهلالي المرَّاكشي، والعلامة السيد سليمان الندوي ، واختصَّ بهما ، ودرَّس بدار علومها فترةً، ثم آثرَ التفرُّغ للبحث العلمي والكتابة والتأليف والنشاطات الإسلامية العامة ، واتصل بحركة الجماعة الإسلامية (لمؤسِّسها الشيخ أبي الأعلى المودودي) ، وقام بقيادتها في الهند بعد استقلالها . وقد كان ذا اهتمام كبيرٍ بالدعوة وفي غايةٍ من النشاط ، ذلك في بداية الخمسينات ، حينما كان يجري اتصالات ولقاءات مع الجهات المعنيَّة الكبيرة، ورجال العلم والدين والسياسة والاجتماع، ويدعوهم إلى دراسة برامج الجماعة وتأييد الهدف الذي تتوخَّاه الجماعةُ الإسلامية من خلال أعمالها وبرامجها، وله في هذا المجال مواقفٌ مشكورة، وخدمات لا ينساها تاريخُ الهند . وكان موصوفاً بالإخلاص والتواضع ولين الطبع، وكان يحمل عقلاً كبيراً في حلم وأناة.

عاش حياته جهاداً متواصلاً لخدمة دين الله وإعلاء كلمته ، ومارس في سبيل ذلك مهاماً متعددة ، ما بين التدريس والصحافة والإرشاد والدعوة .

توفي عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) عن عمر ناهز (٨٠) عاماً .

---

(١) في مسيرة الحياة : (٢/ ٢٤٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

١٦ ـ الأستاذ محمد ناظم الندوي :

كان مِن أبرز علماء باكستان وأدبائها بلا منازعٍ ، ولم يكن هناك من يُدانِيه في الآداب العربية والبراعة اللغوية ، فكانت له جماعةٌ من الأدباء والعلماء ممَّن تتلمذوا عليه ، واستفادوا منه في العربية .

كان مِن زملاء العلاَّمة أبي الحسن الندوي في الدراسة في دار العلوم ، وكان آخرَ عضو من الرعيل الأول للأدباء ، ممَّن أنجبتهم دار العلومُ في عهدها المبكِّر .

تعيَّنَ الأستاذ محمد ناظم في منصب رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في دار العلوم ، وظلَّ على هذا المنصب إلى مدَّةٍ لا بأس بها ، ثم قام بالتدريس في الجامعة العباسية ببَهَاوَلْفُوْر (باكستان) ، وبناء على مؤهّلاته الأدبية وتجربتها الطويلة في مجال تعليم اللغة العربية وآدابها انتدبته الجامعةُ الإسلامية بالمدينة المنوَّرة كأستاذٍ للأدب العربي في أيامها الأولىٰ ، فعمل على هذا المنصب إلى أنْ أُحيل إلى المعاش واستقرَّ في كراتشي ، ثم استوطنها . توفِّي عام ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م) عن عمر يُناهِز (٨٨) عاماً .

له كتبٌ ومقالاتٌ قيمة بالعربية ، ومنها « المنهج الجديد لدراسة اللغة العربية » في أربعة أجزاء ، والذي نال قبولاً في أوساط الأساتذة والطلاب جميعاً في المدارس الإسلامية والجامعات العصرية ، كما أنه نقل كتابَ العلاَّمة السيِّد سليمان الندوي في موضوع السيرة ، الذي كان ألَّفه باسم « خطبات مَدْرَاسْ » باللغة الأردوية ، نقله إلى العربية الجميلة بعنوان « الرسالة المحمدية »[1] تُعتَبر ترجُمتُه نموذجاً رائعاً للأدب الجميل .

وكان شاعراً مجيداً بالعربية ، وله ديوانٌ مطبوعٌ بعنوان « باقة الأزهار »[2] ، ظهرت قدرتُه على القوافي في قصيدته التائية في وصف روضة ، يقول في آخرها :

لعلَّ نُجومَ الفَلك لَمْ ترضَ أَنْ تَرى ... مثيلاً لها بالأرضِ في لَمعاتِ
فأوحتْ إلى أختٍ لها في سَمائِها ... لتُرسِلَ عليها الضَّوء باللَّفحات

---

(١) وقد طبع بعناية المؤلِّف في دار ابن كثير بدمشق .
(٢) طُبع في كراتشي .

www.abulhasanalinadwi.org

فكانتْ كما شاءتْ وزالَ بهاؤها وَجـفَّ بهـا مـا كـانَ مِـنْ قطـراتِ

وظهرت الواقعيةُ في وصف رجل القرن العشرين ماله وما عليه في قصيدةٍ طويلةٍ فيها خمسة وثلاثون بيتاً ، والاستعراض التاريخي في قصيدةٍ عن أخلاق اليهود فيها أربعون بيتاً ، وفي وصف الحضارة الغربية وإنكارِ الوجودية .

وكذلك ظهرت حميتُه الدينية في شعره في رثاءِ الملك فيصلٍ بن عبد العزيز الشهيد رحمه الله ، وقد نبع كلُّ هذا الشعر عن عاطفةٍ إسلاميةٍ قويةٍ وحميةٍ دينيةٍ .

www.abulhasanalinadwi.org

تأثير « نَدْوَةُ الْعُلَمَاءِ » على الآخرين

لقد أثَّرتْ دعوةُ «ندوة العلماء» وخدماتها في الجانب الفكري والدعوي على رجال العلم الآخرين خارجَ محيط «ندوة العلماء» أيضاً ، فقد اتبع عددٌ منهم أسلوبَها وساروا على منهجه في ذلك ، وكان إنتاجهم ثروةً علميةً وفكريةً إسلاميةً كبيرةً ، ومن أهمِّ هؤلاء المسايرين مع فكر «ندوة العلماء» : العالِم المفسِّر والكاتب الأديب والزعيم السياسي المحنَّك مولانا أبو الكلام آزاد ، والمفسِّر المشهور ، الأديب الأردئي الكبير : الشيخ عبد الماجد الدَّرْيَابادي ، أعرِّف في خِتام هذا المبحث بهذين العَلَمين الكبيرين باختصارٍ .

١ ـ مولانا أبو الكلام آزَادْ :

هو السياسيُّ البارز ، وأحدُ الأذكياء المعروفين ، والكتَّاب البارعين المعدودين ، وله مواقفٌ سياسية لامعة ، ومواقف علمية ساطعة ، ومواقف دينية ذات تأثيرٍ بالغٍ ، ولكنَّ بعض مواقفه الجريئة قد جذَبَ النفوس إليه شرقاً وغرباً على نحوٍ لم يُتَح لغيره من المواقف . إذا كان محمد إقبال رفع لواءَ الإصلاح عن طريق الشعر ، فكان مولانا أبو الكلام آزاد رفع لواءَ الإصلاح عن طريق كتاباته النثرية وخطاباته الحماسية .

لم تكن صلةُ مولانا آزاد بـ« ندوة العلماء » كصلة تلميذٍ ملتزمٍ بمدرسةٍ ، لكنَّه كان ذا صلةٍ بها فكرياً وعقلياً ، مكثَ فيها مدَّةً ، واستفاد خلالها من العلامة شبلي النعماني ، وتولَّى تحريرَ مجلَّة « الندوة » فترةً والتي كانت لسانَ حال «ندوة العلماء» .

يعَدُّ آزاد أحدُ كبار تلاميذ مدرسة العلامة شبلي النعماني الأدبية ، وكان كثير التأييد لحركة « ندوة العلماء » وشديدَ الإعجاب بفكرتها وأهدافها ، وعظيمَ الحبِّ والإجلال لعلمائها .

كان آزاد مُحبّاً للإمامين ابن تيمية وابن قيّم الجوزية ، ومتَّبعاً للسَّلف ، هو الذي

www.abulhasanalinadwi.org

سنَّ للناس في الهند في هذا القرن سُنَّة التفكير في الكتاب العزيز ، وبيَّن لهم مزايا العلم الصحيح الخالص مِن شوائب الجمود والتقليد ، ونوَّه بحملة السنَّة الصحيحة من المتقدِّمين والمتأخِّرين وأشاد بذكرهم ، فأخذت السلفيةُ الصحيحة ـ لا السلفية التقليدية العمياء ـ من قُلوب المسلمين وصفوة مختارة من علمائهم وحلَّت منها محلَّها اللائق بها .

وكان له سهمٌ كبيرٌ في تحرير الهند من الاستعمار البريطاني ، تولَّى بعد الاستقلال رئاسةَ البرلمان ، ثم وزارةَ المعارف ، توفِّي عام ١٣٧٧هـ .

كان مع علمه وإتقانه في العربية يكتب تأليفَه ومقالاته بالأردية ، وقد تُرجم منها البعضُ بالعربية ، مِن أهمِّ آثاره الخالدة ترجمته للقرآن ، وتفسيره باللغة الأردية[1] .

٢ ـ الشيخ عبد الماجد الدَّرْيَابَادِي :

هو الأديبُ الإسلامي الكبير ، والكاتبُ المعروف سواء في الأردية والإنجليزية ، والعالمُ بالعلوم الدينية ، وصاحبُ نظرةٍ نافذةٍ ومعرفةٍ واسعةٍ بالأوضاع والظروف التي مرَّ بها المسلمون . قدَّم للصحافة الإسلامية الأردية خدماتٍ جليلة من خلال إنشاء وتحرير الصُّحف والمجلَّات ، والكتابة فيها مقالاتٍ أدبية قيمة تُعَدُّ نموذجاً رائعاً في الأدب الأردئي اليوم ، وكان أسلوبُه في المقالات الأدبية والدينية والاجتماعية يُشبه أسلوبَ أديب العربية الكبير الشيخ علي الطنطاوي في مقالاته بالعربية .

كان الشيخُ الدَّرْيَابَادِي قويَّ الصلة بـ« ندوة العلماء » ، وشديدَ الإعجاب بالعلماء المتخرِّجين فيها ، وكان يَعُدُّ نفسَه واحداً من أبنائها ، وقد مَنَحَتْه الندوةُ شهادةً فخريةً عام ١٩٢٥م ، وفَازَ بها لقب «.الندوي » .

وله كتبٌ علميةٌ مهمَّةٌ في موضوعات مختلفة ، تتصلُ جانبَ كبيرٍ منها بالقرآن الكريم ، وأهمُّها تفسيره لمعاني القرآن الكريم ، وهو في اللغة الإنكليزية والأردية ،

---

(١) من يريد الاستزادة من الاطلاع عليه فليرجع إلى ما كتب عنه الدكتور عبد المنعم النمر (وزير الأوقاف المصري السابق) في كتاب مستقل له ، طُبع في مصر ، ومقال العلامة الندوي عنه في « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص(٢٤٦) ، وللدكتور محمد رجب البيومي مقال ضافٍ عنه في كتابه « النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين » (٣/ ٤٠ ـ ٥٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

فإنَّه يتسِمُ بطابع البحث العلمي الأمين ، والأسلوب الواضح المبين ، وهو يُعَدُّ اليومَ من أهمِّ التفاسير لدى الطبقة المثقَّفة الحاضرة ، وكُتبُه كلُّها تدور حول إثبات عَظَمة الإسلام الفكرية والدينية أمام الطبقات المتعلِّمة والمثقَّفة .

توفِّي بلكهنؤ عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) ، وصلَّى عليه العلامةُ أبو الحسن الندوي حسب وصية المرحوم في جمعٍ حاشدٍ .

وهكذا نجحت « ندوةُ العلماء » في مهمَّتها نجاحاً كبيراً لا يُستهان بقيمته ، وقد أنجبتْ خلال هذه المدَّة القصيرة منذ إنشائها هؤلاء الأعلام في الفكر والدعوة الإسلامية ، وأساطينَ العلم والأدب ، الذين كانوا خيرَ مثلٍ للعالم الإسلامي العصري الذين قامتْ بهم حجَّةُ العلوم الإسلامية على أهل العصر الجديد ، ورفعوا رأسَ علماء الدِّين عالياً بين طبقات المتعلِّمين المثقَّفين ، وقاموا بخدماتٍ جليلةٍ ، وعملوا في أنواع الميادين ، وأصناف الحقول . . . فمِن مجالات الخطابة والكتابة والتصنيف والتأليف ، إلى منصَّة التعليم والتدريس ، إلى حلقة التزكية والتربية ، إلى ميادين الصحافة والإدراة ، إلى مجالس الذكر والعبادة ، إلى ساحة السياسة الشائكة ، إلى طُرُق الاقتصاد الوَعِرة ، إلى حقول الأدب والتاريخ ، والعلم ، والدين ، وعِلم الكلام ، والفلسفة الدينية ، ودحضِ حُجَّة الضالِّين ضِدَّ الشريعة الإسلامية ، فلا ترى حقلاً من هذه الحقول لم يعملوا هم فيه ، أو وادياً لم يطؤوه .

لقد أحسَنَ وصفَ هؤلاء النَدْوِيِّين العلامةُ الشيخ علي الطنطاوي[1] ـ رحمه الله تعالى ـ حين قال :

> « . . . وهذا ما عليه جماعةُ الندوة ، اشتغالٌ بالعلم مع تثبيت الإيمان ، وإصلاحُ القلب ، وترفُّعٌ عن المعارك السياسية التي لا غايةَ لها إلا الوصول إلى كراسي الحكم ، يسلك أصحابُها إلى ذلك كلَّ طريقٍ ، المستقيم منه والملتوي ، ويتخذون كلَّ ذريعةٍ ، الطيبة والخبيثة ، والإسلام يريد أن تكون الغايةُ حسنةً ، وأن يكون الطريقُ إليها مستقيماً آمناً ، وأن يكون

---

(١) في مسيرة الحياة (في تقديمه) : (١/ ١٤) .

www.abulhasanalinadwi.org

أسلوبُ الدعوة بعيداً عن أساليب الأحزاب السياسية التي لا تبتغي إلا المناصب والألقاب ، عملها التزاحم عليها والتسابق إليها » .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثاني

العلّامة أبو الحسن النَّدْوِي

مفخر «نَدْوَة العلماء»

المبحث الأول : « ندوة العلماء » في عهد العلامة الندوي .

المبحث الثاني : تلاميذُ العلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abuhasanalinadwi.org

المبحث الأول :

« نَدوَةُ العُلَمَاءِ »

في عهد العلامة الندوي

إذا كانت غاية « ندوة العلماء » ورسالتها هي التي ذكرناها في الفصل الأول ؛ فإنَّ العلامة أبا الحسن الندوي كان مِن أعظم ثمار هذه الجامعة في العصر الحديث ، الذي عمل منذ سنوات طويلة على تناول كل ما يتّصل بقضايا الفكر الإسلامي ومعضلاته ، وكل ما يتّصل بالشبهات المثارة حوله . ولم يتوقّفْ ـ رحمه الله تعالى ـ منذ بَرَزَ اسمُه لأول مرة في الثلاثينات ، وهو منذ درج وأينما حلَّ صدعَ بكلمة الحقِّ ، وعرفه العالمُ العربي بزياراته ولقاءاته ، وعرفه بدروسه ومحاضراته ، وعرفه بكُتبه ومؤلَّفاته ، وعرفه بإيمانه وأخلاقه ، فأحبَّه وقدَّره كلُّ عربيٍّ مثقَّفٌ محبٌّ لدينه ، غيورٍ على أمّته ، وإنَّه لكان أهلاً لهذا الحبِّ والتقدير .

دَرَسَ العلامة الندوي في هذه الجامعة العظيمة ، ثم أصبح معلّماً وأميناً عاماً فمُشرفاً على شؤونها في حقبةٍ ليست بالقصيرة ، هي من أعظم الفترات وأخصبها (من عام ١٣٨١هـ حتى يوم وافاه أجله المحتوم) ، والفترة التي تولَّى فيها العلامةُ أمانةَ « ندوة العلماء » كانت من أهمِّ فترات الهند السياسية والاجتماعية ، فقد كادت الأحوالُ السائدة تقضي فيها على هذه الجامعة وعلى مثيلاتها من دُور العلم والدِّين في الهند ، بسبب وضع الإسلام المتدهور اقتصادياً وسياسياً فيها ، ولكنَّ الله سلَّم ولم يكتب لـ « ندوة العلماء » في هذا العهد البقاء وحده ، بل قدَّرَ لها أن تتقدَّمَ في مجالاتٍ مختلفةٍ من الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية في البلاد ، وعرَفَتْ أهمِّيَّتَها وضرورتها أكثر من السابق .

وحقَّقَتْ « ندوةُ العلماء » في عهد العلامة الندوي المشرق إنجازاتٍ وجيهة في كلِّ

www.abulhasanalinadwi.org

مجال من التعليم والتربية ، وشرح الحضارة الإسلامية ، وتفسير مقاصد الدين ، ومفاهيم الحياة الإسلامية ، وتصحيح مسار العلم والتحقيق ، وإبراز وجه الشريعة الإسلامية جميلاً نيِّراً من خلال ركام الأفكار والنظريات الباطلة ، إنَّه خطَّطَ الغرض الأصيل لـ« ندوة العلماء » بكل وضوحٍ ، ووضع كلَّ إمكانياته ومجهوداته في سبيل ذلك ، حتى وفَّقه الله تعالى لإعداد جيلٍ من تلاميذه المُخلِصين ممَّن ساروا معه على الدرب ، وتابعوه على الخطِّ المستقيم ، وساعدوه بكل ما استطاعوا من الطاعة والولاء ، فكانت « ندوة العلماء » في عهده مناراً شامخاً للعلم والدين ، والأدب والشريعة . ومثالاً فذّاً للجمع بين الإيمان الراسخ ، والعلم الواسع ، وحاملةً لراية العقيدة النيِّرة ، والعلم الحديث ، وداعيةً إلى تحكيم الشريعة في جميع شؤون الحياة ، وهاتفةً بهُتافها الوحيد « إلى الإسلام مِن جديد » .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني :

تلامذة العلاَّمة الندوي

يصعب إحصاءُ تلامذة العلاَّمة أبي الحسن الندوي ؛ لأنهم كثيرون لا يُحصون عدداً لا في الهند ولا في خارجها في العالم الإسلامي والعربي ، فكمٍ من الناس لم ينتظم في دروسه أو محاضراته ، بل لم يحضروه ولم يروه ، ولكنَّهم قرأوا كتبَه القيمة ، ورسائله الممتعة الماتعة ، وسمعوا بالإذاعات صرخاته المدوية وأحاديثه الصريحة في العالم الإسلامي والعربي وتأثروا بها تأثُّرَ التلميذ النجيب بالأستاذ المصلح العبقري ، أو الشيخ المربِّي ، ويكفي : أنَّ دار العلوم « ندوة العلماء » والتي ترأَّسَ ـ رحمه الله تعالى ـ أمانتَها أكثر من أربعين عاماً ، خرَّجت خلال هذه الفترة المديدة آلافاً من الطلاب الذين كانوا أجيالَ متواصلةً مستمرَّةً غرفوا من أنهار علومه ، وكلُّهم يدينون فيما يدينون لهذا الشيخ الجليل وشيخ هذه « الندوة » الكبير ، والذي كان عاش جُلَّ حياته فيها كمدرِّس وأستاذٍ ومديرٍ ومشرِفٍ ورئيسٍ .

لذا إحصاء عدد تلامذة العلاَّمة الندوي عملٌ عسيرٌ ، ومع هذا فإنه يمكن لنا في الصفحات القادمة تحديدُ بعض تلامذته النبغاء النجباء ، البارزين المرموقين الذين أثبتوا جدارتهم في حقل الدعوة والفكر الإسلامي ، وفي حلبة الكتابة والتأليف من خلال أعمالهم العلمية والدينية والأدبية .

١ ـ العلاَّمة الشيخ محمد الرابع الحسني النَّدْوي (خليفة العلامة الندوي) :

هو شيخُنا العلامة الشريف محمد الرابع بن رشيد أحمد الحسني ، ابن أخت العلامة الندوي وخليفته بعد، جمع بين العلم الغزير ، والثقافة الواسعة ، والأدب الجمِّ، أجمعت كلُّ القلوب على حبِّه واحترامه ، ضمَّ بين جناحيه كلَّ صفات الحكمة ، والعقل ، والنزاهة ، والزهد ، والبساطة ، وهو مثالٌ يحتذى في جميع هذا .

www.abulhasanalinadwi.org

وُلِد عام ١٣٤٩هـ ، ونشأ في بيته الذي يمتاز بالشرف والطهارة ، والتمسُّكِ بالكتاب والسنَّة ، والعلم والعمل ، وأتمَّ دراساته العالية والعليا في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، واستفاد خلال دراسته فيها من خاله العلامة الندوي بصورةٍ خاصةٍ ، ثم أرسله خالُه العظيم إلى الحجاز للاستفادة من مكتبات مكَّة المكرمة والمدينة المنوَّرة الكبيرة وعلمائهما الفطاحل يومئذٍ ، وللاشتغال بالعمل الدعوي ، فقضى في ذلك أكثرَ من سنةٍ .

تخصَّص الشيخَ الرابع في الأدب العربي وبرع فيه حتى أشير إليه فيه بالبنان ، واعتنى بتاريخ البلاد العربية ، وعلم الاجتماع التربوي اعتناءً بالغاً .

عيِّن أستاذاً مساعداً في كلية اللغة العربية وآدابها في دار العلوم ندوة العلماء عام ١٣٦٨هـ ، واشتغل بالتدريس فيها مدَّةً ، فكان أستاذاً يعشقه طلابُه ، ويرقبون درسَه بفارغِ صبرٍ ، ثم اختير رئيساً لها عام ١٣٨٢هـ ، وعمل مديراً لدار العلوم منذ عام ١٤١٣هـ إلى أن توفِّي خالُه العلامة أبو الحسن الندوي ، فاختير خلَفاً له في رئاستها عام ١٤٢٠هـ .

رافَقَ الشيخُ محمد الرابع ـ حفظه الله ـ العلامةَ الندوي في معظم أسفاره ورحلاته داخلَ الهند وخارجها ، وكان له مساعداً كبيراً في حلِّه وترحاله في أعماله الدعوية والعلمية والتأليفية ، وقد استفاد كثيراً من خلال تلك الأسفار بالاطلاع على الأسلوب الدعوي ، والمنهج العلمي ، والحكمة والآداب التي كان العلامة الندوي ينتهجها في أعماله الدعوية والأدبية والعلمية ، وللقاءات مع الشخصيات الهامة في العالم الإسلامي ، وقد أفاده ذلك في معرفته بكلِّ ذلك ليمكِّنه العمل به .

يُعَدُّ الشيخ محمد الرابع من كبار المؤلِّفين في شبه القارة الهندية في الفكر الإسلامي ، وعلم الاجتماع التربوي ، والتاريخ الإسلامي ، والأدب الإسلامي والعربي .

له بصماتٌ واضحةٌ ، ونشاطاتٌ جمَّةٌ ، يمارسها في خدمة الإسلام ، وفي الدفاع عن لغة الضَّاد ، وهو الآن الرئيس لدار العلوم ـ ندوة العلماء ، ورئيس مجلس الأحوال الشخصية في الهند ، ونائب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (في الرياض) والأمين العام لمجمع العلمي الإسلامي (بلكهنؤ) .

www.abulhasanalinadwi.org

من أهمِّ مؤلفاته القيمة بالعربية : « الثقافة الإسلامية المعاصرة » و« العالم الإسلامي اليوم قضايا وحلول» و « الأمة الإسلامية ومنجزاتها » و « التربية والمجتمع » و « منثورات في الأدب العربي » و « تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي ـ » و « الأدب العربي بين عرضٍ ونقدٍ » و « الأدب الإسلامي وصلته بالحياة » و « مختار الشعر العربي » .

نسأل الله تعالى أن يمدَّ في عمره ، ومتَّعه بالصحة والعافية لخدمة الإسلام والمسلمين بفضائله وجمائله ، ازدياداً وتزوُّداً من آثاره ومآثره .

٢ ـ الأستاذ محمد الحسني :

هو ابنُ أخ العلامة الندوي الأكبر[1] ، كان مِن كبار الكتَّاب الإسلاميِّين في العالم الإسلامي ، كان آيةً في النبوغ المبكّر ، والسليقة الكتابية ، وكان كاتباً مطبوعاً وأديباً موهوباً ، توصَّلَ إلى أسلوبٍ خاصٍ يجمع بين الرشاقة والاسترسال ، وقوَّة العاطفة والحماس ، وكانت أكثر مقالاته عفوَ الساعة ، فيض الخاطر .

دَرَسَ على عمِّه الجليل العلامةِ أبي الحسن الندوي ، وتخرَّج على يديه ، والتزمه طُولَ حياته ، كان بمثابة ابنٍ للعلامة وأحبّ خلق الله إليه ، ألَّف له ـ عندما بدأ دراستَه اللغة العربية ـ « قصص النبيين » التي نالتْ فيما بعد قبولاً عاماً وانتشاراً كبيراً في جميع الأقطار الإسلامية والعربية .

أسَّسَ جمعية باسم « الرابطة الإسلامية الدولية » عام ١٩٥٩م ، وأصدَرَ نشرةً شهريةً منها في ثلاث لغات : العربية والإنكليزية والأردية ، كان لها أعضاء في كافة أقطار العالم الإسلامي .

أصدَرَ مجلَّة « البعث الإسلامي » في عام ١٩٥٥م وله من العمر عشرون سنةً ، التي سُرعان ما أصبَحَتْ كبرى مجلَّات العالم الإسلامي الفكرية والدعوية والأدبية والنقدية التي تصدر من العالم العربي الإسلامي !

استأثرتْ به رحمةُ الله في ١٧ رجب سنة ١٣٩٩هـ عن سنٍّ لا تزيد على (٤٤)

---

(١) هو الدكتور السيِّد عبد العلي الحسني ، وقد تتكرَّر ذكره في الكتاب ، وسبقت ترجمته في ص(١٤٤) ، و(٨٧٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

سنة ، ورَثَتَه الصحفُ والمجلَّات الإسلامية العربية والأردية ، وكُتِبت في تأبينه والاعتراف بنبوغه مقالاتٌ مؤثِّرة في مجلَّات وجرائد العالم الإسلامي الكبرى ، وكانت وفاتُه حادثةً كبيرةً في حياة العلامة الندوي ، فتأثَّر بها تأثُّراً شديداً . نقدِّر ذلك بما كتبه العلامة مُبدياً ألمه الشديد من وفاته ، فيقول :

« تلك الحادثة الفاجعة الألمية التي هدَّت أعصابي ، وهزَّت كياني ، وقلبتْ ليس حياة الأسرة المحددة فحسب ، بل جميع مخطَّطاتي وحياتي الدعوية والعلمية والفكرية وآمالي في المستقبل رأساً على عقبٍ ، لقد كانت هي حادثة وفاة عزيزي الأعز ، الذي كان مثل ابني الأستاذ محمد الحسني . . . ، لقد ذكر القرآن الكريم دعاء سيدنا موسى عليه السلام :

﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ [طه : ٢٩ ـ ٣٢] كان هذا الدعاءُ قولي ، وقَبِلَه الله تعالى ، وقد كان دعائي الحالي ، واجعل لي وزيراً من أهلي « محمد بن أخي » بدلاً من « أخي » ، دعاء القلب والروح ، فقد كان بيني وبينه من الانسجام والشبه في التفكير والذوق والطبيعة ، والمزاج والآراء والأفكار ، والكتابة والتحرير ، حتى الخط ما لم أُشاهِد مثله بين شخصين اثنين .

لقد فارقني بوفاة محمد الحسني مُترجِمٌ قديرٌ مجيدٌ لكتاباتي ومؤلَّفاتي العربية ، وقلمٌ سيَّالٌ بارعٌ في نقد القومية العربية وانتقاد انحراف العرب ، وداعيةٌ دينيٌ قويٌّ ، ومجاهدٌ أديبٌ ناهضٌ في اللغة العربية ، وكاتبٌ بارعٌ ومؤلِّفٌ تراجم وسِيَرٍ باللغة الأردية »[1] .

كان ـ رحمه الله ـ معاوناً كبيراً للعلامة الندوي في أعماله التأليفية ، نقل أهمَّ مؤلَّفاته بالعربية إلى الأردية ، وكان مترجماً بارعاً دقيقَ التعبير ، وجميل الأسلوب .

ومن آثار الأستاذ محمد الحسني في الفكر والدعوة الإسلامية : « الإسلام الممتحن » و « المنهج الإسلامي السليم » و « تناقضٌ تحار فيه العيون وتطابقٌ يُسَرُّ به المؤمنون » و « مصر تتنفَّسُ » و « مع الحقيقة » و « أضواء على الطريق » وغير ذلك له رسائل قيمة في الفكر الإسلامي .

---

(١) في مسيرة الحياة : (١/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

٣ ـ الدكتور عبد الله عباس الندوي :

هو العلاَّمة البحَّاثة ، المحقِّق اللُّغوي ، الأديب الكاتب : الأستاذ الدكتور عبد الله عبَّاس الندوي مِن خبراء التعليم والتربية المعروفين على الصعيد الدولي .

أحد أكبر تلاميذ العلامة الندوي سِنّاً وعلماً ، درَسَ عليه التفسيرَ والأدبَ العربي ، ورافقه في كثيرٍ من أسفاره ، فلمَّا استوطنَ فضيلةُ الأستاذ السعوديةَ كان أكبرَ وسيلةٍ لاتصال علماء المملكة بالعلامة الندوي في الهند ، وكان العلامةُ يفضِّل الإقامةَ عنده لدى كل زيارةٍ له للمملكة .

قام فضيلةُ الأستاذ بتدريس اللغة العربية وآدابها مدَّةً طويلةً في دار العلوم ـ ندوة العلماء، ثم انتقل إلى جامعة أمِّ القرى بمكَّة المكرَّمة حيث قام بتدريس اللغة العربية مدّةً، ثم تولَّى فترةً من الزمن رئاسةَ التحرير لمجلَّة « الرابطة » الإنكليزية التي تصدر من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة . وهو الآن مديرُ الشؤون التعليمية في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، ومستشارٌ فخريٌّ لرابطة العالم الإسلامي ، وعضوٌ لمجمع اللسانيات في جامعة كيمبرج ببريطانيا.

هو واسعُ الاطلاع على المصادر العلمية ، بارعٌ في عدة لغات ، درس العلومَ الدينية والعقلية والأدبية على الأساتذة الكبار بإتقانٍ ، صاحب مؤلَّفات قيمة في العديد من الموضوعات العلمية والدينية والأدبية ، عالي الكعب في علوم البلاغة والمنطق وآداب اللغة العربية ، وله طبعٌ أصيلٌ في الشعر يتذوَّقُه ، ويعرف جيِّدَه من رديئه ، وصحيحَه من سقيمه ، وذوقٌ عال ، وبصرٌ نافذٌ في اختيار غرره في كتاباته ، وأديبٌ بالأردية من الطِّراز الأول .

ولفضيلة الأستاذ كتبٌ قيِّمةٌ باللغة العربية والأردية والإنكليزية في موضوعات مختلفة ، كالقرآن وعلومه ، والعربية وآدابها ، وفي السيرة وتحليلها ، والشعر ونقده . وله كتابٌ عن حياة العلامة أبي الحسن الندوي ، ألَّفه بالأردية في أسلوبٍ أدبيٍّ ممتعٍ كما عُهِدَ عنه في جميع ما كتب ويكتب ، وهو جديرٌ بالنقل إلى العربية .

يعيش فضيلةُ الأستاذ الآن معتكفاً ، رفيقُه القلم ، ونديمه الكتاب ، يتمتَّعُ بذاكرةٍ قويَّةٍ ، ويحفظ ألوفاً من أبيات الشعر في العربية والأردية ، جاوز السبعين ، ونشاطه في الإبداع والعطاء في تألُّقٍ وازديادٍ ، نسأل الله أن يمدَّ في عمره ويلبسه لباسَ الصحة والعافية !

www.abulhasanalinadwi.org

٤ ـ الأستاذ محمَّد واضح رشيد الحسني الندوي :

هو أحدُ أقطاب الصحـافة الإسلامية اليوم ، وواحد من فرسانها بلا مجاملةٍ ، يشهد بذلك كلُّ من يتتبع مقالاتِه التي تُدبَّج يراعتُه في مجلة « البعث الإسلامي » وصحيفة « الرائد » ، في معالجة القضايا الإسلامية الراهنة ، وفي الفكر الإسلامي ، وفي موضوعاتٍ شتّى . مـارس الأدبَ ، فبرز كاتبـاً وأديباً مجلِّياً ذا أسلوبٍ فريدٍ . هو ابن أخت العلامة الندوي والأخ الأصغـر لخليفته الشيخ محمد الرابـع ، رافق العلامةَ في كثيرٍ من أسفاره كصِنوه الشيخ محمَّد الرابـع ، واستفاد من العلامة في حِلِّه وتَرحاله .

يتَّصف ـ حفظه الله ـ بمكارم الأخلاق ، والاطلاع الوسيع ، والعلم الغزير ، والزّهد في الدنيا ، والإعراض عن شهواتها ، والإخلاص والتواضع ، والبُعد عن الرياء والسُّمعة .

ويمتاز بالذكاء ، واللباقة ، والثقافة الجيدة ، والقدرة على الإبداع في الصحافة .

(هو ممَّن يُضرَب به المثلُ في الأدب الرفيع ، والسمت العالي ، والتجنُّب عن الفضول ، وحفظ الوقت ، وقلَّة الكلام ، وقلَّة الاختلاط مع الأنام ، والبُعْد عن حبِّ الفخفخة والظهور ، والإقبال على شأنه ، وتعليم الطلاب وتربيتهم ، وبذل الودِّ والنصح لهم ، والانبساط لهم)[1] .

وهو الآن عميد كُلية اللغة العربية في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، ورئيس تحرير مجلة « الرائد » الصادرة عنها ، والأمين العام المساعد لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

مِن مؤلَّفاته الأدبية والفكرية : « تاريخ الأدب العربي » (العصر الجاهلي) و« أدب الصحوة الإسلامية » وغير ذلك . له مئات المقالات المنشورة في أعداد مجلَّة « البعث الإسلامي » وجريدة « الرائد » تُعالِج القضايا الإسلامية والعربية ، وهي جديرةٌ بالجمع والإخراج في كتابٍ مستقلٍّ ، ليته يقوم بهذا العمل أحدٌ من تلاميذه .

---

(١) العبارة بين القوسين مقتبسةٌ من « بغية المتابع لأسانيد العلاَّمة الشريف محمد الرابع » : للدكتور محمد أكرم الندوي ، ص(٤٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

٥ ـ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي :

هو الكاتب الإسلامي القدير ، والخطيب المصقع الأصيل : الأستاذ الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي ، أحد أكبر تلامذة العلامة الندوي وأحبِّهم إليه ، التحق بدار العلوم ـ ندوة العلماء في ريعان شبابه ، ولازم العلامة الندوي ، واستفاد منه الكثير ، وكان العلامةُ كثيرَ الاحترام له من بين تلاميذته ، عهد إليه بنقل بعض مؤلَّفاته إلى العربيَّة[1] ، وقد ظَلَّ الدكتورُ الأعظمي طيلة حياة العلاَّمة الندوي عضواً عاملاً له في مجال الدعوة والكتابة ، والمحيط التعليمي والتربوي في دار العلوم .

بدأ الدكتور الأعظمي حياته العلمية في « ندوة العلماء » كمدرِّسٍ لمادة الأدب العربي ، ثم عيِّن مشرفاً إدارياً لدار العلوم ، واختير بعد رحيل العلامة الندوي مديراً لها ، ولا يزال يشغل هذا المنصب ، وشارك ـ إلى جانب إدارة دار العلوم والتدريس فيها ـ في إنشاء مجلَّة « البعث الإسلامي » وتحريرها إثر رحيل صديقه فقيد الدعوة الإسلامية الكاتب الكبير الأستاذ محمد الحسني ، وهو كذلك نائب الرئيس لصحيفة « الرائد » النصف الشهرية ، وعضو مجلس الأمناء لرابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ نشأتها .

ومن مؤلَّفاته : « ساعة مع العارفين » و « شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض »[2] و « أحمد بن عرفان المجاهد الشهيد » و « ندوة العلماء تواجه التحدي الكبير » و « المحدِّث حبيب الرحمن الأعظمي » و « الأدب والإسلام » وغير ذلك مئات المقالات منشورة في مجلة « البعث الإسلامي » وصحيفة « الرائد » وكلُّها جديرة بالجمع والإخراج في كتابٍ مستقلٍّ .

٦ ـ الأستاذ إسحاق جليس الندوي :

لقد كان ترجماناً قديراً ، وصحافياً بارعاً بالأردية ، درَسَ في دار العلوم ، واستفاد من العلامة الندوي ، فكان مِن أحبِّ التلاميذ إليه ، وكان ـ أي : العلامة الندوي ـ

---

(١) منها الجدير بالذكر « الجزء الثاني الخاص بابن تيمية لسلسلة « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » ، فقامَ به خير قيام .

(٢) صدر من دار ابن كثير بدمشق عام ٢٠٠٠م .

www.abulhasanalinadwi.org

يستعين به في شؤون « حركة رسالة الإنسانية » ويثق به في التمثيل عنها أكثر من غيره .

وقد كان أوتي ملكةً عجيبةً في الحديث الذي يكون في محلِّه وأوانِه ، والتأثير في أصحابه ومخاطبيه ، وكان الناسُ يُعجَبون به ، ويحبُّونه أينما حلَّ ونزل .

ترأَّسَ تحرير مجلَّة « تعمير حياة » (نصف الشهرية الصادرة من « ندوة العلماء » بالأردية) مدَّةً ، وكتب فيها مقالاتٍ افتتاحيةً قيمةً يتجلَّى بها صحافياً إسلامياً بارعاً . توفي عام ١٩٧٩م .

٧ ـ الدكتور سيِّد رِضْوان علي النَّدْوي :

هو الباحثُ المحقِّق ، النَّاقد الأديب : الدكتور سيِّد رضوان علي الندوي ، أحدُ أكبر تلاميذ العلامة الندوي ، تعرَّف عليه في إحدى اجتماعات « جماعة الدعوة والتبليغ » في وطنه « رَامْ فُوْر » وهو صغيرٌ ، واستمع إلى خطاباته فتأثَّر به تأثراً بالغاً فخرج معه ولازمه ، فقامت بينه وبين العلامة الندوي صلةٌ قلبيةٌ قوية استمرَّت حتى وفاة العلامة . بعد تخرجه من « ندوة العلماء » التحق بكلية الشريعة في جامعة دمشق، فكان أثناء مدَّة دراسته في دمشق وسيلةَ المراسلات بين العلامة الندوي وكبار علماء الشام .

يُعرَف الدكتورُ سيِّد رضوان في الأوساط العلميَّة والأدبيَّة في شبه القارة الهنديَّة بألمعيته ، وبراعته في شرح المسائل العلميَّة ، وبذوقه الأدبي الرفيع ، ورهافة حسِّه في النقد ، وبدقَّته في أعماله التحقيقية والتأليفيَّة .

قام الدكتورُ بتدريس اللغة العربية وآدابها في جامعات ليبيا ، والسعودية ، وباكستان ، ثم هاجر إلى باكستان واستوطنها ، وهو الآن مكبٌّ على أعمال التأليف والتحقيق فيها .

وله مؤلَّفاتٌ أكاديميةٌ وتحقيقاتٌ قيمة باللغتين العربية والأردية في السِّيَر واللغة والأدب والفكر الإسلامي ، هو أول من عرَّفَ شعبَ شبه القارة الهندية بحركة الإخوان المسلمين من خلال ترجمة أدبها باللغة الأردية ، أذكرُ هنا بعض أهم مؤلَّفاته وتحقيقاته بالعربية ، فمنها : « فوائد مشكل القرآن » للإمام عز الدين عبد السلام (تحقيق) ، و « استنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية » (ترجمة من الإنجليزية مع تعليقات نقدية إضافية) ، و« العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية » ، و « اللغة

www.abulhasanalinadwi.org

العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون » ، و « السلطان محمد الفاتح : بطل الفتح الإسلامي في أوربّة » وغير ذلك من المؤلّفات والتحقيقات الكثيرة .

٨ ـ الدكتور محمَّد اجتباء الندوي :

أحدُ تلاميذ العلامة الندوي الكبار ، وكانت لأسرته صلةٌ وثيقةٌ بأسرة العلامة ، وذلك مِن عهد الإمام المجاهد أحمد بن عرفان الشهيد ، الذي كان مِن أقرب أتباعه إليه الشيخُ جعفر علي النَّقْوِي ، وهو الجدُّ الأعلى للدكتور اجتباء .

لقد قضى الدكتورُ طفولته ، وعهداً طويلاً مِن دراسته في بيئة العلامة الندوي ، وعاشَ فترةً في ظلِّ تربيته . وصَحِبَ العلامةَ في دمشق[1] أثناء إقامته فيها أستاذاً زائراً بكلية الشريعة في جامعة دمشق .

مارس الدكتورُ في مجال التدريس بَدءاً كمدِّرسٍ لمادة الأدب العربي في دار العلوم ندوة العلماء ، ثم محاضرٍ وأستاذٍ مشارِكٍ في جامعات الهند الكبيرة ، ودرَّسَ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وانتُخِبَ في الأخير رئيساً لقسم اللغة العربية في جامعة كشمير .

وهو الآن عضوٌ مؤسِّسٌ لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيس فرعها بالهند ، وعضو المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ .

له مؤلَّفاتٌ في اللغة والأدب ، والتاريخ والسِّيَر ، والفكر الإسلامي باللغتين العربية والأردية ، فمنها : « الإمام شاه ولي الله الدهلوي حياته وآثاره » « الأمير سيد صديق حسن خان حياته ـ وآثاره » و« أبو الحسن علي الحسن الندوي الداعية الحكيم والمربّي الجليل » و« تاريخ الفكر الإسلامي » وغير ذلك .

٩ ـ الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي :

هو العلاَّمة البحَّاثة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي ، المعروف في الأوساط العلمية بأبحاثه ومقالاته المبتكرة حول إعجاز القرآن الكريم ، والكون ، والفلسفة .

استفاد من العلاَّمة الندوي أثناء دراسته في دار العلوم ، ثم عكف بعد التخرُّج فيها

---

(١) وكان يومئذ طالباً في كلية الشريعة بجامعة دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

على دراسة العلوم ، وأكبَّ سنوات طوال على مطالعة كلِّ ما كُتِب وأُلِّف حول العلوم والفلسفة بالعربية والأردية والإنكليزية ، ثم تفرَّغ للكتابة والتأليف عنها في ضوء دراسته العميقة لها ، وفتح فيها أبواباً كثيرةً كانت مغلقةً ، واستطاع أن يشرح فلسفة علم الكلام الجديد في الإسلام ، وأنشأ كذلك مجمعاً علمياً باسم « الأكاديمية الفرقانية » في مسقط رأسه « بِنْغَلُوْر » والتي كانت نواةً لدراسته العلمية الواسعة ، وإبراز فكره العلمي ، وعلمه التحقيقي في مجال الإسلام والعلوم الحديثة . توفِّي عام ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م) .

ومن آثاره القيمة بالعربية : « بين علم آدم والعلم الحديث » و « الأدلة العلمية الحديثة على المعاد الجسدي » و « التجلِّيات الربانية في عالم الطبيعة » و « الاستنساخ الجيني يصدق المعاد الجسدي » و « نهضة العالم الإسلامي في ظلال القرآن » و « أهمية الجهاد لنهضة العالم الإسلامي » و « علم الكلام الحديث » و « نظرة على تعدُّد الزوجات » وغير ذلك .

١٠ ـ الأستاذ نذر الحفيظ الندوي :

أحدُ تلامذة العلامة الندوي النجباء المُخلصين ، لازمَ العلامةَ منذ التحاقه بدار العلوم إلى آخره عمر ، ظلَّ شديدَ التعلُّق بالعلامة ، والملازمة له والمواظبة على مجالسه أثناء إقامته في دار العلوم .

درس في الأزهر وتخرَّج فيها من كلية اللغة العربية . وقد أُتِيحت له الفرصة لمحاورة العلامة ، ولطرح الكثير من الأسئلة عليه لم يُتَحْ امثلها لأحد من تلامذته ، وكان العلامة يُجيبه إلى كلِّ ما يسأله عنه ، وكانت معظم أسئلته تدور حول حياته العلمية والدعوية والأدبية ، وحول الكُتب التي ينبغي أن يُطالِعها الطالبُ ، والشخصيات الإسلامية التي يقتدي بها ، وقد استفدنا نحن الطلابُ من أسئلته ، وما زالت أجوبةُ العلامة على تلك الأسئلة دليلاً لنا على التزوّد بالدراسة الإسلامية الفكرية والدعوية ، جزاه الله عن جميع الطلاب خير الجزاء .

وهو الآن أستاذُ اللغة العربية وآدابها في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، وعضوٌ نشيطٌ لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

وله كتبٌ باللغتين العربية والأردية في الأدب والإعلام والفكر الإسلامي ، منها : « الزمخشري كاتباً وشاعراً » و« أبو الحسن علي الحسني الندوي كاتباً ومفكراً »

www.abulhasanalinadwi.org

و« الإعلام الغربي وآثاره » والكتاب الأخير بالأردية ، وهو فريدٌ في موضوعه ، يحتوي على معلومات جديدة حول الإعلام الغربي ، وجديرٌ بالنقل إلى العربية .

١١ ـ الدكتور تقي الدين الندوي :

هو العالمُ العامِل ، المؤلِّف المحقِّق : الأستاذ الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي المَظَاهِرِي ، درس العلومَ الشرعية التقليدية في مدارس بلده ، ثم التحق بـ« ندوة العلماء » وقرأ على كبار أساتذتها ، ولازم العلاَّمةَ الندوي واستفاد منه ، ولمَّا رأى العلاَّمةُ فيه شغفاً زائداً واهتماماً بالغاً بالحديث النبوي الشريف ؛ أرسله إلى المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي ، فدرس على يديه أمَّات كتب الحديث ، ثم أرسله الشيخُ إلى القاهرة ليُشرف على طباعة « بذل المجهود في شرح أبي داود » (للشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوْري) ، وسجَّل أثناء إقامته بالقاهرة في الدكتوراة ، وحصل شهادتَها في الحديث بتحقيق « كتاب الزهد » للبَيْهَقي .

قام الدكتورُ تقي الدين بتدريس الحديث النبوي في « ندوة العلماء » وفي « جامعة العين » بالإمارات .

وله مؤلَّفاتٌ وتحقيقاتٌ قيمةٌ في الحديث وعلومه، ومن مؤلَّفاته: « الإمام البخاري إمام الحفَّاظ والمحدِّثين» و« الإمام أبو داود الحافظ الفقيه » ، ومن تحقيقاته: « أوجز المسالك شرح موطأ الإمام مالك » في ثمانية عشر مجلداً ، و« التعليق الممجَّد شرح موطأ الإمام محمَّد » للإمام عبد الحي اللكهنوي ، و« ظفر الأماني في شرح مختصر الجُرجاني » للإمام عبد الحي اللكهنوي وغيرها .

١٢ ـ الشيخ سلمان الحُسيني الندوي :

هو الداعيةُ المربِّي ، الأستاذ الفاضل الألمعي : الشيخ سلمان بن طاهر الحسيني الندوي ، أحدُ العلماء البارزين اليومَ في أفق العالم الإسلامي ، وهو حفيدُ العلامة الندوي (من أخيه الأكبر) ، كان أحبَّ الأقارب إليه ، ومحطَّ عنايته دائماً .

طاف الشرقَ والغرب مرَّاتٍ داعيةً في سبيل الله لإعلاء كلمته ، ومحاضراً في الجمعيات والمؤسَّسات الإسلامية فيهما ، وناب عن جدِّه العظيم ـ العلامة الندوي ـ في عديدٍ من المؤتمرات الإسلامية عارضاً لذلك باللغة العربية الفُصحى ، وأحبَّه الجميعُ وأُعجبوا به حيثما حلَّ وارتحلَ لدماثة أخلاقه ، وجرأته على قول الحقِّ ،

www.abulhasanalinadwi.org

وفصاحةِ لسانه (بالعربية والأردية) وحُسنِ محاضرته . وهو أشبه بجدِّه العظيم في أعماله العلمية ونشاطاته الدعوية ، وهو مثالٌ بين علماء الهند يُحتذى به في النزاهة ، والتواضع ، والجرأة ، والاستقامة ، والحرص على الحقِّ .

يحمل ـ حفظه الله وأمتع به ـ أعباءَ عدَّةِ مشروعات إسلامية في الهند ، تعجز الجمعياتُ والمجامع عن القيام بها ، ومن أكبر مآثره الخالدة تأسيس « مدرسة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الإسلامية » عام ١٩٧٥م ، والتي تحوَّلت اليومَ إلى جامعةٍ كبيرة تضاهي كبرى الجامعات الإسلامية في الهند . وكذلك إنشاؤه ـ إلى جانب هذه الجامعة ـ عدداً كبيراً من المدارس الدينية والعصرية ، والمعاهد لتعليم التكنولوجيا الحديثة لأبناء المسلمين ، والمستشفيات الخيرية للفقراء العوام .

وله ـ رغم قلة تفرُّغه للتصنيف والتأليف والتحقيق ـ مؤلَّفاتٌ نافعةٌ ورسائلُ ممتعةٌ باللغتين العربية والأردية ، وكذلك باعٌ طويلٌ وسَعْيٌ محمودٌ في نقل بعض مؤلَّفات العلامة الندوي إلى العربية[1]ـ[2] .

نذكر بعض أهمِّ مؤلفاته : « الأمانة في ضوء القرآن » و « لمحة عن الجَرْح والتعديل » و « الإمام ولي الله الدهلوي وآراؤه في التشريع الإسلامي » و « التعريف الوجيز بكتب الحديث » و « المدخل إلى دراسة جامع الترمذي » وغير ذلك .

١٣ ـ الأستاذ نور عالم خليل الأميني :

أحد كبار الكُتَّاب الإسلاميِّين . في الهند ، درس في دار العلوم دِيُوبَنْد الإسلامية ، ثم انتقل إلى دار لعلوم ـ ندوة العلماء ، والتزم العلامةَ الندوي أثناء إقامته في دار العلوم ، واستفاد منه .

وهو كاتبٌ قديرٌ ومترجمٌ بارعٌ بالعربية . ومن أصحاب النبوغ والذكاء الألمعي ؛ الذين قيَّضَهم اللهُ في هذا العصر ؛ لحراسة لغة كتابه الأخير ، وأحاديث رسوله الخاتم

---

(١) منها الجدير بالذكر « الجزء الثالث والرابع من سلسلة « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » والجزء الأول والثاني لـ« مسيرة الحياة » .

(٢) وقد كتب المؤلِّفُ ترجمتَه المستوفاة في كتاب « حوار في قضايا من علم الحديث النبوي الشريف » (وهو مجموعة محاضرات الأستاذين : الشيخ نور الدين عتر ، والشيخ سلمان الندوي) ، طبع دار الفارابي ـ دمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

الأمين محمد ﷺ وحمايتها والحفاظ عليها ، والقيام في سبيلها بجهادٍ وكفاحٍ وخدماتٍ ومنجزاتٍ ، إنَّه يمتلك ثروةً لغويةً هائلةً قلَّما تتيسَّرُ لأحدٍ ، أسلوبه في الكتاب يحُثُّ العواطفَ والعزائم ، ويبعث على العمل والكفاح ، ويلهب جمرات الإيمان والحنان ، والغيرة والحماس في قلوب القرَّاء من الشباب والشيوخ على السواء .

وقد تشرَّفَ بترجمة بعض رسائل وكتب العلامة بالعربية ، ومنها : الكتاب « الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوِي ودعوتُه إلى الله » الذي نال قبولاً كبيراً في البلاد العربية[1] .

وهو الآن يقوم بتدريس الأدب العربي في دار العلوم ديوبند الإسلامية (الهند) ، وبتحرير مجلَّة « الداعي » الشهرية الشهيرة الصادرة منها .

وله مؤلَّفات بالعربية ، منها « الصحابة ومكانتهم في الإسلام » و« مجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى الإسلام » و« المسلمون في الهند » و « الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم » و « مفتاح العربية » وغير ذلك له مئاتٌ من المقالات المنشورة في أعداد مجلَّتي « البعث الإسلامي » و « الداعي » في موضوعات مختلفة .

١٤ ـ الشيخ عبد الله محمَّد الحسني الندوي :

هو العالم الجليل ، الموجِّه المربِّي ، الكاتب القدير : الأستاذ الشيخ عبد الله محمد الحسني الندوي ، ابنُ فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني .

يُعَدُّ الشيخ عبد الله الحسني من كبار الكتَّاب البارعين بالعربية في الهند ، وأحد العلماء الكبار بالحديث في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، تتلمذَ على العلامة الندوي ، ثم درس الحديثَ على كبار علماءه في الهند .

وهو على طريقة السَّلف الصالحين في عِلمه وعَمله ، وورعِه وزهدِه ، وإخلاصه وتواضِعه ، نشيطٌ كجدِّه العلامة الندوي ـ في الأعمال الدعوية والإصلاحية بالحكمة والموعظة الحسنة .

هو أستاذٌ محبوبٌ بين طلاب دار العلوم ، لا يكتفي بإلقاء محاضراته عليهم في الجامعة فحسب ، بل يفتح لهم بيتَه ليقدِّمَ لهم مزيداً من العلوم ، ويُتيح لهم مزيداً من فرص الاستفادة ، بيتُه منتدى لهم كلَّ يومٍ .

---

(١) وقد صدر من دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

قام بترجمة عددٍ من رسائل العلامةِ الندوي ، ونقل بعضَ كتب علماء الهند من الأردية إلى العربية ، وهو مترجمٌ بارعٌ ذو اطلاعٍ واسعٍ على التعبيرات الحديثة . واليوم يتولَّى إدارةَ تحرير جريدة « الرائد » ويكتب فيها مقالاتٍ افتتاحية قيمة في الفكر والدعوة والإصلاح .

١٥ ـ الدكتور علي أحمد الندوي :

هو الباحثُ الفقيهُ الأصوليُّ المعروف : الدكتور علي أحمد بن غلام محمد الندوي ، واحدٌ من الشخصيات البارزة المتخصِّصة في مجال الفقه الإسلامي وأصوله اليوم ، استحقَّ بجدارة لأعماله القيمة في الفقه والأصول جائزة الملك فيصل العالمية . وهو أحدُ أبناء « ندوة العلماء » المتخرِّجين بدرجةٍ عاليةٍ من دار علومها منذ ثلاثين عاماً تقريباً ، كما أنَّه أحرَزَ شهادة الدكتوراة من كلية الشريعة بجامعة أمِّ القرى بمكَّة المكرَّمة ، بدرجة ممتازٍ مع شهادة التفوُّق للتخصُّص في الفقه الإسلامي وأصوله .

استفاد الدكتورُ علي أيام دراسته في دار العلوم من العلاَّمة الندوي ، ولازَمَه فترةً طويلةً ، وكان يستعين به العلاَّمةُ في إملاء بعض كتبه ، كما ذكر ذلك رحمه الله تعالىٰ في مقدِّمة كتابه لـ : « السيرة النبوية » .

وللدكتور علي أحمد مشاركاتٌ في المؤتمرات والندوات الفقهية الكثيرة في العالم الإسلامي ، وله مؤلَّفاتٌ قيمةٌ في قواعد الفقه وأصوله ، فمنها : « القواعد الفقهية » و « القواعد والضوابط المستخلصة من (التحرير) للحصيري » و « جمهور القواعد الفقهية في المعاملات المالية » و « الإمام محمد بن الحسين الشَّيْبَاني : نابغة في الفقه الإسلامي » وغير ذلك عشرات المقالات والبحوث والتحقيقات في الفقه وأصوله .

١٦ ـ الأستاذ سعيد مرتضى الندوي :

أحدُ تلاميذ العلاَّمة الندوي النجباء ، كان العلاَّمةُ يَعطِف عليه كثيراً ، ويُسَرُّ بزيارته له .

دَرَسَ الأستاذ سعيد في « ندوة العلماء » ، اختصَّ بالعلاَّمة استفادةً وملازمةً ، ثم

www.abulhasanalinadwi.org

التحقَ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض . وبقي على اتصالٍ بالعلاَّمة ، فكان في بعض الأحيان واسطةَ المراسلات بين العلاَّمة وبين كبار علماء المملكة . وهو الآن يقوم بالتدريس في كلية البنات (في الرياض) من خدماته العلمية المحمودة ، إشرافُه على إعداد فهارس مؤلَّفات العلاَّمة الندوي ، في اللغات العربية والأردية والإنكليزية والهندية ، مع تقديم تَرْجَمةٍ ضافيةٍ ، ثم إنشاؤه موقع الإنترنيت باسم العلاَّمة الندوي ، أودَعَ فيه جميع مؤلَّفاته ورسائله الفكرية والدعوية والتربوية والأدبية .

١٧ ـ الدكتور محمد أكرم الندوي :

هو الباحثُ ، المؤلِّفُ ، الأصوليُّ : الدكتور محمد أكرم الندوي ، أحد تلاميذ العلامة الندوي الصغار ، دَرَس في « ندوة العلماء » ، وحصل منها على شهادة الليسانس والماجيستر ، ثم حصل الدكتوراه من جامعة لكهنؤ (الهند) في الأدب العربي .

أثناء دراسته في دار العلوم اختصَّ بالعلاَّمة الندوي ، واستفاد منه الكثير ، وقام فيها بالتدريس مدَّةً ، ثم أرسله فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ـ بإشارة من العلاَّمة الندوي ـ إلى مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية (بريطانية) كباحثٍ ، وما زال يعمل فيه .

واستطاع الأستاذ محمَّد أكرم أن يُخرِج خلال هذه الفترة الوجيزة كتباً نفيسة وتحقيقاتٍ قيمةً في موضوعات مختلفة ، نذكر منها على سبيل المثال : « الوفاء بأسماء النساء » و « العلاَّمة شبلي النعماني علاَّمة الهند الأديب ، والمؤرخ الناقد الأديب » و « العلاَّمة السيد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندويين » و « نفحات الهند واليمن بأسانيد الشيخ أبي الحسن » و « كفاية الراوي عن العلاَّمة الشيخ يوسف القرضاوي » و « بغية المتابع لأسانيد العلاَّمة الشريف محمد الرابع » و « أصول الشاشي (تحقيق ودراسة) » و « أرض القرآن » للعلامة سليمان الندوي (ترجمته بالعربية) ، وغير ذلك له مقالات وأبحاث قيمة نُشِرت في مجلاَّت عربية وأردية مختلفة .

١٨ ـ الدكتور مصطفى سليمان الندوي (من مصر) :

هو العالمُ العامل ، الداعية المربِّي ، المحقِّق المؤلِّف : الأستاذ الطبيب مصطفى

www.abulhasanalinadwi.org

سليمان الندوي ، أحدُ العلماء المصريِّين الجامعين بين العلوم الدينية والعلوم العصرية ، وله نشاطاتٌ جمَّةٌ في بلده في مجال الدعوة والإصلاح والتربية .

زار الندوةَ ودرس فيها مدَّةً ، وتلقَّى عن العلاَّمة الندوي مباشرةً ، وقرأ عليه بعضَ كتب الحديث ، ورافقه في بعض أسفاره داخل الهند ، وحصل على درجة الدكتوراه في الحديث من دار العلوم .

وهو الآن رئيسُ « مجمع الإيمان » ، ورئيس « مركز الدراسات الإسلامية » بالمنصورة في مصر .

وله رسائل وتحقيقاتٌ ، منها : « اللُّمع في أصول الفقه » لأبي شُحَامة الشيرازي ، و « فضائل الأعمال » لضياء الدين المَقْدِسي ، و « الاعتصام » للشاطبي ، وشرح « القصيدة الغرامية » في علوم الحديث .

١٩ ـ الأستاذ عبد الوهاب زاهد الحلبي الندوي (من سورية) :

أحدُ العلماء الأفاضل ، والدعاة المخلصين . أصلُه من مدينة (حلب) في سورية ، درس في « ندوة العلماء » واستفاد أثناء إقامته من كبار أساتذتها ، وعلى رأسهم العلاَّمة الندوي . وهو الآن يقيمُ في (الفلبين) يعمل في حقل الدعوة الإسلامية ، ومن مؤلَّفاته « الجمان في تجويد القرآن » ، ومن تحقيقاته « العالم والمتعلِّم » للإمام أبي حنيفة .

٢٠ ـ الشيخ أحمد فهمي زمزم الندوي (من ماليزيا) :

هو العالمُ الداعية ، الأستاذ الشيخ أحمد فهمي زمزم البَنْجَري الندوي ، أحدُ كبار العلماء في ماليزيا . درس في « ندوة العلماء » ولازَمَ العلاَّمةَ الندوي واستفاد منه الكثيرَ . قام فترةً بتدريس اللغة العربية في الندوة بعد التخرُّج منها . فكان أستاذاً محبوباً لدى الطَّلَبة . ثم رجع إلى بلاده (ماليزيا) ، وأَنشأ فيها معهداً شرعياً تُدرَّسُ فيه جميعُ مقرَّرات « ندوة العلماء » وهو يُعَدُّ من إحدى فروعها الموجودة خارجَ الهند .

وللأستاذ فهمي نشاطاتٌ جَمَّةٌ في مجال الدعوة والتربية والتعليم في ماليزيا .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الخاتمة

وبعد . . . فتلك الصفحات المتواضعة ، حاولتُ ـ ما وَسِعَني الجهدُ ـ أن أنشر في طيَّاتها سيرةً عطرةً لعَلمٍ من أعلام الإسلام في هذا العصر ؛ أخلَصَ وجهَه لله ، وكَرَّس حياته لخدمة دينه في شتَّى الميادين والمحافل ، وعلى جميع المستويات على اختلافها .

ولا أزعُمُ ـ حاشى ـ أنّي قد أحطتُ بجوانب شخصيته ، وعظيم مآثره ـ الّتي يعسر بل يستحيل استيعابها ـ لكنَّها أضواء سلَّطْتُها ، ومحطّات وقفتُ عليها في حياته الّتي كانت صورةً صادقةً ونموذجاً متميّزاً للداعية المجدِّد ، الّذي جمع في شخصيته الفذّة بين الإيمان الراسخ والعلم الغزير الوافر ، وأخذ من القديم الصالح ، والجديد النافع ، فهو بحقٍّ كان قديماً وجديداً ، ثابتاً ومتطوّراً ، تراثيّاً وعصريّاً ، سلفيّاً وصوفيّاً ، في لين الحرير وصلابة الحديد .

عاشَ حياتَه آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر بهمَّةٍ وعزيمةٍ لا تعرف الخورَ أو الفتور ، ولا تعترف بلغة الأمتار والأميال فعلىٰ مدى نصف قرنٍ لم يزل في غدوٍّ ورواحٍ بين المشرق والمغرب ، همُّه وقضيته « الإسلام » عاش به وله ، فنفض عنه تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ، وأباطيل المغرضين ، زاده لذلك إخلاص لله وتجرُّدٌ له ، وثبات على الحقِّ لا تزيده نائبات الدهر إلا رسوخاً ، وعدَّته : اتقادٌ في القريحة ، وبُعْدٌ في النظر ، وعُمقٌ في الإدراك ، ودِقَّةٌ في العلم ، وحكمةٌ في المعالجة تُثمِر سداداً في الرأي .

ولذلك لا يعترض العالمَ الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه أيُّ حادثٍ إلا ويصبُّ اهتمامَه عليه ، فيتأمَّل ويحلِّلُ ، ويفنِّد ويُعالِج ، ويرتأي الحلَّ ، ويقترح الدواء المناسب . تلمح فيه ـ على الدوام ـ الانشغالَ بالقضايا الكبيرة عن المسائل الصغيرة ، وشُغلاً بالحقائق عن الصُور ، وتمسُّكاً باللباب ، وترفُّعاً عن القشور والجزئيات والخلافيات .

www.abulhasanalinadwi.org

ست وثمانون عاماً ـ خلا سنيَّ صباه ـ قَضَاها داعياً إلى اللهِ بالكلمة المسموعة والمقروءة ، مستوعباً في مسيرة دعوته الطويلة جميع فنونها ، فهو خطيبٌ واعظٌ مرشدٌ ، وهو كاتبٌ ومصنِّفٌ ، وهو محاضرٌ ومحاورٌ بكونه رئيساً ، أو عضواً ، أو ضَيْفاً مشاركاً في المجامع والجامعات ، والروابط والمؤسّسات ، والندوات والمؤتمرات الإسلامية .

فإذا نظرتَ إليه بمنظار الإرشاد ألفيتَه خطيباً مرشداً متواضعاً زاهداً ، أبعد ما يكون عن التكلّف ، يعيش في صفوف الناس قريباً منهم يألفهم ويألفونه ، يأنس بهم ويأنسون به ، فإذا تكلَّمَ ؛ هبَّت من مواعظه نسائمُ الإيمان ؛ لتُحيي القلوبَ ، وتزكِّي النفوسَ ، وتنوِّر العقولَ ، وتشحذ الهِمَمَ ، وتُثير العزائمَ .

فإذا نظرتَ إليه بمنظار الكتابة والتصنيف والتأليف ؛ وجدتَه مؤلِّفاً بارعاً ، عاليَ الكعب ، طويلَ الباع ، ذا قلمٍ سَيّالٍ ، وقدرةٍ عاليةٍ على البيان ، تناول في مؤلَّفاته القضيةَ الإسلامية وما يطرأ عليها من متغيّراتٍ وحوادثٍ ، والمسلمون في أرجاء العالم الإسلامي ، وما يعتريهم من همومٍ ، ويعترضهم من مشكلات ، وكثرت مؤلَّفاته حتى أغنت المكتبةَ الإسلامية وصارت مصادر هامّة للكُتَّابِ والبَاحثين .

وإذا نظرتَ إليه بمنظار المحاضرات ؛ ألفيتَه يُتقِن إتقاناً تاماً أربع لغات تنطق أكثرُ ألسن أهل الأرض بها ، وهي العربية والإنكليزية والفارسية والأردية ، يُحاضِر بها ، ويُحاور المؤتمرات والندوات والمؤسسات والجامعات والمراكز الإسلامية ، التي كان لا يكاد يتغيَّب أو يعتذر عن المشاركة الإيجابية البناءة فيها .

فهو ـ رحمه الله تعالى ـ في كلماتٍ موجزةٍ[1] :

ـ إذا أردتَ الزهد في حطام الدنيا وزخارفها والاستغناء عمَّا في أيدي الناس . . فستجد ذلك عند أبي الحسن .

ـ وإذا سألتَ عن الفضل والنُّبل والكرم وطهارة القلب ، وزكاة السريرة ، وحُسن الخلُق ، ولطافة المعشر ، واللَّباقة في التعامل مع « الآخرين » فستجد صاحبَ هذه الصفحات العلياء أبا الحسن !

---

(١) كما وَصَفَهُ بذلك الكاتبُ القدير فضيلة أستاذنا الشيخ محمد نعمان الدين الندوي (انظر مجلة « الصحوة الإسلامية » العدد : ٣٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

ـ وإذا أردتَ الكلمة الطيبة ، والأدبَ العالي ، والعلمَ الجمّ ، فاقرأ مؤلفات أبي الحسن !

ـ وإذا أردتَ أن تعرف رجلاً ملأت محبتُه قلوبَ الرجال والنساء ، وغلبت مودته أفئدة الناس على السَّواء ، وأجمعت الأمةُ على ورعه وإخلاصه وأخلاقه العالية الزكية ؛ فدُونك أبا الحسن !

ـ وإذا أردتَ عالماً أديباً مربِّياً ، وداعيةً إلى الله ، وقائداً نصوحاً للأمة ، ورجلاً يهابه الحكَّامُ والرؤساءُ ، وكان شوكةً في حلوق الأعداء ؛ فذلك أبو الحسن !

ـ وإذا بحثتَ عن الاعتدال والوسطية ، والفكرة النقية ، والقلب الصافي ، واللسان النظيف من الطعن أو التجريح ، والانشغال بالقضايا العظام عن المسائل الصغيرة ، والاهتمام بشؤون الإسلام والمسلمين ؛ فستجد ذلك عند أبي الحسن[1] ! .

•••

(١) شهِد له بالفضل والبراعة والتضلُّع في علوم الدين والدنيا ، وفنون اللغة والأدب ، أساطينُ العِلم والأدب ، ورجالُ الفكر والدعوة ، وخصَّصوا له ولمآثره صفحاتٍ في كُتبهم أمثال أديب العربية الكبير الشيخ على الطنطاوي في كتابه « **ذكريات** » ، والداعية البصير الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه « **ابن القرية والكتَّاب** » ، والكاتب الإسلامي النابه الأستاذ أنور الجندي في كتابه « **أعلام القرن الرابع عشر الهجري** » ، والأديب الموهوب والشاعر المطبوع الشيخ محمد المجذوب في كتابه « **علماء ومفكِّرون عرفتُهم** » ، والكاتب الكبير والناقد الصَّيرفي الدكتور محمَّد رجب البيُّومي في كتابه « **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصِرين** » ، والداعية الإسلامي المستشار الشيخ عبد الله العقيل في كتابه « **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة** » وغيرهم من العلماء والدعاة ، والأدباء والكتَّاب في كتبهم ومقالاتهم يصعب استقراء ذلك هنا .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abubasanalinadwi.org

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

العربية :

(أ)

١ ـ أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، إعداد المؤلِّف ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

٢ ـ أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم والمربّي الجليل : للدكتور محمد اجتباء الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .

٣ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : للأستاذ محمد محمد حسين ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : ٢ .

٤ ـ أحاديث صريحة في أمريكة : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : مؤسَّسة الرسالة ـ بيروت .

٥ ـ أحاديث صريحة مع إخواننا العرب : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار عرفات للترجمة والنشر ، راي بريلي (الهند) .

٦ ـ أحمد بن عرفان الشهيد : للشيخ علي الطنطاوي ، ن : دار الفكر ـ دمشق .

٧ ـ الأدب الأردني الإسلامي : للدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، ن : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض .

٨ ـ الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

٩ ـ أدب الرحلة : للدكتور حسين نصَّار ، ن : مكتبة لبنان ـ بيروت .

١٠ ـ إذا هبَّت ريح الإيمان : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

١١ ـ الأركان الأربعة : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

١٢ ـ أسبوعان في المغرب الأقصىٰ : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

١٣ ـ الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي كاتباً ومفكِّراً : للأستاذ نذر الحفيظ الندوي ، ن : دار القلم ـ الكويت ، ط : ١ ، عام ١٤٠٧هـ .

١٤ ـ الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية : للأستاذ مصطفى حلمي ، ن : دار الدعوة ـ الإسكندرية ، ط : ١ ، عام ١٩٨٩م .

www.abulhasanalinadwi.org

١٥ ـ الإسلام الممتحن : للأستاذ محمد الحسني ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٤هـ .
ـ إلى الإسلام من جديد : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : المجمع الإسلامي العلمي ـ لكهنؤ (الهند) .
١٦ ـ الإسلام وأثرُه في الحضارة وفضله على الإنسانية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
١٧ ـ إسمعيات ؛ للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، إعداد المؤلِّف ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
١٨ ـ أصول التربية الإسلامية : تأليف الأساتذة : محمد شحات الخطيب ، ومصطفى متولِّي .
١٩ ـ الأضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند : للعلامة أبي الحسن الندوي . (ت : المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
٢٠ ـ الأعلام : لخير الدين الزركلي : ن : دار العلم للملايين ـ بيروت ، ط : ١٢ ، عام ١٩٩٧م .
٢٠ ـ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : للعلاَّمة عبد الحي الحسني ، ن : دار ابن حزم ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
٢١ ـ أعلام القرن الرابع عشر الهجري : للأستاذ أنور الجندي ، ن : مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ، ط : ١ ، عام ١٩٨١م .
٢٢ ـ أعلام المحدِّثين في الهند : للمؤلِّف ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
٢٣ ـ إقبال الشاعر الثائر : للأستاذ نجيب الكيلاني ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
٢٤ ـ الإمام السرهندي حياته وأعماله (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) الجزء الثاني : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ٢ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
٢٥ ـ الأمير صديق حسن خان حياته وآثاره : للدكتور محمد اجتباء الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
٢٦ ـ أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة : للدكتور يوسف القرضاوي ، ن : مكتبة وهبة ـ القاهرة .
٢٧ ـ أهداف التغريب في العالم الإسلامي : للأستاذ أنور الجندي ، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة .

(ب)

٢٨ ـ باكستان في ماضيها وحاضِرها : للدكتور عبد الحميد البطريق ، دار المعارف ـ القاهرة ، ط : ١ ، عام ١٩٥٥م .
٢٩ ـ بحوث في الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، إعداد المؤلِّف ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

www.abulhasanalinadwi.org

٣٠ ـ بغية المتابع لأسانيد العلاَّمة الشريف محمد الرابع : للدكتور محمد أكرم الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤هـ ـ ٢٠م .
٣١ ـ البلدان الإسلامية : للدكتور أحمد محمود الساداتي ، ن : مكتبة الآداب للطباعة ـ القاهرة .
٣٢ ـ البيان والتبيين : لأبي عثمان عمرو بن الجاحظ ، ت : د . درويش جويدي ، ن : المكتبة العصرية ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
٣٣ ـ بين الدين والعقل : للأستاذ عبد الباري الندوي (ترجمة الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي) ، ن : دار ابن حزم ـ بيروت .

(ت)

٣٤ ـ تاريخ الأديان : للدكتور محمد الزحيلي ، ن : مطبعة جامعة دمشق ، ط : ١ .
٣٥ ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند : للأستاذ مسعود الندوي ، ن : دار العروبة ـ لاهور (باكستان) .
٣٦ ـ تاريخ مدينة دمشق : للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ، (ت : محب الدين أبي سعيد وعمر بن غرّامة العمري) ، ن : دار الفكر ـ دمشق ، ط : ١ عام ١٩٩٥ .
٣٧ ـ تاريخ شبه الجزيرة الهندية والباكستانية : للدكتور إحسان حقّي ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٩٧٨م .
٣٨ ـ تاريخ الطبري : للإمام أبي محمد بن جرير أبي جعفر الطبري ، ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤٠٧هـ .
٣٩ ـ تأمُّلات في القرآن الكريم : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق .
٤٠ ـ التربية الإسلامية الحُرَّة : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
٤١ ـ التربية الإسلامية عند العلاَّمة أبي الحسن الندوي : للدكتور محب الدين أحمد أبي صالح ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
٤٢ ـ تفسير روح المعاني : للعلامة محمود بن عبد الله الآلوسي ، ن : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
٤٣ ـ التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي . ن : آفاق الغد ـ القاهرة ، ط : ٢ ، عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
٤٤ ـ تفسير القرآن العظيم : للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، ن : دار الفكر ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٠١هـ .
٤٥ ـ تفسير القرطبي : للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، (ت : أحمد عبد العليم البردوني) ، ن : دار الشعب ـ القاهرة ، ط : ٢ ، عام ١٣٧٢هـ .
٤٦ ـ تهذيب الأخلاق : للعلاَّمة عبد الحي الحسني : (ت : المؤلِّف) ، ن : دار الفارابي ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م .

www.abulhasanalinadwi.org

(ج)

٤٧ ـ **جامع الترمذي** : للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، (ت : صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ) ، ن : دار السلام ـ الرياض ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ .

٤٨ ـ **جذور الفكر القومي والعلماني** : للدكتور عدنان زرزور ، ن : المكتب الإسلامي ـ بيروت .

٤٩ ـ **الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردية** : للدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض) .

٥٠ ـ **جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في مجال الدعوة** : للأستاذ رياض عاشور ، (رسالة ماجستير تقدَّمَ بها في كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر في القاهرة عام ١٤١٥هـ) .

(ح)

٥١ ـ **حديث مع الغرب** : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار المختار الإسلامي ـ القاهرة .

٥٢ ـ **حركة الجامعة الإسلامية** : للأستاذ أحمد فهد بركات الشوابكة .

٥٣ ـ **حضارة العرب** : لغوستاف لوبون (ترجمة : عادل زعيتر) ، ن : دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ، عام ١٩٥٦م .

٥٤ ـ **الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا** : للدكتور يوسف القرضاوي ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٩٧١م .

(خ)

٥٥ ـ **خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلُّمها** : للأستاذ محمد نعمان الدين الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

٥٦ ـ **خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء** : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، (إعداد المؤلِّف) ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

٥٧ ـ **الخطر الأكبر على العالم العربي** : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار الصحوة ـ القاهرة ـ ط : ١ ، عام .

(د)

٥٨ ـ **دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية وتوجيهية : حركة إصلاحية دعوية مؤسسة تعليمية تربوية** : للأستاذ محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي ، ن : أكاديمية شيخ الهند ـ ديوبند (الهند) ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

٥٩ ـ **دراسات قرآنية** : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، (إعداد المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

٦٠ ـ **الدعوة الإسلامية وتطوُّرها في شبه القارة الهندية** : للدكتور محي الدين الألوائي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

www.abulhasanalinadwi.org

٦١ ـ دولة الخلافة : للأستاذ عبد الرشيد عبد العزيز سالم ، ن : وكالة المطبوعات ـ الكويت ، ط : ١ ، عام ١٩٨٣م .
٦٢ ـ ديوان محمد إقبال : إعداد المؤلِّف ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

(د)

٦٣ ـ ذكريات : للشيخ علي الطنطاوي ، ن : دار المنارة ـ جدَّة ، ط : ١ .

(ر)

٦٤ ـ ربانية لا رهبانية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
٦٥ ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ٢ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م . وطبعة دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
٦٦ ـ رحلات العلاَّمة أبي الحسن علي الحسني الندوي مشاهداته ـ انطباعاته ـ لقاءاته ـ محاضراته : إعداد المؤلف ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
٦٧ ـ رحمة للعالمين : للقاضي محمد سليمان سلمان المنصور فوري (تعريب : الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم) ن : دار السلام ـ الرياض ، ط : ١ ، عام ١٤١٨هـ .
٦٨ ـ رسائل الأعلام إلى العلاَّمة أبي الحسن الندوي : إخراج وتقديم الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، (ت : المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
٦٩ ـ رسالة التوحيد : للإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (تعريب العلاَّمة أبي الحسن الندوي وت : المؤلِّف) ن : دار وحي القلم ـ دمشق ط : ١ ، عام ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .
٧٠ ـ روائع إقبال : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ١٩٩٩م .
٧١ ـ روائع من أدب الدعوة في السيرة : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

(س)

٧٢ ـ سنن ابن ماجه : للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني . ن : دار السلام ـ الرياض ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ .
٧٣ ـ سنن أبي داود : للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجستاني . ن : دار السلام ـ الرياض ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ .
٧٤ ـ سنن الدارقطني : للحافظ علي بن عمر أبي الحسن الدارقطني البغدادي ، (ت : السيد عبد الله هاشم يماني المدني) ، ن : دار المعرفة ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .
٧٥ ـ السنن الكبرى : للإمام أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمٰن النسائي ، (ت : د. عبد الغفار

www.abulhasanalinadwi.org

سليمان البغدادي ، وسيد كسروي حسين) ، ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤١١هـ .
٧٦ ـ سنن النسائي : للإمام أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي ، ن : دار السلام ـ الرياض ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ .
٧٧ ـ السيد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندويّين : للدكتور محمد أكرم الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
٧٨ ـ السيرة النبوية : للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام ، (ت : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي) ن: دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ٢ ، عام ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .
٧٩ ـ السيرة النبوية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، (ت : المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ٣ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

(ش)

٨٠ ـ شبلي النعماني علاَّمة الهند الأديب والمؤرِّخ الناقد الأديب : للدكتور محمد أكرم الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م .
٨١ ـ شخصيات وكُتب : للعلا مة أبي الحسن الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .
٨٢ ـ شعب الإيمان : للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي ، (ت : محمد السعيد بسيوني زغلول) ، ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤١٠هـ .
٨٣ ـ الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفتُه : للدكتور يوسف القرضاوي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
٨٤ ـ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوتُه إلى الله : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

(ص)

٨٥ ـ صحيح البخاري : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، ن : دار السلام ـ الرياض ، ط : ٢ ، عام ١٤٢١هـ .
٨٦ ـ صحيح ابن حبَّان : للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي ، (ت : الشيخ شعيب الأرناؤوط) ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : ٢ ، عام ١٤١٤هـ .
٨٧ ـ صحيح مسلم : للإمام أبي الحُسين مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القُشيري . ن : دار السلام ـ الرياض ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ .
٨٨ ـ الصراع بين الإيمان والمادية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ .
٨٩ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار القلم ـ الكويت .

www.abulhasanalinadwi.org

٩٠ ـ صفوة الصفوة : لعبد الرحمٰن بن علي بن محمد أبي الفرج ابن الجوزي ، (ت : محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي) ، ن : دار المعرفة ـ بيروت ، ط : ٢ ، عام ١٣٩٩هـ .
٩١ ـ صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار البشير ـ جدَّة .

(ط)

٩٢ ـ الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرَّة : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
٩٣ ـ الطريق إلى المدينة : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

(ع)

٩٤ ـ العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي : للأستاذ أنور الجندي . ن : دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، ط : عام ١٩٨٣م .
٩٥ ـ العرب والإسلام : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : المجتمع الإسلامي العلمي ـ لكهنؤ (الهند) .
٩٦ ـ العقيدة والعبادة والسلوك : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ .
٩٧ ـ العلاَّمة أبو الحسن الندوي في مرآة كتاباته ومحاضراته : للأستاذ أنور الجندي . ن : دار عرفات ـ راي بريلي (الهند) .
٩٨ ـ العلاَّمة عبد الحي الحسني مؤرِّخ الهند الأكبر ومن كبار مؤلِّفي القرن الرابع عشر الهجري ؛ عصره ـ حياته ـ مؤلَّفاته : للدكتور السيد قدرة الله الحسيني ، ن : دار الشروق جدة ، ط : ١ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٩٩ ـ علماء ومفكِّرون عرفتهم : للشيخ محمد المجذوب ، ن : دار الاعتصام ـ القاهرة .
١٠٠ ـ عمل اليوم والليلة : للإمام أحمد بن شعيب النسائي ، (ت : د . فاروق حمادة) ، ن : دار الكلم الطيب ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢١هـ .

(غ)

١٠١ ـ الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام : للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ، ن : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ، ط : ١ ، عام ١٩٨٤م .

(ف)

١٠٢ ـ فتح الباري وشرح صحيح البخاري : للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ن : دار المعرفة ـ بيروت .
١٠٣ ـ الفردوس بمأثور الخطاب : لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي ، (ت : السعيد بن بسيوني زغلول) ، ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط : عام ١٩٨٦م .

www.abulhasanalinadwi.org

١٠٤ ـ فقه الدعوة ملامح وآفاق : للأستاذ عمر عبيد حسنة ، ن : المكتب الإسلامي ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٩٨٩م .
١٠٥ ـ الفقه الميسَّر : للشيخ شفيق الرحمٰن الندوي (ت : المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢١هـ .
١٠٦ ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية : للإمام عبد الحي الكهنوي ، ط الخانجي ، القاهرة ـ عام ١٣٢٤هـ .
١٠٧ ـ في ظلال القرآن : للشهيد سيد قطب . ن : دار الشروق ـ القاهرة ، ط : ١٠ ، عام ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
١٠٨ ـ في مسيرة الحياة : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام

(ق)

١٠٩ ـ القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض علميّ : للأساتذة : أبي الأعلى المودودي ، وأبي الحسني الندوي وإحسان إلهي ظهير (إعداد المؤلّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام .
١١٠ ـ القراءة الراشدة : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام هـ .
١١١ ـ قصص من التاريخ الإسلامي (للأطفال) : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام .
١١٢ ـ قصص النبيِّين (للأطفال) : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : عام .

(ك)

١١٣ ـ كشف الخفاء : لإسماعيل بن محمد العجلوني الجرَّاحي (ت : أحمد قلاَّش) ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : ٤ ، عام ١٤٠٥هـ .
١١٤ ـ كشف الظنون : لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ، ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤١٣هـ .
١١٥ ـ كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال : للشيخ علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، ن : دائرة المعارف ـ حيدر آباد (الهند) ، ط : ١ ، عام ١٣٨٧هـ .
١١٦ ـ كيف ينظر المسلمون إلى جزيرة العرب : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م .

(م)

١١٧ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، (ت : المؤلف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

www.abulhasanalinadwi.org

١١٨ ـ مجمع الزوائد : للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي ، ن : دار الريان للتراث ـ القاهرة ، ط : ١ ، عام ١٤٠٧هـ .
١١٩ ـ محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي (إعداد المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام .
١٢٠ ـ محمد إقبال الشاعر المفكِّر الفيلسوف : للمؤلِّف ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط: ١ ، عام ١٤٢٢هـ .
١٢١ ـ مختارات من أدب العرب : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
١٢٢ ـ مدخل إلى الأدب الإسلامي : للدكتور نجيب الكيلاني ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
١٢٣ ـ المدخل إلى الدراسات القرآنية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
١٢٤ ـ المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف : للعلامة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
١٢٥ ـ مذكِّرات سائح في الشرق العربي : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام .
١٢٦ ـ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند : للدكتور عبد الحليم الندوي ، ط : مدارس عام ١٩٦٧م .
١٢٧ ـ المستدرك على الصحيحين : للإمام الحافظ محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، (ت : مصطفى عبد القادر عطا) ، ن : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤١١هـ .
١٢٨ ـ المرتضى : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ٢ ، عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .
١٢٩ ـ المسلمون في الهند : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
١٣٠ ـ المسلمون وقضية فلسطين : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : المجمع الإسلامي العلمي ـ لكهنؤ (الهند) ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٣١ ـ المسلمون الهنود وقضية فلسطين : للأستاذ تيسير جبَّارة ، ن : دار الشروق ـ عمان ، ط : ١ ، عام ١٩٩٨م .
١٣٢ ـ مسند أبي يعلى : للإمام أحمد بن علي بن المثنَّى أبي يعلى الموصلي التميمي ، (ت : حسين سليم أسد) ن : دار المأمون ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٠٤هـ .
١٣٣ ـ مسند أحمد : للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني . ن : مؤسسة القرطبة ـ القاهرة .
١٣٤ ـ مسند البزَّار : للحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزَّار . (ت : محفوظ الرحمن

www.abulhasanalinadwi.org

زين الله) ن : مؤسَّسة علوم القرآن ، وبيت العلوم والحكمة ـ المدينة المنوَّرة ، ط : ١ ، عام ١٤٠٩هـ .
١٣٥ ـ مسند الشهاب : للإمام محمد بن سلامة بن جعفر أبي عبد الله القُضاعي ، (ت : حمدي بن عبد المجيد السلفي) ، ن : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤٠٩هـ .
١٣٦ ـ مشاهداتي في الهند : للأستاذ محمد المجذوب ، ن : دار الاعتصام ـ القاهرة ، ط : ١ ، عام ١٩٨٤م .
١٣٧ ـ مصنَّف ابن أبي شيبة : للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، (ت : كمال يوسف الحوت) ، ن : مكتبة الرشد ـ الرياض ، ط : ١ ، عام ١٤٠٩هـ .
١٣٨ ـ المعجم الأوسط : للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، (ت : طارق بن عوض الله بن محمد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسني) ، ن : دار الحرمين ـ القاهرة ، ط : ١ ، عام ١٤١٥هـ .
١٣٩ ـ المعجم الصغير : للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، (ت : محمد شكور محمود الحاج أمرير) ، ن : المكتب الإسلامي ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤٠٥هـ .
١٤٠ ـ المعجم الكبير : للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، (ت : حمدي بن عبد المجيد السلفي) ، ن : مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنوَّرة ، ط : ٢ ، عام ١٤٠٤هـ .
١٤١ ـ مقالات إسلامية في الفكر والدعوة : للعلاَّمة أبي الحسن علي الندوي ، (إعداد : المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٥هـ .
١٤٢ ـ مقالات حول السيرة النبوية : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، (إعداد : المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
١٤٣ ـ مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، (إعداد : المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م .
١٤٤ ـ مكانة المرأة في الإسلام : للعلامة أبي الحسن الندوي ، (إعداد : المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
١٤٥ ـ الملل والنحل : لأبي الفتح الشهرستاني (ت : محمد بن فتح الله بداره) .
١٤٦ ـ من أعلام المسلمين ومشاهيرهم : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، (إعداد : المؤلِّف) ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
١٤٧ ـ من نهر كابل إلى نهر يرموك : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار الإيمان ـ بيروت ، ط : ٢ ، عام ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .
١٤٨ ـ منهج الفنِّ الإسلامي : للأستاذ محمد قطب ، ن : دار الشروق ـ القاهرة .
١٤٩ ـ الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : للدكتور عبد الرؤوف شلبي .
١٥٠ ـ الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، (ت : خليل مأمون شيحا ، ن : دار المعرفة ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤١٨هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

(ن)

١٥١ ـ ندوة العلماء : في سِيَرِ أعلامها ، وتراجم علمائها : للمؤلِّف ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق .

١٥٢ ـ النبوَّة والأنبياء في ضوء القرآن : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق .

١٥٣ ـ نحو مذهبٍ إسلاميٍّ في النقد والأدب : للدكتور عبد الرحمٰن رأفت الباشا ، ن : دار الأدب الإسلامي ـ القاهرة ، ط : ٤ ، عام ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

١٥٤ ـ نظرات في الأدب : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١٥٥ ـ نظرات في الأدب النبوي : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي (ت : المؤلِّف) ن : دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

١٥٦ ـ نظرات في الحديث : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي (جمع وتقديم : الأستاذ بلال الحسني الندوي) ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

١٥٧ ـ نفحات الإيمان بين صنعاء وعَمَّان : للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، ن : دار الصحوة ـ القاهرة .

١٥٨ ـ النهاية في غريب الحديث : للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، ت : الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي ، ن : دار الفكر ـ بيروت ، ط : ١ ، عام ١٤١٨هـ .

١٥٩ ـ النهضة الإسلامية في سِيَر أعلامها المعاصرين : للدكتور محمد رجب البيّومي ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

(و)

١٦٠ ـ واقعنا المعاصر : للأستاذ محمد قطب ، دار الشروق ـ القاهرة .

١٦١ ـ الوالد الداعية المربِّي : الشيخ حسن حبنكة الميداني : للأستاذ عبد الرحمٰن حبنكة الميداني ، توزيع دار القلم ـ دمشق .

(ي)

١٦٢ ـ يحدِّثونك عن أبي الحسن الندوي : إعداد الدكتور محسن العثماني الندوي ، ن : دار ابن كثير ـ دمشق ، ط : ١ .

١٦٣ ـ يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء : ت : الأستاذ عصام تليمة ، ن : دار القلم ـ دمشق ، ط : ١ ، عام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

بالأردية :

١٦٤ ـ أحوال العارفين : للأستاذ حافظ غلام فريد ، ن : ستر ببلشرز ، لاهور .

١٦٥ ـ إقباليات تنقيدي جائزة :

www.abulhasanalinadwi.org

١٦٦ ـ براني جراغ : لمولانا أبو الحسن علي حسني ندوي ، ن : مجلس تحقيقات ونشريات ـ لكهنؤ (الهند) .
١٦٧ ـ برون كابجبن : لمولانا محمد أسلم صاحب شيخو بوري ، ن : زمزم بك دبو (الهند) .
١٦٨ ـ تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند : بنجاب يونيورستي ، ن : جامعة بنجاب ـ لاهور (باكستان) ط : ١ ، عام ١٩٧١م .
١٦٩ ـ تاريخ فكر إسلامي : للدكتور محمد اجتباء ندوي ، ن : المركز العلمي ، نيودهلي (الهند) .
١٧٠ ـ سلاسل أربعة : للأستاذ محمود حسن حسني ندوي ، ن : دار عرفات ـ رائي بريلي (الهند) .
١٧١ ـ سيرة سيد أحمد شهيد : لمولانا أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ن : مجلس تحقيقات ونشريات لكهنؤ (الهند) .
١٧٢ ـ كاروان زندكي : لمولانا أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ن : مجلس تحقيقات ونشريات لكهنؤ (الهند) .
١٧٣ ـ مضامين إقبال : د . محمد إقبال ، ط : كراتشي ، ١٩٥٧م .
١٧٤ ـ معاصرين : لمولانا عبد الماجد دريابادي ، ن : مكتبة فردوس ، لكهنؤ (الهند) .
١٧٥ ـ ميركاروان : لمولانا عبد الله عباس ندوي ، ن : مجلس تحقيقات ونشريات ـ لكهنؤ (الهند) .

الجرائد والمجلاَّت :

العربية :

١ ـ مجلَّة « الأدب الإسلامي » : الشهرية الصادرة عن المقرّ الرئيسي لرابطة العالم الإسلامي في الرياض .
٢ ـ مجلَّة « الأمة » : الشهرية الصادرة عن قطر سابقاً .
٣ ـ مجلَّة « البعث الإسلامي » : الشهرية الصادرة عن مؤسَّسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء (الهند) .
٤ ـ مجلَّة « ثقافة الهند » : الصادرة عن مجلس الهندي للعلاقات الثقافية في نيودهلي (الهند) .
٥ ـ جريدة « الجزيرة » : اليومية الصادرة عن الرياض .
٦ ـ مجلَّة « الداعي » : الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند الإسلامية (الهند) .
٧ ـ صحيفة « الرائد » : نصف الشهرية الصادرة عن مؤسَّسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء (الهند) .
٨ ـ مجلَّة « الصحوة الإسلامية » : الفصلية الصادرة عن دار العلوم الإسلامية بحيدر آباد (الهند) .

www.abulhasanalinadwi.org

٩ ـ صحيفة « العالم الإسلامي » : الأسبوعية الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرّمة ، (السعودية) .
١٠ ـ مجلّة « الفتح » : الشهرية الصادرة عن القاهرة سابقاً .
١١ ـ مجلّة « المجتمع » : الأسبوعية الصادرة عن جمعية الإصلاح في الكويت .
١٢ ـ مجلّة « المسلمون » : الشهرية الصادرة عن المركز الإسلامي في جنيف سابقاً .
١٣ ـ مجلّة « المنهل » : الشهرية الصادرة عن السعودية .

الأردية

١٤ ـ مجلّة « أدب إسلامي » : الفصلية الصادرة عن فرع رابطة الأدب الإسلامي بلكهنؤ (الهند) .
١٥ ـ مجلّة « تعميرحيات » : نصف الشهرية الصادرة عن ندوة العلماء (الهند) .
١٦ ـ مجلّة « معارف » : الشهرية الصادرة عن دار المصنّفين في أعظم كره (الهند) .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
هذا الرجل	٧
تقريظ بقلم الدكتور يوسف القرضاوي	١٥
تقديم لفضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخَنْ	٢٦
تقديم للدكتور الشيخ أحمد كفتارو (مفتي الجمهورية العربية السورية)	٣١
تقديم لفضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي	٣٤
تقديم لفضيلة الأستاذ الدكتور وهبة الزُّحَيْلي	٣٧
مقدمة الطبعة الثالثة	٤١
التقدمة	٤٣
الباب الأوَّل	
عصر العلاَّمة أبي الحسن النَّدْوِي	
الفصل الأوَّل : العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري	٤٧
أ ـ الحالة السياسية	٥١
(١) إسقاط الخلافة الإسلامية	٥١
● دور مسلمي الهند في إنقاذ الخلافة	٥١
● أثر إلغاء الخلافة على العالم الإسلامي	٥٩
(٢) الاحتلال الصهيوني لفلسطين	٦٠
● موقف مسلمي الهند ضِدَّ الاحتلال الصهيوني	٦٢
ب ـ الحالة العلمية	٦٨
● التعليم	٦٨
● الثقافة	٦٩

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
● الظروف الثقافية في الهند	٧٠
ج ـ الحالة الاجتماعية	٧٢
د ـ الحالة الدينية	٧٤
الفصل الثاني : المسلمون في الهند ماضيهم وحاضرهم	٧٧
المبحث الأوّل : صلة الهند بالإسلام	٧٩
● الهند قبل دخول الإسلام	٧٩
● دخول الإسلام في الهند	٨٠
● نظرة عابرة على الدعوة الإسلامية في الهند	٨٥
أحوال الهند المعاصرة	٨٧
أ ـ الحالة الدينية	٨٧
● أوّلاً : الهندوسية	٨٨
● ثانياً : البُوذية	٨٩
● ثالثاً : الجِنْيَّة	٩٠
● رابعاً : السِّيْخِيَّة	٩٠
● خامساً : اليهودية	٩١
● سادساً : المسيحية	٩٢
● سابعاً : القاديانية	٩٣
● ثامناً : المسلمون	٩٣
تأثير المسلمين في حضارة الهند	٩٦
ب ـ الحالة السياسية	١٠٠
● سياسة الإنجليز تجاه المسلمين	١٠١
● دور المسلمين في تحرير الهند من الاستعمار البريطاني	١٠٢
● مسألة تقسيم الهند وقيام باكستان	١٠٥
● موقف العلاَّمة أبي الحسن الندوي من التقسيم	١٠٦
ج ـ الحالة العلمية	١٠٩
● الجامعات الدينية	١٠٩
١ ـ دار العلوم دِيُوْبَنْد الإسلامية	١٠٩

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع | الصفحة

٢ ـ مدرسة مَظَاهِر العلوم ١١٠
٣ ـ دار العلوم التابعة لنَدْوَة العلماء ١١١
٤ ـ الجامعة السَّلَفِية ١١٢
الجامعات المدنية العصرية ١١٣
١ ـ جامعة عَلِيْكَرهْ الإسلامية ١١٤
٢ ـ الجامعة المِلِّيَّة الإسلامية ١١٥
٣ ـ الجامعة العثمانية ١١٥
المجامع العلمية (ودورها في تزويد المسلمين بالثقافة الإسلامية في الهند بعد الاستقلال) ١١٥
١ ـ دار المصنِّفين (في أعظم كَرَهْ) ١١٧
٢ ـ ندوة المصنِّفين (في دِهْلي) ١١٨
٣ ـ دائرة المعارف (في حَيْدَرْآباد) ١١٨
٤ ـ المجمع الإسلامي العلمي (في لَكْهَنؤ) ١١٨
د ـ الحالة الاجتماعية ١٢٠
فَذْلَكَة هذا الباب ١٢٣

الباب الثاني
حياة العلَّامة أبي الحسن النَّدْوِي

الفصل الأول : في سيرته الذاتية ١٢٩
المبحث الأول : أسرة العلَّامة الندوي خصائصها وأعلامها ١٣١
● خصائص الأُسَر الحسنية في الهند ١٣١
اسمه ونسبه ١٣٣
● اسمه ١٣٢
● نسبه ١٣٤
● سِمات أسرته وأجداده ١٣٤
أعلام هذه الأسرة في الهند ١٣٧
١ ـ الإمام عَلَمُ الله بن فَضَيْل الحسني النَّقْشَبَنْدي ١٣٨
٢ ـ الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ١٣٨

www.abulhasanalinadwi.org

٣ ـ الشيخ فخر الدين بن عبد العلي الحسني ١٣٩
الموضوع الصفحة
٤ ـ العلاَّمة الشريف الشيخ عبد الحي الحسني ١٤٠
٥ ـ الدكتور عبد العلي الحسني ١٤٤
المبحث الثاني : الولادة ومرحلة النشأة ١٤٦
● مولده ١٤٦
● نشأته ١٤٦
● أثر تربية وتوجيه الشخصيتين في حياته ١٤٧
الفصل الثاني : في سيرته العلمية ١٤٩
المبحث الأوَّل : النشأة العلمية المبكِّرة ١٥١
ذكريات طفولته ١٥٣
● مكتبة أبي الحسن ١٥٣
● وجدتُ النقودَ ورجعتُ بالنقود ١٥٤
● عادة حسنة ١٥٤
دراسته المتوسِّطة ١٥٦
● لفته لأنظار المشاركين في حفل « ندوة العلماء » ١٥٧
● شغفُه في الصِّبا ١٥٨
● بصمات شيخين في حياته ١٥٩
دراسته الجامعية ١٦٠
● سفره الأوَّل إلى (لاهُوْر) وزيارته لشاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال ١٦٠
● طلبه لعلم الحديث النبوي في « نَدْوَة العلماء » ١٦١
● تبحُّره في العربية وبداياته مع تحرير المجلاَّت ١٦١
● سفره إلى دِيُوْبَنْد ، ولاهُوْر للازدياد من الطلب في التفسير والحديث وعلومهما ١٦٣
المبحث الثاني : أساتذة وشيوخ العلاَّمة الندوي ١٦٤
● أساتذته في اللغة العربية وآدابها ١٦٤
١ ـ الشيخ خليل بن محمَّد اليَمَاني ١٦٤
٢ ـ الأستاذ عزيز الرحمن ١٦٧

www.abulhasanalinadwi.org

٣ ـ الشيخ سيد محمد طلحة الحسني ١٦٧
الموضوع الصفحة
٤ ـ العلاَّمة الدكتور تقي الدين الهلالي المُرَّاكُشِي ١٦٨
● شيوخه في الحديث الشريف ١٧٠
٥ ـ المحدِّث الشيخ حَيْدَرْ حسن خانْ الطُّونكي ١٧٠
٦ ـ المحدِّث الشيخ حسين أحمد المدني ١٧١
● إسناده في رواية الحديث الشريف ١٧٢
● أساتذته وشيوخه في التفسير وغيره في علوم أخرى ١٧٩
٧ ـ العلاَّمة السيد سليمان الندوي ١٧٩
٨ ـ المفسِّر الشيخ أحمد علي الَّلاهُوْري ١٨٠
٩ ـ الشيخ خواجه عبد الحيّ الفاروقي ١٨٠
المبحث الثالث : في مجال التدريس والإبداع فيه ١٨١
● مناقشة حول اختيار أكبر رجلٍ في العالم الإسلامي ١٨٢
● شغفه بشعر محمد إقبال ١٨٢
● اقتراح الشيخ علي الطنطاوي له في ترجُمة شعر محمد إقبال ١٨٥
● فكرٌ خصبٌ في الثقافة ١٨٧
الفصل الثالث : نبوغه في الكتابة ١٩١
رحلته مع الكتابة والتأليف ١٩٣
صورة مقاله المنشور في مجلَّة « المنار » المصرية ١٩٨
مؤلَّفاته الباكورة بالأردية والعربية ٢٠٠
● أوَّلُ تأليفٍ له بالأردية ٢٠٠
● أوَّلُ تأليفٍ له بالعربية ٢٠١
الفصل الرابع : في حقل الدعوة والإصلاح ٢٠٥
المبحث الأوَّل : في سلك الدعوة إلى الله ٢٠٧
● دعوته للزعيم الهندي الكبير إلى الإسلام ٢٠٧
● زيارته للمراكز الدينية والاستفادة من تجاربها ٢٠٨
● خطابٌ دعويٌّ وفكريٌّ أمام مندوبي البلاد العربية والإسلامية في « دلهي » ٢٠٩
● تأسيسه لمركز التعليمات الإسلامية ٢١٢

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع الصفحة

المبحث الثاني : صلته بكبرى الجماعات والحركات الإسلامية في العالم الإسلامي ٢١٣

١ ـ عضويته لـ« الجماعة الإسلامية » وانفصاله عنها ٢١٤

٢ ـ صلته بـ« جماعة الدعوة والتبليغ » ٢٢١

● تعريف جماعة الدعوة والتبليغ ٢٢١

● إعجابه بجماعة الدعوة ٢٢٣

● خروجه في سبيل الله ٢٢٣

٣ ـ اتصاله بـ« حركة الإخوان المسلمين » ٢٢٦

● نصيحته للإخوان ٢٣٠

المبحث الثالث : رحلاته الدعوية والعلمية في الخافقين ٢٣٥

رحلته الأولى إلى الحجاز للحجِّ عام ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م ٢٣٧

رحلته الثانية إلى الحجاز عام ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ٢٣٨

رحلةٌ دعويةٌ واستطلاعيةٌ للشرق الأوسط عام ١٣٧٠هـ ١٩٥١م ٢٤١

● زيارته مصر ٢٤١

● رحلته إلى السوادن ٢٤٩

● زيارته لدمشق ٢٤٩

زيارته لسورية أستاذاً زائراً في جامعة دمشق عام ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م ٢٥٤

● مشاركتُه في مؤتمر العالم الإسلامي أثناء إقامته في دمشق ٢٥٧

● سفره إلى لبنان وتركيا ٢٥٨

● زيارته لبغداد ٢٦٠

رحلته إلى الكويت عام ١٩٦٢م ٢٦١

زيارته للبلدان الأوربية عام ١٩٦٣ ..... ٢٦٢

● زيارته للأندلس ٢٦٣

زيارة الدول الإسلامية في غرب آسيا عام ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م ٢٦٤

رحلته إلى الخليج العربي عام ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ٢٦٦

زيارة المغرب الأقصى عام ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ٢٦٧

زيارته لأمريكة عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ٢٧١

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
رحلته إلى باكستان عام ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م	٢٧٤
رحلته إلى قطر عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م	٢٧٧
سفره إلى سريلانكا عام ١٩٨٢م	٢٧٩
رحلته إلى إنكلترا عام ١٩٨٣م	٢٨٠
رحلته إلى الأردن عام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م	٢٨٢
رحلته إلى اليمن عام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م	٢٨٦
رحلته إلى الحجاز عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م	٢٩١
رحلته إلى بَنْغَلادِيْش عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م	٢٩٨
رحلته إلى ماليزيا عام ١٩٨٧م	٣٠٠
رحلته إلى تركية عام ١٩٨٩م	٣٠٣
رحلته إلى سَمَرْقَنْد وبُخَارى عام ١٩٩٣م	٣٠٧
الفصل الخامس : العلاَّمة أبو الحسن الندوي : شخصيةٌ عالميةٌ	٣١٣
المبحث الأوَّل : لقاءاته مع الملوك والأمراء والرُّؤساء ومحاوراته معهم	٣١٥
● مقابلته مع الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود وتقديم رسالةٍ إليه	٣١٥
● لقاءه بالملك عبد الله بن الشريف حسن (ملك المملكة الأردنية الهاشمية)	٣١٦
● لقاءه بالأمير سعود بن عبد العزيز	٣١٨
● لقاءه بالأمير فيصل بن عبد العزيز وتبادل الآراء معه	٣١٨
● لقاءاته مع الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود وأخيه الملك فهد وتوجيه رسائله الدعوية إليهما	٣١٩
● مقابلته مع الملك الحسن الثاني (عاهل المملكة المغربية) ونصيحته له	٣١٩
● لقاءاته بالأمير سلطان بن محمد القاسمي (حاكم الشارقة) وتوجيه رسائله الدعوية إليه	٣٢١
● مقابلته مع الرئيس عبد الله صالح (رئيس الجمهورية العربية اليمنية) وإقامته حفلةً لتكريم العلاَّمة	٣٢٢
● زيارة الشهيد الجنرال محمد ضياء الحقّ (رئيس جمهورية باكستان الإسلامية) للعلاَّمة :	٣٢٢

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع الصفحة

● زيارة إنْدَرَا غانْدِي (رئيسة وزراء الهند السابقة) للعلاَّمة في مقرّه ونصيحته لها ٣٢٣

● زيارة السيد أتَالْ بِهَاري فاجْبائي (رئيس وزراء الهند الأسبق) للعلاَّمة ٣٢٤

● زيارة البروفيسور نجم الدين أربكان (الزعيم التركي المعروف ، ورئيس وزراء تركية سابقاً) ٣٢٤

المبحث الثاني : تقدير وتكريم ٣٢٥

● انتخابه عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٢٥

● إدارته لجلسة تأسيس رابطة العالم الإسلامي الأولى في محضر أمراء وحكام البلاد العربية ٣٢٥

● اختياره عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة ٣٢٥

● اختياره عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية ٣٢٦

● تكريمه بـ« جائزة الملك فيصل العالمية » تقديراً لخدماته الإسلامية ٣٢٦

● اختياره عضواً في مجمع اللغة العربية بالأردن ٣٢٧

● منحه شهادة الدكتوراة الفخرية ٣٢٧

● دعوته إلى أوَّلِ ندوةٍ عالميةٍ عن الأدب الإسلامي ٣٢٧

● اختياره رئيساً لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن ٣٢٧

● اختياره عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن ٣٢٧

● تأسيسه لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ٣٢٨

● حفلة تكريمية فاخرة به في جُدَّة ٣٢٨

● ندوة أدبية كبيرة حول حياته ومساهماته في خدمة الأدب في تركية ٣٢٨

● تكريمه بإعطاء مفتاح الكعبة المشرَّفة ٣٢٩

● تكريمه بـ« جائزة الشخصية الإسلامية » لعام ١٤١٩هـ ٣٢٩

● تكريمه بـ« جائزة سلطان برونائي للخدمات الإسلامية » ٣٢٩

● تكريم منظَّمة « إيسسكو » بمنح الوسام له ٣٢٩

الفصل السادس: وداع إمام الدعاة، وقدوة المفكِّرين، ورائد الأدب (الإسلامي) ... ٣٣٣

المبحث الأوّل : وفاته ٣٣٥

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
● الأيام الأخيرة من وفاته	٣٣٥
● حسن الختام	٣٣٧
● أثر وفاته في العالم الإسلامي والعربي	٣٣٩
قصائد في رثائه	٣٤٢
١ ـ تلويح ووداعٍ لشيخ الهند : للأستاذ عبد الرحمن صالح العشماوي	٣٤٣
٢ ـ مرثية بقصيدة لفقيد الأمة الإسلامية في العالم : للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني	٣٤٥
أعقابه	٣٤٧
المبحث الثاني : ملامح شخصية العلاَّمة الندوي	٣٤٩
● مذهبه في الفقه	٣٥٣
● عقيدته	٣٥٣
● خَلْقُه	٣٥٤
● خُلُقه	٣٥٥
● الزهد والتواضع	٣٥٥
● صفاته وعاداته	٣٥٨
● همُّه الأكبر الدعوة إلى الله	٣٦٠
● فصاحة لسانه وبلاغة كلامه	٣٦٠
● الغيرة والحمية الدينية والأنفة	٣٦١
● سعة صدره واهتمامه بتضامن الأمة الإسلامية	٣٦٤
● أعظم آماله	٣٦٥
● أعظم يوم السُّرور ، وأشدّ ساعة الحزن في حياته	٣٦٦
● شخصيته المحبَّة عند الجميع	٣٦٧
● أعماله اليومية	٣٦٧
الفصل السابع : الشخصيات والكتب التي أسهمتْ في بناء شخصيته	٣٧١
المبحث الأوَّل : الشخصيات (المعاصرة) التي أثَّرت فيه	٣٧٣
١ ـ الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوي	٣٧٤
٢ ـ شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال	٣٧٦

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
٣ ـ الشيخ عبد القادر الرَّائِفُوْري	٣٧٨
٤ ـ الإمام الشهيد حسن البَنَّا	٣٨٠
المبحث الثاني : الكتب التي عاش فيها وتأثَّر بها أثناء الدراسة والتدريس	**٣٨٧**
١ ـ تفسير سورة النور : لابن تيمية	٣٨٧
٢ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد : لابن قيِّم الجوزية	٣٨٨
٣ـ سيرة « رحمة للعالمين » للقاضي محمد سليمان المنصورفوري	٣٨٨
٤ ـ الرسالة المحمدية : للعلامة سليمان الندوي	٣٩٠
٥ ـ الفاروق : للعلامة شبلي النعماني	٣٩١
٦ ـ فتوح الشام : لمحمَّد بن عُمر الوَاقِدي	٣٩٢
٧ ـ إحياء علوم الدين : للإمام أبي حامد الغزالي	٣٩٣
٨ ـ الجواب الكافي عن الدواء الشافي : للحافظ ابن قيِّم الجوزية	٣٩٥
٩ ـ قيام الليل : لمحمد بن نصر المَرْوَزِي	٣٩٦
١٠ ـ تعليم المتعلِّم : لبرهان الإسلام الزَّرْنُوجي	٣٩٦
١١ ـ رسائل الإمام السَّرْهِندي	٣٩٧
١٢ ـ كتب الإمام شاه ولي الله الدِّهْلَوي	٣٩٨
● الفوز الكبير في أصول التفسير	٣٩٨
● حُجَّة الله البالغة	٤٠٠
● إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء	٤٠٢
١٣ ـ مَدُّ الإسلام وجزره : للشيخ ألطاف حسين حالي	٤٠٣
١٤ ـ إرشاد رَحْماني : للشيخ محمد علي المُونْكِيْري	٤٠٤
١٥ ـ الدين والعلوم العقلية	٤٠٥
١٦ ـ دواوين محمَّد إقبال	٤٠٦
١٧ ـ الإسلام على مفترق الطرق : للأستاذ محمد أسد	٤٠٧
١٨ ـ كُتب والده (العلاَّمة عبد الحي الحسني)	٤٠٨
● نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر	٤٠٨
● مذكِّرات والده	٤٠٩
● تاريخ غُجْرات	٤٠٩

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع | الصفحة

الباب الثالث
العلاَّمة أبو الحسن الندوي
الداعية المفكِّر المربِّي ، والعالم الصوفي المعتدل

الفصل الأول : العلاَّمة الندوي داعياً حكيماً ٤١٣
التمهيد (العلاَّمة الندوي الداعية الأصيل) ٤١٥
منهج الدعوة في القرآن الكريم ٤١٧
منهج العلاَّمة الندوي في الدعوة ٤٢٣
● أفضل وسائل نشرة الدعوة عند العلاَّمة الندوي ٤٢٥
١ ـ التربية والتعليم ٤٢٦
٢ ـ الوعظ والتذكير ٤٢٦
٣ ـ مناصحة الحكام والأمراء والرؤساء والملوك ٤٢٧
٤ ـ التأليف والصحافة ٤٢٧
السِّمات العامة لمنهج العلاَّمة الندوي في الدعوة ٤٢٨
١ ـ الاعتماد الأساسي على الكتاب والسنَّة ٤٢٨
٢ ـ سيره على نهج العلماء الصالحين ٤٢٨
٣ ـ حضور الشخصية ٤٢٩
٤ ـ الاستيعابُ للتاريخ وتاريخ الأمم والشعوب ٤٣٠
٥ ـ النظر الوسط إلى الحضارة الغربية ٤٣٠
٦ ـ التركيز على دعوة العرب ٤٣٠
أهمُّ المجالات الرئيسية للدعوة في رأي العلاَّمة الندوي ٤٣١
ركائز الفقه الدعوي عند العلاَّمة الندوي ٤٣٤
١ ـ تعميق الإيمان في مواجه المادية ٤٣٤
٢ ـ إعلاء الوحي على العقل ٤٣٤
٣ ـ توثيق الصلة بالقرآن الكريم ٤٣٤
٤ ـ توثيق الصلة بالسنَّة والسيرة النبوية ٤٣٤
٥ ـ إشعال الجذوة الروحية (الربَّانية الإيجابية) ٤٣٥
٦ ـ البناء لا الهدم ، والجمع لا التفريق ٤٣٥

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
٧ ـ إحياء روح الجهاد في سبيل الله تعالى	٤٣٥
٨ ـ استيحاء التاريخ الإسلامي وبطولاته	٤٣٦
٩ ـ نقد الفكرة الغربية والحضارة الحديثة	٤٣٦
١٠ ـ نقد الفكرة القومية والعصبيات الجاهلية	٤٣٦
١١ ـ تأكيد عقيدة ختم النبوَّة ومقاومة الفتنة « القاديانية »	٤٣٧
١٢ ـ مقاومة الردّ الفكرية	٤٣٧
١٣ ـ تأكيد دور الأمة المسلمة واستمراره في التاريخ	٤٣٧
١٤ ـ بيان فضل الصحابة ومنزلتهم في الدين	٤٣٨
١٥ ـ التنويه بقضية فلسطين وتحريرها	٤٣٨
١٦ ـ العنايةُ بالتربية الإسلامية الحُرَّة	٤٣٨
١٧ ـ العناية بالطفولة والنشء	٤٣٩
١٨ ـ إعداد العلماء والدعاة الربَّانيين المعاصرين	٤٣٩
١٩ ـ ترشيد الصحوة والحركات الإسلامية	٤٣٩
٢٠ ـ دعوة غير المسلمين	٤٤٠
الفصل الثاني : العلاَّمة الندوي مفكِّراً إسلامياً كبيراً	٤٤١
المبحث الأول : العرب في فكر العلامة الندوي	٤٤٣
● اهتمامه وعنايته بالبلاد العربية	٤٤٤
العرب والعروبة في أدب العلاَّمة الندوي	٤٤٧
موقف العلاَّمة الندوي من القومية العربية	٤٥١
دعوة العلاَّمة الندوي إلى العرب لقيادة سفينة الإنسانية	٤٥٦
موقف العرب من المدنية الأوربية في فكر العلاَّمة الندوي	٤٦١
مساعي العلاَّمة الندوي إلى التفاعل مع الأمراء والرؤساء والقادة العرب	٤٦٧
المبحث الثاني : موقف العلاَّمة الندوي من القضايا العربية الإسلامية	٤٧١
موقف العلاَّمة الندوي من قضية فلسطين	٤٧٩
« قضية فلسطين » في كتابات العلاَّمة الندوي	٤٨٣
● صورة وثيقة تأييد لقضية فلسطين بخط العلاَّمة الندوي	٤٨٧
موقف العلاَّمة الندوي من أزمة الخليج	٤٨٨

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع الصفحة
المبحث الثالث : ترشيد الصحوة الإسلامية اليوم كما يراه العلامة الندوي ٤٩٣
● الصحوة الإسلامية مسؤولية كبيرة وأمانة دقيقة ٤٩٣
● الصحوة من طبيعة الإسلام وواجباته وحاجات البشر الدائمة ٤٩٤
شروط الصحوة الإسلامية ٤٩٤
١ ـ أن تكون موافقةً للعقيدة الإسلامية الصحيحة ٤٩٤
٢ ـ التوسُّع في الدراسة الدينية ، وتغذية الشباب المثقَّف بالغذاء الفكري الصالح القوي الدسم ٤٩٥
٣ ـ ضرورة كون الصحوة إيجابية ، والترقي من المجابهة وإثارة المشاكل والمعارضات من غير ضرورة ٤٩٥
٤ ـ أهمية الزهد والقناعة ، والعزوف عن حبِّ الغلوِّ ، والتنافس في الدنيا في تاريخ الإصلاح والدعوة ٤٩٦
٥ ـ العناية ببقاء الشعور بأهمية الجهاد في سبيل الله وفضله ٤٩٧
٦ ـ كيف تقع حركات إصلاحية جذرية فريسة الجمود ، الذي تنشأ لإزالته ، وتفقد الحيوية والحركة ٤٩٨
المبحث الرابع : مواقف العلاَّمة الندوي الحكيمة من حلِّ قضايا المسلمين في الهند ٥٠١
الفصل الثالث : العلاَّمة أبو الحسن الندوي مربِّياً جليلاً ٥٠٩
التمهيد : التربية الإسلامية عند العلاَّمة الندوي ٥١١
● منابع السموم ٥١٣
● التربية لدعم العقيدة ٥١٣
● تجربة رائدة ٥١٥
المبحث الأوَّل : أراء العلاَّمة الندوي في التربية الإسلامية ٥١٧
● الواقع التربوي في البلاد الإسلامية ٥١٧
● مبادىء وأُسُس التربية الإسلامية ٥١٨
١ ـ تميز التربية الإسلامية ٥١٨
٢ ـ التربية سمةٌ خاصةٌ بكلِّ مجتمعٍ ٥١٩

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
٣ ـ التربية وسيلة وليست غايةً	٥١٩
٤ ـ التعليم مسألةٌ خصوصيةٌ	٥٢٠
٥ ـ التعليم يرتبط بالعقيدة الإسلامية	٥٢٠
٦ ـ للعلم روحٌ وضميرٌ	٥٢٠
٧ ـ أهداف واضحة ومحدَّدة للتربية الإسلامية	٥٢١
٨ ـ إنَّ العلوم والفنون ليست غاياتٍ	٥٢٢
٩ ـ إنَّ التعليم لا يعطي ثمائره بدون مساندة المجتمع	٥٢٢
١٠ ـ ينبغي أن يساند الإعلامُ دور المدرسة	٥٢٣
١١ ـ تعليم الفتاة المسلمة	٥٢٣
١٢ ـ صياغة العلوم والآداب الغربية صياغة جديدة	٥٢٤
الحاجة إلى صوغ نظامٍ تعليميٍّ إسلاميٍّ	٥٢٤
المبحث الثاني : مصادر التربية الإسلامية عند العلاَّمة الندوي	٥٢٧
أ ـ القرآن الكريم	٥٢٨
ب ـ السنَّة النبوية	٥٢٩
ج ـ السيرة النبوية	٥٣٠
د ـ العلم	٥٣١
الفصل الرابع : العلاَّمة أبو الحسن الندوي العالم الصوفي المعتدل	٥٣٥
المبحث الأوَّل : رأي العلاَّمة الندوي في التصوُّف	٥٣٧
المبحث الثاني : معالجة العلاَّمة الندوي قضيةَ التصوُّف	٥٤١
● التزكية والإحسان ومكانتهما من الكتاب والسنَّة	٥٤٢
● لنقرِّر الحقيقة ، ونتحرَّر من القيود ، وننبذ العصبية	٥٤٤
● جناية الدجَّالين والمحترفين ، وجناية المقلِّدين والمخلطين	٥٤٥
● الراسخون في العلم والإيمان ، وبعض مواقفهم وآثارهم	٥٤٥
● فضلهم في صيانة المجتمع الإسلامي من الانهيار الخلقي والروحي	٥٤٦
● الأزمة الروحية والخلقية في بعض الأقطار الإسلامية سببها وعلاجها	٥٤٦
● فراغٌ يجب أن يملأ	٥٤٧

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع | الصفحة

الباب الرابع
العلاَّمة أبو الحسن الندوي
رائد وعميد الأدب الإسلامي

الفصل الأوَّل : تعريف الأدب الإسلامي ٥٥١
المبحث الأوَّل : الأدب الإسلامي ٥٥٣
● الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ٥٥٣
● صلة الأدب بالإسلام ٥٥٤
● بين الأدب الإسلامي وغير الإسلامي ٥٥٥
● سعة الأدب الإسلامي ٥٥٦
المبحث الثاني : أهمية الأدب في الدعوة إلى الله وشروطه ٥٥٧
● المراد بفنية التعبير ٥٥٧
الفصل الثاني : العلاَّمة أبو الحسن الندوي أديباً إسلامياً ٥٦١
التمهيد ٥٦٣
مساهمات العلاَّمة الندوي في خدمة الأدب الإسلامي وتأسيس رابطته ٥٦٦
الفصل الثالث : عطاء العلاَّمة أبي الحسن الندوي في جوانب عدَّة من الأدب الإسلامي ٥٧١
المبحث الأوَّل : نظراته وتأمُّلاته وآراءه في الأدب الإسلامي ٥٧٣
نظرة جديدة إلى تراث الأدب العربي ٥٧٩
تأمُّلاته في الأدب النبوي ٥٩٥
● أدب المناجاة والابتهالات والأدعية المأثورة ٥٩٥
● نماذج من أدب المناجاة والابتهالات والأدعية المأثورة المروية ٥٩٦
١ ـ الدعاء الذي دعاه النبيُّ ﷺ في الطائف ٥٩٦
٢ ـ الدعاء الذي دعاه النبيُّ ﷺ في ميدان عرفات ٥٩٧
٣ ـ الاعتراف بعجزه وضعفه ٥٩٨
٤ ـ التمثيل الصادق الجامع للحوائج البشرية ٥٩٩
٥ ـ الراحة التي لا تنتهي ، والسُّرور الذي لا ينفذ ٦٠٠
٦ ـ الحقائق التاريخية والدقائق النفسية في الأدعية المأثورة ٦٠٠

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
٧ ـ دقائق أخلاقية	٦٠٢
٨ ـ التعبير عن القلب	٦٠٣
٩ ـ طلب السَّعة في الرزق عند كبر السنِّ	٦٠٤
١٠ ـ طلب صلاح آخر العمر وسعادته وفلاحه	٦٠٥
١١ ـ الطلب فجأة الخير وسؤال النجاة من فجأة الشرِّ	٦٠٥
١٢ ـ الاستعاذة من زوال النعمة بعد حصولها	٦٠٥
١٣ ـ الاستعاذة من أرذل العُمُر	٦٠٦
١٤ ـ الاستعاذة من نفس حريصة لا تشبع ، ومن علم عقيم لا ينفع	٦٠٦
١٥ ـ بعض الحوائج الأساسية والجذرية في الحياة	٦٠٧
١٦ ـ التعبيرُ عن حاجيات المسافر ومشاعره	٦٠٧
١٧ ـ الدعاء عند إقبال الليل والنَّهار	٦٠٩
١٨ ـ الاستعاذة من شر النفس	٦١٠
١٩ ـ طلب الخشية واليقين	٦١١
٢٠ ـ منطلق الشرور والمعاصي والاستعاذة منه	٦١١
٢١ ـ حُبّ الله هو الدواء الوحيد لكلِّ داءٍ	٦١٢
٢٢ ـ طلب نصر الله وعونه وعطفه وكرمه	٦١٣
● شهادة القلب السليم	٦١٤
أدب الرحلات	٦١٦
أدب التراجم	٦٢٠
● شروط جديدة لكتابة التراجم عند العلامة الندوي	٦٢٢
أدب التقديمات	٦٢٥
نظراته النقدية التطبيقية في الشعر والنثر	٦٢٦
أ ـ في الشعر	٦٤٧
١ ـ مع مولانا جلال الدين الرُّومي	٦٢٧
● أدب الحب والعاطفة ، واحترام الإنسان والإنسانية في شعر مولانا جلال الدين الرُّومي	٦٢٧
● الدعوة إلى الحب	٦٢٨

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
● إلى من يوجَّه هذا الحب؟	٦٣٠
● لا داعي إلى اليأس	٦٣٠
● عالم القلب	٦٣١
● كرامة الإنسان وشرفه	٦٣٣
وقفة مع محمد إقبال	٦٣٨
● نظرة إقبال إلى الشعر والأدب	٦٣٩
● الرؤية الحضارية في شعره	٦٤٠
ب ـ في النثر	٦٤٢
المبحث الثاني : عناية العلاَّمة الندوي بأدب الأطفال والناشئين	٦٤٥
أهداف العلاَّمة الندوي في كتبه للأطفال والناشئين	٦٤٨
١ ـ اللغة	٦٤٨
٢ ـ الدعوة	٦٥٠
٣ ـ التربية الإسلامية	٦٥٤
٤ ـ الثقافة الإسلامية	٦٦٠
الباب الخامس	
العلاَّمة أبو الحسن الندوي	
الكاتب المؤلِّف	
الفصل الأوَّل	٦٦٥
المبحث الأوَّل : نبوغ العلاَّمة الندوي في العلوم الشرعية ومساهمته فيها كتابةً وتأليفاً	٦٦٧
العلاَّمة الندوي والقرآن الكريم	٦٦٩
● أسلوب العلاَّمة الندوي في الدراسات القرآنية	٦٦٩
العلاَّمة الندوي والحديث النبوي الشريف	٦٧٦
● ميزات أسلوب العلامة الندوي في كتاباته وبحوثه الحديثية	٦٧٨
العلاَّمة الندوي والفقه	٦٨٠
العلامة الندوي والتاريخ	٦٨٢
العلاَّمة الندوي والأدب	٦٨٥

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة

المبحث الثاني : خصائص مؤلَّفات العلاَّمة الندوي ٦٩٥
● أبرز سمات مؤلَّفاته ٦٩٦
● أسلوب العلاَّمة الندوي في مؤلفاته وكتاباته ٧٠٠
الفصل الثاني : مؤلَّفات العلاَّمة الندوي ٧٠٥
المبحث الأول : تعريف مؤلَّفات العلاَّمة الندوي (حسب الموضوعات) ٧٠٧

دراسات قرآنية

المدخل إلى الدراسات القرآنية ٧١٠
الصراع بين الإيمان والمادية (تأمُّلات في سورة الكهف) ٧١٢
النبوُّة والأنبياء في ضوء القرآن ٧١٣

في الحديث النبوي الشريف

المدخل إلى دراسات الحديث النبوي ٧١٥

في العقيدة والشريعة

العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنَّة والسيرة النبوية ٧١٦
الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، مقارنة مع الديانات الأخرى ٧١٨

في السيرة النبوية

السيرة النبوية ٧٢١
سيرة خاتم النبيِّين ٧٢٧
الطريق إلى المدينة ٧٢٩

في فقه الدعوة

روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة ٧٣٢

في الفرق والمذاهب

القادياني والقاديانية دراسة وتحليل ٧٣٣
صورتان متضادتان ٧٣٥

في التاريخ الإسلامي والواقع المعاصر

المرتضى (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه) ٧٣٩
رجال الفكر والدعوة في الإسلام ٧٤١
الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكانْدَهْلَوِي ودعوته إلى الله ٧٤٥

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
إذا هَبَّتْ ريح الإيمان	٧٤٧
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟!	٧٤٨
الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية والعربية	٧٦٠
المسلمون في الهند	٧٦٣
رحلات ومذكّرات	
مذكّرات سائح في الشرق العربي	٧٦٥
من نهر كابُل إلى نهر اليرموك	٧٦٦
أسبوعان في المغرب الأقصى	٧٦٧
سيرة ذاتية	
في مسيرة الحياة	٧٦٨
في التصوُّف الإسلامي	
ربَّانية لا رهبانية	٧٧٠
في الأدب	
مختارات من أدب العرب	٧٧١
نظرات في الأدب	٧٧٤
روائع إقبال	٧٧٥
شخصيات وكتب	٧٧٧
دراسات عامة في الفكر الإسلامي	
إلى الإسلام من جديد	٧٧٨
الإسلام : أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية	٧٧٩
العرب . . . والإسلام	٧٨١
أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين	٧٨٢
المسلمون وقضية فلسطين	٧٨٣
نفحات الإيمان بين الصنعاء وعمَّان	٧٨٥
أحاديث صريحة في أمريكة	٧٨٦
حديث مع الغرب	٧٨٧
التفسير السياسي للإسلام	٧٨٨

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة

في التربية والتعليم

التربية الإسلامية الحُرَّة ٧٩١
قصص النبيين (للأطفال) ٧٩٢
القراءة الراشدة ٧٩٤
قصص من التاريخ الإسلامي ٧٩٦
المبحث الثاني : مجموعات مقالات ومحاضرات العلاَّمة الندوي ٧٩٧
دراسات قرآنية ٧٩٨
مقالات حول السيرة النبوية ٨٠٠
نظرات في الحديث ٨٠١
نظرات في الأدب النبوي ٨٠٢
مصدر الفقه : الكتاب والسُّنَّة ٨٠٤
محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة ٨٠٥
مقالات إسلامية في الفكر والدعوة ٨١٠
إسمعيات ٨١١
مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين ٨١٢
مكانة المرأة في الإسلام ٨١٣
خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء ٨١٤
بحوث في الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ٨١٥
أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية ٨١٧
من أعلام المسلمين ومشاهيرهم ٨١٨
مقدِّمات الإمام أبي الحسن الندوي ٨٢٠
رحلات العلاَّمة أبي الحسن الندوي ٨٢١
المبحث الثالث : مساهمة العلاَّمة الندوي في تحقيق التراث الإسلامي ٨٢٣
١ ـ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ٨٢٤
٢ ـ الهند في العهد الإسلامي ٨٢٥
٣ ـ الثقافة الإسلامية في الهند ٨٢٥
٤ ـ تهذيب الأخلاق ٨٢٦

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع : جهود العلاَّمة الندوي في الترجمة	٨٢٧
رسالة التوحيد	٨٢٩

الباب السادس

دار العلوم ـ ندوة العلماء

مدرسة العلاَّمة أبي الحسن الندوي الدعوية والفكرية والأدبية

كلمة فياضة في « ندوة العلماء » للشيخ علي الطنطاوي	٨٤٩
الفصل الأول : تعريف « ندوة العلماء »	٨٥١
التمهيد	٨٥٣
المبحث الأول : حركة « ندوة العلماء » وفكرتها	٨٥٥
تاريخ نشأة « ندوة العلماء » وتوسُّعها	٨٥٧
منهج « ندوة العلماء »	٨٦١
اتصال « ندوة العلماء » وعنايتها بالعالم العربي المسلم	٨٦٣
● عناية « ندوة العلماء » بالصحافة الإسلامية العربية	٨٦٥
المبحث الثاني : « ندوة العلماء » كما يراها كبارُ علماء العرب وأدبائهم	٨٦٧
المبحث الثالث : أعلام « ندوة العلماء »	٨٧١
١ ـ العلاَّمة الشيخ محمد علي المُونكِيْري	٨٧٣
٢ ـ العلاَّمة شبلي النعماني	٨٧٤
٣ ـ العلاَّمة الشيخ عبد الحي الحسني	٨٧٦
٤ ـ الدكتور عبد العلي الحسني	٨٧٨
٥ ـ العلاَّمة السيد سليمان النَّدْوِي	٨٧٩
٦ ـ العلاَّمة عبد السَّلام الندوي	٨٨١
٧ ـ الأستاذ مسعود علي الندوي	٨٨٢
٨ ـ الأستاذ معين الدين الندوي	٨٨٢
٩ ـ الأستاذ عبد الباري الندوي	٨٨٣
١٠ ـ الشيخ محمد أويس الندوي	٨٨٥
١١ ـ الأستاذ مسعود عالم الندوي	٨٨٦
١٢ ـ الشيخ عبد السَّلام القُدْوَائي الندوي	٨٨٧

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
١٣ ـ الشيخ السيد محمد الثاني الحسني	٨٨٧
١٤ ـ الأستاذ أبو العرفان الندوي	٨٨٨
١٥ ـ الأستاذ أبو اللَّيث الندوي	٨٨٩
١٦ ـ الأستاذ محمد ناظم الندوي	٨٩٠
تأثير « ندوة العلماء » على الآخرين	٨٩٢
١ ـ مولانا أبو الكلام آزاد	٨٩٢
٢ ـ الشيخ عبد الماجد الدَّزيابادي	٨٩٣
الفصل الثاني : العلَّامة أبو الحسن الندوي مفخر « ندوة العلماء »	٨٩٧
المبحث الأوَّل : « ندوة العلماء » في عهد العلَّامة الندوي	٨٩٩
المبحث الثاني : تلامذة العلَّامة الندوي	٩٠١
١ ـ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي	٩٠١
٢ ـ الأستاذ محمد الحسني	٩٠٣
٣ ـ الدكتور عبد الله عباس الندوي	٩٠٥
٤ ـ الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي	٩٠٦
٥ ـ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي	٩٠٧
٦ ـ الأستاذ إسحاق جليس الندوي	٩٠٧
٧ ـ الدكتور سيد رضوان علي الندوي	٩٠٨
٨ ـ الدكتور محمد اجتباء الندوي	٩٠٩
٩ ـ الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي	٩٠٩
١٠ ـ الأستاذ نذر الحفيظ الندوي	٩١٠
١١ ـ الدكتور تقي الدين الندوي	٩١١
١٢ ـ الشيخ سلمان الحسيني الندوي	٩١١
١٣ ـ الأستاذ نور عالم خليل الأميني	٩١٢
١٤ ـ الشيخ عبد الله محمد الحسني الندوي	٩١٣
١٥ ـ الدكتور علي أحمد الندوي	٩١٤
١٦ ـ الأستاذ سعيد مرتضى الندوي	٩١٤
١٧ ـ الدكتور محمد أكرم الندوي	٩١٥

www.abulhasanalinadwi.org

الموضوع	الصفحة
١٨ ـ الدكتور مصطفى سليمان الندوي	٩١٥
١٩ ـ الأستاذ عبد الوهاب الحلبي الندوي	٩١٦
٢٠ ـ الشيخ أحمد فهمي زمزم الندوي	٩١٦
الخاتمة	٩١٧
فهرس المصادر والمراجع	٩٢١
فهرس الموضوعات	٩٣٥

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

رسائل الأعلام

إلى العلامة أبي الحسن الندوي

إخراج وتقديم

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

تحقيق وتعليق

سيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

٩٥٩

www.abulhasanalinadwi.org

مقالات إسلامية

في الفكر والدعوة

لِلعَلَّامَة الإمَام السَّيِّد أَبي الحَسَن عَلي الحسني النَّدوي

١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ

الجزء الأوّل

إعداد
سيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

٩٦٠

www.abulhasanalinadwi.org

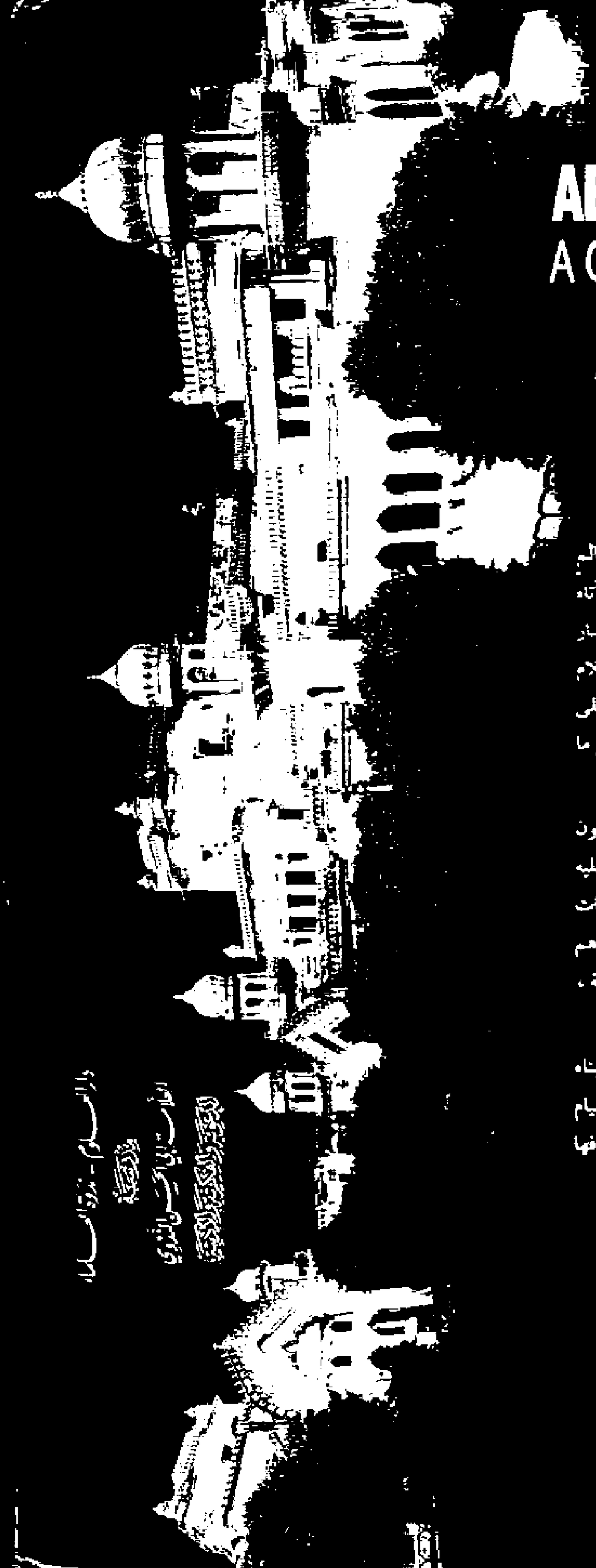

ABUL HASSAN NADWI
A GREAT ISLAMIC THINKER

By

Sayyid Abdul Majid Ghouri

هَذَا الكِتَابُ

يشمل هذا الكتابُ سيرةَ داعيةٍ كبيرٍ ، ومفكرٍ عظيمٍ ، وعالمٍ ربانيٍّ ، ومربٍّ جليلٍ ، وكاتبٍ كبيرٍ ، وأديبٍ بارعٍ ذاقَ منذ آناءِ اللهُ العلمَ على الدعوة إلى الله بقلمه ولسانه وبرحلاته ، وسار في حياته سيرةَ المسلم المخلص لله ورسوله ، فعاش بالإسلام وللإسلام ، وعلى نهجٍ جيدٍ للإسلام . عمل طيلةَ حياته على تناول كلِّ ما يتصل بقضايا الفكر الإسلامي ومعضلاته ، وكلِّ ما يتصل بالشبهات المثارة .

لم يختلف فيه إثنان ، فقد اجتمع عليه المُلقيون والمتصوّفون ، والمذهبيون واللامذهبيون ، كما اجتمع عليه المتقُّفون بالثقافة الإسلامية التقليدية ، والمثقفون بالثقافات الحديثة ، وكان كلمةَ إجماعٍ عندهم ، أحبه الجميعُ لاعتقادهم بصدقه وإخلاصه وتجرُّده لله ، وبُعْدِه عن الأغراض الشخصية ، والمصالح الذاتية ، والعصبية الجاهلية .

فهذه السيرةُ جديرةٌ بأن يتعلَّم منها الراغبون في بناء شخصيتهم على خصال الخير ، وفضائل الحياة ، والقيام بالكفاح لمصالح الدين والأمة ، وهي جديرةٌ أيضاً بأن يعرفها الناسُ ويتعلّموا منها الخُلُقَ ، والدينَ ، والصَّلاحَ ، والعملَ .

www.abulhasanalinadwi.org